



مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الأول ـ القاهرة فى غرة المحرم ١٣٧٧ ـ ٢٨ يوليو ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من عام ـ الى عام

نودع عاما كنا منه فى امتحان عظيم برهنا به على صمودنا للبغى المفاجئ ، لنستقبل عاما يجب علينا أن نحسن فيه استعمال نعم الله ، فيما يرضى الله ، لنكون من أولياء الله .

كنا قبل العام الماضى نحبو ، لننتقل ـ فى عهد التحرير ـ من سن الطفولة إلى سن الشباب . فاجتزنا عاما لم يكن كسائر الأعوام ، وإنما كان ـ بأحداثه ـ عصرا كاملا : فنحن ، بين العام الذى نودعه والعام الذى نستقبله ، كالطفل نخرج من طفولته الطاهرة البريئة ، ليستقبل جهود عصر كامل ، وجهاد عصر كامل ، وتقدم عصر كامل ، وإنتاج عصر كامل ، وتجاريب عصر كامل ، وانتصارات عصر كامل .

إنها نقلة مباركة من طفولة طاهرة بريئة كانت بنت أربعة أعوام ، إلى رجولة نامية استكملت قواها بمصارعة البغى والتغلب عليه ، وشحذت عزائمها لإقامة الحق والاستكانة له ، وأوسعت خطاها لطى المفاوز نحو الهدف القومى الأقصى ، وستبلغه بحول الله وقوته .

نحن فى نعم من الله نعدها ولا نحصيها . إنها نعم ، كنا نتمناها فى أحلامنا ، فمن الله علينا بأن نراها فى يقظتنا . وأبلغ الشكر لله على نعمته حسن استعمالها فيما يرضى الله ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم .

المجلة

من الاسلام ... الى الايمان

حقائق تاريخية ، لمناسبة الصراع مع الاستعمار فى الجزائر

كان آخر عهد الناس بالاستعمار الغربى للشرق الإسلامى فى الخمسين سنة الأخيرة التى كنا شهود أحداثها ، أنه كان – كما لا يزال – حريصا على مطاردة الإسلام من بلد إلى بلد ، ومن طبقة من المسلمين إلى طبقة أخرى منهم ، وقد رسم لذلك خططا لا يراها أقل شأنا من خططه السياسية والعسكرية ، وقلما عقد معاهدة مع جهة إسلامية إلا كان للناحية التبشيرية عناية كبرى منه فى صلب تلك المعاهدة أو فى ملاحقها .

لقد رأينا الاستعمار منذ عشرات طويلة من السنين يحشد الجحافل من صنائعه الذين يسمون أنفسهم « مبشرين » على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، فكانوا فى كثرة عددهم، وفى تنظيم نشاطهم ، وفى استعدادهم المالى والثقافى ، وفيما يستندون إليه من تأييد إدارى ، وما يعتمدون عليه من حماية سياسية ، كأنهم – وهم فى أوطان المسلمين أو مستعمرات الغربيين – حكومات أخرى من وراء الحكومات ، مستكملة للوسائل والأدوات ، مؤتلفة فى صنوف المهمات وأنواع المسئوليات ، يقدمون عن نتائج نشاطهم السنوى التقارير المسهبة بحساب دقيق هدفه الأول والأخير أن ينسلخ المسلمون عن الإسلام ولو إلى الإلحاد ، فإن تعذر عليهم استمالة الذين شبوا من المسلمين عن الطوق فلا أقل من الاستيلاء على قلوب أبنائهم ، والتحكم فى تكييف نفوس الأطفال وتوجيه عقولهم وثقافتهم ، بما رسم لها من مناهج وأساليب تتنوع وتتجدد بما تقتضيه ظروف الأزمنة والبقاع .

فالإنجليز فى السودان – مثلا – عزلوا منطقة الجنوب عن أمها السودان الشمالية ، ووضعوا مهمة التربية والتعليم للجنوبيين فى أيدى دعاة التنصير من الإنجليز والأمريكيين وغيرهم ، إنجيليين وكاثوليكيين . ومنعوا حتى التجار المسلمين من أن يقيموا شعائر الصلاة فى العراء على مشهد من الناس ، لئلا يدخل الإسلام فى قلوب الذين ما زالوا على الفطرة

من سكان الجنوب فينقلبوا مسلمين . ولا يزال قراء هذه المجلة على ذكر مما نشرناه فى جزء رجب سنة ١٣٧٣ (ص ٨٣٣) من مشاهدات السيد محمد جمال الدين محفوظ فى رحلة قام بها فى الملاكال وجوبا وتوريت وكاترى إلى حدود بلاد أوغندا .

وكنا نشرنا قبل ذلك فى جزء جمادى الأولى من تلك السنة (ص٦٣٧) شكوى جريدة (التيمس) اللندنية وعويلها من أن الإسلام يتقدم بخطى سريعة فى غرب إفريقية حتى أن بعثات التنصير والأوربيين على السواء ليبدون (قلقا) شديدا مما قد يترتب على انتشار الإسلام فى المنطقة كلها . قالت (التيمس) : « وكان الاعتقاد قديما أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضر ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث فى (سيراليون) و (ساحل العاج) و (ساحل الذهب) و (الداهومى) ، ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام فى هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة وبالعالم العربى » ... وقالت (التيمس) كذلك « ويختلف الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الإسلام فى إفريقية : فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير فى (الخطوط التى رسمها له الاستعمار) ، بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام ، لإفساده ، وإزالة حقيقة الإسلام عنه ، مع بقاء اسم الإسلام عنوانا له) حتى يكون هـذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد) .

هذا ما قالته (التيمس) ، وهى على علم تفصيلى بجحافل دعاة التنصير المنتشرين مع الاستعمار فى القاصى والدانى من بلاد المسلمين فى إفريقية وآسيا ، وما يعبثون به من عقائدهم وما يفرضونه عليهم من تعليم استعمارى إن لم ينجح فى تحويلهم عن المسجد إلى الكنيسة ، فلا أقل من أن يبعدهم عن المسجد إلى ناحية الكفر بالله ، والجحود بيوم الدين ، والإلحاد بالأديان كلها .

وأفظع من الكيد الاستعمارى الذى يلقاه الإسلام من الإنجليز وأعوانهم الأمريكيين وغيرهم فى غرب إفريقية ووسطها وشرقها ، الكيد الاستعمارى الذى لقيه من الفرنسيين فى شمال إفريقية ، وعزلهم مناطق البربر عن مناطق العرب ، وتكالب المبشرين من الآباء البيض على أبناء المسلمين البربر لئلا يبقى لهم من الإسلام إلا عنوانه الذى يوشك أن يزول هو كذلك إن لم يتداركهم الله بلطفه ورحمته .

وكان الكاردينال لافيجرى قد أسس لهم بمعونة المرشال ليوتى وأسلافه جيوشاً من دعاة التنصير رجالا ونساء فى جميع أنحاء شمال إفريقية . فأقيم لهذا الكردينال تمثال جسيم فى العاصمة التونسية ما زال قائماً فى مكانه إلى اليوم جزاء جهوده المتواصلة لهدم الكيان الإسلامى فى ظل الاستعمار الفرنسى . وهـــذا الكردينال هو نفسه الذى وقف يوم أول يوليه سنة ١٨٨٨ فى كنيسة سان سولبيس بباريس يشكو على الإســـلام رحمته بالرقيق ، وتشريعاته الواسـعة النطاق لتضييق دائرة الرق فى المجتمع الإنسانى ، والنهوض بمستوى الأرقاء . فخطب خطبة زعم فيها أن الإسلام هو المسئول عن الرق ، واتفق أن كان من شهود هذه الخطبة أحمد شفيق باشا فى أيام شبابه ، فرد عليه بكتاب (الرق فى الإسلام) الذى ألفه بالفرنسية ، وترجمه بالعربية أحمد زكى باشا .

وقد استمر الكيد من الفرنسيين للاسلام فى كل مكان ، ولاسيما فى إفريقية ، إلى أن استصدروا فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ (أى عند مرور قرن على احتلالهم الجزائر) الظهير البربرى الذى عزلوا به مسلمى البربر عن التشريع الإسلامى فى الأحوال الشخصية ، وعن التثقيف الإسلامى والمدارس القرآنية ، ووضع لهم مسيو سوردون Sordon تشريعاً تحدث هو عنه فقال : « إن الأسلحة الفرنسية هى التى فتحت البلاد البربرية ، فلأصحاب هذه الأسلحة الحق فى اختيار التشريع الذى يجب تطبيقه فى البلاد ، ويجب على حكومة المخزن (أى حكومة سلطان المغرب) أن تكون مستعدة لإعطائنا الحرية التامة فى تنظيم البلاد البربرية كما يطيب لنا ، وبالطريقة التى ترضينا . وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أى التى كانت للبربر فى زواجهم ومواريثهم قبل إسلامهم) لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدون ، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين ، ألا يمكن أن يتخذ البربر فى يوم من الأيام نفس الشرائع الفرنسية ؟ ولما صدر الظهير البربرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ علقت عليه جريدة (الطان) فى عددها الصادر يوم ٢٧ من ذلك الشهر فقالت : « الآن تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الإسلامية ، ولقد اتخذت جميع الاحتياطات لحماية المحاكم العرفية الجديدة من تأثيرات السلطة الإدارية الوطنية » .

إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بهذه الغارة الفاجرة على العالم الإسلامى إلا لأن عصور الانحطاط الأخيرة جعلت جماهير المسلمين كبعض الأعراب فى بداية إسلامهم ، وقد تحدث القرآن عن بنى أسد بن خزيمة يوم حسبوا أن مجرد الانتماء منهم إلى الإسلام

يرفع منزلتهم إلى مقامات الإيمـان ، فقال الله لهم فيما أنزله على رسوله من سورة الحجرات ١٥ : « إنمـا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » . روى الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء :

(١) الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

و (٢) الذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

و (٣) الذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » .

ثم إن الاستعمار ما كان ليجرؤ على القيام بغارته الفاجرة على الإسلام إلا لأنه وجد المسلمين مكتفين من الإسلام باسمه وعنوانه ، متهاونين بتفاصيل شعب الإيمـان وتربية أنفسهم عليها ، متخاذلين عن الاستعداد للقيام بأعباء السيادة والسعادة فى أوطانهم ، فكانوا يقولون كما قالت الأعراب من بنى أسد بن خزيمة وهم حديثو عهد بالإسـلام : « آمنا » . فقال الله لهم فى سورة الحجرات ١٤ : « لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا » . فالإسلام فى الجمهرة الغالبة من المسلمين عند مادهمهم الاستعمار كان « جنسية » مقتصرة على شهادة الميلاد أو مايقوم مقامها ، ولمـا يدخل الإيمان فى قلوبهم . ولو أن شعب الإيمان كلها ـ ممـا بثه حامل آخر رسالات الله فى قـلوب أصحابه بتوجيهاته المتلاحقة مدة ثلاث وعشرين سنة ـ كانت متأصلة فى نفوس المسلمين عند مافوجئوا بالاستعمار الأجنبى، لاصطدم منهم بقلعة حصينة يتحطم بغيه على جـدرانها ، ويتخاذل كيده أمام عزائمها ، ولكافحه المسلمون متعاونين متناصرين دفاعا عن كيانهم خطوة بعد خطوة، وسنة بعد سنة، إلى أن ييأس منهم ، وينقلب إلى بلاده بالخزى والفشل الذريع وحسرة الأبد .

الإيمـان الإسلامى قوة لا تعدلها قوة ، وقد تمكن الاستعمار من الاستيلاء على بعض بلاد المسلمين بضعفهم لا بقوة الاستعمار ، وإنمـا كانوا ضعفاء لأنهم كانوا مكتفين من الإسلام باسمه ، ولم يكونوا مؤمنين بمجموع ما يطالبهم بالإيمان به . . .

قبل أن يحتل الاستعمار الفرنسى بلاد الجزائر بخمسين إلى سبعين أو ثمـانين سنة ، كان قد نجم فيها شاب مغرور ، ضعيف العقل ، سقيم المعرفة بالإسـلام ، تصوف بغير علم ، وتلقف كلمات من بنيات الطـريق ، فاخترع لمن حوله طريقة بناها على أنه يلقى

النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، ويتلقى عنه ما يخالف شريعته ، فزاده هذا التصور غرورا إلى غروره ، فصار يقول لأتباعه : « قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من أول إنشاء العالم إلى النفخ فى الصور » ، ويقول لهم : « إن غير النبي قد يكون عنده علم أزيد من النبي » ، ويقول لهم : « كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور » ويقول لهم : « إن مقامنا عند الله فى الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا . . ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا » . واخترع لهم صيغة من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سماها « صلاة الفاتح لما أغلق » وقال عنها : « إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ، ستة آلاف مرة » ، وقال لهم عنها : « من لم يعتقد أن صلاة الفاتح من كلام الله لم يصب الثواب فيها » ، وقال لهم عنها : « نهانى صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء (أى بأسماء الله الحسنى) وأمرنى بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق » .

إن ضعفاء العقول فى الدنيا والمغرورين والمعتوهين كثيرون ، ويقولون ما يسنح فى خواطرهم . وكان ينبغى لقائل هذا الكلام فى الجزائر قبل أن تصاب بمصيبة الاستعمار الفرنسى أن يوضع فى مستشفى المجاذيب ، أو فى الأقل أن ينبذ ويدعى له بالشفاء . ولكن الانحطاط يومئذ فى الوعى الإسلامى بين الجماهير قد جعل لهذا المعتوه شأنا ، فصار له فى الجزائر أتباع يعدون بالألوف ، ثم كان له مثل ذلك فى المغرب الأقصى وغيرها من أصقاع إفريقية ، ومات بمدينة فاس سنة ١١٩٦ (١٨٨٢ م) عن ٤٦ عاما فقط وهو من أهل الزعامة ، وكلامه هذا تتلقاه الألوف من العامة والمنتسبين إلى العلم بالقبول ، وله إلى هذا اليوم أتباع يعدون بالملايين ، ومنهم دجالون فى مصر والشام وحتى فى ألبانيا التى تعد من أوربا ، وقد استطاع الفرنسيون من قبل أن تدنس أقدامهم أرض الجزائر أن يصطنعوا خلفاء هذا المعتوه من مشايخ السجادة التى أسسها لطريقته فى عين ماضى . وشيوخ هذه السجادة يفتخرون اليوم بأنهم حاربوا الأمير عبدالقادر الجزائرى مع الفرنسيين وأنهم كانوا عيون الاستعمار وسماسرته وأعوانه منذ الاحتلال الأول إلى اليوم .

وفى سنة ١٨٧٠ بينما كانت أحذية جنود بسمارك ومولتكه تسحق كبرياء الفرنسيين فى باريس وتطأ رقاب عظمائهم ، كان خلفاء الزاوية التجانية فى الجزائر يعلنون عبوديتهم

للفرنسيين المخذولين ، ويقوم كبيرهم سيدى أحمد التجانى الحفيد بتقديم الشكر - باسم الجزائريين - إلى بقية السيوف من جنود التيرايور الذين سلموا من معركة «ويش-هوفن» ووقعة «ويسانبور» ، فكافأه الكردينال لافيجرى بأن قام بطيلسانه وصليبانه فتولى عقد زواج سيدى أحمد شيخ السجادة على مدام أوريلى بيكار التى بقيت على كاثوليكيتها ، وألفت كتابا عنوانه «أميرة الرمال» تعنى نفسها ، وقد ملأته بالمثالب على مسلمى الجزائر والزاوية التجانية ، وذكرت فيه أن سيدى أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكردينال لافيجرى بحسب الطقوس الدينية المسيحية . ولما توفى عنها سيدى أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه سيدى على ، فصاروا يسمونها «زوجة السيدين» ، وقد قضت بين التجانيين بضعا وستين سنة لم تستعمل معهم فيها شيئا من النفاق ولا الرياء ، بل قضت تلك العشرات من السنين كاثوليكية فرنسية لم تغير من كاثوليكيتها وفرنسيتها شيئا . و «الأحباب» التجانيون يتبركون بهذه الدميسة الشيطانية ويتمسحون بآثارها شابة وعجوزا ، ويتيممون لصلواتهم بالتراب الذى تمشى عليه . وقد قضت «أم التجانى» الفرنسية شيخوختها فى مزرعة كبرى امتلكتها فى ضواحى مدينة «بلعباس» من أعمال وهران كانت تعيش فيها عيشة المترفين ، وهى تهزأ بهؤلاء الأنعام الذين تنعم بخيراتهم ، وتعبث بدياناتهم ووطنيتهم ، ولم تقطع علاقتها بالزاوية التجانية ، بل ظلت تسيطر عليها وتقبض على أزمتها ، وقد أنعمت عليها الجمهورية الفرنسية بوسام جوقة الشرف، وقالت عنها فى براءة التوجيه : «إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى ، وساقت إلينا جنودا مجندة من «أحباب» هذه الطريقة ومريديها يجاهدون فى سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص» .

وفى ربيع سنة ١٩٣١ (أواخر ذى الحجة ١٣٤٩) قامت بعثة عسكرية فرنسية برئاسة ليوتنان كولونيل سيكونى برحلة فى منطقة الأغواط بالجزائر ، فدعاها شيخ السجادة التجانية فى ذلك الحين - وهو الشيخ سيدى محمد الكبير - لزيارة عين ماضى المركز الرئيسى لطريقتهم . قالت جريدة لابرس ليبر Lapresse libre الجزائرية فى عددها الصادر يوم السبت ١٦ مايو ١٩٣١ : «وبعد ما تفرج رجال البعثة على مدينة عين ماضى وعلى الزاوية التجانية ، ذهبوا إلى القصر العظيم الذى شيد بإيعاز من السيدة الفرنسية مدام أوريلى التجانى ، وفى ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بالأغواط ، وفى أثناء شرب الشاى قام حبيبنا حسنى

سى أحمد بن طالب فتلا باسم المرابط سيدى محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى خطبة عميقة مستوعبة لخدمات الجليلة الصالحة التى قامت بها الطائفة التجانية لفرنسا ، وفى سبيل توطيد الاستعمار الفرنسى ، وتسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين ، وفى إشارات التعقل التى كانت تسديها هذه الطريقة الصوفية لمريديها من « الأحباب » .

ولعل أهم فقرة وردت فى الخطبة قول شيخ السجادة التجانية : « حتى الأراذل والأوباش أعداء فرنسا الذين يشكرون الجميل ، ولا يعترفون لفاضل بفضل ، قد اعترفوا لفرنسا بالمدنية والاستعمار ، وبأنها حملت عنا ما كان يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة » .

وإلى القراء فقرات من خطبة المرابط سيدى محمد الكبير التجانى يومئذ :

« . . إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ، ماديا وأدبيا وسياسيا . ولهذا فانى أقول ــ لا على سبيل المنّ والافتخار ، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب ــ : إن أجدادى قد أحسنوا صنعا فى انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكريمة ديارنا .

« ففى سنة ١٨٣٨ كان جدى سيدى محمد الصغير (رئيس التجانية يومئذ) قد أظهر شجاعة نادرة فى مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائرى . ومع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا (عين ماضى) وشدّد عليها الخناق ثمانية أشهر ، فان هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين ، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين ، وذلك أن جدى أبى وامتنع أن يرى وجها لأكبر عدو لفرنسا ، فلم يقابل الأمير عبد القادر !

« وفى سنة ١٨٦٤ كان عمى سيدى أحمد (صاحب السجادة التجانية يومئذ) مهد السبيل لجنود الدوك دومال ، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة ، وعاونهم على احتلالها .

« وفى سنة ١٨٧٠ حمل سيدى أحمد هذا تشكرات الجزائريين للبقية الباقية من جنود التيرايور الذين سلموا من واقعة « ريش ــ هوفن » وواقعة « ويسانبور » . ولكى يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطا قلبيا ، فتزوج

بالآنسة أوريلي بيكار ، و بفضل هذه السيدة ـ الذى نعترف به مقرونا بالشكر ـ تطورت منطقة كوردان من أرض صحراوية إلى قصر منيف رائع ، ونظرا لمجهودات مدام أوريلي التجانى المادية والسياسية فان فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة جوقة الشرف .

« وفى سنة ١٨٨١ كان أحد مقاديمنا سى عبد القادر بن حميدة مات شهيدا (كذا) مع الكولونيل فلاتين ، حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحى الصحراوية .

« وفى سنة ١٨٩٤ طلب منا مسيو جول كومبون والى الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية ، فكتبنا عدة رسائل ، وأصدرنا عدة أوامر ، إلى أحباب طريقتنا فى بلاد الهكار (التوارق) والسودان (أى السودان الفرنسى) نخبرهم بأن حملة فودولامى الفرنسية هاجمة على بلادهم ، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة ، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد ، وعلى نشر العافية فيها ! ! . .

« وفى ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ أرسل مسيو جونار والى الجزائر العام يومئذ ضابطه المترجم مسيو مرانت مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة برسالة إلى والدى المأسوف عليه سيدى البشير ، فأقام عنده فى زاوية كوردان شهرا كاملا لأداء مهمة سياسية ، ولتحرير رسائل وأوامر أمضاها سيدى البشير والدى ، ثم أرسلت هذه الرسائل إلى كبراء مراكش وأعيانها وزعماء تلك البلاد ـ وأكثرهم تجانيون من أحباب طريقتنا ـ تبشرهم بالاستعمار الفرنسى ، وتأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة وبالاستسلام والخضوع التام ، وأن يحملوا الأمة على ذلك ، وأن يسهلوا على جيوش فرنسا احتلال تلك البلاد .

« وفى سنة ١٩١٣ إجابة لطلب الوالى العام لجزائر أرسلنا بريدا إلى المقدم الكبير للطريقة التجانية فى السنغال سيدى الحاج مالك بن عثمان ساى نأمره بأن يستعمل نفوذنا الديني الأكبر هنالك فى السودان (أى السودان الفرنسى) لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالى العام للجزء الشمالى من إفريقية الغربية (أى ليسهل عليه احتلال واحة شنقيط) .

« وفى الحرب العالمية الأولى أرسلنا ووزعنا فى جميع أقطار شمال إفريقية منشورات برقية وبريدية استنكارا لتدخل الأتراك فى الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد حلفائها الكرام ، وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يبقوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها ومودتها .

« وفى سنة ١٩١٦ – إجابة لطلب المارشال ليوتى عميد فرنسا فى مراكش – كان سيدى على صاحب السجادة قبلى ، كتب ١١٣ رسالة توصية وأرسلها إلى الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا فى تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها ، وذلك بواسطة نفوذهم الدينى .

« وفى سنة ١٩٢٥ (فى أثناء حرب الريف) أرسلت أنا حبيبنا المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسنى سى أحمد (الذى تلا هذه الخطابة على مسامع الضباط الفرنسيين بلسان سيده وعلى مسمع منه) إلى المغرب الأقصى فقام بدعاية كبرى و(بروبا) غندة واسعة فى حدود منطقة الثوار ، وتمكن من أخذ عناوين الرؤساء والكبراء والأعيان الريفيين والمقادين وأرباب النفوذ على القبائل الثائرة ، وكتبنا إليهم رسائل نأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا ، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلى مقدمنا الأكبر فى فاس فبلغها إلى المبعوثة إليهم يدا بيد . . .

« وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الدينى إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها ، وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا النبيلة » .

ثم ختم شيخ السجادة التجانية خطبته بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين ، وعلى الضباط العسكريين واحدا واحدا ، ومدح الوالى يومئذ ووصفه بأنه « المستعمر الأكبر » .

ولما انتهت اعترافات الشيخ التجانى وتبجحه بخياناته وخيانات أسلافه نهض ليوتنان كولونيل سيكونى رئيس البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثنى عليه ثم قال : « من كمال مروءتك وإحسانك يا سيدى الشيخ المرابط أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التى غمرتنى بها ، فأنت الذى أنجيتنى من التوارق الملثمين وأنقذتنى من أيديهم » .

إن القليل من هذه المخازى الكثيرة كان يكفى لانفضاض مريدى هذه الطريقة الصوفية عن طواغيتها الكبار الذين رضوا لأنفسهم بالعبودية لفرنسا من دون الله ، لو كان هناك وعى إسلامى سليم مؤسس على الإيمان الإسلامى القويم فى مدارس المسلمين ومعاهدهم ومرافقهم وصحفهم وأنديتهم ومنابر مساجدهم وفى سائر مظاهر حياتهم . ومن العجيب أن نرى المستعمرين أيقاظا للتمييز بين أعدائهم وأصدقائهم ، وأن يعرفوا كيف يسلطون المسلمين بعضهم على بعض ، بينما المسلمون لا يميزون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

ومن الإنصاف لاسم « التجانية » أن نذكر بالرحمة والثناء والتمجيد رجلا عظيما انتسب إليها ، ولكن الله طهره من رجسها ، وهذا الرجل هو الحاج عمر السنغالى ، ابن شيخ مرابط من صلحاء السنغال ولد له فى قرية الفار من مقاطعة ديمار سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م) وتربى فى حجر والده على الصلاح والاستقامة والوفاء للاسلام ، ثم قام فى شبابه بأداء فريضة الحج ، وعرج على مصر فى طريق عودته فالتحق بالجامع الأزهر ، وكان ذلك فى مدة مشيخة الشيخ محمد العروسى التى امتدت من سنة ١٢٣٣ إلى وفاته سنة ١٢٤٥ ، فخلفه الشيخ أحمد الدمهوجى سنة ١٢٤٦ فالشيخ حسن العطار الذى بقى شيخا للأزهر إلى سنة ١٢٥٠ ، فى تلك الفترة من حياة الأزهر كان الحاج عمر السنغالى يتضلع فيه من علوم الشريعة الإسلامية وآدابها وسنن الإسلام ، حتى إذا اكتفى من ذلك عاد إلى بلاده ، وظهر فى بورنو سنة ١٢٤٩ أى بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بثلاث سنوات ، وقد رسم لعمله فى الحياة خطة حكيمة أن يدعو الوثنيين من بنى جلدته إلى الإسلام ليذوقوا ما ذاق هو وقومه من حلاوة هذا الدين ، وليروا ما رأى هو ومواطنوه من جمال الإسلام . وآلى على نفسه أن لا يتعرض للاستعمار بين الأشرار إلا إذا اعترضوا دعوته ، فيدفعهم بما يندفع به شرهم عن هذه الدعوة . وكان يرى فيما تعلمه فى الأزهر أن أجمل ألوان الإسلام وأحلاها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، فكانت دعوته سلفية سليمة من الشوائب . وكان أول ميادين دعوته بلاد الهاوسة ، ثم التحق به أخوه أحمدو فانتقلا إلى بلاد فوتا والبامبارة . وفى بلد كنكان من السودان الفرنسى انضم إليه رجل من أهلها اسمه محمدو فتلقى عن الحاج عمر طرق الدعوة ، وأدخل فى الإسلام فرقة الواسواونكه . وباتساع نطاق الدعوة ظهر لها مقاومون من الوثنيين ، فحشد لهم الحاج عمر جيشا صغيرا من المؤمنين بدعوته تولى به حمايتها . وبغى عليه الفرنسيون فى بلاد غابون من الكونغو الفرنسى فأثار مسلميها عليهم ووطد فى تلك المنطقة دعائم دعوته . وفى سنة ١٢٦٣ عاد إلى نواحى فوتاجون ، وبنى قلعة حصينة فى شمال النيجر من السودان الفرنسى وهزم مقاوميه من وثنيي بارباره فى تومبا هزيمة ساحقة . وفى سنة ١٢٧٠ انتقل إلى نيورو فى شمال السنغال الأعلى واتخذها مقرا له ، ثم استولى على مملكة سيغو ، وعلى بلاد ماسينه . وما زالت دعوته فى انتشار ومملكته فى اتساع إلى أن توفى سنة ١٢٨٢ عن ٧٠ سنة من عمره المبارك وهو فى جهاده مع وثنيي ماسينه ، فخلفه على قيادة هذه الحركة النبيلة اثنان من أتباعه أحدهما ابن أخيه ، فواصلا الدعوة سنين أخرى ، ولو استمر لها

التوفيق لتحولت الوثنية الإفريقية كلها إلى الإسلام ، لكن احتلال الفرنسيين تمبوكتو في ١٠ يناير سنة ١٨٩٤ (٣ رجب سنة ١٣١١) حول مجرى التاريخ الإسلامي في إفريقية ، كما تحول قبل ذلك في أوربا يوم ٨ شعبان سنة ١١٤ بتغلب شارل مارتل على جيوش عبد الرحمن الغافقي في فرنسا (انظر مجلة الأزهر ٢٥ : ٤٥٤ و ٢٦ : ١٠٠ و ٢٢٠) .

أنا أعتقد أن المسلمين إلى خير إذا تولى قيادتهم وتوجيههم مؤمنون صادقون من أهل الخير ، وكما أن الرجل الواحد الصالح ـ كالحاج عمر السنغالي الأزهري ـ يستطيع أن يحيي بالإسلام بلادا غارقة في ظلمات الوثنية فينتشلها من أعماق الجحيم إلى جنات النعيم ، فإن التهاون في أمر دجال واحد أو معتوه تافه مثل أحمد محمد التجاني قد يؤدي إلى كارثة كبرى كالكارثة التي وقعت بها الجزائر أيام جهادها بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري ، فكان مضطرا ـ وهو يحارب جيوش الاستعمار الأجنبي بضعة عشر عاما ـ أن يحمي ظهره من خناجر الذين يخونون الله والإسلام من أصحاب السجادة الشيطانية في عين ماضي ، ومن العجيب أنهم ما زالوا مصرين على خياناتهم من أيام الاحتلال الأولى في الجزائر إلى زمن الاحتلال الآخر في المغرب الأقصى ، ثم إلى جهاد الريف بقيادة الأمير عبد الكريم ، وفي كل ملحمة وقعت بين الإسلام وأعدائه . وهؤلاء الخونة يستمدون حياتهم ووجودهم من انخداع الملايين من أتباعهم ، فهم يعتبرون ما عليه شيوخهم الخونة هو الإسلام ، بل هو منزلة أعلى من منزلة الإسلام ، ولو أن الوعي الإسلامي في الرأي العام الإسلامي كان سليما كما كان يريده النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين لانتضح الباطل تحت أضواء الحق ، ولخرس صوت الباطل إذا جلجل الحق بصوته الرهيب ، ولكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان وحزبه هي السفلى .

إن اسم « الإسلام » الذي ينتمي إليه الآن ويعتز به خمسمائة مليون مسلم في آسيا وإفريقية وغيرهما ، كان يمكن أن تتغير به معالم الإنسانية كلها من الشقاء إلى السعادة لو أن الذين يحملون أمانة هؤلاء المسلمين من علماء وأساتذة مدارس وجامعات ومؤلفين وصحفيين عرفوا قدر الأمانة التي يحملونها ، وكل واحد منهم اعتبر نفسه مسئولا شخصيا تجاه كل شخص يتصل به في معاهد التعليم أو بين جدران المساجد أو في صفحات الكتب والصحف ، فيحوله من مسلم تافه إلى مؤمن محمدي قوي له رسالة سامية في الحياة ، كما تحول أمثال الأعراب من بني أسد بن خزيمة عن أعرابيتهم البلهاء إلى أمثال أهل بدر والمجاهدين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المواقف التي انتشر بها الإسلام ، ثم تكون بها هذا العالم الإسلامي .

نريد من أهل القيادة الفكرية في الإسلام أن ينهضوا بالمسلمين من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان ، ومن الإسلام بشهادة الميلاد إلى الإيمان الذي يدفع بصاحبه إلى كتائب الجهاد الأدبي والعسكري لإعلاء كلمة الحق والخير .

الإيمان الإسلامي بضع وسبعون شعبة ، وكل فضيلة طلب الإسلام من المسلم أن يتحلى بها ، وأن يدعو الناس إليها ، هي شعبة من شعب الإيمان : فالصدق شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، والذي يعيش كاذبا يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . وإقامة الحق شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، والذي يعيش مماريا في الحق ، ومغالطا للناس فيه ، ومجاملا لأهل الباطل في باطلهم ، يعيش ما عاش كذلك كافرا بهذه الشعبة من شعب الإيمان . والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامي ، وكان ينبغي أن لا يكون في المسلمين إنسان واحد محروما من هذه الحلية الإنسانية الجميلة . وإن التعاون على الحق والخير شعبة من أعظم شعب الإيمان الإسلامي ، ولو أن المسلمين شاع بينهم خلق التعاون على كل حق وكل خير لتغير بهم مجرى التاريخ .

مهمة قادة الفكر في الإسلام هي التبشير بهذه الشعب من شعب الإيمان الإسلامي ، وأن يحرصوا على بثها في نفوس المسلمين بالحكمة والأساليب الجميلة ، وأن يبدأوا بأنفسهم فيتحلوا بها ، ليرى الناس فيهم جمالها فيكونوا قدوة فيها لأبنائهم في بيوتهم ، ولإخوانهم في مجتمعاتهم ، ولمن يحسن الظن بهم من صغير وكبير .

لا تعرف الإنسانية معنى من معاني الحق ، ولا لونا من ألوان الخير ، إلا وهو جزء من إيماننا نحن المسلمين ، لأن ديننا أمرنا بهذه الأمور الجميلة جملة أو تفصيلا ، وكل شيء أمرنا به ديننا أصبح شعبة من شعب إيماننا ، والعمل به ركن من أركان هذا الإيمان ، فلو ربينا أنفسنا وأبناءنا وعامتنا على ذلك لكنا نحن الناس ، ولما كان في أمم الأرض أمة مرموقة مغبوطة ترفل في حلل القوة العسكرية والعمرانية والخلقية والصناعية كهذه الأمة الإسلامية .

إهمال المسلمين حتى يبقوا محرومين هذه القوة جريمة سنسأل عنها غدا بين يدي الله ، وقبل أن نسأل عنها بين يدي الله سنتحمل جرائرها في مجتمعنا ومستوانا من الكرامة بين الأمم . والنهوض بالمسلمين إلى منازل الإيمان الإسلامي في أيدي قادة الفكر لو عقدوا عزائمهم عليه ، وكل واحد منهم على ثغرة من ثغر الإسلام ، فليحرص على تحصين الثغرة التي هو فيها لئلا يؤتى الإسلام من ناحيته . وبهذا نرتقي من مقام « الإسلام » إلى مقام « الإيمان » . . .

محب الدين الخطيب



— ٥١ —

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

بين الإيجـــاب والاعفاء

ا — « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
ب — لا يضركم من ضل إذا اهتديتم
ج — إلى الله مرجعكم جميعا ، فينبئكم بما كنتم تعملون »

المعروف كل ما فيه نفع ولا يخالف الدين ، والمنكر كل ما يخالف الدين ولو كانت منفعة

ويعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصلا أول من أصول التربية فى القرآن ، وهو مظهر التكافل الذى ينشده الإسلام فى أهله ، ويفرضه رسالة متبادلة بين المسلم والمسلم ، والجماعة والجماعة ، فهو منوط بالذمم كأمانة يؤديها كل إنسان إلى أخيه حينما يجد أخاه بحاجة إلى التوجيه ، ويتقبلها من أخيه حينما يكون هو بحاجة إلى التوجيه . وقد جعل الله تلك الرسالة المتبادلة شعارا للقومية الإسلامية ، فامتدح فى المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس ، إذ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولم يرض لهم أن يخلوا بالنصيحة ، كما لم يرض لهم أن يشهدوا المنكر أو يتسامعوا به ثم لا يتناهوا عنه ، كما كان ذلك نقيصة معهودة فى بنى إسرائيل ، حتى أفرخت بينهم الرذائل ، وتغلغلت فى طبائعهم المنكرات .

والآية التى معنا تتعلق بمرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية فى منهج الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وهى المرحلة التى يكون فيها الأمر والنهى غير مسموعين ، ولا نافذين إلى القلوب ، ويكون موقف الداعى إلى الخير موقف اليأس من النجح ، أو المتعرض

للأذى فى تأدية رسالته الدينية إلى قوم أو أفراد غير مستعدين للقبول ممن رانت عليهم الضلالة ، وغلبت عليهم شقوتهم ، حينذاك يكون المتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد بلغ رسالته . وأدى أمانته ، وما عليه إلا أن يأخذ بالحيطة لنفسه من نزغات الشيطان ، والركون إلى إخوان السوء ، وأن يدع المتخلفين عن إرشاده إلى ما هم عليه ، ليسلم من أذاهم ، ولا يلق بنفسه إلى التهلكة دون أن يكون فى ذلك صلاح لشأنهم ، ولا نفع يرتجى منهم .

وهذا تخفيف من الله عن كاهل الدعاة إلى جانب الله ، حيث أعفاهم من أمر أصبح شاقا عليهم ، واكتفى منهم بالحيطة لأنفسهم .

وذلك قوله سبحانه : « عليكم أنفسكم » .

وحينئذ تكون التبعة قاصرة على المذنبين ، ولا حرج على غيرهم ممن نصحوهم وعلموهم فلم يستجيبوا لهم ، وهذا مصداق قول الله تعالى : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . يعنى بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . كقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، أى لا تحمل نفس وزر نفس أخرى بل ـ كل امرئ بما كسب رهين ـ .

أما عند التقصير فى إنكار المنكر ، وتوجيه الأمر بالمعروف : فاللائمة متجهة إلى التاركين لواجبهم كما تتجه إلى المذنبين على ارتكابهم ، والجميع مهددون من جانب الله تعالى .

وهذا قوله سبحانه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

وقد وضح من المقابلة بين هذه الآيات أن الإعفاء من الرسالة المتبادلة وهى أمانة الإرشاد والنصح لا يكون إلا لمن حاول القيام بها ، وأبرأ ذمته منها ثم لم يجد سبيلا إلى غايته ، وتعرض لما يكره .

ولا يعفى من هذا من يتعلل بمعاذير شخصية غير جدية ، كمن يتوانى فى ذلك معتمدا على أن فى القوم من يغنى عنه ، أو يخشى أن يغضب أناسا يحرص على مرضاتهم ، أو يحسب فى قيامه بالواجب حيلولة بينه وبين أمل يبتغيه ، أو إبطاء له عن مطامع يرتجيها . فكل هذا فرار من واجب شرع لحماية المجتمع من أضرار العابثين بدينهم ، وبالنظام العام .

وكل هذا تمكين للفساد فى محيط يبتغى الإسلام صيانته من كل فساد بل من شوائب الفساد .

وفى الجزء الأخير من الآية تسلية للدعاة ، وتلطف بهم حتى لا تهدأ غيرتهم على الدين ، ولا تفتر عزيمتهم عن مواصلة الإرشاد والتماس الخير للناس فى كل بيئة لا يسيطر عليها الإجرام ، وفى كل مناسبة توحى بالاستجابة .

وذلك قوله تعالى : « إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فهـذا تأييد لهم بما يقومون به ، ووعد كريم بجزائهم على ما بذلوا ويبذلون من جهـود ، وفيه وعيد للتخلفين عن القبول بأن الله سيذكرهم بما ضلوا ، ويحاسبهم على كل ما كان .

ومن ثنايا الكلمات القرآنية فى هـذه الآية تستشعر القلوب والأنفس أن الاتجاه فى الحياة ليس أمرا يترك فيه الحبل على الغارب ، ويأخذ فيه كل امرئ بما يطيب له ، ويلائم مزاجه ، بل هى حياة جدية أرادها الله لعباده ، وبينها لهم فى شرائعه ، وعهد بها إلى رسـله ، والعلماء من بعدهم ، وأعد لهم حسابا عليها سيكاشفهم به يوم يلقونه وفيهم أناس صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفيهم آخرون أخلفوا الله ما وعدوه وكانوا يكذبون .

هـذا : وقد وجد فى الناس قديما من يزعم أن الآية أسقطت عنهم واجب الأمر بالمعروف ، وجعلتهم فى حل من ترك مناصحة الناس ، وقصرتهم على رعاية أنفسهم فحسب .

وقد أوضح النبى – صلى الله عليه وسلم – مقصد الآية لمن سأل عنها واشتبه عليه أمرها فقال – عليه السلام – بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام » .

فتبين لمن سأل أن الإعفاء من واجب الهدى للناس إنما يكون بعد محاولته الوفاء به ، وبعد قيام المانع فى سبيله ، وظل الأمر فى التكليف بهذا باقيا على ما نطق به الكتاب العزيز فى كثير من آياته كقوله سبحانه « وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » وقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » الآية ، وفى قول الرسول عليه السلام « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وهكذا من الأحاديث وأقوال الصحابة التى حفلت بها الكتب فى هذا الشأن الخطير على أن سيرة الرسول عليه السلام فى دعوته تذكى عزائم المسلمين فى مواصلة الإرشاد ،

والتناصح ، فقد اشتد القوم فى معارضته مرة ، وإغرائه مرة بالآمال ، حتى أقسم لهم ألا يعدل عن تبليغه رسالته ولو وضعوا الشمس والقمر فى يديه ، أو قتلوه دون غرضه فى تعميم الدعوة .

وإذا كان شأن الرسالة يقضى بذلك على نبى اختير للرسالة فقد كان الصحابة كذلك من بعده حرصا على تراثهم الإسلامى أو علما بأن دينهم يطالبهم بتوثيق الإخاء ، وتركيز المحبة ، حتى تركزت فيهم عاطفة الخير ، وآمنوا إيمانا لا وهن فيه بأن المسلم يحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . . فلا يتفق إسلام صحيح مع الأنانية أو لا يستقيم المجتمع إذا نزل كل امرئ وما يختار لنفسه من مآثم ، وتعرض بسبب انحرافه للزلات .

ومثل الأمة مثل الأسرة الواحدة : تسعد كثيرا إذا استقام أفرادها على الجادة ، وبنوا مجدهم بأعمال محمودة ، وتنهار إذا لم يكونوا مطبوعين بطابع إنسانى سليم من الآفات الهادمة لكيانها .

ولا أحسب فاهما يزعم أن رسالة المسلم إلى غيره قاصرة على جانب العمل الدينى البحت ، بل هى شاملة لكل ما يتصل بالدنيا فى أعمالها الحيوية ، فان شأن الدنيا جانب هام من الدين ، وصلاحها منوط بفهم تعاليمه ، ومتابعة إرشاده... ودنيا الإنسان يجب أن تكون غير دنيا الحيوان ، ومن أجل هذا كانت من حساب الدين فى مقام خطير .

ومن أجل هذا أيضا عرف المسلمون الأولون خطرها، وأعطوها حقها ، وبذلوا فى الهدى إلى خيرها ما بذلوا من جهود مشكورة ، حتى كانت لهم السيادة ، ونهض بهم التاريخ .

ولكن من مآسى الحياة فى عصرنا هذا أن نجد أرباب المجون ودعاة الفسوق أشجع من دعاة الهدى ، وأن نجد الرذائل مؤيدة من أنصار لها ، والخيرين من الناس لا يسلمون من ألسنة السفهاء وإن كانوا من الطغام والسفلة ، وهى سنة الله قديما بين العلماء والجهلاء وبين دعاة الرشد وأهل الغواية . « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » :

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

مكان النصح فى الاسلام

— ١ —

من حق هذه المجلة على قرائها ـ مكان جرير فى الصحابة ـ جانب من فقه البخارى ـ رفع الحرج فى الدين ـ الرجال والنساء سواء فى حق النصح ـ حق الكافر على المسلم فى النصح والدعوة .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فلقننى ـ فيما استطعت [١] ـ والنصح لكل مسلم . (رواهما الشيخان)

باسم الله تعالى وعلى بركته ، نفتتح السنة فى عامها الجديد بأحاديث النصح وبيان منزلته فى الدين ، راجين من الله جلت آلاؤه ، أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض بالتناصح والتآزر ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، كما من عليهم من قبل بجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وإذا كنا فى مقام النصح والتناصح والتعاون على البر والخير ، فإن من حق هذه المجلة ـ وكل مجلة إسلامية ـ على قرائها ، أن ينصحوا بكل ما يرونه أعون لها على تأدية مهمتها ، وبلوغ غايتها ، فى كل باب من أبوابها الحالية أو المرجوة .

• • •

(١) قال النووى : والرواية بفتح التاء ، وقال صاحب الفتح : رويناه بفتح التاء وضمها .

أقول هذا تمهيدا لما اعتزمت عليه بعون الله وتوفيقه من عرض منهاج «السنة» فى هذه المجلة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناصحين . وآمل أن يكون هذا العرض فى الجزء الآتى إن شاء الله «والله يقول الحق وهو يهدى السبيل» .

* * *

روى الشيخان هذا الحديث بروايات عدة لمناسبات مختلفة ، عن جرير رضى الله عنه .

وجرير أحد الصحابة الأجلاء ذوى التاريخ الحافل بالمناقب العلية والهمم الأبية ، وإن تأخر إسلامه – كما قيل – إلى السنة العاشرة . كان سيد قومه بجيلة ، ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الإسلام فأسلم ، وما حجبه النبى صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ، وما رآه إلا تبسم ، وشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل فضرب بيده الكريمة على صدره ، وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا ، وحج مع النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فاختاره أن يستنصت له الناس كى يخطبهم خطبته الجامعة .

وبعثه صلى الله عليه وسلم إلى ذى الخلصة ، بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم ، فهدمه . وخرج مع أنس فى سفر فكان يخدم أنسا مع أنه أكبر منه سنا ، ويقول : لما رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته . . وكان رضى الله عنه رجلا طوالا وسيما حتى قال فيه عمر رضى الله عنه : جرير يوسف هذه الأمة . ووجد عمر يوما رائحة فى مجلسه فقال عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ ، فقال جرير علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم ، قال عليكم كلكم عزمت ، ثم قال يا جرير ما زلت سيدا فى الجاهلية والإسلام .

ومن دلائل سيادته وعظيم نصحه وورعه ، أنه كان إذا اشترى شيئا أو باع يقول لصاحبه اعلم أنما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك ، فاختر . وروى الطبرانى أن غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة دينار فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال إن فرسك خير من ثلاثمائة . فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة ! !

* * *

روى مسلم هذا الحديث بروايتيه هاتين وبينهما رواية ثالثة مختصرة ، فى « كتاب الإيمان » عقب الحديث المشهور الذى رواه تميم الدارى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . وليس لتميم الدارى حديث ما فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس له فى صحيح مسلم غير هذا الحديث « الدين النصيحة » ونرجو أن نشرحه فى الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .

* * *

وأما البخارى فرواه كذلك فى « كتاب الإيمان » بالرواية الأولى ، فى باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . . . » وأتبعها فى الباب نفسه برواية ثانية تبين سببه فقال : عن زياد بن علاقة قال : سمعت جرير بن عبد الله يقول : يوم مات المغيرة ابن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ، فإنما يأتيكم الآن ، ثم قال : استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو ، ثم قال : أما بعد فإنى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط علىّ والنصح لكل مسلم ، فبايعته على هذا ، ورب هذا البيت إنى لناصح لكم ، ثم استغفر ونزل .

وكان المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة فى خلافة معاوية ، ولما حضرته الوفاة استناب عنه ابنه عروة ، وقيل : استناب جريرا ولذا خطب ، وكانت وفاة شعبة سنة خمسين ، وتوفى جرير سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين .

والمسجد الذى يشير إليه جرير فى قسمه بربه إنه لناصح لهم هو مسجد الكوفة إذ كانت خطبته به ، وقيل هو المسجد الحرام ، ويؤيده ما جاء فى رواية الطبرانى « ورب الكعبة » وأيا ما كان الأمر فقد وفى رضى الله عنه بما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فى كل شأن من شئونه عامة وخاصة ، لم يدخر فى ذلك وسعا ولم يأل جهدا .

* * *

ثم رواه البخارى فى باب البيعة على إقامة الصلاة من كتاب « مواقيت الصلاة » وفى باب البيعة على إيتاء الزكاة من « كتاب الزكاة » ورواه فى باب هل يبيع حاضر لباد؟

من « كتاب البيوع » ولفظه فيه « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم » كما رواه فى أوائل « كتاب الشروط » ثم رواه أخيرا بالرواية الثانية التى اخترناها مع الرواية الأولى ، فى باب كيف يبايع الإمام الناس من « كتاب الأحكام » .

وإنما ذكرنا مواضعه من صحيح الإمام البخارى تبيينا لجانب من فقه البخارى رحمه الله ودقيق صنعه فى تكرير الحديث الواحد فى غير موضع من كتابه ، وتحقيقا لرغبة المستزيدين من فقه الحديث وشرحه .

* * *

ولم يذكر الصوم والحج فى المبايعة وهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة ، اكتفاء بأهم الأركان ومعظمها ، على أنهما داخلان فى عموم المبايعة على السمع والطاعة .

وتقييد السمع والطاعة بالاستطاعة ، موافق لقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وتلقينه صلى الله عليه وسلم من كمال رأفته ورحمته بأمته ، لئلا يتكلفوا من الأمر ما لا يطيقون فيقعوا فى العسر والحرج « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وفى ذلك إشارة إلى رفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما أكره عليه المرء .

والمسلمة كالمسلم فى وجوب السمع والطاعة والنصح ، لأن النساء شقائق الرجال وأخواتهم فى التكليف العام ... بل إن للكافر على المسلم حق النصح والإرشاد والدعوة إلى الحق ، ولا سيما إذا رغب فى الهداية بلسان الحال أو المقال ، وإنما خص المسلم لأن حقه أوجب ، واستجابته أقرب ، وأخوته أعظم شأنا وألصق جوارا .

* * *

أما بعد ، فهذه مبايعة نبوية على الدين كله عامة ، وعلى النصيحة منه خاصة ، لأنها عماده وملاكه ... وتفصيل هذا فى الجزء الآتى إن شاء الله »

طه محمد الساكت

خوارق العادات

التى اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية

إذا أهل هلال المحرم من كل عام ذكرنا أعظم انقلاب فى تاريخ البشرية ، وأكبر حدث غير وجه الزمان ، وأخضعه للنظام بعد الفوضى والعدل بعد الظلم ، وقضى على نظام الطبقات ، وأعلن فى قوة وصرامة أن « الناس سواسية كأسنان المشط » ذلك الحدث هو هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فرارا بدينه ، وعملا على إظهاره ونشره بين قوم علم أن قلوبهم مفتحة له ونفوسهم متلهفة عليه ، نخرج من بيته مهاجرا إلى الله يدعو الناس إلى دينه ويعلمهم أحكامه وينشر بينهم الأمن والأمان والهدى والسلام ، ويخرجهم من ظلمتى الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ، فكان كما قال الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » غير أن هذه الهجرة الشريفة لم تكن هجرة عادية ، مجرد انتقال من بلد إلى بلد آخر فى هدوء وطمأنينة — لا — ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن رجلا عاديا بل كان رسولا من عند الله يدعو إلى دين جديد قوامه توحيد الله سبحانه ونبذ الأديان جميعا ما عداه ، وإخلاص العبادات له سبحانه ، فكان من أجل ذلك له أعداء يتربصون الدوائر ويعملون جاهدين على إطفاء النور الذى جاء به ، بجمعوا له الجموع وأرادوا الفتك به — لعنهم الله — ولكن الله جلت قدرته لم يكن ليدع رسوله وحبيبه إلى أعدائه وأعداء رسوله ينالون منه ما يريدون ، فأمره بالهجرة الشريفة وكان إليها مستشرفا ولها منتظرا ، وحفظه أتم حفظ وأكرمه ، وقرن هجرته الشريفة بعجائب عاجبة وخوارق خارقة وآيات بينات تدل على أنه رسول من عندالله حقا صلى الله عليه وسلم :

١ — إن الله سبحانه أخذ على أبصار أولئك الشبان الذين جمعهم الأعداء للإيقاع به ، وقتله فوقفوا أمام بابه مترصدين خروجه عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله إكراما لنبيه أعمى أبصارهم ، نخرج صلى الله عليه وسلم فلم يروه ، وألقى التراب على رءوسهم إذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم .

٢ — مر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه أول خروجهما من دار أبى بكر على اللعين أبى جهل وهو واقف فى الطريق فلم يبصرهما وعيناه مفتوحتان وبصره حديد ولكن الله سبحانه أعمى عينى أعدى أعدائه عن أحب أحبابه صلى الله عليه وسلم .

٣ — قال القاضى عياض فى الشفاء : روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش ناداه ثبير (جبل بمكة) لما صعد عليه : اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فأعذب ، فناداه حراء (جبل آخر بمكة مقابل ثبير) : إلى يا رسول الله اهـ . ولعل الله سبحانه وتعالى أنطق الجبلين بما ذكر ، أو أحدث فيهما أمرا فهم منه النبى صلى الله عليه وسلم ما قالا ، وعلى كل فوجه الإعجاز فيهما ظاهر ، وكل هذا قبل توجهه صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور : فانه هو الذى اختفى فيه عند الهجرة الشريفة .

٤ — لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر الغار أنبت الله فى الحال على بابه شجرة تسمى الىراءة (بفتح الراء المشددة والمد والهمز) وهى المشهورة بأم غيلان ، وهى شجرة تكون مثل قامة الإنسان ، ولها فروع كثيرة مدلاة ولها زهر أبيض ، وهذه معجزة من حيث نباتها فى الصخر الأصم ، ومن حيث إنها فى قليل جدا من الزمن طالت وكثرت فروعها وتدلت وأزهرت زهارتها وابيضت .

٥ — أرسل الله العنكبوت فنسجت نسيجها على باب الغار حتى عمته ، وفى حياة الحيوان : والعنكبوت دويبة تنسج فى الهواء ، فهى صغيرة ضعيفة . وباب الغار إن كان مستديرا فالظن أنه لا يقل قطره عن خمسين سنتيمترا ، وإن كان مربعا لا يقل ضلعه عن هذا العدد حتى يمكن للرجل أن يدخل منه . ومن هنا يتبين الإعجاز ، فان العنكبوت لا يمكن أن تسد مثل هذه الفتحة بنسجها فى أقل من شهر ، ولكنها صنعت ما صنعت فى وقت وجيز ، فكان ذلك خرقا للعادة واضحا .

٦ — بعث الله حمامتين وحشيتين فباضتا ـ أو باضت أنثاهما إن كانا ذكرا وأنثى فى أسفل الباب ونسج العنكبوت ـ بيضات متعددات فى لحظات ثم حضنت البيض شأن الحمام المستقر فى المكان من مدة طويلة ، ونبات الشجرة وبيض الحمام ونسج العنكبوت أبلغ فى رد الأعداء من الجنود المجندة ! فان رد الجنود بالجنود أمر اعتدنا أن نراه أو نسمع به ولكن رد الجيش بما ذكر أمر بالغ فى خرق العادة .

٧ — بعد أن مكثا فى الغار ثلاث ليال خرجا ومعهما دليلهما الذى استأجراه ليدلهما على الطريق إذ كان بها خبيرا ، وهو عبد الله بن أريقط (بصيغة التصغير) . ومن عجب أنه كان من عبدة الأوثان ، ولكن الله سخره لحبيبه وصاحبه ، وكان معهما بعد الرجل عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما أثناء الطريق ، فمروا فى طريقهم فى المكان المسمى قديدا (بصيغة التصغير) على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهى محتبية بفناء خيمتها فسألوها طعاما أو شرابا ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزناكم القرى لأنه كان من عادتها أن تسقى وتطعم من يمر بها : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاة ضعيفة هزيلة ذابلة فى كسر الخيمة ، فاستأذنها فى حلبها فأذنت ، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاءت أو جىء له بها فمسح بيده الشريفة ضرعها وظهرها وسمى الله ، وإذا بالشاة التى لا تبض بقطرة ولا ينتظر من مثلها لبن أبدا تدر درا قويا ، ويحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حلبا كثيرا جدا فيسق أم معبد والذين معه عللا بعد نهل حتى شبعوا وترك الإناء لأم معبد مليئا باللبن . ومن بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الشاة التى لمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت إلى خلافة عمر رضى الله عنه وكانت تحلب صبوحا وغبوقا وما فى الأرض لبن قليل ولا كثير .

وإنى ذاكر هنا مقالة أم معبد فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها لما عجب من وجود اللبن عندها ، ولا حلوب بالبيت ، لأنها من أعذب وأمتع المقالات فى وصفه صلى الله عليه وسلم فقالت : مر بنا رجل مبارك ، وحدثته حديثه فقال : صفيه يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة (أى الحسن والجمال) مبلج الوجه (أى مشرقه) حسن الخلق (بضم الخاء ، عرفته من حاله مع رفقته) لم تعبه ثجلة (عظم البطن) ، ولم تزر به صعلة (صغر الرأس أو نحول البدن) ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج (سواد شديد) ، وفى أشفاره عطف (طول) وفى صوته صحل (ليس حاد الصوت) أحور أكحل أزج (فى عينيه حور ، وفى أجفانهما سواد خلقة كأنه مكتحل ، دقيق طرف الحاجبين ، شديد سواد الشعر ، وفى عنقه سطع (طول) وفى لحيته كثاثة . إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات نظم طوال يتحدرن ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا (لم تلتفت إلى الرابع لأن الخادم فى العادة يكون بعيدا) له رفقاء يحفون به إذا قال

استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره ، محفود (مخدوم) محشود (عنده قوم) لا عابس ولا مفند (كثير اللوم) . فقال أبو معبد هـذا والله صاحب قريش ، والله لو رأيته لاتبعته ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلا . وفعلا هاجر ، وأسلما ، رضى الله عنهما ، بل قيل إن أم معبد كانت مسلمة قبل ذلك .

٨ — لما وقف الأعداء بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه وغاظهم الله سبحانه بإخراجه من بينهم سالما محفوظا بعد أن حثا على رءوسهم التراب جزعوا جزعا شديدا وحزنوا حزنا كبيرا وصاروا يطلبونه فى كل وجه فلم يعثروا له على أثر فجعلوا لمن يرده حيا أو ميتا مائة ناقة ، فبلغ ذلك سراقة بن مالك المدلجى فسال لعابه وتلهفت نفسه على هذا الجعل ، وظن أنه يستطيع بمفرده أن ينازل الأبطال الصناديد ، ونسى أنه صلى الله عليه وسلم كان يمشى وحده مع أعدائه لا يبالى بهم . فركب فرسه وتقلد سيفه ورمحه وذهب مسرعا فأدركهم بقديد بعد منصرفهم من عند أم معبد وخيل إليه أنه سيبلغ منهم ما أمل وما هو ببالغه . فالتفت أبو بكر فرآه فبكى وقال : يا رسول الله أتينا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، اللهم اكفناه بما شئت . فساخت قوائم فرسه فى ذلك الحجر الصلد إلى الركبتين أو إلى البطن — وهذه خارقة بلا شك — فطلب الأمان فأمنه النبى صلى الله عليه وسلم فخلصت فرسه وقال : يانبى الله مرنى بما شئت . فقال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا أى ممن كان يطلبهم ، ففعل ، فكان أول النهار جاهدا على نبى الله وآخره حارسا له بسلاحه ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، وهنا حصلت من النبى صلى الله عليه وسلم خارقة أخرى إذ أخبر بمغيب فقال لسراقة كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ، وقد حقق الله ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه إذ جىء له فى الغنائم بالسوارين والتاج والمنطقة ، فدعا عمر رضى الله عنه سراقة وقد كان أسلم فألبسه السوارين بحضور الصحابة وقال بصوت مرتفع : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابيا من بنى مدلج » .

تلك هى خوارق العادات التى اقترنت بالهجرة الشريفة النبوية ، وكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من معجزة ظاهرة وخارقة للعادة واضحة . وأعظم ذلك وأدومه القرآن الكريم ، ولولا أن الله أجرى عادته أن يؤيد رسله بالمعجزات العظيمات التى تخرس ألسنة الأعداء المعاندين لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنية عن معجزة تؤيده غير نابعة

من ذاته الشريفة ، فان له من نفسه عليهـا شواهد تدل دلالة واضحة قاطعة على صدقه صلى الله عليه وسلم فى أنه رسول من عند الله يؤدى رسالته إلى خلقه ويهديهم إلى صراط مستقيم . فقد كان صلى الله عليه وسلم طوال حياته قبل النبوة مثلا أعلى فى شرف النفس وحسن الخلق وعلو الهمة وصدق الحديث وعمل المعروف والبعد عما لا يليق والعطف على الخلق والصدع بالحق ، يأخذ بيد الضعيف ويكرم الضيف ويلاحظ الله بفطرته فيما يعمل ويذر فلا يعمل إلا الحسن ويصدف عن القبيح ، ويصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ، كما وصفته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وكان لهذا الوقت لم يعرف أنه نبى ، ووصفه أبو سفيان وهو عدوه الألد قبل أن يسلم لعظيم الروم لما سأله عنه فقال : يأمرنا بالصدق والعفاف والصلة ، يقصد أن هذه كانت خلاله قبل النبوة . هل هذا كله إلا دلائل النبوة . وبعد فلو استغنى رسول عن معجزة تؤيده لكان أولى الرسل بذلك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أشرف الخلق أجمعين وسيد الرسل الأكرمين وخاتم النبيين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ؟

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أقنعة الاستعمار

إن الاستعمار فى عصرنا الحديث لايجىء سافرا ، كاشفا عن ظفره ونابه ، وإنما هو دائما يحاول أن يضع من الأقنعة على وجهه ما يخدع به الناس عن حقيقة ما ينويه . لما جاء الاستعمار البريطانى بعد سحق انتفاضة وطنية باسلة قام بها شعبنا ، وهى ثورة عرابى ، لم يحكم البلاد صراحة بضباط الإنجليز . . . لقد كان ذلك حريا أن يضعه أمام الشعب وجها لوجه ، وكان الاستعمار يرى أن خير ما يلائم أهدافه ويحقق أغراضه أن يختفى وراء الستار ولا يقف أمامه ، وأن يدير الملهاة ـ بل المأساة ـ من خلف المسرح ولا يظهر عليه . هكذا زيف الاستعمار تاجا ، وأقام من الوهم عرشا ثم بدأ يجىء بالدمى والأصنام يضع منها فوق رءوسنا ملوكا وأمراء .

جمال عبد الناصر ـ فى خطاب افتتاح مجلس الأمة

من تاريخ الكفاح فى الجزائر :

الأمير عبد القادر

١٢٢٢ — ١٣٠١

أشهى إليه من الدمى	وألذ من عزف القيان
وقع الصوارم فى الوغى	يوم الكريهة والطعان

عبد الغنى النابلسى

عبثا تحاول فرنسا أن تثبت أقدامها فى الجزائر ، وما كان لها أن تطمع فى ذلك ، وهى تلق أشد المقاومة منذ وطئت قدمها تلك الأراضى الطاهرة ، وبعد أن عبثت بكل المقدسات ، وتنكرت لكل مبادئ الأخلاق ، وأبسط قواعد المروءة والشهامة .

وإن التاريخ ليحفظ فى طياته أروع وأجمل الصفحات عن الكفاح الجزائرى ، وحديثى فى هذا المقال عن الصفحة الأولى التى كانت ـ ولا تزال ـ فخرا لأبناء الجزائر ، بل ولأبناء الشعوب الإسلامية جميعا ، ولقد وقف كفاح الأمير عبد القادر منذ أكثر من مائة عام ، ولكن أحاديث هذا الكفاح لا تزال تملأ الأسماع ، وتعطر بطون الكتب .

وقد ولد الأمير عبد القادر فى قرية القيطنة من أعمال وهران ـ وهى قرية بوادى الحمام اختطها أحد جدوده فى رجب سنة ١٢٢٢ ، واشترك فى المعارك مع الفرنسيين وسنه أربع وعشرون سنة حين احتلت فرنسا الجزائر ، وقصة هذا الاحتلال عميقة الجذور فى التاريخ ، فقد كانت فرنسا تطمع فى هذا القطر منذ زمن بعيد ، وظلت هذه الأمنية تراودها حتى وجدت الفرصة سانحة فى سنة ١٨٣٠ م فاهتبلتها ، ومن تلك السنة

يبتدئ كفاح الشعب الجزائرى ، فينهض ليذيق المحتلين ألوانا من التعـذيب والتقتيل ، فيقض مضاجعهم وينغص عليهم ما كانوا يحلمون به من عيش هنىء ، وكان الرائد الأول فى معارك الحرية ـ تلك المعارك التى ما كانت تهدأ إلا لتثور ـ هو عبدالقادر بن محيي الدين الحسنى ، ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب وأسلافه الأدارسة الذين أسسوا دولة قوية فى المغرب الأقصى ، وكان منهم القواد ، والعلماء ، والمجاهدون ، والزهاد ، وأقرب من استشهد من جدوده هو محمد المعروف بالمجاهد ، قتل فى حرب المسلمين مع الأسبان فى سنة ١١٦٣ هـ وهو جـد والده ، وكان أبوه السيد محيي الدين ذا مكانة مرموقة فى قومـه ، يلجأون إليه حين تـكرثهم الخطوب ، وتدلهم الأحداث ، ويمحى عليهم وجـه الرأى ، وحين دخـل الفرنسيون الجزائر وعاثوا فيها فسادا ، جاءه الأشراف من كل فج ، وألحوا فى مبايعته بالإمارة على القطر فأبى ، ثم عاودوا الإلحاح عليـه ، أن يتولى الإمارة ويقوم بالجهاد ، فقبل الجهاد ، ورد الإمارة ، واشتبـكت جيوشه مع الفرنسيين فى مواقع كان النصر حليفه فيها ، ثم أصر قومه على أن يعقدوا البيعة له أو لابنه عبد القادر ، فوافقهم على الرأى الأخير .

ونستخلص مما كتب [١] عن الأمير عبد القادر أنه جمع ما تفرق من صفات أجداده فكان فارسا ، مجاهدا ، عالما ، كاتبا ، خطيبا ، زاهـدا . وقد ظهرت بوادر فروسيته فى أول حربه مع الفرنسيين تحت لواء أبيه ، فقـد أبدى من ضروب البسالة والصـدق فى القتال ، مع بصر بتسيير الأمور ، ما برهن على جـدارته بأن يكون زعيم قومه فى هذه الحقبة من التاريخ .

ولست أريد فى هـذا الحديث أن أؤرخ للأمير عبد القادر ، ولـكنى أريد أن أعطى عنه صورة مصغرة ، لعلها تذكر غافلا ، أو تنهض متقاعدا ، أو تقوى مجاهدا ، وحسب الأمير مجادة أن يحارب فرنسا وهى أكبر دولة من دول أوربا آنذاك ستة عشر عاما بجيش لم يكن يزيد عن ألفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة فى حـين أنه كان يقاوم جيشا يبلغ عدده مائة ألف وستة آلاف ما بين فارس وراكب وراجل ، ذلك الأمر الذى حير

---

[١] كتب عن الأمير عبد القادر كثيرون ومن أجمع الـكتب كتاب تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر . ألفه ابنه محمد فى جزءين . الأول فى سيرته الحربية . والثانى فى سيرته العلمية .

مؤرخي الفرنسيين أنفسهم ، وملأ نفوسهم تعجبا منه ، ولا غرو فان من كان دائما يرى المنية ولا الدنية ، ويدافع عن مجد قومه وأعراضهم ، لا يبغي إلا مرضاة الله تعالى ، حقيق بأن يثبت أمام أقوى الجيوش وأكثرها عددا . وقد شهد غير واحد من قواد الفرنسيين ومؤرخيهم وكتابهم للأمير عبد القادر . فيقول المارشال سوليت الفرنسي في سنة ١٩٤٠ م : (لا يوجد الآن أحد في العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة أشخاص ، كلهم مسلمون ، وهم الأمير عبد القادر ، ومحمد علي باشا ، والشيخ شامل) .

وقد كان الأمير حريا بأن يكون له النصر في النهاية على الأعداء ، لولا أنهم لجأوا إلى أسلحة دنيئة لا يجيدها إلا أمثالهم من أصحاب النفوس الوضيعة ، والأخلاق المريضة ، فقد عقدوا معه معاهدتين ولم يكونوا معتزمين - كعادتهم دائما - الوفاء بما فيهما ، وإنما كانوا يقصدون كسب الوقت وكذلك بثوا الدسائس بين بعض القبائل ، وهيجوها عليه ، كما ألبوا عليه سلطان المغرب ، وقد كان ألم الأمير لذلك شديدا ، ينم عنه ما جاء في استفتاءاته لعلماء مصر ، وعلماء فاس بشأن هؤلاء المسلمين الذين عظم بهم الخطب واشتد بهم الكرب ، فداخلوا العدو ، وجلبوا له المواشي وجياد الخيل ، ودلوا على عورات المسلمين ، ثم وجدوا في قومهم من يتستر عليهم ويدافع عنهم ويمالئهم .

أما سلطان المغرب فقد أضر بالمجاهدين ضررا بليغا ، ولم يلتفت - على حد قول الأمير عبد القادر - إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » ، ولا إلى قوله : « المؤمن لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ولا إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

ومن مفاخره موقفه في فتنة دمشق (١) حين أعمل المسلمون التقتيل في المسيحيين ، فدافع الأمير عن هؤلاء ، وحفظ دماءهم وأموالهم ، مما أوجب شكره من الأفراد والجماعات والدول مسلمين وغير مسلمين ، وكان يرى أن هذا العمل هو مقتضى الشريعة السنية ، والمروءة الإنسانية ، لأن البغي مذموم في كل الأمم ، مرتكبه ملوم ، ولكن .

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

---

(١) تعرف هذه الحوادث بحوادث سنة ١٨٦٠ كانت أولا في لبنان لأسباب سياسية ، ثم امتد لهيبها إلى دمشق .

هكذا يقول الأمير، ويجيء فى خطاب الشيخ شامل له شكر على هذا العمل، وذكر الحديث النبوى الكريم: «الا من ظلم معاهدا أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيبة نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»، وتشهد له الصحف الفرنسية، وترى فى خصمها القديم ــ هذا العدو المخيف للفرنسيين على حد تعبيرها ــ مخلصا لألوف من نفوس المسيحيين (أن عدونا القديم فى الجزائر قد جعله الله الآن سببا لإنقاذ المسيحيين فى الشام).

وما زال الأمير طول حياته ذاهمة عالية وصبر على الشدائد، التى لو ألمت بغيره لأذلته إذلالا، كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين، آمن بربه، وبوطنه، وبنفسه، فجاهد وناضل، وعاش عزيزا، ومات مكرما، وتوفى فى سنة ١٨٨٣ م، ودفن فى الصالحية ــ بدمشق ــ عند الشيخ محي الدين بن عربى داخل القبة ــ رحمه الله.

على العمارى
مكة المكرمة



- خير مالك ما وقاك، وشره ما وقيته.
- جزاء من يكذب أن لا يصدق.
- ظلم الضعيف أفحش الظلم.
- صبرك على الاكتساب خير من حاجتك إلى الناس.
- ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.
- صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكأ.

رســـــــالة الصحافة

تعتبر الصحافة من أخطر الوسائل فى التوجيه والتأثير ، لأنها تظهر كل يوم ، وتدخل كل بيت ، ويطبع منها عشرات الألوف من النسخ ، وهى فى الأصل سجلات يومية لوقائع الحياة وأحداث المجتمع ، ومنبر للتعبير عن الرأى العام وتوجيه أفكار الناس نحو الحق والخير ، ولو استقام أمر الصحافة ، وكان شعارها الحق والصدق والإخلاص والأمانة ومراقبة الله والضمير والخلق والمصلحة العامة ، صارت أدق مرجع للمؤرخ حين يؤرخ ، وأعمق مصدر للباحث حين يبحث .

ولشدة تأثير الصحافة سموها : « صاحبة الجلالة » ، وما زال بعضهم يسميها كذلك ، ويلقبها بذلك اللقب مع أنه قد هوت عروش وسقطت تيجان ! ! . .

والصحافة الشريفة النظيفة لا بد لها من عقيدة ومبدأ ، فهى تؤمن بتلك العقيدة وتستهديها ، وتدافع عن ذلك المبدأ وتناصره ، وتجند أقلامها ورجالها وصفحاتها وكلماتها لتمجيد ما تعتقد ، وتأييد ما ترى ، محاولة حمل غيرها على مبدئها فى غيرة وإخلاص وحكمة ، حتى يتحقق لها شرف الاعتقاد والجهاد الذى أشار إليه الشاعر حين قال :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا   إن الحياة عقيدة وجهاد !

فإن لم تكن الصحافة كذلك صارت صحافة تجارة ، أو صحافة نفاق ، أو صحافة انحلال ، أو صحافة استغلال ، أو أى شىء آخر سوى أن تكون صحافة قوية كريمة . .
ولقد وصف « شوقى » الصحافة الحرة الصادقة القويمة النزيهة بأنها :

لسان البلاد ، ونبض العباد   وكهف الحقوق ، وحرب الجنف

فهل تصدق هذه الأوصاف المجيدة — حقيقة — على كل صحافة العصر الحديث ؟ وهل الصحافة جميعها تترجم صادقة عن مشاعر الناس وعواطفهم ، وتدافع عن حقوقهم ومصالحهم ؟ . . وهل هى حقا تصلح الفاسد ، وتعدل المعوج ، وتقوم المنحرف ؟ . .

إن كثيرا من أنهار بعض الصحافة يسيطر عليها طائفة من المتحللين والملحدين والمتفسخين فى أخلاقهم وعقائدهم ، الذين يتخذون الصحافة مرتعا خصيبا وميدانا رحيبا

لبث دعواتهم الإلحادية ، وإذاعة مبادئهم التحللية ، وهم ينشرون وباءهم فى جرأة ، ويتواصون بإذاعة المنكر فى عزيمة ، ويتعاونون على الإثم والضلال فى قوة ، ويستغلون بعض الظروف ، ويتسترون وراء بعض الحواجز والأستار ، ويثنون ما يثنون بلا وازع أو رادع ، ناسين أو متناسين أن الله عز وجل وصف عباده الأخيار بأنهم : « الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » ، ومعرضين عن أمر ربهم القائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ! .

ومعاذ الله أن ننكر وجود الخير القليل وسط طوفان الشر الزاحف ، فهناك من الصحف نوع شريف عفيف ، ولكنه غريب غربة الأيتام فى دنيا اللئام ، ولقد كان هناك مثلا من يحمل شعار صحيفته هذه الكلمات :

باسم الكنانة واسم شعب ناهض	لا باسم أحزاب ولا زعماء
كل يزول وينقضى ، أما الحمى	فوديعة الآباء للأبناء

ولكن هؤلاء الشرفاء الأوفياء الأعفاء فى دنيا الطمع والنفاق والتضليل يعيشون غرباء ، ويموتون فقراء ، بينما يستطيل غيرهم من الوصوليين الأدعياء ! ! .

وأنت قد تتناول مجموعة من هذا النوع من صحف الزور والباطل ، فاذا هى ـ على الرغم من اختلاف الأسماء والعناوين والأشكال والأحجام ـ صور متشابهة ، ونسخ معادة مكررة ، حذوك النعل بالنعل ، لا تكاد تختلف فى الموضوعات ، ولا فى العبارات ، وكأن يدا واحدة قد طبعتها ثم نوعت أسماءها ، فلا تستطيع أن تميز بين واحدة منها وأخرى فى مبدأ أو اتجاه أو منهاج أو عقيدة ، بل الكل متشابه متماثل . . . وأغلب أنهار هذه الصحف المتحللة يفيض بالنفاق الرخيص ، والتضليل الرقيع ، والصور النسائية الفاحشة ، والقصص الغرامية الماجنة ، والأسرار البيتية الفاضحة ، والأخبار العائلية الجارحة ، والدعوات الإلحادية الهدامة ، إلى غير ذلك من معاول التخريب ووسائل التدمير ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ! .

وتبحث عن الهدف الأخلاقى ، أو التهذيب الاجتماعى ، أو التوجيه الروحى ، أو الحياء الدينى ، فى هذا اللون القذر من الصحافة ، فلا تكاد تجد طلبتك ، وربما وجدت فيه

كل شيء إلا الغيرة على الدين والأخـــلاق والحرمات ، أو الأمانة فى النقل والقول ، أو الصدق فى التسجيل والتاريخ .

« ترضى » هذه الفئة من أهل هذا اللون من الصحافة عن بعض الناس ، فترفعه وتـكيل له المـديح بلا حساب ، وتقلب سيئاته إلى حسنات ، وتبالغ فى وصف ما قد يكون له من حسنات ! ... « وتـكره » هذه الفئة بعض الناس فتنال منه ، وتفترى عليه ، وتشوه سيرته ، وتختلق حوله الإشاعات والأباطيل ، وتسرف فى ذلك إسرافا وبغيا ... « وترغب » هذه الفئة فاذا هى ذيول وأقـناع ، وأسارى شهوات وعبيد أطماع ، فتقلب الحق باطلا والباطل حقا ، وتتبجح فى مسخ الحقائق وتغيير الوقائع ... « وترهب » فاذا هى سباقة إلى مواقف الذلة ودركات الهوان ! ! .

وإذا صار هذا هو الديدن والمألوف فى افتراء التصوير والتسجيل ــ كما يفعل هؤلاء ــ فما أصدق كلمة من قال : إن التاريخ مجموعة من الأكاذيب ! ... وما أسرع أهل الغيرة والإنصاف إلى قولهم : إن هذا هو التاريخ فنشهد الله أننـا كافرون بهذا التاريخ ! .

ألا يذكر هؤلاء المتجاوزون على الله وعلى الحق وعلى الناس قول المنتقم الجبار : « ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم (أى يهلـكـكم ويستأصلـكم) بعذاب وقـــد خاب من افترى » . وقوله : « إن الذين يفترون على الله الـكذب لا يفلحون » ! .

لقد كتب أحد المحررين المنافقين فى صحيفته مقالا طويلا كليل الشتاء ، رفع فيه أحد الحاكمين فى بلد ما إلى السماء مدحا وإطراء وثناء ، ثم جلس المحرر عقب ذلك فى مجلسه الخاص يطعن فى ذلك الحاكم ! ... يطعنه فى رجولته ودينه وعرضه ، فتعجب من ذلك أحد سامعيه وقال للمحرر : ولـكن ، كيف يتفق هذا مع مقالك عنه ؟ . فأجاب المحرر : وماذا أصنع وهـــو حاكم يضر وينفع ، وصحيفتى يوزع منهـا فى بلد هـــذا الحـاكم آلاف النسخ .

وهكذا فليكن تدهور الأخلاق فى دنيـا النفاق ! .

وترى بعض هؤلاء المتفسخين فى دينهم وأخلاقهم يوسعون القول فى إنـكار الله ، وفى السخرية من الأديان ، وفى التهكم على علماء الدين ، وفى التندر على الدعوات الروحية ، ويدعون إلى الدعارة واستباحة الأعراض والحرمات ، وإذا اعترض عليهم أحد فى ذلك قالوا : إن هـــذا الاعتراض عدوان على حرية الرأى وحرية الفـكر وحرية النقد ، ولسنا ندرى لمـاذا تظهر جرأتهم وحريتهم فى مهاجـمة حرمات الله وحدها ؟ . ولمـاذا لا تظهر

حريتهم أو جرأتهم فى نقد العتاة الفاسقين من البشر... لماذا تكون أيها الحر المتحال جريئا وقحا فى هجومك على حرمات الله وحدها ، ولا نجد فيك هذه الجرأة أو بعضها وأنت تتحدث عمن ترهبهم أو تتملقهم من أهل الجاه والمال ؟ : « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » ! . ولماذا تكون مجنون الحرية وأنت تتحدث عن أعراض النساء والدعوة إلى الفسق والفجور ، ولا تكون حرا أو شبه حر إذا دعيت إلى الدفاع عن المهضومين أو الانتصار للمنكوبين ؟ . لماذا تكون سفيها مسرفا وأنت تتطاول على قوانين السماء وهدى الرحمن الرحيم ، ثم تكون جبانا كل الجبن وأنت تتحدث عن نظم البشر وقوانين الأرض ؟ .

ألان عينك القاصرة لا ترى أمامها لله جيوشا ولا جنودا ولا محاكم ولا سجونا « ولله جنود السموات والأرض » ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ! . . . ألأن الله الحليم لم يسارع إليك بالانتقام منك أولا بأول ؟ . . . . « سأريكم آياتى فلا تستعجلون » ، « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون » !

أما بعد فيا أبناء الإسلام . . . اتقوا الله فيما تقرأون أو تطالعون : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ، دققوا فى الصحيفة التى تشترون ، وفى المجلة التى تفضلون . . . حاربوا الصحافة الرخيصة العليلة المتردية بالإعراض عنها والاعتراض عليها ... لا تشجعوها بالإقبال عليها ودفع المال فيها ، ولا تسكتوا عن انتقادها والمقاومة لباطلها بكل أسلوب مشروع ، فإنه من أكبر الأكاذيب أن يقال عن هذه الألوان الماجنة الآثمة من صحافة الزور والباطل والافتراء إنها « صاحبة الجلالة » بل الأصح أن يقال إنها « صاحبة الضلالة » .

وإن كل مثقف له صحيفته اليومية ومجلته أو مجلاته المألوفة عنده ، ولا أقل من أن يطعم المسلم ما يقرأ ببعض ما يصدر من مجلات دينية ، وهناك عدد من هذه المجلات الدينية يستأهل التأييد والإقبال ، وهذه المجلات على الرغم من ضعف إمكانياتها ، وقلة رأس مالها ، وضيق الإقبال عليها ، وعدم التفنن الكافى فى إخراجها وتوزيعها ـ لا تزال أصواتا مذكرة بالله ، وبحقوق الله ، وبلقاء الله ، فخذوا بناصر هذه الصحافة الدينية ، وأقبلوا عليها ، واعملوا لتأييدها وتنميتها وتقويتها وإصلاحها والإكثار منها ، فإن استقامة الطريق أمامها يساعد على استقامة الطريق أمامكم ! .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

حديث عيد الأضحى المبارك

عام ١٣٧٦ هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـد : فانه يحلو لي في هذا اليوم السعيد المبارك ، أن أبعث بالتهنئة زكية طيبة ، إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأقدمها خالصة مخلصة ، لوفد الله في الأراضي المقدسة ، هؤلاء الذين أقبلوا على ربهم ، آمين رحاب بيته الكريم ، خالعين أنفسهم عن لهو الدنيا وصوارفها ، متجردين من ألوان متاعها وزخارفها ، متحلين بحلية التسامح والتواد فيما بينهم ، متحلين بمظاهر المجد والقوة في عبادتهم ، وبصدق الإخلاص في طلعتهم لربهم ، هاتفين من أعماق قلوبهم ، بالتلبية وآيات التعبد والحمد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » نشيدا روحيا يرن صداه في الأجواء ، وتخشع لجلاله الأرض والسماء .

أحيي هؤلاء الذين أفاضوا من الموقف العظيم في عرفات والمشعر الحرام ، فرحين بمـا آتاهم الله من فضله ، وبمـا أفاض عليهم من عظيم بره .

أحييهم وأهنئهم بهذا اليوم المشهود ، الذي جعله الله فرصة لتلقي نفحات جوده ، والفوز بعفوه ومغفرته ، إنه أحد العيدين الكريمين ، اللذين يعلن فيهما المسلمون ابتهاجهم بنعمة الله وتوفيقه ، لأداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، هما صوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام ، بل إن هذا العيد الأكبر هو أكرم العيدين وأعظمهما عند الله ، لمـا يحمل من ذكريات كريمة ماجدة ، تهدي إلى الخير ، وتزخر بأسباب العزة والمجد .

إن شرائع الله جميعها هي أصل كل خير وبر ، ومنبع كل هداية وصلاح ، وهي للناس جميعا ـ في حياتهم الفردية الخاصة وشؤونهم الاجتماعية العـامة ـ أقوى معين على سلوك

أقوم الطرق وأيسرها لدرك ما يتمنون من هناء وعزة فى هـذه الحياة وسعادة ورضـوان من الله فى الحياة الآخرة حياة البقاء .

ولقد جاء الإسلام بتشريعات هيأت الفرص لاجتماع المسلمين وتعارفهم وتعاونهم ، وبارك كل اجتماع يحقق هـذا المعنى ويؤكده بينهم كاجتماعات الصلوات اليومية وصلاة الجمعة والعيدين ، كما بارك كل مجلس يقصد لخير والبر ويعمل فيه على الإصلاح والتقريب بين جماعات المؤمنين .

وإن أكبر اجتماع يحظى بعظيم البركة من الله ، هو ذلك الاجتماع الذى يتخطى الحجب والسدود ، وتتلاشى فيـه الفوارق وتمحى العصبيات هو اجتماع الحج ، الذى يفـد إليه المسلمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويؤدوا شعائر الله ، ويرسموا الخطط الصالحة لتنظيم حياتهم وترقية شئونهم وإسعاد أوطانهم .

إن ذلك الموسم السنوى الجامع ، الذى يتمكن فيه المسلمون من عقد مؤتمرهم العام فى الحرم المبارك الآمن ، يجب أن يأخـذ الناس فيه من الرسول أحسن الأسوة وأعظم القدوة ، وأن ينتفعوا بمـا أثر عنه عليه الصلاة والسلام من بالغ التقوى والإرشاد .

فى مثل هـــذا اليوم من السنة العاشرة من الهجرة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس خطبته الجامعة فى حجة الوداع ، تلك الخطبة التى أكمل بها التوجيه ، وأفرغ فيها بالغ النصح ، وأوضح بها المعالم ، وأجمل فيها الأسس والمبادئ ، وثبت الأصول وأحكم القواعد ، وأرشد النـاس إلى ما يقيم لهم أمر المعاش والمعاد . ومما قاله صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة الوداع :

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالـكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألـكم عن أعمالـكم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقد تركت فيكم ما ان تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، ألا هـــل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع .

هذا هو التوجيه النبوى السديد ، الذى تتجلى به مزايا الإسلام فى حرصه على السلام

والاستمساك بأسباب القوة ، وفى تحذيره من عواقب الخلاف والفرقة ، فليعتبر به المسلمون لعلهم يرشدون .

أيها الحجاج المؤمنون ، أيها القادة أيها الزعماء المخلصون ، يامن لهم شأن أى شأن فى ولاية أمور المسلمين وتدبير صوالحهم فى أى ركن من أركان الأرض ، أسألكم أن تعاهدوا الله ـ وأنتم بمكان يجل فيه خطر المواثيق والعهود ـ أن تكونوا يدا واحدة ، وكلمة واحدة ، وأن تتصافوا وتتصالحوا وتطهروا قلوبكم مما عسى أن يكون قد مسها من آثار حقد أو ضغينة ، فان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه .

ثم لتأخذوا حذركم من عدوكم ولتحلوا مشاكلكم بأنفسكم ولا تجعلوا أمركم غمة عليكم ، وارباوا بدينكم وقوميتكم ووطنيتكم أن يستهويها أو يستذلها أهل الغدر والخداع من أعدائكم .

إن الإسلام يأبى لأهله الذلة والمهانة ، والعروبة الأصيلة لا ترضى أن تخضع لعوامل التسخير والسيطرة ، والشرق كله أدناه وأقصاه وأوسطه يكره أن يكون مستغلا أو حقلا سهلا للغرب يستنفد كل ما فيه من ثروة وذخيرة . والوعى العام الراشد لا ينبغى أن يغتر بأساليب الماكرين الغادرين .

إنه لا ينبغى أن يكون ظن العدو بكم أنه قد بلغ منكم الضعف والهوان على أنفسكم مبلغا يبيح له أن يضرب بعضكم ببعض أو أن يضرب الحصار الاقتصادى عليكم أو على شعب من شعوبكم ، فارصدوا الخطط حتى ترتد اليه فاشلة واعملوا على مكافحة مكايده كى تعود عليه خائبة خاسرة وثقوا أن النصر مع الصبر وأن الله مع الصابرين .

أيها المسلمون : يجدر بنا فى هذا اليوم المبارك أن نكثر من أعمال البر ، التى تقوى الرابطة بين المسلمين وتشيع فيهم روح المودة والأخوة ، ويجب علينا ونحن فى يوم التضحية والفداء ، أن نذكر إخوانا لنا فى فلسطين والجزائر وجنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التى منيت بألوان من البغى والعدوان ، إنهم يقاسون من أيدى المستعمرين أشد الأذى والنكال ولكنهم لا يذلون ولا يخضعون بل هم يناضلون بكل ما أوتوا من قوة وجهد لتخليص حقوقهم من أولئك الغاصبين المستبدين ، فلنمدهم بما نستطيع من عون ، ليشعروا أن لهم إخوة يحسون باحساسهم ويشاركونهم فى آلامهم وآمالهم ، فتقوى بذلك روحهم ويشتد أزرهم وتتفتح نفوسهم بالرجاء فى نصر الله القوى العزيز .

هذا وليعلم المستعمرون الباغون أن اليوم غير الأمس ، وأن المسلمين الآن فى يقظة واعية ، وإيمان بالحق قوى ، لا تزعزعه الاعتداءات الوحشية ، ولا الأحلاف العسكرية ، ولا الأموال التى ينفقونها لتفريق الصفوف ، وإضعاف الشوكة ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون .

أيها المسلمون : خذوا من تضافر أولى البغى والغدر عليكم عبرة وعظة وكونوا دائما أمامهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، سبيلكم سبيل الله الذى يحقق لكم العزة ويدرأ عنكم المهانة ويلق فى قلوب أعدائكم الرعب والفزع . وقد رفعكم الله إلى سبيل المجد وحذركم أن تسلكوا طريق العدوان بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

أسأل الله أن ينصر المجاهدين ويعز الإسلام والمسلمين ويرد كيد المبطلين وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

غارة إسرائيل على غزة

فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب افتتاح مجلس الأمة :

كنا قبل غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ نعتبر خطر إسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا ، ونعتبر أن خطر إسرائيل فى حقيقة أمره هو ضعف العرب ، فاذا استطعنا أن تبنى أمتنا الكبيرة التى نحلم ببنائها فان خطر إسرائيل يتلاشى ... ولكن دخان غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير انجلى عن كشف حقيقة خطيرة هى أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة ، وإنما إسرائيل فى حقيقة أمرها رأس الحربة للاستعمار ، ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل وأخطر من الاستعمار ، وهى الصهيونية العالمية ... كانت هذه الحقيقة التى انجلى عنها دخان الغارة على غزة نقطة تحول فى تفكيرنا ، وفى اتجاه الأحداث فى المنطقة كلها . لقد تبين أن مشكلة إسرائيل ليست مشكلة داخلية إلى الحد الذى كان يبدو قبل غارة غزة ، وتبين أننا لا نستطيع أن نمضى فى معركة البناء غافلين عن الخطر الذى يهدد ما نبنيه ، ويهدد وجودنا بأسره .

الهجرة والتضحية والفداء

الهجرة فى الإسلام من مكة إلى المدينة من الأحداث المهمة التى كانت فيصلا بين عهدين ، عهد الضعف والقلة والاضطهاد ، وعهد القوة والعزة والانتصار ؛ ولا نكاد نعلم فى التاريخ الانسانى حادثا كان مسرحا للتضحية والفداء وبيع النفس ابتغاء مرضاة الله والإستهانة بكل شيء فى الحياة فى سبيل العقيدة مثل ما عرفنا ذلك لحادث الهجرة ، فقد هاجر المسلمون رضية بذلك نفوسهم لا يلوون على شيء من ولد أو أهل أو مال أو دار وضربوا فى هذا الباب أروع مثل للتضحية والفداء .

وأول ما يطالعنا من قصة الفداء فى الهجرة ما كان من فتى الفتيان وسيد الشجعان الذى تربى فى مهد النبوة ونهل من معينها الصافى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صار فيا بعد زوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء فقد أمره رسول الله ليلة عزم على الهجرة أن ينام على سريره وأن يتسجى ببرده الحضرمى كى يكون فى ذلك تعمية على المشركين الذين وقفوا على بابه مترصدين لقتله ، فكانوا كلما ملوا من الانتظار نظروا من شقوق الباب فوجدوا النائم لايزال على السرير فيعللون أنفسهم بأنه لن يفوتهم ، وقد كان لهذه الحيلة البارعة أثرها الحسن ، فقد وقفوا طوال ليلهم يترصدون النائم أن يخرج بينا كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد خرج عليهم وقد أخذ الله بأبصارهم وختم على أسماعهم فلم يشعروا به وذهب إلى صاحبه الصديق وخرجا إلى حيث اختفيا فى الغار .

إن الإنسان ليعجب من فتى كعلى فى مقتبل الشباب يرجو العمر الطويل ويأمل الآمال الحلوة العريضة كيف يسرع إلى إجابة رسول الله وهو يعلم أنه على قيد أذرع من فتيان أشداء امتلأت قلوبهم بالحقد والضغن وأمسكت أيديهم بالسيوف المشحوذة التى فى متونها الموت المحقق . ولكن العجب سرعان ما يزول إذا ما علمنا أثر الإيمان حين يعمر القلوب فإنه يستعذب العذاب ويستهين بالبلاء فى سبيل العقيدة والمبادئ الشريفة ، وندع الفدائى الشاب ، لنرى ما صنع الفدائى الأكبر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى هذه الليلة الخالدة على الزمن .

لقد صنع عجبا ، جعل يمشي مرة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره ـ لا يستقر له حال ولا يهدأ له بال ـ فقال له الرسول : مالك يا أبا بكر ؟ فقال : أذكر الطلب فأمشي خلفك ، وأذكر الرصد فأمشي بين يديك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك ! !

ولما وصلا إلى الغار قال الصديق الصدوق : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار ، فان كان به شيء نزل بي قبلك ، فإنى إن هلكت فأنا رجل واحد من المسلمين ، وإن هلكت هلكت الأمة . ثم نزل فاستبرأ الغار فلم يجد به أذى ، ثم قال : انزل يا رسول الله . ولم يكتف الصديق بهذا بل صار يأخذ من إزاره ويسد الشقوق التي في الغار خشية أن يكون فيها شيء من هوام الأرض يؤذى رسول الله ، وبقى جحر فيضع عقبه عليه فاذا فيه حية فلدغته ، وكان رسول الله قد نام متوسدا رجل أبي بكر فمنعه مكان رسول الله منه أن يتململ حتى لا يستيقظ ، ولكن الألم برح به فتحدرت دموعه فسقطت على وجه رسول الله ، فاستيقظ فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال فداك أبي وأمي ، لدغت فتفل عليها البلسم الشافي للانسانية ، فذهب ما كان وجده من الألم باذن الله . وهكذا فليكن الإيمان والوفاء ، وهكذا فلتكن الصداقة والفداء ، وبهذا وبغيره من الفضائل استحق الصديق أن يكون أفضل الأمة بعد نبيها ، وجعل الله له لسان صدق في الأولين والآخرين .

ويسهم البيت البكرى في التضحية والفداء ، فهؤلاء أهل أبي بكر يجهزن للمهاجرين الكريمين سفرة يتزودان بها ، ولايجدن ما يربطن به الجراب فتشق بنت الصديق السيدة أسماء نطاقها شقين فتربط الجراب بأحدهما وتنتطق بالآخر ، فيسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات النطاقين ، ويبشرها بأن الله سيبدلها بنطاقها هذا نطاقين في الجنة ، ثم تسترسل في التضحية فكانت تذهب كل ليلة إلى رسول الله وأبيها وهما في الغار بما يحتاجان إليه من طعام ، وهي جارية حديثة السن . قال ابن إسحاق إمام أهل المغازى في أثناء الحديث عن الهجرة : « وكانت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه تأتيهما من الطعام إذا أمسيا بما يصلحهما » .

وهذا عبد الله ابن الصديق ـ وكان شابا ثقفا لقنا ـ يكون مع قريش بالنهار ، حتى إذا ما اختلط الظلام ذهب إلى رسول الله وأبيه بالغار فيخبرهما بما تدبره قريش وما يكتادان به ، فلله بيت الصديق فكم له من أياد بيضاء على الإسلام المسلمين .

وهذا مثل آخر رائع في مثل التضحية والفداء ، وكان بطله صهيب بن سنان الرومي .

روى البيهق بسنده عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدنى فتيان من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكيا ـ فناموا فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ما سرت يريدون ليردونى ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقى من ذهب أتخلون سبيلى وتوفون لى ؟ فقالوا : نعم . فتبعتهم إلى مكة فقلت : احفروا تحت الباب ، فاذا بها أواق من ذهب . واذهبوا إلى فلان فخذوا الحليتين ، وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ، ربح البيع » . فقلت : يا رسول الله ما سبقنى إليك ، وما أخبرك إلا جبريل . وقد أنزل الله فى صهيب ومن على شاكلته قرآنا يتلى على كر السنين . « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد » .

أيها المسلمون فى كل قطر : هذا قل من كثر مما زخرت به الهجرة من صور التضحية والفداء ، سيان فى ذلك الرجال والنساء ، وبهذا وغيره كون المسلمون أعظم أمة عرفتها الدنيا فى إيمانها وعدلها وتراحمها وتعاونها على البر والتقوى ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس .

ما أشد حاجتنا فى نهضتنا الحاضرة ووثبتنا الكبرى إلى أن نأخذ من هجرة المسلمين الأولين دروسا نستعين بها على ما نصبو إليه من عزة وقوة ووحدة كى نستعيد المجد الغابر والسلطان المضيع .

إننا فى حاضرنا اليوم أحوج ما نكون إلى البذل والتضحية والفداء فى سبيل تحقيق المثل العليا ، وبناء كيان وطننا على أساس صالح من التآخى والتكافل والتضامن ورعاية المصلحة العامة والتجرد من الأنانية وحب الذات فحسب .

لقد كانت الهجرة اختبارا قاسيا للرعيل الأول من المسلمين فنجحوا فيه أيما نجاح ، ودللوا على أنهم جديرون بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ، ونحن اليوم نتعرض بين حين وآخر لضروب من الاختبارات القاسية فى ديننا ودنيانا ، فإن نحن صمدنا فى سبيل الحق كما صمد هؤلاء السادة الأوائل كان لنا الغلب والنصر فى النهاية ، واستخلفنا الله فى الأرض كما استخلف هؤلاء ، ومكن لنا ديننا الذى ارتضاه لنا كما مكن لهم . وإلا فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، وما ذلك على الله بعزيز .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

من نوادر المخطوطات :

اعلام الساجد، بأحكام المساجد

كتاب [جليل القدر ، نادر الموضوع] . وضعه مؤلفه العلامة الزركشي في أحكام المساجد، وجمع فيه كل ما يتعلق بهذا الموضوع، واستقصى في ذلك، حتى لنكاد نجزم بأنه لم يشذ عنه حكم يتعلق بالمساجد من قريب أو بعيد . وقد أفرد كلا من المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، بباب خاص ، ثم جمع الحديث عن غيرها من المساجد في باب واحد [وهو حقيق] بقول مؤلفه : هذا كتاب ينزل من القلوب منزلة الجنان ، ومن العيون منزلة الإنسان ، لم ينسج له على منوال ، ولم تسمح له قريحة بمثال ، يشتمل على الأحكام المختصة بالمسجد الحرام ، ومسجد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى وغيرها من مساجد الإسلام ، قد أتى في هذا الباب بالعجب ، وحاز قصب السبق ما كتب الطرب (كذا) ، وصار لقصاد الحرم ميقاتا ، ولورود حياض الفضل ماء فراتا .

وقد أغفله المترجمون للزركشي فلم يذكروه ضمن مؤلفاته ، ولعل ذلك لعدم تداوله وربما كانت النسخة التي بين أيدينا هي النسخة الفريدة للكتاب ، وقد ذكر صاحب كشف الظنون اسمه فقط ، ولم يذكر نبذة عنه كما يفعل في غيره من الكتب مما يدل على عدم اطلاعه عليه .

وقد حصر المصنف كتابه في فاتحة وأربعة أبواب ، وتكلم في الفاتحة عن تعريف المسجد لغة وشرعا ، وأول مسجد وضع في الأرض ، وعن فضل بناء المساجد .

وتكلم في الباب الأول عن المسجد الحرام وما يتعلق به ، وعن مساحته وبنائه ، وعن الكعبة كذلك من هاتين الناحيتين ، وعما تعرضت له من الحوادث ، وعن كيفية الصلاة في المسجد الحرام والكعبة ، وفضل الصلاة فيهما . ثم استطرد إلى الكلام عن مكة وعن بعض المشاعر كمنى وعرفات ، وعن حدود الحجاز وجزيرة العرب وغير ذلك ، وجعل ذلك في مسائل عدتها ١٢٤ مسألة .

وتكلم ـ فى الباب الثانى عن المسجد النبوى وكيفية بنائه ومساحته ، وعن المدينة وحدودها وأسمائها وهل هى حجازية أو شامية ، ويستطرد فى الكلام لأدنى مناسبة على الطريقة الجاحظية ، فقد ذكر عند الكلام على المدينة ما جاء من الأحكام فى عالم المدينة وهو الإمام مالك رضى الله عنه ، وذكر جملة من خصائصها وأحكامها كتحريم صيدها وشجرها ، وفضل الصلاة فيها وفى مسجدها واختصاص أهلها بمزيد الشفاعة وأن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم كما روى عن مالك، وجملة عدة مسائل هذا الباب أربعين مسألة .

وتكلم ـ فى الباب الثالث عن المسجد الأقصى وذكر أسماءه وهى سبعة عشر اسما ، كما تكلم عن بنائه وفضله وعدد جملة من أحكامه فى مسائل بلغت عشرين مسألة .

وتكلم فى الباب الرابع عما يتعلق بالمساجد جملة من الأحكام مما يتعلق باحترامها وتنظيفها واتخاذ الشرفات فيها والبناء عليها وزخرفتها وتبخيرها وفرشها وتعليق القناديل فيها وغلقها فى أوقات الصلاة ، وعن حكم صلاة المرأة فى المساجد ، واستطرد فى هذا الباب كما استطرد فى غيره فذكر فيه ما يتعلق بالأذان وألفاظه وهيئة لباس الخطيب وجواز تعليم الصبيان فيه إلى غير ذلك ، وعدة مسائل هذا الباب ١٣٧ مسألة .

وبالجملة فان هذا الكتاب لم يفلت منه فيما نظن شىء من أحكام المساجد ، فهو فريد فى بابه ، والنسخة التى نتحدث عنها هى من كتب رواق الحنفية التى ضمت إلى المكتبة الأزهرية حديثا ، وهى من أقدم النسخ إن لم تكن أقدمها ، وربما كانت النسخة الوحيدة له ، فقد ذكر ناسخها أنه قد نقلها من نسخة سقيمة جدا « وقد بيض المصنف من نسخته مواضع » والظاهر أنه نقلها من مسودة المؤلف وهى قديمة جدا ، فقد كان نسخها سنة ٨٤٥ هـ أى بعد وفاة المصنف بنحو ٥٠ سنة على ما يأتى فى ترجمته .

وقد جاء فى آخرها : « آخر كتاب إعلام الساجد ، بأحكام المساجد ، تصنيف الشيخ بدر الدين الزركشى ، علقه لنفسه على استعجال لأمر اقتضاه الحال فى آخر المحرم سنة ٨٤٥ هـ محمد بن محمد بن عبد الله الشافعى غفر الله ذنوبه » ، وخط النسخة جيد بالنسبة لخطوط ذلك الوقت وورقها جيد كذلك ، وهى سليمة من النقص والطمس والتحريف وعدد أوراقها ١٠٨ ورقة وعدد سطور كل صفحة ٢٣ سطرا ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر

١٤ كلمة ، وعليها تمليكان أحدهما فى سنة ١٠٨٤ هـ والثانى سنة ١١٠٣ ، والظاهر أنها لم تتداول كثيرا ، فليس عليها تعليقات أو تصحيحات كما يحصل عادة فى الكتب التى يكثر تداولها ، ومؤلفها هو : بدر الدين أبو عبد الله محمد بهادر بن عبد الله الزركشى المنهاجى المصرى كان أبوه تركيا مملوكا ، وتعلم المترجم له صنعة الزركشة فنسب إليها ، وقد عنى بالعلم فأخذ عن الشيخين جمال الدين الأسنوى ، وسراج الدين البلقينى ، ورحل إلى حلب ودمشق وأخذ عن علمائهما ومنهم الحافظ ابن كثير .

وقد تبحر فى العلوم وصار يشار إليه فى الفقه والأدب والحديث ودرس وأفتى ، وكان زاهدا منقطعا للعلم ، وله من أقاربه ما يكفيه مئونة العيش ، ومن تصانيفه البحر المحيط فى الأصول فى ثلاثة أجزاء ، وهو مخطوط ، وتشنيف المسامع لجمع الجوامع فى الأصول أيضا ، وهو مطبوع ، ولقطة العجلان فى الفقه والحكمة والمنطق وهو مطبوع ، والديباج فى توضيح المنهاج ، والمنثور المعروف بقواعد الزركشى وهما مخطوطان .

وله هذا المؤلف الذى نتحدث عنه : إعلام الساجد فى أحكام المساجد ، ولم يذكره المؤرخون ، ولعل ذلك لقلة تداوله كما أسلفنا ، وقد ولد الزركشى سنة ٧٤٥ هـ ، وتوفى سنة ٧٩٤ ودفن بالقرافة الصغرى ما

أبو الوفا المراغى

سياسة الاستعمار

أرادوا مرة امتحان السياسيين فى بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا السؤال :

سرقت حقوق أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .

مصطفى صادق الرافعى

بحث للدرس والتمحيص :

نظرة فقهية

> فى قانون معاشات الموظفين وحكم صندوق التوفير بالبريد ، وكل معاملة تكون الحكومة فيها طرفا أول والجمهور طرفا ثانيا .

يظن كثير من الناس أن كل معاملة فيها شيء اسمه فوائد وأنه بنسبة كذا فى المائة أنه معاملة ربوية أو شبه ربوية لأن فيها عوضا فى غير مقابل ، أو لأنها ليس فيها تكافؤ فى العوض . وعلى هذا الظن أحجم ناس ورعا عن قبول المعاملة بقانون المعاشات فى وظائف الحكومة ، وقبله ناس على مضض منهم ، وآخرون قبلوا غير مبالين إن كان ربويا أو غير ربوى فوقعوا فى ذنب الاستهتار وعدم المبالاة فى المعاملة .

كذلك امتنع خلق عديد عن وضع توفيرهم وأموالهم بصندوق البريد بحجة أن المصلحة تعاملهم بفوائد نسبية تعطيها لهم فى مقابلة إيداعهم تلك الأموال فيها بنسبة ٢٫٥ فى ٪ ، وآخرون يتحرون إيداعها بصفة أمانة لا شيء من الفوائد فيها .

وحتى أسهم المشروعات التى تصدرها الحكومة وتقول إنها تصرف كل سنة لأصحابها كذا فى المائة أرباحا وفوائد لأصحاب هذه الأسهم ، رأيت بعض الشيوخ يفتى الناس بأنها حرام وأنها ربا ، وهذا بمجرد أن يسمع كلمة « فوائد » . فلننظر فى هذه المعاملات هل هى معاملات ربوية بين الجمهور وبين الحكومة فى أسهم هذه الشركات ومعاشات الموظفين وفوائد صندوق التوفير ؟ أم أنها معاملات خالية من الربا المعروف شرعا ؟

ولننظر أولا فيم يكون الربا المنهى شرعا ؟

يكون الربا فى البيوع والمبادلات ، ويكون فيما تقرر فى الذمة كأن يقترض مائة جنيه ليدفعها ١٠٥ جنيه .

ومعاملة الحكومة لموظفيها والجمهور فى مسألة صندوق التوفير والمساهمين فى مشروعاتها ولموظفيها ، كل هذا من نوع المعاملة التى فى الذمة ، ومثل الحكومة فى ذلك كمثل كل هيئة تعامل آخرين مع فرق فى بعض الوجوه ، إذا الربا الذى يأتى فى البيوع بالتفاضل أو النسيئة لا حاجة إليه هنا فليست هذه المعاملات من قبيله .

ولنبدأ بالكلام على معاشات الموظفين هل فيها ربا أو شبهة ربا ؟ أم هى خالية من ذلك ؟ والمعترضون على السادة العلماء الموظفين لدى الحكومة فى تعاملهم بقانون المعاشات لا حق لهم فى اعتراضهم إطلاقا .

ولنقرر شبهة هؤلاء المعترضين أولا الظانين أن المعاملة بقانون المعاشات فيها ربا قطعا على حسب ظنهم ، لأن الحكومة تستقطع من الموظف ٥ ٪ مثلا من مرتبه ثم تعطيه معاشا لنفسه فى حياته ومعاشا لأولاده وزوجته بعده إن كان له أولاد أو زوجة ، وقالوا : ما تأخذه منه الحكومة فى خصم الـ ٥ ٪ فيه تفاوت بينه وبين ما تعطيه فتارة يطول عمر الموظف بعد إحالته إلى المعاش ، فيأخذ أضعاف ما استقطع منه ، وقد يكون له بعد ذلك زوجة أو زوجات وأطفال يأخذون معاشاتهم بحسب حكم القانون ، وخاصة القول بأن الحكومة ترث المتوفى مع ورثته فى اقتسام ما كان يأخذه أو يستحقه من المعاش ، وتارة يموت الموظف ولا ورثة له فيكون كل ما استقطع منه ذهب إلى الحكومة بدون عوض ، وكان الموظفون الذين لا خائف لهم يتحرون أن لا يعاملوا بقانون المعاش ، لذلك لأن ما يخصم منهم لا يرد عليهم . فيرى هؤلاء المعترضون أن هذه معاملة بين اثنين فيها غرر أو فيها ربا صريح لأخذ أحد الطرفين من الآخر زيادة عما استحقه بغير عوض مقابل ، وكأن الحكومة مثلا أخذت ممن لم ينتفع بكل ما خصم منه مدة الخدمة وأعطتها من انتفع بأكثر مما خصم منه ، وهذه شبهة يتحدث بها كثير من المتورعين ويعترضون بها على الموظفين وخاصة من كانوا من العلماء وعلى الحكومة معا . والجواب أن ذلك ناشئ عن عدم تحرير الموضوع وعدم فهم حقيقة هذه المعاملة بين طرفيها .

وذلك أن الحكومة فى هذا كله طرف أول وكل موظف طرف ثان يتعامل مع الحكومة على أساس قوانينها فى أجور ومرتبات الحكومة للموظفين وفيما تعاملهم به فى حالة المعاش والتقاعد وتعامل به أسرهم ، فليست الحقيقة أن الموظف بمائة جنيه مثلا فى الشهر أنه استحق جميع هذا القدر وأن الحكومة أخذت منه هذا الاستقطاع دينا

عليها ثم ردته إليه فى المعاش بأقل أو بأكثر حتى يأتى التفاوت بين ما أخذ منه وما أعطى له ويقع الغرر وتقع شبهة الربا كما يتخيله المتورعون لأول وهلة .

بل إن الموظف دخل مع الحكومة على أن يخدمها بأجور هى كذا بحسب قانون المستخدمين (الكادر) ويأخذ فى المعاش كذا إن عاش بعد الخدمة أو يأخذ ورثته كذا بحسب قانون المعاشات .

فلم تكن هناك معاملة فى الذمة استقر بها حق للموظف بالاستقطاع منه أثناء الخدمة ثم يرد له فى المعاش حتى يقال إن هـذا الذى تقرر له فى ذمة الحكومة أخذه كاملا أو ناقصا أو يقال إن الحكومة أخذت من بعض الموظفين وأعطت الآخرين ، كل هذا غير صحيح ، وإذا لم يكن هناك حقوق تقررت فى الذمة بين الطرفين فليس هناك ربا من هـذا النوع . فليطمئن العلماء والمتورعون لمعاملاتهم المالية ومرتباتهم الشهرية ، ومعاشاتهم أنها خالصة من الربا والغرر وشبهة الربا والغرر ما دامت للحكومة قوانين يدخل الموظف مع الحكومة على أساسها ؛ وحينا يختلف معها تفصل فيه المحاكم المدنية كما تفصل فى كل الحقوق .

وفى مقال تال نتكلم على صندوق التوفير وما فيه من الحكم الشرعى الذى ينطبق عليه إن شاء الله .

محمد عبد السلام القبانى

حياء المعتذر

سأل رجل ابن العلاء حاجة ، فوعده بها ، ثم تعذرت عليه . فلقيه الرجل وقال له : وعدتنى وعدا فلم تنجزه !

فقال ابن العلاء : فمن أولى بالغم ، أنا أو أنت ؟ قال له الرجل : أنا .

فقال ابن العلاء : بل أنا أولى بالغم ، لأنى وعدتك ، فبت أنت بفرح الوعد ، وبت أنا بهم الإنجاز . ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتنى مدلا ، ولقيتك محتشما ، فصرت أولى منك بالغم .

دعوة الاســـــلام
ومنهجها فى الاصلاح

تمهيد وتقديم :

« الفطرة الإنسانية وصلتها بالدين والتدين »

قضت إرادة الله ومشيئته ، أن يجعل خليفة فى الأرض ، يكون مظهرا لأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، يقيم به سننه فى خلقه ، ويظهر به بديع صنعه فى ملكوته ، ويجلى به بالغ حكمته فى فعله وحكمه ، ويستودعه أمانة التكليف والابتلاء ، ويجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، ذلكم الخليفة هو آدم أبو البشر ، الذى اختاره الله لهذه الخلافة الأرضية ، ومهد بهـا من بعده إلى أبنائه وذريته ، وقد قرر القرآن هـذه الحقائق التى أشرنا اليها ، كقوله جل جلاله فى سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون . ـ ٣٠ » وفى سورة الأنعـام « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إن ربك سريع العقـاب وإنه لغفور رحيم . ـ ١٦٥ » وفى سورة الكهف « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لهـا لنبلوهم أيهم أحسن عملا . ـ ٧ » وفى سورة الذاريات « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ـ ٥٦ » وفى سورة النجم « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . ـ : ٣٩ ـ ٤١ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تبين لنـا فى وضوح وجلاء ، الحكمة التى من أجلها خلق الله الإنسان ، وجعل له فى الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين » .

ولهذا قضت حكمة الله البالغة ، وإرادته النافذة ، أن يكون الإنسان فى تكوينه وفطرته ، متمشيا مع مقتضيات هـذه الخلافة وحكمتها ، فلم يجعله سبحانه ماديا محضا ، ولا روحانيا بحتا ، بل جعله وسطا بين المـادية الحيوانيـة المحضة ، والروحانية الملكية البحتة ، فمنحه من كل منهما حظا ونصيبا ، وأقام نظام حياته فى الدنيا ، على قوانين

الإرادة والاختيار ، وأصول الفكر والنظر ، لا على نواميس القسر والإلجاء ، ودوافع الإلهام والإيحاء ، وهيأ له من السنن الكونية والمواهب الفطرية ، ما جعله مستعدا لهذه الخلافة التي اختير لها ومتمكنا من الوصول إلى الغاية التي خلق لأجلها .

ويتجلى هذا الإعداد الإلهي ، في مظاهر المواهب الإلهية الآتية :

الموهبة الأولى : أن الله جلت قدرته وعظمت نعمته ، سخر للانسان ما في الكون من عوالم الأرض والسموات ، كما قال جل جلاله في سورة لقمان ، « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ٣١ : ٢٠ » وفي سورة الجاثية « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ٤٥ : ١٣ » فهذه العوالم الكونية التي نراها والتي لا نراها ، خلقت مسخرة للانسان بنواميسها وأسرارها ، وخلق الإنسان مستعدا لتسخيرها والانتفاع بها ، بما منحه الله من مواهب العقل والفكر ، وملكات البحث والنظر ، وطرائق الهداية والرشد ، وها هو اليوم قد عرف من أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، ما جعله يجوب الآفاق ، ويحلق في الجواء ، ويسبح في أعماق المحيطات ، ويتخذ من موات الأرض مدائن وأمصارا ، ومن قفارها حدائق وزروعا ، ولا ندري ما الله فاعل به غدا ، وتبارك الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (١) .

الموهبة الثانية : أنه تعالى أودع في فطرته من الحواس والغرائز ، ما جعله مستعدا لأن يحيا حياة طيبة كريمة ، في مجتمع طيب كريم ، إذا هو استعمل هذه المواهب في المقاصد التي خلقت لأجلها ، واتجه بها إلى مواطن الخير والكمال ، وسلك في الانتفاع بها مسالك الحكمة والاعتدال ، وجعله مستعدا مع ذلك ، لأن يعيش في ظلمة الخطيئة والإثم ، وجحيم الشقاء والبؤس ، إذا هو استعملها في غير ما خلقت لأجله ، وسلك بها مسالك الشر والفساد ، وأطلق لنفسه عنان الأهواء والشهوات وانتكها من قوانين الفضائل والكمالات ، فالإنسان بطبيعته وفطرته ، مستعد للخير والشر على السواء ، ليتحقق بذلك مناط التكليف والابتلاء ، وأهلية المسئولية والجزاء ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل في سورة الإنسان : « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، ٧٦ : ٣ »

---

(١) هذه الفقرة مقتبسة من آية ٥٠ من سورة طه .

وفى سورة الشمس « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ، ٩١ : ٧ ـ ١٠ » وفى ذلك يقول على كرم الله وجهه ، فيما يروى عنه :

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذى بأحرفه يظهر المضمر

الموهبة الثالثة : أنه تعالى منحه عقلا نورانيا ، يتدبر به عواقب مايأتى وما يدع ، ويزن به مدارك الحواس ومطالب الغرائز ، ويميز به بين الحق والباطل ، ويتعرف به مواطن الخير والشر ، ويستظهر به مواقع الصواب والخطأ ، ويهتدى به إلى معالم السير على الصراط المستقيم ، ويفتح أمامه أبواب الفكر وطرائق النظر ، فيما يحيط به من عوالم الأرض والسموات ، وبهذه المنحة الإلهية والموهبة الربانية ، استطاع الإنسان فى أطواره المختلفة ، أن يسبح بعقله فى بيداء هـذا الوجود ، وأن يطالع بفكره أسرار ما يحيط به من الكائنات ، وأن يتخذ له من عوالم الكون وظواهره ، مرشدا يسترشد به فى حياته ، ورائدا يهتدى به فى تنظيم شئونه ومعاشه ، ومعينا يستعين به فى جهاده وكفاحه ، وهو فى ذلك بين علو وهبوط ، ونهوض وسقوط ، تارة تتجلى له الحقائق ، وتارة تلتبس عليه الطرائق ، ومرة يدفعه الرجاء والأمل ، ومرة يقعده الإخفاق والفشل ، وطورا تسعفه الأقدار المواتية ، وطورا تعوقه العوائق القاهرة ، وهكذا كتب الله عليه فى أم الكتاب ، أن تكون حياته حياة كفاح وصراع ، يصارع الأحداث وهى تصارعه ، فأحيانا يصرعها وأحيانا تصرعه ، كان ذلك فى قضاء الله قدرا مقدورا ، وسيبقى كذلك حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

الموهبة الرابعة : أنه تعالى أودع فى فطرته وطبيعته ، شعورا وجـدانيا بقوة غيبية قاهرة ، خلقت هذه العوالم الكونية على اختلاف أنواعها ومظاهرها ، ووضعت لها هذا النظام البديع المحكم ، ويسرت لها وسائل الحياة والبقاء ، ويتجلى هذا الشعور الفطرى فيه بأجلى مظـاهره ، فى مواقف الشدائد التى لا يستطيع لها دفعا ، عند ما يجد نفسه متجها بأحاسيسه ومشاعره ، إلى صاحب هذه القوة الغيبية القاهرة ، يطلب منه الهداية فيما لا يهتدى إليه عقله وفكره ، ويستمد منه المعونة فيما تعجز عنه حيلته وقدرته ، كما

يشير إلى ذلك قول الله عز وجل فى سورة فصلت : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، ٤١ : ٥١ » وفى سورة النحل : « وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، ١٦ : ٥٣ » وفى سورة الروم : « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ، ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ، ٣٠ : ٣٣ » . فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تدل دلالة لا لبس فيها ولا خفاء ، على أن الشعور بالقوة الغيبية القاهرة ، غريزة كامنة فى أعماق النفوس ، وطبيعة منبثة فى حنايا الضلوع ، وأن الناس وإن ضلوا عن طريق الحق ، واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، إلا أنهم إذا أحاطت بهم الشدائد ، وتقطعت بهم الأسباب ، وضاقت عليه مسالك النجاة ، فإنهم يلجأون بفطرهم ووجداناتهم ، ويتجهون بأحاسيسهم ومشاعرهم ، ويجأرون بالدعاء والاستغاثة ، إلى الله ذى القوة القاهرة ، لا إلى آلهتهم ومعبوداتهم .

ومن هنا يتبين لنا فى وضوح وجلاء ، أن الاعتراف بخالق الكون أمر مركوز فى الفطرة ، مهما ضلت العقول والبصائر ، وغلبت الأهواء والشهوات ، ومما يزيد هذه الحقيقة وضوحا وجلاء ، أن المشركين وهم عبدة الأصنام والأوثان ، كانوا يعترفون لله بالخالقية مع شركهم فى العبودية كما قال تعالى فى سورة الزخرف : « ولئن سألتهم من خلقهم ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ، ٤٣ : ٨٧ » . أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ، وفى سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ٢٩ : ٦١ » . وكانوا يقولون فى شأن أوليائهم ومعبوداتهم ، ما حكاه القرآن عنهم فى سورة الزمر : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، ٣٩ : ٣ » .

وهذا الشعور الغريزى الذى تحدثنا عنه ، هو الدين الفطرى الذى قامت عليه تعاليم الدين التشريعى ، الذى بعث الله به النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الموهبة الخامسة : أنه تعالى أودع فى فطرته وطبيعته ، إحساسا وجدانيا بالنقص والكمال ، والفجور والتقوى ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل فى سورة الشمس : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، ٩١ : ٧ – ٨ » .

وبهذه الموهبة الفطرية الإلهية ، قام للإنسان بجانب هداية العقل والحواس ، رقيب

لا يغفل عن مراقبته ، وحسيب لا يهمل فى محاسبته ، يراقبه فى سره وجهره ، وفى همه وعزمه ، فان وجد فيما هم به صلاحا وخيرا ، حبب إليه المضى فى إمضائه وإنفاذه ، وإن وجد فيه فسادا وشرا ، كره إليه الإقدام على فعله ، وبالغ فى تحذيره من سوء عاقبته ، ثم هو مع ذلك يحاسبه على كوامن أسراره وظواهر أعماله ، فان رأى فى سلوكه استقامة على الطريقة المثلى ، تمثل فى سلامة الصدر من الأحقاد والأضغان ، وعفة اللسان عن الفحش والسباب ، والسمو بالأدب النفسى عن مفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، والترفع بالأقوال والأعمال عن مظاهر الرياء والنفاق ، والإحسان فى المعاملة والمعاشرة والجوار ، والحرص على أداء الواجبات والحقوق ، والوفاء بالتزامات العقود والعهود ، نفث فى روعه وحيا خفيا ، يملأ جوانب نفسه بالراحة والطمأنينة ، ويفتح له آفاق الحياة الطيبة الكريمة ، وإن رأى فى سلوكه انحرافا عن الطريق المستقيم ، تمثل مظاهره فى انطواء القلب على الحقد والحسد ، وخبث الطوية وسوء النية ، والتواء اللسان فى القول والمنطق ، وولعه بنهش الأعراض وخدش الكرامات ، وإفساد روابط الجوار والصلات ، والتحلل من قوانين الأخلاق والفضائل ، والغش فى التعاقد والتعامل ، والتدليس فى الدين والتدين ، والنفاق فى القول والعمل ، والتفريط فى الحقوق والواجبات ، والميل مع الأهواء والشهوات ، أنحى عليه باللائمة ، وصب عليه جام غضبه ، وقسا عليه فى التقريع والتأنيب ، ونغص عليه العيش وكدر صفو الحياة ، وجعل الدنيا فى وجهه أضيق من سم الخياط ، لأنه أطاع الهوى والشيطان ، وخالف وحى الفطرة والوجدان .

فهل شاقك أيها القارئ الكريم ، أن تعرف هذا الرقيب العتيد والناقد البصير ؟ إنه هو السر الإلهى الذى تعارف الناس على تسميته بالضمير .

بيد أن هذا الضمير وإن كان غريزة فى أصل الفطرة الإنسانية ، إلا أنه يختلف فى الأفراد والجماعات قوة وضعفا ، تبعا لاختلاف ما يعرض له من العوامل التى تنميه أو تضعفه ، فقد يعرض له من صلاح البيئة وكمال التربية ، ما يبلغ به من القوة والسيطرة على صاحبه إلى حد التحرج من الإقدام على أى قول أو عمل ، يكون فيه خدش للكرامة والشرف ، أو انتقاص للعزة النفسية والخلق الكريم ، فاذا ما زلت بصاحبه القدم ، أو نبا به اللسان ، أخذ منه الندم كل مأخذ ، وذهبت به الملامة كل مذهب ،

وأولئك هم أصحاب الضمائر الحية ، الذين بهم تستقيم الأمور ، وبهم تجتمع القلوب على الألفة والمحبة ، وبهم تسعد الشعوب وتسود الأمم ، وقد يعرض له من فساد البيئة وسوء التربية ، ما يبلغ به من الضعف وفقدان السيطرة على صاحبه ، إلى حد عدم الإحساس بالعزة والكرامة ، والقيم الخلقية والآداب النفسية ، فلا يتأثم صاحبه من ارتكاب المآثم والجرائم ، والخروج على قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ولا يرى فى ذلك سقوطاً يوجب له المهانة والاحتقار ، ويسجل عليه العار والشنار ، وأولئك هم الذين ماتت ضمائرهم ، وفسدت فطرهم ، وذهبت أصول الخير من نفوسهم ، وأولئك هم آفة المجتمع فى كل زمان ومكان .

هذه هي أصول المقومات التى قامت عليها فطرة الإنسان ، والتى جعلته مستعداً لخلافة الأرض وعمارتها ، وبهذه الفطرة الجامعة بين الروح وأسرارها ، والمادة وخواصها ولوازمها ، اشتملت طبيعة الإنسان على عنصرين متباينين فى الماهية والخواص : أحدهما عنصر مادى ، يخضع لقوانين المادة وخواصها ، وثانيهما عنصر روحى ، يسمو بروحانيته فوق قوانين المادة ونواميسها ، ومن هنا نشأت معركة الصراع بين الروح والمادة ، وتجلت مشاهدها فى سير الإنسان وسلوكه ، فقد قامت بين العنصرين حرب لا تضع أوزارها ، وملحمة لا ينتهى صراعها ، كل يريد أن يجتذب الإنسان فى حياته وسلوكه ، إلى مقتضياته ومطالبه ، فالعنصر المادى يريد أن ينزل به إلى حضيض المادية ونقائصها ، والعنصر الروحى ، يريد أن يرتفع به إلى أفق الروحانية وكمالاتها ، غير أن الله جلت قدرته وعظمت حكمته ، لم يتركه أمام هذا الصراع العنيف بدون مدد غيبى ، به يكون انتصار أحد العنصرين على الآخر ، بل فتح له باب الإمداد الغيبى الإلهى ، وأجراه على سنة حكيمة عادلة ، تقوم على مقتضى توجيه الإنسان لميوله وغرائزه وهذه السنة الإلهية هى أن « الإمداد على قدر الاستعداد » .

وتوضيح هذه السنة وتأويلها : هو إن الإنسان إذا ما أعد نفسه لمدد الإضلال والخذلان ، بأن وجه ميوله وغرائزه إلى مسالك الشر والفساد وآثر داعى الهوى والشيطان على وحى الفطرة والوجدان ، أمده الله بمدد الإضلال والخذلان ، وإذا ما أعد نفسه لمدد الهداية والتوفيق ، بأن وجه أمياله وغرائزه ، إلى طريق الخير والرشاد ، وآثر هداية الوجدان والفطرة ، على طغيان الهوى والشهوة ، أمده الله بمدد الهداية والتوفيق ، والمعونة والتأييد .

وبهذا المدد الإلهي الغيبي ، يكون الغلب لأحد المنتصرين على الآخر ، ويتقرر مصير المعركة القائمة بين الروح والمادة ، وقد قرر القرآن هذه السنة في مواطن كثيرة ، كما ترى ذلك في الآيات الآتية : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ، ٨ : ٢٣ » ، « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ٢ : ١٠ » ، « ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، ٢ : ١٥ » ، « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ٦١ : ٥ » ، « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، ٤٣ : ٣٦ » ، « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ، ٤٧ : ١٧ » ، « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، ٩٢ : ٥ - ١٠ » .

فهذه الآيات القرآنية وغيرها ، جاء فيها ترتيب الإمداد الإلهي بالهداية أو الإضلال على مقتضى ما يكون من اتجاهات الإنسان بأمياله ونياته ، إلى طريق الخير والكمال ، أو مسالك الشر والفساد ، وهي صريحة في تقرير هذه السنة الإلهية الحكيمة ، وهي سنة الإمداد على قدر الاستعداد .

أما الحقائق التي تستخلص من هذه الفطرة الإنسانية ، والتي توضح صلتها بالدين والتدين ، فهي موضوع الحديث التالي إن شاء الله ؟

يحيى سو بلحم طه
المفتش بالأزهر

الاتحاد المصري السوري

في الخطاب الذي افتتح به الرئيس جمال عبد الناصر مجلس الأمة إشارة للعلاقات بين مصر وسوريا ، وتحية كريمة للجارة الشقيقة التي وقفت مع مصر في أحلك الأوقات ، وناصرت قضية التحرير العربي أقوى ما تكون المناصرة ، وتحملت - وهي الدولة الصغيرة العربية - كل تضحية في سبيل تحقيق الخير العربي المشترك ، وإشارة أيضا إلى الاتحاد بين البلدين والرغبة الشاملة في إخراجه إلى حيز التنفيذ .

حصوننا مهددة من داخلها

– ١ –

يظن بعض الناس أن الدول القوية هى التى تملك عددا ضخما من عدد القتال وآلاته ، وتنتج مقادير هائلة من الصناعات التى تغمر أسواق العالم ، وحقيقة الأمر أن هذه الدول لا تتاح لها القوة حتى يكون من وراء كل هـذه العدة الهائلة وذلك الإنتاج الضخم خلق متين يجمع أهلها ويشد بعضهم إلى بعض ، ويعطف كل واحد منهم على أخيه ، ويمنع عناصر الفساد وأسباب الفرقة والخلاف أن تتسرب إلى صفوفهم وتنخر عظامهم . إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ، ولـكنها تسود وتعلو بالخلق المتماسك ، وأعلى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين . فهو الذى يجمع الناس على التواد والتراحم ، ويقيهم ما طبعت عليه النفس البشرية من الشح ، ويكف بعضهم عن بعض ، وهـذه هى دول الغرب ، يستطيع كل ذى بصر أن يرى – كما رأى المؤرخ الإنجليزى توينبى من قبل ، منذ الحرب العالمية الأولى – مظاهر تدهورها وانحلالها وهى فى كامل مجدها الصناعى والآلى ، لم يعوزها المـال ولم تنقصها الآلات ولا المعارف الفنية ولا العلوم العقلية ، ولـكن أعوزها الخلق والدين ، فسرى الفساد فى جسدها ودب الخلاف فى صفوفها . إن مظهر هذه الدول الضخم قد يخدع كثيرا من الناس فيظنون أن نهايتها بعيدة ، والحقيقة أن الدول الـكبيرة لا تضمر ولا تذوى ولا تنكمش ، ولـكنها تنهار كما ينهار عمود الخشب الضخم الذى نخر السوس لبه . كذلك انتهت كل الدول الـكبرى من قبل ، فى أثينا وفى روما وفى بغداد وفى الأندلس وفى الأستانة . انتهت حين كانت ضخامتها ومظاهر الترف فيها تخدع الناظر عن السوس الذى ينخر عظامها .

وما ينبغى لنـا أن نغفل عن هـذا الدرس المـاثل أمام أعيننا إن غفلنا عمـا حفظه التاريخ من دروس ومن عظات . يجب أن نعرف معرفة اليقين أن التقدم الصناعى لا يغنى عنا شيئا إذا دب فينا دبيب الخلاف ، فتفرقت بنا السبل وتوزعتنا الأهـواء والآراء ، ومزقتنا الدعوات المتنافرة التى ينقض بعضها بعضا . والدين واللغة هما أهم دواعى الألفة

والتماسك فى كل مجتمع إنسانى . فالدين هو الذى يوحد العادات والأمزجة ، فيجتمع الناس فيما يحبون وفيما يكرهون ، وفيما يألفون وفيما يعافون ، وفيما يستحسنونه وفيما ينفرون منه ، على ألوان معينة من غذاء الأبدان والنفوس . واللغة هى الوعاء الذى يشتمل على ذلك كله ، وهى أداة التفاهم التى لا يتم بدونها تواصل . ثم إنها بعد ذلك تجمع أمزجة الناس وأذواقهم على ألوان معينة من الأساليب البيانية فى الجمال الفنى . لذلك كانت المعاهد والمؤسسات التى تقوم على صيانة الدين واللغة هى بمثابة الحصون والمعاقل التى تسهر على حمايتنا وسلامتنا ، وكانت العناية بأمرها خليقة أن تنال من اهتمامنا مثلما تناله العناية بإعداد العدة الحربية والصناعية بل أشد . وشر ما يطرأ على هذه المعاقل من الوهن أن تؤتى من بعض الذين قد وكل إليهم حمايتها والدفاع عنها حين يخونون الأمانة، فيتسللون متلصصين إلى الأبواب يفتحونها للأعداء المهاجمين بليل ، والحماة الساهرون فى غفلة لا يشعرون . من أجل ذلك سوف أتناول فى هذه السلسلة بعض معاقل الدين واللغة ، منبها إلى ما طرأ عليها من انحراف بعض حراسها .

ولا شك أن وزارات التربية والتعليم هى أهم هذه المعاقل والحصون الساهرة على أمن الشعوب وكيانها ، لأنها هى المؤتمنة على أثمن ما تملكه الأمة من كنوز ، وهى الثروة البشرية بما تنطوى عليه من قوى مادية ومن ملكات عقلية وخلقية ، ممثلة فى رجال الغد الذين تشرف على تربيتهم ، وهى ثروة تتضاءل إلى جانبها كل كنوز الأرض لأن كنوز الأرض لا تساوى شيئا بدونها . فالعقل هو الذى يستخرجها من مكامنها ويحيلها من مادة صماء جامدة إلى قوة حية منتجة ، والخلق الدينى هو الذى يدفع الناس إلى إعمال هذا العقل وإلى بذل الجهد فيما وكل إليهم من أمور ، أداء للأمانة ، وابتغاء للعزة والسيادة وإعلاء الحق .

وقد أصبحت مطامع أمريكا فى هذه المنطقة وعداوتها لحماتها الذين يتصدون لحراستها ويتزعمون نهضتها مشهورة لا تخفى ولا تحتاج إلى تنبيه . فاتصال القائمين على شئون التربية والتعليم فى هذه الأمة العربية بالمؤسسات الأمريكية ، والتعاون معها فى ترويج مبادئ وأساليب يقال إن المقصود بها هو رفع مستوى التعليم وإصلاح شئون الجيل الجديد ، أمر لا يصدقه العقل ولا يتفق مع ما يبذلون من محاولات ظاهرة وخفية لابتلاع هذه الأمة والكيد لها . فالذين يشتركون فى المؤتمرات الأمريكية ، والذين يتعاونون مع دور النشر الأمريكية ، وكلها ممول من مصادر مريبة ، يسخرون من عقولنا ، ويخادعون أنفسهم إن زعموا أنهم يخدمون أمتهم بالاشتراك فى هذه المؤسسات ، لأن الأموال

الأمريكية التى تنفق بسخاء يبلغ حد السفه على هذه المؤتمرات وعلى هـذه الدور لا يمكن أن تستهدف خير هذه الأمة ونفع أهلها .

وقد وقع بين يدى فى هذه الأيام كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ببيروت فى العام الماضى (يوليو ١٩٥٦) ، يحتوى على محاضرات فى نظم التربية ، هى سجل لما دار فى مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة ، واشترك فيه جماعة من كبار المسئولين عن التربية فى مصر وفى سوريا والعراق والأردن ولبنان . وقد مثلت ثلاثة من هـذه البلاد فى ذلك المؤتمر الأمريكى بثلاثة وزراء سابقين للتربية والتعليم . فمثلت مصر بإسماعيل القبانى ، ومثلت العراق بعبد الحميد كاظم ، ومثلت الأردن بأحمد طوقان ، والأخيران من تلاميذ الجامعة الأمريكية الداعية لعقد هذا المؤتمر ، وقد كان العضو الأردنى يشغل عند عقد هذا المؤتمر منصب مستشار لشئون اللاجئين الفلسطينيين فى منظمة الإغاثة الدولية . أما البلدان الباقيان — سوريا ولبنان — فقد مثلهما رجلان من كبار المسئولين عن التعليم وهما جميل صليبا عميد كلية التربية فى الجامعة السورية ، ونجيب صدقة المدير العام لوزارة التربية الوطنية والفنون فى لبنان . وقد اشترك مع إسماعيل القبانى فى هذا المؤتمر عضو مصرى آخر هو حامد عمار الأستاذ فى معهد التربية العالى بجامعة عين شمس ورئيس قسم التدريب فى المركز الدولى للتربية الأساسية فى العالم العربى بسرس الليان .

وهذا المركز الدولى للتربية الأساسية فى العالم العربى لا عمل له إلا (سلخ) الريف العربى من دينه وخلقه وعروبته ، و (طبعه) بالطابع الأمريكى . وهو يتولى هذه المهمة إتماما لما بذله الغرب من جهود فى فرنجة هذه المنطقة ، بعد أن تبين المستشرقون الذين يحثون فى شئون هذا الشرق الإسلامى والعربى أن تأثير الفرنجة أو ما يسمونه Westernisation لم يتجاوز المدن ، لأن كل الوسائل والأساليب التى يستخدمها الغربيون فى هـذا الصدد من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية أو اجتماعية وسينما وشراء للأقلام وللذمم وللرجال إلى آخر ما هنالك ، كل ذلك لا يصل إلى الريف ، ولا يتجاوز حدود المدن . فما الذى صنعته أمريكا لتلافى هذا النقص ، والاحتيال لدخول الريف الذى عجز التبشير وعجزت الأساليب الاستعمارية العتيقة عن اقتحامه إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ؟ اخترعت أمريكا تحت ستار (الدولية) وعن طريق (الأمم المتحدة) شيئا اسمه « التربية الأساسية » . وما هى التربية الأساسية ؟ يقول الدكتور حامد عمار فى بحثه الذى ألقاه فى هذا المؤتمر الأمريكى : « التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح

الاجتماعى لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية و (تغيير الأفكار والنزعات) إلى جانب تغيير الأوضاع المادية ـ ص ٩٢ محاضرات فى نظم التربية » . ويقول فى موضع آخر : « تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ، كما تسعى إلى تغيير فى الأوضاع المادية فى الدائرة التى تلتزمها ، ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادى لابد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير فى تفكير الناس ، وفى الاتجاهات الفكرية والنفسية ، حتى يمكن أن يكون العمل منتجا إنتاجا كاملا ـ ص ٨٥ » .

وواضح أن (تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات) الذى أشار إليه الباحث يقوم على أسس غربية خالصة ، تروج باسم العلم ـ علم مزعوم لا يستقر له قرار ولا يقطع فى ظاهرة برأى يتفق عليه أصحاب الرأى ، يسمونه « علم النفس » ـ وواضح أيضا أن هذا (التغيير) ـ تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات ـ لا يبالى أن يخالف الإسلام وتعاليمه فى الريف المسلم ، لأن القائم على هذا (التغيير) ليس هو مشيخة الأزهر ، ولكن القائم عليه هم مجموعة من (الخواجات) يختفون خلف الشخوص العربية التى تبدو للناظر وكأنها تتحرك بإرادتها ، وواقع الأمر أن لا إرادة لها ، وأنها تسير فى خطوط مرسومة ، وحسب خطط مدبرة قدرها ناس أقل ما يوصفون به أنهم لا يبالون بالإسلام وتعاليمه إن لم يكونوا معادين لها يعملون على محوها واستئصالها من نفوس الناس ، ولهم فى ذلك أساليب خبيثة يتسللون عن طريقها إلى قلوب أهل الريف السذج الغافلين . وسوف لا أصف لك أنا هذه الأساليب ، ولكنى سأدع العضو المصرى المحترم فى هذا المؤتمر الأمريكى يقدم لك صورا منها بألفاظه كما جاءت فى الكتاب الذى بين يدى .

فأول مراحل العمل فى الريف هى « مرحلة التعرف » ، (وهدفها أن يحس العامل الاجتماعى طريقه فى القرية بصورة عامة وأن يألفه الناس ويألفهم ... ومن المستحسن أن تكون هذه المرحلة من العمل مرحلة فيها شىء من الاسترخاء وأخذ الأمور بأخذ غير محدد ، إذ أن هذا الهدوء والاسترخاء ضروريان لتأسيس العلاقات الاجتماعية وتمتينها وبخاصة إذا تذكرنا أن الفلاح سريعا ما تأخذه الريبة ويتولاه الشك إذا تبين إلحاحا من غريب عليه فى أمر من الأمور ... ثم إنه لا بد من التعرف على قادة القرية الطبيعيين الذين يعتبرون عناصر فعالة فى تكوين الرأى العام والتأثير فيه ... وليس من المهم أن يكون

هؤلاء القادة من النوع الذى يرغب فيه المصلح ، لكنه لا بد من الاعتراف بهم و (استغلالهم) .

وإذا كان التعرف يتطلب الاتصال والزيارة ومبادلة الحديث فان هذا شرط لازم ، وليس بكاف فى كثير من الأحيان ، وربما كان القيام بعمل إنشائى سريع من أنجع الوسائل لكسب الثقة وتأسيس علاقة طيبة مع الأهلين ... وقد تبين بالتجربة أن دق طلمبة مياه بالقرية ، أو إصلاح خزان المياه بالجامع ، أو مقاومة الآفات الحشرية فى الزراعة ، كان من أقوى العوامل التى وثقت الصلة بين أهل القرية وبين المشرفين على مختلف جوانب الخدمة الاجتماعية فيها . وأذكر أن زجاجات قطرة العيون كانت من أهم الوسائل التى اكتسبت بها آنسات المركز الدولى للتربية الأساسية ثقة نساء القرية [١]. ص ٩٨ إلى ١٠٠) .

ويتكلم الدكتور حامد عمار بعد ذلك عن المرحلة الثانية وهى « مرحلة الدراسة والبحث » التى « يقوم فيها المشتغل بميدان التربية الأساسية أو الخدمة الاجتماعية بجمع المعلومات والبيانات اللازمة جمعا منظما بحيث تكون معرفته لظروف القرية معرفة لا تقوم على مجرد الإحساس ، بل على الاستقصاء للحقائق وتنظيمها ، حتى يستعين بها فى رسم خطته وتنفيذ برنامجه . . . ومن البحوث المفيدة أيضا تسجيل مختلف العادات والطقوس التقليدية التى تشكل حياة الريفيين وتعالج كثيرا من نواحى نشاطهم . . . ومن الأمور العملية المفيدة فى هذه البحوث الكيفية الاحتفاظ بمذكرات أو يوميات يسجل فيها الباحث ملاحظاته ومجريات الحوادث وظروف العمل أثناء إقامته فى الريف ، ولاشك أن مثل هذه المذكرات هى المادة الخام التى تستطيع أن تعتمد عليها فى فهم ظروف الحياة الريفية فهما دينا ميكيا يتميز بغنى الواقع وتفاصيل الحياة اليومية » (ص ١٠٠ إلى ١٠١)

من الذى يشرف على إدارة هذا الجهاز ، وعلى جمع كل هذه المعلومات والدقائق ؟ هيئة أجنبية ، وليكن اسمها ما يكون . لتكن هى « التربية الأساسية » أو « النقطة الرابعة » أو ما شئت من هذه العناوين المختلفة . هل هناك وسيلة للجاسوسية أضمن وأرخص وآمن

---

[١] ألا ترى وجه الشبه بين أساليب آنسات المركز الدولى وبين أساليب المبشرين ؟!

من هذه ؟ تجمع الهيئة وسماسرتها ، الخبيث منهم والمغفل ، ما شاءت من المعلومات في هدوء واطمئنان ، دون أن يثير عملها ريبة أحـد . بل إنها تلق المساعدة الكاملة من الجهاز الحكومى ، وتيسر لها سبل توثيق الصلات بالناس ، وتترك لها الفرص لتعمل فى بطء وفى مهل وفى غير عجلة . فهم جواسيس فى ثياب أطباء ، يؤتمنون على كل أسرار المريض الذى لا يخفى منها شيئا طلبا للشفاء؛ فإذا هذه الأسرار تستغل فى الغدر به ، وإذا هى تدرس لاختيار أفعل الوسائل لقتله وأمثل السبل لامتصاص ما بقى فى عروقه من دم .

أتريد بعد ذلك أن أحدثك عن هدف آخر مهم من أهداف هذه المؤسسات الأجنبية المريبة ؟ إن هـذه المؤسسات تريد إفساد المرأة الريفية وفرنجتها . إنها تقوم باستئصال (حياء) المرأة الريفية المسلمة فى النهار المبصر ، وعلى مسمع من كل ذى أذنين . هل تريد دليلا على ذلك ؟ إذن فاقرأ بحث الدكتور هارولد ألن مدير التربية بمؤسسة الشرق الأولى الذى ألقاه فى مؤتمر أمريكى آخر تحدثت عنه من قبل وهو مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (١)) ، وقد تولت نشره مؤسسة فرانكلين الأمريكية . راجع فى هذا الكتاب مقال الدكتور ألن عن (العامل الريفى فى الحضارة الإسلامية ـ ص ٢٦١ إلى ٢٨٨) . وسوف تتبين بعد قراءته أن الأساليب التى وصفها هذا الأمريكى مما اتبع فى سوريا هى الأساليب نفسها التى وصفها الدكتور حامد عمار مما اتبع فى مصر . وهـذا الأسلوب الواحد الذى يذكرنا بأساليب الجواسيس والمبشرين يؤكد ما أسلفته من أن هذه الشخوص التى تبدو للناظر وكأنها تتحرك بإرادتها لا تتحرك إلا حسب خطة واحـدة قدرها الذين فضلوا أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار . ولنقف قليلا عند صفحتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ من هـذا المقال ، حيث يقدم الكاتب صورة من بعوث أمريكا ـ أو البعوث الدولية إن شئت ـ التى تتغلغل إلى صميم البيئات الإسلامية فى الريف باسم الخدمات الاقتصادية أو الخدمات الفنية ، وسوف تدرك بسهولة أن الهدف الكبير لهذه المؤسسات ـ إلى جانب ما تنتفع به من معلومات تفيد الجاسوسية السياسية والحربية ـ هو (أمركة الريف) ، والاهتمام فيه بالمرأة خاصة وبتوجيه الحركة النسوية . سترى فى هذا المقال أن هذه المؤسسة تختار موظفيها الذين يتعاملون مباشرة مع القرويين من الوطنيين ليكونوا أقرب إلى قلوب الناس . وسيروى لك الكاتب ما حدث فى (قبر الست) وهى إحدى قرى

(١) انظر جزءى شعبان ورمضان من مجلة الأزهر ص ٧٣٩ ـ ٧٤٥ و ٨١٥ ـ ٨٢٠ من سنتها الماضية .

سوريا . ذهب مبعوث المؤسسة الدولية ـ أو الأمريكية إن شئت ـ وهو شاب عربي اسمه « فؤاد فرج » إلى القرية ليعيش فيها ، واستطاع أن يقيم في حجرة من الحجرات المخصصة لإقامة زوار ضريح الست (والمقصود بها هي السيدة زينب رضي الله عنها حفيدة النبي صلى الله عليه وسلم) ، وأخذ يتلمس طريقة لممارسة نشاطه بعد أن وثق به أهل المنطقة واطمأنوا إليه ، فنجح في إدخال بعض التحسينات الزراعية ، وقدم ألوانا مختلفة من الخدمات الصحية بمعاونة السكان وتنظيمهم . رش المدينة كلها بمسحوق د . د . ت للقضاء على الذباب والبعوض ، وجفف الشوارع ، وأنشأ ناديا للشبان ، كما أنشأ دراسات مسائية في القراءة والكتابة للبالغين من الأميين ، وكون جمعية تعاونية . وبعد أن سرد الدكتور هارولد ألن ضروب النشاط التي قامت بها هذه المؤسسة الأجنبية ختم وصفه لهذه التجربة بالسطور التالية ، التي تدل على الهدف الحقيقي لهذه البعثات . قال : « وفي السنة الماضية بدأ الرجال الذين يعيشون في محيط هذا الرائد ـ بعد أن تحسن اقتصادهم وصحتهم تحسنا كبيرا نتيجة لجهوده العلمية ـ يفكرون في حاجات نسائهم ، وهذا هو ما ظل فؤاد فرج ينتظره زمانا . وقد أحيل الاقتراح إلى قسم رعاية المنزل بالمؤسسة المسئولة عن هذا العمل . فأعد برنامجا للنساء والأطفال بدار من مكاتب قدمتها القرية بلا إيجار [1] » . ثم يعقب على ذلك بقوله : « إن المشروع الذي وصفناه هو جزء من تجربة تشمل اثنين وستين قرية ، يبلغ مجموع سكانها ستة وعشرين ألفا . وهو مثال لعشرات غيره من الجهود الفعالة المماثلة التي يمكن القيام بها ـ ص ٢٦٨ » .

---

[1] من القواعد الأساسية في مؤسسة [التربية الأساسية] حسب ما جاء في ص ٨٨ من الكتاب الذي نتكلم عنه في هذا المقال « محاضرات في نظم التربية » . [مساهمة الناس بالجهد أو بالمال أو في الفكرة أو في التنفيذ في أي عمل من الأعمال . ولا شك أن هذا يدعوهم إلى الشعور بأن هذا العمل أو المشروع جزء منهم وأنهم أصحاب حق فيه . وهو ما يحفزهم إلى رعايته واستغلاله والاهتمام به] . ويذكرنا هذا الأسلوب بأسلوب الجاسوس الانجليزي المشهور لورانس حيث يصفه في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » فيقول إنه كان يعيش بين العرب كأنه واحد منهم . ولم يزل يمعن في تقليدهم حتى أحسوا أنه واحد منهم وعند ذلك وجدوا أنفسهم منساقين إلى مجاملته وتقليده . فهو لم يفعل ـ كما يقول ـ شيئا بنفسه . وليس هناك عمل يمكن أن ينسب صراحة إليه ، إلا أن يكون من تأثيره في أفكار غيره وتحويلها إلى أغراضه . على أن العرب ـ كما يقول ـ كانوا يبدون في كل تصرفاتهم أحرارا يتأثرون بالقدوة الصامتة إيجابا وسلبا حسبما يحلو لهم [ص ٢٩ من النسخة الانجليزية طبعة اكسفورد سنة ١٩٤٣] .

والآن بعد أن طـال الحديث عن المركز الدولى للتربية الأساسية أنتقل إلى مقالات الأعضاء الذين تحدثوا عن شئون التربية والتعليم فى البلاد العربية ، وهى الأساس فى عقد هذا المؤتمر . والهدف من هذه البحوث التى دعى أصحابها لإلقـائها لا يخرج عن الهدفين السابقين اللذين أشرت إليهما من قبل : الجاسوسية ، والسيطرة على توجيه المجتمع . ففى مثل هـذه المؤتمرات يتيسر استقصاء معلومات دقيقة من مصادر موثوق بها ، كما يمكن معرفة الاتجاهات الفكرية لقادة الرأى والمسئولين فى هذه البلاد . وهذه المؤتمرات ـ مثل المؤسسات الأمريكية والدولية التى أشرت إليها من قبل ـ هى أضمن الوسائل وأرخصها وأوثقها لجمع المعـلومات الصحيحة الدقيقة التى تخـدم الذين يرسمون الخطط السياسية والحربية لهذه المنطقة . ثم إن هذه المؤتمرات هى ـ من ناحية أخرى ـ وسيلة للاتصال القريب المباشر بالمسئولين ، يمجمون عودهم ، ويدرسونهم عن قرب ، ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهـداف الخفية للسياسة الاستعمارية ، كما يختبرون مواطن القوة ومواطن الضعف فى كل واحد منهم لمعرفة أنجح الوسائل للاتصال بهم والتأثير عليهم . هـذا إلى أن الـكلام الذى يلقى فى مثل هذه المؤتمرات ـ وهو مجامل لا شك لوجهة نظر الداعى إلى المؤتمر ـ لا بد أن يلقى صدى فى نفوس كثير من هؤلاء المسئولين من المدعوين .

أما خدمة هـذا المؤتمر لأغراض الجاسوسية الأمريكية التى ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة ، فهى واضحة فى كلمة الدكتور عبد الحميد كاظم وزير معارف العراق السابق ، التى ألقاها فى هذا المؤتمر ، حيث أشار إلى ما طلب منه إعداده حين وجهت إليه الدعـــوة ، فقال : « إن خطاب الزميل الدكتور حبيب كورانى يشير إلى الرغبة فى أن أتكلم عن تطور التربية فى المملكة العراقية خلال السنوات العشر الأخيرة [١] ، مشيرا إلى أهم الاتجاهات الحديثة من حيث : التنظيم ، والمنهج ، وإعداد

---

[١] السنوات العشر الأخيرة هى السنوات التى تبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية . وهى الفترة التى اتسمت بتدخل أمريكا فى شئون هذه المنطقة . فأصحاب هـذا المؤتمر يريدون الاطمئنان على مدى نجاح خططهم فى خلال هذه السنوات العشر . والواقع أن أمريكا قد حققت بدولاراتها خلال هذه المدة ما لم تستطع الدبلوماسية الانجليزية والدبلوماسية الفرنسية ومؤامرات التبشير الظاهرة والخفية مجتمعة أن تحققه فى قرن كامل .

المدرسين ، والتفتيش ، والامتحان ، وكذلك المشكلات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، التي تجابه التعليم في العراق ، مع بعض الحلول التي اتخذت أو يجب أن تتخذ لمعالجتها ، على أن تأتي هذه في محاضرتين . هذا هو المطلوب مني حسبما جاء في الدعوة الموجهة إلي » - (ص ١٧٧ إلى ١٧٨) .

والذي يراجع ما ألقي في هذا المؤتمر من بحوث يتبين دقة المدعوين في التزام الوفاء بما طلب إليهم التحدث فيه على أكمل ما يطلبه الأمريكيون ويريدونه . فبحوثهم مدعمة بجداول إحصائية لا حصر لها في كل جانب من جوانب التعليم ، مما يقدم صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادهم ، إلى جانب النظم التعليمية . والواقع أن أعضاء المؤتمر لم يقدموا هذه الجداول الإحصائية تبرعا من عند أنفسهم ، ولكنهم قدموها استجابة لطلب الذين دعوا إلى هذا المؤتمر ونظموه . فالدكتور حبيب أمين كوراني رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت - وهو الذي وجه الدعوة لهذا المؤتمر - يقول في تقديم الكتاب الذي ضم ما ألقي فيه من بحوث : « ... فدعونا لذلك نخبة من قادة الفكر وكبار رجال التربية في مختلف الأقطار العربية للمساهمة في هذه الدراسة ، وذلك بتقديم محاضرات تتناول أهم الأبحاث الحديثة في التربية في أقطارهم من حيث الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية التي ترتكز عليها التربية ، ومن حيث التنظيم والمنهج وإعداد المعلمين والتفتيش والامتحان بالاستناد إلى بعض الإحصائيات التربوية الهامة وتتناول أيضا عرض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تجابه التعليم ، مع بعض الحلول التي اتخذت والتي يجب أن تتخذ » .

أما الهدف التوجيهي من هذا المؤتمر فهو واضح في هذه المقدمة أيضا وفي سائر البحوث . يقول رئيس دائرة التربية في الجامعة الأمريكية ببيروت في مقدمته « لقد بدأ قادة التربية في البلدان العربية يحسون بالحاجة إلى تربية فعالة كوسيلة لمعالجة الوضع الخطير الذي أحدثته عوامل التطور في هذه البلدان » . ثم يقول بعد أن يعرض هذه العوامل باختصار : « فنتج عن هذه تبديلات عديدة هي تبديلات جوهرية لا يمكن أن تحدث في مجتمع ما دون أن تحدث فيه تضاربا بالأفكار والمثل والقيم ، ودون أن تتطلب تعديلا في مفاهيم ذلك المجتمع وآرائه ومعتقداته وطرق تنظيم معيشته . لذلك نجد أنفسنا في هذا الوضع مرغمين على إعادة النظر في مؤسساتنا التي تكونت ضمن الوضع القديم ، وفي المبادئ

والافتراضات والأهداف التى بنيت عليها تلك المؤسسات وتعديلها على نور الوضع العلمى والحضارى الحديث ، والوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى القائم فى مختلف مجتمعاتنا ، كى نتمكن من إعادة بناء حياتنا على أساس مبادئ وآراء ومثل بناءة منسجمة تماشى مع الحضارة الإنسانية الراقية (١) ، وتمكننا من المساهمة الفعلية فى تقدم ركب المدنية البشرية ورقيه » .

ولست أريد بعد ذلك أن أقدم صورا مما ألقى فى هذا المؤتمر من بحوث ، فقد يطول بى الحديث إن أخذت فيه . هذا إلى أنه حديث بفيض يملأ النفس مرارة وضيقا بالواقع الراهن للتعليم فى هذه البلاد ، بما فيه من كلام كثير عن فضل أمريكا فى إنشاء مؤسسات التعليم المختلفة ومعاهده المتباينة فى شرق الأردن وفى لبنان خاصة ، وبما فيه من استخفاف بآدابنا ومواريثنا يلبس فى أوهام المتكلمين ثوب العلم . وكأن أحلام ما يسمونه علم النفس ودعاواه المتغيرة المتناقضة التى لا تكاد تستقر قد أصبحت شيئا مقطوعا بصحته . فباسمه يدعو المخدوعون إلى (تحطيم) ما توارثناه فى آدابنا من توقير الصغير للكبير ، غير مكتفين بما حاق بنظم التعليم وخلق المتعلمين من خسران بعد أن فسدت صلات التلاميذ بمدرسيهم نتيجة للتقليد الأعمى والنقل الجهول . وباسمه يتخطون أوامر ديننا ويتجاهلون آدابه الصالحة الرشيدة حين يدعون إلى خلط الذكور بالإناث ، وإلى إخراج المرأة للأسواق وامتهانها بين الرجال ، مما يعرضها ويعرض المجتمع الإنسانى كله للفساد والانحلال ثم الانهيار ، ومما يحقق أحلام الداعين لهذا المؤتمر فى هجر تعاليم ديننا والتمرد على الصالح من تقاليدنا اقتداء بالخلق الأمريكى المنحل ، وسيرا فى أعقاب تجاريب أثبت الواقع فشلها فى حل مشاكل الناس فى مواطنها الأصيلة التى تنقل عنها ؛ بل لقد عقدت مشاكلهم وزادتها كما تدل عليه جداولهم الإحصائية التى أثبتت اطراد الزيادة فى النسب المئوية للانحراف وللشذوذ وللجرائم على اختلاف ألوانها ، وكما يصوره الواقع الملموس من انحلال أخلاق شبابهم ، واستهلاكهم قواهم وملكاتهم فى العكوف على الشهوات ، وضعفهم عن حمل الأمانات والنهوض بالواجبات .

لا أريد أن أخوض فى تفاصيل ما ألقاه المؤتمرون فى هذا المؤتمر لأقدم صورا دقيقة

---

[١] لست أدرى ما هو مفهوم « الرقى » و « الحضارة الانسانية الراقية » فى وهم صاحب هذا الكلام . هل هو كل ماجاء من الغرب المنحل وكل ما أخرجته فنون الجنون الامريكى .

مؤلمة مما ألقى فيه من بحوث ، ولكنى لا أستطيع أن أختم الكلام عنه دون الإشارة إلى أن هؤلاء المدعوين التجار من الوزراء ومن فى مستواهم قد ظلوا فى ضيافة المؤتمر أربعة شهور كاملة ، بدأت بمحاضرة العضو اللبنانى الأولى فى نادى وست هول بالجامعة الأمريكية فى ٢٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٥ وانتهت بمحاضرة العضو العراقى فى ٢٦ أيار (مايو) ١٩٥٥ . وسيعجب القارئ للسخاء الذى أنفقت به الأموال على هذا المؤتمر وأمثاله . ولست أدرى أيزول عجبه أم يزداد حين يعلم أن مؤسسة روكفلر هى التى قامت بكل النفقات ، ولكى يطمئن القارئ إلى صدق ما أقوله أنقل له السطرين الأخيرين من مقدمة حبيب كورانى رئيس دائرة التربية فى الجامعة الأمريكية ببيروت حيث يقول : « إننا مدينون بالشكر أيضا إلى مؤسسة روكفلر (Rockfeller Brothers' Fund) التى قدمت جميع نفقات هذا المشروع » . ولقد كان يكفى أن أقول منذ البداية : إن الجامعة الأمريكية فى بيروت هى التى دعت إلى هذا المؤتمر ، وإن جلساته عقدت فى مقرها ، وإن مؤسسة روكفلر هى التى تكفلت بكل نفقاته ، لكى يغنينى ذلك عن كل تفصيل .

دكتور محمد محمد حسين
الأستاذ بجامعة الإسكندرية

فى التعليم الثانوى

اتخذت وزارة التربية والتعليم المصرية أهبتها لقبول ٢٨٦٣١ طالبا وطالبة بالسنة الأولى للمدارس الثانوية هـذا العـام ، منهم ١٦٨٨٠ طالبا بالمدارس الأميرية للبنين ، و ٤٣٥٩ طالبة بالمدارس الأميرية للبنات ، و ٤٩٢١ طالبا بالمدارس الحرة للبنين ، و ٥٦٦ طالبة بالمدارس الحرة للبنات ، و ١٩٠٥ طالبات بالمدارس الثانوية النسوية . وذلك عدا من يقبلون بالمدارس التجريبية وكليتى البنـات .

من تاريخ المسلمين فى الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

فى العاشر من شهر مايو سنة ١٩٥٧ بدأت الاحتفالات فى الهند وباكستان بمناسبة مرور مائة عام على ثورة الهند سنة ١٨٥٧ م ضد الإنجليز ، تلك الثورة التى ذهب ضحيتها آلاف من الشهداء ، والتى قضى على الدولة الإسلامية بعد فشلها ، وتمكن الإنجليز من حكم البلاد ، ونفوا آخر إمبراطور مسلم فى الهند بهادور شاه ظفر إلى « رانجون » عاصمة « بورما » حيث ظل فى سجنه هو ومن بقى من أسرته حتى لقوا ربهم ودفنوا هناك .

وقد خطب رئيس جمهورية الهند « راجندر برشاد » كما خطب الرئيس نهرو بهذه المناسبة ولفت نظر المواطنين فى الهند إلى أن الإنجليز لم يستعمروا بلادهم إلا بعد التفريق بينهم . كما أقيمت حفلات متعددة فى مختلف البلاد تمجيدا لهذه الثورة وضحاياها ، وأصدرت الصحف أعدادا خاصة عن تاريخها وخصصت الإذاعة برامج متنوعة عنها .

أما باكستان فقد خصصت لهذه الذكرى المجيدة أسبوعا كاملا تعددت فيه الاجتماعات والخطب من رجال الحكومة والعلماء والمؤرخين فى جميع المدن . وأرسلت وفدا إلى « رانجون » ليضع أكاليل الزهور على قبر الإمبراطور « بهادور شاه ظفر » ، وعنيت صحفها عناية تامة بإبراز الدور الذى قام به المسلمون ، والنصيب الأكبر الذى تحملوه فى التضحية من أجل دينهم ووطنهم وحكمهم ، لينقذوه من براثن الإنجليز الذين دخلوا البلاد باسم التجارة ، ثم ما لبثوا أن تحكموا فيها ، وكان للاذاعة الباكستانية نصيبها الموفور كذلك فى إحياء هذه الذكرى بجانب شقيقتها الصحافة .

* * *

ولقد أتيح لى أن أطلع على هذا الجانب الهام من تاريخ المسلمين فى الهند وجهادهم الدموى ضد الإنجليز بمناسبة ما أقوم به من وضع كتاب عن تاريخ الإسلام والمسلمين فى الهند ، وظهرت أمامى كثير من الحقائق الهامة والمواقف العظيمة التى ألقى عليها الغبار

طويلا ، وأهملت إهمالا كبيرا حتى حيل بين قراء العربية وبين الاطلاع عليها ، ولذا رأيت أن أنتهز هذه الفرصة فأكتب لمجلة الأزهر شيئا عن هذه الثورة وما سبقها من مقدمات وما لحقها من نتائج ، لعلى بذلك أؤدى واجبا على نحو تاريخ المسلمين فى هذه الفترة وفى هذه البلاد ، وغالب ظنى أن هذه المناسبة التى احتفلت بها الهند وباكستان مرت دون أن تلق أية عناية من الصحف والمجلات العربية الإسلامية .

وقد وجدت نفسى مضطرا حين بدأت الكلام عن هذه الثورة إلى أن أرجع إلى الوراء قليلا لأربط النتائج بأسبابها حتى لا يكون الحديث مبتورا ، وأمر بالقارئ على المحاولات التى بذلها الغرب للتسلط على الهند وانتهت بسيطرة الإنجليز عليها وضمها نهائيا للتاج البريطانى .

* * *

منذ أن دخل محمود الغزنوى الهند فاتحا فى نهاية القرن العاشر الميلادى والحكم الإسلامى قائم فيها تتوارثه دولة عن أخرى حتى انتهى سنة ١٨٥٧ م تماما، وكانت المملكة الإسلامية تقوى حينا فيمتد نفوذها على أكثر بقاع الهند وتضعف حينا فتنكمش رقعتها . وكانت دائما فى صراع مع من حولها من حكام الهند وراجواتها الذين كانوا يطمعون فى الاستقلال عنها أو بسط نفوذهم على أراضيها أو تطمع هى فى ضمهم إليها .

وفى الوقت الذى كان فيه الحكم الإسلامى قائما فى الهند كانت هناك رءوس أخرى بعيدة عنها كل البعد تفكر فى الوصول إلى هذه البلاد واستغلال خيراتها والقضاء على النفوذ الإسلامى فيها وفى البحار التى تحيط بها أو توصل اليها ، كانت هذه الرءوس فى أوربا التى شغلت ولا تزال تشغل بالشرق وخيراته وكنوزه ، فأخذت تبحث عن طريق آخر اليها غير الطريق الذى يسيطر عليه المصريون ويحتكر التجارة فيه البندقيون ، وبحث أهل « جنوا » عن وسيلة تقضى على نفوذ منافسيهم البندقيين فوجدوا ضالتهم فى البرتغال ، وكانت دولة تمتلئ بالحقد والتعصب على الإسلام والمسلمين وتعمل للقضاء عليهما بكل وسيلة . وكان طريق التجارة فى أيدى المسلمين كما أن الهند يسيطر عليها المسلمون « فكان فى طليعة البواعث التى حرضتهم على المجىء إلى الهند الرغبة فى محاربة الإسلام، وذلك حين أصبحت فى القرن الخامس عشر المدافعة عن المسيحية ضد الإسلام واجبا وطنيا وفرضا دينيا على أهل أيبريا من البرتغاليين والأسبانيين . فالإسلام فى رأيهم هو العدو الصريح الذى يجب عليهم محاربته فى كل مكان ، ومن كلمات الزعيم البرتغالى « البوكرك » الذى وطد حكم

البرتغال فى بعض موانى الهند لرجاله حين وصل إلى ملقا قوله : « إن البرتغاليين يؤملون استنزاف قوة الإسلام بإقصاء المغاربة عن تجارة التوابل » . وكان البرتغاليون فى أول حركتهم الكشفية تسيطر عليهم الروح الصليبية وهذه الروح كانت فى جوهرها عداء للاسلام » [١] .

وقام الأمير « هنرى » الابن الثالث لملك البرتغال « يوحنا الأول » والمعروف باسم « هنرى الملاح » والذى تشبع منذ صغره بعداوة الإسلام ، قام هذا الأمير على رأس الحركة الداعية إلى كشف طريق آخر للوصول إلى الهند مستغلا مالية جماعة أنصار المسيح التى كان يرأسها فى تحقيق أغراضه ... وتابعت البرتغال جهودها حتى وصلت أول طلائع سفنها المسلحة إلى ميناء « كاليكوت » على شاطئ مليبار سنة ١٤٩٧ م ... وكان وصولها عن طريق ما سموه « رأس الرجاء الصالح » بدء انقلاب جديد فى عالم التجارة والسياسة معا كان له أثره الكبير فى مصر والبلاد العربية والأوربية معا ... وبدأت البرتغال فى مؤامراتها بالهند وفى البحار المحيطة بها والموصلة إليها ، فارضة سلطانها على تلك البحار والسفن المارة بها ، متعمدة إغراق سفن مصر والمسلمين عموما سواء أكانت تحمل التجارة أو تحمل الحجاج ... كما هجمت على بعض موانى ملك بكرات المسلم وموانى الملك الهندوسى فى مليبار ... فاستعان ملوك الهند بملك مصر فى ذلك الوقت وكان « قانصوه الغورى » ، فبعث الأسطول المصرى إلى المياه الهندية للقضاء على الأسطول البرتغالى بالتعاون مع السفن الهندية ... وتم له النصر أولا على شاطئ مليبار سنة ١٥٠٨ ، ولكن الأسطول البرتغالى تجمع مرة ثانية فى معركة أمام « ديو » فى الكجرات سنة ١٥٠٩ ، وكان للخيانة أثرها فى نجاحه على الأساطيل المتعاونة مما جعل الأسطول المصرى يعود إلى مصر ... ولو قدر لهذه الأساطيل المتعاونة النجاح التام فى تحطيم الأسطول البرتغالى لكان من الممكن أن يتغير وجه التاريخ ويكف الغرب عن مغامراته فى الهند وفى الشرق كله ... ولكن هكذا أراد الله .. وتم ما أراد .

ولما رأت دول أوربا ما أتيح للبرتغال من نصر وكسب طائل واحتكار لتجارة الهند ومستعمرات فيها بدأت تحذو حذوها ، فتأسست شركة الهند الإنجليزية الشرقية سنة ١٦٠٠ وبعد ذلك بسنتين تأسست شركة الهند الهولاندية الشرقية سنة ١٦٠٢ ثم تأسست شركة الهند الفرنسية سنة ١٦٦٤ م ، ونزلت هذه الشركات ميدان المنافسة الحامية فى الهند وكل فريق يسعى لإضعاف الآخر والقضاء عليه حتى يخلو له

[١] ملخصا عن كتاب الهند والغرب ص ٣١ ، ٣٢ .

الجو ... وكانت البرتغال قد وقعت فى حروب متعددة مع حكام البلاد وبدت منها بوادر الشر ، لذلك استقبل حكام الهند هذه الشركات الجديدة المنافسة للبرتغال بشىء من الراحة لعلها تخلصهم من تحكمها وشرورها .. وقد بدأت هذه الشركات كلها باسم التجارة بين الغرب والهند وسعت لإنشاء مراكز لها فى بعض الموانى الهامة مثل سورت ومدراس وكاليكوت وبومباى وغيرها . ثم حصنت هذه المراكز بالسلاح والرجال ، وبدأت بذلك نواة جيش لها نما على مر الزمن حتى أصبح جيشا محاربا ينازل ملوك الهند مستعينا ببعضهم على بعض ، مستغلا الخلافات التى بينهم .

وقد استطاعت الشركة الإنجليزية بعد صراع عنيف مع هذه الشركات أن تثبت أقدامها وتقضى على المنافسين ، حتى خلا لها الجو فى أرض الهند الواسعة ولم يبق للبرتغال وفرنسا إلا بعض مستعمرات صغيرة على الشاطئ ظلت البرتغال متمسكة بها حتى الآن فى « جوا وديوودمن » وتقوم منازعات بينها وبين الهند من أجلها . أما فرنسا فقد تركت ما كان لها عند ما أعلنت الهند استقلالها ، وأما هولندا فقد تركت ما كان لها فى الهند نظير تثبيت أقدامها فى أندونوسيا .

وقد ساعد انجلترا على هذا النجاح ما كان لها من سيادة على البحار بعد قهر « الأرمادا » (١) والقضاء على نابليون ، وبدأ الإنجليز عملهم فى الهند باظهار الخضوع والتذلل للملوك المسلمين وغيرهم والظهور بمظهر الذى يريد تخليص البلاد من شر البرتغاليين ، وتقديم الهدايا الكثيرة من المصنوعات الحديثة فى أوربا مما لم يكن للهند عهد بها ، فكان لها وقع كبير فى نفوس الملوك والحكام ، فاغتر المسلمون وغيرهم بهذه الظواهر ومنحوا بعض التسهيلات والمراكز التجارية للشركة ، معتقدين أنها لا يمكن أن تكون مثل البرتغاليين الذين هاجموا المدن بالمدافع وأغرقوا السفن فى البحار .. وساعد الحكام على هذا الاعتقاد فكرتهم عن الإنجليز وأنهم شعب صغير لم تظهر لهم قوة يخشى منها بجانب قوة الملوك المسلمين حتى نرى مندوب الملك « جيمس » يحاول أن يقابل الملك « جهانكير » فلا ينجح فى محاولته ، ثم لما أراد أن يحصل على رسالة منه لمليكه ، قال له الوزير الأول لجهانكير : « إنه لا يليق بقدر إمبراطور مغولى مسلم أن يرسل كتابا لملك صغير يحكم جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون » وكان هذا فى مستهل القرن السابع عشر ، وبودى أن أقف قليلا مع المؤرخين الذين انخدعوا كذلك بمظهر هذه الشركة فقرروا ما أعلنته على

(١) أسطول أسبانيا والبرتغال وكانوا يعتزون به ويسمونه « الأرمادا أى القوى لا يقهر » .

سبيل التمويه من أن غرضها كان تجاريا بحتا . . فان مثل هذا القول لو جاز على الذين عاشوا فى القرن السابع عشر حينما قامت الشركة فانه لا يجوز أن تخدع به الآن فتجارى الشركة وكتاب أوربا فى تقرير هذه الواقعة .

إن الواقع يثبت أن هـذه الشركة قامت بعد قرن من وصول البرتغاليين للهند وبعد ما رأى الإنجليز أن البرتغال تسيطر على بعض نواحى الهند وتنشئ لها المستعمرات فيها ، وكان هـذا باعثا على تأليفها بمرسوم ملكى فى عهد الملكة « إليزابيث » وبتشجيعها ، فلا بد أن تكون الشركة والحكومة قد وضعت نصب عينيها من بادئ الأمر هـذا الهدف . لكن الإنجليز لم يكونوا من البساطة حتى يعلنوا للناس حقيقة مقاصدهم ، وقد رأيناهم حينما أرادوا السيطرة على مصر يبدءون ذلك عن طريق الصفقات المالية فأغروا الحكام بالاقتراض وسهلوه لهم ، ثم أخـذوا يتدخلون فى شئون مصر باسم المحافظة على هذه الأموال حتى تم لهم أخيرا ما أرادوا من احتلال مصر .

هذه هى طريقتهم ، وتلك هى أساليبهم نعرفها الآن وإن خفيت على السابقين الذين وقعوا فى شرك مكايدهم وتدبيراتهم . على أن الشركة ظلت فى أحضان الحكومة منذ تأسيسها ، وانتهى أمرها بعـد مدة من حياتها إلى أن الحكومة هى التى كانت تعين رئيسها وتحاسبه بواسطة البرلمان . . وقد وجدت أحد الكتاب يكاد يشاركنى هذا الرأى فى كتاب « الهند خلال العصـور »[1] فيقول : . . . « فقـد كان هدف الشركة تجاريا ولكنه امتزج بالسياسة ، وهنا نستطيع أن نكشف عن حقيقة ما كانت ترمى إليه الشركة . . ولست أجـد وصفا وصف به الإنجليز فى سياستهم نحو الهند والتمهيد لها بالصبر عليها إلا ما قاله « مارتن لوثر » عنهم فى هذه العبارة « إن فى رءوسهم عيونا غـريبة وأفكارا عجيبة » .

لعلنا بما تقدم نكون قد أعطينا فكرة عامة عن العهد الذى سبق الثورة . . أما الثورة ـ أسبابها وحوادثها ونتائجها المفزعة الدامية ـ فستكون موضع حديثنا المقبل إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

عضو بعثة الأزهر والمؤتمر الإسلامى فى الهند

---

[١] هو الأستاذ النبتيقى وكان موظفا بالاذاعة الهندية ، ومادة كتابه تقوم على الاشادة بمجد الهند وحضارتها القديمة ، وبعثها من جديد .

أعلم الصحابة بالحلال والحرام

هو وصف وصف به النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من شباب أصحابه عبقريا نهما فى طلب العلم بالحلال والحرام حتى بلغ فيه الغاية . لقد كان يفتى فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم فما ينكر عليه أحد من الناس ، ولا سيما بعد ذلك الوسام الذى منحه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد أضاف النبي إليه أوسمة أخرى : فأقسم له أنه يحبه ، وأطلعه الله سبحانه على أنه يأتى يوم القيامة أمام العلماء برتوة (خطوة) فأعلن ذلك فى صحابته الأكرمين ، ثم خلفه بمكة بعد الفتح ليفقه الناس ويقرئهم القرآن ، ثم بعثه إلى اليمن فى السنة العاشرة للهجرة وبعث معه بكتاب قال فيه : إنه من خيرة أهله وولى علمهم ودينهم ، وقد امتحنه السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه امتحانا زاده فيه ثقة وشرح صدره به حتى قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله .

روى علماء الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن واليا ومعلما وقاضيا قال له : بم تقضى إن عرض قضاء ؟ قال : بما فى كتاب الله . قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : أقضى بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم يكن ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو .

وهذه مناسبة كريمة أستطيع أن أحذر فيها فطانة القارئ الكريم من أن يخدع بما يقول المتحاملون المشوهون لحقائق حول الإسلام الدين الخالص السامى المصفى الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من أنه مقتبس أو بعضه من الفقه الرومانى ، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . وإنما هو دين تقعدت قواعده وتمت كلمته قبل أن يعرف المسلمون ما يقول الرومان أو غير الرومان ، مستقلا دقيقا فى أصوله ومبادئه مثريا فى تشريعه وحقائقه إثراء لا يسمح له أن يكون عالة على غيره ولكنه يسمح لغيره أن يكون عالة عليه ، وهذا سيد من سادات العلماء يسأله النبي صلى الله عليه وسلم : كيف يقضى ؟ فيقول إن قضاءه فى كتاب الله أو سنة رسوله أو الاستنباط من واحد منهما ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !

وبعد فإن ذلك السيد هو الإمام (معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى الخزرجى) الذى لم يتجاوز عمره نيفا وثلاثين سنة بنت له هذا المجد الذى جعل مثل عمر بن الخطاب ـ وهو الإمام الفقيه المظيم ـ يعترف له فيقول : لقد عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ . ويقول فيه وقد أذن له أبو بكر أن يخرج فى جهاد المشركين بالشام : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه ، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه ، فقال : رجل أراد وجها يريد الشهادة ، فلا أحبسه .

ولد معاذ بالمدينة قبل الهجرة النبوية بعشرين سنة أو خمس عشرة على اختلاف الروايات بين ذلك ، وشهد بيعة العقبة الثانية مع الأنصار ، ثم لزم غرز النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة يأخذ عنه ويسأله فى ذكاء عجيب وفقه واستخراج ودقة ، والحفظ شىء والفقه شىء آخر ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . فعاذ من أهل الفقه والإدراك السليم والكياسة حتى يشهد له عبد الله بن مسعود (وكان صاحب مدرسة فى الفقه والاستنباط) فيقول إن معاذ كان أمة قانتا لله حنيفا ، وقد كنا نشبهه بإبراهيم .

ويشهد له عبد الله بن عمرو بن العاص فيقول فيه وفى صاحبه أبى الدرداء : حدثوا عن العاقلين معاذ بن جبل وأبى الدرداء .

لزم هذا التلميذ المثقف النجيب صاحب الرسالة وتملق به تملقا جعله واحدا من أربعة جمعوا القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا كلهم من الخزرج ، وإذا قيل إن فلانا جمع القرآن فى عهد الصحابة فمعنى ذلك أنه كان عليما بما فيه ، لأن الحفظ يومئذ إنما كان عن دراسة ومعرفة بالمناسبات وأسباب النزول ، فهو حافظ ومفسر .

روى صاحب العقد الفريد [١] عن الخشنى يرفعه قال : تفاخرت الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : لنا غسيل الملائكة حنظل الراهب ، ومنا عاصم الأفلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ . فقالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

---

[١] جـ ٣ ص ٢٢٩ بتصحيح الأستاذ العريان وتحقيقه .

على أن معاذا ذلك الشاب العالم الخطير لقد كان من خيرة العاملين الصالحين حتى قالوا إنه شهد المشاهد كلها مع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو من أهل بدر وما أدراك ما أهل بدر ، ثم هو من أهل أحد والأحزاب وبيعة الرضوان و و . . . ويالها من مناقب أعيت حتى على كثير من الأصحاب الكرام .

وقد بلغ من حرصه على الاستشهاد فى سبيل الله أنه طلب من السيد الخليفة أبى بكر رضى الله عنه أن يخرج إلى الشام فى جيش أبى عبيدة كما سبقت الإشارة ، ذلك الجيش الذى ما يزال يجاهد فيه وهو خير عضد ومعوان لأبى عبيدة حتى كانت وفاته بطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة وعمره نيف وثلاثون سنة .

بعض صفاته :

قال محمد بن سعد : كان معاذ رجلا أبيض طوالا حسن الثغر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعدا قططا .

فأما منزلته فى العلم والدين والفقه فقد رأيت أنها منزلة الإمام الذى لايجارى فى معرفة الحلال والحرام ، وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث بين معرفة الحلال والحرام وبين القضاء فعلى كرم الله وجهه أقضى الصحابة ، ولكن معاذ أعلمهم بالحلال والحرام ، ومعنى ذلك والله أعلم أن معاذا أقوى فى الإفتاء والإجابة ولكن القضاء الذى امتاز به على موهبة تجعل صاحبها أقدر على الخروج من المآزق وأقوى على حل المشاكل وأذكى من غيره لاستخراج الحق بين دعوى المبطلين وانتحال المحتالين ، وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال « لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » فإن معنى ذلك أن القضاء مهمة من أخطر المهام وأحوجها إلى ندرة الذكاء وقوة العبقرية ، فهو شيء غير معرفة الحلال والحرام فى هدوء ويسر وبصر ، وهى مزية معاذ التى لا يبارى فيها باصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لها ، ولهذا كان يفتى والرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه كل آية فى كتاب الله ، وقد جعله إماما يصلى ببعض الطوائف فى حياته كما دل عليه الحديث الصحيح ، فان رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو أنه لايكاد يدرك الصلاة من تطويل معاذ فقال « أفتان أنت يا معاذ ؟ من أم بالناس فليخفف » الحديث .

وكان معاذ عالما يأخذ عنه الكثير من كبار الصحابة منهم عمر وابنه وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وأبو أمامة ، والكثير من التابعين وكبارهم من أمثال الأسود بن يزيد النخعى

ومسروق بن الأجدع وأبي مسلم الخولاني والأسود بن هلال وغيرهم ممن نقلوا الفقه وخرجوا الأئمة ، وقد بلغ عدد أحاديثه في الصحيحين فقط ١٥٧ حديثا .

قال أبو مسلم الخولاني دخلت مسجد حمص فاذا فيه نحو من ثلاثين من كهول الصحابة وفيهم شاب أكحل براق الثنايا ، فاذا امتروا في شيء سألوه ، فقالوا لي : هذا معاذ ونقل الذهبي مثله في التذكرة أيضا عن شهر بن حوشب وقال إن ذلك أول خلافة عمر .

فهو لم يدع العلم والإفادة به حتى أثناء جهاده في سبيل الله وقال أبو بحرية أيضا . دخلت مسجد حمص فاذا فتى جعد قطط ، إذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقالوا : هذا معاذ بن جبل .

وفي خطبة عمر المشهورة : من أراد القرآن فليأت أبيا ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيدا ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذا ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فان الله جعلني له خازنا وقاسما .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويقسم على ذلك وقد خرج معه لما بعثه إلى اليمن يشيعه ماشيا تحت راحلته وهو يقول : يا معاذ ، عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدي وبقبري ، حتى أبكاه وهو يقول له : لا تبك فان البكاء من الشيطان .

وكان في معاذ كرم وسماحة حتى كان لا يمسك شيئا ، وجدير بتلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا أزهد الناس في الدنيا وأحرصهم على الآخرة . وروى معمر بسنده إلى عبد الله بن كعب عن أبيه قال : كان معاذ شابا سمحا جميلا من أفضل شباب قومه وكان لا يمسك ، فلم يزل يدان حتى أغلق ماله كله من الدين ، فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل غرماءه أن يضعوا له ، فباع النبي صلى الله عليه وسلم ماله كله في دينه وقام بغير شيء ، حتى إذا كان عام الفتح بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أمير البحيرة .

وقالوا : إنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : أتبكي وأنت صاحب رسول الله وقد قال فيك كذا كذا ؟ فقال : ما أبكي جزعا من الموت حل بي ولا على ديون تركتها بعدي ، ولكن إنما هما القبضتان فلا أدري من أي القبضتين أنا .

ومعنى ذلك أن معاذا كان ممن يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ، وجدير بمن كان أمة قانتا لله ، وعالما بصيرا بحقوق مولاه ، أن يخشاه وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

ومن العجيب البديع ما يرويه في هذا المقام صاحب العقد الفريد (١) عن أبي خباب

(١) ٣ - ١٨٢

قال : لما احتضر معاذ قال لخادمته ويحك أهل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظرى ، فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار !

ثم قال : مرحبا بالموت . مرحبا بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم . اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لكرى الأنهار ، وغرس الأشجار ، ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظمأ الهواجر فى الحر الشديد ، ومزاحمة العلماء بالركب فى مجالس الذكر .

فمعاذ ليس ممن ألهاهم التكاثر بكرى نهر ولا غرس شجر ، ولكنه القوام الصوام ، كما تقرب إلى مولاه بذكر ذلك فى ساعة يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ، ومعاذ ممن يزاحمون العلماء تواضعا لله وهضما لنفسه حتى آخر لحظة من حياته .

* * *

وهذه بعض جمل مما ترك معاذ من تراث أدبى خالد مهذب ، روى عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال :

إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنة ، ولا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا الأئمة إلا غلظا ، ولا يأتيكم أمر يهولكم إلا حقره ما بعده .

وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم فتنة السراء ، وهى النساء إذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطاق . وليت شعرى ما يقول اليوم إذا رأى ما صارت إليه الدنيا ؟ ونسأل الله العفو والعافية .

ولما قبض أبو عبيدة فى طاعون عمواس الذى لم يمهله من بعده كتب معاذ إلى الخليفة ينعاه فكان مما قال : لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فأحتسب امرءا كان لك أمينا ، وكان الله فى عينه عظيما ، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا ، أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه وبالله نثق له ، كتبت لك وقد فشا الموت وهذا الوباء فى الناس ولن يخطئ أحدا أجله من الموت . ومن لم يمت فسيموت . جعل الله لنا ما عنده خيرا لنا من الدنيا إن أبقانا أو أهلكنا . فجزاك الله عن جملة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رحم الله الجميع وجعل لنا فى سيرهم الطاهرة خير عظة وذكرى وعبرة .

محمود النواوى

صور إسلامية :

عند ما أخرجنا من الأندلس

ما أظن أن صورة من صور التاريخ الإسلامى تهز النفس هزا عنيفا وتأخذ بالألباب وتثير الشجون وتدفع الدمع من المآق مدرارا ـ على كثرة ما فى التاريخ الإسلامى من صور باهرة لأحداث مخمة ـ كما تفعل صورة « أبى عبد الله » آخر ملوك الأندلس وهو فى طريقه إلى خارج غرناطة ـ آخر معقل من معاقل الإسلام ـ مقهورا مدحورا . وقد حمل معه زوجه وأمه ، وودع الأرض المقدسة راضيا بالذلة والمهانة ليسلم مفاتيح الحمراء إلى فرديناند فى طريقه إلى البشرات .

ما أقسى تلك الصورة وقد أشرف أبو عبد الله على منظر غرناطة واستدار على فرسه فوق الربوة ليسرح بصره لآخر مرة فى هاتيك الربوع العزيزة التى ترعرع فيها وشهدت سلطان آبائه ، ثم شهدت ذلته وهو خارج لا يلوى على شىء ... وقد ضاع كل شىء .

هنالك انهمر دمعه وأجهش بالبكاء ، وفاضت نفسه بالألم العميق عند ما تصور أنه آخر ملوك الإسلام فى الأندلس ، وأن التاريخ الإسلامى سيكتب له صفحة سوداء من الجبن والهزيمة قضت عليه بتسليم مفاتيح الملك العريض إلى الأعداء ، مخلفا شعبا كبيرا قد وقع فى براثن الخصوم المتعصبين الذين أذهلتهم نشوة النصر فأعملوا فيه سحقا وتنكيلا ، غير أن عائشة لم تدعه يمضى فى تأملاته ودموعه تنساب على صفحة وجهه إذ أسرعت تقول له : « ... أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال » .

وما تزال تلك الأكمة تسمى « زفرة العربى الأخيرة » .

ومضى أبو عبد الله إلى البشرات فأقام فيها ما شاء الله له أن يقيم ، ثم انحدر إلى الساحل وجاز البحر والتجأ إلى بلاط فاس وعاش أعواما طوالا تملأ نفسه الحسرات وآلام الندم ، حتى توفى بعد ذلك بأربعين عاما .

ولا بد أن أبا عبد الله سمع أنباء المسلمين بعد خروجه ، وكيف حل بهم قضاء أعنف من القضاء نفسه ، وقد امتد هذا القضاء أكثر من قرنين من الزمان للقضاء على آخر « مسلم » في أرض الأندلس .

كان ذلك اليوم الذى خرج فيه « أبو عبد الله » من الأيام المظلمة الشديدة الظلام ، فقد استيقظ أهل قصر الحمراء مبكرين ذلك اليوم ، يجمعون مخلفاتهم وأموالهم ونفائسهم ، والبكاء يرن في حنايا القصر وأبهائه . . والوجوم يسود الوجوه . . والألم يغص به كل حلق .

وغادر السلطان القصر ومعه أمواله وأمتعته وأهله وصحبه القلائل وفريق من الفرسان ، وامتطت أمه الأميرة عائشة صهوة جوادها حزينة موغلة في الحزن . . كما ركبت زوجة السلطان . واخترق الركب غرناطة في صمت ، والناس يتطلعون إلى هذا الميت الحى الذى خلف لهم غدا غامضا مبهما ، فيه الوحشة الموحشة والقضاء الأسود .

وكان حصار فرديناند قد استمر أكثر من عشرة أشهر لغرناطة كعمل عسكرى نهائى لتسلم آخر معاقل المسلمين ، وكان في استطاعة أبى عبد الله ومن حوله من الفرسان أن يدافعوا عن معقلهم الأخير حتى الموت وألا يسلموه بمثل هذه السهولة . !

ولكن قادة غرناطة إذ ذاك كانوا قد بلغوا مبلغهم من الرخاوة والترف ، فلم تعد تملأ أنفسهم تلك العزيمة الصارمة التى كانت تقاوم الأحداث والخصوم دون أن تبالى المصاير ، وهو نفس المعنى الذى صوّره الفارس موسى بن أبى الغسان عندما رأى القادة يسجلون وثيقة التسليم : قال « . . لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم لكم ، ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم . إن الموت أقل ما نخشى ، فأمامنا نهب مدينتنا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا وخراب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا . وأمامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشى والسياط والأغلال . وأمامنا السجون والأنطاع والمحارق . هذا ما سوف نعانى من مصائب وعسف . وهذا ما سوف تراه على الأقل هذه النفوس الوضيعة التى تخشى الآن الموت الشريف . أما أنا فوالله لن أراه » . . ثم غادر المجلس ومضى . . يبطش بفرسان العدو حتى قتل منهم عددا كبيرا في معركة ضخمة جرح فيها وسقط جواده من تحته قتيلا . فمضى يطعن بخنجره ويدافع عن نفسه . فلما خاف أن يقع في يد خصومه ارتد إلى الوراء وألقى بنفسه في النهر .

لله ما أبعد الفرق بين الصورتين والرجلين .

* * *

وصورة أخرى تبدأ بعد خروج أبى عبد الله وتتكرر خلال قرن كامل ، لقد سلمت غرناطة فى ديسمبر سنة ١٤٩١ ، وفى ديسمبر ١٦١٠ خرج آخر عربى من الأندلس ...

هذه الصورة هى منظر العرب المسلمين وهم يخرجون فزعين هاربين من وجه الظلم والقتل حاملين ما يستطيعون حمله .. رجال ونساء ، وشيوخ عجائز وأطفال صغار يجرون أذيال الألم والحزن والفقر ، يركبون بعض الدواب أو يسيرون حفاة فى الرمال التى تحرق أقدامهم بنارها .. وقد ربطوا فى رقابهم مفاتيح بيوتهم التى غادروها بأمل العودة يوما قريبا إلى هذه الدور ، وما تزال هذه الأفواج تتعدد وتتوالى ويمسى عليها الليل فتبيت فى العراء ، قد تجد مايبل ظمأها ويسد رمقها أولا تجد فتتلوى على الجوع أياما وليالى طويلة ، حتى تصل إلى الشاطئ فتجوز إلى المغرب .

لقد استمرت هذه الصور تتكرر يوما بعد يوم فى مدى أكثر من تسعة عشر ومائة من الأعوام حتى بلغ عدد من هاجروا أكثر من ثلاثة ملايين عربى ، كان الفوج الأخير منهم الذى أخرج عام ١٦١٠ أكثر من نصف مليون .

وإذا كان هذا عدد من هاجروا فكم عدد الذين أحرقتهم محاكم التفتيش وقتلوا غيلة وذبحوا كالأغنام .

وعلى مر هذه الأعوام منذ سقطت غرناطة والعرب يقاسون فزعا وذلا وظلما لا حد له ولا عهد لهم به ، فهم غرباء فى الديار التى كانوا سادتها وحكامها ، وهم مراقبون ، جماعات فقيرة لا تملك شيئا إزاء العذاب الذى صبه الفرنجة عليهم صبا فى صور مختلفة من الإعنات والظلم والغدر ، وهم إلى هذا الفقر والظلم أقوياء فى عقيدتهم وإيمانهم لا يستسلمون ولا يذلون ، وإنما يقاومون ظلما مهولا وحربا طاحنة ونارا متقدة يقاومونها بأجسادهم إذا أعوزهم السلاح ، والقرى تحرق بهم حرقا ، والدخان يرسل إلى كهوفهم حتى يموتوا أو يخرجوا ليقتلوا ، وهم مع هذا كله لا يستسلمون ، يهاجرون ما استطاعوا إلى ذلك خفية ، ويقاومون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ويفرض عليهم دين جديد غير دينهم ويرغمون عليه بالتعذيب والمثلة ، ومع ذلك يظل

كل منهم مؤمنا بدينه الأول يؤدى فرائضه خفية ويحتمل فى سبيله كل شىء ، والمطاردة والوشاية تلف كل مكان وكل شىء . . دون أن ينال ذلك من النفس العربية المؤمنة شيئا .

ورفع محمد بن أمية لواء الثورة ، وجمع حوله الناس وصرق على الفرنجة واقتحم عليهم كل مكان وتحصن بالجبال ، وجردت له قوات ضخمة فوقف أمامها وأدال منها حتى اضطر خصومه إلى طلب المفاوضة .

أكره المسلمون على التنصر ، وأكرهوا على الهجرة تاركين ثرواتهم وأرضهم ، ورفعت النواقيس فى صوامع المآذن . ومع ذلك فقد ظل الذين ارتدوا تقية موضعا للارهاق . وأغلقت المساجد ، وحظر على أهلها إقامة شعائر الإسلام ، ومضت حملة التشريد والإبادة فى طريقها ، ومضت المقاومة فى طريقها ممتدة على الأيام والشهور والأعوام فى غرناطة والبشرات والبيازين . حدث هذا كله بالرغم من العهود المضللة التى قطعها فرديناند على نفسه والعقود التى وقعها . . وصدق الفارس بن أبى الغسان الذى كان كأنما يقرأ لوح القدر . ذلك أنه كان يعلم أن الفرنجة لا وعد ولا عهد لهم ولا ضمير ، وأنهم كانوا كذلك فى تاريخهم كله مثلا للغدر والظلم والنكث بالعهود والتآمر ، على هذه العناصر كلها قامت حضارتهم ومضت أساليبهم فى الفتح والاستعمار . وبقى للاسلام شرف الكلمة والكرامة والصمود معا

أنور الجندى

احتفال الأزهر بالهجرة

احتفلت مشيخة الأزهر بذكرى الهجرة النبوية الشريفة واستقبال العام الهجرى الجديد ، وذلك فى ساحة الرواق العباسى ، حيث اجتمع عدد كبير من علماء الأزهر وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وكثير من الطلاب وطوائف الجماهير ، كما شهده ممثلو السفارات والمفوضيات الإسلامية .

وألقى كلمة الاحتفال فضيلة الشيخ محمد الطنيخى ، المدير العام للوعظ والإرشاد بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء ، وقد تحدث فيها عن أسرار الهجرة الإسلامية ، وجهاد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فى سبيل إظهار دعوته . وتلاه فضيلة الشيخ محمود طيره فألقى قصيدة كريمة .

ودعا فى ختام كلمته أن يوفق الله جمهورية مصر وعلى رأسها القائد الوطنى الكريم الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن يوحد كلمة العرب والمسلمين .

ثم وزعت الحلوى فى نهاية الاحتفال على المدعوين ، وختم كما بدئ بتلاوة آى الذكر الحكيم .

بشائر العام الهجرى الجديد

أشرقت على البلاد شمس حياة نيابية جديدة كان الشعب المصرى يحترق إليها شوقا ويهفو بقلبه إليها حنانا ووجدا ، فالشعب المصرى ككل الشعوب تواق إلى أن يحكم من طريق الجماعة بعد أخذ رأيه فيها ، وحتى فى عهد الحكومات السابقة التى كانت تغلب عليها الأثرة كان يجب أن يحكم من طريق الشورى الشعبية . وقد اتضح لكل ذى عينين أن حكم الشعوب عن طريق القوة والإعنات من شأنه أن يورث الأحقاد والأضغان على حاكيه . وفى تاريخ القرن العشرين أمثلة ماثلة فموسولينى وهتلر حكما شعبيهما بطريق النار والحديد ، فأتى الله بنيانهما من القواعد .

إذن فالشورى مبدأ المبادئ وأساس الأسس ، أول من أخذ بها الإسلام ونادى بها كمبدأ منقذ للبشرية من جبروت الحاكمين يؤصل فى الشعوب الإيمان بحقوقها وينشر بينها مبدأ العدل والإخاء والمساواة ، كما قال شاعر العرب السيد عبد المحسن الكاظمى :

ملوك على كل الملوك ثلاثة	لها الحكم دون الناس فى الفتق والرتق
وأقسم أنى لا أكون لغيرها مطيعا	ولو من أجلها ضربت عنقى

فالحياة النيابية أقرها القرآن فقال « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فحكم الشورى مبدأ معترف به فى الإسلام ، بل فى جميع الأديان قديمها وحديثها وقد أطبق علماء القانون الدستورى على أن جميع السلطات مصدرها الأمة ، فجاء دستور البلاد مؤيدا لهذه النظرية العامة وهو ينص على أن الأمة هى مصدر السلطات .

وبهذه المناسبة نحب أن نقدم إلى جمهرة قراء هذه المجلة بحثا عن حياة الشورى (الديمقراطية) وعلى رأس الأزهر والمعاهد الدينية رجل نهل من ثقافة الغرب وأحاط بمكنونها ودقائقها هو شيخ العلماء وشيخ الجامع الأزهر .

كان الملوك ولا سيما فى فرنسا يذهبون إلى أن سلطانهم مستمد من الله ، وأنهم لا يقدمون حسابهم إلا ، إليه وأن ليس على الشعوب إلا الطاعة والرضوخ .

ولقد كان من الطبعى على الكتاب الذين آمنوا بحقوق الشعوب ونظام الشورى أن يتخذوا من المبدأ الديمقراطى أداة لمقاومة استبداد هؤلاء الملوك ، وعلى هذا الأساس عادت النظرية الديمقراطية إلى الظهور كسلاح فى وجه حكم الفرد ، ولم يكن الغرض منها استخدامها لعزل الملوك وإنما لحد من سلطانهم .

ولعل أول مثل لاستخدام هذه النظرية وجد بفرنسا عند ما اجتمعت الهيئات العمومية عام ١٤٨٤ فى عهد الملك القاصر شارل الثامن ، فقد صرح فيليب يو بأن : « الشعب هو صاحب السلطة ، وهو الذى يهبها للملك ، وعلى ذلك فما دام الملك قاصرا فالشعب ممثلا فى الجمعيات العمومية ـ لا الأمراء ـ هو صاحب الحق فى تنظيم الوصاية » .

وعند ما قامت الحروب الدينية فى القرن السادس عشر أخذ كل من الكاثوليك والبروتستانت بحسب الظروف يتمسك بالمبدأ الديمقراطى ضد استبداد الملوك ، وفى هذا العصر زاد المبدأ وضوحا وبدأ الكتاب يرجعون الديمقراطية إلى فكرة العقد ، فالشعب هو صاحب السيادة أصلا إلا أنه تنازل عنها للملك بشروط خاصة ، فاذا ما أخل الملك بهذه الشروط فسخ العقد وعادت سلطة الملك بلا أساس قانونى ، وغدا عاهلا ظالما ليس على الشعب له الطاعة بل وتحل مقاومته والتخلص منه .

يتضح مما تقدم أن الديمقراطية حتى القرن السابع عشر كانت تتلخص فيما يلى :

١ ـ أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية .

٢ ـ أنه يتنازل عنها أو بعبارة أصح عهد بها إلى ملك .

٣ ـ أنه يستطيع استرداد هذه السلطة فى ظروف معينة .

وقد أدى ازدياد الاستبداد فى عهد لويس الرابع عشر والخامس عشر إلى تقوية المبدأ الديمقراطى تقوية أدخلته فى عداد المبادئ السياسية ، ولم يلبث أن ظهر بعد ذلك ضمن مبادئ القانون العام الحديثة .

ولقد نادى كتاب ذلك العهد ـ القرن الثامن عشر ـ بفكرة جديدة هى فكرة عدم قابلية السيادة للتنازل عنها ، بينما أخذت فكرة التعاقد مع الملك فى التلاشى فلم يعد الملك طرفا فى العقد ، بل أصبح مندوبا عن الجماعة .

ونظرية العقد الاجتماعى Contrat social التى تنسب بصفة خاصة إلى جان جاك روسو والتى تفترض وجود حالتين :

أولا : حالة طبيعية Etat de nature سابقة على وجود الجماعة المتمدينة لم يكن الفرد فيها خاضعا لأى سلطان ، بل بالعكس كان متمتعا بحرية كاملة مطلقة . هذه الحالة الطبيعية كان يسلم بها أنصار المدرسة الطبيعية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ثانيا : عقد اجتماعى Contrat social صريح أو ضمنى أنهى به الأفراد حالتهم السالفة راغبين فى الخروج منها لتكوين أمة Nation فأقاموا باتفاقهم الإجماعى سلطة أعلى من سلطة الأفراد هى سلطة الفرد المشترك ، أو بعبارة أخرى هى « سلطة الأمة » .

ويرى روسو أن السلطة لا يمكن أن تكون شرعية Lé gitime إلا بالاتفاق الصريح السابق على وجودها . ولذلك فهو لا يعترف بسلطة الأسرة ولا بسلطة طبقة خاصة ولا بسلطة الفتح ولا بسلطة الأسياد على العبيد ـ وعلى هذا الوضع فالعقد الاجتماعى لم ينشئ السلطة بل أنشأ الأمة أيضا .

وكما هو واضح من هذا الشرح التاريخى نجد أن الديمقراطية إلى عهد روسو أى إلى القرن الثامن عشر لم تكن سوى نظرية فلسفية يراد بها الحد من سلطة الملوك .

الثورة الفرنسية تجعل من الديمقراطية مبدأ قانونيا :

عندما اجتمعت الهيئات العمومية فى ١٧ يونيو ١٧٨٩ أراد نواب العامة على أثر خلاف بينهم وبين الأشراف ورجال الدين ، أن يجعلوا مبدأ سلطان الأمة أساس عملهم فأطلقوا على أنفسهم اسم « الجمعية الوطنية » وأعلنوا أنهم مكلفون بتمثيل إرادة الأمة العامة La volonté général de la nation .

وقد كان هذا الانفصال الناجح انتصارا كبيرا لممثلى الشعب ، ولم يأت يوم ٢٦ أغسطس فى السنة نفسها إلا وقد صدر إعلان حقوق الإنسان الذى نص على أن مبدأ السيادة يتركز فى الأمة .

وقد أضافت المادة السادسة من إعلان حقوق الإنسان نفسه « القانون هو التعبير عن إرادة الأمة » .

وقد عاد مبدأ سيادة الأمة فتكرر فى إعلان حقوق الإنسان الصادر مع دستور ١٧٩٣ فنصت المادة الخامسة والعشرون على أن « السيادة تتركز فى الشعب ، وهى غير قابلة للانقسام ولا يمكن ضياعها بالتقادم ولا التنازل عنها » .

وقد جاء بإعلان حقوق الإنسان و واجباته الملحق بدستور السنة الثالثة بالمادة السابعة عشرة « السيادة تتركز أصلا فى مجموع المواطنين » .

وهكذا جعلت الثورة الفرنسية من المبدأ النظرى الفلسفى قاعدة قانونية عامة تبت عليها القانون العام الحديث بل وسرت مبادئ الثورة الفرنسية إلى الممالك المجاورة ، تنفث سحر مبدأ سلطان الأمة الذى وجد مرتعا خصبا فى جميع الملكيات المستبدة فقضى على أغلبها سريعا .

ولعل مبدأ سيادة الأمة لم يجد سرعة فى الانتشار كسرعة انتشاره عقب الحرب العظمى الأولى ، فقد أخذت به جميع الدساتير الحديثة على وجه التقريب .

(يتبع) عباس طه

المحامى

العربية فى اللغة الفارسية

خطب كبير علماء الأدب العربى فى القارة الهندية الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى حفلة تكريم أقيمت له فى مكة ، ومما قاله : إن الشعر الفارسى لم يوجد ولم يولد إلا فى أحضان الشعر العربى ، وأقدم شاعر فارسى كان فى القرن الرابع الهجرى . وعلى غرار الشعر العربى وقوافيه وأهدافه كان شعراء الفرس ينظمون . وإن بلاد فارس (إيران) كانت فى القرن الهجرى الأول والثانى بلاد عروبة ، فكان العامة والخاصة فيها يتكلمون باللسان العربى . فلما داخلتهم روح (الشعوبية) فيما بعد رجعوا إلى التحدث باللسان الإيرانى ، لكنهم اضطروا لإدخال مئات الصيغ العربية فيه ، واستدل على هذا بأدلة من الشعر العربى والروايات العربية القديمة التى كان يحاضر بها من ذاكرته القوية .

تحية العام الهجرى الجديد

الفجر لاح بمشهد فتان … فى لوحة ، جلت يد الفنان
يا مطلع العام الجديد ، تحية … من كل قلبى ، لا بطرف لسانى
جددت ذكرى فى النفوس كريمة … تحتل فى العليا أعز مكان
ذكرى الذى أبلى ليصنع أمة … قد وحدت ، من عابدى الأوثان
ذكرى النبىّ غدا يهاجر مكرها … يحمى رسالته من العدوان
ورفيقه الصديق فى الغار الذى … شملته فيه عناية الرحمن
نسجت خيوط العنكبوت ببابه … فكأنه خال من الإنسان
والقوم قد وقفوا حيارى هالهم … وأغاظهم أن يفلت الرجلان !
ويميل صاحبه ويهمس قائلا … ماذا لو امتدت لنا عينان ! ؟
فيجيبه الهادى إجابة واثق … من نصرة المولى بغير توان
لا تحزنن ، فالله ثالثنا ترى … كبنا عنايته ، بكل مكان
وإذا العناية لا حظتك عيونها … فإليك لا تمتد قط يدان ! !

• • •

لك يابن عبد الله أروع قصة … قد كنت فيها أعظم الشجعان
جاهدت فيها أمة وثنية … بل دولة الطاغوت والطغيان !
ولقيت منهم شر ما يلقى الفتى … من بطش جبار عنيد جانى
فصبرت صبرا ، ما لغيرك مثله … ودفعت بالحسنى ، وأنت تعانى !
قلب كبير ، لا يغالبه الأسى … ماض بعزم ثابت الأركان
زادوه إيذاء ، فزاد تسامحا … وتلطفا ، شأن العظيم البانى
حتى إذا ما الظلم جاوز حدّه … شد الرحال بدافع الإيمان
ومضى ليثرب ، حيث كان صحابه … الأنصار فيها ، خيرة الإخوان
لا قوه بالبشر العظيم وقدموا … لله آى الحمد والشكران
وأقام بينهم الرسول مشرعا … ويمده مولاه بالقرآن

ولقد تآخى المسلمون بيثرب ... وتسابقوا فى البر والإحسان
كانوا ـ وبينهم الرسول معلما ... وموجها لخير ـ عقد جمان
لم ينفرط رغم الخطوب لأنه ... عقد متين ، نظمه ربانى !
وإذا ترابطت القلوب فحلها ... أمر عسير ، ليس بالإمكان ! !

• • •

ولكم تمادى الشرك فى غلوائه ... ولكم طوى كشحا على العدوان
ولكم أثار الحرب ضد محمد ... ولكم هنالكم التقى الجمعان !
ولكم أراد الشر يفتح بابه ... فيبوء منه بأكبر الخسران
حتى أتى اليوم الأغر المرتجى ... يوم انمحاء الشرك والبهتان
يوم تسامى الحق فيه إلى الذرا ... والجيش من بطحاء مكة دان
هذا رسول الله أقبل جيشه ... لجبا يزلزل دولة الشيطان !
هذا رسول الله يدخل فاتحا ... والشمس ساطعة على الأكوان
والجيش يزحف فى تجيج جنوده ... وصهيل خير كتائب الفرسان
وملائك الرضوان حفت بالألى ... مضوا لترفع راية القرآن
دخل الرسول البيت أروع ماجدا ... والشوق غالبه من الحرمان
ومضى يطهره من العار الذى ... جروا عليه ولوثة الأوثان ! !
ورءوس مكة يشهدون مصارع الـ ... أصنام فى ذل المهيض الوانى !
جلسوا بجانبه على جمر الغضى ... يتنابهم فزع الأثيم الجانى
لكنه والصفح شيمته ـ عفا ... عفو الكريم القادر الإنسان ! !
وتوافدت أفواج مكة تعلن الـ ... إسلام فى صدق وفى إذعان !
واعتز دين الله بالفتح الذى ... غمر القلوب بعامر الإيمان !
والحق غلاب وإن طال المدى ... والباطل المفضوح للخذلان
والصبر فى ظلم الخطوب ينيرها ... ولكم به نيلت منى وأمانى ! !

محمود ابراهيم طيره

مفتش الوعظ العام بالأزهر ورئيس بعثة الصومال



صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني - ١٥٨ ص - مطبعة الاتحاد الشرقي بدمشق

الأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من الأفراد المنقطعين لخدمة السنة المحمدية ، وكتابه هذا (صفة صلاة النبي ﷺ - من التكبير إلى التسليم - كأنك تراها) سبق طبعه منذ عهد قريب ، ثم جدد طبعه الآن مضيفاً إليه تخريج أحاديثه ، وشرح غريبه ، وتوضيح بعض مسائله وعزوها إلى قائليها من أئمة المذاهب وغيرها .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وبشر من صلاها كصلاته أن له عند الله أن يدخله الجنة ، وقد ترتب على ذلك أن يكون من ضروريات المسلم معرفة صفة صلاة النبي ﷺ كما كان يصليها ، وقد قام بهذا الواجب الإسلامي رجل من المسلمين هو أهل لهذه المهمة ، فاستعرض ما حفظته لنا دواوين السنة من ذلك بأمانة ودقة وبصيرة على طريقة أهل العلم بهذا الشأن . وقد عرف الناس له قدر عمله فأقبلوا على الطبعة الأولى حتى نفدت نسخها ، وسيقبلون إن شاء الله على طبعتها الثانية وينتفعون بها ، فما كل الصلاة تدعى صلاة ، وفي الحديث : « إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها عشرها ، تسعها ، ثمنها الخ » . وإن الصلاة الكاملة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ويصلح الله بها جماهير المسلمين .

مذكرة عن خليج العقبة

ومطامع اليهود السياسية والاقتصادية في حوض البحر الأحمر وشرق افريقية

للهيئة العربية العليا ، وسماحة رئيسها الجليل السيد محمد أمين الحسيني ، فضل كبير في إيقاظ العرب والمسلمين إلى نواحي الخطر الذي يتهدد كيانهما بدسائس اليهود والذين يحطبون بحبلهم من أقطاب الاستعمار الآفل . وبين يدينا الآن هذه المذكرة عن خطر اليهود من ناحية

خليج العقبة وما يرمون إليه من خطط بعيدة للوصول حتى للمدينة المنورة فى المستقبل فضلا عن مطامعهم السياسية والاقتصادية فى حوض البحر الأحمر وشرق افريقية ، وهى مؤامرة استعمارية يهودية لفصل العرب فى آسيا عن إخوانهم فى افريقية .

ومع هذه المذكرة خريطتان مفصلتان لمطامع اليهود وأهدافهم السياسية التى أشارت إليها المذكرة وأوردت الأدلة والمعلومات الكافية لبيانها ، فنرجو الله أن يمنح كيان العروبة والإسلام القوة العاجلة لدرء هذه الأخطار والتنكيل بأصحابها ، كعادته فى أمثال ذلك من قبل .

الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة

لعز الدين ابن شداد ـ بتحقيق الدكتور سامى الدهان ـ ٤٧٢ ص ـ طبع بيروت

هذا كتاب نفيس من نوادر تراث السلف ومن أجمع ما ألف فى موضوعه عن جغرافية الديار الشامية وتاريخ أمصارها والإلمام بما ينبغى معرفته عنها . قال ناشره الدكتور سامى الدهان : « ولا أعرف مؤرخا فى العرب القدماء عمل للشام كلها كما عمل ابن شداد فى خطة واضحة وتنظيم بين ، فكأنه شبيه بالمعاصرين من العرب والغربيين ، يكتبون فى قطر معين وفى إقليم محدود ، فيرسمون المنهج ، ويعملون عن الهدف . . وعبثا بحثت عن كتاب فى العربية لفلسطين الجريحة والأردن الجميلة والجزيرة الخصبة ، فلم أجد كتابا يقوم مقامه ، على كثرة التأليف ووفرة الدراسات » . وكانت أجزاء هـــذا الكتاب المخطوطة موزعة فى لنغراد ولندن وليون وروما واستنبول وحلب .

وعز الدين بن شداد من أعلام القرن السابع الهجرى (٦١٣ - ٦٨٤) ، وهو غير القاضى بهاء الدين بن شداد (٥٣٩ - ٦٣٢) مؤلف سيرة صلاح الدين الأيوبى ، ومتأخر عنه نحو نصف قرن ، وكما كان القاضى بهاء الدين من أعلام الدولة الصلاحية فقد كان مؤلف الأعلاق الخطيرة من وزراء الملك الظاهر وابنه الملك السعيد . وألف كتابه الأعلاق الخطيرة بين سنتى ٦٧١ و ٦٨٠ .

والجزء الذى اختاره الناشر الآن من أجزاء الأعلاق الخطيرة هو الخاص بتاريخ مدينة دمشق إلى سنة ٦٧٤ ، وهو كتاب مستقل فى بابه ، وترتيبه فى الكتاب الجزء الثانى ، أما الأول منه فى تاريخ مدينة حلب ، والثالث فى تاريخ الجزيرة وأقسامها . وقد استوعب

ما نشر الآن من تاريخ مدينة دمشق القسم الأول منه وعنوانه (محاسن دمشق) ، ذكر فيه اشتقاق اسمها وذكر من بناها وعدة أبوابها وقلعتها وذكر مسجدها الجامع وسائر مساجدها والمزارات باطنها وظاهرها والخوانق والربط والمدارس والكنائس والأنهار والحمامات ، وختم هـذا القسم بذكر فضلها وما مدحت به نثرا ونظما . وسيكون القسم الثانى خاصا بأنهارها وقنواتها وجبالها وما اشتمل عليه جندها من البلاد ، وذكر بلاد جند الأردن وبلاد جند فلسطين وما فيها من المزارات . وفى القسم الثالث ذكر أمراء دمشق ومن ملكها من أيام الفتح إلى سنة ٦٧٤ .

وقد تولى إصدار الكتاب المعهد الفرنسى للدراسات الإسلامية بدمشق ، واعتمد ناشره الدكتور الدهان فى تحقيقه وطبعه على مخطوطتى لندن وليدن وقد وصفهما ونشر صور نماذج منهما وذيل الكتاب بخمس فهارس علمية وافية . فشكرا له ، ونرجو أن يوفقه الله إلى نشر الكتاب كاملا إن شاء الله .

الشيخ المراغى بأقلام الكتاب

للأستاذ أبى الوفا المراغى — ٢٩٥ ص — المطبعة المنيرية بالقاهرة

شخصية الشيخ المراغى (١٢٩٨ - ١٣٦٤) كما يقول شقيقه المؤلف : « شخصية تاريخية خصبة سينضجها الزمن حتى تبدو للناس يانعة ناضجة » . وقد رأى المؤلف - إلى أن تتاح الفرصة لإخراج صورة كاملة لتاريخ الشيخ المراغى - أن يجمع ما كتب عنه بمناسبة وفاته وذكرياته بما دبجته أقلام الكتاب ، فأصدره فى كتاب مستقل ليكون فى المستقبل مصدراً لمن يعالج كتابة تاريخه . قال : « وقد جمعت تلك المقالات أهم العناصر التى تكون ذلك التاريخ ، هذا إلى أنها معلومات صحيحة صادقة كتبها كتاب معاصرون له لم تعمل فيها يد الزمان بالعبث والتحريف . وإنه أمهل له خطره التاريخى لمن يعالج تراجم الرجال » .

وقد صدر الكتاب بصورة الشيخ ، وافتتحه بعد المقدمة بترجمته الرسمية ، يليها فصل بقلم المؤلف عن الشيخ المراغى والأزهر ، وبعده خطبة فمذكرة للشيخ عن إصلاح الأزهر ، فما كتبه الكاتبون مما هو موضوع الكتاب ، وبآخره نماذج من دروس الشيخ وخطبه وأحاديثه .

شعر حفني ناصف

جمعه الأستاذ مجد الدين حفني ناصف — ٢٦٤ ص — دار المعارف بمصر

حفني ناصف (١٢٧٢ — ١٣٣٧) كوكب لامع من الكواكب التي طلعت من أفق الأزهر ، ورجل عظيم من رجال دار العلوم ، ومفخرة من مفاخر العلم والفكر والنبوغ في مصر . قال عنه ابنه الأستاذ مجد الدين : « ليس من اليسير أن أؤرخ لأبي ، ولا سيما إذا أردت أن أبين في وقت معا أنه شاعر ، ناثر ، زجال ، ظريف ، بليغ ، نحوي ، مؤرخ ، عالم محقق ، قانوني ، مجاهد ، وطني ، اجتماعي ، صحفي ، رياضي ، إنساني ، شخصيته لم تعد مقصورة على ناحية بعينها كما هي الحال بالنسبة لكثير من خدام التاريخ » .

وشعر حفني ناصف من نوابغ شعرنا المصري ، ومن العجيب أن يتأخر تدوينه إلى اليوم ، فهو في نفسه قطعة من تاريخ مصر ، ومن تاريخ الأدب في مصر ، فضلا عن أنه قطعة من نفس هذا النابغة من نوابغ مصر ، ولا ريب أن ماجاشت به شاعرية حفني ناصف في حياته أضعاف ما أمكن جمعه ونشره في هذا الديوان ، وأكثره من شعره الباكر ، ويقول ابنه الأستاذ مجد الدين : إن الذي ضاع من شعر والده في ثورة سنة ١٩١٩ نتيجة لتفتيش السلطات المنزل تفتيشا مطردا قد تبدد معه أكثر مخلفات حفني ناصف الأدبية والعلمية .

ولعل وزارة التربية والتعليم تعنى بتثقيف أبنائنا بهذا اللون من أدبنا الناضج فتيسر انتشاره في مدارسنا . وعسى أن يعمل الأستاذ مجد الدين بإصدار « نثر حفني ناصف » وبقية آثار والده العلمية .

ويجمل أن يتعاون الأزهر ودار العلوم وكلية الآداب والقضاء على إحياء ذكرى حفني ناصف ، فنقترح أن يختار ليوم هذه الذكرى التاريخ العربي الذي كان يحبه حفني ناصف وكل من نشأ على العروبة والإسلام كنشأة حفني ناصف . رحمه الله وأكرم ذكراه .

في ظلال الاسلام

ثلاثة مؤلفين — ٣٢٠ ص — دار العهد الجديد للطباعة

هذا الكتاب مجموعة فصول ودراسات كتبها أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمود

أمين النواوى المفتش بالأزهر ، والشيخ محمد عبد المنعم خفاجى ، والشيخ محمود فرج العقدة الأستاذان فى كلية اللغة العربية ، وكثير من فصوله ليس بغريب على قراء المجلة.وفى التصدير الذى كتبه المؤلفون لكتابهم دفاع عن علماء الأزهر وموقفهم من غزو الاستعمار الثقافى والفكرى للعالم الإسلامى ، وأن واجب العلماء يحتم عليهم أن يقولوا ، وليس عليهم أن يشرعوا وينفذوا . ثم وصفوا الكتاب بأنه صور ودراسات إسلامية تقصد إلى شرح الإسلام ومبادئه وأصوله شرحا واسعا ، ومعها تراجم لعدد من أعلام الإسلام ممن هم موضع القدوة الطيبة فى تاريخ الإسلام الدينى والسياسى والعقلى .

والمؤلفون الثلاثة من كتاب هذه المجلة ، وقد عرف قراؤنا أساليبهم ، ومناطق دراساتهم فلا نزيد القراء تعريفاً بفضلهم وتقديراً لما يكتبون .

فارس الاسلام سعد بن أبى وقاص

الأستاذ حسنين آدم حسنين - ١٣٥ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

كتاب لطيف يجلو حياة هذا الصحابى الفاتح الجليل ، منذ نشأته الأولى وكيف التحق بكتيبة الإسلام فى بداية تكوينها ، وماله من المواقف فى تأييد هذه الدعوة والجهاد فى سبيلها فى مكة قبل الهجرة ، وفى مواقف الإسلام الكبرى بعدها ، وفى الفتوح العظمى فى ظل الخلافة العمرية .

إن حياة سعد بن أبى وقاص قطعة من حياة الإسلام نفسه فى صدره الأول ، وجهاد سعد بن أبى وقاص مثال كامل لمعجزة الإسلام فى جهاده الإنسانى لإعلاء كلمة الله والتنكيل بالطغاة والطغيان .

وقد كتب لهذه الرسالة مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة ، إعجابا منه بإخلاص مؤلفها وصدق إيمانه فلفتت إليها الأنظار .

الأدب والعلوم

للمصاحف من الخارج
عرضها على مشيخة الأزهر

أصدرت لجنة تعديل القانون الجمركى قراراً بتعديل فقرة من قانون الجمارك بأنه لا يجوز إدخال مصاحف القرآن الشريف من أية طابعة كانت إلا بعد العرض على إدارة المطبوعات لاستطلاع رأى مشيخة الأزهر .

التربية والتعليم بمصر
قبل الثورة وبعدها

من أهم ما تضمنه خطاب الشعب الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الأمـــة الفقرات التالية عن التربية والتعليم فى مصر بعد الثورة مقارنة بما قبلها :

فى العام السابق للثورة بنيت فى مصر ٣ مدارس جديدة .. وفى سنوات الثورة الخمس . بلغ مجموع ما بنى من المدارس ١٢٣٥ مدرسة .. أى بمعدل ٢٤٧ مدرسة كل عام .. أى بمعدل مدرستين كل ٣ أيام .

وفى السنوات الخمس السابقة على الثورة بلغ ما صرف على بناء المدارس ٢٥ مليون جنيه .. بالإضافة إلى مليونين ونصف مليون أنفقا على تجديد مدارس قديمة .

وفى أول سنة للثورة ، وصلت ميزانية التعليم إلى ٢٦ مليون جنيه .. ثم قفزت إلى ٣٦ مليون جنيه .. وفى هذا العام وصلت إلى ٤٥ مليون جنيه .

وكان عدد الطلبة العرب والشرقيين فى معاهدنا ١٦٧٦ وعددهم الآن ٨٥٣٤ .

وكان لنا فى البلاد العربية ٦٩٠ مدرساً ولنا الآن ١٦٧٦ مدرساً .

وكان عدد تلاميذ مدارسنا الابتدائية مليوناً وأربعمائة ألف ، فأصبح مليونين ومائتى ألف .

والمدارس الصناعية والفنية كان فيها ٢٢٠٠٠ طالب فأصبح فيها ٤٩٥٠٠ طالب .

وكانت الجامعات تضم ٤٢ ألف طالب فأصبحوا ٧٤ ألفاً .

والأزهر كان فيه ٢٢ ألف طالب ، فأصبحوا ٣١ ألفاً .

ولنا الآن أكثر من مائة عالم مصرى يتخصصون فى أبحاث الذرة فى أكبر مراكز البحث الذرى فى العالم .

الديانة الاسماعيلية

لمناسبة موت أغا خان إمام الطائفة الاسماعيلية النزارية فى الشهر الماضى ودفنه بوصية منه فى أسوان من صعيد مصر تساءل الناس عن حقيقة هذه النحلة ومنزلتها من الإسلام ، وكتب أحد أصحاب المجلات الأسبوعية يلح على الأزهر فى بيان ذلك . وقد قامت مجلة الأزهر بهذا الواجب للعلم والدين بما كتبته فى جزء جمادى الأولى ١٣٧٣ ص ٦١٢-٦٢١ بعنوان (من هم العبيديون) ويبحث سر الاختلاف فى نسب المعز وبنيه الذين ينتسب أغا خان إلى واحد منهم وهو نزار بن المستنصر ، كما تنتسب اسماعيلية البهرة إلى أخيه المستعلى بن المستنصر . وفى ذلك المقال بيان دقيق لأصل المذهب والشخصيات التى مثلت دورها فى تكوينه وطريقته فى التبنى الروحى الذى انتقلت به سلسلة الاسماعيليين إلى عبيد الله المهدى (٢٦٠ - ٣٢٢) الذى دخل سلسلة الاسماعيليين بالتبنى الروحى أو مايسمونه « الامامة المستودعة » مع أنه من ذرية ميمون القداح . والمذهب الاسماعيلى مذهب باطنى ينافى الاسلام فى جميع الأسس التى هو قائم عليها ، وقد أفصح شاعرهم عن حقيقة مذهبهم الحلولى يوم قال عند حلول عبيد الله المهدى مدينة رقادة :

حل برقادة المسيح ... حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا ... وكل شىء سواه ريح

جامعة أسيوط

تفتتح كليتا الهندسة والعلوم بجامعة أسيوط فى أول العام الدراسى القادم ، وقد اختير لها مقر مؤقت فى مبنى المدرسة الثانوية التى تقرر نقلها إلى مكان آخر فى أسيوط

المدينة الجامعية

لطلبة جامعة عين شمس

تم بناء المدينة الجامعية لطلبة جامعة عين شمس ، ويفتتح جناحان منها فى أول أكتوبر القادم ، ويتسع الجناح الواحد لاستيعاب ٢٥٠ طالبا .

أنباء العالم الإسلامي

مجلس الأمة

عقد مجلس الأمة فى صباح ٢٢ يوليه أول اجتماع له ، فأقسم الأعضاء اليمين القانونيـة ، وانتخب السيد عبد اللطيف البغدادى رئيسا ، والسيد أنور السادات وكيلا أول ، والأستاذ محمد فؤاد جلال وكيلا ثانيا ، وفى المساء افتتح الرئيس جمال عبد الناصر أول دورة لمجلس الأمة ، وبعد أن حلف اليمين ألقى بيانه التاريخى الخطير الذى استغرق إلقاؤه ساعتين إلا عشر دقائق ، قدم فيه للشعب حساب الثورة عن سنوات حكمها الخمس ، وكان الأعضاء يقاطعون البيان بالتصفيق الحاد عشرات المرات ، وبعد انتهاء البيان هتف رئيس المجلس وأعضاؤه بحياة جمهورية مصر ، ثم غادر الرئيس جمال عبد الناصر القاعة والتصفيق يدوى من الأعضاء والزوار فى الشرفات ، وأعلن رئيس المجلس تأجيل الاجتماع إلى مساء ٥ أغسطس .

حياة مصر الاقتصادية

بعد الثورة

جاء فى خطاب الشعب الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الأمة أنه قد تم فى سنوات الثورة توزيع ٨٠٠ ألف فدان طبقا لقانون الإصلاح الزراعى ، ورصدت ٢٠٠ مليون جنيه لمشروعات الإنتاج ، و ١١٢ مليونا للتعمير ، وقد حقق الميزان التجارى ــ لأول مرة ــ فائضا قدره ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه .

الأسطول المصرى

تعزز الأسطول المصرى بقطع جديدة اشترتها مصر من بلاد الاتحاد السوفيتى وفى طليعتها ثلاث غواصات من أحدث طراز ، وست قطع من واضعات الألغام ، وخمسة عشر زورقا من زوارق الطوربيد . وقد تدرب رجال السلاح البحرى المصرى على استعمال هذه القطع أكمل تدرب .

مشروع إيزنهاور للشرق الاوسط

اعترف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا فى حديث أذاعه على التلفزيون البريطانى بأن مشروع إيزنهاور للشرق الأوسط لم يوضع كنتيجة للحملة الثلاثيـة على مصر ، ولكنه وضع كنتيجة لصفقات السلاح التى صدرها الاتحاد السوفيتى إلى المنطقة .

الاتحاد المصرى السورى

قال الرئيس جمال عبد الناصر لأعضاء الوفد البرلمانى السورى فى مهرجان عيد الثورة : « إنكم تستطيعون أن تعلنوا عن لسانى رسميا أن الحكومة المصرية مستعدة للدخول مع الجانب السورى فى مباحثات لتحقيق الاتحاد المصرى السورى فورا »

والتفت الرئيس إلى الوزراء المصريين الذين حضروا الاجتماع وقال لهم : إنكم مستعدون على ما أعتقد لبدء المباحثات مع رجال سوريا لوضع تفاصيل الاتحاد تدريجيا . فأمن الوزراء على قول الرئيس .

تونس جمهورية

فى صباح يوم الخميس ٢٧ من ذى الحجة (٢٥ يوليه) انعقدت الجمعية التأسيسية التونسية لبحث نظام الحكم الصالح لتونس ، وقررت إلغاء النظام الذى كان يقوم على رأسه أمير أو ملك يسمى (الباى) والعمل بالنظام الجمهورى على الطريقة الأمريكية التى يتولى فيها رئيس الجمهورية رئاسة الوزارة ، واختير السيد الحبيب بورقيبة الرئيس الأول لهذه الجمهورية العربية الحديثة ، وتولى فى الوقت نفسه رئاسة الوزارة فى الحكم الجديد .

الانجليز بين مسقط وعمان

كان سلطان مسقط ـ الذى يحكم تحت الحماية البريطانية ـ قد اعترف لإمامة عمان بالاستقلال ، وذلك فى معاهدة (السيب) التى وقعت سنة ١٩٢٠ على يد الإنجليز ، ولما تبين للانجليز فى السنوات الأخيرة مظنة وجود بترول فى أراضى إمامة عمان دفعوا ربيبهم سلطان مسقط إلى نقض معاهدة السيب ومحاولة التدخل فى شئون إمامة عمان . ولما كان سلطان مسقط أضعف من أن يقوم ببغى مستقل على إمامة عمان تعاونت بريطانيا معه على هذا البغى واشتركت قواتها العسكرية والجوية فى العدوان على بلاد إمامة عمان . واعترف سر وليم لندساى ممثل شركة مسقط الدولية للبترول بأن هذه الشركة تدفع إعانة لجيش مسقط ليقوم بهذه الحرب الباغية على بنى جنسه ودينه فى سبيل البترول .

فلسطين

بين الاستعمار وأعوان الاستعمار

تناول الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب الإسكندرية يوم ٢٦ يوليه قصة حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فقال : إن الاستعمار يهدف إلى تصفية قضية فلسطين من أجل مصلحة إسرائيل ، ويعتمد فى هذا على أعوان الاستعمار فى الدول العربية ، وعلى الخونة العرب الذين اعتمد عليهم سنة ١٩٤٨ ، كلنا نعرف ماذا وقع فى اللد والرملة ، وكيف تركت لاسرائيل وفتح أمامها الطريق لتهاجم

مصر ، ويواجه الجيش المصرى وحده قوات إسرائيل . كلنا نعرف كيف حوصرت قوات من الجيش المصرى فى الفالوجة ، وكيف اجتمع القادة العرب وقرروا إنقاذ هذه القوات ، ولكن الجيش السورى كان هو الجيش الوحيد الذى وصل إلى الخليل ، والجيش السعودى كان مشتركا مع الجيش المصرى فى الجبهة المصرية ، فالجيش السورى توجه وحده إلى الجبهة لينفذ الخطة ، أما الباقى فلم تصلهم أوامر ، لأن الأوامر لم تجئ من انجلترا ، ولأن انجلترا كانت هى صاحبة السلطة العليا فى البلاد التى لم تتلق جيوشها أوامر بتنفيذ ماقرره قادة العرب فى اجتماعهم ، هذا هو الفرق بين الاستقلال والاستعباد ، هذا هو الفرق بين البلد الذى يستمد سياسته من داخله والبلد الذى تأتيه سياسته من الخارج .

تعداد سكان مصر

تبين من عملية الحصر التمهيدية التى أجرتها مصلحة التعداد والإحصاء أن عدد سكان الجمهورية المصرية ٢٢٫٨٤٠٫٠٠٠ نسمة تضمها ٤٫٦٥١٫٠٠٠ أسرة ، تسكن فى ٤٫١٥٦٫٠٠٠ مبنى ، و ٥٫٢٣٩٫٠٠٠ مسكن وفى القاهرة من ذلك ١٩٥ ألف مبنى و ٧٠٠ ألف مسكن تقطنها ٦٢٨ ألف أسرة عدد أفرادها مليونان و ٨٩١ ألف نسمة .

تقدم مصر الصناعى

جاء فى خطاب الشعب الذى ألقاه الرئيس فى افتتاح مجلس الأمة :

ينتهى فى هذا العام بناء مصنع الحديد والصلب وإنتاجه مائتا ألف طن .

وتم توسيع معمل تكرير البترول فى السويس وزاد انتاجه من أربعمائة ألف طن إلى مليون وثلاثمائة الف طن .

وتم أيضا إنشاء معمل فى مسطرد .

وتم كذلك إنشاء معمل فى الاسكندرية تصل طاقته إلى سبعمائة ألف طن .

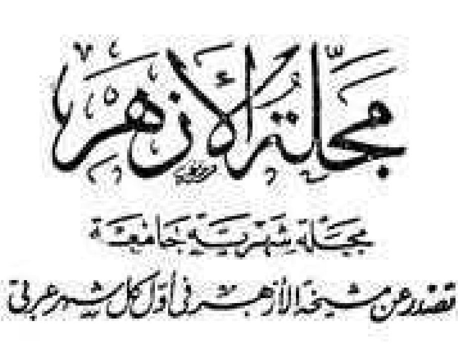
وتم مد خط أنابيب بترول بين السويس والقاهرة طوله ١٣٠ كيلو مترا ، وكفايته ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ طن .

وأوشك العمل فى كهربة خزان أسوان على الانتهاء ، وتقدر تكاليفه بـ ٢٧٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وسيعطى قوة كهربائية قدرها ١٨٨٠ مليون كيلووات ساعة تستخدم فى الأغراض الصناعية بينها الكهرباء اللازمة لمصنع السماد الكبير الذى يجرى إنشاؤه الان ويتكلف ٢٢ مليون جنيه ليكون انتاجه ٣٧٠ ألف طن من سماد نترات النوشادر الجيرى تبلغ قيمتها كل عام أكثر من ٨ ملايين جنيه .

وتم وضع مشروع التوسع الصناعى على خمس سنوات وسيترتب على تنفيذه زيادة فى الدخل القومى مقدارها ١٣٠ مليون جنيه وبذلك يصبح نصيب الصناعة ٢٢ ٪ من الدخل القومى .

الفهرس





مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثانى ـ القاهرة فى غرة صفر ١٣٧٧ ـ ٢٧ أغسطس ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب البغى

> لقد كان هذا الظلم فوضى فهذبت
> حواشيه ، حتى بات ظلما منظما
>
> حافظ

لقد احتك الشرق الإسلامى بالغرب المسيحى بمقياس واسع للمرة الأولى عندما زحفت جحافل الصليبيين من أنحاء أوربا لإبادة المسلمين ، وخضد شوكتهم ، وانتزاع بيت المقدس والبلاد الفلسطينية والديار الشامية من دائرة سلطانهم الرحيم ، فكانت الحروب الصليبية فى القرون الوسطى حروب بغى همجى وتعصب ذميم ، ما فى ذلك شك ... غير أنها كانت حروبا سافرة سبقت أعلامها وصلبانها العلائم والنذر ، وعلا صوت دعاتها بالإعداد والاستعداد ، وأعلنت عن نفسها بالطبول والمزامير ، وكان ملوكها وقادتها ودعاتها يجاهرون بما فى أنفسهم غير منافقين ولا دساسين ...

وفى عصرنا هذا ، أو بالتحديد بعد الحربين العالميتين ، صرنا نرى تحت الرماد ، بين الحين والحين ، وميض جمر لونه كلون الحروب الصليبية ، وصفاته ومميزاته كصفات

الحروب الصليبية ومميزاتها ، والروح التي يومض بهـا هي الروح الصليبية بلا أي فارق بينهما ، غير أن هـذا الجمر المصري المستتر تحت غلائل من الرماد مجرد عن صراحة الحروب الصليبية القـديمة وسفورها : القلب قلب الحروب الصليبية ، والوجه وجه الحضارة الغربية . . .

وقارن ـ إن شئت ـ بين الحروب الصليبية البغيضة التي يمدها التاريخ من مخازي القرون الوسطى ، وما وقع على مصر في أواخر أكتوبر من العام المـاضي والأسبوع الأول من شهر نوفمبر ، أعني غارة الغـدر الفاجرة التي كانت موضوع استنكار إجماعي في جمعية الأمم ، ذلك الاستنكار الذي اشترك فيه وأعلنه رسميا ممثلو خمس وستين دولة ، مما لم يسبق له نظير في تاريخ روابط الدول بعضها ببعض .

إن هذا الخزي المصري الذي استنكرته دول العالم رسميا ، ارتكبته دولتان كانت جامعاتهما ومجامعهما ومرافقهما وصحافتهما ومؤلفات علمائهما وأدبائهما توحي إلى الأغرار وأهل السذاجة من متفرنجي العالم الإسـلامي وبعض خريجي جامعاته بأن تينك الدولتين هما حاملتا أمانات الحضارة الإنسانية ، ورائدتا التقدم العلمي والأدبي في الأرض ، وأنهما القدوة في الثقافة والتهذيب لكل أمة متخلفة تبحث عن المثل العليا للنهوض والتقدم نحو المعالي . وبالدعاية لهذه المعاني في صحافتنا ومطبوعاتنا ومدارسنا وجامعاتنا وقاعات محاضراتنا ـ مضافا إلى ذلك ما قام به التوجيه الثقافي الاستعماري من تحويل مرافقنا كلها عن ثقافة العروبة والإسـلام في أسسها وروحها ، والاقتصار منها على إثارة من ظواهرها وشكلياتها ـ بهـذا وذاك ضعف إيمـان شبابنا المثقف بمـاضيهم ومقوماتهم الأصيلة ، وبكيانهم وخصائصه المعنوية . ثم وقعت تلك الغارة الهمجية على مصر في نوفمبر المـاضي ـ على غير انتظار من دعاة ثقافة الغرب والمتفرنجين ـ فتمزق بهـا نقاب الرياء ، وانكشف عما وراءه من الغدر اليهودي الخسيس ، متخذا له من هاتين الدولتين مطية لأغراضه بعيدة الأهداف ، فاضطر أمثال كاتب « ماقل ودل » إلى إعلان الكفر بالحضارة التي كان يغني لها بألحان باريس ، ويدعو لثقافتها وأغراضها في الصحف والكتب .

ومع ذلك ما برحت قافلة البغي والظلم والنفاق سائرة في طريقها من الغرب إلى الشرق ، فالخزي هو هو : في ربوع الجزائر ، وفي قلب الوطن العربي من مخاليف اليمن ، وفيما بين مسقط وعمان ، بل في كل مكان . والسعايات والدسـائس والتفريق والعبث في عقول أطفال السياسة والحكم ، لا تزال هي هي في كل بقعة يوجد فيهـا أناس منا يعيشون

لأنفسهم لا لأممهم ، وللساعة التي هم فيها لا لتأمين الاتصال بين أمجاد ماض يجهلونها ، وأهداف مستقبل قومي لا يؤمنون بها ولا يقيمون لها وزنا ، لأن الثقافة التي رضعوا لبانها لاتوحي اليهم بهذه المعاني .

وفي الساعة التي أكتب فيها هذه السطور لاح في الجمرات المستترة تحت غلائل الرماد لون جديد من ألوان الحروب الصليبية : طائرات وسيارات دبلوماسية تنتقل خلسة بفلان طريد الحكم ، وبفلان الملحق العسكري العربي في روما ، فتحمل كلا منهما إلى وطنه ليجتمع - بدلالة الدبلوماسيين الأمريكيين هوورد ستون ، وفرنسيس جيتون ، والكولونيل روبرت مالوي - بالذين يتصيدهم هؤلاء الأمريكيون من ضباط الجيش السوري للتآمر على وطنهم وإحداث الفتن فيه ! ولكن هؤلاء السادة الذين يحاربوننا في ديارنا حربا صليبية متسترة ، فوجئوا بأخلاق عالية من الضباط السوريين الذين كانوا يحسبونهم قنائص لهم ، فنفخ بعض هؤلاء الضباط غلائل الرماد عن الجمر الصليبي ، ووقى الله عاصمة الأمويين وحكومة سوريا الفتية شر الفتنة ، وقيل لهؤلاء السادة الدبلوماسيين الأمريكيين الثلاثة : تفضلوا واخرجوا من بلادنا ، فانها لاتستطيع أن تهضمكم . . .

إن أمريكا تريد أن يكون نظام حكمنا في بلادنا كما تشاء هي لنا وكما يلائم مصالحها ، لا كما نحب نحن لأنفسنا ويلائم مصالحنا . . . وتريد أن تكون اتجاهاتنا القومية والملية كما تشاء هي لنا وكما يلائم أذواقها ومشاربها ، لا كما يليق بنا ونواصل به سيرتنا في التاريخ وإيماننا بالمبادئ والأهداف . . . ومع هذا الاختلاف بيننا وبينها فيما تريده لنا وتريده لأنفسنا ، فانها تزعم لنا كما تزعم للذين تحاول اصطناعهم من أبنائنا لإحداث الفتن في أوطاننا ، تزعم لهم ولنا ، أنها صديقة لنا ، وأنها جديرة بثقتنا فيها وطمأنينتنا لها ! أليس الذين زحفوا علينا من أوربا في القرون الوسطى ، ليسلبوا حياتنا وأوطاننا ، كانوا - بصراحتهم ووجوههم السافرة - أكثر نبلا وأقل جريرة ؟!

وأحب أن يعرف القارئ من الآن أن ما تقدم ليس هو موضوع هذا المقال ، فالحرب والسياسة لها رجالها ، ولها الجهات التي تهتم بأمرها ، وتتخذ لكل شئ أهبته ، وأسباب الوقاية منه ، والوقاية في الإسلام شعبة من التقوى ، وكلاهما من شجرة واحدة في اللغة العربية ، لغة الأزل والأبد .

إن الذي أريد أن أتحدث عنه في هذا المقال هو حرب صليبية أخرى ، وسياسة صليبية أخرى ، في هذا الوطن العربي الإسلامي . ولقد شجعني على الحديث عنهما مقال

السيد الجامعي المصرى النبيل الدكتور محمد محمد حسين الأستاذ بجامعة الإسكندرية الذى نشرنا شطره الأول فى الجزء الماضى وأكملنا نشره فى هذا الجزء . هو بحث هادئ رزين مملوء قوة وعلما وصدق لهجة وحسن توجيه .

« حصوننا مهددة من داخلها » هكذا يقول الدكتور محمد محمد حسين ، وهو فى الموضوع ، إنه يتحدث عن الحرب والسياسة ، ولكن لا عن حرب الأسلحة الجوية والبحرية والبرية ، ولا عن سياسة الدبلوماسيين الأجانب الذين تحمل طائراتهم إلى دمشق طريد حكم ووضيع أخلاق ، ليتوليا عنهم إغراء معارفهما من رجال الجيش فى بلد عربى ينكرون عليه حقه فى أن يكون له نظامه الذى يختاره لنفسه لأنه يلائم مصالحه ، ويريدون أن يحدثوا فتنة ليقيموا فيه النظام الذى يشاءونه له ويلائم مصالحهم الأجنبية ، فيتحول عن مبادئه إلى مبادئهم ، وعن أهدافه إلى أهدافهم . . .

مقال « حصوننا مهددة من داخلها » يتحدث عن حرب أخرى غير الغارة الغادرة على مصر فى نوفمبر من العام الماضى ، وعن مؤامرة أخرى غير مؤامرة الدبلوماسيين الأمريكيين فى دمشق ، إلا أنها حرب تلتقى مع غارة نوفمبر على مصر ومع مؤامرة الدبلوماسيين الأمريكيين فى أهدافهما وغايتهما . ولا أكون مغاليا إذا قلت إنها حرب أبعد غورا وأعمق آثارا . وصدق الدكتور محمد محمد حسين إذ قال : « إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ، ولكنها تسود بالخلق المتماسك . وأعلى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين » .

أجل ، إن المال ، وإن الحديد والنار ، إذا لم يكن لها ردء من الخلق المتماسك والدين القويم فمصيرهما الفشل . والدين القويم والخلق المتماسك هما عصمة المال وردء الحديد والنار ، وديننا ــ على الخصوص ــ دين أخلاق ، والرسول الذى بعثه الله بهذا الدين قد أعلن بكل صراحة أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق .

جمال عبد الناصر الذى يقف فى وجه الاستعمار هذا الموقف الحكيم المشرف ، إنما استطاع أن يقف من الاستعمار هذا الموقف لما عنده من خلق متماسك ولما عنده من دين . إن أحدا لا يعرف اسم زوجته ، ولم يروا لها صورة فى صحيفة . وأديب الشيشكلى الذى اتخذه الدبلوماسيون الأمريكيون فى دمشق عكازا يتوكأون عليها ليحدثوا فى سوريا

فتنة على الطريقة الأمريكية ، كان فى مدة حكمه إذا بلغه عن ضابط فى جيشه أنه لايشرب الخمرة ، يدعوه إلى منزله ويقدم له الخمرة بيده ويرغمه على تناولها ، أو يضمر له البغضاء والشر إذا استمسك هـــذا الضابط بخلقه ودينه . . . إن من لا دين له لا وطنيـــة له ، ولا خير فيه لأمته وحكومتها .

إذا كانت الأخلاق حاجة من حاجات الأمة ، أى أمة ، وإذا كانت حاجة من حاجات مصر والأوطـان العربية ، فان مصر والأوطـان العربية لن تجد مصدرا سليما للأخلاق يعلو على الإسلام أو يبلغ مســتواه . ولن تجد مثلا أعلى للأخلاق ، كالخلق العظيم الذى كان عليه حامل رسالة الإسلام فى تعامله مع أوليائه وشانئيه ، وكالأخلاق الممتازة التى كان عليها أصحـابه فى تعاملهم فيما بينهم ، وفى معاملتهم الأمم التى فتحوا لها نوافذ النور يوم فتحوا بلادها ، فاستجابت لدعوتهم ، واندمجت فيهم ، وتنازلت عن لغاتها إلى لغتهم . كل هذا لما كانوا عليه من أخلاق رفيعة ممتازة تلقوها عن صاحب الخلق العظيم . إن الإسلام من جميع نواحيـه دين أخلاق ونية سليمة وطوية نبيلة ، إن رسول الإسلام مبعوث إلى الإنسانية برسالة من أهم عناصرها النهوض بمكارم الأخلاق إلى مستواها الرفيع .

لـكن رسالة الإسلام وسجايا العروبة كانا فى مئات السنين الأخـيرة (يتيمين) ، فليس للاسلام ما يقوم مقام الأنظمة البطريركية والـكنسية التى تتولى أبناءه ، وليس له ولا للعروبة حماية حكومية فى أية بقعة من بقاع العالم تحتضنهما وترعى حيويتهما . لذلك بقيت مزايا الإسلام معطلة ، وسجـايا العروبة بغيضة مشنوءة . بقيت جواهر الإسلام مدفـونة فى حمـأة ، وينابيع قـوته وقوة العروبة مجهولة من أهلها ، وكان الغــرب يراقب مزايا الإسلام وسجـايا العروبة بعيونه من المستشرقين فيحرص على تشويههما ، وتحويل وجوه أبنائهما عنهما ، ورصدوا فى ميزانياتهم الاعتمادات السخية لمحاربة الإسلام بأنظمة التبشير فى عمق الأعماق من أوطـان الإسلام ، وأعدوا الـكتائب من رجالهم للسيطرة على مناهج وزارات المعارف فى أنحاء الشرق العربى والإسلامى ، وتوجيهها التوجيه الذى يكبت كل حيوية يمـكن ظهورها فى تهيئة العرب والمسـلمين . فكان من نتائج ذلك ما نراه الآن من حملة أقلامنا والقـائمين على صحافتنا ودور النشر والمصــورين والمؤلفين ، من العمل على هدم العفة ، وتمزيق براقع الحياء ، وتحريض البنات على الأولاد ، والدعوة إلى الاختلاط فى المدارس ، والحيف من كل شىء منسوب إلى

الإسلام ، والتحامل على علماء الإسلام بالحق والباطل لمناسبة وغير مناسبة . كل ذلك من نتائج الحرب الصليبية التى خاضها الغرب فى استعماره الثقافى لوزارات المعارف فى الأوطان الإسلامية والعربية مدة تسلطه عليها ، فآتت أكلها بعد الجلاء العسكرى عن بعض أوطاننا ، وما برح الغرب يواصل حربه هذه بالأساليب التى يجلوها لنا الدكتور محمد محمد حسين بدقة وأمانة وعرض هادئ .

إن الذين يعاونون الغرب من رجالنا بترجمة الكتب الاجتماعية التى توجه أبناء العروبة والإسلام فى عكس الطريق الذى ترشدهم إليه عروبتهم وإسلامهم لا ريب أنهم أعوان للغرب فى حربه الصليبية من طريق الثقافة ، إنهم والغرب معا يهددون حصوننا من الداخل ، كما أن أديبا الشيشكلى — من أجل شهوة الحكم ولأنه تثقف ثقافة غربية — يعمل والغرب معا على تهديد حصوننا من الخارج . . الذين يترجمون الكتب التى تحدث عنها الدكتور محمد محمد حسين يحاربوننا مع مؤلفى تلك الكتب لينتزعوا قلوب قرائنا من سلطان العروبة والإسلام ، وليمكنوا أعداء العروبة والإسلام من الاستيلاء عليها ، والذين يهبطون إلى الوطن العربى خلسة بالطائرات الأجنبية الدبلوماسية ليجتمعوا فى منازل الدبلوماسيين الأجانب بضباط جيش عربى إنما يحاولون انتزاع السلاح العربى من سلطان العروبة والإسلام وتمكين أعداء العروبة والإسلام من الاستيلاء عليه .

فى خلال العطلة السنوية لهذه المجلة كان فى زيارة مصر بعض ممثلى وزارات المعارف فى الحكومات العربية الشقيقة التى تعمل على تحقيق الوحدة الثقافية العربية ، وكان منهم ممثلو لجنة التربية الدينية فى مشروع المنهاج الموحد للمرحلتين الإعدادية والثانوية . ومن حسن الحظ أن ممثلى لجنة التربية الدينية فى وزارة معارف إحدى الحكومات العربية الشقيقة مؤمنون — كما نحن مؤمنون — بأن الشر كل الشر فى إبعاد النشء العربى عن التربية الإسلامية ، وأن الخير كل الخير فى إيمان النشء العربى إيمانا صميميا بإسلامه ، وفى عمله بالتربية التى يهدى إليها الإسلام . ومن أعجب العجب أن بعض رجال وزارة التربية والتعليم عندنا من أشباه الذين تقرأ أسماءهم على بعض الكتب المترجمة التى يتحدث عنها الدكتور محمد محمد حسين فى مقاله ، كانوا يتألمون وتضيق صدورهم من رغبة ممثلى البلاد الشقيقة فى تزويد النشء بتربية إسلامية أوسع ، ويرون هذا التوسع فى التعليم الإسلامى والتربية الإسلامية كأنه قطع تقتطع من لحومهم ، ولولا العون النبيل الذى لقيه ضيوفنا

من تخصص وزير التربية والتعليم فى مصر لما نجحوا فى بعض ما نجحوا فيه مما نرجو الله أن يزدادوا فيه نجاحا فى المستقبل .

الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، كانت حروبا همجية حقا ، لكنها كانت صريحة لا تنطوى على رياء أو نفاق . لقد كانت حروب بغى أقضت مضاجع الآمنين فى الشرق والغرب ، لكنها بسفورها ووضوحها كانت تسمى العدو عدوا والصديق صديقا . ونحن الآن نواجه بغيا مهذب الحواشى ، من ورائه دارسون ودراسات ... إنه بغى مهذب ، يسمى العداوة صداقة ، والشر خيرا ، والاستعمار ملء فراغ ، والاحتلال معونة ورفقا وإحسانا . وكما أن من أسلحته المطارات والأساطيل والقنابل الهيدروجينية ، فان من أسلحته كذلك الطائرات الدبلوماسية وكتب مؤسسة فرانكلين . وكما أن من جنوده أولئك الذين تقع عليهم القرعة من المولودين فى الولايات المتحدة ، فان من جنوده كذلك أدبيا الشيشكلى ومترجمى الكتب التى يحدثنا عنها الدكتور محمد محمد حسين . بل من جنوده - أى من طابوره الخامس - كل حامل قلم ، وكل مصور ، وكل مؤلف ، وكل مدرس ، وكل خطيب أو محاضر ، وكل ممثل يحاول أن يهدم جانبا من بنيان الإسلام ، ويحاول أن يسفه حكما من أحكام الإسلام ، وكل من يطارد بذكائه وعبقريته خلقا من أخلاق الإسلام ، وكل من يحاول أن يجعل نساءنا رجالا ورجالنا نساء .

نحن الآن على مفترق طريقين : طريق يناديننا إليه إسلامنا وعروبتنا وماضينا ومستقبلنا ، ومن مقتضاه أن نربط بين ماضينا ومستقبلنا بخط واحد مستقيم ، نتجهز فيه بجميع دقائق العلم وتفاصيله التى تجعلنا من أهل القوة فى جيشنا وأسلحتنا وصناعاتنا وعمراننا وحضارتنا ، فنكون فى هذه الكرة الأرضية أصحاب حضارة إسلامية غنية قوية شامخة . وطريق آخر يريد الغرب أن يسوقنا إليه ، ونكون فيه أجانب عن إسلامنا ، متنكرين لعروبتنا ، مجردين من ينابيع قوتنا ومصادر بعثنا ، ونكون فيه أمة لهو ومتعة تسير بتوجيهاتهم ، وتعيش بعقلياتهم ، وترى الأشياء بعيونهم ، ونكون كما يريدون لنا أن نكون .

فالذين يدعون إلى الخطوة الثانية فى مصر ، ويحدون أختها فى تونس ، ويساهمون فى ترجمة الكتب الأمريكية التى تدعو إلى البهيمية الجنسية باسم علم النفس ، والذين يكتبون ويصورون ويؤلفون ويحاضرون ويخترعون النكت لإيقاظ الغرائز الجنسية

وإفساد العفة والفضيلة فى قلوب الشابات والشبان ، والذين تنقبض صدورهم من التوسع فى تعليم الدين والدعوة إلى التربية الإسلامية فى المدارس ، كل هؤلاء ماشون فى القافلة وراء الغرب ، منفذون لخطة التى رسمها الغرب لإبعاد هذا الجيل من أبناء العروبة والإسلام عن العروبة والإسلام ، فهم فى نظر الغرب أعوان له على تحقيق خططه ، لا فرق بينهم وبين الدبلوماسيين الذين يحملون رجال الفتنة بالطائرات الدبلوماسية والسيارات الدبلوماسية ليتصلوا بمعارفهم من رجال أى جيش عربى فيؤلبوهم على أوطانهم ويتخذوا منهم كتلة تحقق الأغراض الأجنبية فى سياسة أوطاننا .

هما طريقان : أحدهما يريد تجديد الحيوية فى مصادر قوتنا الأصيلة ، لتتخذ المكان اللائق بنا بين الأحياء . والآخر يريد محق هذه الحيوية فى مصادر قوتنا الأصيلة لنكون إفرنجا يتكلمون اللغة العربية ، بل اللهجات العامية العربية ، ولنسير وراء الغرب فى حربه الصليبية المهذبة التى تغزو قلوبنا وعقولنا واقتناعاتنا ، عملا بقول وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس : « إن سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط ينبغى أن تكون : الغزو من الداخل » .

إن هذه الدعايات التى تتبارى بها الصحف لتهوين أمر الدين والفضائل وتوجيه النشء فى غير طريقهما ، وهذه الكتب التى يختارها الغرب للشرق ويستأجر الأقلام لترجمتها وإذاعتها بيننا لتقريبنا منه وإبعادنا عن كياننا وأنفسنا ، كل هذا لم يوجد فى بلادنا اعتباطا ومن غير قصد ، بل هو نتيجة بغى مهذب ، وخطط مدروسة ، وأهداف معينة . فكما أن حركة التبشير فى الشرق نظمت لأغراض مخصوصة ، وغذيت بالأموال والتأييد لتحل محل الحروب الصليبية القديمة ، فإن الدعايات الحاضرة لتحويل أبناء المسلمين عن الإسلام قد نظمت لتعاون حركة التبشير فى مهمتها ومقاصدها .

كانت المعركة بالسيوف والحراب والمجانيق ، ثم صارت بالمدافع والبنادق وإرساليات التبشير ومدارسها ومرافقها ، ثم صارت بالطائرات والدبابات والغواصات ، ثم صارت بالعلوم الذرية والهيدروجينية . وقد انضم أخيرا إلى كل هذه الأسلحة الطائرات الدبلوماسية والكتب والغارة على العقول والقلوب ، لإخراج العرب والمسلمين عن أخلاق عروبتهم وآداب إسلامهم . . .

أيها العرب والمسلمون يجب أن تعرفوا أعداءكم ، وقد يكونون فى بيوتكم .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

– ٥٢ –

من عجائب القصص الكريم

مائدة عيسى عليه السلام

أ – « إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ ب – قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .

الحواريون : هم الخاصة ، والصفوة الأوائل من أتباع المسيح عليه السلام ، وقد شهد القرآن لهم بما فيه الكفاية من تزكية لهم ، وثناء عليهم .

ومن ذلك قوله تعالى : « وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي ، وبرسولي ، – يريد عيسى – قالوا : آمنا ، واشهد بأننا مسلمون » .

وبلغ من ثناء القرآن عليهم أن دعانا إلى القدوة بهم في صدق الإيمان ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله ؟؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله » .

ومع هذا الإيمان المشهود به للحواريين تطامنت نفوسهم يوما إلى شيء ظنه عيسى نزوعا منهم إلى التمرد ، ووقف منهم موقف الرادع ، إذ فجأوه بقولهم له : « ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » فهاله سؤالهم ، وخشي عليهم مغبة السؤال وأن يكون هذا بادرة عناد ، أو مشغلة بالأماني والطلب ، وحينذاك عاجلهم بالرد غير متريث ، فقال : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .

يريد عيسى عليه السلام أن يرجع بهم إلى الإيمان المعهود فيهم ، ومن شأن الإيمان أن يذود صاحبه عن سؤال جرىء كهذا عن قدرة الله على إنزال مائدة من السماء ، فضلا عن كونه مطلبا لم تجربه العادة ، ولا هو من مسالك الرزق المألوفة ، بل هو أشبه بما كان يعمد إليه بنو إسرائيل في طلبهم أن يرزقوا من السماء بالمن والسلوى ، ثم لا يرضون بعد ، ولا يحمدون ولا يشكرون ، فكيف يتجه الحواريون إلى المسألة على هذا النحو المعيب من سواهم ؟ ؟

هذه مخاوف خطيرة يثيرها لدى عيسى طلب الحواريين إنزال الخوان وعليه من الأطعمة ما يشاء الله .

ولكن الحواريين يلوذون بالإيمان المعهود فيهم ، ويكشفون لعيسى عما يبتغونه حقا فيقولون له : « نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين » .

ولا شك أن في المائدة تحقيقا لتلك الأغراض وزيادة ، فهم يفرحون بالأكل منها لأنها تحية لهم من عند الله ، وهم يطمئنون بها على صدق إيمانهم ، وقبول رجائهم ، وهم يعلمون ـ علما آكد ـ من حصولها بطلب عيسى أنه صادق في كل ما يدعيه وكل ما يدعوهم إليه ، وهم رابما يكونون شهداء ـ لدى من لم يشهدها من القوم ـ على نزولها تلبية لعيسى في دعوته ، وبشهادتهم تروج الدعوة ، وتنهض الحجة عند آخرين .

بهذا الإيضاح تذهب الشبهة التي علقت بموقفهم ، ويتبين لعيسى أنهم جادون في الرجاء وغير عابثين ، ولا مترددين .

وكثيرا ما يكون الإيمان والرغبة في المزيد منه سببا في الشطط والإمعان في الطلب ، وخاصة إذا اقترن الإيمان بشيء من السذاجة ، أو كان الحظ من العلم غير كثير بجانب اليقين الموفور ، وحينما ينبه المرء على شططه ويوجه إلى الاحتشام فيما يلهج به ، تراه ينيب إلى الحق ، ويبادر إلى تجلية قصده ، وبيان مأربه .

وهذا فرق ما بين المؤمن فيما ينشد من أمانيه ، والكافر فيما ينفث من عناده وتحديه .

فالمؤمن يترفق ، ويتلطف ، ويحتشم ، ويترضى ، والكافر يتبجح ، ويمعن في التنكر ، ويتحول من عناد إلى عناد .

وأنت تذكر من أمثلة الفريقين ما يحكيه القرآن عن إبراهيم عليه السلام إذ طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى ، فلما نبه إلى شططه فى السؤال قال : « ولكن ليطمئن قلبي » فاستجاب له ربه .

وتذكر أن الكافرين كانوا يطلبون الآيات ، فلما تحقق لهم يصدفون عنها ويستهينون بها « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها — واستيقنتها أنفسهم — ظلما وعلوا » .

وموقف الحواريين من طلبهم نزول المائدة موقف المؤمن المستزيد ، المتطلع إلى جديد يستمد منه القوة لدينه والتثبيت لإيمانه ، لا موقف المشاقة والتحدى ، فلذلك استجاب المسيح لرغبتهم وتهيأ للدعاء بما اعتاد من طهارة ، ولباس واتخاذ موقفه إلى القبلة بين يدى ربه ، وقال : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيدا : لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين » .

فهذه ضراعة مبرورة يتجه بها عيسى إلى الله : إله الجميع ، ورب الجميع ، أن ينزل عليهم المائدة من السماء تكريما لهم ، ولتكون عيدا لهم ولمن يأتى بعدهم ، ولتكون آية بينة من عند الله على تأييده لرسوله المسيح ولمن يهتدى بهديه .

ثم يطلب إلى جانب هذه المعانى المقصودة أن يرزقهم الله توفيقه وتوفيق من معه للحمد ويعينهم على الشكر .

وإلى هنا تمت الوسيلة وبقيت الغاية ، فماذا كان من ثمرات الدعاء ؟؟ قال الله : « إنى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

فهذا وعد من الله بأنه منزل المائدة على عيسى وقومه ، غير أنه وعد مقرون بالشرط ، والشرط هو أن من كفر بالمائدة يعذبه الله عذابا لا يعذب بمثله أحدا من العالمين .

فإذا صدق الوعد بإنزال المائدة فسيرتبط به لا محالة حصول الجزاء بحصول شرطه ، وخلاصة هذا أن المائدة التى وعدهم الله بها مشروط فيها عدم الكفر بها فإذا حصل بها كفر فسيعذبه عذابا لا نظير له .

فهل نزلت المائدة وجرى فى شأنها حديث ؟؟

فريق من العلماء يأخذون بظاهر الوعد ويقررون نزولها ، ويصف بعضهم أطعمتها ، ويقولون : حصل من بعض القوم كفر بها ونزل بهم عذاب شديد ، وأرجح الأفهام التى نقلت فى ذلك أن الوعد مشروط بعدم الكفر .

ولما خشى القوم أن يهلك بعضهم بسبب كفره بالمائدة عدلوا عن مطلبهم وانصرفوا عن عيسى وعن التطلع منه إلى تحقيقها فلم تنزل المائدة .

وليس فى هذا خلف للوعد لأنه كان مشروطا بشرط لم يتعهد به القوم ولم يرضوه ، ويرجح هذا أنها لو نزلت لكانت عيدا مأثورا تخلف عن السلف كما طلب عيسى ، ولكن لم يعرف لدى أهل الكتاب شىء عن ذلك العيد .

ويكون مغزى هذه القصة الكريمة أن الله أقنع الحواريين بقدرته على إنزال المائدة وأنه تعالى افترض عليهم نظير إنزالها أن يؤمنوا بها تقديرا لها .

وأنه لما عرفوا من شأن أنفسهم عدم القدرة على تمام الوفاء أعفاهم من أثرها رحمة بهم وتجاوزا .

وبقيت القصة خالدة فى القرآن مظهرا لمنزلة الحواريين من التقرب إلى الله ، وأمارة على قدرة الله فى خلق العجائب إذا اقتضتها الحكمة ، ولم تعارضها حكمة ، وبقيت كنة على قوم عيسى عليه السلام وتذكيرا لهم بما كانوا عليه من حق ومطاوعة ، وبما أصبحوا عليه فى دينهم ودنياهم .

والعبرة للجميع والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

سؤال غير الله

سمع على رضى الله عنه رجلا يسأل الناس فى الموقف يوم عرفة فقال له : « أفى هذا اليوم ، وفى هذا المكان تسأل غير الله ! » وخفقه بالدرة .

السنة

مكان النصح فى الاسلام

— ٢ —

منزلة هذا الحديث من السنة ـ كل مسلم حق ناصح ومنصوح ـ أركان الفوز والسعادة ـ النصح عام وخاص ـ عرض سريع ـ خدمة السنة ـ دين واجب القضاء .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقننى ـ فيما استطعت ـ والنصح لكل مسلم . (رواهما الشيخان)

• • •

منزلة هذا الحديث من السنة ، بمنزلة سورة « العصر » من الكتاب المبين :

أجمل الدين كله ، أصوله وفروعه ، فى هذه المبايعة الجامعة التى اختتمها بالنصح لكل مسلم ؛ كما أجملت السورة الكريمة الدين كله ، أصوله وفروعه كذلك ، فى الإيمان وعمل الصالحات ، ثم اختصت من بين الصالحات بالذكر ، تواصى المؤمنين بالحق ، وتواصيهم بالصبر . وفصل الكتاب ما أجملته السورة ، كما فصلت السنة ما أجمله الحديث . . وقام الدين الحنيف كاملا شاملا صالحا لكل زمان ومكان ـ على كتاب الله وسنة رسوله معا ، لا يزيغ عنهما إلا هالك .

والنصح لكل مسلم يقتضى أن يخلص كل من المسلمين لأخيه كائنا من كان ، ويبادله النصيحة ما استطاع إليها سبيلا ، فيكون كل منهم ناصحا ومنصوحا . . . وهذا التناصح

الشامل المتبادل ، هو التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، في سورة العصر ، التي بينت أبلغ بيان وآكده أنهما ركنا السعادة والفوز في الحياتين ، بعد الإيمان بالله والعمل الصالح جميعا.

* * *

ومهما تختلف درجات النصح وتتعدد مناحيه وشئونه في الدين والدنيا ، فإنه نصحان: عام ، وخاص :

فأما النصح العام ، فهو في أبواب الحلال والحرام مما يستوى فيه الخاصة والعامة ، والعالم وغير العالم ، وهذا لا يعذر أحد بجهله ، فإن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن ، وإن من الحرام البين الغش في المعاملة ، والخديعة والنفاق في النصيحة ، وهذا النوع من النصيحة فرض عين على كل مسلم .. وعلى كل جاهل أن يتعلم الضروري من دينه ، ليعمل به وينصح فيه ، وإلا كان آثما ومقصرا ، وبعيدا عن أخلاق المؤمنين وسيماهم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ».

وأما النصح الخاص ، فهو في دقائق الفقه ، وأسرار الشريعة ، ومسائل الاجتهاد والاستنباط ، وما إليها من معضلات السياسة ، ومشتبهات الأمور ، وتدبير الملك في حدود ما أنزل الله على رسوله .. وتلك مرتبة خاصة لا ينهض بأعبائها إلا أولو الأمر من الأئمة المجتهدين ، والعلماء الراسخين ، ممن اختارهم الله حملة لشريعته ، وحماة لملته ، وورثة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهم بهديه يهتدون ، وعلى بصيرة من ربهم يهدون ، علموا وعلّموا وبينوا ولم يكتموا ، ونصحوا لله ورسوله ، فجزاهم الله عن نبيه وأمته خير ما يجزى الناصحين المخلصين ..

* * *

ثم خلف من بعدهم خلوف خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ! بما انحرفوا عن الجادة ، واحتالوا وتأولوا .. ولكن لا تزال من بينهم طائفة متفقهة في دين الله ، ظاهرة على الحق ، ناصحة لله ورسوله ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

ولئن جاز أن يكون هذا النوع الخاص من النصح موضع بحث بين العلماء في أنه فرض كفاية ، أو فرض عين على كل مستطيع له ، إنه لا جدال في أن النصح في الحديث مطلق ، وأن الحديث يدعو كل مسلم ألا يألو جهدا في النصيحة على قدر علمه ووسعه « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وإلى هذا البحث عودة نرجو أن تكون بمشيئة الله قريبا .

أما بعد ، فقد وعدنا بعرض منهاج « السنة » في هذه المجلة منذ صدورها إلى وقتنا هذا ، رغبة الاسترشاد بآراء الناصحين في تسديد خطتها ، واستدراك ما وقع من تقصير في حقها . وللسنة ـ وهي ثاني الأركان التي بني عليها الدين ـ حق العناية بها ، وبذل الجهد في نشرها ، وتيسير الطرق إليها ، وإلى الفقه فيها والذب عنها ، وكشف الدسائس التي يدسها أعداء الله ورسوله للنيل منها ، تذرعا إلى النيل من كتاب الله المجيد ... ومن أحق بهذا كله من الأزهر : شيخه ، ورجاله ، ومجلته ، وحملة لوائه في مصر خاصة والعالم الإسلامي كافة ؟ .

* * *

لقد أسست هذه المجلة على الكتاب والسنة من أول يوم :

فكتب فيها الأستاذ حسن منصور منذ صدورها حتى الجزء السابع من المجلد الثاني .

ثم كتب فيها شيخنا إبراهيم الجبالي من المجلد الثالث حتى الجزء الأخير من المجلد الخامس .

ثم كتب فيها الأستاذ عبد الرحمن الجزيري [١] من المجلد الثامن حتى الجزء الأخير من المجلد الثاني عشر .

ثم كتبت فيها منذ صدور الجزء السادس [٢] من المجلد الرابع عشر حتى الجزء الأول من المجلد العشرين .

ثم كتب فيها الأستاذ فكري يس [٣] من المجلد العشرين إلى منتصف المجلد الثاني والعشرين

---

[١] افتتح كتابته رحمه الله في الجزء الثاني من هذا المجلد بـ [الاخلاص] واختتمها بـ [زيارة القبور]

[٢] بدأت أحاديث هذه الفترة بحديث [من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه] واختتمتها بحديث [البعوث في الاسلام] حيث كنت مبعوثا من الأزهر إلى البلد الحرام .

[٣] نعته مجلة الازهر رحمه الله في الجزء السادس من هذا المجلد ، وفي هذا الجزء نفسه كتبت في السنة بعنوان [زكاة المسلم حيا وميتا] . ثم كتبت في الجزء الثامن من هذا المجلد بعنوان [عيد الدستور] . وظلت المجلة خالية من الكتابة في السنة إلى آخر المجلد الثالث والعشرين ، إلى أن استأنفت الكتابة فيها بعد عودتي من الحجاز .

وقد تبين من هذا العرض أن أطول فترة خلت المجلة من كتابة السنة فيها ، هي ما بين الشيخين الجليلين رحمهما الله : الجبالي ، والجزيري ، ثم الفترة التي بيني وبين الشيخ الجزيري ، ثم الأخيرة التي بيني وبين الأستاذ فكري !

ثم استأنفت الكتابة فى العهد الأخير منذ صدور المجلد الرابع والعشرين . . .

* * *

وإلى جانب أولئك الكاتبين ، كتب كتاب أفاضل فى السنة والسيرة والشمائل ، ما لو جمع لكان مجلدا ضخما فى الهدى النبوى ، ودستورا مشرقا فى أحكام الإسلام وآدابه ثم فى عناية سلفنا الصالح بالسنة ، ومكانها من الدين الحنيف .

هذا عرض موجز سريع ، لم نطل فيه خشية الإملال ، نذكر به أولى الغيرة على الكتاب والسنة ، راغبين إلى الله تعالى وضارعين إليه أن يسددهم ويوفقهم لتأدية دين عليهم ، يعلمون أنهم مسئولون عنه بين يدى الله عز وجل ، وأنه لن يؤديه عنهم مجرد الكتابة ، بالغة ما بلغت من بلاغة القلم ، وفصاحة اللسان .

* * *

ذلك ، ويوصى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن ، بأن يكون طابع الكتابة فى المجلة علميا ، قبل أن يكون وعظيا أو أدبيا ، ويرى غيره أن يكون طابعها فقهيا ، على حين يرغب كثيرون أن يكون منهجها تربويا واجتماعيا .

ويرى بعض الأفاضل أن يكون من المجلة ركن لتيسير الثقافة الإسلامية العامة . . . وهذا عرض ختامى للبحث والنظر . والله المستعان على اتباع أحسن القول ، وسلوك أهدى السبيل ؟

طه محمد الساكت

بنو رحم

إن الجزيرة من أقصى الشمال إلى ... أقصى الجنوب لأهل الضاد أوطان

لا فرق فى الحس والنجوى وإن شحطت ... بنا المرامى و (دس) الحقد خوان

ونحن فى الدين والفصحى بنو رحم ... وفى المطالب والآمال أخدان

فإن توحد منها اليوم معظمها ... فإن سائرها لا شك لحقان

المجد سيف وإقدام وتضحية ... والمجد عدل وإصلاح وعمران

تلك العزائم فى الإسلام بالغة ... بالله ، ما شهدت صيفا وحيزان

أحمد إبراهيم غزاوى

حصوننا مهددة من داخلها

— ٢ —

ننتقل الآن من مؤسسة روكفلر إلى مؤسسة أمريكية أخرى سبق أن قدمت كتابا من الكتب التى أخرجتها دولاراتها (١) ، هى مؤسسة فرانكلين . أصدرت هذه المؤسسة فيما أصدرته من مطبوعات (٢) سلسلة عنوانها (كيف نفهم الأطفال ــ سلسلة دراسات سيكولوجية) . وقد أشرف على هذه السلسلة وقدم لكل كتاب من كتبها الدكتور عبد العزيز القوصى المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم فى مصر . والحديث فى هذه السلسلة موجه إلى الآباء والمدرسين حسب ما هو مبين على غلاف كل عدد من أعداد هذه السلسلة ، إذ رسم فى أعلى الجانب الأيسر كتاب مفتوح ، فى إحدى صفحتيه « الطريق إلى حياة أفضل » وفى الصفحة الأخرى « علم النفس للآباء والمدرسين » .

ويؤكد الدكتور القوصى هذا الهدف ، إذ يقول فى تقديم العدد الأول من أعداد هذه السلسلة الذى صدر فى مارس ١٩٥٤ ، وأعيد طبعه فى أكتوبر ١٩٥٥ ــ مما يدل على الرواج الذى تلقاه هذه السموم الأمريكية ــ يقول فى هذه المقدمة . « هذا هو الكتاب الأول فى مجموعة من الكتب تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين إلى حياة أحسن من تلك التى يعيشونها . ولا نقصد بالحياة الأحسن أن تكون من الناحية المادية ، وإنما هى حياة أحسن من حيث الأداء لرسالة الأبوة ورسالة التربية » . فالمشرف على هذه السلسلة ــ وهو من كبار رجال التربية فى مصر ــ يعرف أن هذه المؤسسة الأمريكية تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين . وهو يقر هذا الهدف وترضى نفسه أن يعين الأموال الأمريكية عليه . وهو يعرف ــ كما يعرف كل عاقل ــ أن الناس لا يصدرون فيما يأتونه من أعمال إلا عن دوافع تدفعهم إلى العمل ، وأن هذه الدوافع مهما تختلف وتتنوع فهى تشترك فى أنها تحقق نفع الفرد أو الجماعة التى ينتمى إليها . فليت شعرى ألم يرد على خاطر الأذكياء الذين يشاركون فى هذه الأعمال ــ كتبا كانت أو مقالات أو مؤتمرات ــ

---

[١] كتاب (الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة) فى جزء شعبان ورمضان من العام الماضى .

[٢] الكتب التى تخرجها هذه المؤسسة جميعا لمؤلفين أمريكيين كما هو معروف وهى مختارة اختيارا خاصا يبرر إنفاق ما ينفق عليها من المال الأمريكى .

هذا السؤال الذى لا ينبغى أن يغيب عن البال : ما هو النفع الذى يعود على هذه المؤسسة، والذى يدفعها إلى بذل ما تبذله من جهد ومن مال ؟ إذا لم يكن هذا السؤال قد ورد على أذهان هؤلاء الأذكياء فقد ورد على ذهنى ، وأظنه قد ورد على أذهان الكثير من الأذكياء ومن غير الأذكياء . وقد تكون الإجابة على هذا السؤال طويلة ، وقد لا تكون واضحة فى أذهان الذين يتساءلون . ولكن من الأهداف الواضحة التى لا تخفى أن مثل هذه المشروعات تحقق أول ما تحققه توثيق الصلات بنفر من ذوى النفوذ وكسب ودهم وولائهم بالبذل السخى الذى يقدم فى صورة مهذبة مؤدبة جدا . فهو لا يعدو أن يكون أجرا على مجهود قد بذل، وقد لا يكون هناك مجهود، وقد يكون المجهود تافها وصوريا . وقد يكون الأجر مضاعفا أضعافا كثيرة . ولكن المأجور لا يقول عادة إن الأجر كبير . وصاحب العمل مهذب رقيق يقدم عطاءه السخى فى أدب جم وفى حياء (كأنك تعطيه الذى أنت سائله) ـ كما يقول أبو تمام :

وهدف آخر من هذه الأهداف الواضحة هو السيطرة على توجيه المجتمع ، عن طريق هؤلاء الأصدقاء من أصحاب النفوذ ، وعن طريق المخدوعين بأسمائهم ممن يقرءون ما ينشرون . والذى ينشرونه ليس باطلا كله . بل إن فيه حقا كثيرا . بل إن الباطل فيه يلبس ثوب الحق فيصعب على غير الخبير الاهتداء إلى موضع الخطر فيه . ولكن بعض الأباطيل عارية لا تخفى ولا تلبس غير أثوابها . فمن هذه الأباطيل العارية ما جاء فى العدد ١٢ من هذه السلسلة وعنوان هذا العدد هو (الطفل والأمور الجنسية) . وسأنقل فى السطور التالية صورا من هذه الأباطيل مكتفيا بهذا النقل عن التعليق .

قدم الكتاب فى صفحتى ٢٢ ، ٢٣ مجموعة من الأسئلة فى صورة اختبار يساعد الآباء ـ فيما يزعمه المؤلف ـ على تبين اتجاههم الخاص فى وضوح وفى جلاء ، وعلى تقدير ما تنطوى عليه تصرفاتهم من خطأ أو صواب ، وأثبت المؤلف الإجابة الصحيحة المزعومة على كل سؤال من هذه الأسئلة فى ذيل صفحة ٢٣ . ومن بين هذه الأسئلة السؤال رقم ٦ ونصه هو : « هل ترى فى التعبير السافر عن المحبة ما ينبئ عن ذوق ردىء أو ما يثير الحرج ؟ » . والجواب الصحيح فيما يزعمه الكتاب الأمريكى هو « لا » . والسؤال التالى هو : « هل تعتقد أن المواقف التى تتضمن ناحية جنسية تثير الضحك ؟ » والجواب الصحيح الذى أثبته الكتاب هو « نعم » .

وجاء فى ص ٤٦ : « إن الكثيرين من الآباء اليوم لا يكترثون للظهور مجردين من الثياب أمام أطفالهم الصغار . وهذا أمر لم يكن يحدث فى الماضى إلا نادرا ، كذلك أصبحت أبواب الحمامات وغرف النوم تترك مفتوحة أحيانا فيرى الصغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها ، فاذا كان فى وسع الآباء أن يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ودون شعور بالحرج أو الاضطراب فان ذلك يكون صرانا طبيعيا ، لأنه يعود الطفل على الشعور بأن الجنس ليس أمرا مشينا ، كما يساعد على إشباع فضـــوله فيما يتعلق بأجسام الكبار » [١] .

وجاء فى صفحة ٦٠ : « إذا حـدث التجريب فى النواحى الجنسية فى الفترة الواقعة بين سن ٨ ، ١٢ فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد ، إذ نجد الصبية مثلا يعرضون أعضاءهم التناسلية بعضهم على بعض ، ويعتبر ذلك محـاولة من الطفل لتحديد مدى مشابهته بأقرانه . كذلك قـد يلجأ البعض إلى ممارسة العادة السرية ـ كمحاولة لتخفيف ما يشعرون به من توتر جسمى وانفعالى ـ ومرة أخرى نقول : إن هذا السلوك لا يعتبر غير طبيعى ، ولا يدمغ الطفل بالشذوذ أو الإجرام أو الانحراف ، كما أنه لا يستدعى عقابه أو تهديده بأنه سيصاب بأمراض خبيثة ، ولا يتطلب محاضرات خافية تلقى عليه ، كما لا يبرر نبذه وتحقيره » .

وجاء فى صفحتى ٦٢ و ٦٣ : « فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معا فى الأعمال الممتعة ومواقف اللعب ، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو أفراد الجنس الآخر . وعلى الآباء تشجيع أطفالهم على المساهمة فى نواحى النشاط المشتركة بين البنين والبنات مما تشرف عليـه المدرسة والجمعيات الرياضية أو المراكز الاجتماعية . فهذا النشاط المشترك ليس « مواعيد غرامية » بل هو فرص لاشتراك البنين مع البنات فى متع الرياضة وركوب الخيـل أو الدراجات والسباحة وغير ذلك . وإذا حـدث « استلطاف » بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر إليه على أنه نوع من الصـداقة وليس « غراما » أو « عشقا » . والمعاكسات البريئة

---

[١] أرأيت إلى الذين يريدون أن يعودوا بنا إلى الهمجية الأولى والجاهلية الجهلاء ، هل ترى كبير فرق بين مذهبهم هذا وبين مذهب الذين يمارسون العرى فى مدن العراة .

التي من نوع « مراد وسمير صديقان حميان » قد تبعث في صداقتهما دفئا كانا يفتقران إليه . وقد تولد فيهما الشعور بأننا نتوقع منهما أن يسلكا مسلك الكبار » .

وجاء في صفحة ٧٨ : « إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها – في الوقت المناسب على أي حال – باعتبارها جانبا من جوانب النمو الجسمي للمراهق » .

وجاء في صفحتي ٨٧ ، ٨٨ : « في كل علاقة تقوم بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والرغبة في الكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي » .

وأخيرا يقترح مؤلف الكتاب برامج للدراسة في مراحل التعليم المختلفة ويضع تحت كل برنامج من هذه البرامج ما يرى أنه خليق بالدراسة ، ومن بين ما يراه خليقا بالدراسة في برنامج « المواد الاجتماعية » (ص ١٠٤) : « المعايير الخلقية والأخلاق الحديثة ، وأساليب المجتمع في تقرير الخطأ والصواب [١] » و « المركز الاقتصادي والقانوني للمرأة وكيف تأثر بتغير الظروف الاقتصادية في المجتمع وآثار هذا التغير على حياة الأسرة والزواج » . ومن بين ما يقترحه المؤلف في برنامج (العلاقات العائلية) ص ١٠٥ – ١٠٦ « كيف تعرف أن ما تشعر به هو الحب ؟ – كيف تختار رفيق حياتك ؟ – فترة الخطوبة – العلاقات السابقة على الزواج ... الخ » . ومن بين ما ذكره تحت عنوان : « النشاط غير المنهجي » ١٠٦ – ١٠٧ في بيان أهداف هذا البرنامج وأساليبه : « والغرض منها مساعدة الطلاب والطالبات على تنمية علاقات طيبة ، ويشرف على توجيهها المدرسون بصورة بعيدة عن الرسميات ، وهي تتضمن : أندية الشباب – صحيفة المدرسة – جمعيات الهوايات والميول – التمثيليات – مجالس إدارة الطلبة – حفلات السمر والرقص » . وجاء فيه أيضا : « فمن حق الآباء أن يهتموا بمدى كفاءة الذين يقومون على تعليم أبنائهم وبناتهم الأمور الجنسية ، فهم يريدون مدرسا يستطيع تزويد التلاميذ بنظرة عامة عن الزواج والتكيف الجنسي ، وقد يشعر البعض منهم أن خير من يستطيع ذلك هم المتزوجون والمتزوجات ، ولكن ليس هناك ما يدل على أن هذا شرط ضروري ، وإن كان له بعض المزايا » .

---

[١] تأمل معي قوله : « الأخلاق الحديثة » وكأن في الخلق قديما موروثا جاءت به الأديان ، وجديدا يخالف ما تواضعت عليه الأديان والمجتمع في تقرير الخطأ والصواب .

فإذا لم تقنعك كل هذه النماذج فهاك نموذجا من كتاب آخر أصدرته مؤسسة فرانكلين نفسها وأشرف على إخراجه وقدم له الدكتور القوصى أيضا حين كان عميدا لمعهد التربية العالى للمعلمين بجامعة عين شمس ، واسم الكتاب هو (كيف تتكامل الشخصية) .

جاء فى صفحة ٦٥ من هذا الكتاب : « إن جميع الحاجات الإنسانية سواء كانت عضوية يبتغى إشباعها للابقاء على الحياة ، أم اجتماعية يقتضى إشباعها أيضا لتضمن عيشة راضية ، أو جنسية تشتمل على الحاجتين الاجتماعية والعضوية - كلها ماهى إلا قوى دافعة إلى النشاط ، تحض على العمل بدلا من مجرد التطلع أو التفكير فيه ، وكلنا نعرف أنه عند ما تستيقظ حاجة ما ، سواء أكان نشاطها شعوريا أم لا شعوريا ، فاننا نحس بحالة من التوتر ، وأن هذا الشعور يفقدنا الهدوء والراحة ، ويستفزنا للعمل على الحد من شدة هذا التوتر أو التخلص منه كلية ، وعندئذ نعود إلى الهدوء مرة أخرى ، أى أنه متى تم إشباع حاجة من حاجاتنا زال التوتر ، وهذا القول يصدق على جميع الحاجات البشرية » .

وجاء فى صفحة ٧٢ تحت عنوان (المشاعر الجنسية مشاعر طبيعية) : « ولنصور المسألة الآن تصويرا واضحا . إن الطبيعة الجنسية ليست بالشىء الشاذ أو المشوه ، بل إنها الحياة الجنسية التى تقوم عليها الأسرة ، تلك الأسرة التى تعتمد عليها ثقافتنا ، والشىء الطبيعى الصائب أن يحب الفتيان الفتيات وأن تحب الفتيات الفتيان ، والواقع أن أغلب المشكلات التى هى مصدر لشقاء شباب العقد الثانى من العمر ومن يكبرهم من إخوة وأخوات يمكن ردها إلى الثقافة والمدنية التى نعيش فيها ، أو على الأقل يمكن أن نقتفى أثرها فى الاتجاهات السائدة فى هذه الثقافة أو المدنية ، وإنها لحقيقة على جانب عظيم من الأهمية أن الثقافات التى يتعلم النشء فى ظلها الحقائق الجنسية فى سن مبكرة وبطريق عرضى بحيث لا يكتنفها إبهام أو غموض لا يتعرض الأطفال ولا الشباب فيها لتلك المشكلات المألوفة فى حياتنا وحياة أصدقائنا » . ثم يقول بعد ذلك فى صفحة ٧٥ : « فالشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية - كل هذه ليست أمورا شائنة ، فليهدأ الشباب بالا ، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل فى باب المحرمات ، ولعل كثيرا مما تكتبه كان ضحية سوء التوجيه » .

هذه نمـاذج من الآراء التى يشرف المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم على ترويجها فهل تجد فيها الـكفاية لتعليل بعض ما يجرى من حولنا فى هذه الأيام ؟

وبعد : فهذه الدعوات وأمثالها مما نتزعج له لأنه ينافى الدين والخلق القويم ، ومما نسميه نحن بذاء أو فجورا ، ويسميه أصحابه (علما) ويضمونه تحت عنوان جميل اسمه (علم النفس) ، ويغوون الناس باسم العلم فيما فشل فيه التبشير والدعوات الهدامة طوال قرن من الزمان . نعم ، هذا البذاء وهذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق ونقضه وإشاعة الفاحشة بين خلق الله تسمى عند الأمريكيين وسماسرتهم (علما) . فقد كتب بالخط الفارسى الجميل على غلاف هذا الـكتاب وعلى غلاف كل كتاب من كتب هذه المجموعة ـ وهى على اختلافها تشترك فى الـكلام عن الجنس والاهتمام به ـ « سلسلة دراسات سيكولوجية » . والسيكولوجيا هى ما يترجمه الذين رزئ بهم هذا البلد بـ « علم النفس » .

وعلماء النفس هؤلاء يبنون قواعدهم وقوانينهم على تجـارب مهما يظنوا بهـا الدقة فهى معرضة للخطأ من نواح كثيرة ، ومهما يظن الناس بهـا الأمانة فهى معرضة للتحيز ولأن تـكون أداة فى يد أصحـاب المذاهب السياسية والاقتصادية والدينية [١] . إذ من الواضح أن هذه التجارب ـ مهما ادعى أصحابها شمولها ـ هى غير شاملة لأفراد الجنس الذى تجرى عليه ؟ ثم إن نجاحها بعـد ذلك يتوقف فى كثير من الأحيان على صراحة الأفراد المستجوبين وصدقهم ، وعلى أمانة الباحثين وبعدهم عن التحيز ، وصحة إدراكهم لدلالات ما يشاهدون وما يحسون ، وعلى توافر كل ما يستلزمه الحـكم الصحيح من شروط ، ومهما يحرص صاحب التجارب النفسية والاجتماعيـة على التنوع وعلى الشمول فى اختيار الذين يجرى عليهم تجاربه ، فليس هناك وسيلة للقطع بأن الأفراد الذين جرت عليهم التجارب أو الإحصاءات يمثلون الجنس الذى ينتمون إليه تمثيلا صحيحا . ثم إن هـذه التجارب محدودة بحدود الزمان والمـكان . فهى تمثل جيلا من الجنس الذى تجرى عليه التجارب

---

[١] راجع [الحرية والثقافة] لجون ديوى ط . الجامعة العربية ١٩٥٥ ص ٤٠ ـ ٤١ ، خبراء النفوس لمليجى ط مصر ١٩٥٦ ص ١٧ ـ ٢٨ ، وراجع كذلك على سبيل المثال الفصلين الرابع عشر والخامس عشر من كتاب « ميادين علم النفس التطبيقية والعمليه » ط للمعارف بمصر ١٩٥٦ ج ٢ ص ٥٢٣ ـ ٦٢٦ .

وليس هناك ضمان لصحة الحكم المستنبط بالقياس إلى الأجيال السابقة واللاحقة ، لأن الحكم الذى يصلون إليه هو فى أكثر الأحيان خاضع لظروف معينة مرتبطة بالمكان أو الزمان أو الملابسات . ومن الأهمية بمكان فى مثل هذه البحوث أن نتأكد من نزاهة الباحث وأنه غير مسخر لخدمة مذهب معين من المذاهب السياسية أو الدينية . فاذا استوثقنا من ذلك كله بقى أن نستوثق من أنه غير واقع تحت تأثير آراء معينة تحيد به فى تجاربه وفى استنباطه عن الحق ، وأنه قد التزم الدقة والأمانة واعتصم بالصبر والأناة فى هذه التجارب .

من أجل ذلك كثرت مذاهب النفسيين والاجتماعيين وتعددت آراؤهم وأصبح كل فريق منهم ينكر آراء الآخرين أشد الإنكار ويسفهها أشد التسفيه . فما أكثر ما نشاهد بين النفسيين والاجتماعيين من خلاف ، وما أعظم ما نجد بين مذاهبهم من تفاوت يبلغ حد الطرفين المتناقضين فى كثير من الأحيان . والواقع أن بحوث النفس والاجتماع ليست علوما بالمعنى الدقيق كما يتوهم كثير من المخدوعين بها ، وجل ما توصف به أنها فروض علمية يحاول مفترضوها أن يعللوا بها بعض الظواهر النفسية والاجتماعية ، ولو عرف هؤلاء المخدوعون ما تتعرض له من تغير دائم لا يستقر لعلموا أن من المجازفة الخطرة الهدامة أن نترك نصوص الدين الثابتة المسلمة إلى هذه الفروض المتغيرة التى ينقض بعضها بعضا ، وأن كل سند أصحاب هذه الدعاوى النفسية والاجتماعية الشاردة هو الظن الذى أضل من قبلهم من الكافرين ، والذى وصفه الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بأنه لا يغنى من الحق شيئا .

وحقيقة الأمر فى ذلك كله أن العقل ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها ، لأن النفس تدخل فى عالم الغيب الذى لا يخضع لحاسة من الحواس ، ولأن تقرير الخطأ والصواب فى علم الأخلاق يحتاج لمعرفة العلة الأولى والهدف الأخير ، ونحن لا نعرفهما . من أين جئنا وإلى أين نصير ؟ وهل ذلك الذى يبدو ضارا فى اللحظة الراهنة يمكن أن يكون نافعا فى مستقبل الزمان قريبه أو بعيده ــ والقرب والبعد فى الزمان مسألة نسبية ؟ وهل يمكن أن ندرك وجها من وجوه النفع فيه لو أتيح لنا معرفة ما غاب عن علمنا من بعض الظروف الملابسة له ؟ (وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام فى سورة الكهف من أروع الأمثلة لتصوير هذا القصور البشرى فى إدراك الخير والشر) .

هذا إلى أن عجز الحواس البشرية أصبح شيئاً محسوساً ملموساً تؤيده التجربة العلمية الآن . فالعين البشرية مثلا ينحصر مدى إدراكها فيما بين الموجات الضوئية التى طولها ٧٠٠٠ ، والموجات الضوئية التى طولها ٤٠٠٠ من السنتيمتر ، وهى الموجات المحصورة بين اللون الأحمر واللون البنفسجى . وهى لا تدرك بعد ذلك شيئاً مما فوق البنفسجى ، ولا تدرك شيئاً مما تحت الأحمر . وقل مثل ذلك فى حاسة السمع وفى سائر الحواس . وإذا ثبت قصور الحواس فقد ثبت قصور التفكير البشرى المبنى على مشاهدات هذه الحواس .

فالتجارب والإحصاءات إذن ليست هى الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة فى مذاهب الناس وسلوكهم ، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان والحواس . ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد فى التنظيم الاجتماعى والتقنين التربوى الخلقى إلى الشرائع السماوية ، لأن موضوعها هو هذا التنظيم وجمع الناس عليه . أما العقل فميدانه المسائل المادية الخالصة كالهندسة والكيمياء ، وكل ما اصطلح الغربيون فى هذا العصر على تسميته بالـ Science [١] لذلك لم تنزل الشرائع والأديان السماوية إلا بما يدخل فى عالم الغيب مما يتصل بالسلوك الذى يترتب على إدراك الخير المطلق والشر المطلق ، لأن العقل البشرى عاجز بطبيعة تكوينه عن إدراكه ، ولو أخذ فيه لخبط فى أودية من الظن والوهم الذى لا يستند إلى دليل ولاختلف الناس فيما بينهم اختلافاً شديداً لا يجتمعون معه على رأى ولا يلتقون عند غاية . وقد ترك الدين بعد ذلك للعقل أن يسرح ويمرح كيف شاء فيما هو صالح له من ميادين البحث والمعرفة . فلم ينزل نبى من أنبياء الله بنظريات فى الهندسة أو فى الطبيعة أو الكيمياء — إلا ما يكون من ذلك على سبيل إظهار المعجزة — لأن ذلك من شأن العقل ، وهو مهيأ له . أما مادون ذلك من عالم الغيب الذى لا يخضع لمشاهدته وحسه فهو خارج عن حدود طاقته وقدرته بحكم فطرته التى فطره الله عليها . وذلك هو معنى قوله تعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» ، لأن الله سبحانه وتعالى حين علم عجز العقل وقصوره أرشدنا فيما هو خارج عن حدوده إلى ما فيه صالحنا رحمة بنا . وذلك أيضاً هو

---

[١] على أن العقل لا يستطيع فى كل هذه العلوم إلا إثبات مشاهدات . وهو بعد ذلك عاجز عن معرفة حقيقة أى شىء . فالفاصل بين الإنسان والحقيقة — كما يقول العالم الأمريكى المعاصر لنكولن بارنت — قد اتسعت فجوته بعد أن اتضح عجز حواس الإنسان . فعلماء الطبيعة مثلا يمكنهم أن يصفوا كيف تعمل الأشياء ، ولكنهم لا يعرفون ولا يحتاجون أن يعرفوا حقيقة هذه الأشياء (راجع «العالم وأينشتين» — رقم ١٥٤ سلسلة «اقرأ» — دار المعارف ، ص ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٧) .

السبب فى جعل التسليم لحكمة الله والانقياد لأوامره ولزوم حدوده هو الأصل فى التدين وهو الخطوة الأولى فيه (إن الدين عند الله الإسلام) . والمثل مضروب فى القرآن بقصة أبينا إبراهيم ، إذ أمر أن يذبح ابنه فانقاد للأمر هو وابنه دون أن يعرفا وجه الحكمة فيه أو يسألا عنه ، فحققا بذلك ما أراد الله سبحانه من اختبارهما (فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين : الصافات ١٠٣-١٠٥)

جمع الدين الناس على قيم الخير ومثله ، وهى قيم موحدة متفق عليها ، ثم جاء هؤلاء الباحثون باسم علم النفس والاجتماع ففرقوا الناس ومزقوا وحدتهم وشككوهم فى قيمهم ، ثم لم يستطع واحد منهم أن يجمعهم على مذهبه بعد أن فرقهم فى الدين ، ولم يستطع واحد منهم أن يقدم البرهان الحاسم على صدق مذهبه فماج بعض الناس فى بعض ، وبغى بعضهم على بعض ، وأصبح العلم والمعرفة عامل فرقة وفساد وانحلال بدل أن يكون عامل سعادة ووئام ، وأصبح كل مجرم لا يعدم سندا له فى تبرير دوافعه إلى الإجرام من قواعد علم النفس المزعوم .

وليس يفهم من ذلك كله أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة العقل والتفكير ، ولكن الذى ندعو إليه هو أن ندرك حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية ، فنقيد أنفسنا فى هذه البحوث وأمثالها مما يتصل بعالم الغيب بقيود الدين ، نلتزم حدوده ولا نعتسف الطريق حتى لا نتعرض للضلال والهلاك ، فنحن إذن لا نعطل العقل ، ولكننا نحفظه من الضلال ، ونلزمه أصولا وقواعد هى كالسور الذى يعصم السالك فى الظلام من التردى فى الهاوية ، وهى مثل قوانين المنطق التى لا يعتبر التزامها حدا للتفكير ولكنه عصمة له ، وهى مثل الدستور الذى لا يعتبر تقييد المشرعين به فى كل ما يشرعون حدا من سلطتهم ولكنه ضمان لهذه السلطة أن تزيغ عن القصد ، عن علم أو عن غير علم .

ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه فى الصناعات الآلية التى كانت سببا فى مجده وسيادته ، فمن المؤكد أننا فى غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق التى تدل الأمارات والبوادر على أنها ستؤدى إلى تدمير حضارته والقضاء عليها قضاء تاما فى القريب العاجل ، إننا نحتاج إلى مواد البناء ، لأن لدينا من عوامل الضعف والهدم ما يكفى .

ومع ذلك كله نجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين ، وهم يلحدون فى آيات الله فيميلون بها عن وجهها حينا ، ويجادلون فيها أشد الجدال حينا آخر . ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراء ، هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن ، ولكنها تقوم بهذه الظنون والأوهام ، فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى - وهم يزعمون أنهم مسلمون - لووا رءوسهم وقالوا : نحدثك فى العلم فتحدثنا فى الدين ؟ كأن هذه الأوهام أثبت عندهم من القرآن ، أترى فرقا بين هؤلاء ، وبين أمم قد خلت قبلهم من الضالين كانوا يقولون إذا ذكروا بآيات الله : « قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون » .

الدكتور محمد محمد حسين

الأستاذ بجامعة الإسكندرية

وحدتنا

• ليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن كل بلاد تنطق العربية بلادنا ، ولابد أن تحرر بلادنا . . .

• وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن المسلمين فى شتى بقاع الأرض إخوة ، ولابد أن يتعاون الإخوة فى البأساء والشدة . . .

• وليعرف من شاء ومن لم يشأ أن كل إفريقى لكل إفريقى أخ وجار ، ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يستغنى ويأمن ويتحرر . . .

• لقد عاش ساسة أوربا زمانا يرددون قول الشاعر الإنجليزى « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، فاليوم قد آن لنا أن نقول مثل قولهم : « نحن الشرق ، بإزاء مطامع الغرب ، أمة واحدة » .

جمال عبد الناصر

إلى الشباب :

فى معترك الحيـــــــاة العامة

(جاءنى شاب ازهرى ، كان تلميذا لى فى الأزهر ، وأتم دراسته هـذا العام فى إحدى كلياته ، وقال لى : أنا أحد تلاميذك ، وقد فرغت من الدراسـة ، وأتأهب الآن للعودة إلى بلادى ، وسأنزل ميدان الحياة العامة بعد قليل ، وقد سعيت إليك راجيا منك كلمة توجيه ونصح ، أتدبرها وأنتفع بهـا فى حياتى .

فدارت فى ذهنى خواطر تترجمها الكلمات الآتيـة ، التى أرجو أن تكون شعاع توجيه ، لا للشاب السائل وحده ، بل له ولكل أمثاله من الشباب فى دنيا الإسلام) :

تسألنى ــ أدام الله عليك نعمة التوفيق فى القول والعمل ــ أن أنصحك وأنت تتهيأ لنزول معترك الحياة الاجتماعية العامة ، بعد إنهاء دراستك ، وقد تكون أقدر منى على الاهتداء إلى سبيل الخير ، وتعرف طريق البر ، ولكن العادة جرت بأن يطلب اللاحق من السابق كلمة يستهدى بهـا فى حياته ، ويجعلها نبراسا له فى خطواته ، ثقة منه بهـذا الناصح السابق ، وجريا على هذه العادة أقول لك :

لقد كنت ــ وأنت شاب تطلب العلم ــ مشغولا بأمرين : أمر دراستك التى كانت ترهقك ، وتنال من صحتك ، لكى تكون مبرزا فيهـا موفقا ، وأمر المثل العليا التى كانت ــ ولعلها ما زالت ــ تساور جنانك وخيالك ، وكان لك من شبابك ما يجعلك تساير هـذه المثل إلى أشواطها الفـكرية البعيدة ، ومسابحها النظرية العالية ، ولعلك كنت تحسب أن تحقيق هذه المثل فى دنيا الناس ومحيط الواقع أمر سهل ميسور ، وأنك ما تكاد تنتهى من فترة الطلب ، وتدخل هـذه الدنيـا حتى تسارع إلى تطبيقها وجعلها حقائق ملموسة ! . . .

فاذكر جيدا ــ وقبل أن تصدمك الحقيقة المؤلمة ــ أن هنـاك فارقا ــ بل فوارق ــ بين دنياك الفكرية المحشودة بالمثل العليا ، وبين واقع الحياة الحاضرة التى رتع أبناؤها هنا وهناك ، فاتسعت شقة البعد بينهم وبين هذه المثل .

وستخرج إلى الحياة لتجد عن يمينك وشمالك أمورا وأشياء لاتبتغيها ولا ترتضيها ، فإن ثرت عليها كلها ثورة المتحمس المتعجل صدمتك وصدتك ، وربما أيأستك ، وإن تدرجت لعلاجها وإصلاحها بالإيمان والإخلاص والحكمة والصبر استطعت أن تؤدى واجبك ، ولو لم تصل إلى نهاية الطريق ، وإنما عليك أن تسعى ، وليس عليك إدراك النجاح .

ستجد أن استمساكك بدينك وأخلاقك ومبادئك العالية يضايقك ويؤلمك ، ويحرمك الكثير ، ويبعد عنك الكثير ، لأن الناس لا يصادقون اليوم إلا على غرض أو مرض ، ولكنك ستجد ـ إذا صح يقينك وإيمانك ـ راحة فى أعماق نفسك ، تعوضك عن الشقاء الحسى الذى يحيط بك فى دنيا الناس ، فحاول دائما أن تسق هذا المعنى ـ معنى الراحة النفسية ـ برحيق التذكر ، والتفكر ، والإقبال على الله ، والثقة بعدله ـ وإن ابتعد موعد الحكم فى نظر الناس ـ وحسن الانتظار لفضله فى العاجلة والآجلة : « وما عند الله خير للأبرار » .

وسيقول الناس لك حينما يلمسون هذا الديدن منك : إنك تعيش فى دنيا الخيال ، وإنك تضيع عمرك فى الأوهام ، وإنك لا تحسن اكتساب الدنيا ! فلا تطل الجدال معهم ، ولا تسهب فى الرد عليهم ، فانك فى واد ، وهم فى أودية أخرى ، بل الجأ إلى أعماق نفسك المؤمنة ، لتوقظ فيها المعانى المذكرة لك بمتعتك الروحية الرفيعة الواصلة لأسبابك بأسباب الله قيوم السموات والأرض .

* * *

وستجد فى مواطن كثيرة أن أناسا عديدين يسبقون وحقهم أن يتأخروا ، وأن أناسا عديدين يتأخرون ـ أو يؤخرهم الناس بتعبير أدق ـ وهم أحق بالسبق والتصدر ، وربما وجدت إمعات فى مكان الصدارة ، ووجدت عمالقة أو أبطالا فى مؤخرة الركب ، فتذكر أن موازين الناس على عهدك وعهد الناس من حولك موازين مختلة معتلة ، قد تخفض الرجيح الرزين ، فتحرمه حقه ونصيبه ، وتقدم الإمعة التافه فيفوز بحظوظ سواه ، ولا يحملنك هذا الاختلال على أن تتنكر لمبادئك ، أو تفرط فى أداء واجبك ، أو تتابع غيرك على باطله لتصل كما وصل .

وتذكر دائما قول رسولك صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول :

أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » ! .

وعليك أن تتذكر أن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وأن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » ؛ وأن الضلال يستأسد حين يغفو أهل الحق عن حقهم ، وأن المنكر لا دولة له إذا ما صدقت جولة المعروف أمامه ! . . .

وقد يحرمك المجتمع حقوقا فى حسك ، ولكن الله يعوضك عنها حقوقا أكبر منها وأفضل فى نفسك . . . وقد يحرمك الله الذهب ويمنحك الأدب ، وقد يحول بينك وبين الجاه ، ولكنه يحفظ عليك الدين ، وقد يسد عليك بابا من أبواب المتعة المادية ، ولكنه يفتح عليك أبوابا من الراحة القلبية ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » ، وقوله عز من قائل : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وقد تكون للأرض عدالة محدودة ، وقصاص فى نطاق ضيق ، وقسمة بحسب الظاهر ــ والظاهر خداع ــ ولكن عدالة السماء أوسع وأسمع ، وقصاص الله أعلى وأعدل ، وقسمته أصح وأقوم ، وهو أحكم الحاكمين . . .

فإن رأيت آثما لا يقتص منه ، أو ظالما لا يرد عليه ، أو آخذا بغير الحق لا يستقيم الحساب معه ، أو مظلوما لا ينتصف الناس له ، فلا تحسبن ذلك إلى غير نهاية ، بل لابد من يد تقيم المعوج ، وتحق الحق ، وتبطل الباطل ، اليوم أو غدا أو بعد غد : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ . . .

وقد تكون هذه اليد يدك ، أو يدا من بين من تراهم أمامك ، وقد تكون من بين أناس لا تراهم ، وقد تكون فى النهاية يد الله العلى الأعلى الذى يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » .

* * *

وقد تشرع فى عمل ، وتأمل من ورائه نتيجة وثمرة ، وتقدر لهذا العمل وقتا معلوما

وجهدا محدودا ، ولكنك بعد أن تبذل الجهد وتستنفد الوقت ربما لا تجد الثمرة أو النتيجة ، بل ربما وجدت ما بنيته وقد تهدم ، وشاهدت ما أقمت وقد تقوض ، وقد يعرض لك هنا عارض اليأس والاستسلام ، فتجعل عملك هذا هو المحاولة الأولى والأخيرة ، فلا تنس أن طريق النجاح والوصول إلى المأمول ليس مفروشا بالورود والرياحين ، بل هو ملىء - عادة - بالأشواك والعثرات ، وأكثر الأعمال العظيمة في تاريخ الإنسانية كانت مواليد لمحاولات تجسم فيها الفشل ، ولكن العزيمة الصادقة المصممة جاءت من وراء هذا الفشل فدفعته وسحقته ، وخطت خطواتها الموفقة إلى رائع النجاح .

وقد وضع الله لك في هذا المجال عبرة أي عبرة في مخلوق ضعيف صغير ، وهو النملة التي تحمل الحبة - والحبة تكبرها أضعاف المرات - وقد تفشل النملة في حمل الحبة عشرات المرات ، ولكنها تعزم وتصمم ، وتحاول ثم تحاول ، فتحملها ، وتنجح ! ! . . .

كما علمنا الحق تبارك وتعالى أن نصره يأتي بعد تحمل الشدائد ومقاساة الأهوال ، والمصابرة أمام النكبات ، والمطاولة للملمات والأزمات : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ؟ مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » ، « حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

• • •

وقد يخيل إليك وأنت تتسلم إجازتك الدراسية الأخيرة أنك قد طويت كتاب الطلب للعلم ، وفتحت باب الاستقلال لما علمت ، وأنك أصبحت غنيا بعلمك ، وأنك بغير حاجة إلى مزيد من الدراسة والطلب ! . . وليس هناك ما هو أخطر عليك من مثل هذا التخيل ؛ وأنت قد حفظت من قبل الأثر المشهور : « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » وأنت معدود في صفوف العلماء ما دمت تطلب العلم ، فإذا بدأت تظن أنك قد كملت علما فقد بدأت تجهل ! ! . . .

وأنت حين تخرجت في « كليتك » قد انتقلت إلى « كلية » أرحب منها وأوسع ، هي كلية الحياة التي ستصول فيها وتجول ، والتي يجب أن تتصل فيها حلقات بحثك واطلاعك وقراءتك وكتابتك وإنتاجك العلمي ، وارتباطاتك بأسباب المعارف والثقافات ، فلا يغلبنك في الحياة صديق على صديقك الأول الدائم المخلص ، وهو الكتاب ! ! .

ولا تأسين تلقيح أفكارك وتجديد معلوماتك بما تتفتق عنه عقول الكاتبين والباحثين فى شتى الميادين من أفكار ونظريات وآراء . ولا حرج عليك فى هذا الباب أن تقرأ فى أى كتاب ، ما دامت مناعتك الروحية والعقلية تميز لك بين الخبيث والطيب ، وتفرق لك بين الخير والشر ، وتعصمك من المتابعة للتافه الرخيص ، ومن الاغترار بالكاذب الخادع ، ومن التنكر للزاد العلمى الدسم الممتع .

ومع هذا فانه من الخير كل الخير أن يكون لك أصول فى مصادرك ومراجعك ، بحيث تكون هذه الأصول موازين لغيرها من المصادر أو المراجع ، ويهتف بى هاتف من أعماق نفسى بأن أنصحك فى هذا المجال بأن تجعل فى طليعة هذه الأصول كتاب الله عز وجل ، وما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما استفاض حول الكتاب والسنة من تفاسير وشروح بأيدى الخيرة من العلماء القدامى والمحدثين ، ولا تنس أن تعض بنواجذك ما استطعت على مؤلفات أمثال ابن كثير وابن تيمية وابن القيم ومحمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا ومحمد إقبال وصادق الرافعى وأمثالهم ، ولست أخصص ، وإنما أذكر ما يصلح نموذجا لغيره من مؤلفات جمع أصحابها - فى أكثر ما كتبوا إن لم يكن فى كل ما كتبوا - الدين والعقل والبيان وحسن التأتى لعرض الموضوع ، وليس معنى هذا أنهم معصومون لم يخطئوا أو لم يختلفوا ، فكل غير معصوم يؤخذ منه ويرد عليه .

وليس معنى هذا أيضا أن تظل أسير الكتب والمطالعة فحسب ، فانك إن فعلت جنيت على نفسك ، وفاتك خير كثير ، فهناك مدرسة واسعة جليلة الأثر عظيمة الثمر ، هى مدرسة التجارب ومعالجة الحياة وملاقاة الأحياء .

إن هذا الكون بما يموج فيه كتاب كبير ، مفتوح على الدوام بين يديك وأمام عينيك ، فقلب فى صفحاته ، وتنقل مع لوحاته ، واستفد من سجلاته ، وانتفع بعظاته ، وقديما قيل : من لم يؤدبه والداه ، أدبه الليل والنهار ! ! .

وأنت شاب مسلم قد رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، وبالقرآن هاديا وإماما ، وقد تجد فى مجتمعك أمورا تخالف عقيدتك أو تتنكر لها ، وربما وجدت من أدعياء العلم أو تجار الدين من يحاول استخلاص التسويغ الدينى لتلك الأمور المخالفة لدينك وعقيدتك ، فتذكر هنا دائما أن الدين جاء لنحتكم إليه ، لا ليحتكم هو إلى غيره ، والواجب أن نخضع الحياة لمبادئ ذلك الدين الذى آمنا به وارتضيناه ، لا أن نخضع نصوص ذلك الدين لأوضاع هذه الحياة .

ولو استقام أمر الحياة ، واستقام فهم الدين من مصادره ، لتلاقى الدين الصحيح مع الحياة القويمة على شرعة سواء ، فإنما جاء الدين للحياة وللأحياء ، لا ليكون بمعزل عن الحياة والأحياء ، والمهم هنا هو أن نحسن فهم هـذا الدين بلا إسراف أو اعتساف ، وبلا جمود أو ابتداع ، وأن نحسن التفرقة بين مايليق ومالا يليق من أمور هذه الحياة ؛ والطريق هنـا دقيق شاق يكاد يشبه الصراط ، والطلائع فيه والرواد لغيرهم عليه يجب أن يكونوا أهل بصر وبصيرة ، وأهل فقه وحكمة ، وأهل خبرة وتجربة ، وإلا أفسدوا هـذا الطريق على أنفسهم ، وأفسدوه على من وراءهم من الناس ، فيكونون والعياذ بالله قد ضلوا وأضلوا .

ولو قيض الله لعباده عصبة تحسن فهم الدين وتطبيقه ، كما تحسن فهم الحياة وإقامتها ، لـكان أفراد تلك العصبة أعلام الإصلاح فى تاريخ الناس ! ! . .

* * *

وقد يكون من نافلة القول بالنسبة إليك أن أوصيك بالمحافظة على الجانب التعبدى فى حياتك ، فإن هذا الجانب ـ إذا فقهت أسراره ، وأتقنت أداءه ، وحفظت مواقيته ـ يلطف حسك ، ويهذب نفسك ، ويجعلك موصول الأسباب بالملأ الأعلى ، ويذهب عن صدرك كثيرا من الهم والحزن ، ويفتح عليك أبواب البركات والمنن : « ومن يتق الله يجعـل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قـد جعل الله لـكل شيء قدرا » ، « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ، « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحـا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ، « فمن آمن وأصلح فـلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ، « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ، « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم ، لا يمسهم السوء ، ولاهم يحزنون » .

وأطل التدبر فى قول من قال : « لا تطمع فى الخوف من الله مع الرغبة فى الدنيـا ، ولا تطمع فى إلهـام الحـكمة مع ترك التقوى ، ولا تطمع فى الصحـــة فى أمورك مع موافقة الظلمة ، ولا تطمع فى حب الله مع محبة المـال والشرف ، ولا تطمع فى لين القلب مع الجفاء لليتيم والأرملة والمسكين ، ولا تطمع فى الرقة مع فضول الـكلام ، ولا تطمع فى رحمة الله مع ترك الرحمة للمخلوقين ، ولا تطمع فى الرشد مع ترك مجالسة العلماء ، ولا تطمع فى الحب لله مع حب المدحة ، ولا تطمع فى الورع مع الحرص على الدنيا » .

وأريد لك بعد هذا أن تعيش على الدوام فتى في حسك ونفسك ، وروحك وعزمك ، وقلبك وعقلك ، قد تشيب ناصيتك ولكن لا يشيب فؤادك ، أريد لك أن تكون أحد الفتية الذى آمنوا بربهم فزادهم ربهم هدى ، أريد أن تبذل جهدك على الدوام كى يتوافر لك القوة فى الجسم ، والصحة فى العلم ، والعمق فى الفهم ، والرقة فى الحس ، والطهر فى النفس ، والحذق فى التصرف ، والاطمئنان عند الغرم ، والتواضع عند الغنم ، والثقة بالخالق ، والخدمة للمخلوق .

لاتهمل حسك ، ولا تسرف على نفسك ، ولا تستنم لهواك ، ولا ترهق جسمك ، فإن لبدنك عليك حقا ، ولا تتعب قلبك ، فان القلوب إذا ملت عميت ، والنفوس بحاجة إلى ما ينشطها ويروح عنها ، وذلك يكون بمقدار ، وتذكر قول ربك : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

وعليك بتوثيق صلتك الفكرية والعقلية بالطبيعة ومظاهر الكون الخالدة ، فإن الله عز وجل إذا كان قد أنزل على عباده كتابا مقروءا هو القرآن ، فقد برأ لهم كتابا منظورا هو الكون ، ولو أدمت النظر فى هذا الملكوت ، وأدمنت التدبر لمظاهر هذا العالم ، لازددت علما وفهما وطمأنينة وإيمانا ، وربك يدعو إلى ذلك حيث يقول : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ! .

ثم أدعو لك دعاء حريص عليك ، آمل فيك ، منتظر منك الخير لنفسك وللناس ، فأقول : جنبك الله الشبهة ، وعصمك باليقين ، وزانك بالتقوى ، وجملك بالوفاء ، وأغناك به عن سواه ، وهون فى عينك متاع الحياة ، وجعلك من الدعاة إلى طريقه ، والمستمسكين بهداه ، حتى تكون من عباده الذين « رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه » .

ولقد قدمت إليك بالنصح وإنى إليه لمحتاج ، والله خير مستعان ، هو يتولانى وإياك برحمته وتوفيقه . وسلام الله عليك »

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

دعوة الاسلام

ومنهجها فى الاصلاح

- ٢ -

تمهيد وتقديم :

« الفطرة الإنسانية وصلتها بالدين والتدين »

بينا فى الحديث السابق ، أصول المواهب التى قامت عليها فطرة الإنسان ، وعلى ضوء هذا البيان ، نستطيع أن نقرر الحقائق الآتية :

« الحقيقة الأولى » أن الإنسان لم يخلق فى هذه الحياة عبثا ، ولم يترك فيها سدى ، يعيش لعبادة أهوائه وشهواته ، ويحيا لإشباع غرائزه ونزواته ، لا رقيب ولا حسيب ، ولا مسئولية ولا جزاء ، « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم ، ٢٣ : ١١٥ - ١١٦ » وإنما خلق ليكون خليفة فى الأرض ، يحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، وتجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، وفاء بما توجبه حقوق الألوهية والربوبية ، وتحقيقا لما تقضى به قواعد العدالة الإلهية .

« الحقيقة الثانية » أن هذه الفطرة التى فطر عليها ، وضعت فى يده زمام المعركة القائمة بين الروح والمادة ، وجعلت مصيرها متوقفا إلى حد كبير ، على كيفية توجيهه لأنظاره وأفكاره ، وقيادته لمواهبه وغرائزه ، وأن التوجيه الذى هو من مقتضيات فطرته واستعداده ، هو أساس التكليف والابتلاء ، ومدار المسئولية والجزاء .

« الحقيقة الثالثة » أن الإنسان مفطور بطبيعته على الدين الحق ، والاعتراف لله بالربوبية والخالقية ، كما قال تعالى فى سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ٣٠ : ٣٠ » . وعلى أساس هذا الدين الفطرى ، قامت دعوة الدين التعليمى ، الذى بعث الله به الأنبياء والرسل ، فكانت رسالتهم قائمة فى أصولها ،

على دعوة أقوامهم إلى توحيد الله فى ربوبيته وألوهيته ، ودعائه وعبادته ، كما قال الله تعالى فى سورة الأنبياء : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ، ٢١ : ٢٥ » وهكذا كانت رسالة كل نبى ورسول قائمة على دعوة قومه ، إلى توحيد الله فى ربوبيته وألوهيته ، أما أصل الاعتراف بالربوبية والألوهية ، فذلك أمر مركوز فى فطرهم وأحاسيسهم ، غير أن هذا الدين الفطرى الوجدانى ، تختلف مظاهره باختلاف العوامل التى تنميه أو تضعفه .

« الحقيقة الرابعة » أن الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، غير أن هذا التدين الفطرى ، قد يكون قائما على أصول وأوضاع فاسدة ، أوحى بها جهل الإنسان لافتقاده الرائد والمرشد أو ضعفه أمام سلطان الأوهام والعادات ، وهـذا هو شأن الإنسان فى أكثر أطواره وأجياله ، وقد يكون قائما على أصول وأوضاع صحيحة ، وذلك إذا كان مستمدا فى عقائده وأعماله من تعاليم الأديان الإلهية والشرائع السماوية .

وخلاصة هذه الحقيقة ، أن الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، أما كون هذا التدين صحيحا أو فاسدا ، فراجع إلى العوامل والمؤثرات الخارجية ، فصحته راجعة إلى تعاليم الدين السماوى وتوجيهاته ، وفساده راجع إلى ضعف الإنسان أمام عوامل الإضـلال والانحراف .

« الحقيقة الخامسة » أن كل محاولة لصرف الناس عن الدين والتدين ، وحملهم على اعتناق مذهب الإباحية والإلحاد ، إنما هى محاولة خاسرة فاشلة ، لأنها محاولة لصرفهم عن مقتضى فطرهم وطبائعهم ، وما مثل القائمين بها إلا كمثل الذى يقول :

ومكلف الأيام ضـد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار

ولا يرد على تقرير هذه الحقيقة ، استجابة بعض الجماعات لدعوة الإباحية والإلحاد ، فإن ذلك ليس راجعا إلى مقتضى أحاسيسهم ومشاعرهم ، وإنما هو راجع إما إلى عوامل الإغراء ، وإما إلى رهبة القوة الغاشمة ، التى فرضت عليهم تعاليم الإلحاد بالقوة القاهرة ، فإذا ما تقشعت غمة الإغراء والجهل ، أو زالت رهبة الإكراه والقهر ، عادوا سراعا فى شوق وحنين ، إلى حظيرة الدين الكائن فى أعماق قلوبهم وفطرهم .

هذه هى الحقائق المستمدة من تاريخ الإنسان فى ماضيه وفى حاضره ، وسيبقى الإنسان

متدينا بطبيعته وفطرته ، وسيبقى العالم عامرا بالدين والتدين ، ما دامت صفحات الوجود تطوى وتنشر ، على رغم دعاة الإباحية والإلحاد ، الذين يريدون النزول بالحياة الإنسانية الفاضلة ، إلى حضيض المادية الحيوانية الفاجرة .

وإن اليوم الذى تختفى فيه معالم الدين من الأرض ، وتسود فيه تعاليم الإباحية والإلحاد ، هو اليوم الذى تطوى فيه آخر صفحة من صفحات هذا الوجود .

هذه هى الحقائق التى يمكن استخلاصها ، مما ذكرناه من مقومات الفطرة الإنسانية ، والتى توضح صلة هذه الفطرة بالدين والتدين .

وهنا يقول قائل : إذا كان الإنسان مفطورا على الدين الحق ، والاعتراف بخالق الكون ومبدعه ، فما بال الناس إلا قليلا منهم ، قد خرجوا فى أطوارهم وأجيالهم المختلفة ، عن مقتضى فطرهم وأحاسيسهم ، وضلوا فى عقائدهم وتدينهم ، فاتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويتقربون إليها ، وذهبوا فى فنون الشر والفساد مذاهب شتى .

والجواب عن هذا السؤال الذى يتردد فى نفس كل باحث ، هو أن هذا الذى عرض لأكثر الناس فى عقائدهم وسلوكهم ، إنما يرجع إلى العوامل التى لازمت وجود الإنسان فى الأرض ، وسارت معه فى حياته وأطواره جنبا إلى جنب ، وهذه العوامل على كثرتها ، ترجع فى أصولها إلى العوامل الآتية :

العامل الأول : خضوع الإنسان فى تدينه لسلطان الوهم والخيال ، فإن الإنسان بمقتضى شعوره بالقوة الغيبية القاهرة ، كان فى كل أطواره التى افتقد فيها الرائد والمرشد ، شديد الحنين إلى معرفة مصدر هذه القوة الغيبية ، معرفة تسكون سكنا لنفسه وطمأنينة لقلبه ، وتأويلا صادقا لأحاسيسه ومشاعره ، ولكن كيف السبيل إلى معرفة صاحب هذه القوة الغيبية ، وقد احتجب عن الحواس بحجاب العظمة والجلال ، وتعالت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، والإنسان بطبيعته المادية لا يأنس إلا بما تدركه الحواس ، لهذا أطلق العنان لوهمه وخياله باحثا عن مصدر هذه القوة فى ظواهر الكون وعوالمه ، وذهب فى بحثه وراء الخيال كل مذهب ، فتخيلها تارة فى بعض العوالم العلوية فألهها ، وطورا فى بعض العوالم السفلية فعبدها ، وهكذا ملك الخيال عليه عقله وفكره ، فطوح به فى أودية الجهل والضلال ، وباعد بينه وبين هداية العقل

والوجدان ، ووقف به عند حدود هذه العوالم الحسية ، وعجز عن الوصول به إلى معرفة الإله الحق ، الذى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأفكار .

ومن هنا نشأت الوثنية فى الشعوب والأمم ، فأفسدت بأوهامها العقول والفطر ، وسدت عليها منافذ الفكر والنظر .

وهكذا كان خضوع الإنسان لسلطان الوهم والخيال ، من أكبر عوامل انحراف الإنسان فى عقائده وتدينه .

العامل الثانى : طاعة الشيطان فى وحيه ووسوسته ، فإن الشيطان هو الطاغوت الأكبر ، ورأس الضلال ومنبع الفساد ، ومبعث الخطيئة فى كل زمان ومكان ، وهو إمام المتكبرين وشيخ المتعصبين ، الذى وضع أساس العصبية العمياء ، ونازع الله رداء العظمة والكبرياء ، يوم أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عقب خلقه ، تكريما له وتنويها بسر خلافته ، فاستكبر وأبى أن يسجد مع الساجدين ، وافتخر على آدم بخلقه ، وتعصب فى كبر وغرور لأصله ، وقال : أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فباء بالغضب والحرمان ، والطرد من ساحة الرحمن ، فطلب من الله الإمهال والإنظار ، وطوى نفسه على الكيد والعداوة الجامحة ، فلما مد الله له عنان الإمهال والإنظار ، وفسح له مجال الإغراء والإضلال ، أظهر العداوة السافرة لآدم وذريته ، وكشف عن الحقد الكامن فى نفسه ، وأغرق لهم فى التهديد والوعيد ، كما قال تعالى حكاية عنه : « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، ٣٨ : ٨٢ - ٨٣ » ولهذا عنى القرآن الكريم بأمر هذا الطاغوت عناية كبرى ، فذكر قصة تمرده على أمر ربه ، فى كثير من الآيات والسور ، وجاء بها فى أساليب متنوعة ، أظهرت للناس حقيقة أمره ، وبينت لهم كوامن حقده وعداوته ، ليكونوا على بينة من حيله وحبائله ، فإن له فى كل أمة جنودا وأعوانا ، اتخذهم مطايا لإضلاله وإفساده ، وأبواقا لوحيه ووسوسته ، ولهذا كانت طاعة الشيطان من أهم العوامل ، التى أدت إلى ضلال الإنسان فى عقائده وتدينه ، وانحرافه فى سلوكه وسيره ، كما قال جل جلاله : « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، ٥٨ : ١٩ » .

العامل الثالث : تأليه الهوى والانقياد الأعمى لسلطانه ، والهوى ما دخل شأنا من شئون الدين والدنيا إلا أفسده ، لأنه آفة الرأى ، ومضلة العقل ، وسبيل الزيغ والانحراف ، يطمس معالم الحقائق ، ويقلب الأمور ، ويعكس الأوضاع ، ويوجب

اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، فإذا ما ملك قياد صاحبه ، طغى على عقله وفكره فلا يستقيم له رأى ، ولا يعتدل له قصد ، ولا تسلم له طوية ، ولا يستجيب لنقد الناقدين ، ولا يستمع لنصح الناصحين ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون . ٤٥ : ٢٣ » .

العامل الرابع : شره الغرائز الإنسانية وجموحها ، فى تحصيل مطالبها وشهواتها ، فإن مطالب الإنسان لا تقف عند حد ، وآماله لا تنتهى إلى غاية ، بل كلما وصل إلى مطلب من مطالبه ، أو حقق أملا من آماله ، تجدد له شوق إلى غيرهما من المطالب والآمال ، لأن فطرته التى فطر عليها ، لم تحدد له فى هذه المطالب حدودا يقف عندها بالقسر والإلجاء ، ولا رسمت له طريقا معينا يلتزمه بالإلهام والإيحاء ، بل فتحت له مسالك الخير ومسالك الشر على السواء ، ومكنته استعداده من سلوك أى مسلك شاء ، والعقل وحده لا يكفى لحمله على التزام الطريقة المثلى ، والوقوف عند حدود التوسط والاعتدال ، لأن النفس منساقة إلى مشتهياتها بمقتضى الغريزة والطبع ، لا بتدبير الفكر وحكم العقل ، وما كان باقتضاء الغريزة والطبع ، قلما تستطيع النفس فيه رأى الفكر وحكم العقل ، لأن الطبع أقوى سلطانا عليها ، وأسرع إقداما فى تحقيق مشتهياتها ، ومن هنا جمحت بالإنسان غرائزه وأهواؤه ، وتضاءل سلطان العقل أمام نوازعه واتجاهاته .

هذه هى أهم العوامل التى قارنت وجود الإنسان فى الأرض ، وسارت معه فى حياته جنبا إلى جنب ، واكتنفت تدبير العقل فى أحكامه ونظرياته ، وتغلبت بسلطانها على هداية العقل والحواس فى أكثر أطواره ، فضل بسببها فى عقائده وتدينه ، وانحرف عن الطريق المستقيم فى سلوكه وسيره ، ولهذا كان فى حاجة إلى هداية أعلى شأنا وأقوى سلطانا من هداية الحواس ، يستعين بها على مقاومة هذه العوامل والمؤثرات ، وتوضح له معالم السير على الصراط المستقيم ، ومن هنا نشأت حاجة الإنسان إلى إرسال الرسل ، وتشريع الشرائع .

وإلى اللقاء فى الحديث التالى إن شاء الله .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

من الهدى المحمدى

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

هذا الحديث الشريف حكمة من حكم النبوة المحمدية ، وجامعة من جوامع كلمه صلوات الله وسلامه عليه وهو كلام بكر لم يسبق إليه ، بلغ الغاية فى إيجاز اللفظ ودقة المعنى ونبالة المغزى وروعة التصوير ودقة التمثيل ، وهو درس من الدروس المحمدية التى قصد بها النبى صلى الله عليه وسلم تربية المؤمن على حصافة العقل وعمق الغور وأصالة الرأى وإحكام التدبير وبعد النظر وتوجيهه إلى ما ينبغى أن يكون عليه المسلم الكامل فى دينه ودنياه .

وليس هـذا الكلام الحكيم بمستغرب ممن يوحى إليه من ربه وأفاض عليه من الفيوضات الإلهية ما أفاض ومنحه الله سبحانه عقلا كبيرا وكياسة فائقة وسياسة حكيمة رشيدة ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يوصى كل مؤمن أن يكون حازما عاقلا حذرا يقظا لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى سواء أكان ذلك فى شئون دينه أم دنياه ويحذره أن يكون مغفلا غرا غير مجرب يلعب به الدهاة المجربون ويجعلونه كالريشة المعلقة فى الهواء أينما الريح تملها تمل .

وقد أدب النبى صلوات الله وسلامه عليه أصحابه بهذا الأدب الشريف الحكيم وأخذهم بهذا التوجيه السديد فلا تعجب إذا صير من رعاة الإبل والشاه علماء حكماء حلماء ، وأن صير من الأمة العربية التى كانت متوغلة فى البداوة ، وأبعد ما تكون عن الحضارة – أمة صارت مضرب الأمثال فى العلم والعمل والحكمة والفطنة والتحضر والتمدين – التمدين المبنى على دعائم الإيمان والحق والعدل والخير – وأنجبت رجالا عقمت الدنيا عن أن تجود بأمثالهم فى العلم والسياسة والقيادة والعدل والرحمة .

فالمؤمن الكامل ليس من شأنه – ولا ينبغى له – أن يكون مغفلا غير مجرب يتخذه أعداؤه ضحكة وسخرة ويضارونه فى دينه أو دنياه ، وفى الحديث الشريف الذى أخرجه صاحب مسند الفردوس عن أنس مرفوعا : « المؤمن كيس فطن وقاف متثبت » والمؤمن

العاقل هو من اتعظ بأحداث الحياة واستفاد من التجارب . روى عن الصحابى الجليل معاوية رضى الله عنه أنه كان يقول : « لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة » والحديث سيق مساق التمثيل ليكون أروع فى النفس وأقوى فى التأثير والعظة ، فالعادة جرت فى العالم المحسوس أن من لدغته حية من جحر مرة أن لا يعود إلى هذا الجحر ولا يدنو منه فلا يلدغ منه مرة أخرى فما أجدرنا أن نتعظ بذلك ونعتبر فى عالم المعقول .

وأما حمل الحديث على معناه الحقيقى فإنما يذهب إليه من لم يتذوق لغة العرب ، ولم يقف على أساليبهم فى البيان ولا يذهب إلى هذا الفهم إلا من تمكنت منه عجمة اللغة وعجمة التفكير .

ولهذا الحديث قصة تفصح عن الغرض الذى سيق له هذا الحديث النبوى ، ذلك أن أباعزة عمرو بن عبدالله الجمحى وكان شاعرا فأسر ببدر فشكى إلى رسول الله فقره وعياله ، وقال للرسول : لقد عرفت مالى من مال وأنى لذو حاجة وذو عيال ، فامنن على . فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا ، فمدح الرسول بقصيدة ، ثم لعب المشركون بعقله حتى نقض ما كان عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال له صفوان بن أمية قبيل غزوة أحد : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمدا قد من عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر ، فخرج أبو عزة يحرض القبائل على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فلما كان يوم أحد أسر أيضا فسأل النبى صلوات الله وسلامه عليه أن يمن عليه مرة أخرى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه ، ثم قال رسول الله : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فذهبت الكلمة مثلا شرودا وحكمة صائبة تلهج بها الألسنة على توالى الحقب والأجيال .

أيها المسلمون من كل جنس وفى كل قطر ، لقد استفاد الرعيل الأول من المسلمين بهذا الأدب الحكيم وأخذوا به أنفسهم فلم يتعثروا فى أمور دينهم ودنياهم ، وكان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول : « لست بخب والخب لا يخدعنى » ووصفه واصف فقال : هو أكبر من أن يخدع وأرفع من أن يخدع .

وكان لهذه التوجيهات النبوية السديدة أثرها البالغ فى حياة المسلمين الأولين ، ولكننا ـ ويا للأسف ـ لم نستفد بها فى حاضرنا ، فلدغنا من الجحر الواحد مرارا ، وتكالبت علينا الحوادث وتوالت النكبات فلم نتعظ بها ، وما كان أجدرنا ـ معاشر المسلمين ـ أن نكون ذوى كياسة وفطنة وحذر كما أرشدنا المرشد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، لا أن نكون أغرارا مخدوعين يتلاعب بنا أعداؤنا ـ أعداء الله وأعداء الإسلام ـ

لقد تداعت علينا قوى الشر والاستذلال والاستخراب قبل الحرب العالمية الأولى ، وأذاقونا الأمرين ، ثم قامت قيامة هذه الحرب فوعدونا الوعود البراقة ومنونا الأمانى المعسولة ، ثم لما وضعت الحرب أوزارها تكشفت الوعود عن الخداع والكذب ، وذهبت الأمانى أدراج الرياح ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى ثم قامت الحرب العالمية الثانية فكرروا الوعود ومنونا الأمانى وانقضت الحرب العالمية الثانية فإذا الوعود والأمانى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وجوزى المسلمون والعرب جزاء سنمار وكانت المأساة التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا مأساة فلسطين الشهيدة فشرد أهلها وسيموا العذاب ألوانا وآتى الحلفاء ـ حلفاء الشر ـ بشذاذ الآفاق وهم اليهود فأسكنوهم فيها وأغدقوا عليهم من مالهم وسلاحهم وعطفهم الشىء الكثير، وأضحى سكان البلاد وأهلها الأصليون منبوذين فى العراء يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وأصبح الدخلاء المغتصبون متمتعين بخيرات الأرض المباركة وطيباتها ، ومثلت المسرحية الاستخرابية بأوقح مما كانت فى شمال إفريقية وفى أطراف الجزيرة العربية على مرأى ومسمع ويبد أدعياء الحرية والديموقراطية الزائفة ، وتناسوا كل ماطنطنوا به فى أيام محنتهم من أن كل شعب حر فى تقرير مصيره والحصول على حريته المسلوبة وألقوا الحمم والقذائف من طائراتهم ومدافعهم وأساطيلهم على الآمنين المسالمين الذين لا جريرة لهم إلا أنهم يطالبون بحقهم فى الحياة الكريمة ، وكان هذا بعض ما جوزى به المسلمون والعرب على مساعدتهم لحلفاء فى الحربين الماضيتين مساعدة مثمرة باعترافهم ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول فى أسلافهم وأمثالهم « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » إلى أن قال سبحانه : « لايرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون » .

أليس من المؤسف حقا أن نرى فى يومنا بعض المسلمين والعرب لا يزالون يخدعون

بوعود هؤلاء الكذابين الفجرة وكلامهم المعسول ودجلهم المكشوف ؟ ؟ وينسون أو يتناسون لدغاتهم القاتلة المميتة ! ! !

يا أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، هذا كتاب الله بين أيديكم يكشف لكم عن خبيئة نفوس أعدائكم فإلى متى ستسيرون فى ركابهم وقد لاح الصبح لذى عينين ؟ وهذه سنة نبيكم ترشدكم إلى الفطنة لهم والحذر من ألاعيبهم ، فالى متى تخدعون بظاهرهم وقد بدت البغضاء من أفواههم وتمثلت فى فعالهم وما تخفى صدورهم أشنع وأكبر بحسبكم أن تضعوا نصب أعينكم قول الحق تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » وقول المرشد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ؟؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

أخى فى عمان

أخى فى « عمان » رعاك الإله فأنت وليد الأسود الأباه
جدودك سادوا ، وتاريخهم شهيد على مجدهم فى الحياه
ويوم اعتدى « البرتغالى » عليك رماه الجدود بجيش رماه
وحققت نصرا قويا عظيا وولى الديار فلول الغزاه
وتاريخك الحر طول السنين يفوح أريجا . ويزهو سناه

* * *

أخى فى « عمان » أخى قم وجاهد بعزم أكيد لتمحو الطغاه
فليست تنال الكرامة إلا بسفك الدماء وموت البغاه

محمد على فرج

الوحدة الاسلامية بين الأمل والواقع

الإسلام والشيوعية فى إفريقيا

كتبت جريدة « التيمس » عجوز الصحافة البريطانية مقالا عن الحج هذا العام بعنوان « إلى مكة » ، أوردت فيه شيئا من الحق وشيئا من الباطل ، وبين هذا وذاك أقحمت بعض الغمزات التى لا تخفى ، فليس قصد « التيمس » فيما كتبت الحديث عن الحج الإسلامى من حيث ذاته ، ولكنها أرادت أن تتلمس الآثار السياسية التى يمكن أن تكون وراء هذا « المؤتمر » الذى يجمع المسلمين من جميع أقطار الأرض .

ولقد مهدت « التيمس » لأغراضها بمقدمة قصيرة قالت فيها : « . . . فى هذه الأيام يؤدى آلاف من الحجاج المسلمين شعائرهم ، ويقومون بزياراتهم للأماكن المقدسة تحت شمس المملكة العربية السعودية المحرقة ، وإن تكن الحياة التى تأتى بها المضخات واستعمال المراوح والأنوار الكهربائية مما يجعل إقامتهم أكثر يسرا بالنسبة لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم ، كما أن استخدام الكثيرين منهم السيارات اللورى والطائرات فى سفرهم وتنقلاتهم قد جعل الرحلة إلى الحج أسرع جدا مما كانت عليه فى الزمن القديم » .

ثم دخلت « التيمس » على الموضوع فقالت : « ولقد لاحظ الدارسون لشئون الإسلام دائما ، وبخاصة الذين يعتنقون ديانة أخرى مخالفة ، ما للحج من قوة موحدة غير عادية ، فان هذه الفريضة التى تعد الركن الخامس من أركان الإسلام يجب أن يؤديها كل من يؤمن بالإسلام مرة واحدة على الأقل فى حياته (! !) ، وبهذا يجمع الحج الرجال والنساء من كل جزء من أجزاء العالم تقريبا فى صعيد واحد ، وهؤلاء جميعا بما لهم من تراث مشترك يتبادلون الأفكار والآراء التى يمكن أن تصبح بعد عودتهم إلى بلادهم خميرة سياسية أو اجتماعية » .

ثم قالت « التيمس » فى سياق مقالها : « ومن آن لآخر يفكر الزعماء المسلمون فيما

إذا كان من الممكن جعل الحج مؤتمرا قائما بذاته إلى جانب كونه واجبا دينيا ، ففى أوائل عهد الملك عبد العزيز آل سعود منذ ثلاثين عاما عقد فى مكة مؤتمر من مسلمى العالم أجمع ، ولكن على الرغم من الاسم الذى اتخذه المؤتمر لنفسه فانه لم يتمخض عن شىء من النجاح ، ولكن فكرة مماثلة لفكرة ذلك المؤتمر قد ظهرت أخيرا بتأييد الرئيس جمال عبد الناصر » .

وبعد أن أوردت « التيمس » ما كتبه الرئيس فى كتابه « فلسفة الثورة » عن أهمية موسم الحج قالت : « على أن شيئا من هذا الذى تنبأ به ناصر لم يحدث ، ولم يسمع الشىء الكثير عن السكرتيرية الدائمة التى أعلن منذ ثلاث سنوات أنها متنشأ لتنهض بتنظيم المؤتمر السنوى ، كما أن مكة لم تصبح مقصد ملوك الإسلام ورجال السياسة منهم . . ولا شك أن هناك أسبابا أدت إلى صرف النظر عن المشروع وطرحه جانبا » .

وبعد أن أوردت « التيمس » هذه الأسباب من وجهة نظرها قالت : « على أن الفكرة قد تظل قائمة وحية فى صورة أو فى أخرى ، فزعماء العالم الإسلامى السياسيون لا يزالون يؤدون فريضة الحج ، وعندما يجتمع هؤلاء الزعماء فمن المؤكد أنهم يبحثون الأمور ذات المصالح المشتركة » .

ثم قالت : « وبما أن الوحدة فى العالم الإسلامى لا تزال أملا أكثر منها حقيقة واقعة ، فسيكون من غير الحكمة أن يحاول أحد جعل الحج مناسبة رسمية يجتمع فيها المسلمون على وضع رسمى ، فموسم الحج الإسلامى شأنه شأن مؤتمرات وزراء دول « الكومنولث » يمكن اعتباره مناسبة يجتمع فيها رؤساء وحكومات العالم الإسلامى بعضهم ببعض متحررين من مظاهر الأبهة والرسميات » .

وكل ما نود أن نقوله لعجوز الصحافة البريطانية فى هذا المقام هو أن الوحدة الإسلامية ليست أملا عند المسلمين كما تظن ، ولكنها أصبحت حقيقة واضحة بارزة ، فإن الشعوب الإسلامية تلتقى اليوم كلها عند هذه الغاية فى آلامها وفى آمالها .

حقا إن هناك خلافات بين بعض الحكومات الإسلامية ، ولكنها خلافات حول التفاصيل السياسية لكل منها ، أما المبادئ الأساسية ، وفى مقدمتها مبدأ الوحدة ، فهو موضع الإجماع من الحكومات والشعوب الإسلامية على السواء ، ويوم تتطهر رقعة العالم الإسلامى من كل رائد للاستعمار ، سترى « التيمس » قوة هذه الوحدة الإجماعية .

على أننا نطمئن الجريدة البريطانية من اليوم أنها لن تكون قوة تنطوى على الشر والإضرار بأحد من الناس ، ولكنها ستكون قوة إيجابية فى نصرة الحق وإيثار الخير والسلام للجميع ، كما كان المسلمون فى وحدتهم الأولى ، وفى أيامهم السابقة .

الإسلام فى إفريقيا

وكتبت صحيفة « لورور » الفرنسية مقالا عن الإسلام فى إفريقيا ومخاوف الغربيين من تسرب الشيوعية إلى المسلمين فى هذه القارة فقالت : « إن التقدم السريع الذى أحرزه الإسلام فى إفريقيا لا يمكن أن ينازع فيه أحد ، فبينما كان الإسلام ينحصر فى بداية هذا القرن فى الشمال ، وقلما تجاوز حدود مصر والمغرب ، نجده اليوم قائما فى الوسط ، بل إنه ليتغلغل فى المناطق الجنوبية .

ثم عقدت الصحيفة مقارنة بسيطة بين المسيحيين والمسلمين فى القارة فقالت : « والذين يعتنقون المسيحية بين سكان القارة الذين يبلغون مائة وثلاثين مليونا فئة لا تزيد عن سبعة عشر مليونا . منهم ثلاثة عشر مليونا من الكاثوليك ، وأربعة ملايين من البروتستانت . هذا على حين يعتنق الإسلام فى هذه القارة ثمانون مليونا ، وإن عددهم ليتزايد بصفة مستمرة . . »

وبعد هذه المقدمة قالت الصحيفة : « وإن هذا التقدم الملحوظ ليثير قلق بعض الغربيين ، فهم يخشون — أو بالأحرى يتظاهرون بالخوف — من أن يصبح هؤلاء الذين ينضمون إلى الدين الإسلامى فريسة سهلة للدعاية الشيوعية ، لأن الدين الإسلامى — كما يدعون — لا يقيم حواجز فعالة ضد الشيوعية .

وتصدت الجريدة للرد على هذه الدعوة قائلة : ولكن تعرف على أى أساس يقيمون هذا الرأى ؟ ! .

إنهم يقيمون ذلك على أن ٢٥ مليونا من المسيحيين فى القوقاز وآسيا الوسطى قد قبلوا المذهب الشيوعى ، ولكن أليس فى الاتحاد السوفيتى والدول التابعة له ٣٠٠ مليون مسيحى من الكاثوليك والأرثوذكس يعتنقون الشيوعية ؟ !

ومضت الصحيفة قائلة : فالدين الإسلامى مثل الدين المسيحى لا يشترك مع الماركسية

فى شئ ، والبابوية نفسها تعرف ذلك أكثر من أى شخص ، وإذا كانت البابوية لا تقبل أية علاقات رسمية مع الاتحاد السوفيتى وتوابعه ، فان هناك كثيرا من الدول الإسلامية لا تقيم علاقات دبلوماسية كذلك مع الاتحاد السوفيتى ، وإذا كانت مصر وسوريا قد قبلتا التعاون مع روسيا ، فليس ذلك لأنهما تعتنقان الشيوعية ، ولكنهما يصنعان ذلك لدوافع وأسباب خاصة تتعلق بموقفهما من إسرائيل .

ولكن ماذا تريد أن تقول الصحيفة بعد ذلك الكلام اللين الذى ينطوى على كثير من الحق والإنصاف ؟!

إنها تركز نظرتها بعد ذلك على الباكستان فتقول : إن الباكستان وهى من أكبر الشعوب الإسلامية يمكن أن تقدم وساطتها فى مشكلة الجزائر التى تثير متاعب بالغة لفرنسا ، ويمكن أن تكون وساطتها ذات فائدة كبيرة فى هذا الشأن .

ولكن لم تقل لنا الصحيفة ، على أى أساس تكون وساطة الباكستان فى هذه المشكلة ؟ .

وهل تحسب أن الباكستان - وهى من أكبر الدول الإسلامية كما تقول - تقبل هذه الوساطة لإراحة فرنسا على أساس يمس حرية الجزائر الإسلامية المجاهدة لحريتها وكرامتها ؟!

وهل تحسب تلك الصحيفة أن هناك أية دولة عربية أو إسلامية تقبل الخروج على إجماع المسلمين بضرورة إعلان استقلال الجزائر وتحريرها من ربقة الاستعمار البغيض ؟!

إن هذا لا يكون أبدا . فقد مضى زمن الوساطات والمساومات وقبول أنصاف الحلول . ولن يقبل أى مسلم يدين بالإسلام حقا إلا الحرية التامة والاستقلال الكامل لأبناء الجزائر الذين يبذلون أرواحهم بذل السماح فى سبيل حريتهم وكرامتهم ..

محمد فهمى عبد اللطيف

أصـــــول الحرية

فى منهج التفكير الاسلامى

لـكل نظرية أساس ، ولـكل مبدأ قاعدة .

هذه حقيقة واضحة لمن يراجع مذاهب العصر القائمة ، وهى حقيقة مهمة لما ينبنى عليها من أساليب العرض بالنسبة للمذاهب المختلفة .

فالديمقراطية تقيم مذهبها على (الحرية والمساواة) ، وعلى أساس هـذه الفلسفة تقيم الديمقراطية نظمها فى شتى الميادين ـ فى السياسة والاقتصاد والتعليم ... الخ .

والشيوعيه تقيم مذهبها على (المادية الجدلية) ، وما تولد عنهامن (مادية تاريخية) و (صراع للطبقات) وهى تطبق فلسفتها على العالم الزاخر بالمتناقضات ، الغاثر بألوان الصراع ، فتخرج من هـذا بتعاليمها فى حقل الإنتاج ، وما يترتب على معالجة حقل الإنتاج من آثار فى مختلف الحقول ـ حتى الفنون والآداب ! !

والدين عموما ـ والإسلام خصوصا ـ له أساس وقاعدة ينبنى عليهما نظامه المحكم ، ولا بدّ من تبين هذه الحقيقة سواء بالنسبة لعرض الإسلام الفكرى ، أو تطبيقه العملى .

• • •

كل النـاس يعرفون أن الدين عقيدة وشريعـة ، أو إيمـان وعمل ، أو عبادة ومعاملة ... إلى غير ذلك من المقابلات التى تميز بين شطر الأساس الفلسفى العقلى الذى يستقر فى الذهن وتطمئن إليه النفس ، وشطر الأفعال البشرية التى يستجيب بها الإنسان لدواعى الحياة .

ولـكننا حين ندعو للاسلام أو نطبقه ، نغفل عن هذه الحقيقة المهمة ، فنقيم الإسلام فى أذهان الناس ، أو فى ميادين الحياة جزئيات وتفاريق ، منفصلة عن أساسها الاعتقادى الذى ينظم حياتها ، ويحكم وضعها .

فقد يهتم دعاة الإسلام بأن يعرضوا شريعة الإسلام فى تنظيم الأسرة ، أو فقهه فى علاج شئون الدولة أو الاقتصاد ، ولكن دون أن يصل هذا بأصل الإسلام الأصيل الذى يكفل ـ وحده ـ النجاح لنظامه ، ويميزه عن غيره . وبغير هذا الأصل يغدو الإسلام مجرد إصلاحات جزئية موضعية ، وميزات عارضة سطحية ، لا تمس جذور التكوين النفسى العقلى للأمة ، ولا تصوغ روحها وقيمها ومفاهيمها وموازينها ، ومن ثم تختلط على الناس السبل فتفترق بهم عن سبيل الإسلام ، فيرون هذه الميزات التنظيمية التى تهدف إلى إقرار العدل وإشاعة الخير لا يخلو منها مذهب عصرى ، ومن ثم يحق لهم أن يزهدوا فى الدين وتبعاته لا ينهض بها إلا الرجال أولو العزم ، قانعين بتحقيق لماعة من زخرف المتعة تتخلف لهم من الجرى هنا أو هناك !!

وليس يعنى هذا ألا يتحدث دعاة الإسلام عن نظم الإسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليجابهوا بها ما تصوغه المذاهب من أساليب الدعاية والإعلان ، ولكننا نرى أن يعرض نظام الإسلام مرتبطا بأساسه العقائدى ، هذا الأساس المتميز الذى أخرج أمة وصاغ حضارة ... هذا الأساس الذى مهما تناحرت المذاهب العصرية فى عرض التفصيلات والتفريعات ، وانتفعت من تجارب الإنسانية التاريخية الطويلة فى محاولة سد الثغرات وادعاء الإحكام ، فسيبقى للروح الأصيل المهيمن على النظام الإسلامى تفرده وتميزه الذى لا يتطاول عليه فيه غيره .

فكما يعرض الديمقراطيون والشيوعيون وكل أصحاب المذاهب حلولهم وتطبيقاتهم الجزئية مشفوعة بفلسفاتهم وأصولهم (الجذرية) ، يجب على المسلمين أن يسلكوا هذا المسلك ويطبقوا هذا المنهج ، وهم فى هذا لا يقلدون ، بل ينتفعون من هدى دينهم . فلم يكن عبثا أن أرست الديانات الإلهية المبكرة على أيدى رسل الله الأوائل قواعد العقيدة وحدها ، ولم تتعرض للتشريع إلا بتدرج قريب من نصيب الأحكام على مر الأجيال وتتابع الرسالات حتى تبلغ الغاية فى الإسلام ، وإن مقارنة ما جاءت به رسالات الله الأولى على قدر ما نعرفه منها بما أتى به محمد صلوات الله عليه وسلامه ينهض على هذه الحقيقة شاهدا ودليلا .

والإسلام نفسه حين بدأ ، ظل ثلاثة عشر عاما يثبت قواعد العقيدة ، ومن بعدها بدأ الوحى يتنزل بآيات التشريع . ومازالت عقيدة التوحيد الإسلامية هى أخص الخصائص

التى يقوم عليها تشريع الإسلام ، وحضارة الإسلام ، ودولة الإسلام وتاريخ الإسلام ، حتى آثار المسلمين المعمارية وزخارفهم الفنية ! !

فهل نغفل عن هذا الأصل الثابت ، والجذر الضارب ، حين نعرض الإسلام أو نحاول تطبيقه ؟

وهل نغفل عن لفتات القرآن ، وهو دائب يقرع أسماعنا بذكر العقيدة وهو يأمر ويشرح المعاملات والتنظيم ؟؟

• • •

العقيدة فى الإسلام محددة واضحة منضبطة ، تتلخص ـ كما أبان الحديث الشريف ـ فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . فهل هذا ما أقصد التكليف بمداومة بيانه ، وربط الأحكام والنظم الإسلامية به ؟ ؟

إن الإيمان على هذا النحو ذائع شائع معلوم ... فما الذى أقصد إذن أن يذاع ويشاع ويعلم ؟ إنما أقصد أن يبين للناس أمران :

• المنهج العقلى الذى سلكه الإسلام للوصول إلى تقرير عقيدته ، لأن هذا المنهج الذى استخدمه الدين وهو بصدد تناول أخطر قضية فى الوجود ، يعد منهجا نموذجيا ودستورا فكريا مثاليا يستمد منه المسلمون (تشكيلهم) الذهنى و (تكوينهم) العقلى الذى على هديه يمارسون سائر قضايا الفكر والعمل .

النتائج المنطقية التى تترتب على تقدير المسائل العقائدية البحتة فى عالم الحياة العملية ، فهذه النتائج إنما هى التى تؤسس عليها نظم الإسلام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

• • •

فى الإسلام منهج عقلى لإثبات صحة عقيدته و إقرارها فى العقول والقلوب ، هو تراث خالد ، وأساس ثابت لحضارة تقوم على تقدير العقل وتكريم الإنسان .

إن المنطق الذى عرض به الله ـ جلا وعلا ـ دينه ، وحرص فيه على إيراد كل معارضة ، ومناقشة كل مخالفة ، ومناهضة كل نزوة ، لهو منطق لم تصل البشرية

فى كفاحها الطويل المخضب بالدماء لأروع منه فى أمانة العلم وإحقاق الحق وتحرير الفكر وإذا كان الله - سبحانه - قد ضرب لنا المثل الأعلى .

ونحن نستقرئ فى القرآن نقد المخالفين ونستجمع قلق المرتابين ، ونتعقب هذ كله بالبحث والتمحيص - فأولى بالبشر ألا ينصرفوا عن هذا المنهج الرصين !

ولقد بلغ من أمانة عرض القرآن لنزعات المعارضة ، أنك لو فكرت اليوم فى كل ما يهاجم به الدين من صور البيان ، لما خرجت بجديد فى عصر (العلم الذرى) عما جاء به هذا الكتاب منذ أربعة عشر قرنا ! !

إن خطاب القرآن كله تكريم للانسان والإنسانية ، وتقدير للعقل والعلم ، وإقامة للبرهان والمنطق ، ودعوة لإعمال الفكر والفقه والتدبر .

وإن خطاب القرآن كله هجوم على الانقياد لهوى النفس ، وإيحاء العرف والتقليد ، وقهر السلطة ... إنه استنهاض لحيوية الإرادة الإنسانية التى بها يغدو الإنسان قوة إيجابية فعالة ، وليس مجرد أداة سلبية كما فى عالم الجماد وفى كثير من عالم الحيوان ! !

هل أستطرد إلى الآيات التى تعزز هذا وهى مقروءة محفوظة متداولة ... ؟ ؟

حسبي أن أشير إلى هذه الآيات من سورة الأعراف تقيم فى نفس كل فرد شاهدا من عقله ووعيه على قضية العقيدة ، وتقطع عليه طريق الاحتجاج والتنصل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا : يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ! ! ! وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون » .

ثم تستطرد الآيات ترسم صورة مثيرة لمن يؤثر المروق من حصانة العقل إلى نزوات الهوى ، ويختار التمرغ فى مواخم الضلال : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون » .

ثم يصور القرآن هـذا الذى ظلم نفسه نعطل فيها كل أدوات الاستدلال وأجهزة الاستقبال : « ولقـد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بهـا ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

وتقرأ فى الآيات التالية بعد ذلك :

« أو لم يتفكروا ، ما بصاحبهم من جنة ، إن هو إلا نذير مبين » .

« أو لم ينظروا فى ملـكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » .

« يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنمـا علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة ـ يسألونك كأنك حفىّ عنها قل إنمـا علمها عند الله ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« قل : لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستـكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

« هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ... » .

« أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » .

« إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالـكم ، فادعوهم فليستجيبوا لـكم إن كنتم صادقين » .

هذه قطعة واحدة من سورة واحدة من السور المكية فى القرآن ، إنها إذ تقيم عقيدة الدين إنمـا تقيم البناء العقل لـكل فرد من أفراد الأمة . . . إنها تميز (العقل المؤمن) بصورة تناقض ما يشغب به المهوشون . . . إنه العقل الذى راضه القرآن بتقريراته ومحاوراته وسائر صور بيانه على النشاط ، والحياد ، والحرية .

واقرأ إن شئت الوعيد لمن حجروا على عقولهم فى سورة سبأ : « ... ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ـ يقول الذين استضعفوا للذين استـكبروا : لولا أنتم لـكنا مؤمنين . قال الذين استـكبروا للذين استضعفوا :

نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ... وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ـ هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ » .

وتستطرد سورة سبأ ـ وهى مكية أيضا ـ تعدد صور الذين جحدوا نعمة العقل التى حباهم بها ربهم .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » .

« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هـذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هـذا إلا سحر مبين » .

« قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة ـ إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » .

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شىء شهيد .

قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب . قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

* * *

وإذ يسرى هذا المنهج الجدلى البرهانى فى خلجات النفس وبين ثنايا العقل ، ويتفاعل مع الفرد والمجموع ، وينتقل خلال الأجيال ، فإن فلسفته تسكب روحها فى كل ميدان ، وتطبع بطابعها طرق التربية فى الأسرة ، وأساليب التعليم فى المدرسة ، وألوان النقاش فى البرلمان والصحافة .

فتصبح عقيدة الإسلام منبع تخريج الأحرار أولى الألباب ، وتغدو أمة الإسلام أمة العقل والعلم ، أمة الحجة والدليل ، أمة الحق وحده « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

* * *

وحين تستقر عقيدة الإسلام خلال هذا المنهج الحكيم فى القلوب والعقول ، فإن هذه العقيدة تثمر نتائج هائلة فى الفكر والعمل .

إن عقيدة الإسلام ليست مناقشة مشكلة ميتافيزيقية باردة ، أو مزاولة عملية تجريبية جامدة ، أو حل مسألة حسابية جافة . . . إن تأليه الله وإنكار ألوهية من سواه ، معناها تحرير الفرد والمجموع من ألوهية الأهواء والتقاليد والمتجبرين . . . فالله وحده الذى يمتلك حق التشريع الأصيل الذى لا يرد « إن الحكم إلا لله » ، « ألا له الخلق والأمر » وكل من عداه محكومون بأصول دينه وشريعته « فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

والله وحده هو الذى لايحاسب ولا يحاكم « لا يسئل عما يفعل ، وهم يسئلون » . .

والله وحده هو المتفرد بخصائص يستعلى بها على من سواه ، فهو الخالق وغيره يستوون فى أنهم مخلوقون ، وهو المعبود والجميع سواء فى عبادته « ليس كمثله شيء » وهو وحده « الكبير المتعال » ، « العزيز الجبار المتكبر » . . .

والله وحده هو المالك لخزائن السموات والأرض ، لكن الناس محاسبون على تداول رزقه وفقا لشرعه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وهكذا تثمر عقيدة الإسلام نتائج تعتبر أسسا سياسية اجتماعية اقتصادية لنظام الإسلام وشريعته ، وهو ما يعبر عنه المودودى فى « نظرية الإسلام السياسية » بأجلى بيان حيث يقول :

« والذى ينبغى أن نعرفه قبل كل شئ ولا نغفل عنه أبدا ، أن الإسلام ليس بمجموعة من الأفكار المبعثرة وطرق العمل المتفرقة ، بل هو نظام جامع محكم أسس على مبادئ حكيمة ، وأركانه الكبيرة المهمة إلى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا منطقيا ، وكل ما وضع فيه للحياة الإنسانية لمختلف شعبها من النظم إنما قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية . . .

ماذا كان يريده الأنبياء بتوحيد الإله ، وما معنى عبادة الواحد الأحد وحده ؟ وماذا كان وراء قولهم : مالكم من إله غيره ؟ وما بال من مضوا من الأمم كلما جاءهم رسول يدعوهم إلى عبادة الله الواحد واجتناب الطاغوت انقضوا عليه ؟ ... أتراهم قد أصيبوا فى عقولهم حتى يمنع الحكام رعاياهم الوفية المطيعة عن إتيان الفروض والمناسك وهى شعائر لا تضر بمصالحهم ؟ .

إذا نظرت إلى المجتمع الإنسانى استيقنت أن منبع الشرور والفساد الحقيق إنما هو (ألوهية الناس على الناس) إما مباشرة وإما بواسطة ... وقد بينت التجارب التاريخية أن الإنسان لا يعيش من غير أن يتخذ لنفسه إلها وربا ، وإن لم يرض بالله ربا وإلها ، فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الأرباب والآلهة الباطلة .

وحيثما وجهت نظرك وجدت أن أمة اتخذت نفسها إلها لقوم آخرين ، أو طبقة سلطت ألوهيتها على طبقات أخرى ، أو حزبا سياسيا استولى على مناصب الألوهيـــة والربوبية واستبد بهـا ، أو تجد مسيطرا ينادى الملأ (ما علمت لكم من إله غيرى) !

وليس لهذا الداء من دواء إلا أن يقوم الإنسان فيكفر بالطواغيت جميعا ، ويؤمن بالله العزيز الذى لا إله إلا هو ، ويخصه تقدست أسماؤه بالألوهية والربوبية ، فهذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن ذئاب الإنسانية وقطاع سبيل البشرية . وهذا هو الصلاح الحقيق الذى ظهر فى المجتمع الإنسانى على أيدى رسل الله الكرام ، وهـذه هى النظرية الصالحة التى بعث بها الأنبياء إلى الناس .

• • •

إن الدين ليستقيم أمره فى العقول والقلوب إذا سار دعاته على هـذا النهج ، وربطوا نظمه وشرائعه بفلسفته الاعتقادية فى أصولها المنهجية ونتائجها الفكرية . ونحن فى مطلع عام جديد نسأل الله فيه علما نافعا وعملا صالحا ، وفقها صحيحا وقلبا سليما ؟

فتحى عثمان

لغويات

التوليف ، والتواليف . ونس ، عبد الونيس

نرى بعض المحدثين يستعمل التوليف فى مكان التأليف . فنرى من يقول : لفلان تواليف كثيرة ، وتصانيف عديدة . وكنت أحسب هذا مجاراة للعامة ، إذ يقولون : وَلّف الحيوان ، وفلان وليف فلان ، والأسد له وليفة ، وهكذا تسير عندهم صيغ هذه المادّة بالواو فى مكان الهمزة .

وقد جاء فى القاموس فى مادة (سيف) : « وابن عمر صاحب التواليف » ، فتعقبه صاحب الجاسوس ، فهو يقول فى ص ٣٦٦ : « ذكر المصنفين فى الخطابة ، والتصانيف ـ والمراد بها تأليف الكتب خاصة ـ فى شمث وبقل وعلم وصفن ، والتآليف بمعناها فى سيف . وفى نسختى ونسخة مصر : التواليف ، وحقها أن تكتب بالألف ، لأنها من ألّف . وليس وَلّف لغة فيها ، كما أن ورّخ لغة فى أرّخ » .

فترى صاحب الجاسوس يرى فى إبدال الهمزة واوا فى نحو ورّخ ليس عاما فى كل ما كانت فاؤه همزة ، وأنه يقتصر فيه على ما سمع . ويؤخذ من المصباح فى عدّة مواضع أن هذه اللغة لأهل اليمن ، وجاء على هذا واخى فى آخى وواخذ فى آخذ ووكد فى أكد . وتراه يقول (فى الأسوة) : « وآسيته بنفسى ـ بالمدّ ـ : سوّيته . ويجوز إبدال الهمزة واوا فى لغة اليمن فيقال : واسيته » . ويقول فى (الأخ) : « وآخيت بين الشيئين بهمزة ممدودة . وقد تقلب واوا على البدل ، فيقال : واخيت ، كما قيل فى آسيت : واسيت ، حكاه ابن السكيت . وتقدم فى (أخذ) أنها لغة اليمن » . وقوله : حكاه ابن السكيت أى حكى عن العرب واخيت فى آخيت » وجاء هـــذا فى كتاب القلب والإبدال له (انظر ص ٥٧ من مجموعة الكنز اللغوى) .

والقارئ يرى من هذا صحة ما جاء فى القاموس وسقوط ما تعقبه به الشدياق صاحب الجاسوس .

وجاء فى ديوان الهذليين ٢/٦٨ قول صخر الهذلى :

لشماء بعـد شتات النوى وقد كنت أخيلت برقا وليفا

وورد فى شرحه : « ووليفا : متتابعا : اثنين اثنين ، مرتين مرتين . قال أبو سعيد : سمعت عيسى بن عمر يقول : كان رؤبة ينشد : « والركض يوم الغارة الإيلاف » والويلاف. وبعض العرب يقول : ولف بينهم ، والأكثر : ألف بينهم » .

ويجرنى الحديث إلى قول الناس : ونسه فى أنسه ، فهذا صحيح على لغة أهل اليمن ، كما عرفت . وهم يقولون فى الأنيس ونيس ، ويقولون : عبد الونيس يريدون الله سبحانه وتعالى أنه مؤنس للمؤمن ومؤمن له من الخوف والفزع . والأمر فى هذه التسمية أن هذا الاسم الأنيس أو الونيس أو المؤنس لم يرد ـ فيما علمت ـ فى نص يرجع إلى الشارع اسما لله سبحانه حتى يؤذن فى الإضافة إليه واستعماله .

فحت البئر ، نخر البئر . فش الحجرة .

١ ـ يستعمل العامة الفحت فى الحفر . فيقولون : فحت البئر وفحت قناة السق . وكنت أميل إلى تخريج هذه المادة على أنها قلب الحفر مع إبدال الراء تاء . وبدا لى بعد أن أصل الفحت البحث ، فأبدلت الباء فاء ، والثاء تاء . والإبدال الأخير شائع فى لسان العامة ، فهم يبدلون الثاء تاء فى أكثر الأمر ، وقد يبدلونها سينا ، ومن طريف صنعهم أنهم يقولون : تقيل للثقيل فى الوزن ، وسقيل لمن يستثقلون مكانه من الناس ولا يخف على قلوبهم فينأون عن عشرته . وإبدال الفاء من الباء قريب إذ هما حرفان شفويان ، وقد جاء عنهم فرند السيف وبرنده .

ويؤيد هذا التخريج أن بعض أهل مصر العليا لا يزالون يقولون : بحت مهد القناة ، كما أخبرنى بذلك بعض الثقات .

والبحث فى العربية طلب الشىء فى التراب . وهو بسبيل قريب من الحفر . وورد قوله تعالى فى سورة المائدة فى اقتصاص خبر ابنى آدم إذ قتل أحدهما الآخر (فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه) ويقول النيسابورى فى تفسيره المطبوع على هامش الطبرى ٦ / ١١٩ : « قال المفسرون : إنه لما قتله تركه لا يدرى مايصنع به

ثم خاف عليه السباع ، فحمله في جراب على ظهره سـنة حتى نفير ، فبعث الله غرابا . روى الأكثرون أنه بعث غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، فحفر بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فتعلم من الغراب » .

٢ — ويستعملون الفحر في الحفر . والأقرب في هذه أنهـا مقلوبة عن الحفر . وقد بدا لي أن أصل الفحر الفأر ، فأبدلت الهمزة حاء ، وهو إبدال قريب لأنهما حلقيان والفأر في اللغة الحفر ، يقال : فأر البئر أي حفرها وقد أهملت مادة الفحر في الصحاح واللسان ، وجاء منها في القاموس قولهم : افتحر الكلام والرأى إذا أتى به من قصد نفسه ولم يتابعه عليه أحد ، وجاء في شرحه أن هذا مثل افتحل الكلام ، فكأنه يشير إلى أن الراء بدل من اللام ، ومن ثم لم تكن مادة الفحر تامة سوية .

٣ — ويقولون : قش البيت أي كنسه . والمقشة عندهم هي المكنسة ، والقش : الكناسة . والأصل في القاف في هـذه المـادة هي الجيم . ويقال : جش البئر كنسها أو نقاها ممـا فيها من قذى . وأطلق القش على الكناسة من إطلاق المصدر على المفعول ؛ كما قيل الخلق للمخلوق . والقاف والجيم قريبا المخرج يتبادلان ، وعامة العراق الآن يبدلون القاف جيا فيقولون : جال في قال .

لابد من صنعا وإن طال السفر

يورد النحويون هذا المصراع شاهدا على قصر الممدود لضرورة الشعر ؛ فأصل صنعا صنعاء ، وهي مدينة اليمن المشهورة . والجارى على أقـلام الـكتاب كتابة (صنعا) بعد القصر بالألف . وكأن ذلك لمراعاة الهمزة المحذوفة ، وإلا فالقياس يقضي بكتابتها بالياء (صنعى) ؛ إذ إن الألف إذا جاوزت الثلاثة في المتمكن من الأسماء والأفعال ترسم ياء عند جمهرة أهل الرسم الذين لا يطردون كتابة الألف بالألف .

وقد كنت أرتاب في هـــذا ، وأحسب أن الواجب أن تـكتب (صنعى) بالياء ، كما هو القياس ؛ إذ إن الـكلمة مقصورة ، وإن كان قصرهـا للضرورة ، فوجب اعتداد حالتها الراهنة في أحكامها اللغوية والرسمية . وعلى هـــذا فالألف في (صنعى) هي همزة (صنعاء) عادت بعد حذف ألف المد قبلها إلى أصلها وهو الألف ، كما هو مقرر في الصرف ولا ينبغي أن يقدر الحذف في (صنعى) للهمزة التي هي للتأنيث لأنهـا علامة التأنيث ،

فلا يصح إخلاء الكلمة منها وإيثار ألف المد عليها فصنعي الآن كسكرى سواء . وإذا قصرت (الأجزاء) فإن الحذف تناول ألف أفعال ، وصارت (الأجزا) على مثال الأفعل لا على مثال الأفعا . وينبغي أن يرسم (الأجزى) .

وقد وجدت تثبيتا لهذه الفكرة في كلام ابن يعيش في شرح المفصل . فقد أورد بيتي أبي ذؤيب الهذلي :

عرفت الديار كرقم الدوى يزبرها الكاتب الحميرى
على أطرقا باليات الخيا م إلا الثمام إلا العصى

وقال بعد كلام طويل : « [١] وقيل : أطرقا ـ بالكسر ـ جمع طريق في لغة هذيل ... ومجاز ذلك أن يكون مقصوراً من أطرقاء ؛ كأنه جمع فعيلا على أفعلاء ، كصديق وأصدقاء ، ثم حذفت الألف الأولى التي للمد ، فعادت ألف التأنيث إلى أصلها وهو القصر ، وينبغي أن تكتب الألف بالياء على حد كتبها في حبارى وشمانى » .

ويرى الباحث في كلام ابن يعيش الجزم بأن قصر الممدود يكون بحذف ألف المد قبل الهمزة ، وفي هذا ما يتصل من قريب بقول الصبان في مبحث قصر الممدود في كتابته على الأشموني : « قال الشاطبي : لم يذكر الناظم كيفية القصر ولا ما الذي يحذف . والقياس حذف الألف قبل الآخر اختصارا . قال سم : ولم يبين ما يفعل بعد حذف ما قبل الآخر . فهل تبدل الهمزة التي هي الآخر ألفا أو ترجع إلى أصلها الذي انقلبت عنه ، وهو الألف في حمراء ولام الكلمة في نحو كساء وحياء ؛ إذ أصلهما كساو وحياى ، لكن تقلب الألف بعد الرجوع إليها في القسم الأول ، وتبدل اللام ألفا في القسم الثاني . وفيه نظر » .

وعلى هذا يكتب (صفرى) بالياء في قول الشاعر :

فقلت لو باكرت مشمولة صفرى كلون الفرس الأشقر

مع الاعتراف بأن هذا الرسم مجانب للمألوف ، ولكنه الذي يقضي به القياس ؟

محمد علي النجار

---

[١] شرح المفصل ٣٢/١ .

تحيـــــة الأزهر

مهداة لشيخ معهد أسيوط

أيها الأزهر المبارك عهـدا ... يا شبابا فى عمر نوح تبـدى
أنت نبع التـقى لـكل تقى ... أنت صوب الغمام بل أنت أجدى
أنت نيل بجـانب النيل يجرى ... أنت كالزنه فأجزلت رفدا
أنت ورد النساك من هام منهم ... تخـذ النسك عن كتابك وردا
أنت روح فـكم هززت مواتا ... أنت نور آفاقه لن تحـــدا
طاب أهلوك سيرة واستقاموا ... فأقاموا المعوج شيبا ومردا
أو غلوا فى القرى مصابيح رشد ... لست تحصى من صار فى النور عدا
رب غفل بعلمهم حاز فقها ... وروى مسندا إليهم فأسدى
بعثوا مالـكا هناك إماما ... كيـاه المحيط جزرا ومدا
ليس يجزيهم الصنيع فريضى ... ضاق شعرى إذا أردت وأكدى

• • •

إنما الأزهر الـكريم شعاع ... وجه الصين هديه والهندا
يمعو وجهـــه الأغر وعادوا ... سفراء الهدى يؤمون قصـــدا
رضى الله صـــحبه واصطفاه ... ثالث القبلتين إن رمت عـدا
ذاك سر أضفاه رب البرايا ... والجهات كالناس نحسا وسعدا
ربط المسلمين فى الشرق حتى ... صار يدعى أباهم أو جـــدا
إن من أنـكروا رسالة نوح ... مثلهم منكروك فى الفضل جحدا
كن رفيقا بهم عليك سلام ... لا تقل : لا تذر ، وكن أنت جلدا
كن وريث النبي أحمد رفقا ... كان يرجو فى الصلب لله عبـــدا

• • •

أيها الأزهر الذى عز حصنا ... وملاذا لمصر قبلا وبعـــدا
سـل فرنسا وقائدا لفرنسا ... من سوى الأزهر الغيور تحدى ؟
من تصدى لـكل باغ دخيل ... رام غزوا لنـا وبطشا وكيدا ؟
رام نابليون المشوم مقاما ... ورواحا فى مصر يحلو ومغدى
ثرت فى وجهه فأدبر يعــدو ... خائفا مسلما نفاقا لتهـــدا

سل رشيدا [١] من « مكرم » كيف أبلى … كيف قاد الجموع للحرب حشدا
سار يحدو إلى القراصن جندا … أسدا قاد للمعارك أسدا
ضاق بالأرنئود جيشا وألقى … شعب مصر العزيز أكرم جندا
سيفه الحق كم أطاح خصوما … منذرا بالجهاد قوما لدا
قام تاريخه يدل عليه … فاحفظوه ، وعوه بدءا وعودا

* * *

من « كعبده » فى ثورة لعرابى … ألزمت وارث الكنانة حدا
فاذكروا من أحل مقعد صدق … لمليك ما وورى الشيخ لحدا
أيها الأزهر الرحيب جنابا … وسع القاصدين لم يأل جهدا
أنت لولاك ذل كل كفيف … عاش بالمحسنين عيشا نكدا
أو صدت دونه المسالك صدا … وادعوا أن ذا نظام أعدا
إنما العلم كالمياه حياة … أى ذنب جنوه يمنع وردا
كم جنود لولاك ظلوا سيوفا … لم تفارق قرابها والغمدا
كم إمام وكم لسان قويم … كان أعيا من باقل لو صدا
أيها الأزهر الكريم سلاما … يا شبابا فى عمر نوح تبدى
أنت شمس لا تفتأ الدهر سيرا … بارك الله نورها فامتدا
عشت ألفا ، وسوف تخطو ألوفا ، … أنت والدين تخلود أعدا
ازهرى أنا وذاك فخارى … والوفى الكريم لا يتعدى
معهدى فى سيوط أول دار … طاب زادا وطاب أهلا ومهدا
إن دار العلوم مذ ضمتنى … وصلت حبله وزادته أيدا
رضى الله عنهما غذيانى … برحيق العلوم والخلق شهدا
أيها الأزهر المؤمل أسعف … بجديد يبين عما استجدا
أنت فينا الرجاء فاعلم وإنا … لك جند نروم هديا ورشدا
ذا بيانى إليك جاء سخيا … عرف الحق صدقه فأمدا
يا « جمال » ، الحبيب آزر خطاه … تلق سعدا به وسعدا وسعدا

سيد عبد الرءوف سيد
المدرس بأسيوط الثانوية للبنات

---

[١] مدينة رشيد ووقعتها المشهورة مع الانجليز فى عهد محمد على .

النصـــــــيحة

النصيحة إرشاد إلى الصواب وتوجيه نحو العمل الصالح المفيد الذى يعود على المنصوح بالسعادة والعزة ، والنصيحة تبصير بالمضار حتى لا يقع فيها من لا يعرفها ، وتحر لمواطن النفع حتى يلزمها ويسلك سبيلها . ولذلك ينبغى أن يكون الناصح ذا رأى ثاقب وعقل راجح قد جرب الأمور وعركته الأيام والليالى وذاق حلوها ومرها وانتفع بما رآه فيها من عسر ويسر وفرح وحزن ، وخلص قلبه من هم قاطع وغم شاغل ليسلم رأيه وتخلص نصيحته .

والنصيحة وظيفة الأنبياء والمرسلين ، فما من نبى أرسل لقوم إلا كان لهم ناصحا أمينا وحكيما مرشدا ، لا يألو جهدا فى نصحهم ولا يقصر فى إرشادهم ، ألا تستمع إلى سيدنا نوح عليه السلام وهو ينصح قومه فيقول : « ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » فيقول الملأ من قومه : « إنا لنراك فى ضلال مبين » فيقول لهم : « ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون » ويقول : « ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم » واستمع إلى سيدنا هود عليه السلام وهو يقول لقومه مقالة أخيه نوح : « يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » فيقول الملأ الذين كفروا من قومه « إنا لنراك فى سفاهة ، وإنا لنظنك من الكاذبين » فيقول لهم « ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » . واستمع إلى سيدنا ابراهيم عليه السلام « إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى إلا رب العالمين » . واستمع إلى سيدنا صالح وإلى سيدنا شعيب وإلى غيرهم من الأنبياء والمرسلين فكلهم كانت وظائفهم مع قومهم النصح والإرشاد . هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه عتبة بن ربيعة فى جماعة من قومه منهم أبو البخترى والأسود ابن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وقالوا له : إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا

ملكناك علينا ، وإن كان هذا الأمر الذى يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر ، قال لهم عليه الصلاة والسلام : « ما بى ماتقولون ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم » .

قال صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » والنصيحة لله سبحانه اعتقاد وحدته واتصافه بجميع صفات الكمال والجلال والجمال ، وتنزهه عن صفات النقص أو سمة من سماته ، والنصيحة لكتاب الله اعتقاد أنه من عند الله ، ولا يمكن للمخلوقين مجتمعين ومنفردين أن يأتوا بشئ من مثله وأنه « كتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه » .

والنصيحة للرسول تصديقه بأنه رسول من الله ، وأن جميع ما جاء به حق ، يجب اتباعه فيه عملا أو تركا ، والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم فيما لا يغضب الله ، وإعانتهم على الأعمال الصالحة التى تعود على الأمة بالنفع العام . والنصيحة لعامة المسلمين تعليمهم أمور دينهم وإرشادهم إلى العمل به والمحافظة عليه وطاعة أولياء الأمور فى غير معصية . وهكذا كان الرسل كلهم علماء نصحاء مرشدين وقد ورثهم فى ذلك العلماء ، فهم يعظون الناس ويرشدونهم إلى ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهم بعدهم الدعاة إلى الله والهداة إلى دينه القويم .

وإنى ذاكر هنا نصيحة أمامة بنت الحرث التغلبية لابنتها أم إياس بنت عوف ليلة زفافها لزوجها ، وبودى لو يحفظها الرجال والنساء على سواء ، ويتنصحون بما فيها من حكم ، ويتمسكون بها فى أعمالهم ومعاملاتهم واجتماعياتهم ، إذن لا نرى بيتا يشق بعد سعادة ، ولا يتهدم بعد شموخ وثبات ، ولا أسرة تتفرق بعد صفاء اجتماع ، ولا أولادا تتشرد بعد النعيم فى ظل الوالدين .

قالت أمامة الحكيمة العاقلة لبنتها : يا بنية ، إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو لتقدم حسب لزويت ذلك عنك ولأبعدته منك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل ، أى بنية لو استغنت امرأة عن زوج بفضل مال أبيها لكنت أغنى الناس عن ذلك ، ولكن للرجال خلقنا كما خلقوا لنا ، يا بنية ، إنك قد فارقت الحى الذى منه خرجت والعش الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه عليك

مليكا، فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا، واحفظى منه خلالا عشرا يكن لك ذكرا وذخرا. أما الأولى والثانية فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة. فإن فى القناعة راحة القلب، وفى حسن المعاشرة مرضاة الرب. وأما الثالثة والرابعة فالمعاهدة لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح. واعلمى يا بنية أن الكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود. والخامسة والسادسة التعاهد لوقت طعامه والتفقد لحين منامه، فان حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مكربة. وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله، فان أصل حفظ المال حسن التقدير، والرعاية للحشم والعيال من حسن التدبير. وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشين له سرا، ولا تعصين له أمرا، فانك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أو غرت صدره. واتقى مع ذلك كله الفرح إذا كان ترحا والاكتئاب إذا كان فرحا، فان الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة. واعلمى يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرى رضاه على رضاك وتقدمى هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يصنع لك الخير واستودعتك الله.

وتلك لعمر الحق نصيحة كاملة وحكمة بالغة، لو حفظتها كل فتاة تزف إلى زوجها لعاشت عيشة هنية راضية.

وإذا كان لا بد لى فى مقامى هــذا أن أتقدم بنصيحة فخير نصيحة أقدمها نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل. قال معاذ: أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال: «يا معاذ، أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلما، أو تصدق كاذبا، أو تكذب صادقا، أو تعصى إماما عادلا، وأن تفسد فى الأرض. يامعاذ، اذكر الله عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية». نسأل الله التوفيق والرشاد لنا

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء

والمدير العام للوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

بشائر العام الهجرى الجديد

– ٢ –

مميزات الديمقراطية : إن من أهم خصائص الديمقراطية أن الشعب يظل صاحب السلطان مهما تكن الهيئة التى تمارس هذا السلطان ، فالسيادة لايمكن تنازل الشعب عنها وعلى هذا الأساس فهم روسو وكل رجال الثورة معنى مبدأ السيادة ، وقد ظل المبدأ قائماً على الأساس نفسه فى العصور التى تبعت الثورة حتى الآن .

على أنه إلى جانب هذه الميزة الهامة لمبدأ سلطان الأمة توجد للديمقراطية مميزات ثانوية « كلاسيكية » يحسن أن نستعرضها فيما يلى :

أولا – الديمقراطية مذهب سياسى : إن المذهب الديمقراطى هو مذهب سياسى لا اجتماعى ولا اقتصادى فهو ليس كما اعتبره بعض الألمان مسألة زبد وخبز بل على النقيض مسألة عقل وقلب .

لقد كانت ألمانيا أيام بسمارك تكثر من المنشآت الاجتماعية تحسينا لحال طبقات الشعب ، ولا سيما العمال فهم بقصد تحويل أفراد الشعب من المطالبة بحقوقهم السياسية ، ولقد كان بسمارك يقول فى هذا الصدد :

« إنه عندما يشعر الشعب بالسعادة فالحزب الاشتراكى الديمقراطى أن ينشد مايشاء من الأغانى فلن يتبعه أحد » .

ومما لاشك فيه أن الديمقراطية الاجتماعية لا يمكن أن تغنى عن الديمقراطية السياسية بحال ، ذلك أن ما يحصل عليه الشعب فى الحالة الأولى من الإصلاح يأتى إليه كمنحة من الحاكم أو صاحب الأمر ، بينما فى الحالة الثانية يحصل الشعب بنفسه على ما يريد من الإصلاحات .

ثانيا – الديمقراطية مذهب الحرية السياسية : إن الديمقراطية ترمى إلى الحرية

السياسية ، أى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه وأن يختار للحكم من يرتضيهم لذلك . وهذه الحرية السياسية التى تقصدها الديمقراطية الكلاسيكية لا يجب خلطها بالحرية بوجه عام ، فالحرية السياسية ليست حتما الحرية الفردية ، إذ ليست من الضرورى فى نظام قائم على الديمقراطية السياسية وجود حريات فردية قائمة فى وجه الحاكم ، إن نظرية العقد الاجتماعى التى ترجع اليها الديمقراطية وسيادة الأمة تشتمل على كثير من النظريات الاستبدادية ، فالفرد فى العقد الاجتماعى ليس له أى حق أمام الشعب صاحب السلطان الذى له أن يتصرف فى كل شىء بحسب ما يرتئيه .

ثالثا — الديمقراطية مذهب روحانى بعيد عن المادة : لاحظنا عند الكلام على الفرق بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية أن الأولى هى مسألة عقل وقلب وأن الثانية هى مسألة خبز وزبد . ويتضح من ذلك أن الديمقراطية السياسية هى مسألة فكرة معنوية خاصة بكيفية الحكم ، فهى تفترض وجود عقيدة معينة تعمل نحو مثل أعلى مع رغبة صادقة فى العدالة ، ومن ذلك يتبين كيف أن الديمقراطية هى مذهب روحانى بعيد عن المادة ، وليس أدل على ذلك من اعتقاد الشعب الفرنسى إبان الثورة بأن إعلان حقوق الإنسان هو إنجيل سياسى مظهر لحقائق أبدية .

رابعا — الديمقراطية مذهب فردى : إن الثورة الفرنسية باعلانها المبدأ الديمقراطى قد قررت الديمقراطية الفردية كذلك — فالأمة مكونة من أفراد متساوين لا يربط بعضهم ببعض سوى انتمائهم لدولة واحدة وهو ما يتفق ونظرية العقد الاجتماعى ، وينتج من ذلك أنه :

١ — لا يوجد أى جماعة وسيطة بين الأمة صاحبة السلطان والفرد ، فلا امتياز للطوائف الفنية ، ولا لطبقة الأشراف أو النقابات وما إلى ذلك — وعلى ذلك قضت الثورة على جميع هذه الطوائف وما لها من امتيازات .

٢ — المواطن يشترك فى الشئون السياسية العامة باعتباره إنسانا ، أى فردا بصرف النظر عن أى اعتبار آخر ، فلا ينظر إلى مهنته أو إلى إنتاجه أو إلى وسطه أو إلى درجته العلمية فالحقوق التى يتمتع بها الفرد فى الديمقراطية هى باعتباره إنسانا فقط .

خامسا — الديمقراطية تقرر المساواة : إن الديمقراطية تقرر المساواة ، ولا شك

أن هـذه المساواة مستمدة من البند السابق ، فما دامت الديمقراطية قد جعلت اشتراك الأفراد فى الحكم هو بصفتهم أفرادا آدميين فلابد أن يكون لكل فرد منهم حقوق سياسية واحدة ، ولا سيما أن كلا منهم بحسب العقد الاجتماعى قد ترك حالته الطبيعية وتنازل عن جزء من حريته مساو لما تنازل عنه الآخر . وبدهى أن ينتج من اعتبار الديمقراطية فردية وموجبة للمساواة بين الأفراد وجوب تعميم مبدأ الاقتراع العام على قدم المساواة بين الجميع .

ومما كتبناه يتضح لقراء هذه المجلة أن هذا البحث طويل الذيول كثير التفاريع ، من أجل ذلك : نحب خدمة لحقيقة واستجابة إلى ما يمليه علينا حب الوطن ، وإلى رغبة ملحة من بعض كبار المسئولين قطعا لحجج أعداء الأزهر الذين يظنون ـ وما أكذب ما يظنون ـ أن الأزهر لايواكب حركات الشعب، ولا يساير ركائبه ولا يعزف على قيثارته على أن هؤلاء الأدعياء نسوا أن مشرق الحركة الوطنية منبعث من ربوع الأزهر ، فى الوقت الذى كان المفكرون والقادة لايجترئون على إعلان رأيهم إلا على منبر الأزهر ، وعلى صعيد الأزهر وبين رجال الأزهر ، وما أصدق شوقى حين قال بهذه المناسبة .

قم فى فم الدنيا وحىّ الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا

فالى الغد القريب . . .

عباس طه

سنطالب بالتعويضات كاملة

أعلن الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية فى مجلس الأمة أن مصر لن تفترعن المطالبة بالتعويضات الكاملة لما لحق بها من خسائر نتيجة للعدوان . وإن مصر حولت العدوان إلى فرصة لاستكمال تحررها السياسى والاقتصادى والعسكرى .

من قصيدة

الأستاذ محمد صالح الريدى

المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم فى احتفالها السنوى

ألقى الأستاذ محمد صالح الريدى كلمة قيمة فى الاحتفال السنوى لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، جاء فيها ما يلى :

شاركونا احتفاءنا بكتاب قد أفاض الخير بين الظماء
شاركونا تكريمنا لكتاب قد أساغ النفوس صرف شفاء
إنه النور يجتلى فى ظلام فيضىء النهى ضياء السماء
إنه الكوثل[1] الذى تتهدى بهداه مراكب الدأماء
إنه الصاعد الجسيم ومنه يبلغ الناس هامة الجوزاء

* * *

فاشمت جوانب الأزهر النو ر عجيب السنابهى الرواء
وأرى تاجه المنير حفيا فى وفاء بالسادة العظماء
هو تاج الشيوخ حزما وعزما هو حقا خليفة الخلفاء
زكن عالم أمين نزيه يحتفى باللباب لا بالغثاء
هو للأزهر الشريف عماد وله فى نهاه كل الرجاء
صانه الله أزهريا صميما ووقاه دسائس السفهاء

ثم اختتم كلمته بقوله :

قد بذلتم جهدكم لتصونوا آية الله من أذى وفناء
نال منكم جهادكم وارجى أن يرى جهدكم من الناس رائى
يا رجال القرآن أديتم الفر ض فطوبى لكم وحسن الجزاء

---

[1] الكوثل : مكان السفينة ـ المجلة .

جماعة الشرق الأوسط

واللجنة الأمريكية الدائمة

« للتعاون الإسلامى المسيحى »

أقيمت أخيرا فى واشنطن ونيو يورك جمعية أمريكية باسم « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامى المسيحى » برئاسة الدكتور جارلاند هو بكنز نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية ، ويؤخذ من نشرة أصدرتها هذه اللجنة باللغة الإنجليزية فى أول أبريل (نيسان) ١٩٥٧ أنها جادة فى إنشاء فروع ومراكز لها فى بلاد المسلمين والعرب بزعم إيجاد تعاون إسلامى مسيحى وإقامة معاهد أمريكية وعقد اجتماعات لهذه الغاية . وتقول النشرة : إن اللجنة تبدأ خلال شهر أبريل ١٩٥٧ بالعمل لإنشاء معهد لها فى طهران ثم فى البلاد الأخرى .

وقد تأكد أيضا أن جماعة الشرق الأوسط تعد العدة منذ الآن لعقد مؤتمر فى كراتشى (باكستان) فى شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٥٧ شبيه بمؤتمرها فى بحمدون (لبنان) وأنها وجهت رسائل بهذا المعنى إلى بعض كبار الشخصيات الإسلامية .

إن جمعية الشرق الأوسط ، وزميلتها اللجنة الدائمة للتعاون الأمريكى ، تعملان لغاية واحدة وتهدفان إلى أغراض سياسية أجنبية تتستر بالدين ، وهى فى حقيقتها حركة أجنبية مريبة تحيط بها الشبهات من كل جهة . فالذين يشرفون عليها ويديرون شؤونها جماعة من الأمريكيين عرفوا بصلتهم بوزارة الخارجية الأمريكية والعمل بتوجيهها وتنفيذ أغراضها وترويج سياستها التى ترمى إلى تحقيق المشروعات الأمريكية الاستعمارية كالأحلاف العسكرية ومشروع آيزنهاور ونحوها ، كما أن منهم بعض القسس ممن يحترفون التبشير ويعملون لهدم الإسلام أو (تطويره) وجعله آلة بيد السياسة الأمريكية والاستعمارية التى يراد فرضها على بلاد المسلمين والعرب لتمزيق وحدتهم وتدمير قوتهم أو تسخيرها فى خدمة مصالح أمريكا وحلفائها الاستعماريين من إنجليز ويهود وفرنسيين .

إن هـذه الحركة يراد بها تسخير الإسـلام والشعوب الإسلاميـة والعربية لخدمة الأهداف الأمريكية بادعاء مقاومة الشيوعية .

إن الدكتور هو بكنز رئيس هذه الجماعة الأمريكية كان قسيسا بروتستانتيا لطـائفة الميثوديست[١] ، ثم عمل فى وزاره الخارجية الأمريكية ، وسافر لأندونيسيا ، ثم عاد إلى الشرق الأوسط ، ثم جاء إلى لوزان فى سنة ١٩٤٩ أثناء اجتماع لجنة التوفيق الدولية فيها ، وحاول إقناع مندوبى العرب بقبول (الأمر الواقع) بشأن قضية فلسطين وعـدوان إسرائيل ، وتعاون فى ذلك مع المستر سام كوبر وكيل إدارة الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية البريطانية . ثم شرع مع غيره بتأسيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط سنة ١٩٥١ وعمل لعقد ما سماه بالمؤتمر الإسلامى المسيحى فى بحمدون (لبنان) سنة ١٩٥٤ ، كما عمل لعقد لجنته التنفيذية فى فندق سيسل باسكندرية سنة ١٩٥٥ . وبالرغم من الدعاية الواسعة التى نشرها ، والأموال الطائلة التى بذلها ــ فى دفع أجور الطـائرات للمدعوين ، وفى الفنادق الـكبرى ــ فقد فشل مؤتمره كما فشلت لجنته ، لأن الـكبراء والصفوة الواعية من المسلمين والمسيحيين فى العالم الإسلامى والعربى نبذت دعوته وقاومت حركته ووجهوا إليه جارح النقد ، كما أعلنوا عن ريبتهم فى مقاصد هذه الجماعة الأجنبية .

فقد رفض الدعوة لحضـور المؤتمر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجـامع الأزهر وأعاد إلى هو بكنز تذاكر السفر بالطائرة التى بعث بها فى طى كتاب دعوته ، كما امتنع فضيلة شيخ علماء الإسكندرية عن حضور اجتماع لجنة المؤتمر بفندق سيسل ، والبطريركية القبطية بمصر ، وبطريركية الموارنة فى لبنـان ، والهيئات المسيحية الرسمية فى بلاد الشرق ، قاطعت المؤتمر لريبتها فى مقاصده وأهدافه السياسية المتسترة بالدين .

ونذكر هنـا بعض ما قاله هؤلاء الـكبراء من مسلمين ومسيحيين فى جماعة أصدقاء الشرق ومؤتمرها وحكومتها الأمريكية التى كفلت المؤتمر وأنفقت عليه ووجهت الداعين إليه ، فالشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمـه الله لم يـكتف برفض الدعوة التى وجهت إليه لحضـور ذلك المؤتمر بل أرسل كتابا إلى هو بكنز فضح فيه سياسة أمريكا وحث المسلمين على رفض التعاون معها وحضهم على مقاومة أحلافها ومشاريعها الاستعمارية وشهر بها وبعملائها واعتبرها المسئولة عن كارثة فلسطين وتشريد أهلها المسلمين والعرب بمساعداتها لليهود بالمـال والسلاح وتمـكينهم فيها ، وقد طبع رده على هو بكنز فى رسالة

---

[١] أسس مذهبها John Wesley ـ المجلة .

سماها « المثل العليا فى الإسلام لا فى بحمدون » وهى رسالة مطبوعة فى المطبعة الحيدرية بالنجف وكلمة سماحة مفتى فلسطين السيد محمد أمين الحسينى نشرتها جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٥٤ تحت عنوان « رأى صريح فى المؤتمر الإسلامى المسيحى » جاء فيها ما يلى :

« نحن نرحب بكل خطوة ترمى إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين ، فديننا الإسلام يدعو إلى التعاون بين البشر كافة . ولكن أرى أن أية دعوة إلى تعزيز الغايات الشريفة يجب أن تكون منزهة عن الهوى وعن الأغراض السياسية والأهداف الاستعمارية . ونحن المسلمين نخشى أن تكون وراء أمثال هذه الدعوة السياسية الأنجلو أمريكية ، تلك السياسة التى تعد المسئولة الأولى عن نكبة فلسطين وتشريد أهلها العرب . ويبدو أن الغرض الحقيق من عقد هذا المؤتمر هو محاولة تخدير المسلمين العرب وتحويل اتجاههم عن التزام سياسة الحياد ومعارضة الأحلاف العسكرية ومشروعات الدفاع المشترك . ولذلك فإنى أعتقد أن الغاية الحقيقية من وراء عقد هذا المؤتمر هى الترويج لسياسة الدول الاستعمارية الغربية ، والسير فى ركابها وراء ستار كثيف من المبادئ السامية والقيم الروحية . وإنى موقن بأن العلماء المسلمين الذين سيشتركون فى هذا المؤتمر لن تخفى عنهم ألاعيب المستعمرين وخداعهم ، ولن يتوانوا عن إحباط دسائسهم التى لم تعد تخفى على أحد . فلو أرادت الولايات المتحدة الأمريكية حقا وصدقا أن تعنى بالأمور الروحية وتوثق العلاقات بين أهل الديانتين السماويتين فما عليها إلا أن تتوقف عن مساندة اليهود ومساعدتهم ماليا وعسكريا فى اعتدائهم وطغيانهم .

ومثل بطريك الأقباط باسكندرية رفض دعوة جماعة الشرق الأوسط ، ولم يكتف بذلك بل صرح لوكالة مصر للأنباء عن سبب رفضه فقال : « إنى كممثل لهيئة دينية رسمية لا أسمح لنفسى بحضور اجتماعات تدعو إليها هيئة أجنبية عن بلاد ليس من حقها أن تتدخل فى شئونها ، كما أنه ليس من الحكمة حضور مثل هذه المؤتمرات التى لا تعرف أغراضها الحقيقية ، إذ يخشى انحرافها إلى النواحى السياسية » (جريدة القاهرة ١٠/٣/١٩٥٥) .

وقد سأل مندوب وكالة مصر للأنباء فخامة السيد شكرى القوتلى رئيس جمهورية

سورية عن المؤتمر المذكور فقال : « إن هذا المؤتمر دسيسة أجنبية يجب الحذر منه ، وإنه يعتقد أنه محاولة للافساد وإثارة الفتن » (جريدة القاهرة ١٠ / ٣ / ١٩٥٥) .

وما حدث من اعتذار ممثل أقباط مصر عن حضور المؤتمر المذكور حدث مثله أيضا فى مؤتمر بحمدون سنة ١٩٥٤ فلم يحضره أى ممثل للطائفة المارونية ، وهى أكبر الطوائف المسيحية بلبنان ، لريبتهم فى مقاصد المؤتمر والداعين إليه . وقد نشرت جريدة الحياة اللبنانية بتاريخ ٢٨ / ٣ / ١٩٥٤ أن مندوبها سأل مستر هوبكنز الذى كان الرئيس الحقيق لمؤتمر بحمدون « الإسلامى المسيحى » : لماذا لم تمثل الطائفة المارونية فى مؤتمركم ؟ فأجاب بأن الدعوة قد وجهت إلى المنسنيور يوحنا مارون ، ولم يتلق المؤتمر جوابا .

وبتاريخ ٩ / ٦ / ١٩٥٦ نشرت جريدة الأهرام كلمة للدكتور منصور فهمى رفض فيها الدعوة التى وصلته من الدكتور هوبكنز لحضور الاجتماع الذى ستعقده لجنة مؤتمر بحمدون المسماة « لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامى المسيحى فى القدس من ١٥ - ١٨ / ٦ / ١٩٥٦ » .

جاء فيها ما نصه :

إن من الواضح أن الاجتماع الذى تدعون إليه إنما هو تكرار للاجتماعين السابقين اللذين دعت إليهما جماعة أصدقاء الشرق الأوسط وعقدا سنة ١٩٥٤ فى بحمدون (لبنان) وفى الإسكندرية سنة ١٩٥٥ ولم أحضرهما ، ولعلكم قد أدركتم أن سبب فشلهما رغم مابذل فى سبيل إنجاحهما من جهود ، إنما كان لما يخالج قلوب الناس من ارتياب فى الأهداف الحقيقية لجماعة أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية التى يعتقد المسلمون والعرب أنها على صلة وثيقة بالحكومة الأمريكية وتعمل لترويج سياستها التى تؤيد إسرائيل بكل الوسائل والمساعدات المادية والسياسية ، وهذه السياسة طبعا مضرة جدا بمصالح المسلمين والعرب . وليس من المعقول أن يكتفى المسلمون والعرب من السياسة الأمريكية بالمؤتمرات والكلام عن الصداقة والتعاون والوئام بينما يرون الولايات المتحدة الأمريكية تغدق على إسرائيل ألوف الملايين من الدولارات وغيرها من المساعدات الحربية ، والسياسية التى مكنتها من الاستيلاء على فلسطين العربية وطرد مليون من أهلها مما لم يسبق له نظير فى التاريخ الخ ... » .

هذه بعض نماذج مما قيل فى فضح أغراض هذه الجماعة الأمريكية .

إن الشعوب الإسلامية والعربية وحكوماتها تعلم علم اليقين أن إنجلترا جنت على مليون مسلم وعربي من أهل فلسطين ، وسلمت بلادهم وأراضيهم إلى اليهود ، وأن حليفتها أمريكا هى التى ساعدت على إقامة دولة إسرائيل وأمدتها بجميع وسائل العون والقوة حتى بلغ ماقدمته أمريكا من مساعدات لدويلة اليهود مايزيد عن ألفى مليون دولار خلال بضع سنين .

وإذا كانت أمريكا جادة فى خطب ود المسلمين ليكونوا فى صفها فعليها أن تعدل عن سياستها وتقف موقف الحياد بينهم وبين إسرائيل فلا تقدم أى عون لكل منهما .

ولكن هل تستطيع جماعة الشرق الأوسط وزميلتها الجمعية الدائمة أن تحقق ذلك ؟ كلا . فهى إنما تريد أن تنفذ خطط وزارة خارجيتها وتبث توجيهاتها فى تخدير المسلمين والعرب وخداعهم بواسطة عقد اجتماعات ومؤتمرات وإقامة معاهد ومراكز أمريكية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، حتى لاييأس المسلمون والعرب نهائيا من أمريكا وحلفائها .

على أن تصريحات ساسة أمريكا وحكامها فى تأييدهم علنا لدويلة اليهود وإصرارهم على بقائها وإعدادها بالمال والسلاح ، تقطع السبيل على مزاعم جماعة الشرق الأوسط ولجانها وتفضح مؤتمراتها ، وهذا مما يجعل المسلمين يتأكدون أن أمريكا من ألد خصومهم ، لأنها أكبر مساعد لأعدائهم ، ولهذا فهم يرفضون مشاريعها ، ويقاومون أحلافها ، حتى تعود إلى الحق وتعدل عن تأييد الصهيونية والاستعمار .

من أجل ذلك كله ، ولدفع خطر هذه الجماعة الأمريكية المتستعرة بالدين ، ومن أجل دفع شرها والقضاء على دسائسها ، نسترعى أنظار إخواننا من علماء المسلمين وقادتهم وأصحاب الرأى منهم إلى الحذر من الاعيب هذه الجماعة الأمريكية التى تحاول التغلغل فى أوساطهم رجاء أن يبذلوا جهودهم لمقاومتها ، وإحباط خططها الاستعمارية ، ومنع إنشاء أية فروع أو معاهد لها فى بلادهم ، وأن يكشفوا الستار عن أهدافها فى خدمة الصهيونية والاستعمار ، ويحولوا دون اشتراك أى أحد من المسلمين فى فروعها واجتماعاتها ومؤتمراتها . وأن يؤكدوا للجميع أنها حركة ضارة بالمصلحة الإسلامية والعربية العامة ، وكل مرادها الزج بالمسلمين والعرب فى سياسة الأحلاف الاستعمارية بادعاء مقاومة الشيوعية ، ليجعلوا من المسلمين وبلادهم وقودا للحرب التى يستعدون لها .

والله الموفق إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عربى مسلم

أم المؤمنـــــين أم سلمة

كانت أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة القرشية المخزومية هى الزوجة السادسة من زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تزوج ـ صلوات الله عليه ـ إحدى عشرة امرأة ولم يجتمع له منهن أكثر من تسع ، فقد توفيت السيدة خديجة أولى زوجاته وأيمنهن ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وتوفيت السيدة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية وهى الزوجة الخامسة للنبى صلى الله عليه وسلم بعد شهرين من زواجه بها .

فأما الزوجة الثانية سودة بنت زمعة ، والثالثة وهى عائشة ، والرابعة وهى حفصة ، والسادسة وهى أم سلمة (موضوع حديثنا اليوم) ، والسابعة وهى زينب بنت جحش ، والثامنة وهى جويرية بنت الحارث ، والتاسعة وهى أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ، والعاشرة وهى صفية بنت حيي ، والحادية عشرة وهى ميمونة بنت الحارث ، فهؤلاء التسع قد بقين مع السيد الرسول صلوات الله عليه حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وكان آخرهن وفاة هذه السيدة الكريمة موضوع الحديث . توفيت فى عهد يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين من الهجرة النبوية .

لم كان تعدد الزوجات فى الإسلام ؟

مهما تقول المتقولون على الإسلام وتشريعه ، ومهما حاول المبشرون والملحدون والجاهلون أن يطعنوا على أحكامه ونظامه « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » مهما تقولوا وحاولوا فان الإسلام متين الأركان مدعم البنيان ، لم يشرع شريعة وغيرها أصلح منها وأولى بالبقاء ، ولا رخص للناس رخصة ولا أخذهم بعزيمة وفى غيرها وفاء أو غناء ، ذلكم قولهم بأفواههم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

جاء الإسلام الكريم ، والعرب يعددون الزوجات إلى العشر ، فربما كان ذلك لحاجة ، وربما كان ذلك لمجرد شهوة وهوى ، ولكن الإسلام هذب ذلك كما هذب سائر

الأوضاع البشرية ، وكما حد من أمر الرقيق وحث على الإحسان إليه وفك رقبته بعد أن ساير الناس إلى حد محدود فى أمره .

هذب الإسلام أمر التعدد فأباح منه ما دعت إليه الحاجة وشرطه بشرط هيهات أن يتحقق ، ولكنه إذا تحقق كان شيئا مهذبا كريما لا حرج فيه ، فهو يقول : « فانكحوا ما طاب لكم » ولا تطيب المرأة حتى يتوفر الهدوء والتوفيق فى الحياة الزوجية ، فإن توفر وتحقق معنى العدل فمن الغباوة والمكابرة ، ومن السفه والمهاترة ، تحريم معنى تعمل تشريعات العالم كله على تحقيقه وهو رعاية مصالح الناس . وإن لم يتحقق ذلك فان الإسلام أول خارج عليه ومحارب له .

ولا أريد أن أخوض فى تفصيل موضع الحاجة إلى التعدد ، فقد أطال الناس الكلام فى ذلك ، وذكروا أنه قد تدعو إليه حاجة إلى تكثير النسل فى حرب أو غيره ، أو حاجة إلى دفع العقم أو مقاومة الإسراف فى بعض الطبائع ، ولكنى أقولها هكذا كلمة عامة وأحكم بأنها مسألة تتقدر بالحاجة وبما تدعو إليه المصلحة وفى حدود الضرورة ، فأما إذا كان التعدد مما يترتب عليه مفسدة ما ، فان الإسلام يحرمه كما يحرم كل شيء كذلك ، وهذا هو السر فى أن الشارع الحكيم حرم ما فوق الأربع فى حق جميع البشر ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم ، لأنه تعدد ليس من شأنه أن تدعو إليه الحاجة ، ومن شأنه أن يدعو إلى الجور ، وعدم التوفيق فى الحياة الزوجية .

فأما النبى صلى الله عليه وسلم فقد خصه الله سبحانه بإباحة ما فوق ذلك إلى الحد الذى رأيت بيانه فى صدر هذه الكلمة ، ذلك أن الله سبحانه خصه بطاقات وسعة ذرع وأفق ، وقوة دين وخلق ، وقوة جسدية يسمح له كل ذلك بإقامة العدل ، وتحقيق معانى الزوجية الهادئة الوادعة ، ولم يكن الداعى إليه فى حقه صلى الله عليه وسلم مظهر شهوات تلبى ، ولا معنى من معانى الأثرة والتمييز . حاش لله . إنه لو كان الأمر كذلك لكان موضع تخيره بارعات الجمال والمتفوقات فى الحسن ، ولما قبل أن يتزوج وهو فى الخامسة والعشرين ثيبا فى سن الأربعين كأولى زوجاته التى لم ينس عشرتها ولم ينقطع حنينه إليها (خديجة بنت خويلد) . ولو كان الأمر كذلك لم يتزوج صبية فى سن السابعة كعائشة ، ولا تزوج عدة من الأرامل ولا ذوات الأبناء من أمثال أم سلمة موضوع الحديث .

وكل ظروف زواجه صلى الله عليه وسلم تدل عند المنصف المحقق على أنه كان يتوخى في زواجه معاني جليلة كريمة من أمثال ما يأتي :

١ — إحكام الروابط العامة والخاصة ، حتى يجمع القلوب حول الدعوة الكريمة ، ويتجلى ذلك في زواجه بحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر التي لم تجاوز يوم زواجه بها سبع سنين . وقد قال بعض المفسرين في قوله سبحانه «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » . إنه ليس هناك قبيلة من قريش إلا وللنبي صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة له أو لبعض زوجاته فيها .

٢ — القيام بأمر بعض من فقدن العائل وجبر كسرهن لما أصابهن من مصيبة ، ولا سيما إذا كان ذلك في أمر يتعلق بالدين ، كما وقع ذلك في تزوجه بأم سلمة موضوع الحديث ، وأم حبيبة التي تنصر زوجها بالحبشة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها ويطلب من النجاشي أن يزوجه بها ، وكما في زينب بنت خزيمة أم المساكين التي كانت تحت عبد الله بن جحش وقتل عنها يوم أحد ، وكما في جويرية بنت سيد قومه التي وقعت في السبي في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها فتزوجها ، ثم أرسل المسلمون ما بأيديهم من السبي لأنهم أصهار النبي ، وكما في غير ذلك مما لا نطيل به اليوم .

٣ — القضاء على بعض التقاليد الموروثة الفاسدة في العرب كما في تزوج زينب بنت جحش .

٤ — على أن ذلك التعدد في ذاته كان ضرورة دينية تعليمية لنقل أحكام الإسلام فيما يتعلق بشئون النساء تفصيلا ، كالحيض والطهر وأحكام الأسرة وما يتعلق بها وما إلى ذلك ، فإنه يحتاج إلى تلميذات في داخل المنازل النبوية الكريمة ، فقد كان أكثر تلاميذه لغير تلك الأحكام من الصحابة ، فأما تلميذاته لتلك الأحكام فهن الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين ، تقلن العلم إلى الناس وبين أحكام الشريعة فيها بما لم يتيسر لغيرهن .

فليوفر أعداء الإسلام عنادهم وليخلوا الطريق لدعوة الحق ، فإن لله سبحانه طائفة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

زواج أم سلمة برسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت هذه السيدة الكريمة هي وزوجها عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة من السابقين إلى الإسلام الذين أبلوا فيه حق البلاء ، فكانا ممن لحقه أذى المشركين يوم كان الإسلام غريبا بمكة ، يستضعف المستجيبون لدعوته ، وكانا ممن هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد ذلك ، وكانت هجرتها متأخرة عن هجرة زوجها لأن قومها بنى المغيرة فرقوا بينهما ففصلوها عنه كدأبهم فى كل مايستطيعون من فساد وتحد للدعوة الكريمة ، وتفصيل ذلك فى كتب السيرة .

على أن الله سبحانه شاء أن تخرج بعد ذلك لأن قومها رثوا لحالها وما كانت فيه من ألم وشقاء ، وما كان يغلب عليها من عزلة فى نحيب وبكاء . فأفرجوا عنها وخرجت وحدها إلى المدينة ، ثم قيض الله لها فى طريقها من أوصلها إلى زوجها فى معزة وتكريم . وبذلك كانت أول ظعينة دخلت المدينة ، كما كانت من قبل أول امرأة هاجرت إلى الحبشة .

وبعد الهجرة إلى المدينة تفرغت هند لتربية ما كان لها من أولاد من هـذا الزوج الكريم الذى تفرغ لمعركة الإسلام مع الشرك ، ولزم النبى صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا وأحدا وأصيب بجرح بليغ فى أحد .

وبلغ من تقدير النبى صلى الله عليه وسلم له وثقته به أنه كان استخلفه على المدينة فى غزوة العشيرة ، وقد سيره إلى غزوة بنى أسد وكانوا قد عسكروا فى الجمع للنبى صلى الله عليه وسلم ، وغزوه بعد أحد فظفر بهم أبو سلمة وقضى عليهم ، ولكنه كان ضحية جراحة أحد لأن جرحه نغر من كثرة مالقى من عناء فى جهاده فمات شهيد تلك الجراحة ، واحتسبه النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وكان من الخير بعد ذلك ، وقد أصيب ذلك البطل الكريم فى سبيل الله والإسلام ، أن يتولى النبى صلى الله عليه وسلم بعض أمره ، وأن يخلفه على زوجه وولده من غير أن يكون به حاجة إلى الزواج وفى عصمته عائشة وحفصة وسودة التى كان قد تزوجها أيضا لمثل ذلك من جبر الكسر ، وتولى الأمر . كما أن أم سلمة لم يكن لها أرب فى زواج ، وهى تربى ذرية ضعافا من أبناء أبى سلمة ، ولهـذا رفضت الزواج من كل من أبى بكر وعمر .

ولـكن رسول الله صلى الله عليـه وسلم خطبها بعدهما وعزم عليهـا أن تقبل بعد أن اعتذرت إليه بأنها غيرى ومسنة ، وذات عيال .

وقال لهـا : أما الغيرة فإنى أسأل الله أن يذهبها عنك ، وأما السن فأنا أكبر منك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله .

لم تـكن هند إذا ذات جمال يشبه جمال عائشة ولا جمـال حفصة أو يقاربه فيحرص عليه لمتعة مادية ، ولـكنه وفاء من السيد الرسول صلى الله عليـه وسلم لمن استطاع أن يفى له من أصحابه الأكرمين .

ثم قبلت أم سلمة وتزوجها رسول الله صلى الله عليـه وسلم على بركة الله فى السنة الثالثة من الهجرة ، وكان طبيعيا أن يدخـل زواجها بعض القلق البشرى على السيدات أمهات المؤمنين شأن من يتمسكن بزوج عظيم مثل محمد ، ويتنافسن على القرب منه ، ويشفقن من أن ينازعن فيه وإن كن بعد ذلك قد اطمأنن إليها ، وكان لهـا من مهارتها ولباقتها وسمو نفسها ما جعلها موضع الرضا والتقدير .

بعـد الزواج :

كانت هند قد أثمرت من زوجها عبد الله : سلمة وعمر ودرة وزينب ، وكانت زينب كما تحدث علماء الخبر أنها بقيت فى حضانة أم سلمة بعـد زواجها من السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرحب بها ويلاطفها ويسأل عنها إذا دخل الحجرة الشريفة فيقول : أين زناب ؟ ولـكنها مالبثت أن بعثت بها إلى حاضنة أخرى لتفرغ لخدمة السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما بعد أن دخل على أم سلمة أخوها من الرضاعة عمار بن ياسر يوما فرأى زينب هـذه فقال : هذه تمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته .

وعاشت السـيدة أم سلمة فى حجرتها من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ذات مكانة مرموقة من محتدها ومنطقها وتصرفها ومهارتها وسمو نفسها .

وفى التواريخ والسير مواقف لها تدل على ما كان من عزة وجلادة فيها :

١ — وكان من ذلك أنها انتهرت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى موقف رواه البخارى وغيره من المحدثين ، وعمر من يعلم القارئ الكريم عزة واستانة فيا يقتنع به ، ولكنه استحيا وعدل عما كان يريد أن يحاول .

قالوا : إن زوج عمر بن الخطاب ناقشته يوما كما تناقش كل امرأة زوجها ، فقال : وما شأنك وهل أنت إلا امرأة يلعب بك ساعة ؟ فقالت : أنت تقول ذلك وإن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه فيا يقول .

فخرج مسرعا حتى أتى حجرات النبي صلى الله عليه وسلم وسأل حفصة : أتسكن لتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وسمعته أم سلمة فقالت : وبلغ بك الأمر يابن الخطاب أن تدخل فيا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته ؟ عجبا لك يابن الخطاب ! فتراجع عمر بعد ذلك .

٢ — وكان من ذلك موقفها فى صلح الحديبية فقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم ذلك بما أراه الله ، وكان فى الصلح بعض شروط ربما أوهمت التخاذل ، كما توهم ذلك كثير من الصحابة ، وهى مشهورة مفصلة فى مواضعها من كتب السير . وبعد الانتهاء من الصلح وعند العودة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقوموا فينحروا الهدى ويحلقوا كما يفعل ذلك كل من يصد عن البيت الحرام . أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكرر الأمر ، فلم يستجيبوا له ، وكان موقفا فيه الهلاك المحقق لو تم وفيه إحباط أعمالهم . وكان المنقذ من ذلك ما رأت أم سلمة للسيد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رووا أنه دخل عليها (وكانت صاحبته فى هذه الرحلة) وهو آسف مغضب يقول : هلك المسلمون .

أم سلمة : وكيف ؟

محمد صلى الله عليه وسلم : أمرتهم بالنحر والحلق مرارا ، فامتنعوا ؟

أم سلمة : الأمر أهون من أن يحرجك ذلك الإحراج ، وما هو إلا أن تخرج إليهم فتفعل ذلك من غير أن تخاطبهم .

فخرج وفعل ذلك من غير حديث معهم ، فاذا هم ينحرون ويحلقون ، وكأنهم مأخوذون

طول ماوقعوا فيه ، ثم استغفروا الله . ونزلت سورة الفتح تؤيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوه بما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم فتجعله فتحا مبينا ، وقد حقق الله ذلك .

وقد ذكر المفسرون أن الوحى كان ينزل فى نوبتها كما نزل فى نوبة عائشة ، وأوردوا من ذلك قوله سبحانه « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » ، وقوله سبحانه « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » . وتفصيله فى موضعه .

وقد كانت السيدة أم سلمة من المقبلات على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذ عنه وتروى حديثه ، ولها الكثير من ذلك فى الصحيحين وغيرهما .

أم سلمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم :

ثم آثرت أم سلمة أن تعتزل حياة الناس وما يكون لمثلها بعد ما شعرت به من السعادة وما كتب الله لها من الحظوة ، أن تتصل بدنيا الناس وحياتهم فى غير مسألة تسأل عنها أو دعوة إلى خير ، وحين فكرت السيدة عائشة فى الخروج مع السيدين طلحة والزبير أنكرت عليها أشد الإنكار ، ونصحت لها ألا تخرج ، ولكن أبى الله إلا ما شاء .

على أن السيدة الجليلة أم سلمة تعصبت لبيت النبوة ودفعت بفلذة كبدها عمر ابنها ليخرج مع على ، وتمنت كما يقولون لو أنه أبيح لها أن تخرج بنفسها ، وكان مجاملة كريمة أداها إليها اجتهادها . ثم لزمت بعد ذلك شأنها وعكفت على عبادة ربها حتى وافتها المنية سنة ٦١ هـ فى عهد يزيد بن معاوية .

رحم الله الجميع وجعل لنا منهم صالح الأسوة وجميل الموعظة .. آمين .

محمود الشرقاوى

تعليقات

خطبة الجمعة وخطيبها

كان المنهج النبوى فى تبليغ الرسالة، وتوجيه الدعوة، مشافهة القوم بالتفاهم والتلطف معهم فى الخطاب ، حتى تدرجت دعوته فى خطاها الرشيدة ، وشبت عن الطوق ، وقاومت من يقاومها ، وقمعت من كان يعترضها ، ونفذت إلى أهدافها المنشودة فى كل واد .

ومنذ أخذت الدعوة سبيلها فى الجهر ، وآزرها أنصار سبقوا إلى الإسلام واحتضنوا دعوته هذه، شرعت لهم صلاة الجمعة وخطبتها على سبيل الفرض، لتكون موسما أسبوعيا تتلاقى فيه الجماعة الإسلامية فى ظل الأخوة الدينية ، وبين يدى ربهم الذى هداهم ، وعاهدوا رسوله على الوفاء بكل ما عرفوا أو يعرفون من أحكام دينهم ، وشئون دنياهم ، وقد بلغ من أهمية الخطبة يوم الجمعة أن يعتاض بها عن ركعتين من صلاة الظهيرة ، وأن يشترط فيها العدد ، حتى لا تكون قاصرة على قلة من الناس ، ولا تكون أشبه بأمر سرى يخفى على الكثيرين ، ولا يذاع ما يقال فيها بين أهل الحى، ولا يدرى به من تخلف عنها .

إذ القصد من خطبة الجمعة أن تكون منهجا تعليميا يعتمد الصدق فى كل ما يحتويه ، ويعلم الناس ما يجهلون من أحكام ، ومن أمور الغيب المتعلقة بأعمالهم ، ويستنهضهم إلى الخير ، ويذكرهم بما ينسون ...

والقصد كذلك أن يكون فى اجتماع الناس لدى خطيبهم ، وبين يدى ربهم ، توثيق لروح الإخاء ، وتجديد لنوازع المروءة ، وتبديد للوحشة التى تنجم عن الفرقة والتباعد ، إذ التعارف يزداد - لا شك - واتصال القلوب يتأكد كلما تلاقت الوجوه فى ساحة الرجاء من الله ، وكلما تناجت الأرواح فى التماس الهداية ، وتناغت الألسن فى الدعوات والضراعة .

ومن وراء ذلك تتوافر المودة والتآزر ، وتكون المعونات والتناصر ، وإرهاب العدو بتكتيل المسلمين حول دعوة ربهم ، وتجمعهم من وقت إلى وقت ، وانتظامهم فى صفوف رتيبة كلما دعاهم إلى ذلك من يتولى الأمر فيهم .

وما دام هذا النمط التهذيبي قائمًا بين المسلمين كما قصد به ، فإنهم جماعة مطبوعة بطابع قومى إنسانى لا تخترقه الدسائس ، ولا تذهب به الأنانية ، وتنال منه الأحداث .

وتكون خطبة الجمعة وسيلة ناجحة فى تحقيق هذه الغايات إذا روعى فيها الموضوع المناسب الحق ، والأسلوب الخفيف المفهوم ، وروعيت الملابسات الأخرى ، من حيث البيئة وما يلائمها من شئون تتصل بحياتها ، ومن حيث الزمن وما فيه من برد أو حر ، ومن حيث المكان وما به من ضيق أو رحابة ، فلكل جانب من هذه الجوانب أثره الواقعى فى نجاح الخطيب أو فشله .

وقد كان منهج النبي – صلوات الله عليه – فى خطبته للجمعة ومنهج الخلفاء من بعده منهج الحريص على إقناع المستمعين بصدق مايدعوهم إليه ، واجتذابهم نحو مايريد منهم .

وما نسى النبي ولا واحد من خلفائه فى موقف من مواقفهم، ولا فى خطبة من خطبهم، أن الأنفس بحاجة إلى ملاينة فى الزجر حتى لا يتسرب القنوط واليأس إلى الأذهان ، وأنها بحاجة إلى استدراج رفيق، وسياسة مرنة بالترغيب والتخويف، حتى تخلع مما تشبثت به وتزهد فيما تعودته من سوء ، وتنقاد رويدا رويدا إلى التوجيه ، ومن قبيل ذلك أنه عليه السلام كان يطيل الخطبة حينا ، ويقصرها أحيانا .

وكانت إطالته يسيرة وبقدر المناسبة، فلم تكن إطالة مسئمة ، ولامدعاة للضجر .

وإنما هو الوعظ القوى ، والزجر الرادع ، وهو الترغيب فى التوبة ، دون إغراء بالمفاسد أو تهوين للعقاب .

وكذلك هو الترهيب من الحساب دون إقناط من الرحمة والعفو عمن تاب، كل ذلك فى أسلوب سهل أخاذ ، لايداخله تغرير بالنفس ، ولا يشوبه دجل ولا جهل ، ولا خلط لحق بالباطل، وتلويح للسامعين بأنه يأتيهم بالعلم من عنده ، وإنما يبلغهم أحكام دينهم وفيها كفاية وكفاية .

وعلى هذا جرى الخطباء السابقون الفاهمون لدينهم وكذلك يعمل الخطباء المعاصرون المترسمون للأسلاف ، والمحتاطون لدينهم .

غير أن خطبة الجمعة قد عراها من الشوائب ما عرا سواها من تقاليدنا الإسلامية ، منذ صار أمر الخطبة فى كثير من المساجد إلى من تنقصهم الدراية بما يجب أن يعرفه الخطيب ، وبما يجب أن يحذقه .

وقد قضينا زمنا لا نسمع فيه من الخطيب غير الخطب المطبوعة المسجوعة فى ذكر الجنة والنار ، ونسمع لكل جمعة موضوعا خاصا بها ، لا يناله تجديد ، ولا يأخذ من أحداث المجتمع موضوعا مناسبا ، ولا يتصل بما ينجم فى الأفق الوطنى أو الإقليمى من مناسبات حتى أصبح جفاف الخطبة صارفا أو شبه صارف للناس عن الرغبة فى حضور الجمعة بدلا من تشوقهم فيها واستدراجهم إليها .

ثم كان ليقظة الوعى وللنقد الثائر حول خطبة الجمعة أثر لا بأس به فى علاج هذه المآخذ فظفرت منابر المساجد بخطباء مصقولين واعين .

وأصبح المتصلون بالمساجد والمستمعون إلى الإذاعة فى بعدهم عن المساجد يلمسون تجديدا شيقا فى الموضوعات والأساليب ، وطبيعى أنهم يستفيدون ، وقد تبدلت لهجة النقاد كثيرا عن ذى قبل ، فأصبحت رطبة رحيمة على الخطباء ، وتعلق الأمل بتقدم يزداد .

غير أننا فى غمرة هذا الابتهاج نلحظ أن بعض المجيدين للخطب يرخى لنفسه عنانها فى القول ، ويطاوع خياله وإن كان فى خطبة الجمعة ، ويعنيه سوق الألفاظ أكثر مما يعنيه تحرى الصواب فى الموضوع ، وأكثر مما يعنيه تربيته الخشية فى الأنفس وردعها عن المآثم .

ومن أمثلة ذلك — ونحن فى أسف ممض — أن نجلس فى آلاف من المستمعين إلى خطيب الجمعة فى مسجد عريق التاريخ ، وله خطره فى اعتبار المسلمين ، فيصعد المنبر عالم غير خطيب المسجد وهو خطيب مرموق فى وقتنا الحاضر ، فماذا سمعنا من الخطيب ، وماذا سمع معنا الجمهور المصغى ، وكان فيه صنوف من كبار الشخصيات الإسلامية ؟ ؟

حدثنا الخطيب عن قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وهذا اختيار موفق ، ومناسب لكل مجتمع ، فى كل مكان وزمن ، غير أن خطيبنا شطح شطحة خرجت به عن الموضوع إلى نقيضه ، فكان وعظه تهوينا للجرائم ، وكان أسلوبه المعسول أن الله خلق الناس جميعا على ارتكاب المعاصى ، وفطرهم على فعل السيئات حتى لا يمكن لمخلوق أن يبتعد أو يفر من عمل المنكر .

وبعد إسهاب فى ذلك استثنى الأنبياء من عمل المعصية ـ بحكم العصمة ـ واستثنى الملائكة من هذه الفطرة .

واستثناء الأنبياء صحيح ، ولكن التعميم فى وقوع الناس جميعا ، وعدم فرار أحد

منهم من عمل السيئات أمر يأباه العلم ، ولا تقوم له حجـــة ، بل هو مناقض صراحة لما ورد فى القرآن عن ذكر الأبرار ، وعباد الرحمن ، ولما ورد فى السنة عن الناشئين فى طاعة الله . . . الخ .

وهذا التعميم الخاطئ يوحى إلى الناس أن ارتكابهم للآثام أمر فطرى لا حرج فيه ، ويغريهم بمتابعة الشهوات والأهواء ما دام هذا مقتضى الفطرة كما قرر الشيخ المرموق ، وشر من ذلك وأفحش خطأ أن يقول الخطيب بالحرف والترتيب « إن الله لم يقل للنـاس لا تسيئوا ، ولكن قال لهم إذا أسأتم فاستغفروا » وهذا منطق واضح يفصح فى غير تأول عن نفى الزواجر كلها ، وينسى الناس أن القرآن حافل بالزواجر ، وبالنهى عن الفواحش ماظهر منها وما بطن ويركز فى أذهان البسطاء أن النهى عن المنكر لم يرد به شيء فى الكتاب ولا فى السنة .

وما دام الخطيب يرى ويقرر أن ارتكاب السيئات أمر فطرى لا محالة ، وأن الله لم ينه الناس عن السيئات فى كتابه وشريعته وسنة رسوله : فماذا بقى فى خطبته من وعظ قديم أو جديد .

وماذا بقى من زواجر القرآن والسنة ليجتنب الناس ما يخالف دينهم ويناقض آدابه ؟ أليس هذا إنكارا صريحا لشطر كبير من آيات الله البينات ؟ وهضما فاحشا لجانب النهى عن المنكر ؟ ؟ إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل أصيل فى التربية الإسلامية ، بل هما الأصل الأول الذى يناط به كل توجيه ورد به الإسلام فإذا انتهينا إلى إنكار الشق الثانى من هذا الأصل فماذا بقى من أصول الإسلام وتربيته ؟ .

وإذا جاز الوقوع فى هـذه الزلة المردية من خطيب عادى لا يتحرج لدينه ولا يحتاط فى موقفه ، فما يجوز ذلك ، ولا شيء من ذلك فى مسجد كالأزهر ولا بين جمهرة العلماء وغير العلماء ولا من رجل يشار إليه ؟

وهذا أمر لم نستطع درأه حين وقوعه ، فلا يفوتنا أن ننبه عليـه حتى لا نقع تحت الإثم للسكوت عنه ، وأخطر من هذا كله أن تكون الخطبة معادة فى مساجد عدة .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الى جزيرة العرب . . .

انتقل إلى سعة عفو الله ومغفرته فى مدينة كابل عاصمة المملكة الأفغانية شاعر عربى معاصر كانوا فى أيام إسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم يعدونه فى الطبقة الممتازة من شعراء العروبة ، وهو الشيخ فؤاد الخطيب سفير الدولة السعودية فى الأفغان . وقد رأينا أن ننشر من شعره هذه القصيدة بيانا لمنزلته :

لمن المضارب فى ظلال الوادى ... ريانة الجنبات بالورّاد
الله أكبر ، تلك أمة يعرب ... نفرت من الأغوار والأنجاد
طوت المراحل والأسنة شرع ... والبيض متلعة من الأغماد
ومشت على الأسلات مشية واثق ... بالله والتاريخ والأجداد

* * *

لبيك يا أرض الجزيرة واسمعى ... ما شئت من نجوى ومن إنشادى
لك فى دمى حق الوفاء وإنه ... باق على الحدثان والآباد
فنهضت مضطلعا بما جشمتنى ... وحملت فيك سخائم الأضداد
ووقفت بين يديك أطرق خاشعا ... وكأنك المحراب للعباد
ورميت دونك بالدليل مسدّدا ... أسمعت صوت الحارث بن عباد [١]

* * *

أنا لا أفرق بين أهلك إنهم ... أهلى ، وأنت بلادهم وبلادى
ولقد برئت إليك من عصبية ... شلاء تؤثر موطن الميلاد
فلكل ربع من ربوعك حرمة ... وهوى تغلغل فى صميم فؤادى

---

[١] أحد الرهط الذين أوفدهم النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة العرب بين يدى كسرى .

كم ضجعة بالقاع فى غلس الدجى		فوق الرمال العفر وهى وسادى
أدركت إذ أدركتها معنى الكرى		وسكينة الأرواح فى الأجساد
ولقد ما انطوت الصدور وما انطوت		للعيش فيك بشاشة الأعياد
فسفرت بالفجر المبين لمدلج		وتفجر العرفان منك لصاد
آمنت بالهمم التى أحييتها		فمضت تزلزل شامخ الأطواد
وتخطفت شم الحصون وإنها		كانت تعد مرابض الآساد
ولقد شهدت بنيك يوم تشمروا		متلببين لغارة وطراد
فعلمت كيف يثور من طلب العلى		ورأيت كيف عزائم الأمجاد
بجريحهم وأسيرهم كقتيلهم :		تهب يراوحه الردى ويغادى
وهم الأباة فما تلين قناتهم		تحت السيوف ولا الحمام العادى

* * *

شهداء مجدك فى ثراك يضمهم		ولهان ضم حفيظة ووداد
متدفق من كل موقع طعنة		فيهم لسان دم بذكرك شاد
سهرت عليك جراحهم كعيونهم		بالأمس غير ملمة برقاد
ولقد تطوع كهلهم وغلامهم		للموت غير مسخر بقياد
وثبت بهم فى نقع كل كريهة		همم الغزاة وعفة الزهاد
ومن اشترى استقلاله بدمائه		لم يستنم لأذى ولا استعباد
الملك فيك وفى بنيك وإنه		حق من الآباء للأحفاد
وأمانة التاريخ فى أعناقهم		من عهد بابل يوم نهضة عاد
فاذا انبروا للمجد فهو سبيلهم		يمشون فيه على هدى وسداد
تعس العداة فما يفرق شملنا		متفرق الأسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم		شعبا ، وأن الله بالمرصاد

فؤاد الخطيب



الاشـــــتقاق

للأستاذ عبد الله أمين – ٤٦٣ص – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

من أعظم مزايا اللغة العربية حيويتها المتصلة بين ماض عريق فى القدم، ومستقبل وثيق الصلة بمراحل هذه الحيوية، فى نظـام منطق حكيم امتاز بالاطراد والاستقرار. وكما أن العرب الذين نطقت ألسنتهم بهذه اللغة النبيلة قد بنوا مجتمعهم على نظام الأنساب والتوسع فى روابط الأسرة حتى كانت منها البطون والأفخاذ والعشائر المتعاونة والشعوب المتناصرة، كذلك لغتهم قد احتفظت بالقرابة الوثيقة – فى اللفظ والمعنى جميعا – بين جذور الكلمات وما تفرع عنها فى تسلسل متطور احتفظ بجمال نظامه عند صوغ بعض الكلمات من بعض فى صيغ وأبنية كان من مجموعها أسرة لغوية حملت مؤلفى المعاجم على استعراضها كلها معا فى مادة واحدة، غير مفرقين بين الأصل وما تسلسل منه، لأنهم اعتبروها كالشجرة التى إذا فصل فرع منها عن أصله فقد حيويته، أو كالعضو إذا فصل عن الجسد الذى هو منه.

وقد عنى أسلافنا بدراسة العربية من ناحية الاشتقاق فألفوا فيها الكتب النفيسة والبحوث الحكيمة، وأبانوا عن تقارب المعانى بتقارب حروف ألفاظها، وعن اشتراك الألفاظ الكثيرة فى معنى عام لاشتراكها فى حرفين أو أكثر. ومن أقدم من درس العربية من هذه النواحى أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى وأبو الحسين أحمد بن فارس وآخرهم أحمد فارس الشدياق.

وبين أيدينا كتاب نفيس فى هـذا الفن من فنون العربية للفاضل المدقق الأستاذ عبد الله أمين قسمه إلى أربعة أقسام، أولها الاشتقاق الصغير وتكلم فيه على أصل المشتقات، وعلى اشتقاق الأفعال، واشتقاق الأسماء. والقسم الثانى الاشتقاق الكبير وهو الإبدال اللغوى. والثالث الاشتقاق الأكبر وهو القلب اللغوى. والرابع الاشتقاق

الكبار وهو النحت . وختم الكتاب بمقارنة وجيزة بين اللغات السامية الثلاث : العربية والسريانية والعبرية .

وهذا الفن من فنون العربية مما يجب على كل متأدب عربي أن يلم بأطرافه ، وقد يسر الأستاذ عبد الله أمين هذه المهمة على الذين لم يمارسوا دراسة الكتب القديمة ، فشكرا له ، ونرجو الله أن ينفع شبابنا بكتابه .

السبيل إلى أسرة أفضل

للأستاذ محمود فهمي استانبولي — ١٤٤ ص — مطبعة دمشق

هذا الكتاب مجموعة فصول تدور حول مشكلات الأسرة الإسلامية وما فيها من عيوب ، وبيان الطرق إلى إصلاحها . والمؤلف مدير مدرسة ثانوية في دمشق للتربية الاستقلالية ومحرر مجلة المعلمين والمعلمات ، وينظر إلى التربية من نواحيها الإسلامية ، وقال في فاتحة تمهيده للكتاب : « في الأمة خلية إذا صلحت صلحت الأمة كلها ، وإذا فسدت فسدت الأمة كلها ، ألا وهي الأسرة » . وقد عالج في كتابه موضوعات الأسرة وتربية النشء من بداياتهما ، أي من اختيار الزوجة لتكوين الأسرة ، ثم مضى في البحوث التي تتعلق بالأسرة والبيت وتربية النشء فتكلم على كل موضوع بما يليق به .

وقد قدم له الأستاذ الكبير السيد علي الطنطاوي بمقدمة لطيفة دلت على مكانة المؤلف في النشاط الاصلاحي ، وما أفاده القراء والقارئات من مؤلفاته المنشورة .

مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء التاسع — ٣٠٦ ص — المطبعة الأميرية بالقاهرة

اعتاد مجمع اللغة العربية في القاهرة أن يصدر بين سنة وأخرى جزءا من مجلته العلمية ، بيانا لنشاطه ، وتسجيلا لبحوثه ودراساته ، وإعلانا عن مبتكراته واختياراته في المصطلحات العلمية والقانونية والاجتماعية . وفي هذا الجزء أربع عشرة مقالة في اللغة بأقلام أعضائه ، وعشر مقالات في تحقيقات لغوية . وثلاث مقالات في الأدب والنقد ، وثلاث مقالات حول المصطلحات . ثم أربع قوائم بالمصطلحات العلمية المعرّفة التي وافق عليها مؤتمر المجمع ، إحداها في مصطلحات قانون المرافعات المدنية والتجارية ، والثانية مصطلحات في العلوم الفلسفية والاجتماعية ، والثالثة عن ألفاظ نباتية في المعجم اللغوي الوسيط ، والرابعة مصطلحات طبية .

التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى – ٢٣٨ ص – دار العهد الجديد للطباعة

يوالى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى نشاطه الأدبى المتواصل ، فيضيف إلى عشرات الكتب من مؤلفاته كتابا جديدا عن التصوف فى مصر من بدء ظهوره إلى الآن .

وقال المؤلف فى كلمته الأولى عن الفتح الإسلامى لمصر : « كان الفتح العربى الإسلامى لمصر معجزة من معجزات التاريخ ، وإنقاذا إلهيا لشعب طال تطلعه للتحرر ، وكانت عبقرية قائد التحرير والفتح (عمرو بن العاص) موضع دهشة العالم حينذاك . أربعة آلاف جندى من جند المسلمين انتصر بهم عمرو بن العاص على الإمبراطورية الرومانية فى معارك الفرما وبلبيس إلى أن دخل جيش المسلمين إلى حصن بابليون ، وأمد الخليفة عمر بن الخطاب جيش المسلمين بأربعة آلاف جندى آخرين ، ثم زاد جيش عمرو إلى خمسة عشر ألفا هم الذين دانت بهم مصر كلها بالطاعة للحكم الإسلامى ، فقابل الشعب المصرى هذا الفتح بالفرح والسرور لتحرره من قسوة الرومان وشرورهم » .

وعلى أساس هذا الفتح العظيم الذى كان من معجزات الله فى الأرض قام تراث الإسلام الروحى فى مصر ، ومنه الزهد والتقوى والانقطاع لله وما أطلق عليه بعد ذلك عنوان التصوف ، وكان للعلم الإسلامى رجال وللتصوف الإسلامى رجال ، وهؤلاء الرجال من أولئك وهؤلاء على مراتب ، وطرق متفاوتة فى قربها من ذلك الأساس الأول أو بعدها عنه ، وفيهم العظماء حقا الذين يباهى تاريخ التراث الإسلامى بتدوين سيرهم وتراجمهم وقد أراد الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى أن يكون بين عشرات الكتب التى ألفها ونشرها موضع لهذا الموضوع فأفرد له هذا الكتاب الحافل بتراجم الزاهدين الأولين فالمنتسبين بعدهم إلى الطرق الصوفية ، وفيه كثير من الفوائد كسائر مؤلفاته .

الخطبة فى الاسلام – مالها وما عليها

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبى – ٣٤ ص – مطبعة الإمام

رسالة لطيفة قدمها فضيلة الأستاذ المؤلف إلى الشباب العاقل تبصرة فى الحياة

الزوجية وتكوين الأسر الشريفة والخطوة الأولى (الخطبة) فى الوصول اليها ، نشرها لمناسبة الحديث الذى نسبه النجم السينمائى حسين صدقى إلى فضيلة الأستاذ الباقورى حول هذه المواضيع فى مجلة الجيل ، وبراءة فضيلته من هذا الحديث ، وجواب المؤلف على ذلك أولا وأخيرا .

نهرو يتحدث عن سياسة الهند الخارجية

مكتب النشر بسفارة الهند بالقاهرة — ١٧٠ ص — مطابع دار الهلال

أصدر مكتب النشر بسفارة الهند بالقاهرة كتابا بهذا العنوان هو مختار من خطب رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو ، مما ألقاه فى أربع سنوات من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ ومن ذلك خطبته فى نقابة الصحفيين المصريين بالقاهرة فى ٢٥ يوليه سنة ١٩٥٣ وخطابه فى المؤتمر الصحفى الذى عقده بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ وكلمته فى المؤتمر الأسيوى الأفريقى فى باندونج عند اختتام جلسات المؤتمر فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٥ وبيانه فى البرلمان الهندى عن أعمال مؤتمر باندونج ، وبيانه بشأن قناة السويس الذى ألقاه فى مجلس الشعب فى ٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، والبلاغ المشترك الذى أصدره رئيسا وزراء الهند ومصر بالقاهرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ ، والبلاغ الآخر المشترك الذى أصدراه فى ١٢ يوليه سنة ١٩٥٥ .

أخطار التفجيرات النووية

ومما صدر عن مكتب النشر والاستعلامات فى سفارة الهند بالقاهرة البيان النفيس الذى ألقاه السيد كريشنا منون فى لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة ، وكان ذلك فى يوم ١٢ يولية من العام الماضى .

إن البشرية ، والكرة الأرضية ، ما كانتا فى عصر من عصورها أشد تعرضا للفناء والدمار مما هما الآن ، بعد أن دفعت رعونة الساسة فى الدول الاستعمارية الجشعة طائفة العلماء الطبيعيين إلى استنباط وسائل الإبادة والتخريب ليهددوا منافسيهم بالبطش والزوال فكان هذا التهديد إعلانا فى الوقت نفسه عن تقدم أصحابه بخطا واسعة نحو الانتحار . وهذا البيان من هذا السياسى الهندى فى الأمم المتحدة نذير بكل ذلك .

الأدب والعلوم

السياسة التعليمية فى مصر

قال وزير التربية والتعليم فى مجلس الأمة « إن تغيير اسم وزارة المعارف العمومية إلى وزارة التربية والتعليم دليل صادق على أن رغبة الثورة قوية فى التربية والتعليم ، على عكس ما كان عليه الحال فى الماضى ، إذ كان مقصورا على تلقين المعلومات وحشد الحافظة بالمعارف العامة . ثم رأت الثورة أن تكون القاعدة التى تقوم عليها السياسة التعليمية هى « أكبر قسط من التعليم للملايين ، ثم تكافؤ الفرص لما بعد ذلك من مراحل التعليم » . لهذا تقرر أن يكون التعليم الإبتدائى إجباريا ومجانيا لمدة ست سنوات كاملة . ولابد من بذل أقصى الطاقة لتدبير ثلاث سنوات أخرى للتعليم الفنى فى المرحلة الابتدائية . وقد وضع برامج لعشر سنوات تعمم فيها المرحلة الابتدائية وتنشأ عشرة آلاف مدرسة ويتم إعداد ٥٨ ألف معلم .

إعداد المعلم العربى

انعقد فى بيروت مؤتمر إعداد المعلم العربى ، واشتركت فيه مصر والبلاد العربية . وقد أصدر المؤتمر التوصيات التالية :

دراسة المجتمع العربى الحاضر .

دراسة الحضارة العربية وتطوراتها ، وإبراز أثرها فى الحضارات الإنسانية الأخرى .

دراسة نظم التربية والتعليم فى البلاد العربية للوصول إلى مناهج متقاربة وأهداف ومستويات موحدة .

تبادل زيارات المعلمين والطلاب فى البلاد العربية .

جمعيات المحافظة على القرآن

يقوم الأزهر بإدارة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم هذا العام فى أنحاء الجمهورية المصرية ، وتتبع هذه الجمعيات أربعون ألف مدرسة لتحفيظ كتاب الله وتعليم مبادىء العلوم . وتقوم مشيخة الأزهر بإعداد مناهج الدراسة فى هذه المدارس ، وسيشرف المفتشون الأزهريون على نشاطها الدراسى والثقافى ، وسيكون لتقاريرهم أثر فى اعتماد الإعانات المخصصة لهذه الجمعيات .

مدينة البعوث الاسلامية

يتسلم الأزهر فى هذا العام الدراسى مدينة البعوث الإسلامية التى شيدت فى العباسية ،

وقد قدرت نفقات بنائها بحوالى مليونين من الجنيهات ، وبها ٤١ عمارة تتسع لخمسة آلاف طالب ، وسيخصص جناح منها لاستقبال الضيوف من العالم الإسلامى .

وسيقام لافتتاح هذه المدينة حفل عظيم يشهده الرئيس جمال عبد الناصر وكبار الشخصيات المصرية والإسلامية .

فى كلية الطب الباكستانية

خصصت حكومة الباكستان الغربية عشرة مقاعد فى ثلاث من كليات الطب هناك للطلبة من الأقطار الإسلامية ، منها مقعدان للطلبة من أفغانستان وإيران ، ومقعد واحد لكل من العراق وأندونيسيا وبورما والملايو وتركيا وغيرهن من الأقطار الإسلامية .

معرض للفنون الاسلامية بلاهور

يقام فى نهاية هذا العام معرض للفنون الإسلامية فى مدينة لاهور عاصمة الباكستان الغربية ، وينتظر أن يكون من أبرز معالمه حلقة الدراسات الإسلاميه ، وتعرض فيه الرسوم الإسلامية وقطع النقود والمخطوطات ونماذج الخطوط والنماذج الزخرفية وصور الفن المعمارى الإسلامى وسائر المعروضات ذات الصلة بالفنون الإسلامية .

إلى الجامعات المصرية

بلغ عدد الطلبات التى قدمت حتى أول سبتمبر للالتحاق بالجامعات المصرية ١٦ ألفا و ٤٥٠ طلب ، من ذلك ٦٦٠٠ من شعبة الآداب ، و ٩٨٥٠ من شعبة العلوم ، ويشمل هذا العدد طلبة الشهادتين الثانوية العامة والتوجيهية ، وسيقوم مكتب التنسيق الجامعى بتوزيع الطلبات على الكليات المختلفة ،وفقا فى ذلك بين رغباتهم والنسب المئوية لمجموعاتهم فى حدود العدد المطلوب الذى حدده المجلس الأعلى للجامعات بنحو ٩٣٠٠ طالب للجامعات الأربع بما فى ذلك جامعة أسيوط التى ستقبل ٥٠٠ طالب فى هذا العام نصفهم فى كلية الهندسة والنصف الآخر فى كلية العلوم .

مصانع الطائرات بمصر

لم يمر على قيام الثورة إلا وقت قصير حتى أنتج مصنع طائرات التدريب الطائرة طراز جمهورية (١) ، والطائرة طراز جمهورية (٢) . وقد ثبت أنها طائرة تدريب ممتازة فى التدريب العسكرى والتدريب المدنى .

والأمل وطيد فى أن تنمو هذه المصانع وتزدهر ، وأن تساهم مساهمة فعالة فى مجال الصناعة ، بجانب تحقيق غرضها الأصلى .

أنباء العالم الإسلامي

رسوم قناة السويس

زادت حصيلة مصر من رسوم المرور في قناة السويس منذ بدء عودة الملاحة فيها على أحد عشر مليون جنيه ، والعملة الاسترلينية من هذا المبلغ تزيد على خمسة ملايين جنيه .

أموال السودان في لندن

للسودان ودائع في بنك انجلترا بلندن تبلغ عشرين مليون جنيه ، يضاف إليها عشرون مليون جنيه أخرى وافقت مصر على دفعها للسودان خصما من ديون مصر الاسترلينية المجمدة في بريطانيا ، لتغطي بها السودان عملتها الجديدة بعد سحب العملة المصرية من السودان . وقد سافر رئيس وزراء السودان إلى لندن وسيحاول تحويل هذه الأموال السودانية من لندن إلى الخرطوم فيستغلها في مشروعاته العمرانية .

مسجد الكلية الحربية

اعتمدت وزارة الأوقاف عشرين ألف جنيه لإنشاء مسجد كبير في مبنى الكلية الحربية يقيم فيه الأساتذة والطلاب شعائر الدين .

البغاء الرسمي

نسب إلى أحد أعضاء مجلس الأمة أنه أعد اقتراحا لإعادة البغاء الرسمي ، وفتحت إحدى الصحف صدرها لتشجيع هذه المويقة فوقف النائب سيد جلال في إحدى جلسات المجلس وتلا المادة الخامسة من الدستور « الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية » وقال : إن الصحف نشرت أن عضوا في المجلس يعد مشروعا لإعادة البغاء ، وتساءل : كيف ندعو إلى إعاده البغاء في الوقت الذي يعاب فيه على تقصير ملابس السيدات ؟ إن هذا لا يمكن أن يحدث ، ولا يجوز أن يقال في عهد الثورة . واستنكر نائبان آخران النشر في الصحف عن هذا الموضوع . وقال رئيس المجلس : إن هذا تقاليد حسن ، ودعا الأعضاء إلى عدم إثارة أمر معد للعرض على المجلس في خارجه قبل عرضه على المجلس .

استقلال الملايو

قام دوق جلوستر – نيابة عن الملكة إليزابث – بتسليم وثيقة استقلال بلاد الملايو إلى تانجوك عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ووزير خارجيتها . وأقيم حفل كبير لذلك فى ستاد الحرية فى كوالالمبور أنزل فيه العلم البريطانى ورفع علم الملايو بين دوى الهتاف وأنغام موسيقى النشيد الوطنى وقد شهد الحفل ٤٠ ألفا يمثلون ٢٠ دولة ، وأطلقت المدافع ١٠١ طلقة احتفالا بهذا الحادث التاريخى . وبادرت حكومات آسيا بإعلان اعترافها بحكومة الملايو المستقلة وفى طليعتهن اليابان والصين وأندونيسيا والهند .

وبذلك تضاءل الاستعمار البريطانى فى آسيا وتمزقت أوصاله ، فلم يبق له إلا جيوب فى سنغافورة وهونغ كونغ والجزء الشمالى من جزيرة بورنيو وبضع جزائر فى المحيطين الهندى والباسيفيكى ثم فى عدن .

وبمناسبة إعلان استقلال الملايو بعث الأمير عبد الرحمن رئيس وزرائها ووزير خارجيتها برقية إلى داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة يطلب انضمام حكومة الملايو المستقلة إلى المنظمة الدولية .

سياسة سوريا

خطب السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية فى افتتاح معرض دمشق الدولى الرابع فأوجز فى صراحة ووضوح السياسة التى تنتهجها الجمهورية السورية فقال : « عندما اختارت هيئاتنا وجماعاتنا وأحزابنا سياسة « عدم الانحياز » إزاء صراع المعسكرات الدولية ، فعلت ذلك لأن الشعب السورى ينشد السلام فى ظلال العدل ، وينشد الحرية فى خلال الرفاهية والطمأنينة . . ولأننا نطمع فى أن نقيم لأنفسنا سياسة مستوحاة من ضمير هذه الأمة ومن حاجاتها ، بل من حاجات الإنسانية فى عهدها الجديد . ومن المستحيل على دول الاحتكار والاستعمار التى جعلت من الصهيونية وإسرائيل شريكا فى العدوان والغزو أن تقيم بعد اليوم رفاهيتها الاقتصادية على حسابنا وعلى حساب المحرومين من الملايين فى قارتى آسيا وإفريقية . فإذا ما أحست دول الاستعمار باختلال موازينها وانهيار حساباتها عمدت إلى تفريج الضائقة بالحرب ، وإلى تنفيس العجز بتفجير قوى الشر ، فلمثل هذه الغايات أقامت إسرائيل وأقامت الأحلاف العسكرية . فهى تتقدم بالمناهج الاقتصادية والسياسية المزوقة بالباطل للتدخل فى شئون الدول الحرة لتسلبها حريتها وتفرض عليها أهدافها ، وما نقمتهم علينا الآن إلا للتآمر على سلامتنا وسيادتنا وحريتنا ، بعد ما أيقنوا أننا شببنا عن الطوق وحطمنا التقاليد الاستعمارية فى بلادنا . وكان هذا الوطن السورى فى مركز القيادة والنضال

عندما اقتنص حريته اقتناصا وراح يدعو ملايين العرب إلى «ثورة قومية» على أساليب التعامل السياسي مع دول الاستعمار التي جربت في ساحاتنا مكايدها ومؤامراتها طوال الأحد عشر عاما من أعوام الاستقلال، فارتدت عليها في كل جولة خسارة ووبالا.

وإننا مهما أثارت الصهيونية أو الدول الطامعة من غبار التهويش والتضليل سائرون نحو أسلم طريق، نقاوم بكل أسباب المقاومة كل أسلوب من أساليب التدخل، ونمد يدنا بريشة لنتعامل بالحسنى كل من يعاملنا بالحسنى.

أريدكم أيها المواطنون أن تطمئنوا إلى سلامة أوضاعنا الداخلية وسداد سياستنا الخارجية، وأننا حريصون على حرية هذا الوطن وسيادة الأمة العربية في جميع مرافقها وشئونها. وأريدكم أن تعملوا وتبنوا وتنشئوا وتوسعوا أسباب التبادل والتعامل بقدر ما لوطننا من إمكانيات وحاجات. ونحن لسنا لقمة سائغة يتناولها الجشعون بالسهولة التي يتصورونها. ولقد برهنتم أنكم في مقدمة الشعوب دفعا للضيم وصيانة للعزة القومية».

القوات التي هاجمت مصر

قال وزير الحربية اللواء عبد الحكيم عامر في بيان ألقاه في مجلس الأمة: خلال شهري أغسطس وسبتمبر من العام الماضي كانت المعلومات ترد عن حشد القوات الانجليزية والفرنسية. وقد بلغت قوات الأعداء في اكتوبر: ٤ مجموعات لواءات مشاة، ولواءين فدائيين بحريين، وألاى دبابات ثقيل، والفرقة الخفيفة المجهزة بالدبابات، ومجموعتين لوائى مظلات، و ٦٢ قطعة بحرية منها بارجة وست حاملات طائرات وعشر غواصات، عدا أربع قطع أخرى في منطقة البحر الأحمر منها حاملة طائرات. وكانت القوات الجوية تتكون من ١٦ سرب طائرات قتال و ٤ أسراب قاذفات قنابل و ١٤ سرب نقل جند وسرب هليوكوبتر عدا طائرات الحاملات.

خسائرنا وخسائر العدو

قال اللواء عبد الحكيم عامر وهو يستعرض الصفحة المجيدة لمصر عند اعتداء الدول الثلاث عليها في العام الماضي: ومع كل الظروف التي قابلت قواتنا، فإن خسائرنا في هذه المعارك أقل بكثير من خسائر الأعداء في الأرواح، وتقدر خسائرنا في القوات المسلحة عامة — من جيش وبحرية وطيران وحرس وطني — بما لا يتجاوز ٢١٠٠ من جميع الرتب، وهي نسبة ضئيلة بالنظر لضخامة القوات المسلحة وقت العدوان، وكانت خسائرنا في المعدات لا تكاد تذكر.

وقد أعددنا تنظيم قواتنا وتسليحها فى سرعة فائقة . وإن قواتنا المسلحة البرية والبحرية والجوية أصبحت الآن كاملة المعدات ، وإنها على أتم استعداد للقيام بواجبها فى أى وقت .

وأعلن اللواء عبد الحكيم عامر أن قواتنا الجوية الآن أصبحت أكثر من ضعف ما كانت عليه قبل العدوان .

برنامجنا العسكرى

جاء فى بيان وزير الحربية الذى ألقاه فى مجلس الأمة إن برنامجنا العسكرى يتضمن ست نقاط رئيسية هى :

١ ـ بناء الجهاز الدفاعى المطلوب لتأمين قلب الجمهورية ، وبناء قاعدة شعبية مسلحة واتخاذ خطوات جديدة للوقاية من الحرب النووية (الذرية) والتوسع فى بناء القواعد الجوية .

٢ ـ المضى فى تنظيم وتسليح قواتنا فى ضوء الالتزامات الجديدة .

٣ ـ تعزيز العناصر الضاربة فى القوات المسلحة بما يحقق لها السيطرة الكاملة .

٤ ـ الارتقاء بالمستويات الفكرية والعلمية والفنية داخل القوات المسلحة .

٥ ـ تعزيز إمكانياتنا فى ميدان الإنتاج الحربى .

٦ ـ الالتزام بتنفيذ الاتفاقيات العسكرية الثنائية المعقودة مع الدول العربية المتحررة .

مصانعنا الحربية

قال وزير الحربية المصرية فى مجلس الأمة : إنه ما من دولة مستقلة متحررة إلا وتعتمد على نفسها فى سد حاجياتها من عناصر التسلح الأساسية ، فالاعتماد على الغير فى هذا السبيل لا تؤمن عاقبته .

وتمشيا مع مبادئ الثورة أخذت الحكومة على عاتقها انتشال المصانع الحربية من عثرتها ودفع عجلتها إلى الأمام ، وإخراجها من دور الإعداد والتفكير إلى مجال الانشاء والتشغيل ولم ينته عام ١٩٥٤ إلا وكانت المصانع الآتية قد بدأت فى الانتاج وهى :

مصنعان للذخيرة ، ومصنع للذخيرة المضادة للطائرات ، ومصنع للأسلحة الصغيرة ، ومصنع لخامات غير الحديدية . واطردت الهمة فى باقى المصانع .

وقد انتهت بالفعل مراحل الانشاء ، وبدأت مراحل الانتاج فى مصنع البوادى والمواد المضيئة ، ومصنع المفرقعات والمواد القاذفة ، وقاربت مراحل الانشاء على النهاية فى مصنع لانتاج الذخيرة الثقيلة بأنواعها ، ويجرى العمل حاليا فى توسيع مصانع المواد الحارقة بأنواعها .

ولقد أثبتت المصانع جدارة فائقة بالرغم من حداثة عهدها ، وحققت فى العامين الماضيين إنتاجا زادت قيمته على سبعة ملايين جنيه .

الفهـرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	للطلبة في وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثالث ـ القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٧ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نحب رسول الله؟

وبماذا نحيي ذكراه؟

> عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »
> حديث صحيح من الأربعين النووية

كان المسلمون ـ من زمن الدولة الأيوبية إلى أواخر الدولة العثمانية ـ يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف بتلاوة رسائل مؤلفة في قصة المولد، أدركنا منها مولد السيد جعفر البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة المتوفى سنة ١١٧٧، ومولد الشيخ الدردير (١١٢٧ ـ ١٢٠١)، وأقدم منهما مولد الشيخ عبد السلام اللقاني (٩٧١ ـ ١٠٧٨) ومولد النجم الغيطي المتوفى سنة ٩٨١، ومولد ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ ـ ٩٧٣)، ومولد ابن الديبع اليمني (٨٦٦ ـ ٩٤٤)، ومولد عائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢. وهذه الموالد فيها الصحيح وفيها الضعيف، وفي أيدي الناس موالد أخرى قد يغلب سقيمها على صحيحها.

وكانت مجالس قصة المولد تعلق فيها مجامر البخور ، وتدار فيها قماقم ماء الزهر وماء الورد ، وتوزع فيها قراطيس الملبس والحلوى .

وفى دار السلطنة العثمانيـة كانت تتلى قصة المولد بالتركية نظما ، وهى من نظم سليمان البرصوى المتوفى بعد سنة ٨٠٠ ، وكان إماما للسلطان بايزيد .

والاحتفال السنوى بالمولد النبوى لم يكن معروفا فى الإسلام قبل الدولة الأيوبية ، فقد أحدث ذلك منهم صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوك برى (٥٤٩ — ٦٣٠) وكان صهر السلطان صلاح الدين على أخته ربيعة خاتون بنت أيوب ، فكان المظفر يقيم لذكرى المولد النبوى فى كل عام سماطا يكلف الدولة أموالا طائلة [١] .

وفى أيامه قدم من المغرب الحافظ أبو الخطـاب بن دحية ، فدخل الشام والعراق ، واجتاز باربل سـنة ٦٠٤ فوجـد ملـكها المظفر يعتنى بالمولد النبوى ، فألف له كتاب (التنوير فى مولد البشير النذير) وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار . ولعل هذا الكتاب أول ما ألف فى قصة المولد خاصة ، ومن المستبعد أن يكون مولد العروس المنسوب إلى أبى الفرج بن الجوزى (٥٠٨ — ٥٩٧) من تأليفه ، وكذلك المنسوب لعبد الرحيم البرعى ، بل إن الوراقين أسرفوا فزعموا أن لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما كتابا فى قصة المولد . والمعقول أن ذيوع التأليف فى هذه القصة بعد عصر أبى الخطاب بن دحية الذى كان أول من أفرد هذا الموضوع بالتأليف .

ولما أخـذت عادة الاحتفال بالمولد تنتشر فى العـالم الإسلامى بعـد الملك المظفر صاحب إربل ، وخالطها وانضاف إليها ما اعتادته الجماهير فى مثل هذه الأحوال من ارتكاب الآثام ، قامت المناظرات والمناقشات بين العلماء فى حرمة أصل هـذه العادة باعتبار أنها لم تكن فى الستة القرون الأولى للاسلام ، وفى مقاومة المحرمات التى انضافت إليها ، فأجمع الجميع على حرمة كل ما خالف الشرع مما يرتـكب فى الموالد ، ثم اختلفوا فى أصل المولد والتزام إقامته ، وفى حكمه الفقهى : هل هو واجب أو مندوب أو مباح

---

(١) نقل شمس الدين سبط ابن الجوزى (٥٨١ — ٦٥٤) فى تاريخه [مرآة الزمان] عمن حضر سماط المظفر فى بعض الموالد أنه عـد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى . وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم الخلع ويطلق لهم الجوائز . ويعمل الصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم ، وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ذهبا .

أو مكروه أو محرم ، فكتب فى ذلك أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى (٦٥١ — ٧٣٧) المعروف بابن الحاج المتوفى بالقاهرة فى كتابه (المدخل إلى تنمية الأعمال) الذى فرغ من تأليفه فى المحرم سنة ٧٣٢ ، واشتد فى المنع والتحريم الشيخ تاج الدين عمر بن على اللخمى الإسكندرى فى كتاب ألفه اسمه (المورد فى عمل المولد) ، واعتدل فى مناقشته الجلال السيوطى (٨٤٩ — ٩١١) فى رسالة سماها (حسن المقصد فى عمل المولد) وهى منشورة فى الجزء الأول من كتابه (الحاوى للفتاوى) ص ١٨٩ — ١٩٧ .

وآخر العهد بإحياء الذكرى فى القاهرة كان بإقامة الحفل الرسمى فى صحراء العباسية ، وكانت تشترك فيه الطرق الصوفية بشاراتها ودفوفها ، وتتلى فيه القصة ويحضرها رأس الدولة أو من ينوب عنه ، وتطلق فيها الأنوار والسواريخ إلى ساعة متأخرة من الليل .

وقد أدرك الناس إلى عهد قريب نمطاً آخر من حفلات المولد لا تزال له بقايا إلى الآن يتغنى فيها بأناشيد المديح التى اشتهر بها الشيخ على محمود ومن زامله أو تقدمه ، نقلوا ذلك عن شيوخ لهم من مولوية قونية وموسيقى الدولة العثمانية .

وفى عشرات السنين الأخيرة تحول إحياء ذكرى المولد النبوى إلى الحفلات التى نشاهدها فى مصر والبلاد العربية والإسلامية ، وتلقى فيها الخطب البليغة والقصائد الرائعة ، ومن النادر جدا فى هذه الخطب والقصائد ما تخاطب فيه القلوب مما تكون له نتائج عملية فى تربية الأسوة والقدوة لإصلاح المجتمع الإسلامى .

والآن ونحن ننتقل من مراحل القول إلى مراحل العمل فى نواحى حياتنا كلها ، ونحاول أن نستمد القوة والرجاحة والسداد من ينابيع قوتنا ، ومصادر ثروتنا الأدبية والمادية ، فقد آن لنا — فى تقديرى — أن نعمل على إحياء ذكرى حامل أكمل رسالات الله إلى الإنسانية ، بإحياء عناصر رسالته التى حملها إلينا وإلى الإنسانية .

روى أنس خادم النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والبخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وابن ماجه والنسائى فى سننهما .

وكلنا نحب رسول الله ، ونبرهن على محبتنا هذه بأساليب مختلفة على قدر علمنا ، وما توجهنا إليه عواطفنا ومعارفنا . ولكن علينا أن نمتحن محبتنا له كلما أردنا أمرا من أمورنا ، وكلما ترددنا فى اختيار الشىء أو ضده من شئوننا ، بأن نعرضه على ما نعلمه من سيرته عليه السلام ورسالته ، فإذا كان ماتريده ونختاره مما نعلم أنه صلوات الله عليه

يحبه و يسره فان ذلك دليل على صدقنا فى محبة رسول الله وحبيبه ، و إذا كان ما نريده ونختاره مما نعلم من سيرته ورسالته أنه يسوؤه و يكرهه فهذا دليل كذبنا فيما ندعيه من المحبة له ، وانحرافنا عما نتظاهر به من الانتساب إليه . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » فحبنا لرسول الله تقاس بمقدار محبتنا للمبادئ والسنن والتوجيهات التى بعثه الله بها ، وبمقدار إقامتنا لها ، وتعميمها فى المجتمع الإنسانى ، وإحياء ذكرى صاحبها بها .

وإذا أحببنا النبى صلى الله عليه وسلم بالتزام ما يحبه ، ونبذ ما يسوؤه ، فى كل تصرفاتنا ، فاننا نكون بذلك من إخوانه الذين آمنوا به ولم يروه . فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن أنس أن النبى صلوات الله عليه قال : « وددت أنى لقيت إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى » . فياله من مقام عظيم ، وشرف لا يدانيه شرف ، أن نكون نحن فى عصرنا هـذا ، بعد النبى صلوات الله عليه ببضعة عشر قرنا ، ونكون مع ذلك « إخوانا » له فى مقابل أن يكون هوانا تبعا لما بعثه الله به ، ويتحدث هو عنا فيقول : « وددت أنى لقيت إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى » . فبلوغ هذا المقام الرفيع بالإيمان به ، ولا يؤمن به إلا من يكون هـواه تبعا لما جاء به ، فحبته بحبة رسـالته وتحقيق ما بعثه الله لتحقيقه ، وبهذا تحيي سنته ، وطريقته فى الحياة ، وبذلك تحيي ذكراه .

مما يحبه الله لأمته أن تكون أمة صدق ، والمسلم الذى يعاهد نفسه ـ فى سره ، وبين يدى ربه ـ على أن يكون من محبته لنبيه أن يؤثر الصدق فى تصرفاته ، سيكافئه الله على ذلك بأن يحببه إلى الناس ، ويبارك له فى رزقه ، ويحفظ له كرامته ، ويرفع مقامه فى الدنيا والآخرة . وأنا أكتب هذا ويخيل إلىّ أنى أسمع صوت النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود : « عليكم بالصدق ، فان الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة . وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب ، فان الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والإمام البخارى فى الأدب المفرد ، والإمام مسلم فى صحيحه ، والترمذى فى سننه . فالصدق من صميم الرسالة التى بعث الله بها صاحب هـذه الذكرى ، وإقامة الصدق وتعميمه بين المسلمين ، وفى بيوت المسلمين وأسواقهم ومجتمعاتهم ، من أهم وسائل إحياء الذكرى المحمدية ، والذى يحب صاحب هذه الذكرى ينبغى له أن يتحبب إليه باحياء

هذا العنصر من عناصر رسالته . ويوم يتم لنا ذلك تكون لنا منه قوة ترتفع بها من الحضيض إلى الأوج .

ومن عناصر رسالة صاحب هذه الذكرى الاعتدال والرفق والاقتصاد والتوسط فى الأمور كلها . روت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : « عليك بالرفق، فان الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه » رواه مسلم فى صحيحه . وروى البخارى فى الأدب المفرد عن أم المؤمنين أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » . وعن بريدة فى مسند الإمام أحمد وفى مستدرك الحاكم على الصحيحين وسنن البيهقى أن رسول الله قال : « عليكم هديا قاصدا ، فانه من يشاد هذا الدين يغلبه » . وفى حديث عمران بن حصين فى المعجم الكبير للطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم من الأعمال بما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا » .

والرسالة المحمدية لا يحاط بها ، وقد كون الله بها خير أمة أخرجت للناس ، ولا تزال هى هى كما هى ، فاذا أردنا — ونحن ننتقل الآن إلى طور جديد فى الحياة — أن نكون نحن خير أمة أخرجت للناس كما كان سلفنا الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن نجدد النهضة المحمدية التى كانت معجزة من معجزات التاريخ ، فالأمر لنا ، وفى متناول أيدينا ، إنه الإسلام الذى وصفه مصطفى صادق الرافعى بقوله :

« هو دين يعلو بالقوة ويدعو إليها ، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم ، ويستفرغ همه فى ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى . وفرق ما بين شريعته وشرائع القوة أن هذه إنما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وعملها وتغلبها . تلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة . وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية . ومن هنا كان طبيعيا فى الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يضع عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع — يحرص على ما يكون له ، ويشره إلى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك فى تعقيد الدنيا — بل نظرة القلب المسالم : يخلع الدنيا ويسخو بكل مضنون فيها ، فيعف عن كثير ، ويعرف الإنسانية ويطمع فى غاياتها

العليا فيعفو عن كثير ، ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن غر ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد . ونخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الإسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الإنسان على الأرض ، فن أى عطفيه التفت هذا الإنسان وجد عن يمنته وعن يسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستراب به فى سياسة النفس : لا يمشى خطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أسباب النية ، ويجمعان منه حتى نزوات الكبد ، ويترجمان عنه حتى معانى النظر . وإذا الإرادة الحكيمة فى الإنسان ، وإذا كل ما فى الإنسان وما حول الإنسان لا يراد منه إلا سلام النفس فى عاقبتها ، وإذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرف فى دنياها . فليس يعم السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه ، فشمل الأرض أو أكثرها . فإن قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم ، فإما انتسخ به قانون التنازع الطبيعى ، وإما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ ، وتولد معه الأخلاق الإنسانية » .

وبعد فإن سهل بن سعد الساعدى الأنصارى ــ وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ــ يروى عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال : « عند الله خزائن الخير والشر : مفاتيحها الرجال . فطوبى لمن جعله الله مفتاحا لخير ، مغلاقا للشر . وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا لخير » وهو حديث صحيح رواه الطبرانى فى معجمه الكبير والضياء المقدسى فى المختارة . وخزائن الخير التى عند الله هى جملة ما بعث به رسوله وحبيبه محمدا إلى الإنسانية إذا أرادت السعادة ، وخزائن الشر عند الله هى ما تسوله شياطين إسرائيل لساسة الأرض من الكيد والمكر والبغى ، ولن نستطيع أن نقف فى وجه ذلك كله إلا إذا رجعنا إلى إسلامنا بسننه ومبادئه وقواعده وأخلاقه وأحكامه فجعلناها عنوان محبتنا لحبيب الله محمد بن عبد الله ، وتوسلنا باحيائها لإحياء ذكراه ، وبذلك نكون من أصحابه كأصحابه الأولين ، ومن إخوانه كإخوانه السابقين . وفى الصحيح من حديث أنس وابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « عينان لا تصيبهما النار : عين بكت فى جوف الليل من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » . والحراسة فى سبيل الله كما تكون حراسة الأوطان ، فهى كذلك وقبل ذلك حراسة رسالة سيد بنى الإنسان . فالويل كل الويل للعاملين على هدمها ، وطوبى لكل من يكتب الله له سهما فى إقامة معالمها والذب عن حماها .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٣ —

الثقافة المدنية المدخولة أشبه بالجاهلية الأولى في اضطراب العقيدة ، وذبذبة الأخلاق .

« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » .

في ظلمة الجاهلية الأولى كانت عقيدة الناس حائرة بين حق وباطل ، وهدوء واضطراب . وكانت أفهامهم سقيمة ، تكاد لا تميز بين خبيث وطيب ، ولا ترجح خيرا على شر ، وأوضح ما كان من تلك الحيرة وهذا الاضطراب عقيدتهم في ربهم الذي خلقهم وأفسح لهم دنياه ، وتولى أمرهم فيها ، وكشف لهم عن ألوهيته بآثار قدرته فيما يقع تحت أبصارهم من صنائعه في هذا الوجود ، وبما يزخر به الكون من آيات بينات... وكان للناس شيء من العذر في عمايتهم عن تفقد هذه المعالم الواضحة ، فإن للعقول نطاقا محدودا في مداركها ، وفطنتها ، فضلا عن حرمانها يومذاك من مؤهلات علمية تفسح لها طريق الاهتداء بما يتكشف لها من معالم الكون... ومع هذه الضآلة كان للناس اعتراف بالله ، وأنه خالق السموات والأرض ، وأنه ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها .

ولم يبلغ بهم الانحطاط في الإدراك ، أو التبجح في الشقاق أن يتجاهلوا الربوبية إطلاقا ، كما جهلوا اليوم الآخر مثلا ، بل صاورتهم جهالتهم فاتخذوا أربابا متفرقة وعبدوا الأباطيل من أصنام ونحوها ، وزعموها تقربهم إلى الله الذي آمنوا بأنه خالق السموات والأرض ، ومسخر الشمس والقمر .

فلما جاءتهم البينات من عند الله على ألسنة رسله ، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ترددوا فيها ، أو تخلف عنها من غلبت عليهم شقوتهم ، وظلوا على شيء كثير من جهالتهم ومتابعتهم لما كان عليه آباؤهم ، وتشبث به كبراؤهم ، وهنا كانت وطأة القرآن عليهم شديدة ، ووخزاته فيهم أليمة ، إذ لم يعد لهم عذر في جهل ما كانوا يجهلونه ، ولا في التنكر لما جاءهم من عند الله .

وكان من مقارعة الكتاب الكريم لتلك القلوب المتحجرة أن يستنهضها إلى تلبيته

مثل قوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض » . وهذا وصف يقررونه وليس تلقينا لهم : « ولئن سألتهم من خالق السموات والأرض ؟ ؟ ليقولن : الله » .

ومع تقريرهم لهــذا الوصف الحق كانوا ينصرفون عن توحيده فيتخذون آلهة أخرى ، تقربهم إلى الله ، وهــذا عدول عن الحق الذى يقتضيه اعترافهم ، وهى معادلة وتسوية بين الله الحق ، وما يزعمونه آلهة يتقربون إليها بالقرابين . وذلك اضطراب فى العقيدة ، وحيرة فى مجال الإيمــان . . . فلما دعاهم ربهم إلى توحيــده ناقضوا أنفسهم وأشركوا مع الله غيره فى العبادة ، فسخر القرآن منهم ، وأخذها عليهم جريرة غير هينة ، وسجل الكفر عليهم فى قوله تعالى : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وتلك معادلة ظالمة ، ومساواة غاشمة من عقول حمقاء منحرفة .

ثم سار القرآن فى توجيه النــاس إلى الحق سيرا حثيثا حكيما فتارة يذكرهم بدلائل ربوبيته ماثلة فى أشخــاصهم : « هو الذى خلقكم من طين » أو يعتب عليهم فى رفق : « ثم أنتم تمترون » يعنى تتشــككون وتجادلون فى وحدانيته وتارة يقرع أسماعهم بلهجة المعظمة ، وأسلوب الإرهاب ليهز مشاعرهم الخامدة ، ويلوى رقابهم المتصلفة فيقول سبحانه وتعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض ، يعلم سركم ، وجهركم ، ويعلم ما تكسبون » . يعنى : هو الله المعترف به وحده فى السموات وفى الأرض ، وهو المعبود فيهما وحــده بالحق ، سواء : أبادرتم إلى توحيده ، أم تخلفتم ولن ينقص من ألوهيته أن تضــل عقول فى معرفته أو تنقطب وجوه فى استقبال دعوته ، والاستجابة لرسله . وهو بمقتضى ألوهيته قادر عليكم ، وعلمه محيط بكم : « فهو يعــلم سركم وجهركم » ولا يند عن علمه ما يغيب عنكم من شئون .

ثم يصارحهم بتهديد زاجر ، وتخويــف مزعج فيقول سبحانه فى شأنهم « فقــد كذبوا بالحق لمــا جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » فوقف القرآن من المكذبين موقف الناصح فى دعوته يترفق تارة ، ويتشدد أخرى ، ثم ينتهى بهم إلى قول فصــل ، ووعيد حــق ، حتى لا تكون معذرة « فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » . فهناك جزاء ينتظرهم فى موعد لن يخلفه الله مع خلقه .

وقصة القرآن مع أولئك هى قصته الجــارية على من يشاكلهم فى التكذيب ويحاكيهم فى التمرد . . . والقصص القرآنى كله للتذكير والتحذير لمن شاء أن يتذكر ويحذر .

وإذ نحن اليوم فى غمرة من الثقافة نرى نكسة خطيرة لاضطراب العقيدة، نكسة جلبتها الثقافة المدخولة، وهى شر من الجاهلية الأولى.

ولو تركت تلك الثقافة المدخولة، تنفث سمومها فى الجيل الحاضر، باسم العلم وحرية البحث، وبدعوى أن مقاومتها ترمت، وتخلف عن الركب، إذا تركت تلك الثقافة تتغلغل فى الشباب الجامعى باسم التجديد، وتتسرب إلى البيوت والمصانع، والمجتمعات فى ظل التسامح معها، والتغاضى عن شرورها فانها لتهدم من بناء المجتمع أكثر مما يبنى العلم والتعليم، وإنها لتخدش من النظام الجماعى والاستقرار الأدبى أكثر مما يبذل فى دعم النظام وتوفير الاستقرار.

إنها ثقافة تلبس ألوانا مخزية للعقول، فهى تلهج مرة باسم الوجودية التى تنكر وتشكك فى وجود الله سبحانه، ولم تخط الجاهلية الأولى إلى هذا الدرك من الإسفاف، وإنها تلهج مرة ثانية بالإباحية، والتهوين من شأن الأخلاق عند من يلتزمون رعاية الأخلاق.

وإنها لتجد مجالها فسيحا فى بعض المجلات والصحف، وهى آمنة من سلطان يكبتها ويأخذها بجريرتها، بل وهى آملة أن تجرف ما هنالك من حياء، وما بقى من رعاية للتقاليد، وما يدعو إليه الناصحون الغيورون.

إنها ثقافة مدسوسة علينا فى وطننا هذا لتنتزع من بيئتنا معانى الإنسانية ولتدفع بنا فى تيار تأباه العروبة، وإذا استسلمت له فلن يدع لها سببا من أسباب الطموح، ولن تجد فى صفوف الشباب من يحفظون للعروبة تراثها المجيد.

وبينما نرى مصر ناهضة فى وجه عدوها السياسى نهضة مشبوبة: نرى دعوة الإباحية ومفاتن الأهواء زاحفة فى غير تريث نحو البيئة المصرية زحفا يثير الغضب أو يقتضى المبادرة إلى صده فى غير هوادة، وإن لم يكن ذلك، وبقيت دعوة الإباحيين على نشاطها فى غفلة الغيورين على الأخلاق، وعلى هذا الوطن، وبقيت على نشاطها للكسب المادى من طريقها المشئومة فان الطامع فى رعاية الله لنا ضرب من الخبال، وإن الله آخذ بحقه منا، وإن الله لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



الدين النصيحة

منهاج التربية النبوية — موقع النصيحة من الدين — تفسيرها بما ينبغى للمنصوح له — أئمة المسلمين صنفان — حياة تميم — جهلنا بكنوزنا وهى بين أيدينا ! !

عن تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

(رواه مسلم) .

بدأنا أحاديث النصح فى الإسلام بحديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » وبينا فى الجزء الماضى كيف كانت منزلة هذا الحديث من السنة ، بمنزلة سورة « العصر » من الكتاب المبين .

ونظرة فى حديث تميم هذا ، الذى وعدنا أن نقفى به على حديث جرير ، تبين أنه أولى أحاديث النصح بسابقه ، وأدناها إلى أن تكون فاتحة بيانه وتفصيله ، فيما يأتى بعده إن شاء الله ، من بيان وتفصيل .

وحديث تميم فى إيجازه الجامع ، وإجماله الرائع ، يبين منزلة النصيحة من الدين ، فيجعلها عماده وملاكه ، بل يجعلها الدين كله أصوله وفروعه وآدابه ، وتلك هى خصال الإسلام والإيمان والإحسان ، فى حديث جبريل عليه السلام ، الذى قال العلماء فيه :

إنه من السنة ، بمنزلة الفاتحة من الكتاب ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه فى خاتمة هذا الحديث : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، بجعل تلك الخصال كلها دينا .

وإذا كان حديث تميم هذا مجملا بالقياس إلى ما سواه من أحاديث النصيحة المفصلة ، فإنه على إجماله وإيجازه ، جماعها وعمادها ، وإليه مردها فى مقصدها ومغزاها . .

• • •

وإمام المربين صلى الله عليه وسلم ، يربى أمته بالإجمال ثم التفصيل ، ويبين للناس ما نزل إليهم ، متدرجا فى البيان تدرج التنزيل ، ثم يتبع هذا التفصيل إجمالا جامعا ، فى بيان رائع ، هو الشمس ساطعة والنهار دليلا .

فهل يعلم أساطين التربية وعلم النفس والاجتماع ، فى أرجاء دنيانا الحديثة ، أن منتهى ما بلغوه من أسس ، وما وضعوه من قواعد ، وما طاروا به فرحا وتيها من كشف اجتماعى زعموا أنه جديد ، أو نهج تربوى اتفقوا على أنه رشيد ؛ هل يعلمون أن ذلك كله وما هو أقرب منه نفعا ، وأعظم منه رشدا ، من المبادئ الأولى فى منهاج التربية النبوية التى جاء بها معلم الناس الخير ، ومخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهاديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؟ .

• • •

بين الحديث إجمالا موقع النصيحة من الدين ، ثم بين تفصيلا لمن تكون النصيحة ، ثم ترك تفصيل ما ينبغى للناصح والمنصوح ، لأحاديث أخرى تأتى فى مواطنها بعون الله تعالى وتوفيقه .

• • •

والنصيحة أجمع كلمة وأدلها على إخلاص الناصح ، وعنايته بالمنصوح له ، وقيامه بكل ما ينبغى له من وجوه الخير قولا وعملا ، لا جرم أن النصيحة إذا تختلف باختلاف المنصوح .

فالنصيحة لله تعالى : صدق الإيمان به ، وصحة الاعتقاد فى وحدانيته ، وإخلاص النية فى عبادته ، والحب فيه والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، ووصفه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص .

والنصيحة لكتاب الله تعالى : إجلاله وتعظيمه ، وتعلمه وتعليمه ، والعمل به والتأدب بأدبه ، والوقوف عند حدوده ؛ والذب عنه والدعاء إليه ، والإنفاق فى سبيله .

والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تصديقه والإيمان بكل ما جاء به ، وتعظيمه وتوقيره ، وإحياء سنته ، ونشر دعوته ، والاقتداء به والتأدب بآدابه ، وإيثاره على المال والولد والناس أجمعين .

• • •

وغنى عن البيان أن هذه النصائح الثلاث متلازمة مترابطة ، ويمكن أن تغنى إحداها عما عداها ... ولكنها ذكرت كلها متعاطفة ؛ لتعظيم حق الله وحق كتابه وحق رسوله ، وتوكيد ما ينبغى لكل من الإخلاص والتوقير ...

• • •

وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، فهى طاعتهم فى غير معصية الله عز وجل ، ومعاونتهم على البر والتقوى ، وحب صلاحهم ورشادهم ، وإعزازهم بعزة الله ورسوله والمؤمنين ، وحب اجتماع الكلمة لهم ، وبغض التفرق والاختلاف عليهم ، ودعوتهم إلى الخير ، والتلطف معهم فى الإبعاد عن الشر ، وحفظ عهدهم وبيعتهم ، ما أقاموا الصلاة ...

ومن أئمة المسلمين فقهاؤهم وعلماؤهم ، الداعون إلى الخير ، والآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ... لهم حق الطاعة والامتثال ، والتوقير والإجلال ، والأخذ عنهم فيما فقهوا من الكتاب والسنة ، ورووا عن أعلام هذه الأمة ...

وجملة القول أن أئمة المسلمين هم الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس ، ونرجو أن نبين ما لهم وما عليهم فى حديث خاص .

• • •

وأما النصيحة لعامة المسلمين ، فتعليمهم وإرشادهم والرفق بهم ، وحب الخير لهم ، ودفع الأذى عنهم ، والزهد عما فى أيديهم ، وإصلاح السيرة والسريرة فيهم ، وقضاء حاجاتهم والعفو عن مسيئهم ، والدعاء بإصلاح دينهم ودنياهم .

هذه كلمات مجملة فى هذا الحديث الجامع ، الذى نحسب أنه أصل لكل حديث بعده فى النصح والدعوة ، مما نعرض له بعد إن شاء الله .

بقيت نظرة لاغنى عنها، فى حياة تميم رضى الله عنه، راوى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فان بينه وبين هذا الحديث نسبا يكاد يتميز به عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولو أنا تقصينا البحث ما وسعنا الجهد، عن كل ما امتاز به صحابى فى روايته، إذا لانتهينا إلى آيات وعجائب فى علم النفس والتربية والاجتماع، تضاف إلى كنوزنا الفريدة، التى نجهلها وهى بين أيدينا !!

* * *

هو تميم بن أوس .. ويكنى أبا رقية، بابنة ليس له سواها، ينسب إلى جده الدار ابن هانئ، ويقال الديرى، نسبة إلى الدير الذى كان يتعبد فيه قبل الإسلام، فانه كان نصرانيا وأسلم سنة تسع من الهجرة، وروى له عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا روى مسلم منها حديثه هذا. وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه قصة الجساسة [١] دابة معدودة فى آيات الساعة، وتلك منقبة شريفة لتميم، لا يشاركه فيها غيره، وتدخل فى رواية الأكابر عن الأصاغر.

قدم تميم المدينة، وغزا مع النبى صلى الله عليه وسلم، وظل بالمدينة إلى أن انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان رضى الله عنه، وسكن فلسطين. كان كثير التعبد والتهجد، قام ليلة بآية واحدة حتى أصبح، قوله تعالى: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون».

وتميم أول من أسرج السراج فى المسجد، وأول من قص فى صدر الإسلام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن من عمر، ثم بإذن من عثمان، رضوان الله عليهم. والقصص تذكير الناس وترقيق قلوبهم بالمواعظ المؤثرة، وكثير منه مدخول بعد الصدر الأول، وربما عرضنا لتفصيل شىء منه بعد. والله المستعان على النصيحة له ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

طه محمد الساكت

---

[١] تفسير هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه عن المسيح الدجال والجساسة، فى آيات الساعة، فلما أسلم تميم قص على النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك مما تعلمه من الكتب السماوية السابقة قبل تحريفها، فأعجبته صلى الله عليه وسلم من تميم هذه الموافقة، فحدث بها على أثر الصلاة أصحابه ... انظر كتاب الفتن وأشراط الساعة فى آخر صحيح مسلم.

الملايو ... دولة اسلامية تولد

هذه دولة إسلامية تبعث فى عالم الحرية والاستقلال ، وتكتب لها الأقدار المسعدة ميلادا جديدا فى دنيا الكرامة والسيادة، وهى دولة « الملايو » الشرقية الأسيوية المسلمة !.

إنها لبشرى تحرك القلوب ، وتهز المشاعر ، وتزيد فى الأمل ، وتفسح دائرة الرجاء ، وتؤكد توقعنا الخير لمستقبل الإســلام والمسلمين ، و « الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لـكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ».

فى صبيحة يوم السبت الرابع من شهر صفر الخير سنة ١٣٧٧ هـ الموافق للحادى والثلاثين من شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ م ، هوى علم بريطانيا الاستعمارية المحتلة عن بلاد « الملايو » إلى غير رجعة بمشيئة الله عز وجل ، وارتفع العلم الوطنى لدولة الملايو المستقلة ، وسيظل مرتفعا بمشيئة الله الذى وعد بالعاقبة الصابرين المجاهدين المتقين ! .

و « الملايو » بلاد مجهولة الحال للـكثيرين منا نحن أبنـاء الشرق العربى عامة ، ونحن أبنـاء مصر خاصة ، ومن واجبنا أن نعرف عنها ما لا بد لنـا من معرفته ، وخاصة بعد أن احتلت « الملايو » مكانها الكريم العزيز من قلوبنا عقب ميلادها الجديد فى دنيـا الحرية والاستقلال .

تقع شبه جزيرة « الملايو » فى جنوب آسيا ، وتحـدها من الشمال « سيام » ، ومن الجنوب « أندونيسيا » ، ومن الشرق « بحر الصين الجنوبى » ، ومن الغرب « مضيق ملقا » ، ومساحتها نحو ثلاثة وخمسين ألفا من الأميال المربعة ، وعدد سكانها نحو ستة ملايين وثلث مليون ، وعاصمتها هى مدينة « كوالالمبور » ، وتتـكون الملايو من إحدى عشرة ولاية يجمع شملها نظـام « الاتحـاد الفيدرالى » . وهى من بلاد المنـاطق الحارة الاستوائية ، وإن كانت كثرة الأنهار داخلها ، ووجود البحار حولها مما يلطف جوها .

والملايو بلاد خصبة التربة ، وفيها مساحـة كبيرة مزروعة ، تبلغ نحو خمسة ملايين ونصف مليون فدان ، وتـكثر فى أرجائها الأشجار ، ويزرع فيها المطاط ، وهو أهم الحاصلات هناك ، إذ يقترب محصول المطاط فى الملايو من نصف محصول العالم ، كما

يزرع فيها الأرز وجوز الهند والأناناس والشاي والكاكاو ، وفيها ثروة حيوانية لا بأس بها ، ويوجد فيها من المعادن القصدير ، وهو أهم معدن هناك ، إذ تنتج الملايو منه ثلث ماينتجه العالم من القصدير ، وفيها أيضا الحديد والذهب والفحم الحجرى والألومنيوم ، ويجب ألا ننسى أن بريطانيا المستعمرة كانت تعتمد على « الملايو » فى حصولها على الدولارات الأمريكية ، وذلك بفضل المطاط والقصدير اللذين تحتاج إليهما أمريكا .

وقد دخل الإسلام الملايو منذ عدة قرون ، وكان ذلك بوساطة التجار العرب المسلمين الذين رحلوا إلى « الملايو » متاجرين ، ونشروا مبادئ الإسلام بين أهليها ، فاعتنقوه عن طواعية واختيار ، وجمعهم لواء الإسلام تحت ظلاله .

ولقد شقيت « الملايو » طويلا بالاحتلال الأجنبى ، وإن لم ترض عنه أو تسكت عليه يوما من الأيام . . . لقد جاء البرتغاليون بمدفعهم الضخم وأسطولهم الجبار واحتلوا الملايو ، بعد عدة معارك دموية عنيفة ضرب أهل الملايو فيها أمثلة الشجاعة والصبر والإقدام ، وكان ذلك سنة ١٥١١ م ، وكانت الملايو تعرف يومئذ باسم : « ملقا » ، وظل البرتغاليون يسومون أبناء الملايو سوء العذاب ما يقرب من مئة وثلاثين سنة ، حتى استطاع أهل الملايو أن يتخلصوا منهم سنة ١٦٤٠ م ، ولكنهم وقعوا فى مخالب ذئب استعمارى آخر ، فقد جاء إليهم الهولنديون وأوهموهم أنهم أصدقاء لهم وأنهم سيعاونونهم على طرد البرتغاليين من بلادهم ، وكانت النتيجة أن خلف الهولنديون البرتغاليين فى احتلال الملايو ، ثم عقد الهولنديون معاهدة مع بريطانيا كان من نتيجتها أن خرج الهولنديون من الملايو وخلفهم فيها الإنجليز ، وكان أن توطدت أقدام انجلترا فى الملايو سنة ١٧٨٦ م .

ولم تسالم « الملايو » هذا الاحتلال حينا من الأحيان ، بل كانت حياة الملايو بين طيلة هذه القرون سلسلة من المقاومة الإيجابية أو السلبية للاحتلال الأجنبى ، واستخدموا فى هذه المقاومة كل ما استطاعوا من أسلحة ووسائل ، وفى سنة ١٩٢٧ م قوى الوعى الوطنى فى الملايو ، وظهر القادة الذين يكتبون عن حرية الملايو واستقلالها ، ويجاهرون بالحديث عن حقوقها ومطالبة المحتل بالخروج منها ، وفى سنة ١٩٣٧ م تألفت فى «الملايو» الجمعيات الوطنية المناهضة للاحتلال المقاومة للمحتلين ، كما أنشئت بعض الأحزاب والجمعيات السرية السياسية ، مثل « حزب الملايو الفتاة » .

وكان من نتيجة المقاومة والجهاد فى الملايو أن اضطرت انجلترا إلى الاتفاق مع زعماء

الملايو على أخذها الاستقلال الذاتى ابتداء من يوم ٨ فبراير سنة ١٩٥٦ م ، وأن تنال استقلالها التام يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م .

وقد تحقق هذا والحمد لله الذى بجلاله وقدرته تتم الصالحات ، وانتخبت الملايو أول رئيس لدولتها ، وهو السلطان « توانكو عبد الرحمن » ، كما تولى رياسة الوزراء فيها السيد « تنكو عبد الرحمن » زعيم الحركة الوطنية .

ووضعت الملايو لنفسها دستورا نصت فيه على أن دين الدولة الملايوية الرسمى هو الإسلام ! . . .

واليوم نرى من الواجب علينا أن نحيي « الملايو » الشقيقة الحرة المستقلة : نحيي استقلالها الميمون الأغر . . . نحييها باسم مصر ، وباسم الإسلام ، وباسم العروبة ، وباسم الشرق ، وباسم الإنسانية . . .

نحيي استقلال الملايو باسم « مصر » ، لأن مصر الناهضة المتوثبة للمجد شقيقة الملايو فى الكفاح والجهاد ، فقد ذقنا هنا فى مصر ما ذقتموه - يا أبناء الملايو - هناك من بطش المحتل ، وطغيان المستعمر ، وتحكم الأجنبي ، وكان عدونا المسيطر علينا المتحكم فينا عدوا واحدا مشتركا هو انجلترا ، ولقد قاومناه بما قاومناه ، ولقد دافعتموه بما دافعتموه ، وانتصرنا وانتصرتم ، واستطعنا هنا وهناك أن نحطم الأغلال ، وأن نحقق الاستقلال ، وأن تجمعنا اليوم ساحة العز ، ويظلنا لواء الكرامة ، ولقد فرحتم من غير شك يوم نلنا استقلالنا ، فلا أقل من أن نفرح يوم تنالون استقلالكم ، ونحن فى الألم والأمل شقيقان ، وكم من روابط بين الأشقاء ! . . .

ونحيي استقلال الملايو باسم « الإسلام » لأن الملايو مسلمة ، ونحن مسلمون ، والإسلام رحم بين أهله ، والله يقول : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، والإسلام كذلك يأبى الذلة والهوان لأهله ، فيقول الله لعباده : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، ويوجب لهم حياة العزة والكرامة : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ويفرض عليهم ألا يخفضوا هاماتهم إلا لخالقهم عز وجل : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » ، ورضوان الله على عمر بن الخطاب يوم ترجم عن عزة الإسلام وإباء المسلم فقال : « يعجبنى من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول (لا) بملء فيه » ! .

ونحيي استقلال الملايو باسم « العروبة » لأن العروبة هى التى حملت رسالة الإسلام

إلى الملايو ، ولأن العروبة تعشق الحرية والاستقلال ، وتكره الذلة والضعف ، وتفضل المنية على الدنية ، وتطالب بالصدر أو القبر ، ويقول شاعرها داعيا إلى الصبر والشجاعة والإقدام :

فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
وما للمرء خير فى حياة ... إذا ماعد من سقط المتاع !

ويقول شاعرها الآخر :

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا ... إلا افتلينا غلاما سيدا فينا [١]
إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها فى الأمن أغلينا
بيض مفارقنا ، تغلى مراجلنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينا
إنى لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة : ألا أين المحامونا ؟
لو كان فى الألف منا واحد فدعوا : ... من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا
إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم ... حد الظباة وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره أحيانا فيفرجه ... عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

والرباط وثيق بين العروبة والإسلام ، فالعروبة هى وعاء الإسلام ، والإسلام هو روح هذه العروبة ، والمسلمون يرون فى العروبة مبدأ دعوتهم ولسان دينهم ، والعروبة ترى فى المسلمين أشقاء لها وأحباء ، وكلما استقل قطر عربى فرح لاستقلاله المسلمون ، وكلما استقل قطر مسلم فرح لاستقلاله العرب .

ونحيي استقلال الملايو باسم «الشرق» ... الشرق مهد الحضارات ، ومهبط الديانات ، ومصدر الرسالات ... الشرق الذى هدى الناس خلال العصور المتعاقبة ، فكيف يتحكم فيه أهل الضلال ؟ ... وإذا كان يقال إن ضوء الحياة يبزغ أول ما يبزغ من الشرق ، فإن الواجب قبل ذلك أن يعرف هذا الشرق مكانته فى توجيه العالم وإصلاح الحياة ، وأن يعرف له الغرب هذه المكانة ، فلا ينفسها عليه ، ولا يحاول سلبها منه ؛ ويوم يقود الشرق الحكيم العليم البصير هذه الحياة لن يقودها بالمدفع ، أو القنبلة ، أو الأسطول ، أو الصاروخ ، بل سيقودها بالحكمة والأخلاق والدين والمثل العليا ! ...

---

[١] افتلينا : فطمنا .

ونحي استقلال الملايو باسم « الإنسانية » ... الإنسانية الرفيعة السامية الكريمة التي أراد الله عز وجل لصاحبها « الإنسان » أن يكون خليفة له في أرضه ، بعد أن خلقه فسواه فعدله ، في أي صورة ما شاء ركبه ، ووهبه الحرية والكرامة ، وجعل له حقا طبيعيا في الاستقلال والعزة ، لا يسلب منه هذا الحق إلا مجرم أو أثيم ، ورضوان الله على عمر بن الخطاب يوم ترجم عن هذا الحق الطبيعي للانسان في الحرية والاستقلال والكرامة ، فقال لمن أراد الاعتداء عليها مستنكرا : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ! ...

ونحن إذ نحيي استقلالكم يا أبناء الملايو هنا وهناك نذكركم - والذكرى تنفع المؤمنين - نذكركم بأنكم تستقبلون عقب الاستقلال أحمالا وأثقالا وتبعات جساما تحتاجون معها إلى مضاعفة الجهود وشحذ العزائم ...

لقد خرج المحتل من دياركم بجنوده وأشخاصه ، ويجب أن يخرج منها بآثاره وفضلاته ، وأن يخرج منها بآرائه وأفكاره ، وأن يخرج منها برواسبه وأوشابه ، وكما خرج المحتل من الديار يجب أن يخرج من القلوب والعقول والأرواح . وتذكروا دائما أن العدو الذي خرج اليوم من دياركم متظاهرا بالرضى عن هذا الخروج لن يغفل عن التربص بكم ، والتماس الثغرات فيكم ، وانتهاز الفرص لمحاولة العودة أو التدخل بصورة من الصور فاحذروا ذلك كل الحذر ، واقطعوا على أعدائكم الطريق ، وقفوا لهم بالمرصاد .

وفي بلادكم يا أبناء الملايو خيرات وبركات و « خامات » طبيعية ، ومن الواجب عليكم - وقد استقللتم وتحررتم - أن تحسنوا استغلال هذه الخامات ، وأن تتقنوا الانتفاع بتلك الخيرات ، وأن تثبتوا لأعدائكم والذين أساءوا بكم الظن في الماضي أن المارد الشرقي الجبار الذي استطاع أن يقهر أعداءه ومغتصبي بلاده بالحديد والنار ، قادر كذلك على أن يكون صانعا ماهرا ، ومنتجا مكثرا ، ومخترعا موهوبا ، وبطلا في ميادين الإصلاح والبناء والتعمير ...

وأنتم يا أبناء الملايو شعب مسلم ، ولعل الفترة الطويلة المديدة التي قضيتموها في ظل الاحتلال الأسود البغيض كانت عقبة بينكم وبين تطبيق الإسلام في بلادكم تطبيقا صحيحا كاملا بنصه وروحه ، وعدالته واشتراكيته ، ودنيوياته وأخروياته ، وأما اليوم فقد ملكتم زمام أنفسكم ، وأصبحتم في حرية من أمركم ، ووضعتم دستوركم باختياركم ،

وسجلتم فى فاتحته أن دين دولتكم الرسمى هو الإسلام ، فأقيموا بناء مجتمعكم الجديد على أساس من التقوى والصلاح : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين » ؛ وشيدوه على دعائم من طهارة الحس والنفس : «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» . وعلى حوافظ من الإيمان بالله والاعتصام بحبله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وإسلامكم هذا يقتضيكم أن توثقوا روابطكم وصلاتكم بالعرب والعروبة والعربية ، فالمسلم لا يكمل فقهه لدينه ، ولا يتم تأثره بروحه وجماله وجلاله إلا إذا قرأ كتابه « القرآن الكريم » فى لغته العربية المبينة ذات المميزات والخصائص ؛ وقد امتزج تاريخ الإسلام والمسلمين بتاريخ العروبة والعرب خلال أجيال وأجيال ؛ والعربى بحكم هذا الامتزاج لابد له من الارتباط بتاريخ المسلمين ، والمسلم لا بد له بحكم هذا الامتزاج من الارتباط بتاريخ العرب ؛ ولعلنا نشهد اليوم الذى نرى فيه لغة القرآن شائعة مألوفة فى أرجاء « الملايو » الوطن الشقيق المسلم ، الحر المستقل .

أما بعد فيا أبناء الملايو هنا وهناك ... إن الناس يهنئونكم بالاستقلال ، ولكنى مع التهنئة أدعو لكم ... إنهم يرونكم بلغتم ووصلتم ، وأراكم بدأتم وافتتحتم ... إن الاستقلال ليس نعمة فحسب ، بل هو نعمة وتبعة ... إنه نعمة جليلة وتبعة ثقيلة ... ولقد مضى عليكم بضعة قرون وأنتم تشقون بأغلال الاحتلال ، والشخص الذى طال عليه القيد يحتاج إلى الحيطة فى المسير وفى الخطوات حينما تنفك عنه هذه الأغلال ، والأسير الذى طال عليه الأسر يحتاج إلى حسن التصرف فى استعمال حريته عند إطلاق سراحه ، والخارج إلى ضوء الحياة بعد سجن طويل مظلم لا بد له من أن يقابل هذا الضوء الباهر بحكمة وتبصر ؛ ولذلك كله أدعو الله عز وجل أن يبارك للملايو فى استقلالها ، وأن يحفظ عليها حريتها ، وأن يوحد كلمتها ويجمع شملها ، وأن يؤيد خطواتها فى سبيل الإصلاح والبناء والتعمير ، وأن يديم عليها نعمة التوفيق ، وأن يجنبها عثرات الطريق ، وأن يكون لها فى مستقبل أيامها خير رفيق ، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول »

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

ذكرى الميلاد المحمدى

لقد أتى على العالم حين من الدهر فسدت فيه العقائد وانتشرت الوثنية ، حتى كاد أن لا يعبد الله فى الأرض، وانتكست فيه الأخلاق، وسادت فيه الخرافات والجهالات ، واستبدلت فيه أساليب الحياة الماجنة بأوضاع الحياة الفاضلة الشريفة ، هذا الحين من الدهر هو الفترة التى سبقت ميلاد نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ولو طفت معى فى أصقاع العالم المعروف حينئذ لما وقع بصرك إلا على ما يتفطر له القلب ويندى له جبين الإنسانية الكاملة ، ولوجدت عالما يعج بأنواع المثالب والرذائل والمفاسد فى الدين والأخلاق والاجتماع ، فمن وثنية إلى مجوسية ، ومن إشراك إلى تثليث . ومع أن العالم كانت تنتشر فيه فى ذاك الزمان الديانتان اليهودية والنصرانية إلا أنهما عدا عليهما عادى التحريف والتبديل حتى أصبحتا بعيدتين عن روح التوحيد الخالص ، ومن مظالم وسفك للدماء وأكل للأموال بالباطل ، إلى انتهاك للأعراض وإغراق فى الملذات والشهوات وغشيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ومن انتهاك لكرامة الإنسان وسلب لحقه الفطرى فى الحياة ، إلى الجور على النساء ووأد البنات وعقوق الأمهات . . . إلى غير ذلك من المفاسد والأغلال التى جعلت العالم يئن ويتوجع ويتطلع شوقا إلى من يخلصه من هذا العذاب الواصب والشقاء المقيم .

ترى ـ أيها القارئ الكريم ـ من يكون هذا المخلص الذى انتشل العالم من وهدته التى تردى فيها وأخذ بيد الإنسانية بعد كبوتها ؟ ؟ إنه نبى الرحمة وكاشف الغمة وهادى الأمة سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله النبى الأمى العربى القرشى .

ففى صبيحة يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول لعام الفيل الموافق سنة سبعين وخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام ، فى الوقت الذى بدأ فيه الصبح يتنفس والشمس تؤذن بالإشراق والسطوع ، افترتغر الدنيا عن مولود كريم آباؤه كرماء ، لم يزل تختار له الأمهات والآباء قديم الزمان حتى ولد من أبوين ضربا فى العراقة والأصالة والفضل والكمال بسهام وأى سهام .

ولد سيدنا رسول الله ، فما وجدت أمه فى حمله ولا فى وضعه ألما ولا نصبا ، ونشأ كما ينشأ أبناء الأشراف فى مكة ، فاسترضع فى بنى سعد حيث السماء الصافية والهواء الغذى والبيئة الصالحة لتنشئة الأجسام على خير ما تكون ، وكان مصدر خير وبركة على أمه وعلى مرضعته السيدة حليمة السعدية وآلها ، وعلى كل من كان يحوطه ويرعاه .

وشب وترعرع تحوطه عناية الله ، وتكلؤه عين الرحمن ، فنشأ نشأة خيرة فاضلة ، فلم تعرف له هفوة ولم تحص عليه زلة ، فما عرف عنه أنه سجد لصنم أو اعتنق فكرة خاطئة ، بل بغضت إليه الأصنام ومقتها من قلبه ، لأن عبادتها لا تتفق هى وما تركز فى فطرته الطاهرة من التوحيد وعبادة الله الواحد الحق ، وما يتراءى له صباح مساء من البراهين المتكاثرة على وجود الله ووحدانيته ، وتفرده بالخلق والجلال والكمال ، ولم يشرب خمرا ولم يقترف إثما ولا انغمس فيما كان ينغمس فيه المجتمع العربى آنذاك من اللهو واللعب وقرع الكؤوس ومعاشرة القيان ومصاحبة الأشرار والجرى وراء الهوى والشهوات ، على ما كان عليه من فتوة وشباب وجمال وغيرها من وسائل الإغراء ، ولقد هم ذات ليلة أن يسمر كما يسمر الشباب بمكة وهو صغير لم يشب عن الطوق فقال لصاحب له قرشى : ارع لى غنمى حتى آتى مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فذهب حتى أتى بيتا فسمع فيه زمرا وغناء وضربا بالدفوف ، ولكن الله الذى تكفل بتربيته وتنشئته على خير ما تكون النشأة حال بينه وبين رؤية هذا اللهو ، فألقى النوم على عينيه ، فلم يستيقظ إلا وقد مسته حرارة الشمس . ومرة أخرى حاول مثل ذلك ولكن الله حال بينه وبين ما أراد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث بذلك لما كبر وبعده من نعم الله العظمى عليه .

وما زال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكبر وتكبر معه الفضائل والأخلاق العالية حتى صار شامة بيضاء فى هذا العصر المظلم ، ولم يعرف عنه أنه اؤتمن فخان ، أو عاهد فغدر ، أو خاصم ففجر ، أو حدث فكذب ، وكانت الأمانة والصدق من أبرز خصاله ، فلا عجب أن كان يلقب فى قريش « بالأمين » وأن شهد له بالصدق الصديق والعدو .

ولما صعد على الصفا لينذر عشيرته الأقربين قال بين يدى الإنذار : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فتأمل فى مقالتهم : « ما جربنا عليك كذبا » .

وما أن بلغ الرسول الأمين الأربعين من عمره المبارك حتى نبئ ثم أرسل إلى الناس كافة عربيهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم ، وما زال يكافح ويجالد ويصبر على مشاق الدعوة ويصابر حتى فتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، فاهتدوا بعد الضلالة ، وسعدوا بعد الشقاء ، ورشدوا بعد الغواية ، وصارت الجزيرة العربية - وقد كانت مباءة الشرك والجهل والمظالم والمآسي - عنوان التوحيد ومنبع العلم والهدى والعدل والحق والرحمة والخير .

لقد صدع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بهذه الأصول والمبادئ الخالدة ، فأعلن أن لا معبود بحق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأن كل من فى الكون فهو خاضع لله معترف بربوبيته ، وأن كل ما خلا الله فهو بمعزل من الألوهية واستحقاق العبادة .

وأعلن أن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود ، وإنما التفاضل بالتقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » [١] بذلك قضى على التفاخر بالأحساب والأنساب والأجسام والأشكال ، وجعل المعيار الصحيح لتقدير الناس التقوى والعمل الصالح المنتج ، ففى الكتاب الكريم « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » [٢] ، وفى الحديث الصحيح : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » رواهما مسلم .

ووضع أساس الفضائل الثابتة والأخلاق العالية ، فأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وفى الكتاب الكريم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » [٣] « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » [٤] وفى الحديث الذى رواه صاحب المسند « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن

---

[١] سورة الحجرات الآية

[٢] سورة النجم الآية ٣٩ [٣] سورة النحل الآية ٩٠ [٤] سورة النساء الآية ٣٦

الأفعال ، ودعا إلى احترام حقوق الإنسان ورعاية حرماته وشرع التشريعات الكفيلة بهذا ، ففى الحديث الصحيح « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » ، وفى حجة الوداع خطب رسول الله فكان فيما قال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا» .

ورفع من شأن الكرامة الإنسانية واستنكر الذلة والخنوع حتى لقد جاء رجل يرتعش بين يديه ، فقال له : « هون عليك فانى لست بملك ، وإنى ابن امرأة كانت تأكل القديد من قريش » ولما هم رجل أن يقبل يده أبى وقال له : « إن هذا تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك ، وإنما أنا رجل منكم » وغرضه بهذا صلى الله عليه وسلم أن يبقى على العزة فى قلب كل مسلم ، وأن لا يتخذ المسلمون من تقبيل اليد وأمثاله وسائل للزلفى والمداهنة والنفاق وأن التكريم لا يستلزم التقبيل ، وإلا فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه أحق من تقبل يده بل وقدمه .

ووضع الأساس الصالح لعلاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الدول بعضها ببعض فى السلم والحرب إلى غير ذلك من الأصول التى لا يتسع المقام الآن لتفصيلها ، ولم يأل جهدا فى تبليغ الدين إلى الناس قاطبة ، فكاتب الملوك والأمراء وأرسل الرسل داعيا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، وبذلك بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

ولم يجاور الرسول الرفيق الأعلى إلا والإسلام قد تقررت أصوله فى الأرض ، وحمل أصحابه الكرام الرسالة من بعده ، وما هو إلا قرن من الزمان حتى انضوت الدنيا تحت لواء الإسلام ، ونعم العالم برسالة الحق والعدل والسلام والأمان ، وهكذا نرى أن الميلاد المحمدى كان خيرا وبركة على الدنيا كلها ، وأن البعثة المحمدية كانت رحمة للناس أجمعين ، وصدق الله العظيم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مصادر الشريعة النظرية

المصالح المرسلة

تعريفهـــا

— ١٠ —

تمهيـد : قبل أن نتكلم على تعريف المصالح المرسلة نرى من المنـاسب أن نذكر هذه المقدمة . وهى :

أن ما يحدث من الوقائع كثيرا ما يشتمل على معـان تصلح أن تـكون مناطا لحكم شرعى يحكم به بناء على تلك المعانى ، وهـذه المعانى هى ما تعرف عند العلماء بالأوصاف المناسبة ، وهى تتنوع بالنظر إلى شهادة الشارع لها بالاعتبار وعدمه ثلاثة أنواع[١] :

النوع الأول : أوصاف قيام الدليل الشرعى المعين على رعايتها واعتبارها ، وهى ماتعرف عنـدهم بالمناسب المعتبر أو المصلحة المعتبرة ، وهـذه يجوز التعليل بها وبناء الحكم عليها باتفاق القائلين بحجية القياس [٢] .

ويدخل فى هذا النوع جميع المصالح التى جاءت الأحكام المشروعة لتحقيقها ، كحفظ العقل الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم الخمر ، وإيجاب الحد على شاربها ، وحفظ النفس الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم القتل ، وإيجاب القصاص من القاتل عمدا ، وحفظ المـال الذى شرع الشارع لتحقيقه تحريم السرقة ، وقطع يد السارق ، إلى غـير ذلك من المصالح التى اعتبرها الشارع ، وشرع الأحكام لتحقيقها .

وعن طريق هذا النوع من المصالح جاء دليل القياس . فانه مبنى على النظر فى الأحكام المشروعة ، ومعرفة قصد الشارع فيها إلى مصلحة بعينها . حتى إذا وجدت هذه المصلحة فى واقعة أخرى أخذت حكم الواقعة المصرح بحكمها ، ولإيضاح هذا أضرب المثل الآتى :

---

[١] راجع المستصفى للغزالى ج ١ ص ٢٨٤ وما بعدها ، والاعتصام للشاطبى ج ٢ ص ٢٨٣ وما بعدها .

[٢] المستصفى ج ١ ص ٢٨٤ ، والاعتصام ج ٢ ص ٢٨٣ .

حفظ العقل مصلحة قام الدليل الشرعى المعين على اعتبارها ، وهو تحريم الخمر وإيجاب الحد على شاربها . فاذا نظر المجتهد فى هذا الحكم ، وعرف هذه المصلحة . ثم وجد شيئا آخر لا يسمى خمرا ، ولكنه يفعل بالعقل ما تفعله الخمر لم يتردد فى تحريمه بالقياس على الخمر أخذا من الدليل القائم على اعتداد الشارع بمصلحة حفظ العقل ، وبناء الأحكام على رعايتها .

النوع الثانى : أوصاف قام الدليل الشرعى المعين على إلغائها وعدم اعتبارها وتسمى عندهم بالمناسب الملغى أو المصلحة الملغاة وهذا لا يصح التعليل بها وبناء الحكم عليها باتفاق العلماء [١] .

ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن الشارع الحكيم لا يلغى مصلحة إلا إذا عارضتها مصلحة أخرى أرجح منها ، أو كان فى اعتبارها مفسدة تساويها أو ترجح عليها كما يدل على ذلك استقراء المواضع التى ألغى الشارع فيها بعض المصالح ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ — منع تعدد الزوجات . قد يبدو أن فيه مصلحة وهى قطع ما يحدث بين الضرائر من الخصومات والمنازعات التى قد يكون لها أسوأ النتائج فى حل الروابط بين أفراد الأسر ، ولكن الشارع ألغى هذه المصلحة ، ولم يعتد بها وأباح تعدد الزوجات اكتفاء باشتراط العدل بين الزوجات لإباحة هذا التعدد . نظرا لما يترتب عليه من المصالح العديدة كتكثير النسل والتوالد الذى هو المقصود الأول من الزواج . وصون ذوى الشهوات الحادة من الوقوع فى الزنا واتخاذ الخليلات ، وليكون التعدد علاجا اجتماعيا عند ما يعرض للأمة نقص فى رجالها وخاصة فى أعقاب الحروب حتى لا يبقى عدد كبير من النساء بدون عائل يقوم بشئونهن ويحصن نفوسهن .

٢ — الاستسلام للعدو . قد يبدو أن فيه مصلحة ،وهى حفظ النفوس من القتل. ولكن الشارع الحكيم ألغى هذه المصلحة . ولم يعتبرها وأمر بدفاع العدو ومقاتلته نظرا إلى مصلحة أرجح منها . وهى حفظ كيان الأمة وكرامتها .

٣ — ويمكن أن يدخل فى هذا النوع أيضا ما روى أن عبد الرحمن بن الحكم

---

[١] الاعتصام ج ٢ ص ٢٨٤

الأموى أحد ملوك الأندلس باشر إحـدى نسائه فى رمضان ثم ندم على جريمته . وجمع الفقهاء وسألهم عمـا يـكفر به فقـال له يحيي بن يحيي « تلميذ الإمام مالك بن أنس وفقيه الأندلس فيما بعد » : تـكفر بصوم شهرين متتابعين . فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء : لم لم تفته بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ؟ فقال يحيي : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة . ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود [١] . فإن هـذا الفقيه بنى فتواه على مصلحة ، وهى أن فى حمل ذلك الملك على الصوم زجرا له عن العود إلى انتهاك حرمة الصيام . ولـكن الشارع قد ألغى هـذه المصلحة بإيجابه الـكفارة على وجـه التخيير بين العتق والصوم والإطعام ، كما هو مذهب مالك . لأنه لم يفـرق بين ملك وغيره . وذلك لما يعارضها من مصلحة أرجح منها . وهى وجـود العتق وتحرير الأرقاء و إطعام الفقـراء وهى مصالح تتعدى مصلحتها إلى الغير ، وقد حث الشارع عليها فى أكثر من موضع . والزجر مصلحة خاصة بذلك الملك وأمثاله .

النوع الثالث : أوصاف لم يقم الدليل المعين على اعتبارها أو إلغائها ، وهى التى سكت الشارع عنها ولم يرتب حكما على وفقها أو خلافها . وليس لها أصل معين تقاس عليه . وهذه تسمى عندهم بالمناسب المرسل أو المصالح المرسـلة أى المطلقة عن دليل يدل على اعتبارها أو إلغائها ، وبالاستصلاح [٢] .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلة هى :

تعريف المصالح المرسلة : الأوصاف التى يحصل من ربط الحـكم بهـا وبنائه عليها جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الخلق ، ولم يقم دليل معين يدل على اعتبارها أو إلغائها .

وواضح من هـذا التعريف أن المصالح المرسلة لا تـكون إلا فى الوقائع التى سكت الشارع عنها ، وليس لها أصل معين تقاس عليه . ويوجد فيها معنى مناسب يصلح أن يكون مناطـا لحـكم شرعى يحكم به بناء على ذلك المعنى المناسب . فإذا عرضت واقعة

---

[١] المستصفى للغزالى ج ١ ص ٢٨٥ . والاعتصام للإمام الشاطبى ج ٢ ص ٢٨٦ . وحاشية العطار ج ٢ ص ٢٩٨ .

[٢] راجع نهاية السـول شرح للمنهاج ج ٤ ص ٣٨٥ و ٣٨٦ . وشرح الجلال المحلى وحاشية العطار عليه ج ٢ ص ٢٩٨ .

من هذه الوقائع . فهل يجوز للمجتهد أن يشرع الحكم الذى تقتضيه المصلحة ، ويجعلها أصلا للحكم ودليلا عليه؟ هذا هو ما نبينه فيما يلى:

حجية المصالح المرسلة :

للعلماء فى الاحتجاج بالمصالح المرسلة آراء ثلاثة ، كما حكاها الأصوليون :

الرأى الأول : أنها حجة شرعية ، وأصل من الأصول التى يعتد بها فى تشريع الأحكام ، وهو مذهب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة كما يؤخذ من المسائل الفقهية التى بنوها على هذا الأصل . وهى كثيرة فى كتب الفقه المختلفة تظهر للتتبع .

ومن الأصوليين من نسب هذا القول إلى الإمام مالك دون غيره من الأئمة، ولكن هذه النسبة لا تتفق مع الواقع فى شىء ، لأنه لم يخل مذهب من العمل بها . والذى ينفرد به مالك عن غيره فى ذلك هو توسعه فى العمل بها أكثر من غيره ، قال القرافى فى مختصر التنقيح « وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصرح بانكارها ، ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة ، ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء الشاهد لها بالاعتبار ، بل يعتمدون على مجرد المناسبة ، وهذا هو المصلحة المرسلة » . وقال الشوكانى فى إرشاد الفحول (ص ١٩١) : « وقد اشتهر انفراد المالكية بالقول بها قال الزركشى وليس كذلك فان العلماء فى جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة. ولامعنى للمصلحة المرسلة إلا ذلك » . ونقل فى (ص ٢١٢) عن ابن دقيق العيد قوله « الذى لا يشك فيه أن لمالك ترجيحا على غيره من الفقهاء فى هذا النوع ، ويليه أحمد بن حنبل ولا يكاد يخلو غيرهما عن اعتباره فى الجملة ، ولكن لهذين ترجيح فى الاستعمال له على غيرهما » .

الرأى الثانى : أنها ليست حجة ، ولا يصح أن يبنى عليها حكم من الأحكام الشرعية ، سواء أكانت ملائمة للصالح التى اعتبرها الشارع أم لا ، وهو قول المنكرين لحجية القياس من الظاهرية ومن معهم ، وهو القول المختار لابن الحاجب من المالكية والآمدى من الشافعية [١] .

---

(١) الأحكام للآمدى ج ٣ ص ١٣٨ . ومختصر المنتهى ج ٢ ص ٢٤٢ . ونهاية السول ج ٤ ص ٣٨٦ .

والرأى الثالث : أنه يصح العمل بهـا إذا كانت مصلحة ضرورية قطعية كليـة ، ولا يصح العمل بهـا إذا فقد واحد من هـذه الثلاثة ، والمراد بالضرورية ما يترتب على اعتبارها المحافظة على واحد من الضروريات الخمس التى هى الدين والنفس والعقل والنسب والمـال ، والمراد بكونها قطعية أن يكون حصـول المصلحة متيقنا وليس مظنونا ولا مشكوكا فيه ، والمـراد بالـكلية ألا تـكون مخصوصة ببعض المسلمين أو بعض الأحوال دون بعض .

وهذا الرأى هو المختار للغزالى والقاضى البيضاوى . وقـد مثل الغزالى للمصلحة التى توافرت فيها هذه الشروط الثلاثة بمـا إذا تترس الـكفار بجماعة أسارى المسلمين . فاذا رميناهم قتلنا مسلما من غير جريمة منه . وهذا لا عهد به فى الشرع ولو تركنا الرمى لسلطنا الـكفار على المسلمين فيقتلونهم ثم يقتـلون الأسارى الذين تترسوا بهم ، فانه يجـوز رميهم وإن أدى إلى قتل من تترسوا به من المسلمين . [١]

ونحن إذا أنعمنا النظر فى هذه الصورة وجدنا أن المصلحة فيها ليست من قبيل المصالح المرسلة التى جرى النزاع فيهـا بين العلماء ، وإنمـا هى من قبيل المصالح التى قام الدليل على اعتبارها ، والتى لا خلاف فيها لواحد من العلماء ، يقول الشوكانى نقلا عن القرطبى : « المصلحة بهذه القيود لا ينبغى أن يختلف فى اعتبارها » [٢] ، ويقول الكمال بن الهمام فى التحرير : « إن المناسبة لو بحفظ أحد الضروريات لزم العمل بها على قول الكل » [٣] ، ويقول ابن السبكى فى جمع الجوامع : « وليس من المرسل مصلحة ضرورية كلية قطعية ، لأنها ممـا دل الدليل على اعتبارها قطعا . [٤] « يتبع »

زكى الدين شعبان
الأستاذ المساعد
بكلية حقوق عين شمس

---

[١] المستصفى للغزالى ج ١ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ . ونهاية السول ج ٤ ص ٣٨٥ .
[٢] إرشاد الفحول ص ٢١٣
[٣] التحرير مع التقرير والتحبير ج ٣ ص ١٦٠
[٤] جمع الجوامع مع شرح الجلال وحاشية العطار ج ٢ ص ٣٠٠

محمد صلى الله عليه وسلم

نبي الوحدة ورسول الاستقلال

اصطفى الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه برسالة تتفق أصولها مع أصول الرسالات السماوية التى سبقه بها إخوانه من الأنبياء والمرسلين. ومع هذا فقد ماز الله محمدا بتشريعات وتعاليم جعلت رسالته فريدة فى بابها ، وأحاطها بسياج أصبحت به نسيجا وحدها ، سواء فى العقائد أو فى العبادات أو المعاملات .

وإن الدارس لهذه الرسالة المحمدية ، والمتفهم لتشريعاتها السماوية ، لا يسعه إلا أن يعلن بملء فيه : أن محمدا اختاره ربه ليجلى صفة التوحيد فى جميع مظاهرها ، تلك الصفة التى تأخذ بلب المفكر ، وعقل المؤمن ، ويهتف بها المسلم « لا إله إلا الله » إله الكون واحد لا متصرف فيه سواه . بذكره تطمئن القلوب ، ولعظمته تخر الجباه تجلت هذه الوحدة فى العقيدة الإسلامية ، وفى المظاهر التشريعية التى أخذ بها محمد أتباعه من المسلمين .

فإذا نادى المنادى إلى الإيمان بإله واحد فقد أمر المستجيبين له الذين لبوا النداء أن يتجهوا جميعا فى صلاتهم إلى قبلة واحدة ، وأن يطوفوا فى أداء نسكهم ، لحجهم وعمرتهم حول بيت واحد « وليطوفوا بالبيت العتيق » : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » . وأن يسعوا فى مكان واحد . وليجمعهم مع هذه المظاهر كلها فى زمن محدد مكان للوقوف واحد بزى موحد ، يهللون ويلبون ويناجون إلههم الواحد « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » . « لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » .

تلك هى عقيدة التوحيد ، وتلكم هى المظاهر الإيجابية للوحدة ، ملكت قلب المؤمن ، وسيطرت على جميع تصرفاته ، ووجهته إلى المثل العليا ينشدها ويسعى جهده لتحقيقها يجلب الخير ويشيعه بين الناس ، ويقاوم الشر ويجهد نفسه لدفع الضر ، ويسمو بمعتقداته وأعماله عن الدنايا ، وينأى بها عن الخرافات والضلالات والأباطيل .

فلا يرهب قويا ولا يرضى له دينه أن يظلم ضعيفا ، ولا يخدع بضلالة مهما ازينت وتبهرجت ، ولا يثنيه عن الوصول إلى غايته المثلى جبروت أو طغيان ، تلك الغاية التى تتجلى فى استقرار عقيدة التوحيد ، وتمكين أصحابها من إقامة شعائر دينهم دون خوف

من وعيد أو تهديد ، ونشر ألوية السلام بين ربوع العالمين ، وتساوى النـاس جميعا أمام الحق والقانون ، دون نظر إلى جنس أو لون ، فالـكل عند الله سواء . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمـكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضـل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » كذا قال صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

هذه نواح تكشف أمام الدارس لرسالة محمد صلى الله عليه وسـلم أنه حقا نبي الوحدة والتوحيد .

فإذا أنعمنا النظر فى سياسة الإسلام التشريعية أخذت هذه التشريعات بألبابنا ، فهى تتسق وتطرد نحو هـذه الوحدة ونحو تكوين الشخصية المستقلة للمسلم وللمسلمين ، ليظل المجتمع الإسلامى محتفظا بمقوماته ، متميزا عن سواه ولو كان يمت إلى الدين .

حتى ليضطر الناظر أمام هذا إلى أن يهتف من أعماقه . بأن محمدا رسول الاستقلال وإليك شواهد من هذا اللون لا تحتمل جدلا ولا تأويلا : —

أولا : قام محمد صلى الله عليه وسلم بأداء رسالته ، ومضى يتجه فى عبادته لربه نحو القبلة التى كان يتجه إليها من تقدمه من الأنبياء والمرسلين ، وبعد هجرته إلى المدينة كان يجول فى نفسه أمر كثيرا ما ظهر أثره فى تطلعه إلى السماء ، وتوجهه إلى ربه بما يكنه فى حنايا صـدره ، وينطوى عليه ضميره ، ولا يستطيع أن يفصح عنه لسانه خشية أن يكون فى التلفظ به خروج عن الأدب الذى أدبه به ربه . كثيرا ما شخص ببصره إلى السماء يقلب وجهه فيها . وهو صامت يكتم فى نفسه ما يملأ عليه جوانب هذه النفس الـكبيرة .

أى أمنية يا ترى هذه التى يجيش بها صدر هـــذا النبي العظيم ولا ينطق بها لسانه ؟ وأى خطر فيها ، وأى أثرلهـا . ؟ تلك التى يتردد صـداها فى كونه كله فتتراى لقلبه وبصره ، ويرهف لها سمعه ؟ هى أمنية استجلاء الوطن الحبيب — أول بيت وضع للناس — عند مناجاته لمولاه أراد أن يدعم بها استقلاله ، ويقطع بها ألسنة المتخرصين . ويدحض بها شبهة المغرضين حتى لا يذيعوا أن محمدا ما هـو إلا تابع لمن سبقه من المرسلين . وليس مستقلا برسالة أو دين .

وما أكرم رب محمد بمحمد، فها هو ذا يحقق له أمله ، ويعطيه أمنيته ، ويفيض سابغ الرضا على قلبه . إذا فلتكن وجهة محمد صلى الله عليه وسلم فى مناجاته لربه وقبلته هو ومن اتبع رسالته وآمن بدينه ، قبلة عربية . فهو النبي العربى . تلك هى الـكعبة أول بيت

وضع للناس ليعبد الله فيه وحده لا شريك له « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » فيجيب لك سؤلك ، حقا إن ربك يا محمد يسارع فى هواك ويمنحك كل ما تمنى من عوامل الوحدة والاستقلال .

وما أكثر الشواهد والتعاليم الإسلامية التى تشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالتمايز برسالته والاستقلال بها عن الذوبان والتميع فى الرسالات السابقة ، والاحتفاظ بأمته حتى لا تتلاشى فى الأمم الأخرى ، لقد كان حريصا الحرص كله ــ كما علمه ربه ــ على أن تكون رسالته قائمة بذاتها ، مستقلة فى عقائدها أو مقوماتها متناسقة فى جميع أصولها وفروعها ، تتجاوب نحو تحقيق الغاية السابقة التى أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم لتحقيقها ــ ألا وهى سعادة البشرية جمعاء ــ بأقوم رسالة وأكمل دين .

ثانيا : وفى المدينة أيضا كثر المسلمون ، وألح عليهم طلب العيش فتفرقوا فى متاجرهم ومزارعهم ودورهم وهم جد حريصين مع ذلك على الاجتماع برسولهم الكريم وبخاصة فى أداء الصلوات : فما السبيل إلى جمعهم ، وما الوسيلة إلى حضورهم فى الوقت المحدد ؟ اهتم المسلمون بهذا الشأن واهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كبارهم يعملون عقولهم ويشحذون أفكارهم ويستوحون تجاربهم فى إيجاد وسيلة لجمع المسلمين عند كل صلاة ، واجتمع المسلمون برسول الله يتشاورون ويتدارسون لاختيار أفضل الوسائل وأقومها ، وأدلى كل برأيه ، وانفض الجمع ولم يقطعوا فى الأمر بشىء ، وانصرف كل وهو مشغول الفكر لابتكار الوسيلة التى يتميز بها المسلمون عمن سواهم فى اجتماعهم للصلاة

فهل ضن تشريع السماء على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بهذه الوسيلة ، أم هل تركه يتابع فيها من سبقه من المتدينين ؟ كلا ، وأيم الحق .

وإليك ما حدثت به كتب السنة الصحيحة فى هذا الشأن . لتقف بنفسك على المدى الذى كان يملأ صدر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من اهتمامه بتكوين أمة مستقلة متميزة فى رسالتها عن الآخرين ، ونحن ننقل هنا ما رواه صاحب تيسير الوصول فى باب بدء الأذان بتصرف .

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها . فقيل له : انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رأوها آذن بعضهم بعضا . فلم يعجبه ذلك . فذكر شبور اليهود فلم يعجبه ، وقال هذا من أمر اليهود . فذكر الناقوس . فقال هو من أمر النصارى ، وذكرت النار . فقال هى من أمر المجوس ، وانصرفوا وهم مهتمون بهم رسول الله ، وفى

الصباح أقبل رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله إنى رأيت رجلا كان عليه بردين أخضرين وكنت يقظان غير نائم . فقام على المسجد وعلمنى ما تجمع به القوم للصلاة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هات ماعندك . فقال الرجل ينادى بالآذان ـ الله أكبر الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله . . . . الخ الآذان . فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها الوحى . قم فلقنها بلالا فانه أندى منك صوتا . قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيها عليه وهو يؤذن بها . اه

ومن يومئذ صار الآذان الوسيلة المثلى الخاصة لجمع المسلمين للصلاة ، يدوى فى السكون وتشق المآذن كبد السماء ، ومن فوقها يعلو صوت المؤذن فيهرع المسلمون عند سماعه لذكر الله والصلاة فى بيوت الله .

من هذا ـ وهو قليل من كثير ـ ندرك أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله برسالة مستقلة متكاملة ، متميزة فى مقوماتها وتشريعاتها ، تنبثق عن أصل ثابت قائم على الوحدة والتوحيد ، وتتشابك أغصانها ، وتنتشر فروعها ، وتطرد تشريعاتها الإيجابية وتحذيراتها الوقائية ، ليكون أمة واحدة ، يثبتها ويقويها ويجمع كلمتها وحدة المبدأ ، ووحدة الهدف ، مع وحدة المشاعر والأحاسيس . « ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

واليوم وقد أظلتنا ذكرى ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . وهب المسلمون يحتفلون فى أربعة أركان الدنيا بهذه الذكرى العطرة فواجب عليهم أن يذكروا ذلك الجهاد المضنى الذى تحمله هذا الرسول الكريم فى تكوين هذه الأمة المحمدية التى قال الله فى شأنها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . . » .

واجب على المسلمين حاكمين ومحكومين أن ينظروا إلى تعاليم دينهم ، وإلى ما شرع لهم من مبادئ ومقومات يتميز بها المجتمع الإسلامى ، ويتماسك بها بنيانه سليما قويا ، ويقارنوها بما عليه مجتمعهم اليوم ، وما يطبقونه فى شئونهم من تعاليم . فقد صارت جمهرة المسلمين لا يحسون لتلك المبادىء السامية وجودا فى نفوسهم ـ اللهم إلا كرجع الصدى ـ ثم هم لا يجدون لهذا الصدى أثرا فيما يزاولونه فى واقع الحياة من أعمال .

فيارب محمد نفحة من نفحاتك فى ذكرى ميلاد حبيبك تتفتح لها قلوب أتباع نبيك ، وتتجدد بها عزائمهم ، وتتجمع قواهم لإحياء هذا المجد التليد ، والشرف المنيع ، إنك على كل شىء قدير ، وأنت الغفور الرحيم »

محمد أبو المكارم
الواعظ العام

فى هذه المناسبة

هى مناسبة ذكرى مولد النبى الكريم ، الذى أرسله الله — على رغم كل مكابر — رحمة للعالمين .

فى هذه المناسبة يطيب لنا أن نعمل ما وسعنا على أن نعيد إلى الإنسانية الخاسرة مجدا من مكارم الأخلاق قد تصرم ، وأن نجدد عهدها بصرح شامخ من الإيمان قد تهدم فو الذى نفسى بيده لن يمسك الناس بالسعادة الوادعة ، والسلام الشامل والحب الفاضل إخوانا على سرر متقابلين . وإخوة متفاهمين متعاونين . حتى يزكوا النفوس . ويقضوا حق الروح الكريم الذى هو أعز كنز منحه الله للانسان ولكن نسيه وأخذ يقترب من الحيوانية ، فكان ما شاء من الحيوان : إما سبعا ، وإما نمرا ، وإما كلبا ، وإما خنزيرا . وليغفر القارئ الكريم لى أنى أكاد أتطاول على مقام إنسان هذا الزمان ، فو ربى ما أردت إلا أن يكون إنسانا كما شاء الله خليفة فى الأرض يحكم بالحق ولا يتبع الهوى وويل له إذا اتبع الهوى فأضله عن سبيل الله ، يومئذ ترى الناس كما تراهم اليوم لامحبة ولامرحمة ولا إنصاف ولا معدلة ولا تخاء ولا مكرمة ، ولكنه الخسران المبين .

وما لى أشقط بالحديث لولا حرص منى على أن يستيقظ الإنسان لحقه وينتبه لوضعه ولكن الله يهدى من يشاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا .

وإذا فنى هذه المناسبة الكريمة : أرى لزاما على أن أتحدث عن بعض نواحى السمو والنبل فى محمد بن عبد الله منقذ الإنسانية وهاديها إلى الصراط المستقيم .

وأوثر أن أتحدث عن شجاعة الإسلام الحربية ، وشجاعته الأدبية ، تمثل فى ذلك النبى الكريم ونحن اليوم فى عهد أحوج ما نكون فيه إلى تلك الشجاعة بنوعيها ، فبالأولى نحمى الحمى ونذود الوطن ونستبسل فى الدفاع ، ونؤمن حق الإيمان بأن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وأنه لن يقدم نفسا قبل ميتتها ضرب الحسام ولا قذائف المدافع ولا خوض المعارك ، فما التراجع إلا ضعف فى الإيمان أو حمق فى الإنسان وأخيلة لاحقيقة لها .

ونحن بالثانية (الشجاعة الأدبية) نستطيع أن نستصلح من أخطاء الخاطئين ونغير من أعمال الغلاطين الذين يسيئون إلى أنفسهم و إلى أهليهم و إلى أوطانهم ، ومن لم يأخذ على يد ظالم أو يردعه عن ظلمه فقد أوشك أن يجنى على نفسه وعلى الناس أجمعين .

ونحن بالشجاعة الأدبية نستطيع أن ننصح وأن نواجه بكلمة الحق لا مجاملين بل محسنين مصلحين وكم أصلحت الصراحة والمكاشفة فساد كثير من الإخوان والأصدقاء، وردت إلى الحق كثيرا من القادة والرؤساء على طول ما أفسد النفاق والمجاراة على الباطل من شئون الأمم والجماعات .

ولعمرك لقد طالما أفسد هذا البلد من قبل وأخرها إلى الوراء كثيرا على كثرة المثقفين فيه والقادة البارعين أفسده الممالأة على الباطل والجبن عن كلمة الحق فى صراحة . حتى قيض الله رجالا صالحين للقيادة من ذوى الشجاعة والصراحة لم يقاروا على سوء الحكم . وتشاغل الحاكم عن واجب الوطن بمتعه وشهواته ، ولم يقبلوا نظام الإقطاع ولا إهمال الشعب إهمالا أقعده عن اللحوق بالأمم العظيمة ، وقد أصبح الشعب بفضل تلك الشجاعة وعدم المبالاة فى سبيل الحق شعبا ناهضا كريما يفخر به الشرق ويحسده الغرب ، ولولا الشجاعة بنوعيها لما قام من سباته العميق ولظل راكدا فى الحضيض .

والشجاعة فى قائد هذه الأمة صلوات الله عليه ، وفى كل من تربى فى مدرسته الإسلامية تستمد كنهها مما رسم هذا الدين الكريم من إيمان بالله وتوكل عليه مع الانبعاث فيما أمر الله سبحانه بتحقيقه وعلى رأسه حماية دعوة الإسلام مهما كلف ذلك من تضحيات وجهاد بالنفس والمال ، وقد نوه الإسلام فى كتابه وفى كلمات السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والإقدام والثبات أمام العدو وعلى كلمة الحق ، وجعل التولى يوم الزحف من كبائر الذنوب « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وأما المؤمن الصادق والمسلم على بينة من ربه فقد علم أنه لابد من مقاومة الباطل ، وإلا فالحياة خسران مبين على صاحبها وإلقاء بالنفس والوطن إلى التهلكة ، وهو قد علم أنه يعود من جهاده بإحدى الحسنيين ، وأن الحرص على الموت يهب الحياة وأن وأن ... إلى كثير من المعانى التى تستوجب الشجاعة والإقدام فى المعارك ، وتستوجب الشجاعة والإقدام فى تغيير المنكرات ، وما يشيع الفساد ويفتك بالشعوب والجماعات .

وعلى مقدار تحقق إيمان المؤمن بربه ، وعلى مقدار تمسكه بدينه ، وعلى مقدار هداية الله له باستكمال الشخصية الإسلامية الحق يكون نصيبه من الشجاعة والإقدام ، ومواجهته بالحقائق وعدم الكتمان . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من الشجاعة بنوعيها بالمحل الأول ، والمنزل الذي لا يجهل . فمنذ استقر في نفسه الكريمة أنه رسول الله إلى هذه الأمة ليغير كل ما هي فيها من فساد وضلال وفوضى في العقائد وفي السلوك وفي الأخلاق ويضع مكانه صلاحا واستقامة وهداية إلى الصراط المستقيم ، منذ ذلك الحين شمر عن ساعد الجد ، فقام يدعو إلى الله عن بصيرة ، ويهدى الناس إلى الطريقة بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلما نابذوه وجحدوا بما جاء به ، قاومهم ودافعهم غير متراجع ولا متواضع لهم ، وهم ينهون عنه وينأون عنه ويفعلون به وبأصحابه ماشاءت لهم قوتهم وكثرتهم وإمكانياتهم وقد سطر التاريخ الشيء الكثير مما كان بينه وبينهم مما يضيق المقام عن استقصائه . وقد تضافرت الأخبار على موقفه مع عمه أبي طالب وحديثه المشهور (يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ثم أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وبقى وحده بين صفوف الأعداء يعملون الحيل في القضاء عليه ولكن الله بالغ أمره . وهاجر أصحابه إلى المدينة بعد أن ضاقت بهم الحيل أمام الأعداء فبقى في فئة قليلة لايبالى مايفعلون ثم خرج هو وصاحبه وصديقه وأويا إلى الغار ، وهنالك أدركهما الكفار وأحس أبو بكر بوقع أقدامهم ، وأخذه الفزع من إدراكهم . ولكن محمدا لا يبالى مادام على الحق وفي سبيله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

لقد خرج عليهم وحده ليلة مكروا به وجمعوا فتاكهم وشجعانهم للفتك به في إيمان الواثق بنصر الله ، فأحبط مكرهم ، وخيب فألهم ، ثم خرج إلى المدينة مع صاحبه بين زوابع البحث والتفتيش ، وإرسال الرواد والباحثين ، إلى قوم يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم ولكن هل هدأت نفوس القوم ، أو اهتدوا إلى حقيقة الأمر ؟ كلا والله . لقد ازداد ما بهم من حنق ، وأخذوا يعملون الحيل بأسلوب أوسع ، فيؤلبون القبائل والشعوب ، ويدأبون على محاربة دعوة الحق طامعين في أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره .

وأذن الله لنبيه بالقتال كما قال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » . فكانت لمحمد صلى الله عليه وسلم مواقف من الشجاعة حيرت الألباب وأطاحت بالأوهام ، فقد اضطر أعداؤه إلى مجالدته وقد أعيتهم الحيل فى مجادلته وكانت تتجلى شجاعة النبي الخارقة حين ينهزم الجيش ضحية مخالفة للقائد . واستهانة بالموقف كما وقع فى كل من غزوة أحد ويوم حنين ، إذا أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا ؟ قال القاضي عياض فى الشفاء ، فأحسن ما شاء وهو يصف شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم : قد حضر المواقف الصعبة ، وفر الأبطال والكماة عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة ، وحفظت عنه جولة سواه .

وذكر حديثا بسنده إلى أبي إسحاق أنه سمع البراء وسأله رجل : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : لكن رسول الله صلى عليه وسلم لم يفر . ثم قال : لقد رأيته على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبي لا كذب . فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه . وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته . وذكر مسلم عن العباس قال : فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه . ثم نادى : يا للمسلمين الحديث ، وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال على رضى الله عنه : إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا . وقيل : كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه . وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول : لن تراعوا . وهكذا نقل القاضى عياض وهكذا نقل غيره ، ونقلوا أكثر من ذلك من موقفه الكريمة ومنها مواقفه يوم أحد يوم فر الناس أمام العدو الذى أتاهم من الخلف بشؤم الخلاف عليه صلوات الله عليه ، وأشيع أنه صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ولكنه

أصيب بجراح وشج ، وقد قتل وهو فى الموقف بطلا من أبطالهم وجبارا من جبابرتهم كان لا يزال يتوعده من قبل حتى إذا ظن أن الفرصة سنحت له ، تناول النبى صلى الله عليه وسلم حربة من أحد أصحابه فطعنه طعنة تدأدأ لها مرارا من على فرسه ثم مات . ورد النبى صلى الله عليه وسلم الحربة على صاحبها فى هدوء وثبات منقطع النظير . هـذا طرف من شجاعته الحربية .

فأما شجاعته الأدبية : فلعمر الحق ما عرف الناس أجرأ من النبى على كلمة الحق لرفع شأن الإنسانية ومقاومة الباطل والقضاء عليه . ألم يجهر بدعوة الإسلام بين مناوآت الأعداء وشغبهم كما فصلنا بعض ذلك منذ اليوم ؟ ألم يبلغ كل ما أنزل إليه من ربه وفيه ما يرده عن بعض التصرفات ، ويبين أن الصواب عند الله غير ما فعل كما فى مسألة زيد وزينب : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وروى عن السيدة عائشة أنها قالت : لو كتم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحى لـكتم هذه الآية . وكذلك آيات أخر منها قوله سبحانه : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى » إلى قوله : « عذاب عظيم » وقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » الآية وقوله : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » إلى قوله : « لأواه حليم » .

كل ذلك من الشجاعة الأدبية التى تتقاضى صاحبها أن يقول كلمة الحق له أو عليه ، وسواء أكانت عاقبتها نفعا أو ضرا ماديا ، وكيف لا وهو الداعى إلى الحق وحده والذى لا ينشد إلا أن يهتدى العالم إلى الرشاد وأن ينشدوه .

وإن تعجب فإن هذا النبى العظيم الذى كان أشد حياء من العذراء فى خدرها والذى كان لا يواجه إنسانا بمـكروه ، والذى وصفه الله سبحانه فى كتابه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

إن هذا النبى لقد منحه الله سبحانه من الدقة فى تحديد الفضائل من نواحيها ووزن كل واحدة بميزانها ما لم يؤته أحـدا من العالمين فهذا الحيى الرضى المتواضع الـكريم والحبيب القريب كان إذا غضب لا يقـوم لغضبه شىء ، وكان لا يغضب لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لهـا . وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمـا فإنه كان أبعد الناس منه صلى الله عليه وسلم ، ولمـا سرقت الخثعمية ففكر قومها فى أن يستشفعوا بأحب الناس إليه ـ أسامة ـ ليعفو عنها غضب أشد الغضب ، وعنف أسامة على أن يشفع

فى حد من حدود الله ، وقام على المنبر فقال : « أيها الناس ، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه و إذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ولما سألته فاطمة شيئا من ماله تستخدم به من يعنيها على شئون المنزل ، فقد مجلت يدها . وضنى جسدها قال لها « يا فاطمة ، لا أعطيك وأدع أهل الصفة » !

ولما قيل له إن معاذا يطيل الصلاة لم يستح أن يقول له : « أفتان أنت يا معاذ » ثم علمه ، ولما أراد عمر أن يتقدم للامامة بالمسلمين فى صلاتهم على مقتضى ما فهم من بلال أنه مأمور بذلك نحاه النبى صلى الله عليه وسلم فى غير مجاملة ولا استحياء وهو يقول « يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر » .

وهذا وأمثاله من تعليمات الإسلام التى توحى بالشجاعة الأدبية والمواجهة بكلمة الحق هو الذى أدب المسلمين بأدب الجرأة فى تغيير المنكر ومقاومة الشر ولو كان عند السلطان فيا لله للمسلمين لقد فسد الناس ومرجت أمورهم ، والتاثت شئونهم منذ فقدوا ذلك الخلق الكريم المعظم ، الشجاعة فى جميع صورها وفى شتى مظاهرها ، ولقد كان الإسلام أسبق شىء إلى تحقيقها ، وهى عند المسلمين دعامة الحق وعنوان الرشاد ، وطالما جهر المسلمون بمخالفة الولاة فيما يخالف وجهة نظرهم منذ كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يتقبل من عمر ومن غيره أن يخالفوه وربما عدل النبى صلى الله عليه وسلم إلى رأيهم ، ونزل القرآن بموافقة بعضهم .

و بعد فقد عرفت مصر والحمد لله فضل ذلك المعنى الإسلامى المعظم فيما كتب الله لها من سمو ورفعة ، ولا سيما منذ بدأت تقاوم الباطل والفساد ، وتهيء للعدو كل عدة وعتاد ، وحيا الله القائمين على أمرها اليوم فانهم خير من قدر ذلك المعنى وعمل على تحقيقه وقد دعا ذلك أصحاب الأفكار والآراء والنصائح ألا يبخلوا بالتوجيه الصالح ، وفى إعادة حياة الشورى خير كفيل بذلك التوجيه ومحقق للاصلاح المطرد المنشود إن شاء الله .

محمود النواوى

السيرة المحمدية

تحت ضوء التحليل العلمى والفلسفى

لمناسبة مولد النبي الأعظم

قد تمر على المجتمعات فى بدء حياتها أحداث جسام تؤثر فى وجودها من ناحية ترابط آحادها وتماسك أجزائها . ولكنها لا تبلغ مهما عظم شأنها ما يحدث النضج الاجتماعى الذى يتم بعد مكابدتها للأطوار التى يستتبعها الاجتماع فى أدواره المقررة فى قرون عديده .

فهذه الجماعة من مهاجرى مكة ومؤمنى قبيلتى الأوس والخزرج اللتين ألف بين آحادهما دين لم يكن للعرب فى وثنيتهم العتيقة وتقاليدهم الموروثة عهد بمثله ، كانت بحاجة إلى أن تحيا حياة اجتماعية وأن تتأثر بعوامل الاجتماع وأن تخضع لأفاعيلها ، ولا يكون ذلك إلا إذا وجدت تلك العوامل واستعداد الآحاد للتأثر بها ، وهى لا توجد بالصناعة ، وإن أمكن إيجاد بعضها فيتعذر إيجاد بعضها الآخر ، لأنها تتعلق بالبيئة الطبيعية وبقابلية الآحاد للتطور وبالأحوال الاقتصادية والجماعات المجاورة . وكل هذه الشئون ليس فى اليد إيجادها والعقيدة الدينية عمل قلبى لا يتوقف على الاندماج فى جماعة ، وقد عاش المسيحيون بعد عيسى عليه السلام نحو ثلاثة قرون لا تجمعهم جامعة ، متفرقين فى بلاد متباعدة . وبقى اليهود أكثر من ألفى سنة مشتتين فى الأرض ليس لهم دولة . فكان لابد لأجل قيام دولة إسلامية من توافر عناصر الاجتماع فى الطائفة التى اتخذته دينا لها ومن خضوعها لأفاعيلها آمادا طويلة .

فاذا كان محمد صلى الله عليه وسلم ، لأجل أن يصل إلى تأليف جماعة ، عليه أن يوجد العوامل الأدبية والمادية التى تتكاتف على إيجادها ، على الأسلوب نفسه الذى تتبعه الطبيعة فى تأليف الجماعات ، فأنى له أن يوجد لها الزمان الكافى لترسيخ نتائجها فى نفسية الجماعة وهو شرط لابد من توافره فى تأليف الجماعات ؟

اللهم إن هذا من المحالات العلمية ، وهو فى البلاد العربية التى لا يوجد فيها من عوامل

الاجتماع إلا ما يكفي لتوليد القبائل يعتبر مما لا يجوز أن يفكر فيه إنسان . وكيف يجوز التفكير فيه والطبيعة نفسها عجزت عن إحداثه ، فبقيت الجماعات العربية على الحالة القبلية من يوم وجدت إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، لا لنقص في قواها المعنوية ولكن لعدم توافر الدواعي لتآلفها . فانتدب محمد صلى الله عليه وسلم للاتيان بما يعتبر محالا في تاريخ البشر ، وهو أمر لم يقدم عليه فرد من أفراده .

ولم يطف في رأس عبقري من عباقرته من يوم وجد العالم إلى يومنا هذا .

لا جرم أن الانتداب لمثل هذا العمل يعتبر غريبا إلى أبعد حدود الغرابة . ولكن غرابته وخروجه عن دائرة الأمور العادية لا يجوز أن يثنينا عن النظر في الوسائل التي تذرع بها محمد صلى الله عليه وسلم بإرشاد الوحي الإلهي للوصول إلى هذه الغاية البعيدة .

وأول ما وجه النبي صلوات الله وسلامه عليه همته إليه أن جعل للطائفة التي أتبعته غاية سامية تسعى للوصول إليها . لأن كل جماعة لا يكون لها غاية تركد حيث هي وتكتفي من الحياة بما يحفظ وجودها الشخصي وكيانها القومي ، وقد تلبث على هذا عشرات العقود حتى تبيد أو تفنى في جماعات أقوى منها ، فكانت الغاية التي عينها النبي صلى الله عليه وسلم للجماعة التي يرأسها أن تكون نواة الدين الذي شرع لإصلاح جميع الأديان وأن تحمي الدعوة إليه ضد كل من يحاول أن يحول بينها و بين الذيوع والانتشار .

وهذا لا يكفي في تكوين أمة ولا في إقامة دولة ولا في بناء كيان إنساني ، فالأمة لا يتحقق لها وجود إلا بتوافر عدد أفرادها وشغلهم حيزا واضح الحدود بين الأمم المتاخمة لها ، والدولة في حاجة إلى مقومات اقتصادية وسياسية وأخلاقية . وهل يمكن الوصول إلى هذا كله إلا بانشاء العلاقات بينها و بين الجماعات القريبة منها والبعيدة عنها . ؟

ولكن هل هذه العلاقات مما يمكن إيجاده من غير طريق العوامل إلى توجيه ؟

هذه العوامل تقتضي فيما تقتضيه التبادل الاقتصادي والتبادل الثقافي ، وكل ذلك يقتضي الإنتاج الزراعي والصناعي والإنتاج الفكري .

فهل كانت مدينة يثرب بالبيئة التي تولد كل هذه العوامل ؟

هذا هو الأسلوب الطبيعي في توليد الأمم و إقامة الدول . ولو صادفها محمد صلى الله

عليه وسلم فى البيئة التى ظهر فيها ما كان فى عمله إعجاز ، ولأمكن الخصم تعليل نجاحه بالعلل الاجتماعية ، ولو من طريق التلاعب بالألفاظ والعبث بالعقول القاصرة . غير مقدر كم يقتضى تدبيه هذه العوامل من الآماد المتعاقبة والأزمان المتطاولة فى شروط ملائمة .

ولكن خاتم رسل الله لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى بعد إحدى عشرة سنة من يوم انتقاله إلى يثرب حتى كانت للاسلام أمة وكانت له دولة .

إن ميزة الأوامر الإلهية أن تنفذ ولو قامت دونها جميع الحوائل الطبيعيه والإنسانية وقد أراد الله أن تكون للاسلام أمة ودولة قبل أن يفارق رسوله العالم الأرضى ، فكانتا فتيتين قويتين حاصلتين على جميع عوامل النماء والتطور ، ونقلتا العالم كله من حال إلى حال آخر ، لا صورتين وهميتين لم تلبثا أن انحلتا بعد وفاة موجدهما ولم تتركا أثرا .

فاذا كان فى تكوينهما على خلاف السنن المعروفة إعجاز يقف العلم الاجتماعى أمامه حائرا ، فان فى بقائهما واستمرارهما وعظمة آثارهما إعجازا ثانيا ليس بأقل من الأول .

يستخف بعض الناس بتكوين الأمم ، فيخيل إليهم أن الآحاد فى الأمة كأحجار البناء فى البيت يضعها البناء حيث يشاء ، واصلا بعضها ببعض بالملاط ، فيشيد منها قصرا على النظام الذى رسمه من قبل ، هذا النظر يدل على فاقة عامية توجب المرحمة ، والحقيقة أن الآحاد الذين تتألف منهم الأمم وتتفاعل بهم كائنات عاقلة وموجودات رشيدة لا يمكن تشبيهها بالأحجار ، والمساك الذى يجمع بينها مؤلف من روابط معنوية تشترك فى تكوينها ضرورات طبيعية ومقتضيات بيئية وحاجات عقلية وروحية .

فإذا لم تنتظم جميع هذه العوامل مئات الألوف من الآحاد فى وحدة لا انفصام لها طرأ على هذا الوئام التفكك فلم يتم ترابطها بحيث إذا تحركت تحرك جميع آحادها اضطرارا لا اختيارا فى آن واحد وعلى غرار واحد ، لا يسأل عضو عضوا لم تحرك ؟

فتخيل كيف تصل أمة مؤلفة من عدة ملايين أو عشرات الملايين إلى هذا الضرب من التكافل مع تخالف آحادها فى أخلاقهم وعقلياتهم ونفسياتهم وآمالهم وأهوائهم .

فإذا رأيت أمما قائمة ولم يصادف قادتها أثرا من الحوائل ، فما ذلك إلا لأن هذه الأمم كانت من عمل القادة والطبيعة لا من عمل القادة والمرشدين . والعمل الطبيعى

المألوف يجرى على أدوار متعاقبة فى آماد طويلة متلاحقة تنفقها الطبيعة فى التوفيق بين بين هذه المتناقضات لا يصبها فى قالب واحد ، فهذا جد محال . ولكن باخضاعها لنظام تعاونى يحيل تصادمها الضار إلى تكافل مفيد للجماعة ، كما هو مشاهد فى كل جماعة قائمة .

فالإسلام بدوره قد رسم الحدود و بين المعالم ونادى فى الناس أسبقهم وألحقهم ، أن دين الإسلام هو دين الفطرة ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك هو الدين القيم ، وأن الأديان كلها دخلها التحريف والمحو والإثبات ، إلا أن هذا الدين العميق الحصين الدقيق وقف للناس فى جميع الأجيال يقول لهم هذا حلال وهذا حرام . ذلك لأن دين محمد صلوات الله وسلامه عليه جاء موافقا لجميع الأديان السابقة التى جاءت بها الرسل ، فكان خاتمها وتاجها وعروسها : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وذلك العامل الخفى الذى أفضنا فى البحث عنه هو « الإيمان » الذى نفثه محمد صلى الله عليه وسلم فى روح جماعته . فجعلهم يتلقفون ما يلقى إليهم بلهف عظيم فتتكيف به نفسياتهم .

وغير خاف على القارئ الحصيف أن الإيمان أعلى صرح من صروح العقائد تندرج تحته الأمور من العظائم . فبعد أن كانت الوثنية والنصرانية واليهودية مسيطرة على أمم كثيرة فى الأرض ، ثم جاءت من بعدها عهود الجاهلية فتفجرت فى الخروج على كل مألوف وخرقت النواميس الطبيعية للبشرية وناجزتها أيما مناجزة ، جاء الإسلام على يدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصلح القلوب والأخلاق والنفوس . وهتك تلك الأغشية التى رانت على عقائد الجاهلية ، و بدد من القلوب ظلمتها ومن العقائد شكوكها ومن العادات أوهامها .

١ — كان السابقون معددين للآلهة ، فجاءهم الإسلام بالتوحيد .

٢ — كانوا يخضعون لحكم القوة والجبروت والعنف ، فأخضعهم الإسلام لسلطان الحق واليقين .

٣ — كانوا يأخذون بالتقليد ، فأحالهم الإسلام على حكم العقل .

٤ — كانوا يحكمون بالعادات العقلية ، فجعلهم يحكمون بقانون السماء الفطرى المطرد .

٥ — كانوا قانعين بما هم عليه ، فأهاب بهم الإسلام لطلب الأفضل .

٦ — كانوا واقفين عند عالم المادة ، فحفزهم الإسلام لنور عالم الروح .

٧ — كانوا راضين بالأمر الواقع ، فدفعهم الإسلام إلى تحرى المثل العليا .

٨ — كانوا يأخذون بالظنون المحيرة ، فأمرهم الإسلام أن لا يأخذوا إلا بواضح الدليل كأنه الشمس فى كبد السماء .

٩ — كانوا يضربون فى عماية وجهالة ، فحثهم الإسلام على طلب العلم الماحى للظلمة الحالكة .

١٠ — كانوا جد حريصين على تفاوت الطبقات بلا موجب ، فقرر لهم الإسلام مبدأ المساواة فى سائر الحقوق البشرية .

وبعد : فان هذا الدين المحمدى الحنيف جاء خلاصة للأديان كلها ومبشرا بأمانى السعادة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، فحقق للبشرية جميع آمالها ورغائبها ، وكان مولده فاتحة خير وبركة وسعادة على الناس أجمعين ؟

عباس طه
المحامى

إلى سماسرة البغاء

عجبا لكم يا أنصار المرأة ، تملأون الدنيا ضجيجا بسبب تعدد الزوجات ، ثم بعد ذلك تتقدمون للرجل بمئات المومسات . فالتعدد الحلال قذى فى أعينكم وشجى فى حلوقكم ، وأما الحرام فأنتم تستمرئونه . ولو كنتم نشأتم على كراهيته والنفرة منه ما طاوعتكم يدكم ولا لسانكم على طلبه : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

مصطفى مجاهد
المدرس بكلية الشريعة

دعوة الاسلام
ومنهجها فى الاصلاح
- ٣ -

تمهيد وتقديم :

حاجة الانسان إلى هداية الدين السماوى

حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوى ، حاجة دعت إليها الفطرة التى فطر عليها ، وقضت بها الحكمة التى خلق لأجلها ، فإن الحياة الإنسانية فى طبيعتها وأسرارها ، لها مقومات ترتبط ارتباطا وثيقا بسلوك الأفراد والجماعات ، وتتصل اتصالا قويا بمصيرهم فى دار المعاد ، وتقضى قضاء جازما بحاجـة المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان ، إلى هداية روحية تحرر العقول من رق الأوهام والخرافات ، وتكبت سورة المطامع والشهوات ، وتكبح جماح الغرائز والأهواء .

وترجع هذه المقومات فى جملتها إلى الأصول الآتية :

الأصل الأول : ما بيناه فى حـديث الفطرة الإنسانية ، من أن الإنسان لم يخلق فى هذه الحياة عبثا ، وإنما خلق ليكون خليفـة فى الأرض ، يعمرها ويمشى فى مناكبها إلى أجل مسمى ، ويحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، قياما بحقوق الألوهية والربوبية وتجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، تحقيقا لما تقضى به قواعد العدالة الإلهية ، وأن هذه الخلافة الأرضية التى خلق لها ، اقتضت أن يكون مستعدا بفطرته لخير والشر على السواء ، تحقيقا لمناط التكليف واستحقاق الجزاء .

فهذا الأصل كما ترى ، يقتضى أن يكون الإنسان على بينة من صفات الله وأفعاله ، عارفا بالغاية التى خلق لها عالما بالحقوق والواجبات المترتبة على هـذه الغاية ، ملما

بأحوال الآخرة التى إليها مرده وفيها حسابه وجزاؤه ، والإنسان مهما سما عقله وفكره ، واتسعت دائرة إدراكه وتفكيره ، لا يمكن أن يحقق هذه المطالب بنفسه ، ولا أن يصل فيها إلى الحق بمجرد عقله وفكره ، لأن العقل لا يستطيع أن يستقل بتحديد ما يجب أن يعرف من صفات الله لما بيناه من ضعفه أمام سلطان الخيال وأوهامه ، كما لا يستطيع أن يستقل بادراك الحقوق المترتبة على حمل أعباء المسئولية والجزاء ، وفهم ما يجب أن يفهم من أحوال الدار الآخرة وشئونها ، لأن ذلك من أمر الغيب ، وهو فوق مستوى إدراكه الذاتى وتفكيره الاستقلالى .

ومما يؤيد هذا الذى قررناه ، أن المتقدمين من كبار الحكماء وشيوخهم ، وهم من صفوة أرباب العقول المفكرة ، والبصائر النيرة ، والأحاسيس المرهفة ، تراهم فى بحوثهم المتعلقة بالألوهية والربوبية ، قد وقفوا حيارى فى منتصف الطريق ، وتشعبت عليهم مسالك البحث والنظر ، وتخبطوا فى مباحث الإلهيات التى أفنوا فيها أعمارهم ، فعجزوا عن الوصول إلى الحقائق الخالصة من شوائب التضليل والتلبيس ، وجاءوا بعد طول المطاف بخليط من الوثنية والتوحيد ، ومزيج من المذاهب التى لا تغنى من الحق شيئا ، وكان أصحهم فى ذلك رأيا ، وأوضحهم حجة ، وأصدقهم حديثا ، من كان منهم على صلة بشرائع الأنبياء والرسل ، فقد كانت هذه الصلة السماوية ، تضفى عليهم قبسا من صحة النظر واستقامة الفكر .

ولهذا ربط الله المسئولية والمؤاخذة بارسال الرسل وتبليغ الشرائع ، لا بمجرد اكتمال العقل وبلوغ الرشد ، كما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، ١٧ : ١٥ » « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ، ٢٨ : ٥٩ » .

الأصل الثانى : العوامل التى قارنت وجود الإنسان فى الأرض ، وسارت معه فى جميع أطواره جنبا إلى جنب ، من الأهواء المؤلهة ، والغرائز الجامحة ، وطغيان النفس فى مطالبها ، ومجاوزتها حدود الاعتدال فى شهواتها ، فهذا الأصل كما ترى ، يتطلب من الإنسان لكى يعيش سعيدا كريما فى مجتمع سعيد كريم ، أن يكون مالكا لزمام أطماعه وأهوائه ، كابحا لسورة غرائزه وشهواته ، واقفا بمطالب النفس عند حدود التوسط والاعتدال ، وهو لا يستطيع أن يحقق هذه المطالب بدون أن يعتمد على هداية أقوى

سلطانا من هـداية العقل ، فإن العقل وحده لا يكفى لقيادة الأفراد والجماعات قيادة حكيمة رشيدة ، والسير بركب الحياة على النهج الذى يحقق للسائرين سعادة المعاش والمعاد، لأن العقل يحتاج فى قيامه للغرائز والقوى الإنسانية ، إلى رائد روحى يسترشد به قيادته ، ويسير على توجيهاته فى نظرياته وأحكامه ، ويستعين به على مقاومة هـذه العوامل والمؤثرات ، فهو أشبه شىء بالعين الباهرة ، فكما أن العين لا تستطيع رؤية الأشياء رؤية صادقة ، إلا إذا سطع عليها ضوء خارجى ، تستعين به على رؤية الأشباح والصور ، وأما ما دامت فى جو مظلم قاتم ، فإنها لا تستطيع أن تقوم بوظيفتها ، وإن كانت موجودة بجوهرها وطبيعتها ، كذلك العقل فى إدراكه وتفكيره ، لا يستطيع أن يتصرف فى هذه المطالب مواطن الخير والشر ، ومواقع الخطأ والصواب ، ومسالك الحق والباطل ، إلا إذا سطع عليه نور من الوحى السماوى ، يمهد له مجال النظر الصحيح ، ويبين له معالم الحق ومسالك الرشاد ، ويبدد عنه غواشى الأهواء والأوهام ، ولهذا كان الإنسان فى حاجة إلى هداية الشرائع والأديان .

الأصل الثالث : تفاوت العقول فى نظرها إلى أوضاع الحياة وصورها ، وتحديد مطالبها وغاياتها ، وتعيين الوسائل الموصلة إلى هذه المطالب والغايات ، فان الإنسان فى حياته الفردية والجماعية ، له غاية يسعى ليدركها ، وهذه الغاية التى يسعى وراءها ، ويكافح فى حياته للحصول عليها ، هى السعادة التى يهتف بها حسه ووجدانه ، وتتراءى له فى آماله وأحلامه ، غير أن هذه السعادة التى هى الأمل المرجى والمطلب المرتقب ، قد اختلفت أنظار الناس فى فهم حقيقتها وتقدير مظاهرها ، وتعيين مواطنها وتحديد وسائلها وذهبوا فى ذلك وراء الأهواء والنزعات مذاهب شتى ، حتى هوى كثير منهم فى تفكيره إلى الحضيض ، فظنوا أن هذا الوجود الإنسانى ، إنما هو أيام تمر ، وأعوام تكر ، وأجيال تتعاقب ، وأعمار يطويها كر الغداة ومر العشى ، وأن متاع الحياة ولهوها ، هو منتهى ما لهـذا الوجود من حكم وأسرار ، وأن الموت هو النهاية الأبدية لوجود الإنسان، فلا بعث ولا حساب ولا جزاء ، وبنوا على هذه الظنون الآثمة، أن سعادة الفرد فى هـذه الحياة التى لا يؤمنون إلا بها ، لا تتم إلا بما يحقق وجوده فيها ، من حيث هو حيوان تتحكم فيه غرائزه ونزواته ، وتستعبده أهواؤه وشهواته ، لا من حيث هو إنسان جعله الله خليفة فى أرضه ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وانتكست عقولهم فى ذلك إلى حد الإسفاف ، فزعموا أن هذا الوجود الذى صوره إسفافهم ، إنما

يحقق بالإلحاد الذى يمثل أبشع ما يتصور من ألوان الجحود والكفران ، فليس شىء أوغل فى جحود الفضل وكفران النعمة ، من إنكار الإنسان لربه وخالقه ، الذى خلقه وصوره وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، ورباه على موائد كرمه وإحسانه ، وبالإباحية الفاجرة المتحللة ، القائمة على الإغراق فى متع الحياة ولهوها ، والتمرد على قوانين الأخلاق وآدابها ، والقضاء على العزة النفسية والكرامة الشخصية ، والقيم الأخلاقية والمعانى الإنسانية .

وهكذا تفاوتت الأنظار والأفهام ، وتباعدت الميول والمشارب ، وضلت العقول وعميت البصائر ، وغابت عنها الحقائق فى غمرة الأهواء والشهوات ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « كذلك زينا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون ، ٦ : ١٠٨ » - « كل حزب بما لديهم فرحون ، فذرهم فى غمرتهم حتى حين ، ٢٣ : ٥٣ - ٥٤ » .

فهذا الأصل كما ترى ، يقضى بحاجة المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان ، إلى هداية مستمدة بالحق من عالم الحق ، لا تقترب من أصولها نزغات الشيطان ، ولا تتحكم فى نظرياتها الأهواء الجامحة ، ولا تتلاعب بأقضيتها العقول الضالة .

الأصل الرابع : أن الإنسان من حيث هو إنسان بعقله وحواسه فحسب ، كثيرا ما يعدو بحواسه وعقله وراء الوهم والخيال ، وينخدع بأضغاث الأحلام وكواذب الآمال ، فيستعملها فى تحقيق أهوائه وأطماعه ، والأهواء لا تقف عند حد ، والأطماع لا تنتهى إلى غاية ، وكثيرا ما تمتد إلى ما فى يد غيره ، فيقع التنازع والتعادى بين الأفراد والجماعات ويشهر القوى على الضعيف سيف بغيه وعدوانه . وقد يصير الضعيف قويا فى غده، فيرد الصاع صاعين لخصمه ، فإن الدهر قلب ، والأيام دول ، والشر بالشر والبادى أظلم ، وبذلك تحل قواطع العداوة والبغضاء ، محل روابط المحبة والإخاء ، هذا هو شأن النفوس الإنسانية فى سيرها وتفكيرها ، ما دامت منطوية على ميول جامحة ، وشهوات مطاعة وأهواء متبعة ، وليس لها مع ذلك عاصم يعصمها ، ولا مرشد يرشدها .

فهذا الأصل كما ترى ، يقضى بحاجة الإنسان فى كل زمان ومكان ، إلى هداية روحية سماوية ، تحرر عقله من تسلط الوهم والخيال ، وتطلق فكره من رق الأهواء

والشهوات ، وتزن مطالب الحياة بميزان القسط والاعتدال ، وتوضح له معالم السير على الصراط المستقيم ، إذ لو ترك الإنسان وشأنه أمام هـــذه العوامل والنوازع ، لتشعبت عليه المسالك ، وتفرقت به السبل ، وطاحت به الأهواء ، وآل أمره إلى الزوال والفناء ولـكن الله الذى أحسن فى كل مخلوق خلقــه ، وأبدع فى كل مصنوع صنعه ، قد أراد لهذا الإنسان أن يعمر الأرض إلى أجل مسمى وأن يبلغ الـكمال الذى قدره له ، ويصل إلى الغاية التى خلقه لأجلها ، فمنحه بفضله ورحمته هــداية تساير مراحل السير وأطوار الحياة فى كل زمان ومكان ، وتضع للسائرين فى ركب الحياة أصول السير وقواعد السلوك التى تحقق لهم وسائل الحياة وأسباب البقاء ، وتدفع عنهم عوامل الشقاء والفناء ، تلك هى هداية الشرائع التى بشرت بهـا الأنبياء والرسل ، والتى تناجى الأحاسيس والمشاعر وتوقظ العقول والضمائر ، وتهيمن على القلوب والأرواح ، وتراقب الإنسان فى سره وجهره ، وتبعث فيه من قوة اليقين وأصالة الرأى وصحة النظر واستقامة الفـكر ما يتغلب به على كل ما يقف فى طريق أمنه واستقراره ، ويذلل به كل ما يعترض سبيل سعادته وكماله ، وبهذه المنة العظمى والهـــداية الـكبرى ، اكتمل للانسان أربع هدايات إلهية وهى : هداية الحواس ، وهداية العقل ، وهداية الوجدان ، وهداية الأديان . ولم تبق حجـة لمحتج ولا معذرة لمعتذر ، . كما قال تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، ٤ : ١٦٥ » .

وأما ما يزعمه دعاة الإباحية والتحلل ، من أن ما وصل إليه الإنسان من الرقى العقلى والفكرى ، وارتقائه فى العـلوم والفنون ، واتساع آفاق حضارته ومدنيته ، يقوم مقام هـداية الدين السماوى ، ويمكن قادة الشعوب والأمم ، من إرساء قواعد النظـام الاجتماعى والسياسى ، على دعائم العلم والحضارة وبناء المجتمعات الصالحة ، التى تكفل لأهلها الأمن والاستقرار ، وتحقق لهم وسائل السعادة والرفاهية .

فإنمـا هو زعم كاذب ، لا يخدع به إلا الذين يقفون بأبصارهم عند ظواهر الأمور ، ولا ينفـذون ببصائرهم إلى بواطنها وخوافيها ، ولسنا فى حاجة إلى استخراج الأدلة على كذب هذا الزعم ، من المـاضى البعيد أو القريب ، ففى الحـاضر أصدق الشواهد وأبلغ العبر ، فإن هـذه الحضارة التى يقدسونها ويتحدثون عنها ، ويريدون الاستغناء بها عن تعاليم الدين ومبادئه ، هى التى ابتدعت لأهلها شر ألوان الفسق وأبشع أنواع الفجور ،

وأمعنت فى الإباحية والاستخفاف بالقيم الأخلاقية إلى أبعد الحدود ، واتخذتها مطامع الاستعمار أسلحة للبغى والعدوان ، ومعاول للتخريب والتدمير ، حتى أصبحت هذه الحضارة نفسها ، مهددة فى كل يوم بالخراب والدمار ، لأنها قامت على الفتح والاستعمار ، واستذلال الشعوب واستعباد الأحرار ، والاستهانة بحرمة العهود والمواثيق والاستخفاف بقدسية الحق والعدل ، فكانت شرا على المجتمع وبلاء للشعوب والأمم .

هذه الحضارة المادية التى يعتزون بها فى تضليل وتدليس ، هى التى أباحت لدول الطغيان والاستعمار ، أن يخدعوا الشعوب المغلوبة على أمرها ، بأنهم هم الذين قرروا حقوق الانسان بينما تراهم يدوسون بأقدامهم أقدس حقوق الإنسان ، ولا يرعون فى حقوق الشعوب الضعيفة ذمة ولا عهدا ، إذ قدروا لا يعفون ، وإذا حكموا لا يعدلون ، وإذا عاهدوا أو حاربوا نقضوا المواثيق والعهود ، واستهانوا بكل عرف وقانون ، لا يعرفون فى حروبهم شفقة ولا رحمة ، كأن قلوبهم قدت من الصخر ، وأجسادهم تقمصت أرواح الشياطين ، ولا يتأثمون من الإمعان فى الطغيان والعدوان ، ولو ملئوا الدنيا خوفا وفزعا ، والأرض ظلما وجورا ، والحياة شقاء وبؤسا ، بل ولو سالت الأودية بالمهج ، واخضلت الترب بالدماء ، وتجاوبت أمواج الأثير بأنين الضحايا والشهداء ، لأنهم لا يدينون بشرائع الأنبياء ، ولا يخافون يوم البعث والجزاء ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، ٢٦ : ٢٢٧ » .

فأى إنسان يحكم عقله وضميره ووجدانه ، لا يرى فيما ذكرناه الأدلة القاطعة على فساد هذا الزعم وبطلانه ، وأن الحضارة عاجزة عن الاستقلال باصلاح حال المجتمع ، وتحقيق سعادته فى المعاش فضلا عن سعادته فى المعاد .

ومما تقدم تتضح الحقائق الآتية :

١ — أن حاجة الإنسان إلى هداية الدين السماوى ، حاجة دعت إليها الفطرة التى فطر عليها ، وقضت بها الحكمة التى خلق لأجلها ، وأن سعادة المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان ، لا تحقق إلا بالسير على هدى الشرائع والأديان .

٢ — أن العقل من حيث هو عقل تكتنفه عوامل الزيغ والانحراف ، لا يستطيع أن يستقل بوضع قواعد السلوك التى تكفل الأمن والاستقرار للسائرين .

٣ — أن العلم البشرى بكل فلسفته وفنونه ، لا يستطيع أن يستقل بإصلاح حال المجتمع الإنسانى ، وأن هذا الإصلاح لا يتحقق إلا عن طريق الجمع والمؤاخاة بين الدين والعلم ، وسيرهما معا فى معترك الحياة جنبا إلى جنب ، الدين للقيادة والتوجيه والإرشاد ، والعلم للكشف والإنتاج والإعداد ، ورجال كل لكل أعوان وأنصار ، والكل فى بناء المجتمعات الصالحة أنداد وأمثال .

٤ — أن ارتقاء الأمم فى ميادين العلوم والفنون الكونية ، إذا لم يكن فى ظلال حياة روحية دينية ، توجهه إلى خير الإنسانية وسعادتها ، فإنه يكون بلاء ومحنة للشعوب والأمم ، وخطرا داهما على الحضارة نفسها كما هـو الواقع الذى نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا ، فلو أن هذه الشعوب التى أحدق بها خطر الجبروت الحربى ، واشتدت عليها وطأة الحضارة المادية ، بأعبائها وأوزارها ، أقاموا صرحها على أساس روحى ، وساروا بها على هدى الدين السماوى ، لكانت من أقوى العوامل فى دعم روابط المجتمع وأنجع الوسائل فى إصلاح حال البشر ، ولو أنهم عادوا بحضارتهم إلى ظلال الحياة الروحية الدينية ، لوجدوا فى صفائها ويسرها وسلمها ، شفاء لما فى صدورهم المتقدة ، وسكنا لنفوسهم المضطربة ، وإحياء لآمالهم المحطمة ، ولعاشوا فى مجتمع سعيد كريم ، يسوده الحب والسلام ، والتعاون والإخاء ، ولكنها الأهواء عمت فأعمت ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ٣٠ : ٧ » « قتل الإنسان ما أكفره ، ٨٠ : ١٧ » « إن الإنسان لظلوم كفار ، ١٤ : ٢٤ » .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

العلاج الذرى فى مصر

يجرى العلاج والأبحاث الآن بالنظائر المشعة فى قسم الذرة الذى افتتح أخيرا بمستشفى المنيل الجامعى بواسطة الأجهزة المستعملة فى الوحدات العلاجية الأخرى ، وفيها عداد الكترونى لقياس كميات الإشعاع وأنابيب حساسة للاشعاعات . وقد اعتمد فى الميزانية الجديدة للمستشفى عشرة آلاف جنيه لهذا القسم ليستورد أحدث الأجهزة لتشخيص قوام المخ ، وللأبحاث الدوية التى تتطلب دقة فى التصوير ولتحليلات الدم والهرمونات المختلفة . وسيصبح هذا القسم أكبر قسم فى منطقة الشرق الأوسط .

حساب العرب والمسلمين مع أمريكا :

قضيتان منفصلتان

تناولت هذه المجلة هجمات الغرب ـ وعلى رأسه أمريكا ـ على العرب والمسلمين من زوايا مختلفة : سياسية واجتماعية وثقافية .

ومن أمانة الحق وحرية الرأى أن نناقش فئة من الناس حسنة النية غيورة على الدين والوطن : هى تتفق مع المهاجمين للغرب ، المنكرين على الاستعمار الأمريكى الجديد ، لكنها فى حيرة .

نعم ... إنها ترى الغرب جديرا بالهجوم والاستنكار ، غير أنها تنظر إلى الكفة الأخرى التى تستفيد من هبوط أمريكا فى الميزان ، ثم تشفق من انتصار النظريات الإلحادية أو النظم الاستبدادية ، فتتردد ، وتتعثر ... وتكاد تتساءل : أليست الحكمة أن نختار أهون الشرين ؟؟

وإلى هؤلاء المخلصين الغيورين ، الذين قد تتأثر عقولهم بما فى الغرب من مثل ، لكن جيوبهم طاهرة مما عنده من دولارات نسوق الحديث .

ولسنا نسوق الحديث لكى يقتنع فرد أو أفراد ، ولكنا نسوقه لأن هذه نقطة منهجية حساسة يحسن أن تستوفى حظها من البحث الهادئ والمنطق الصريح ، إذ أننا نقف اليوم على مفترق الطرق ولا بد أن نعرف إلى أين نسير .

• • •

أول خطأ يقع فيه هؤلاء : أنهم يخلطون بين أوضاع الدول الداخلية ، وسياستها الخارجية ...

إن القومية العربية والبلاد الإسلامية حين تقف في معترك الصراع الدولي لتأخذ حقها وتحتل وضعها لا تفاضل بين المذاهب السياسية والمفاهيم الفلسفية التي تعتنقها هذه الدول ، إنما تقيم سياستها على أساس الاستفادة ممن يريد أن يتبادل معها النفع بغير حيف ، والعداء لمن يريد المساس بمصالحها .

فلسنا نختار بين الشيوعية والرأسمالية ، أو بين (دكتاتورية البروليتاريا) وبين الديمقراطية ... هذا لبس عظيم يدير الرءوس ويفتن العقول ... إن العرب والمسلمين لم يقرروا أن يتنازلوا عن شخصيتهم وفكرتهم ليعتنقوا مذاهب الشرق أو الغرب ، ليختاروا الجنسية الروسية أو الأمريكية ... إنهم عرب ومسلمون يتعاملون مع العالم على أساس المصالح المتبادلة والمنافع المشتركة ! ! !

وليس معنى أن ننتفع اليوم من سياسة دولة ونتفق معها في وجهة نظر دولية أننا نحالفها إلى الأبد ، ونؤيدها في كل شيء ! ! ! هذه غلطة ثانية يقع فيها بعض الناس ... إن السياسة الدولية ليست جامدة خالدة ، وليست المواقف المختلفة (أديان) لا تقبل الردة ! ! إن العرب وقت الحركة العربية التي تلت الحرب العالمية الماضية كانوا - أو كان الكثير منهم - ينظرون إلى أمريكا نظرة تناسب ذلك الوقت وتتفق مع سياسة أمريكا وقتها التي مثلتها مبادئ ويلسن والتي كانت بعيدة عن الصراع الاستعماري المباشر والتي لم يكن قد فارقها تيار (العزلة) عن المشكلات العالمية ... فلما فقدت أمريكا هذا الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، غير العرب والمسلمون وجهة نظرهم بعد أن رأوا أمريكا تتدخل هذا التدخل السافر المعيب ! ! !

والعرب والمسلمون مستعدون أن يغيروا وجهة نظرهم من روسيا إذا غيرت وضعها وموقفها من قضاياهم ... والعرب والمسلمون لهم آراؤهم الخاصة في مسائل كثيرة يختلفون فيها مع الفلسفة السائدة عند الروس ، فليس معنى التعاون الدولي الذوبان والانصهار والتميع ، والتحالف المؤبد والتأييد على طول الخط ! ! ... وإلا فلماذا ثرنا إذن على أمريكا ؟ ؟ ولسنا في هذا بدعا من الناس ... فتيتو شيوعي يتعاون مع أمريكا دون أن يتنازل عن شيوعيته ، ودون أن تتطلب منه أمريكا التنازل عن شيوعيته قبل التعامل معها ، وبريطانيا ديمقراطية رأسمالية تريد أن تتوسع في تجارتها مع الكتلة الشيوعية ولا تساير حليفتها أمريكا في سياستها بالنسبة للصين الشعبية ... والذي لاشك فيه أن سواد

الجماهير ليسوا من الفلاسفة الذين يستطيعون هذا التجريد ، ومن ثم قد تروج نغمات الإعجاب بمبادئ من ساندونا أو أيدونا أثناء هذه الفترة القلقة من الصراع الدولى فى الشرق الأوسط ... غير أن الغلطة الثالثة أن يظن أن هـذا الإعجاب ثمن باهظ وعبء فادح ، بل الحق أن التحيز لمعسكر من المعسكرين هو أكثر ترويجا للدعاية المناهضة له ، ولا يزيد القمع النار إلا اضطراما ... أما إن كان للأمة شخصيتها المعنوية المتميزة فلن يزيدها اطلاعها على ماعند غيرها إلا نضجا واكتمالا واعتزازا ، وهذه مهمة رواد الفكر فى داخل الأمة ولوأدوا واجبهم ، وحفظوا تراثهم ونموا شخصيتهم لما خسروا شيئا ، ولاستفادت الأمة فى كل ميدان ! !

ولقد يقال : إن هناك خطر التحول الانقلابى إذا تعذر التغير الفكرى ! ! والتحول الانقلابى خطر أشد إذا اتبعت سياسة الانحياز ، لأن أخطاء التحيز تتراكم لصالح الطرف الآخر تلقائيا ، وكلما زاد الضغط زادت القابلية للانفجار ! !

لقد خاضت روسيا حربا مع بريطانيا وأمريكا ، وأثارت مقاومة الروس للألمان إعجاب الشعبين الحليفين . . . وانتهت الحرب وخرجت روسيا دون أن تفقد مبادئها ، وأمريكا وروسيا لم تعتنقا الشيوعية هما الأخريان ! !

• وأخيرا : يخطىء الذى يظن أن سياسة الحياد فى المجال الدولى ، والإفادة من كل جانب يحقق لنا نفعا دون تحيز ، معناها : اختيار كتلة وترجيح كفة ... نحن نريد أن نكسب الفريقين ، ولا نستفز أحدهما ضدنا وإلا لما كان لحيادنا معنى ... وما أحلى اليوم الذى توجه فيه الدول الكبرى ميزانيات الصواريخ الطائلة لتتنافس على كسب ود الشعوب وتحقيق رفاهتها وتقدمها المادى والأدبى ! !

إن أمريكا تخطئ كثيرا حين تغلق الباب فى وجوه الذين يريدون التعاون مع الجميع إذ تحتم عليهم الانحياز لمن فتحوا بعض الأبواب أو جميع الأبواب ...

• نحن إذن نريد صداقة الجميع ... هذه سياستنا الخارجية ! !

• ونحن لا نريد أن تعنى هـذه الصداقة استيراد فلسفات وأنظمة لداخل بلادنا ، فإن لنا شخصيتنا المتميزة وأوضاعنا الخاصة ... هذه سياستنا الداخلية .

وليست تعوزنا الأمثلة لتوضيح هذه السياسة .

ولنترك مصر وسوريا اللتين كانتا نهبا لوساوس الغرب وشكوكه ... ولنتجه إلى الهند ... كل ما أصرت عليه الهند هو ألا تنساق وراء الأحلاف العسكرية : حلف بغداد او حلف جنوب شرق آسيا . وبقيت الهند بعد ذلك تتعاون مع الشرق ومع الغرب ، وتتلق ما يستطيع هؤلاء وأولئك أن يعينوها به . وبقيت الهند عضوا فى الكومنولث البريطانى ، وبق نهرو مع حزب المؤتمر فى حرب سياسية فكرية فى الداخل مع الحزب الشيوعى الهندى ، فى حين دأب على أن يحمل أغصان الزيتون والريحان للاتحاد السوفيتى وما فتئ يحاول إدخال الصين الشعبية فى هيئة الأمم المتحدة .

• • •

والغلطة الكبرى أن نحكم على موقف الغرب بأفكاره ونظمه السائدة فى داخله ، ونتجاهل الأفكار والنظم التى يعدها للتصدير ! !

إنها بضاعة مغشوشة تماما ...

إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا (من الداخل) شىء آخر مختلف تماما عن أمريكا وبريطانيا فى الشرق ... الأوسط ، والأدنى ، والأقصى ! !

لن أناقش هنا ما يصيب العدالة من خدوش جزئية داخل هذه البلاد ذاتها ، فما لا شك فيه أن هناك عدالة على كل حال ، وقد أصبحت هذه (العدالة الداخلية) روحا متأصلة لدى الحاكم والمحكوم ، وقاعدة أساسية فى الفكر والمجتمع والدولة ، وإن لم يخل وجه العدالة الصبوح من بقع ولطع داخل هذه البلاد ذاتها .

فمن المعروف قطعا أن اضطهاد الزنوج وإجراءات (مكارثى) ليس مما يشرف أمريكا ، واستصدار قانون خاص يبيح اتخاذ اجراءات استثنائية ضد الجزائريين فى فرنسا ــ وهم وفقا لوجهة النظر الفرنسية جزء من الشعب الفرنسى ــ معناه اضطهاد طائفى عنصرى فى بلد ثورة الحرية والإخاء والمساواة ! !

لن أناقش هذا وسأسلم مع الغيورين على الوطن أن الغرب ديمقراطى ، وأن الغرب مزدهر علميا واقتصاديا ومتكافل اجتماعيا ، وأن الغرب متدين ولا يفتأ يتحدث عن القيم

الروحية والمثل العليا ، ولا يقلقه على الشرق الأوسط إلا أنه مهد الأديان والمقدسات ـ كما قال الرئيس أيزنهاور حين قدم مشروعه للكونجرس الأمريكي ...

فماذا يصيب الشرق من فتات هذه الخبرات الغربية ؟ ؟

ماذا يصيب الشرق على يدى الغرب .

- الديمقراطية السياسية .
- النهضة العلمية والاقتصادية والعدالة الاجتماعية .
- الاتجاه المثالي نحو الدين والأخلاق .

* * *

الإنصاف يقتضينا أن نشهد للغرب بالديمقراطية السياسية على وجه العموم ، مهما أصابها من خدوش ...

لكننا نريد أن نعرف هل يحرص الغرب (عندنا) على تدعيم النزعة الديمقراطية وحماية الحريات السياسية ، ويحرص على أن يتعامل مع حكومات شعبية ديمقراطية ، إذا حدث واتفقت معه ، عبرت بذلك عن إرادة شعبية متأصلة مستقرة ؟؟

حسبي أن نراجع موقف لبنان العريق في الحرية ! ! إن حكومته تريد أن تستصدر اليوم قانونا يبيح لها الاعتقال ستة شهور دون تهمة أو تحقيق أو محاكمة ! !

إن شعوب آسيا وأفريقيا ـ تنبئكم أن هدف الاستعمار الغربي كان دائما خلق حكومات تتعاون معه بأى شكل : (بالنبوت) ، بالديكتاتورية ، بأسنة الحراب ورصاص البنادق وصواريخ الطائرات ـ هذا أمر لا يهم ! !

أليس أولى بالحريصين على الديمقراطية أن يعرفوا أن تأصيل الديمقراطية لا يستورد من الغرب أو الشرق ؟ ؟

وأن أعبث العبث أن ينتظر الشعب من عدوه أن يعلمه الحرية ! ! !

فليتعلموا إن شاءوا من فلاسفة الغرب ومفكريه ، وعلمائه ومشرعيه ، ولكن عليهم أن يتعلموا بجهودهم هم ، وأن يطبقوا ما علموه بكفاحهم هم ، فلا ينتظرون أن تجيء فرنسا (الدولة) لتحتل الجزائر فتقيم فيها فلسفة روسو ومنتسكيو ، ولا يتوقعون أن تسير أمريكا (الدولة) على كلمات نطق بها لنكولن أو واشنطن أو ويلسون أو جفرسون ! !

أما النهضة العلمية والرخاء الاقتصادي عند الغرب فنحن أحوج ما نكون إليهما ، ونحن أحوج ما نكون إلى اقتباس نظم الغرب في التكافل الاجتماعي : تأميناتهم وضماناتهم وتشريعاتهم العمالية . . . الخ .

كذلك نحن محتاجون لدراسة مشروعات الأحزاب الاشتراكية المعتدلة في تلك البلاد .

فهل يتركنا الغرب نوفي احتياجاتنا من هذا كله ؟ ؟

لا ... ولا بعض هـــذه الاحتياجات ، دون أن ندفع الثمن الدموي الباهظ ، ثم التحالف العسكري مع الغرب في حربه المتوقعة مع الشرق ، كي نصير وقـود الصواريخ والقذائف الذرية والهيدروجينية ! !

ونحن نريد فقط ألا يكون لنا شأن بالغرب في هذه الأحلاف ... ونرحب بأن يكون لنا شأن في ثقافة الغرب وفي ثراء الغرب ! !

ومن الطبيعي أن تحرص روسيا على تشجيع رغبتنا في التنائي عن جيوش أعـدائها ، فالأحمق وحده هو الذي يريد من الناس أن يتحالفوا مع الخصم المحارب ...

فما ذنبنا إذن تجاه هذا الوضع الذي نجد أنفسنا فيه ؟ ؟

أمريكا لا تريد منا أي تعاون اقتصادي مع الغرب أو الشرق قبل أن نمهر صك انقيادنا لسياستها العسكرية ، لتطمئن أولا ، ثم تعطينا مما تشاء ، وتصرح لنا أن نأخـذ من غيرها ما تشاء أو ما نشاء ! !

وأمريكا التي عرفت كيف أدى الانهيار الاقتصادي بأوربا بعد الحرب الأخيرة إلى أحضان الشيوعية ، وكيف اضطرت للإسراع إلى تدعيم الاقتصاد الأوربي عن طـريق مشروع مارشال ... أمريكا التي عرفت هذا هي التي تحاصرنا اقتصاديا وتجمد أموالنا ، وتمنع عنا حتى قمح الخبز الذي به نقتات ، ثم تتهمنا بالشيوعية ! !

وأمريكا التي عرفت كيف حافظت الأحزاب الاشتراكية التطورية الديمقراطية على بقية أوربا من أن تقع في أيدي الشيوعية ، وهي التي نجحت ـ لا اليمينيون المتطرفون ـ في الإبقاء على أوربا الغربية ـ وخاصة فرنسا وإيطاليا ...

أمريكا التي عرفت هذا هي التي تفسر كل خطوة نحو رفع مستوى المعيشة عندنا بأنها شيوعية ... وتفسر كل نغمة اشتراكية عندنا بأنها شيوعية ... وحزب البعث الاشتراكي

السورى يردد دائماً أن اشتراكيته مستوحاة من احتياجات أمتنا العربية لا من الفكر الماركسى ، والشيوعيون يسخرون دائماً من هذا المفهوم القومى العجيب لفكرة عالمية كالاشتراكية ، ومع ذلك فالبعثيون عند الأمريكان شيوعيون ! !

أليس لنا العذر بعد ذلك أن نوقن أن أمريكا تبنى سياستها معنا على أن الشرقيين لا يصلحون للديمقراطية الغربية ... ولا يفهمون كيف يفرقون بين الاشتراكية والشيوعية ... ولا يصلحون لمستوى أرفع من الحياة الاجتماعية أو السياسية ؟؟

• • •

بقيت مثالية الغرب الأخلاقية والدينية .

ونحن لا ننكر على الغرب أن الدين والمؤسسات الدينية فيه أكثر نشاطاً ، وأعمق جذوراً مما عند الشرق ... ولكننا كما قلنا لا نريد أن نستورد أفكار السوفييت حين نتعاون معهم ... ثم إن المفهوم الدينى عند الغرب مفهوم غريب علينا تماماً ؛ ومن هنا علينا الحذر من اللبس والاختلاط .

إن الذهاب إلى الكنيسة والانضمام لجمعيات الدينية فى الغرب لا يتناقض إطلاقاً مع الإباحية ــ أو التحلل على الأقل لا فى العلاقات الجنسية ... مع رقصة الروك آند رول ، مع التقاليع الوجودية ... مع الخمر والميسر والسهرات الصاخبة ... مع الاستبداد فى حكم الآسيويين أو الأفريقيين ! !

فهل هذا هو التدين والتخلق ، اللذان يراد أن نتحيز لها ؟؟

نستطيع أن نقرأ للفلاسفة الغربيين فى الدين أو الخلق ... ونستطيع أن نعجب مما يستحق الإعجاب ، ونقتبس ما يستحق الاقتباس ... لكن حذار من الدين والخلق عن طريق (الدول والحكومات) و (المنظمات) وخاصة التى ترعاها الدول والحكومات !

إن تدين أمريكا خلق إسرائيل لتبق ، وأقام دولة للذين صلبوا المسيح فى عرف الأمريكان ... وإن أخلاق أمريكا شردت مليون لاجئ فى العراء عشر سنوات ، والبقية تأتى ! !

وأخلاق أمريكا (السياسية) سمحت لها أن تعاون تيتو الشيوعى وفرانكو الفاشى لكنها الهبت ضميرها لتقاطع مصر وسوريا ، وتضغط على مصر وسوريا ! !

وتدين أمريكا (السياسى) أنتج مشروع أيزنهاور من أجل الشرق الأوسط ، مهد القيم الروحية .

وإخلاص أمريكا للأديان أنتج مفاهيم الإسلام (المتأمرك) ، التى لا يقبل غيرها من المسلمين إذا كانوا من (العالم الحر) .

فإما أن يتسع الإسلام فى الشرق للتناقض الذى اتسعت له المسيحية فى الغرب . وإما أن يكون الإسلام جامدا عاجزا عن (التطور) مع العصر والعلم .

* * *

وبعد : فهذا موقفنا من الغرب ...

نحن نقف ضد البغى ، لا ضد الغرب ... والغرب باغ معنا حتى إنه ليستنكر مبادئه ونظمه علينا ، ويتعامل معنا بنقيض فلسفته التى يتباهى بها ويتحاكم إليها فى دياره .

ونحن مع هذا البغى لا نريد أن نتنكر للغرب جملة ، وإنما نريد أن نتوقى شره ، ونفيد من خيره ، كما نفيد من غيره .

فهل هناك بعد هذا ما يتلجلج فى صدور الذين يغارون على الدين والوطن ، وقد أمرنا ديننا أن نقاوم البغى حتى من الذين آمنوا « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » . ذلك أن الباغى لا يبقى وهو مؤمن « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

فتحى عثمان

التحرير العربى

قال السيد عبد الخالق حسونة (أمين الجامعة العربية) وهو فى نيويورك : « إن العرب قد عقدوا العزم على أن تبقى بلادهم حرة إلى الأبد » .

الإسلام والمسلمون فى صحف العالم :

ألمانيا وموقفها من العالم الاسلامى

ماذا نعرف عن المسيحية فى روسيا

ألمانيا والعالم الإسلامى :

فى مقال طويل انتقدت مجلة « الأمم الإسلامية المتحدة » التى تصدر فى تركيا تصرفات حكومة ألمانيا الغربية ضد العرب والمسلمين . فقالت : « إن حكومة بون على وشك أن تفقد العالم العربى الإسلامى لأنها تقدم المساعدات الهائلة تحت ستار التعويضات إلى ما يسمونه بحكومة إسرائيل ، وألمانيا تعلم أن إسرائيل لن تستخدم هذه المساعدات . وفيها ما فيها من المعدات الحربية والعتاد . إلا فى شفاء غليلها باراقة دماء الأبرياء من العرب والمسلمين » .

ثم أبدت المجلة عجبها من أن تضحى ألمانيا بصداقتها التقليدية مع العالم الإسلامى لكى تكسب ود اليهود ، وقالت : إن هذا التصرف قد أثار الغضاضة والامتعاض فى الأمم الإسلامية ، ومن جرائه أوشكت حكومة بون أن تفقد أسواقها فى العالم الإسلامى .

ثم أشارت « مجلة الأمم الإسلامية المتحدة » إلى ناحية أخرى من تصرفات ألمانيا العجيبة إزاء العرب والمسلمين فقالت : وفى الوقت الذى تتجه فيه حكومة بون إلى توثيق صلاتها مع الغرب وإلى تعضيد اليهود نراها تضطهد الصحف الموالية للعرب والتى تنصر القضايا العربية والإسلامية وتسوق محرريها إلى المحاكمات الإرهابية ، وضربت المجلة مثلا لذلك بما اتبعته حكومة ألمانيا فى اضطهاد « أحد إخواننا من المسلمين وهو أحمد فرنز رصلر الذى نادى بأعلى صوته بحقوق العرب فى فلسطين . وقد كان « لأكثر من ست سنوات عضوا فى البرلمان . وهو صاحب الخطاب البرلمانى المشهور الذى هاجم فيه الصهيونية مهاجمة شديدة ، وتناول تفاصيل مشكلة فلسطين وحقوق العرب فيها ، فكان

أول خطاب من نوعه فى برلمان ألمانيا الغربية يندد بالصهيونية . فكان أن قدمته الحكومة أخيرا إلى المحاكمة وكل تهمته أن جريدة فى الأرجنتين عالجت هذه المشكلة واستشهدت بكلامه ، وأكثر من هذا غرابة فان المحكمة قررت تجريده من حقوقه كمواطن وهى الحقوق الواردة فى دستور جمهورية بون الاتحادية . .

ثم ختمت المجلة مقالها قائلة : إن الدكتور أحمد فرنز قد رفع شكوى إلى جميع رؤساء البرلمانات فى العالم العربى الإسلامى وشرح فيها تفاصيل قضيته ، وهى إحدى القضايا التنكيلية ضد أولئك الذين يعلنون بصراحة عن اليهودية العالمية فى ألمانيا الغربية ، ونحن المسلمين نعلم ذلك ، ونعلم أنه لا يزال لنا أصدقاء فى ألمانيا سينطقون بالحق حتى النفس الأخير ، وهؤلاء الأصدقاء هم الشعب الألمانى النبيل .

انتهى ما قالته المجلة الإسلامية التركية ، وكل ما قالته صحيح ، ولكن فى مقام الإنصاف نحب أن نسأل : ترى من هو المسئول الحقيق عن هذا كله ، وأكثر من هذا كله ، مما تصنعه حكومة ألمانيا الغربية تجاه العرب والمسلمين ؟

وأعتقد أن الجواب عن هذا لا يحتاج إلى بحث ، فإننا نعرف أن حكومة بون ليست إلا ألعوبة فى يد دول الغرب ، وبيد أمريكا خاصة ، فهذه الدول الاستعمارية هى التى فرضت على ألمانيا مبدأ تعويض إسرائيل ، وهى التى أجبرتها على أن تدفع من دمها الملايين لتعويض الدولة الصهيونية والشعب الألمانى لا يجد القوت ، وأبناؤه ينامون فى العراء بعد أن هدمت الحرب دورهم وبلادهم ، وما دام الأمر للدول الغربية وهى التى خلقت إسرائيل ، وما دام الأمر لأمريكا وهى لعبة الصهيونية ، فأحسب أن الأمر يكون من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان .

إنه منطق الاستعمار . وما زالت ألمانيا الغربية تعيش تحت وطأة الاستعمار الغربى وجيوشه الجاثمة على قلب الألمانيين ، وليست حكومة بون إلا آلة فى يد هذا الاستعمار تنفذ رغباته . وتسير بتوجيهه ، فمن الإجحاف أن نعد ألمانيا مسئولة عن تلك المجافاة للعرب والمسلمين ، وإنما هو الاستعمار الغربى وحقيقته المعروفة ، ويوم يقدر لألمانيا أن تنطلق من ربقة هذا الاستعمار ، وأن تطهر من رجسه ، فأننا سنجد ألمانيا على حقيقتها التى عرفناها على مدى الأيام .

المسلمون فى روسيا :

كتبت مجلة « الإسلام » التى تصدر فى كراتشى مقالا عن الشعوب الإسلامية التى تعيش فى داخل الاتحاد السوفيتى فوصفتهم بأنهم ضحايا النظام الشيوعى الذى لا يعترف بالعقيدة الدينية ، وقد أوردت المجلة سلسلة من الاضطهادات والفظائع التى نزلت بالمسلمين فى عهد الحكم الشيوعى الذى يستهدف تقويض دعائم الولاء للاسلام فى نفوس معتنقيه كما تقول المجلة ، وما أريد أن أنقل هنا شيئا مما كتبته « الإسلام » عن هذه الاضطهادات والفظائع ، لأنى أحب أن أكون منصفا فى هذا المقام ، ولست أدرى هل كتبت المجلة ما كتبت بدافع الغيرة على الحق والإسلام وأنها تسوق فى هذا حقائق حققتها ، أو هى تستجيب فى ذلك لغرض آخر .

ومنذ أعوام ونحن نسمع كلاما كثيرا عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، ولكنه مع الأسف كلام الدعاية السوفيتية التى تزعم أنهم يعيشون فى جنات النعيم ، أو الدعاية المعادية التى تؤكد أنهم يقيمون فى الدرك الأسفل من السعير ، وفى غمرة الدعايات تضيع عنا الحقيقة التى يمكن الاطمئنان إليها ، والتعويل عليها ، وإنى لأعجب للهيئات الإسلامية فى بقاع العالم الإسلامى كيف لا تفزع لهذا الأمر فتوفد بعثة من رجالاتها يطوفون بتلك الأرجاء ويقفون على حال المسلمين فيها بأنفسهم ، ويعلنون ذلك للمسلمين حتى يطمئنوا على أولئك الملايين من إخوانهم فى حياتهم وفى عقائدهم .

إنه فيما أرى عمل واجب ، فان من التفريط أن تضيع حقيقة الحال لعشرات الملايين من المسلمين فى غمرة الدعايات المغالية ، فهل للهيئات الإسلامية أن تبادر إلى النهوض بهذا الواجب ؟!

محمد فهمى عبد اللطيف

يهود المغرب

أصدرت حكومة المغرب قانونا بمنع الهجرة الجماعية إلى إسرائيل ، وطردت أعضاء الوكالة اليهودية فى طنجة ، وأن ٩٨٠ يهوديا من الذين يعيشون فى طنجة منعوا من مغادرة البلاد نتيجة لهذا القانون ، وأن ١٤٠٠ يهودى آخر كان ينتظر أن يغادروا البلاد فى الشهرين الماضيين لولا صدور ذلك القانون .

وقد ألف اليهود عصابات سرية فى طنجة لتهريب اليهود سرا إلى إسرائيل ، لكن حكومة المغرب واقفة لهم بالمرصاد .

الروح

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ،
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . قرآن كريم

آمنت بالله القوى المبدع ... مالى يدان بكشف ذاك البرقع
ذهب الذين تطلعوا لم يظفروا ... وعجبت بعدهم من المتطلع
لا لا سبيل إلى الوصول فكلنا ... ألقى عصاه وما استقر بموضع
وسمت أداة العلم كل جليلة ... فاذا انتهى للروح أخفق لم يع
ألزمته قنعا ولولا أنه ... ألقى السلاح مسلما لم يقنع
ضاقت به أرض فطار محلقا ... بك وامتطى الأمواج غير مروع
يا روح أنت شعاع كل مخبأ ... تجلين ظلمته بنور ساطع
أما حجابك مذ هبطت فسره ... عند الإله ولا سبيل لطامع
أنت الصحاب على بساط مسرة ... يتنقلون مع الحديث الممتع
وأراك إن طوى البساط جمعتهم ... متفجعا يحنو على متفجع
أنفاس من زهدوا وصوت تسبيحهم ... يا روح أنت ودعوة المتضرع
لله أنت معجب أسراره ... أنى اتجهت لغاية سارت معى
النور للعينين أنت وللنهى ... فتمنعى ماشئت أن تتمنعى
عجبا تكاد لقربها تدنو إلى ... لمسى فان حاولته لم أستطع
إن الذى أدريه أنك قوة ... ذلت لسلطان القوى المبدع
ماكنت مزمعة إلينا رحلة ... صونا لنورك أن يحل ببلقع
وأراك بعد رضيته مرضية ... «ولو استطعت إقامة لم ترمعى» [١]
الجسم أنت بنيته وأراك إن ... هدم البناء فزعت لا لا تفزعى

---

[١] الشطر الذى بين القوسين لشوقى من قصيدته « النفس » .

لك عودة يا روح بعد وإنها عهـد وما عهـد له بمضيع
ويحى عليك إذا غلبت بحاة مسنونة : نور طفى بمضيع
باداك نهـج للنبى محمد والروح عيسى بن البتول فاشرعى
صونى جلالك أن يهـون بطينة يا روح صونينى به وترفعى
يا روح أنت إذا صفا بك مؤمن وأتى بما لم تأته لم يدفع
سل خضر موسى عن روائع آيها وسل الكليم مفارقا لم يسطع
وسل السفينة والغلام .. فانها نطقت بآى كالضياء الساطع
هى إن صفت منحتك علما عاليا وسمت بنفسك فى تقى المتواضع
لا لا تقل أربابها ذهبوا بها وكن الطموح بها لأرفع موضع
أعطيتها لأصير روحا صافيا ويحى عرفت وما انتفعت بما أعى
توفيقك اللهم كى أرقى بها متخلصا من كدرتى بترفعى
جسمى وروحى أنت أقرب منهما ربى بقربك كن إلهى رافعى
فلعلنى بالروح أسكن جنة قد صورت بيد العلى المبدع

سيد عبد الرءوف سيد
المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

أزياء السيدات

قال النائب سيد جلال فى جلسة مجلس الأمة يوم ٢٥ سبتمبر :

إن الدستور نص على أن الأسرة أساس المجتمع ، وأن الدولة تحمى المواطنين ، والذين يحكمون مصر منذ خمس سنوات هم أكثر الناس احتشاما ومحافظة على الآداب العامة . وطالب الحكومة بأن لاتقف من هذا الموضوع موقفا سلبيا ، كما طالب بأزياء خاصة لطالبات الجامعة والمدرسات والموظفات .

فأكد له وزير الداخلية اهتمام الحكومة بالآداب العامة ، وقال : إن مثل هذه المسائل الحساسة يجب أن تؤخذ بحذر ، وأن تدرس دراسة وافية قبل اتخاذ إجراءات معينة . وقد شددت حكومة الثورة العقوبة فى كثير من المسائل المتصلة بالآداب العامة ، وإن الحكومة مهتمة بالاتجاه الذى ينادى به السيد العضو .

أخى العربى

مناجاة الروح للروح ، وهتاف القلب للقلب ، ونداء الدم للدم

أخى العربى :

أخوتنا لم تعد كامنة وراء الحدود الإقليمية تخشى عبورها أوتهاب اجتيازها ، بل سيمحو وجودها كل ما تصنع يد السياسة من الحدود والحواجز حينما ترن الصيحة : أخى العربى .

لقد زحفت العروبة بإيمانها وبنارها وحديدها ، وبوعيها ويقظتها ، تحت لواء القومية العربية ، فحطمت القيود ، وامتهنت حملة القيود وسخرت من صانعى القيود حينما أذن البعث ونادى مناديه : أخى العربى .

إنها أخوة فى الله تنبثق من الإيمان الذى تخفق به القلوب ، وتحيا بحرارته القلوب ، وتستمد وجودها منه القلوب . وإن الأخوة المنبعثة من هذا الإيمان لتسخر من الدولار ومن عابدى الدولار حين تستهدف العروبة لبراثن الغدر أو تلتق حولها مخالب الطمع فتصيح : أخى العربى .

وإنها أخوة فى الدم الذى تنبض به العروق ، والذى ورث فيا ورث عن الآباء أعظم معانى الشمم وأصدق آيات الإباء ، فالدم المصرى فى كرم عنصره أخ للدم السورى فى طيب أصله ، وكلاهما أخ للدم العراقى فى عراقته والأردنى فى شرفه والجزائرى والتونسى واليمنى والسودانى فى صفاء معدنه ، وكله وليد الدم العريق الذى كان يعيش فى الحجاز ونجد فى صدر الإسلام عصر الكفاح والقوة ، وهذه الأخوة فى الدم تأبى أن يجد بينها المتآمرون على العروبة كمينا يديرون فيه تآمرهم أو ينصبون حبائلهم ، كما تأبى أن تعلق بها

الشوائب الخبيثة أو يعيش على حسابها المستغلون ، وإنها ستلتقى حشودا عارمة تجرف المتآمرين وأذناب المتآمرين حين يدوى النداء : أخى العربى .

وإنها أخوة فى الوطن الوطن العربى الكبير الذى يمتد من المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب إلى الخليج العربى فى أقصى الشرق ، الوطن الذى يعيش على أرضه الملايين من الشامخين الأباة الذين عانوا مرارة الذل ولم يستمرئوا قسوة العبودية . وهذه الأخوة الوطنية ستنتفض جبارة عنيفة من الجبال والسهول والوديان والأغوار والكهوف والمعاقل والحصون والقصور والأكواخ ، من كل شبر فى أرض العرب ، فتعصف بصلف المغرورين حين تسمع الصيحة : أخى العربى .

أخى العربى :

إنه صراع بين العروبة وأعدائها ، صراع بين العدل والظلم ، صراع بين الإنسانية السامية ووحشية الغاب ، شهدت أرض الجزائر معركته الأولى ولم تزل تشهد شمس كل يوم مجزرة بشرية على أرضها ، ولم يزل السفاحون يدعون أنهم حماة الإنسانية وهداتها ورسل السلام ودعائمه ، ولن يخدع شعب الجزائر ولن تلين قناته ، بل سيظل يكافح غير قانط من نصر الله ولا يائس من رحمة الله ، وحسبه الأخوة العربية فهى خير سلاح يعتز به فى معركته .

ثم زحف الصراع ليفتح جبهة أخرى فكانت على أرض مصر المعركة الثانية ، وكان الصبر والإيمان والأخوة العربية خير أسلحة المعركة التى أحرزت بها مصر نصرها ولم يزلزل فشل الغرب فى هذه المعركة أطماعه ، بل تغير وجه المغير وتطلع إلى أن يحمل على أرض سوريا الحبيبة المعركة الثالثة ، ولكنه سيجنى هنالك الدمار ، سيجد المعجزة التى لا تقهر ، وسيرى صانع المؤامرات كيف يدحره صانع المعجزات .

إن الإخوة العربية يومئذ ستنبعث من وراء الحواجز والحدود غير عابئة بالدمى المسخرة التى صنع منها الدولار أشباه رجال ، ستنبعث لتمحق عتو العتاة وتدوس كبرياء الطغاة ، ستنبعث لتطهر أرض العروبة من الاستعمار ومن قواعد الاستعمار .

ثم هو صراع يا أخى العربى بينك وبين الطواغيت التى تستبد بك وتعبث بمصيرك وتلهو بعزتك وتلعب بكرامتك ، وتتخذ من جماجمك معارج لشهواتها ، فلا تستسلم أبدا ، ولا تهن أبدا ، ولن يخذلك الله أبدا .

أخى العربى : إن يدى ويدك أمام تطاول الأحداث وتصاول الملمات قوة تحطم أمام بأسها أنكى النوازل وأقسى الشدائد .

وإن قلبى وقلبك فى ميادين الكفاح سلاح يجد أمامه فى يد العدو كل سلاح .

وإن إخلاصى وإخلاصك عدة تقضى على تآمر الطامعين .

وإن ثقتى وثقتك هما النور الذى يطلع على دنيانا الرهيبة المشحونة برائحة الموت فيبزغ به صبح الأمل والحياة .

فلنقتحم معا عاتى الأهوال ، ولنستعذب مرارة النضال ، فاما إلى الصدر ، وإما إلى القبر ...

محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

خريطة عربية لسواحل أوربا

من القرن السادس الهجرى

قامت بعثة جامعة الدول العربية لتصوير المخطوطات بزيارة مكتبة الأمبروزيانا ، وقد عثرت فيها على خريطة عربية من القرن السادس الهجرى تبين الطرق البحرية التى كان الملاحون العرب يسترشدون بها بين إيطاليا وفرنسا وانجلترا وأسبانيا عند ما يحرون إليها من سواحل شمال أفريقية ، وهذه الخريطة دقيقة جدا ولا تكاد تختلف عن الخرائط العصرية ، وقد أثبتت فيها أسماء الثغور والبلاد الأوربية بالحروف العربية كما كان ينطق بها البحارة العرب فى العصر السادس الهجرى .

حصوننا مهددة من داخلها

دعوة الاستعمار إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام

تعددت مصادر الثقافة فى عصرنا وتنوعت ألوانها ، فلم تعد المدرسة وحدها هى المصنع الذى يصنع فيه الرجال وتصاغ الأجيال . فقد أصبح ينافسها فى هذا الميدان كثير من القوى الجديدة التى ولدتها المدنية الحديثة ، ينافسها فى ذلك المطبعة بما تخرجه من كتب ومن صحف ومن نشرات ، وتنافسها فيه الإذاعة بما توجهه من كلمات وألحان فى مختلف الصور والألوان ، وتنافسها فيه السينما بما تجسمه لوحتها الخداعة من حكايات وما تعرضه من فنون وشئون ، وتنافسها ألوان أخرى أقل أهمية ، مثل المحاضرات والندوات والمسامرات والمؤتمرات ، التى تعقد فى الأندية وفى المواسم بمختلف صورها وفى الجماعات ، ومثل شركات تسجيل الأغانى ، ودور اللهو والتمثيل .

كل هذه الألوان من مصادر الثقافة فى عصرنا تبين أن وزارة التربية والتعليم لم تعد وحدها فى هذا الميدان ، وأنها لا تستطيع أن تنهض بعبئها ما لم تجد عونا يشد أزرها من كل هذه الأدوات الضخمة ، ومن العبث الساخر والجهد الضائع أن تنفق هذه الوزارة ما تنفقه من جهد ومن مال بينما الأدوات الأخرى تتعقب جهودها وآثارها ، تنقض ما أبرمته ، وتشكك فيما قررته ، وتدعو إلى ما حذرت منه وحرمته ؛ وتقيم للناس مثلا وتبتدع لهم طرائق وعادات مما تقترحه أو تختلقه ، هى على نقيض ما تريد المدارس أن تزرعه وأن تؤسسه فى أخلاق النشء ، وتصرف القراء عن الجد من القول إلى الهزل ، وعن النافع المثمر إلى التافه الغث ، فتخلق أمزجة فاسدة باردة لا تجد لذة ومتاعا إلا فى الساقط من القول واللهو من الحديث . من الواضح أن الدولة التى تنفق أموالها وتستهلك جهودها وقواها فى إنشاء المدارس وفى إعداد القائمين عليها وفى إحكام نظمها وبرامجها وألوان النشاط فيها ، ثم تسهو بعد ذلك عن هذه القوى الخطيرة التى تشاركها فى هذا الميدان ، فتترك سبلها ومنافذها مفتوحة لشهوات المأجورين والمخدوعين ومطايا الشياطين من الفاسدين والمفسدين ، تفعل ذلك تقديسا للوهم الذى أقامته الثورة الفرنسية

اليهودية وزخرفت له اسما خداعا خلابا فسمته « حرية الرأى » أو « حرية النشر » أو « حرية الفرد » ، وما هو فى حقيقة الأمر إلا وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان ، حتى يتمكنوا من السيطرة عليها جميعا بعد أن يقضوا عليها قضاء مبرما [١] . إن الدولة التى تفعل هذا كالنافخ فى قربة مقطوعة ، أو الجابى فى حوض مثقوب .

وقد أنشئت فى مصر وزارة للارشاد القومى نرجو أن يكتب لها التوفيق فيما تنهض به من عبء ليس بالهين ولا بالقليل ، وواضح من اسم الوزارة أن مهمتها هى الإرشاد ، أى الهداية التى تنقذ من الغى والضلال ، وتهذب الطبائع والخصال . فليس من عملها أن تستجيب لأهواء الناس وتتبعهم فيما يشتهون ، لأنها تقود ولا تقاد ، ولأن مهمتها – كما يدل عليها اسمها – هو الإرشاد ، وليس التسرية ولا التلهية والترفيه ، وإن كان بعض ذلك قد يتخذ ثوبا للارشاد ، فلا يكون مقصودا لنفسه ، ولكنه وسيلة لما انتدبت له هذه الوزارة الخطيرة من أمر ، ثم إن هذا الإرشاد محدود بحدود ، مقيد بقيود ، فهو إرشاد قومى ، أى أنه يخدم هدفا معينا هو خدمة قوم بعينهم لهم دين معروف ولهم قيم خلقية واجتماعية محددة مقررة ، ولهم سياسة ومصالح رسمتها الدولة فى دستورها وفى قوانينها . فارشاد هذه الوزارة إذن هو فى حدود واضحة بينة المعالم والمناهج ، وليس متروكا لشطحات الشاطحين ونزغات النازغين من كل ذى هوى يزعم أن ضلاله هو عين الرشاد ،

---

[١] أكثر الناس يجهلون أن شعار الثورة الفرنسية اليهودية : « الحرية والاخاء والمساواة » هو من وضع مجمع بوردو الماسونى ، وهو شعار لم يخدم إلا الأقلية اليهودية . إذا مهد لسيطرتها بنشر الفساد ، وأعانها على هدم سلطة الكنيسة وتقويض كل القيم ، باسم الحرية . وحماها فى الوقت نفسه من تعصب المسيحيين على الأقلية اليهودية التى تستأثر بالسلطة من طريق المال ، باسم الاخاء والمساواة . ومن أعجب ما يخضع له الناس من أوهام ، مما روجه اليهود ، تسمية الصحافة « صاحبة الجلالة » ، وإحاطتها بهالة من القداسة تسمح لأى أفاق مدسوس على قومه ، أو فاسق مريض القلب واللسان ، أن يلفق من الأضاليل ما يريد وما يراد له ، وأن يدسها على عقول السذج من الأحداث والأغرار ، والحمق من ضعاف العقول ، باسم العلم والثقافة والحرية والتمدن ، مادام قادرا على تأثيث دار الصحافة ، بماله أو بمال غيره وسيطرة التنظيمات اليهودية على الصحافة العالمية وعلى وسائل النشر مشهورة معروفة . فرواج هذا الوهم بين الناس باسم « حرية الرأى » هو أكبر ما يمكن للدعاية اليهودية ويدعم سلطانها .

ويضع للهداية وللإرشاد مقاييس لا يدرى أحد من أين جاء بها ، ويعرف الخير والجمال تعريفات ينكرها ديننا وخلقنا ، ويسوق القول فى مضايق ومآزق تعارض ما رسمت الدولة لنفسها من سياسة وما رضيت الأمة لنفسها من دستور .

ومع ما يدل عليه اسم الوزارة من معنى محدد يرسم منهجها بما لا يكاد يحتمل لبسا أو غموضا فالمتأمل فيما يخضع لها من مصالح وأقسام وإدارات يجد عجبا فيما يمر به من متناقضات ، يخيل إليه معها فى كثير من الأحيان أن مخالفة المنهاج أمر مقصود من فاعليه ، لم يتورطوا فيه عن خطأ أو نسيان .

خذ لذلك مثلا من الإذاعة . فالسياسة التى تجرى عليها هى إشباع الشهوات لا الإرشاد، وهى فى كثير مما تهز به أجواء الأرض من كلمات أو أصوات تفسد ولا تصلح وتغوى ولا تهدى ، وتحتاج لمرشد مع أن مهمتها هى الإرشاد . فقصصها المسلسلة مثار للفزع الذى يقلق النفوس ويسقم الناشئة ويجنح بطبائعهم إلى الانحراف ، بما يدور حوله سياقها من جرائم تظهر عتاة الأشقياء فى مظهر الأبطال ، وبما تعرضه من نماذج لنفوس فظة مريضة ، وبما توحى إلى أبنائنا وبناتنا من سلوك منحط سافل يتحدى خلقنا الإسلامى بما يزوره ويزيفه من مبتكرات الوهم الكبير الذى يسمى « علم النفس » وبما تقدمه لهم من نماذج لأساليب الكتابة والخطاب فى أحاديث الغرام ورسائله وتأوهات المغرمين والمغرمات، وتماوت المتهالكين والمتهالكات من الممثلين والممثلات .

وقد يكون تأثير مثل هذه الحكايات الملفقة والحوادث المصنوعة ضعيفا على كبار النفوس وناضجى العقول من ذوى التجربة والمثقفين ، لأنهم لا يندمجون فيما يسمعون ، فهم دائما على ذكر من أن الذى يسمعونه هو مجرد أوهام لا تمت للواقع بصلة ، ولكن الشباب والأطفال وضعاف العقول لا يفرقون بين ما يسمعونه فى الإذاعة وبين ما يشاهدونه فى الحياة ، ولا يميزون بين القصة التى يشاهدونها على لوحة الخيالة وبين واقع الأمر فى الحياة . فهم يندمجون اندماجا كاملا فيما يرون وما يسمعون من ذلك كله ، فتجذبهم الأحداث إلى الهياج تارة وإلى البكاء تارة أخرى ، وتنطبع آثارها فى نفوسهم فتصبح جزءا أصيلا من مشاهداتهم وتجاربهم ، بل إنها تصبح آصل من كل ما شاهدوا وما جربوا لما يحيطها من عوامل الإغراء والإقناع والتأثير التى افتن فيها مخرجوها وبالغوا فى ذلك أقصى الطاقة والجهد .

فإذا انتقلنا من القصص إلى البرامج الأخرى على اختلاف أسمائها سمعنا أسئلة توجه إلى الريفية الساذجة وإلى « بنت البلد » المحافظة عن العشق والغرام تطمئننا إجاباتها إلى تقدم المرأة المصرية بعد أن زالت عنها أعراض (داء) الحياء القديم . كما نسمع نصائح من المخمورين والحشاشين وعتقاء السجون ، ونسمع خلال ذلك أبغض الأغاني إلى أصحاب الطبائع السليمة المستقيمة مما يطلبه هذا الحشد الذي لا أدري أهو مصنوع ، أم أن الصدفة وحدها هي التي ألفت بينه وجمعته .

وإذا أرادت الإذاعة أن تسرى عن سامعيها وتذهب عنهم ما ألم بهم من الملل ، من آثار ذلك (الجد) الذي عرضنا بعض نماذجه ، أسمعونا في « ساعة لقلبك » ـ وما أظن أن القلوب المقصودة بالخطاب إلا قلوب الفارغين والغافلين ـ سيلا من الشتائم النابية ، والمهارشات الفظة الهابطة ، التي لا ترعى حرمة ولا تعف عن لفظ ، ورأينا تسفلا إلى أحط المستويات الخلقية والاجتماعية ، تقدمه هيئة كان يظن أن مهمتها هي الارتفاع بالمتخلفين إلى مستويات فكرية أرقى ، وليست هي النزول بالمستمعين إلى مستواهم .

وأعجب ما يحتج به القائمون على هذه البرامج وعلى غيرها من ضروب التلهية شيء جديد من مبتكرات هذا العصر ، افتتن به القرود المقلدون أيما افتتان ، ورصدت له مصلحة الفنون ومجلس الآداب شطرا كبيرا من جهودهما ، اسمه « الفولكلور » . والفولكلور (Folklore) اصطلاح ظهر في أوربا في منتصف القرن الميلادي الماضي ليدل على الدراسات التاريخية التي تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم وخرافاتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم وما يجرى على ألسنتهم من أغان أو أمثال أو شتائم أو مراث أو أهازيج . يدرس ذلك كله من خلال الآثار والعاديات ، كما تستقصى آثاره الباقية في الجماعات البشرية المعاصرة . وقد انصرفت هذه الدراسة في أكثر الأحيان إلى المجتمعات المتخلفة وإلى المستعمرات ، بقصد التعمق في تحليل نفوس أصحابها وإدراك دوافعها ونوازعها ، وفهم ما ينتظم عواطفها وتفكيرها من منطق ، بغية الوصول إلى أمثل الطرق وأحذق الخطط للتمكن منهم واستغلالهم واستدامة عبوديتهم (١) . ولما استولى علينا حب التقليد للأجنبي في الشر والخير ، كان من بين ما ابتلينا به أننا أصبحنا لا نعجب

---

(١) كذلك نشأت هذه الدراسات في أول أمرها ، وإن كان هذا لا يمنع من أنها قد امتدت في السنوات الأخيرة إلى دراسة المجتمع الأوربي في مختلف البلدان والبيئات .

بأثر من آثارنا أو عادة من عاداتنا حتى نسمع تقريظ الأجنبى لها فنقرظها تبعا له ، أو نرى اهتمامه بها وعنايته بدراستها فندرسها اقتداء به . وقد ظلت « ألف ليلة وليلة » دهورا لا يكترث لها إلا السوقة والفارغون وأصحاب المجون حتى رأينا الأجانب يترجمونها ويوهمون الناس أن حياة الشرقيين ليست إلا صورة مما تسوقه أقاصيصها ، فتنبه علماؤنا عند ذلك لها ، وتناولتها أقلامهم بالدراسة والتنقيح والتهذيب والاقتباس . وكذلك كان شأننا مع دراسات « الفولكلور » . ولما كنا نجهل أهدافها الحقيقية الأولى ظننا أن المقصود هو الإشادة بهذه الألوان الشاذة حينا ، والبذيئة حينا آخر ، والمتخلفة تارة أخرى ، فاتجه همنا إلى الدفاع عنها وتمجيدها ، والمحافظة عليها وتجديدها ، بزعم أنها طابعنا القومى المميز الذى لا ينفك عنا ولا ننفك عنه ، وكثر خلط المخلطين وتهويش المهرجين باسم الشعب والشعبية . وأصبح الداعى إلى الترفع عن الشناعات والبذاءات وقبيح العادات وساقط الأساليب والفنون يتهم عند سفهائهم بعداوة الشعب وبالترفع عن عامة الناس وبأنه من بقايا الإقطاعيين والأمراء والباشوات أو من خدامهم فى العهد البائد . وأصبح قصارى ما ينضح به أحد هؤلاء عن نفسه وما يتخذه من حجة إذا عارضك فيما تبينه من الحرام والحلال ، وما تضعه من الحدود بين المحظور والمباح ، أن يسوق إليك جملا من عادات بعض الجهال أو مذاهب الفراعنة . يعارضون بذلك الإسلام ، كأن الفرعونية دين أو مذهب خلق ، وليست مجرد عصر تاريخى يجوز عليه الفساد والضلال . وكأن عرف الجاهلين والدهماء تنزيل يعارض به التنزيل ، ومثل أعلى يحمل عليه ناشئة هذا الجيل .

وأكثر ما كان هذا الشطط فى مذاهب دعاة العزلة والانفصال الذين كانوا يعارضون الإسلام والعروبة بالفرعونية فى الفترة التى تلت إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى . فقد كان يزعم هؤلاء الغلاة من الإنفصاليين أن تغير الدين فى مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام ، وتغيير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات ، وكانوا يحتالون لرد حياتنا المعاصرة فى مختلف مظاهرها إلى أصل فرعونى قديم ، ويدعون إلى أن تقوم نهضتنا على بعث المجد الفرعونى القديم مثلما قامت النهضة الأوروبية الحديثة على بعث التراث اليونانى الرومانى فى عصور الوثنية السابقة على المسيحية .

ومن هنا كان اتصال هذه الجماعة من المارقين الموكلين بتفريق شمل جماعة العرب

والمسلمين بما يسمونه « الدراسات الشعبية » أو « الفولكلور » ، إذ دعوا الأدباء والكتاب إلى البحث عن مواضع الاتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة فى ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة وموروث التقاليد والعادات فى شتى نواحى الحياة كما دعوا إلى إنشاء أدب خاص وفن مستقل فى التصوير والنحت والموسيق : يتميز بطابعه المصرى المحلى . وقد وصف أحد دعاة هـذا المذهب وقتذاك الأدب الذى يعنيه بأنه (مستقل عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد) لأن (اللغة العربية ليست لغة شعب فحسب ، بل هى لغة شعوب وأمم عدة تنطق وتكتب بها . فنحن فى حاجة إذن إلى تقريب هذه اللغة إلى أذهاننا لتعبر عن خواطرنا ، وليس أدل على ذلك من ضرورة خلق أدب قومى تكون لنا غيرة عليه ، ويكون فى استقلاله بعيدا عن كل المؤثرات التى تجعله اشتراكيا محضا) .

ولم يكن هؤلاء يخفون أنهم متأثرون بالأوروبيين فى دعوتهم هـذه ، ولم يكونوا يتحفظون فى دعوة أنصارهم إلى الاستفادة بكل ما جمعه الأوربيون وما ألفوه فى هذا الباب . وكانوا يجاهرون باتخاذ القدوة من اللغات الأوروبية الحديثة التى نشأت على أنقاض اللغة اللاتينية ، حين كانت هى اللغة التى يكتب بها الشعر والنثر والقصة والأدب فى أوروبا كلها (ولكن شعور كل شعب بقوميته واعتزازه بوطنيته واعتداده بنفسه ، حدا به إلى أن يتحرر من إسار اللغة اللاتينية وإلى أن يكون مستقلا فى آدابه عنها ، موحدا جهوده فى سبيل تهذيب لغته وطبعها بطابع قومى خاص له روعته وجماله) . وفى سبيل تحقيق هذا المثال كان هؤلاء يقولون : إن واجبنا هو (أن نبث فى الشعب روح القومية وروح الإنتاج المحلى) وأن (أول ما نولى وجوهنا ، فليكن شطر الأدب الفرعونى قبل كل شىء فهو تراث الآباء والأجداد ... فإن لم يكن للكاتب ملكة يحميها أو وجدان يستمده من الأدب الفرعونى فليول وجهه شطر الأدب الريفى) . وكان دعاتهم لا يملون من تأكيد أن (الأدب المصرى الذى نعنيه هو أدب محلى يصور الحياة المصرية والقومية المصرية وحـدها ، فلا نعنى به أدبا شرقيا - كما أبهم على بعض الكتاب الأفاضل - يتناول حياة الشرق العربى أو البلاد الشقيقة المجاورة) .

وكانت هذه الجماعة التى تتخذ (السياسة الأسبوعية) لسانا لها تريد أن تكون (جماعة تقتصر على الكتاب الناشئين ، تعنى بتهذيب ملكاتهم وجعلهم أكثر إنتاجا وأكثر استقلالا فى الفكر واعتمادا على أنفسهم وعلى مصريتهم) . وكانوا يتخذون الدكتور هيكل رئيس تحرير تلك الصحيفة قدوة لهم ، ويشيدون بقصة له ظهرت وقتذاك تحكى عن

الريف ويجرى الحوار فيها بالعامية ، وهى قصة «زينب» التى كانت أول ما ظهر على لوحة الخيالة من الإنتاج المصرى حين كانت صورها صامتة ، وكان من بين ما يقترحونه من الوسائل إلى خلق هـذه الروح المصرية فى النشء : توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية وجعلـه مسرحا مصريا روحا وقوة وإنتاجا ، والعناية بالأناشيد القومية وجعلها تصور على قدر الإمكان أمانى المصريين وآمالهم ، والعناية بالأدب الفكه والأدب الريفى [١] .

ولعل هذا القدر الذى قدمته كاف فى توضيح خصائص هذه الدعوة والكشف عن خطورة أهـدافها ، التى لا تخدم إلا مطامع الغرب ، الذى يتوسل إليها فى البلاد العربية وفى العالم الإسلامى بتقطيع أوصالها وبث روح التنافر والتدابر والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها ، استدامة للوضع الراهن الذليل الذى كانت فيه ، وتحاشيا لاتحادها الذى يؤدى إلى قوتها وتمردها على هـذا الوضع . وقد أشرت فى مقال سابق إلى أهداف الأوربيين والأمريكيين من الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام ، تلك الدعوة التى ظهرت فى وقت واحـد فى كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمـال أفريقية وفارس والهند وأندونسيا . وكان مظهرها فى كل هذه البلاد واحدا وكانت أساليبها متشابهة [٢] .

ومن الواضح ان الاعيب الاستعمار فى هـذا الباب قد انكشف أمرها ولم تعد تخفى على ذى بصر . فقـد تنبهنا إلى ما يراد من تفريق شمـل العرب والمسلمين ، كما بصرتنا التجارب الأخيرة بمـا يمكن أن يعود على ذلك المجموع العربى والإسلامى من خير نتيجة لتضامنه واتحاده . فكل ما يقصد إلى زيادة هـذا الاتحاد قوة فهو صادر عن باعث خير يستهدف صالح ذلك المجموع . وكل ما قصد إلى توهين هـذا الاتحاد وبث روح الفرقة والعصبية القبلية والشعوبية الجاهلية بين أفراده فهو لا يخدم إلا أهداف العدو ولا يورثنا إلا الضعف .

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندريه

---

[١] لمن شاء التوسع فى ذلك أن يعود إلى صحيفة [السياسة الأسبوعية] فى أعداد ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ، ٧ يناير سنة ١٩٢٨ ، ٢٨ يونية سنة ١٩٣٠ ، ١٢ يولية سنة ١٩٣٠ ، ١٩ يولية ١٩٣٠ . وعناوين المقالات المشار إليها مرتبة حسب التواريخ السابقة هى : [مصر الحديثة ومصر القديمة] ، و [الفن المصرى] ، و [هل من خطوة جديدة فى سبيل الفن المصرى] و [دعوة إلى خلق الأدب القومى] . و [فى سـبيل الدعوة إلى الأدب القومى] ، و [دعوة الأدب القومى] .

[٢] راجع مجلة [الأزهر] فى جزء رمضان سنة ١٣٧٦ ص ٨١٦ — ٨١٨ .

توحيد بدء الشهر الشرعى

فى جميع الحكومات الاسلامية

هــذه بنود عشرة فى خلاصة ما عالجته فى مجلة الأزهر (أجزاء صفر سـنة ١٣٧٤ ، وجمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ ، ورجب سنة ١٣٧٥ ، ورمضان سنة ١٣٧٦) فلكيا وشرعيا ، لما يمكن عمله لتوحيد بدء الشهر الشرعى ، ومنع ما يحصل من الاختلاف بين الحكومات الإسلامية فى الأعياد والمواسم الدينية ، وقد اختصرتها ابتغاء سرعة وصـول القارئ إلى تعلم الفائدة المنشودة ، مع استمدادى لإضافة فقرات لتوضيح كل بنـد والاستدلال عليه شرعيا وفلـكيا عند الطالب ، والله الموفق :

بند (١) فى إمكان هـذا التوحيد شرعا :

ثبت بعد البحث والتحرى أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعى فى أى حكومة إسلامية إذا نقل إليها بالإذاعة اللاسلـكية الرسمية خبر ثبوته شرعا فى حكومة إسلامية أخرى ولو كان بينهما اختلاف مطالع ، مع بقاء وحدة التاريخ واليوم الأسبوعى .

بند (٢) فى بيـان هذا الامكان فلـكيا :

حدد الشارع (المبدأ الزمانى) لليوم الشرعى الإسلامى بغروب الشمس « المغرب » وترك تعيين (المبدأ المـكانى) أى الدورانى لاختيار المسلمين حسب ظروفهم ، وإذا لا مانع شرعا للحكومات الإسلامية بعد تعددها واتساع رقعة مساكنها من سطح الأرض وحلا لمشاكلها الاجتماعية الدينية أن تعتبر (المبدأ الدورانى) لليوم الشرعى عنـد (خط الطول المـار بالمحيط الهـادئ عند الدرجة (١٨٠) شرق جرينتش المسمى (خط تغيير التاريخ العام) الذى اتفقت دول جميع العالم على جعله (المبدأ الدورانى) لليـوم المدنى حلا لمشاكل المدنية .

مع العلم بأن هذه الحـكومات الإسلامية التى لا يقل عـددها عن عشرين حكومة

كلها محصورة في قارتي آسيا وأفريقيا من شاطىء آسيا الشرقي لغاية شاطىء أفريقيا الغربي ، أعني من خط (١٢٠) شرق جرينتش إلى خط (١٥ غربيها) مقدار تسع ساعات من (٢٤ ساعة) تتم فيها دورة اليوم بقسميه الليل والنهار حول الأرض من الشرق إلى الغرب .

بند (٣) في تطبيق ما تقدم على أبعد مايفرض :

مقتضى ما تقدم لو ثبت الشهر الشرعي في أى حكومة منها ولو كانت أبعدها من جهة الغرب ـ كمراكش عند الشاطىء الغربي لأفريقيا ـ وأذاعت به فورا إلى سائر الحكومات الإسلامية ثبت الشهر في كل منها أيضا ولو كانت أبعدها من جهة الشرق كأندونسيا والفلبين عند الشاطىء الشرقي لآسيا .

بمعنى أن إذاعة الرؤية من مراكش عقب مغربها إنما تسمع في أندونسيا بعد مغربها بتسع ساعات أي قبل شروق الشمس فيها بنحو ثلاث ساعات لأن ليلها (١٢ساعة) دائما ضرورة وجودها على خط الاستواء أعني قبل الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف ساعة وهو وقت يكفي السحور وغيره مما يلزمهم لصيام النهار دون أى حرج مع اتحاد اليوم والتاريخ .

وأما وحدة هذا اليوم في باقي بلاد الدورة من سطح الأرض كأمريكا فأمرها ظاهر ، إذ أنهم وقت هذه الإذاعة كانوا في عصر اليوم السابق أو في ظهره وحينئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من أوله دون تغيير فيه وكذا من بعدهم إلى تمام الدورة عند مبدئها .

الحساب الفلكي

بند (٤) مناط إثبات الشهر الشرعي :

لا كلام في أن الشارع إنما أناط إثبات الشهر بأحد أمرين لاثالث لهما : (١) رؤية الهلال مساء يوم (٢٩ بالرؤية) ، (٢) إكمال الشهر القديم (٣٠ يوما) عند عدم الرؤية مساء يوم (٢٩ بالرؤية) دون إناطته بالحساب .

كما أنه لا كلام فى أن الشرع لم يمنع الحساب فى ذاته بل حث عليه ، وقد ثبت بالتجربة نفعه فى تنظيم الرؤية ومساندتها .

بند (٥) فى حالات الرؤية :

وثبت أيضا أن محقق الفقهاء والرصاد من الفلكيين الشرعيين إبان النهضة العلمية الإسلامية قد تعاونوا متفقين على إثبات حالات ثلاثة لرؤية الهلال مساء يوم (٢٩ بالرؤية) من الشهر القديم ، وهى (استحالة الرؤية وإمكانها ووجوبها) ، كلها بحسب العادة طبعا ثم طبقوا على كل حالة منها إذا بينها الحساب الموثوق به حكما شرعيا هو بالنسبة إلى الاستحالة (رد القضاء لشهود الرؤية) إذ ترد الشهود لوجود ريبة عند القاضى والحساب القطعى أقوى من الريبة . وبالنسبة لحالة الإمكان بمعنى جواز حصول الرؤية وعدم حصولها (قبول القضاء لشهود الرؤية) ، وبالنسبة لحالة وجوب الرؤية وهى ما يكون فيها الهلال واضحا وضاء بحيث يراه ملتمسه ، ولا بد إذا لم يكن بالسماء سحاب أو شبهه (إثبات الشهر لدى القاضى عند امتناع الرؤية لحساب أو شبهه) .

بند (٦) فى تحرى (يوم ٢٩ بالرؤية) :

معنى التماس الرؤية مساء يوم (٢٩ بالرؤية أن يكون مبدأ هذا الشهر القديم قد ثبت أيضا بالرؤية إذ قد يلتمس الهلال فى مساء الأحد مثلا (تاسع وعشرين) بالعد الاجتماعى كما فى التقاويم الآن كنتيجة المساحة المصرية والحلبى وغيرهما ، ولا يرى الهلال فيكتفى القاضى باكمال الشهر القديم بيوم الإثنين وفيه الخطر الداهم إذ قد يكون الإثنين هو (تاسع وعشرين) بالرؤية ومتمم الثلاثين إنما هو الثلاثاء فيتقدم الشهر الشرعى يوما أو يومين بسبب هذا الخطأ . وقد جربنا وقوعه فى هذا الزمان . ولذا قال الفلكيون الشرعيون قديما : « إذا لم يكن أول شهر الالتماس معلوما بالرؤية يقوم الشمس والقمر لنصف نهار يوم (٢٩) بالحساب ، فان استويا أو كان الفضل للشمس فذلك اليوم ليس (تاسع وعشرين) بالرؤية فانتقل إلى اليوم الذى بعده ، وإن زاد فضل القمر على (٥ر٤ درجة) أمكنت رؤيته وإلا فاستحالة ولا فائدة فى الالتماس ، ومن هنا يعلم أن الحساب لازم لتنظيم الرؤية ومساندتها » .

بند (٧) فى شروط الحساب الفلكى وحاسبيه :

يؤخذ من كلام محقق الفقهاء وأئمة الرصد والهيئة الذين عنوا بتحقيق مسألة رؤية

الهلال إبان النهضة العلمية الإسلامية أنه يشترط فى الحساب الفلكى الذى يعتمد لمساندة الرؤية وتنظيمها ليكون موثوقا به ما يأتى :

أولا : ألا يكون هذا الحساب من النوع التقريبى ، بل يجب أن يكون من النوع التحقيقى الدقيق المبنى على قواعد فلكية مبرهنة من علوم الهندسة والجبر وحساب المثلثات الكروية أو المستوية لحركات الحقيقية لا الوسطية .

ثانيا : أن يكون منتجا لإحدى حالات الرؤية الثلاثة (الاستحالة أو الإمكان أو الواجب) كما لو كانت مدركة بالحس ، حتى يمكن أن يطبق عليها ما يناسبها من الأحكام الشرعية .

ثالثا : أن يكون قد اتفق على نتيجة هذا الحساب للرؤية جمع من الفلكيين الحاسبين بحيث يؤمن تواطؤهم على الخطأ .

بند (٨) فى حدود الحالات الثلاث :

بعد الاطلاع على كل ما ورد عن المتقدمين من أئمة الهيئة والرصد من الفلكيين الشرعيين فى تحديد حالتى (مبدأ إمكان الرؤية ومبدأ وجوبها) وجدتها تدور حول ستة أقواس هى (البعد المطلق ـ عرض القمر ـ نوره ـ مكثه ـ قوس رؤيته ـ قوس ارتفاعه) كما وجدت أن الثلاثة الأولى ، وهى (البعد المطلق والعرض والنور) يغنى عنها ذكر (قوس النور) فقط لأن تحققه مبنى على تحقق قوسى (البعد المطلق والعرض) كما وجدت قوسى « الرؤية والارتفاع » متشابهين فى الوضع والنتيجة تقريبا ويمكن الاكتفاء بأحدهما وأنسبهما بالذكر (الارتفاع) لظهور تعليل اشتراطه بالبعد عن الجو الغليظ .

فبقى معنا ثلاث أقواس فقط (المكث والنور والارتفاع) وقد أخذت بأحوط الأقوال فيها وأميلها إلى الاعتدال ، وما قيل فيه بالتجربة أو إجماع المتأخرين على العمل به دون الالتفات إلى أقوال الحاسبين المحدثين غير الرصاد الذين يشترطون للامكان الموجب للرؤية مكث (٢٤) دقيقة فقط كالشيخ الفيومى فى رسالته (بهجة النظر) التى ألفها سنة ١٣١٨ هجرية ، أو الذين يشترطون للامكان المجوز للرؤية مكث (١٦) دقيقة كالشيخ الزرقاوى ، أو (١٥ دقيقة) كصاحبى كتاب (الهداية العباسية) فنتج ما فى هذا الجدول وهو خلاصة جميع الأقوال :ـ

الشروط	قوس المكث درج	قوس النور درج	قوس الارتفاع درج	توضيح
لمبدأ الإمكان	٧ ٩	٧ ١٠	٧ ٦	بمعنى أنه يشترط لبدء إمكان الرؤية أن يبلغ كل من هذه الأقواس الثلاثة (٧درج) أو أن يبلغ متوسطها الحسابي (٨ درج) بشرط ألا يقل الارتفاع عن (٦ درج) وإلا فحالة استحالة الرؤية .
لمبدأ الوجوب	١٢	١٠	٨	بمعنى أنه يشترط لبدء حالة وجوب الرؤية أن يبلغ كل قوس ذلك العدد الذى تحته وإلا كانت حالة جواز وقوع الرؤية وعدم وقوعها .

بند (٩) فيما يجب على الحاسبين للنتائج السنوية :

ينبغى بعد بيان ما تقدم بل يجب على الفلكيين الحاسبين للنتائج السنوية فى مصر وغيرها خصوصا الموثوق بحسابهم ، كالأقسام الفنية بمصلحة المساحة المصرية أن يراعوا هذه الشروط لتكون نتيجتهم هلالية شرعية عالمية مساندة ومنظمة لعملية الرؤية فى جميع الحكومات الإسلامية موحدة لأوائل الشهور الدينية الإسلامية فى جميع العالم .

بند (١٠) فى كيفية إثبات الشهور الهلالية فى النتائج بناء على ما تقدم :

من السهل جدا أن ينظر الحاسبون إلى نتائج حسابهم بالنسبة إلى الأقواس الثلاثة (مكث القمر ونوره وارتفاعه) بعد تحويلها إلى أفق مراكش طول (١٥ درجة) غرب جرينتش . فاذا لم تبلغ شروط الإمكان أثبتوا الليلة من الشهر القديم ، وإذا بلغت شروط الوجوب أثبتوا الليلة من الشهر الجديد ، وأما إذا بلغت شروط الإمكان فقط ، ترك الأمر لنفس الرؤية دون تعيين للقديم أو الجديد ونبه على ذلك فى أعلى صفحة الشهر .

فان رؤى القمر فى أى حكومة عندها إمكان وأثبت حاكمها الشهر وبلغ ذلك بالإذاعة الرسمية إلى جميع الحكومات ثبت الشهر القمرى فى جميع العالم ، وإن لم ير فى أى بلد كانت الليلة من الشهر القديم فى جميع الحكومات ، وبذلك تصير النتيجة هلالية عالمية والله سبحانه الموفق »

محمد أبو العطا البنا
مدرس الفلك بتخصص كلية الشريعة

تعليقات

مجلس الأمة وأزياء السيدات

بادرة طيبة من بوادر الغيرة تجلت فى موقف النائب الموفق سيد جلال نحو أزياء السيدات ، ولم تعد أزياء السيدات المصريات بحاجة منا إلى التعليق عليها ، فقد أصبحت أبشع مما كنا نخشاه ، إذ انحرفت عن كل تقليد نعتز به من تقاليد البيئة الشرقية ، ولم تعد تتصل بما ينشده إسلام أو مسيحية ، ولا تمثل الحياء الذى يعد فى الفطرة مما تتجمل به المرأة ، وتتحلى به الفتاة ، طغت علينا هذه الميوعة الجريئة حتى تسربت إلى بيوت كان يجب أن تظل محافظة على تراثها الأدبى ، وأن تدوم قدوة صالحة فى البقاء على ما امتازت به من ترفع عن الإسفاف ، ومتابعة المارقين من حوزة الأخلاق الرفيعة .

ميوعة تلاشت بها الفوارق الأدبية بين كرائم البيوت وسواقط الطرقات اللاتى تطرحهن إلى المباذل أسباب غير كريمة ، حتى تعذر على الراغبين فى الحياة الزوجية أن يصلوا إلى تلك الأسر التى كان يتعهدها الدين ، والتى ينشدها الدستور الجديد لبناء مجتمع صالح تتمثل فيه أمة مجيدة تحلق فى أفق الأمل الصادق .

أصبحت مسئلة الأزياء النسوية نقيصة يرثى لها فى البيئة المدنية من بلادنا هذه ، واتسعت حولها نغمة السخط على هذه الميوعة ، حتى أغرقت أهلها جميعا ، وإن كان بعضهم فى دخيلته على بقية من العفة والحفاظ .

وكأن الناس لم تعد لهم حيلة فى الرجوع بأنفسهم إلى مواطن السلامة من هذه المخزيات .

أوكأن الناس يرون الاستسلام إلى هذه النقيصة أخف عليهم من العود إلى الكمال ما دام فى زعمهم أن عرى الأجسام ظاهرة المدنية والترف المعيشى وأنه اندماج فى الأوساط الناعمة المشهود لها بالأصالة المجيدة .

وهذه ـ لاشك ـ أوهام باطلة متناقضة هبطت بالأنساب الكريمة إلى موضع الزراية، ولم تنهض بالأنساب الوضيعة إلى شيء مما تظنه ، وخلطت معادن الناس ، فلم تعد موازين الأخلاق فى النظر العام تشهد بالخير لسيدة على أخرى ، ولم يعد سهلا فى حساب المرء تمييز أسرة على أسرة .

وعند ما نندم لهذه الظاهرة المشئومة نجد الرجل أول مسئول عن هذا الانحدار ، إذ كانت الغيرة تدفع برجل الأمس إلى المواقف الخشنة غيرة على محارمه أن يمتد إليها نظر الأجنبي ، أو عند ما يترامى إلى مسامعها لفظ مرذول ، وأصبح رجل اليوم وشبابه يصطحب محرمه فى أبهى ما تستطيع من زينة بادية لا تأخذ بها فى بيتها ، وفى عرى فاضح لا تسكون به فى مثواها الزوجى ، ثم يطوف بها فى مزاحم الرجال ، وبين النظرات الخائنة واللفتات المريبة ، وليس من مأساة تصاب بها الرجولة أكثر من أن الشباب تهدأ فيهم جذوة الغيرة ، وتهبط فيهم الحماسة على الزوجات والمحارم ، حتى ليطرب الواحد منهم أن تمدح فيه الزوجة والأخت أنه مودرن ، جديد ، لا يمانع من المخالطة ولا يأخذ بما يأخذ به أهل الغيرة ، هذه مأساة ـ لا شك ـ راجعة بنا إلى الوراء ، وقد وقع فى مهالكها شعب سبقنا بل سبق العالم كله إليها .

ولا يمكن لمنصف أن يخفف من أثرها عاجلا ، أو آجلا .

ولن يستقيم فى عقل أن تكون هذه المزالق مأمونة العواقب ، فانها على الأقل مخالفة لما شرع الله لعباده حسبما اقتضته الحكمة فى تقدير الخير لهم لو استجابوا له فضلا عن التجارب التى تكفى للاقتناع ، وإن تكن هناك معذرة عن عدم مقاومة هذه المساخر والاكتفاء بتركها للارشاد والثقافة والمساجد ونحوها فتلك معذرة من بعض نواحيها ، ولكنها لا تشفع فى السكوت عن المأساة ، وتركها للمقاومة الهينة التى تأتى من طريق الإرشاد والمساجد ، والثقافة ، فماذا تجدى المساجد والإرشاد مع من لا يتصلون بالمساجد ، ولا يستمعون لدعوة الإرشاد ، وماذا تجدى الثقافة الجديدة وهى الباب الواسع التى دخلت علينا منه تلك الميوعة وتغلغلت فى مجتمعنا وأصبحت داء وبيلا .

وماذا تجدى هذه العوامل مجتمعة فى بناء الخلق إزاء ما يوجد من أضعافها وأضعافها للهدم ، والإغراء بالتبجح ، والتحلل ، والهتاف بالرذيلة حتى فى ربوع العلم والثقافة ،

وعلى مسامع الشباب المختلط ؟ أليس مما يجب فورا ، وقف هـذه الأصوات عن دعوتها السافرة إلى التحلل ، وعن زعزعة العقيدة والتهوين من رعاية الأخـلاق حتى فى دور العلم وبين شبابه وفتياته » ؟

إنه ليكفى جدا فى موضوعنا هذا أن تأمر الجهات المختصة بتغطية النحور والسيقان، وإنه ليكفى جدا أن تشعر الناس بأن الاحتشام قصد صحيح من مقاصد الثورة الرشيدة ، وأنه أصل أصيل فى بناء الأسرة التى هتف الدستور بأنها « أساس المجتمع ، وأن قوامها الدين ، والأخلاق ، والوطنية » .

هـذا ما ننشده ، ونطمع فيه ، ونرجو الأخـذ به ، دون تفويض الأمر إلى مجرد الإرشاد ، أو التعويل على المساجد دون تعزيزها بجانب من سلطة الحـكم .

وقديمـا قيل ـ وهو حق لا جدال فيه ـ : إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن وإنا لنطمع فى رعاية جدية كما تعودنا فى غير هذا الشأن ، والله الموفق »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

شعر الحكمة

حيل ابن آدم فى الحياة كثيرة	والموت يقطع حيلة المحتال
فاذا بليت ببذل وجهك سائلا	فابذله للتكرم المفضال
واصبر على غير الزمان فانما	فرج الشدائد مثل حل عقال

بشار بن برد



عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير

الجزء الثالث - اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر - ٢٨٨ ص - دار المعارف بمصر

صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب النفيس الذى يعد فى الذروة العليا فى تفسير كتاب الله ، وهو مبدوء بتفسير الآية ٩٣ من سورة آل عمران « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل الا ماحرم إسرائيل على نفسه » وآخره آية « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ١٢٣ — ١٢٦ من سورة النساء ، وقد سبق لنا التنويه بمزايا هذا المختصر فى ص ٥٠٢ و ٧٩٢ من هذه المجلة فى عامها الماضى بما لا يزال القارئ على ذكر منه .

ومن التعليقات التى يمتاز بها هذا الجزء مما يتعلق بتحقيق الأحاديث ما جاء فى هامش ص ١٧ عن حديث « من رأى منكم منكرا فليغيره » فقد عزاه ابن كثير إلى أبى هريرة وهو لأبى سعيد الخدرى فى صحيح مسلم ومسند أحمد ، ثم قال ابن كثير : وفى رواية « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » فنبه الشيخ أحمد شاكر إلى أنه ليس لأبى هريرة رواية فى هذا ولا فى هذا ، وفى ص ٢٣٧ حديث ابن عمر عن بعث خالد إلى بنى جذيمة ، وهو فى صحيح البخارى ومسند أحمد وسنن النسائى ، غير أن ابن كثير ألحق به ما نصه « وبعث عليا فودى قتلاهم الخ » قال الشيخ أحمد شاكر : ليس من حديث ابن عمر على اليقين بل هو تلخيص بالمعنى عن أبى جعفر محمد الباقر ، فهذه الرواية الملخصة حديث مرسل وهم ابن كثير فأدرجها فى حديث ابن عمر الصحيح المتصل ، والغالب أنه كتب من حفظه . ونبه هنا إلى أن بنى جذيمة بفتح الجيم ، ووقع فى مطبوعة النهاية لابن كثير (مادة صبأ) مضبوطا بالضم والصواب الفتح ، وفى ص ٢١٩ تحقيق فى معنى « يشرون » عند تفسير آية « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » وأن لذلك تفسيرين ذهب لأحدهما الإمام ابن جرير وللآخر الحافظ ابن كثير ، والذى اختاره ابن كثير أعلى وأدق ، وفى ص ٣٨ كلام نفيس عن الربا فى الإسلام وأنه كل ما زاد

على رأس مال الدائن، وفى ص ٦٤ ــ ٦٥ كلام عن الشورى فى الإسلام ومن هم أهلها، وأنها شىء آخر غير الأنظمة الأجنبية التى لا يعرفها الإسلام، وفى ص ٥١، كلام مهم عن طاعة بعض المسلمين للمستعمرين حتى أسلموا إليهم عقولهم وألبابهم وأسلموا إليهم فى بعض الأحيان بلادهم. وفى ص ١٠٢ ــ ١٠٩ كلام عظيم مبسوط عن تعدد الزوجات ينبغى لكل من يبحث فى هذا الموضوع أن يرجع إليه، وفى ص ١٢٥ كلام عن الذين يدعون إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث، وفى ص ١٦٤ تعليق جيد على آية « الرجال قوامون على النساء »، وفى ص ١١ تعليق على حديث « هذه ثم لزوم الحصر »، وفى ص ١٣٥ موقف عبرة فى حكم مخفف على شاب زنى بامرأة أبيه وتواطأ معها على قتله ولم يحكم عليه بالإعدام، وفى ص ١٥٦ بحث فى الكبائر والذين توسعوا فيها حتى ألفوا فى ذلك مئات الصفحات، وتحقيق نفيس فيها للحافظ ابن حجر فى فتح البارى.

وروح هذه التعليقات والمعنى الجامع لها ما أورده فى ٢١٣ ــ ٢١٥ عن تفسير آية « لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ». فنرجو الله أن يعين على اتمام هذا التفسير.

المسند للامام أحمد بن حنبل

الجزء الخامس عشر ــ شرح الشيخ أحمد شاكر ــ ٢٣٩ ص ــ دار المعارف بمصر

صدر هذا الجزء من مسند الإمام أحمد وفيه من أحاديث أبى هريرة رضى الله عنه من رقم ٧٨٧١ إلى رقم ٨٠٩٩. وألحق به فى باب الاستدراك والتعقيب تحقيقات للأستاذ حبيب الرحمن الأعظمى من علماء جامعة مفتاح العلوم بأعظم كره سابقا، يعلق بها على مواضع من أجزاء المسند إلى الجزء الثامن. وهذا الجزء الخامس عشر يمتاز بكل ما امتازت به الأجزاء السابقة، ولاسيما تحقيق الأحاديث ومعارضتها بما جاء فى دواوين السنة.

مجموعة الحديث النجدية

نشرها سمو الأمير مشعل آل سعود ــ ٦٥٠ ص ــ المطبعة السلفية بالقاهرة

كان الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله قد نشر هذه المجموعة من مطبعة المنار

بالقاهرة ، ثم قام الآن نجله صاحب السمو الأمير مشعل باعادة طبعها على ورق نفيس ، وهى تتألف من الـكتب الآتية :

الأربعون حديثا النووية وشرحها للامام النووى .
العمدة فى الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى .
أحاديث أصول الإيمـان للامام محمد بن عبد الوهاب .
أحاديث فضل الإسلام . له .
أحاديث الـكبائر . له .
نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين . له .
رسالة الصلاة للامام أحمد .
كتاب الصلاة وحكم تاركها للامام ابن القيم .
الوابل الصيب من الـكلم الطيب . له .

وكلها معتنى بطبعها وتصحيحها . فشكرا لسمو الأمير مشعل على بره للعلم وأهله .

وقد وقف على طبعها الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عبد العزيز النـائع مراقب هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد الحرام .

طريق الهجرتين وباب السعادتين

للامام ابن القيم — ٣٤٢ ص — المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

هـذا الـكتاب فى التصوف الإسلامى المستمد من كتاب الله وسنة رسـوله وهدى الهداة من أئمة الدين . وكان الإمام ابن القيم قد ألف قبله شرحه (مدارج السالـكين) على رسالة (منازل السائرين) لشيخ الإسلام الهروى وهو فى موضع الحرمة والتقـدير من زمن تأليفه إلى الآن . وكتاب طريق الهجرتين من نوعه لـكنه أكثر تحقيقا وتركيزا . وهو من أجود ما ألف فى الإسلام فى تهذيب النفس الإسلامية وتوجيهها الوجهة التى عرفها الصحابة من التعليم المحمدى الخالص . والهجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والافتقار فى كل نفس إليه ، وهجرة إلى رسوله فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنه بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفضيل محاب الله ومرضاته .

والكتاب مطبوع على نفقة السيد محمد الصالح وكيل وزارة الدفاع والطيران السعودى ،

ووقف على طبعه فضيلة الشيخ يوسف بن عبد العزيز الناقع مراقب هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد الحرام .

صور من البطولة الاسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف — ١٤٤ ص — المطبعة المنيرية

يقول المؤلف عن البطولة : إنها ليست فى معناها الضيق كما حددها الأقدمون ، وإنما هى أشمل وأوسع . وليست من الابتذال كما يراها المعاصرون ، ولكنها أكرم وأرفع . فالبطولة هى التضحية باللذات ، والترفع عن تفاهات الحياة ، والسخاء والكرم ، والإباء والشمم ، والصبر الذى لاينفد على مكاره الأيام . وعند المؤلف أن كارليل خلط بين صفة العظمة وصفة البطولة فى النفس الإنسانية . وكذلك فعل فلوطرخس مؤرخ عظماء اليونان والرومان . والعظمة لاتكتسب ولا يمكن أن تصنع بالتلقين وإنما هى هبة إلهية ، فهى أندر من البطولة .

وطليعة البطولة فى كتاب الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف إخاء ومسابقة الى الحق والخير والجهاد فى سبيلهما بين ثلاثة من شباب الإسلام هم عبد الله بن عمر وعبد الله بن مخرمة وسالم مولى حذيفة يوم شهدوا أعظم الجهاد فى حديقة الموت ليردوا بنى حنيفة عن طريق الشيطان إلى دين الله . وهى قصة من أروع قصص الرعيل الأول فى الإسلام . والصورة الثانية الإسلامية فى هذا الكتاب ـ صورة موسى بن نصير فاتح اسبانيا ، وحكاية مصيره الأخير . والثالثة عن محمد بن القاسم الثقفى أصغر القادة والفاتحين سنا يوم فتح الهند . والرابعة عن سقوط غرناطة وبطولة القائد المسلم فى الدفاع عنها إلى الذماء الأخير . والخامسة عن البطل المجهول عيسى العوام فى جهاد صلاح الدين لقمع الصليبية وطردها عن الوطن الإسلامى . والخامسة عن البطل الأعزل سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله . والسادسة عن البطل الأزهرى الثائر الشيخ الجوسق وقد سبق نشرها بمجلة الأزهر . والسابعة عن بطلة من القيروان وهى جميلة بنت عاتق وجهادها فى موقعة الحصن ومغامراتها إلى أن حكم عليها القسس بالصلب والإحراق . والثامنة عن البطل الصغير الذى ثار على الفرنسيين فى القاهرة ولو تعهدته يد طيبة بالتربية القويمة لكان مثل نابليون . والتاسعة عن البطل الغريب أحمد العوام فى جهاد السودان . والعاشرة عن أبطال المنصورة . فشكرا للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف على كتابه الذى نرجو له الذيوع والانتشار .

طريق الوحدة الاقتصاديه

والبلاد العربية

للأستاذ يونس صالح الحريثى – ٢٢٨ ص – مطابع دار العلم للملايين فى بيروت

الأستاذ يونس صالح الحريثى مؤلف هذا الكتاب والكتاب التالى من أفاضل المشتغلين بالعلوم المالية والاقتصادية فى العراق ، وهو معاون مدير الصيرفة فى البنك المركزى العراقى ، وقد عالج فى كتابه هذا موضوع الوحدة الاقتصادية وأفضل الوسائل للتصرف بالموارد الإقليمية ، فتكلم فى الفصل الأول على دور العوامل الاقتصادية فى الاتحادات الإقليمية ، ومفهوم الاتحاد الاقتصادى ، والاتحادات الجزئية والشاملة . وفى الفصل الثانى على الاتحادات الجمركية وأغراضها ونتائجها . وعلى الاتحادات النقدية . وفى الفصل الثالث على العلاقة بين مشروعات التنمية والاتحادات الاقتصادية . وفى الفصل الرابع وهو الأخير – تكلم على المبررات الداعية إلى الاتحاد الاقتصادى بين البلاد العربية والتعاون الاقتصادى ومشروعات الوحدة .

واستعرض لذلك حالة تعاون العرب الاقتصادى بين الحربين العالميتين ، وميثاق الجامعة العربية وموقعه من ذلك ، والاتحاد الاقتصادى بين سوريا ولبنان ، ومشروعات جماعية للاتحاد ومعاهدة التعاون ، ومشروعات الاتحاد النقدى بين البلاد العربية ، واتفاقيتى تسهيل التبادل التجارى وتسديد المدفوعات وانتقال رءوس الأموال بين دول الجامعة العربية ، وخطوات الوحدة ووسائلها .

وهو كتاب مفيد فى بابه يوطىء من الوجهة العلمية لتحقيق أمنية العرب فى وحدتهم من الناحية الاقتصادية .

تطور اقتصاديات الشرق العربى

للأستاذ يونس صالح الحريثى – ٧٢ ص – مطابع دار العلم للملايين فى بيروت

وهذا كتاب آخر لهذا الفاضل الاقتصادى العراقى ، درس فيه الميادين التى تشترك فيها دول الشرق العربى بخصائص اقتصادية واجتماعية واحدة كتزايد عدد السكان ، وانخفاض مستوى الدخل والانتاج ، وتركز النشاط الاقتصادى حول الزراعة ، وضآلة رءوس الأموال الوطنية الخ ، وما ينبغى للأوطان العربية من معالجة هذه النواحى للنهوض باقتصادياتها إلى المستوى الذى تطمح إليه فى نشاطها القومى الحديث .

الأدب والعلوم

الأزهريون فى معاهدهم

عاد الأزهريون فى يوم السبت ٤ ربيع الأول (٢٨ سبتمبر) إلى كلياتهم فى القاهرة ومعاهدهم فيها وفى أمهات مدن الجمهورية المصرية . وأذيعت نتائج قبول الطلاب الجدد . ووجه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نصائحه الحكيمة إلى الأساتذة والطلاب لمناسبة العام الدراسى الجديد .

استئناف الدراسة

بدأت صباح يوم السبت ٢٥ صفر (٢١ سبتمبر) الدراسة فى جميع المدارس الابتدائية والجامعات الأربع .

ويبلغ عدد تلاميذ وتلميذات المدارس الابتدائية نحو مليونين ونصف مليون (أى أكثر من عشر تعداد سكان الجمهورية المصرية) كما يبلغ عدد طلبة الجامعات وطالباتها نحو ثمانين ألفا .

التربية العسكرية للطلاب

يبدأ هذا العام تدريس مادة التربية العسكرية إجباريا ، على أن يبدأ ذلك بالسنة الأولى الثانوية العامة والفنية . وقد أعد زى لكل طالب تدفع الوزارة ٦٠ ٪ من تكاليفه ويدفع الطالب ٤٠ ٪ . وقد أنشئت هيئة عسكرية فى وزارة التربية ـ بالاتفاق مع وزارة الحربية ـ للاشراف على التربية العسكرية فى المدارس الثانوية والمعاهد العليا كما أنشئت ميادين لضرب النار لتدريب الطلبة ، وسيكون فى كل منطقة أكثر من ميدان ، وسيخصص لكل مدرسة ثانوية كبيرة ميدان للتدريب .

تدريس التعاون

فى مؤتمر عقده مدير المناطق التعليمية لمناقشة سياسة التعليم ، طلب وزير التربية والتعليم أن يكون (التعاون) موضوع الدراسة فى جميع مراحل التعليم هذا العام ، وأن يعنى ببيان فوائده للتلاميذ ، وتدريسه فى كل مادة من مواد الدراسة ، حتى تغرس فضيلة التعاون فى نفوس أبناء الشعب جميعا .

المؤتمر العلمى العربى الثالث

انعقد فى بيروت المؤتمر العلمى العربى الثالث ، وقد أوصى فى ختام جلساته بالعمل على توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية تمهيدا لوضع معجم شامل لها .

كما أوصى بتقوية الصلات العلميـة بين الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية فى البلاد العربية بتبادل الأساتذة والطـلاب والبحوث العلمية .

وبمواصلة البحث للافادة من مصـادر الطاقة ـ ولا سيما الطاقة الذرية ـ لاستخدامها فى الأغراض السلمية ، ومناشدة الدول منع استخدام الأسلحة الذرية ووقف تجاربها .

وباستخدام الوسائل العلميـة فى التنمية الاقتصادية ودراســة مشاكل المنـاطق الصحراوية لتحويلها إلى مناطق زراعية .

وبالعناية بالدراسات الجغرافية الطبيعية فى البحث عن البترول والمعادن .

جماعة التربية الاسلامية

احتفلت جماعة التربيه الإسلامية بشبرا مصر ، بامتحان تلاميذ مدرسة الجماعة ، التى أنشـأتها لتحفيظ القرآن الـكريم وتجويده ، والتى يشرف عليهـا ويمينها الأزهر الشريف .

وقد أعدت الجماعة جوائز مالية للفائزين . وكان فى طليعة الزائرين الأستاذ السيد / محمد صالح الريدى المشرف العام على تحفيظ القرآن الـكريم فى الجمهورية المصرية ، فى تحية من أهل العلم والفضل ممن يهمهم نشر كتاب الله تعالى تعلما وتعليما .

وقد ألقى السيد المشرف العام كلمة جامعة فى فضل القرآن وأهله ودعا إلى العناية بتحفيظه . وأثنى على جهود الجماعة فى خدمة الـكتاب العزيز وحث الجماعات الإسلامية على أن تقتدى بها لتنال هذا الشرف العظيم ، شرف الخدمة لـكتاب الله الـكريم .

مسئولية كل مواطن

فى بنـاء الجيل بنـاء سليما

لمناسبة العام الدراسى الجديد وجه السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم كلمة إلى الأمة وإلى كل مواطن من أفرادها ، تحدث فيها عن مسئولية الجميع فى موضوع التربية والتعليم ، ونحن نقتبس من بيـانه ما يحتمله المقام مـما ينبغى لـكل مصرى أن يطيل التأمل فيه ، ولـكل مدرس أن يجعله نصب عينيه وهـو يؤدى رسالته ، وأن يعمل له ما استطاع . قال وزير التربية والتعليم :

« موضوع التربية والتعليم هو موضـوع الخلق والسلوك الفردى لـكل مواطن ، وهو موضوع الخلق والسلوك الاجتماعى لمجموعة المواطنين ، وهو أساس تقويم شخصية كل مواطن ، وهو كذلك أساس الشخصية العامة لجميع المواطنين . . . وهـو إلى ذلك كله موضوع يتصل بالوسيلة الفعالة لخلق الإرادة الحرة الواعية البناءة المنتجة فى نفس كل فرد ، وفى حنايا كل مجمـوعة من المواطنين فى كل ركن من أركان المجتمع .

ومن هنا كان موضوع التربيـة والتعليم

هو موضوع المواضيع . ونحن حين نهتم به وتحشد نفوسنا جميعا للعناية بكل ما يتعلق بشأن من شئونه ، إنما نهتم ونعنى بأساس كياننا وكيان أبنائنا وأحفادنا وكيان وطننا فى الحاضر والمستقبل .

والخير كل الخير أن يستقر لنا رأى ، وأن تكون لنا عقيدة نسير على هداها فى هذا الشأن الخطير من شئون حياتنا ، وأن ننشر هذا الرأى وهذه العقيدة بين المواطنين جميعا ليكونا رأيا وعقيدة لكل مواطن .

إنها لمسئولية ضخمة وواجب شاق قد هيأنا له كل جهودنا ، وكل إمكانياتنا ، وحق لوطننا علينا أن تستمر هذه التعبئة وأن تكون تعبئة شاملة كاملة عامة بين صفوف المعلمين والمعلمات وبين رجال التربية والتعليم فى جميع المستويات وبين رجال العلم والفن والأدب ، وبين صفوف الآباء والأمهات ، وبين صفوف الطلاب والتلاميذ أنفسهم ، وبين المشتغلين بالصحة العامة والمهتمين بالشئون البلدية والقروية ، والمعنيين بالإرشاد القومى والشئون الاجتماعية والمالية ، وبين صفوف رجال الدين والصحافة والإذاعة ، وكل من يعمل فى النشر والثقافة . ان هذه التعبئة تأخذ مكانا طبيعيا كاملا فى القوات المسلحة ، إذ تساهم فى إعداد ضمائر الأبطال المجاهدين ذوى النفوس الواعية الأبية الذين يقفون سدا منيعا وحصنا واقيا يضمن سلامة هذا الوطن .

لمثل هذه الغاية يجب أن تستمر التعبئة انتظارا للثمرات البعيدة التى يجب أن تغرس لها البذور منذ اليوم لتحقق لأبناء الوطن المصرى والعربى حياة أسعد وأفضل وأحفل بأسباب القوة والعزة والكرامة » .

هل يتحول الجرافيت إلى جواهر
بحرارة الانفجارات الجوية

يتوقع الجيولوجيون الأمريكيون أن تتحول مادة الجرافيت إلى أحجار كريمة بفعل الحرارة والضغط من التفجير الذرى على عمق تسعمائة قدم تحت سطح الأرض فى الأماكن التى يتفق وجود مادة الجرافيت فيها تحت ذلك العمق السحيق من طبقات الأرض .

وقد يكون إعلان ذلك من باب الدعايات السياسية ، لتهوين أمر التفجيرات الذرية على الناس ، ومثل ذلك ادعاء الدكتور فريد تومسون من علماء النفس البريطانيين أن اختلاط الطعام والشراب بمادة الاسترونتيوم وغيرها من ذرات النشاط الإشعاعى المتخلف عن التجارب الذرية قد يكون سببا فى زيادة نسبة ذكاء الجيل الجديد من طلاب المدارس ، اللهم حوالينا ولا علينا .

أنباء العالم الإسلامي

جهاد الوحدة العربية

قال السيد شكرى القوتلى فى حفل الكلية العسكرية بدمشق لمناسبة تخريج ضباط جدد : « إن وحدة الأمة العربية قامت على الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله والحق ، ولم تنشد التوسع أو الغلبة . وقد نصرها الله لأنها كانت تدافع عن حقها وبقائها . إننا نقول للعالم الذى تجمع ممثلوه فى هيئة الأمم المتحدة : إننا ضحية حملات ظالمة لا مثيل لها ، فهى حملات يشنها الاستعمار والصهيونية ليؤخرا نهضتنا ، وليعطلا أسباب وحدتنا ، وليتنكرا حقوقنا المشروعة فى الحرية . إن دول الاستعمار ظلت منذ أعوام تسلح الصهيونيين فى السر والعلن ، لتهدد العرب فى حريتهم وحياتهم ، وخطة الاستعمار المرسومة بالاشتراك مع الصهيونية هى مضاعفة الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين ، ودعمها بجهاز حربى عدوانى ، ومدها بالأموال . إننا لن نؤخذ غدرا ، ولن تباح أرزاقنا ومقدساتنا للغاصبين ، ولن نقدم للعالم دفعة جديدة من اللاجئين المشردين . فتسليح إسرائيل يعد مصدرا للشرارة التى تهدد باضرام نيران الحرب فى أرجاء الشرق الأوسط ، ولم يعد سرا أمر العدوان الثلاثى الغادر على مصر ، ولا العدوان الجديد الذى يبيت الآن لسوريا وراء حجب من دخان التضليل والتحريض وقلب الحقائق » .

دعوة مليونين من اليهود إلى فلسطين

أذاعت وكالة يونيتدبرس من نيويورك حديثا أدلى به بن غوريون فى التليفزيون بأنه يود أنه يرى جميع يهود العالم يهاجرون إلى فلسطين ، وزعم أنه سيحدث هذا عاجلا أو آجلا ، وقال : إن مليونين من اليهود على الأقل لا يستطيعون البقاء حيث هم الآن وأنه يدرك أن اليهود ليسوا جميعا متفقين مع الصهيونية ، لذلك فكثيرون منهم راضون بالبقاء فى البلاد التى يعيشون بها الآن . قال : ولكننى أذكر مرة فى إحدى زياراتى للولايات المتحدة أننى شاهدت قطعة من الأرض ثبتت عليها لافتة مكتوب عليها : « لا يمكن التصرف فيها » أى أن اليهود لايستطيعون شراءها . وهذا مالا أستطيع أن أرضاه ، ولو كنت يهوديا أمريكيا لسافرت

إلى إسرائيل ، فإسرائيل بصفة خاصة تستطيع أن تفيد من اليهود الأمريكيين الذين يتميزون بروح الإقدام والمغامرة ، وحدد بن غوريون معنى الصهيونية بأن يكيف اليهودى حياته الخاصة فى بلاده طبقا لمعتقداته ومثله الخاصة . وأعرب عن أسفه لأن العالم اليهودى اينشتاين رفض قبول رياسة جمهورية إسرائيل عقب وفاة حاييم وايزمان رئيسها الأول .

اللاجئون العرب

محك لامتحان الانسانية

أصدر مؤتمر الاتحاد البرلمانى الدولى المنعقد فى لندن قرارا يقضى بأن يحظى اللاجئون العرب بكل عناية تتطلبها قضيتهم العادلة» ، وبالا توضع أية عقبات فى طريق من يبدون رغبتهم فى العودة إلى بلادهم .

وقد حاول وفد البرلمان الإسرائيلى أن يستبعد عبارة « اللاجئين العرب » من هذا القرار ، لينصرف إلى اللاجئين عامة ، ولكنه فشل فى محاولته ، ورفض اقتراحه بأغلبية ٣٣١ صوتا مقابل ١٨١ وامتنع ٥٢ عضوا عن التصويت .

والتاريخ عندما يسجل مثل هذه القرارات سيعتبرها محكا لامتحان إنسانية هذه الدول وممثليها : لأن قضية فلسطين نفسها وإخراج أكثر من مليون من أصحابها ليكونوا مشردين تحت الخيام خارج أملاكهم ووطنهم ، يعد سبة عار شنيعة على كل من اشترك فى هذا الخزى ، أو كان له هوى فى وقوعه ، وتدنيس سمعة الحضارة الغربية بما لا تطهره بحار الكرة الأرضية كلها .

إسرائيل تضطهد عرب السواعيد

أرسلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة إلى الدول الأعضاء اقترحت فيها العمل على إجراء اتصالات عاجلة مع ممثلى الأمم المتحدة فى لجان الهدنة المشتركة بين العرب وإسرائيل للتحقيق فى التدابير التعسفية التى تتخذها السلطات الإسرائيلية لاضطهاد عرب السواعيد القاطنين بمنطقة الجليل المحتلة ، والتى يهدف الاسرائيليون من ورائها إلى إرغام العرب على الهجرة من أراضيهم وترك ممتلكاتهم ، وطالبت الأمانة العامة للجامعة باتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامة عرب فلسطين والمحافظة على أملاكهم فيها ، ومن أساليب هذا البغى أن اسرائيل تطالب عرب السواعيد بأن يثبتوا قانونية تصرفاتهم فى أراضيهم الموروثة عن آبائهم خلال الخمسين عاما الأخيرة ، ومن جهة أخرى أوعزت اسرائيل إلى فرقة الهاجاناه الإسرائيلية بأن تقوم بمناورات بالذخيرة الحية فى أراضى عرب السواعيد ، فوقعت بسبب ذلك خسائر كبيرة فى الأرواح العربية وممتلكاتها .

بيان سعودى

يقطع ألسنة الصهيونية وصنائعها

إن دبلوماسيي الغرب الذين وضعوا أنفسهم تحت تصرف اليهودية العالمية قد أكثروا من القول بعد حصول سوريا أخيرا على حاجتها الدفاعية من الأسلحة بأن جاراتها أوجسن خيفة من ذلك ، ويعتبرن هذا السلاح مهددا للسلام فى الشرق الأوسط ، وانتهزت اليهودية العالمية وصنائعها كل مناسبة للتعريض بالمملكة السعودية وغيرها من الحكومات العربية بأنهن يخالفن الحياد العربى الذى تمثله سوريا ومصر. وقد أراد الملك سعود وهو يستشفى فى سويسرا أن يقطع ألسنة الصهيونية وصنائعها فقطع إجازته فى أوربا وحضر إلى دمشق واجتمع برئيسها ، وكان السيد على جودت الأيوبى رئيس وزارة العراق موجودا فى لبنان حينئذ ، فحضر هو الآخر إلى دمشق ، وقد أذاع الملك سعود بيانا صريحا فصيحا قال فيه : « إننى أرغب أن أصرح بدون لبس ولا إبهام ، وبإخلاص عرفنى به إخوانى السوريون خاصة والعرب عامة ، أننى أعارض كل اعتداء على سوريا وعلى كل قطر عربى ، وسأقاوم مع إخوانى السوريين والعرب أى اعتداء يقع عليهم وعلى استقلالهم أيا كان مصدره ، وقواتنا العربية ـ بعون الله وتوفيقه ـ مشتركة للدفاع عن كيان المجموعة العربية أمام الخطر المحدق بها ، ومصلحتنا مشتركة فى الذود عن حريتنا واستقلال بلادنا جميعا » .

إسرائيل هى الخطر الأكبر

زعم ساسة أمريكا أن الحكومات المجاورة لسوريا ترى فى ازدياد السلاح السورى خطرا عليها ، فكان ممن كذب هذه الدعوى وفد الأردن فى الأمم المتحدة فأعلن رئيسه السيد يوسف هيكل أن الدول العربية لا تعتبر سوريا مصدر خطر عسكرى على أية دولة منها ، ولكنها ترى أن إسرائيل هى الخطر الأكبر على أمنها وسلامتها .

جواب العراق إلى سوريا

كانت الحكومة السورية قد سألت الحكومات العربية المجاورة عن صحة مازعمته أمريكا من أن هذه الحكومات تشكو من تسلح سوريا ، وتعتبر ذلك خطرا عليها ، فأذاعت شركة روتر برقية من بغداد بأن متحدثا بلسان وزارة الخارجية العراقية صرح بأن حكومة العراق مقتنعة تمام الاقتناع بأن سوريا لن تفكر فى القيام بأى عدوان على أية دولة عربية شقيقة ، وأن شراء سوريا الأسلحة من دول الكتلة السوفيتية لأغراض الدفاع شىء ، ومسألة استغلال الشيوعية الدولية للقومية العربية شىء آخر ، وأن الحكومة العراقية ترجو أن تستمر سوريا فى تعاونها مع سائر الدول العربية ضد العدو المشترك وهو إسرائيل .

سوريا بمجلس الأمة المصرى

قرر مجلس الأمة - بالإجماع - إعلان مناصرة سوريا فى نضالها ، واستنكار المؤامرات الاستعمارية الأمريكية ضد سوريا . وشكر الرئيس جمال عبد الناصر على موقفه من البلاد الشقيقة . وقد ناشد مجلس الأمة المصرى برلمانات وحكومات العالم مساندة سوريا فى صمودها وكفاحها ضد الاستعمار .

العدوان على سوريا

سيؤدى إلى حرب عالمية

تلقت الحكومة السورية تأكيدات جديدة من الاتحاد السوفيتى بأنه لن يسمح بأى عدوان على سوريا ، وكل عدوان عليها سيؤدى إلى حرب عالمية .

مؤتمر المحامين العرب

انعقد فى دمشق مؤتمر المحامين العرب ، ومن أهم مقرراته :

مشروع دستور الاتحاد العربى الذى يمنح المحامين العرب جميعا حق المرافعة أمام المحاكم العربية دون استئذان النقابات .

وأن تأميم قناة السويس تم على وجه سليم وفقا للقانون الدولى .

ومطالبة حكومتى مصر وسوريا بالإسراع فى تحقيق الاتحاد الفيدرالى بينهما ، وترك الباب مفتوحا للدول العربية كى تنضم إليه .

وطالب المؤتمر بمقاومة مبدأ أيزنهاور .

تبرع أمير قطر

مر بمصر سمو الأمير على بن عبدالله الثانى حاكم قطر عند توجهه إلى سويسرا للاستشفاء ثم عند عودته منها إلى بلاده ، فكان موضع الحفاوة والإكرام من الحكومة المصرية وصحافتها وذوى المكانة فى مصر ، ونزل على الحكومة ضيفا فى قصر الطاهرة . وقد تبرع سموه بخمسة عشر ألف جنيه لضحايا العدوان الثلاثى على مصر فى العام الماضى .

الجزائر والدستور الفرنسى

فى برقية لروتر أن كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية ألقى خطابا قال فيه : إنه يتعين تعديل الدستور الفرنسى بحيث يتمو نموا فدراليا يتفق والتطورات فى الجزائر والمستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار . إننا سنجد أنفسنا - دون شك - مضطرين لتعديل دستور لم يراع فى سنة ١٩٤٦ جميع التطورات المحتمل حدوثها . إننا بين خطرين : خطر انتهاج سياسة إغراق قد يكون معناها الإبقاء على حالة البؤس والفوضى فى الجزائر ، وخطر سياسة تستند إلى القوة دون اعتبار لما يحدث فى العالم من تطورات دون اكتراث بما يصبو إليه الجزائريون من إدارة شئونهم .

مصر وسوريا

في حديث عظيم للرئيس جمال عبد الناصر

قال الرئيس جمال عبد الناصر في حديث تلفيزيوني عظيم أدلى به إلى ويلتن وين مراسل وكالة اسوشيتد برس، وويلزهانجن مراسل شركة الإذاعة الأهلية الأمريكية، جوابا عن سؤالها عما إذا كانت مصر سترسل قوات لمساعدة سوريا في حالة وقوع عدوان عليها: «إن هناك اتفاقا بين مصر وسوريا بشأن الدفاع ضد العدوان، فإذا ما وقع عدوان على سوريا فإن مصر ستهب لمساعدة سوريا بجميع الوسائل». ونفى أن سوريا أصبحت شيوعية وقال: إن السوريين وطنيون، وينبغي للمرء أن يفهم الفرق بين الوطنية والشيوعية. وأنا أعرف شخصيا معظم الضباط البارزين في الجيش السوري وليس بينهم شيوعي واحد. وإنى على ثقة من أن سوريا لن تقع تحت أية سيطرة أجنبية» وتساءل قائلا: «لماذا لا ترسل الحكومة الامريكية مبعوثين إلى دمشق بدلا من زيارة عواصم البلاد المحيطة بسوريا لجمع المعلومات عن سوريا».

وهذا الحديث التلفيزيوني نشر في ٧٦٠٠ جريدة في العالم، وشاهد صورة الرئيس جمال عبد الناصر عند إلقائه نحو أربعين مليونا أمام أجهزة التلفيزيون في أمريكا.

إحصاءات عن جهاد الجزائر

زاد عدد المجاهدين في جيش تحرير الجزائر خلال ثلاث سنوات من ثلاثة آلاف إلى خمسة وعشرين ألفا، وهناك عشرون ألفا من المدنيين يقضون نصف وقتهم في مساعدة جيش التحرير.

• بدأت أسلحة جيش التحرير ببضع مئات من بنادق الصيد، وهو الآن مسلح بأسلحة حديثة عشرها منتزع من أيدى الفرنسيين، ويحصل الثوار شهريا على ١٥٠٠ قطعة سلاح من طريق تونس وخمسمائة قطعة من طريق المغرب.

• خسائر الثوار وأعدائهم الفرنسيين متعادلة، فقد بلغت أربعين ألفا لكل جانب في السنوات الثلاث.

• يتلقى جيش التحرير من الرأسماليين الجزائريين ٢٥٠٠٠ دولار سنويا، ومن العمال ... و ٣٠٠ دولار، وتبلغ معونة البلاد العربية ٦٥ مليون دولار سنويا، وقدم الفلاحون لجيش التحرير ٧٥ ألف رأس ماشية.

هذه الإحصاءات حصل عليها ليونل ديراند مراسل مجلة نيوزويك الأمريكية من الجزائر.

حياد مصر الايجابى

وجه مستر ويلزهانجن مراسل الإذاعة الأهلية الأمريكية فى الشرق الأوسط السؤال التالى إلى الرئيس جمال عبد الناصر :

لقد سمعنا شرحا كثيرا لحياد مصر الإيجابى ومع ذلك ففى أمريكا كثيرون لا يفهمون كيف تستطيع مصر — من الناحية المعنوية — أن تبق محايدة بين ديمقراطية الغرب وشيوعية الشرق ؟

فأجابه الرئيس : « عندما تتكلمون عن حيادنا لا بد أن تنظروا إليه فى ضوء تاريخنا وأمانينا الوطنية ، بل فى ضوء عقدنا النفسية وفى ضوء تجاربنا مع الدول الكبرى ، وبالأخص بريطانيا وفرنسا . لقد احتلت بلادنا مئات السنين من الأتراك ، ثم جثم الاحتلال البريطانى على أرضنا أكثر من سبعين سنة . والآن حصلنا على استقلالنا ، ولا نريد أن نضيعه . إننا نتبع سياسة عدم الانحياز ، سياسة تمكننا من أن ندرس بروح من العدل كل مشكلة يواجهها العالم ونبدى رأينا فيها ، فنقف مع الحق ، ونعارض الباطل ، دون ما قيد حتى على حقنا فى التفكير . ونحن نؤيد حق تقرير المصير لكل شعب ، ونقف مع كل دولة تحارب من أجل استقلالها ، هنا نستطيع أن نكون محايدين .

« ولكن هذا ليس حيادا بين الشيوعية والرأسمالية ، ذلك أننا فى مصر نطبق نظاما أقرب إلى النظام الرأسمالى منه إلى أى شىء آخر ، بينما نحن نعارض المذهب الشيوعى فى بلادنا .

« حيادنا إذن هو المجال الدولى ، ومعناه الأول هو عدم الانحياز . نحن نعتقد أن ذلك خير ما يخدم قضية السلام وينهى الحرب الباردة » .

وقال جوابا عن سؤال بشأن موقف مصر من الاتحاد السوفيتى :

« إن سياستنا هى البعد عن المحالفات العسكرية مع الجميع . أما عن الاتحاد السوفيتى فالواقع أنه ساعدنا فى كل أزماتنا . وحينما واجهنا خطر المجاعة بعد العدوان الثلاثى فى العام الماضى كان الاتحاد السوفيتى هو الذى باع لنا القمح والبترول ، بينما رفضت ذلك الولايات المتحدة الأمريكية » .

مصر والمملكة السعودية

استقبل الملك سعود — قبل مغادرته مدينة دمشق عائدا إلى بلاده — السيد محمود رياض سفير مصر فى سوريا ، وقد دامت المقابلة نصف ساعة ، وقد أبلغ السفير المصرى أثناء المقابلة تحيات الرئيس جمال عبد الناصر للملك سعود ، وحمل الملك سعود السفير المصرى رسالة شفوية تتضمن تحياته وعواطفه الأخوية للرئيس جمال عبد الناصر

الفهـرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ للطلبة في وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الرابع ـ القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٧ ـ ٢٤ أكتوبر ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة تعاونيـــــة
وأمـــــة متعاونة

« التعاون » كلمة ضخمة ، وكلمة لها معنى كبير ...

كذلك قال جمال عبد الناصر عندما افتتح في العام الماضي الدورة الثانية للمؤتمر التعاوني العام . ومنذ قالها وأنا أترقب الفرصة لأتحدث إلى قرائي عن هذه الكلمة ، وعن معناها الكبير . ومهما أبطأت بي فرصة الحديث عن « التعاون » فإنه موضوع لا يزال بكرا ، وهو جدير بالبحث والدراسة ، لأنه حاجة الأمة العربية كلها في الزمن الذي نواجهه ونعيش فيه ، ويوشك أن يكون الهدف الأول للتفكير والتقدير والتدبير في المستقبل القريب لمصر وأوطان العروبة والإسلام جميعا .

هذه الشعوب الكبيرة والصغيرة من شعوب الأرض ، التي طاف القمر الصناعي بأجوائها في الشهر الماضي ، منقسمة ـ في معايشها وفي حياتها الاقتصادية والاجتماعية ـ إلى مذاهب أبرزها وأظهرها مذهبان : المذهب الرأسمالي الذي تمثله بيوت الأموال

والأعمال فى أمريكا ، والمذهب الشيوعى الذى أخذت به روسيا منذ أربعين عاما ولحقت بها الصين الشعبية والبلاد الدائرة فى تلك الأفلاك .

ونحن أبناء الأوطان العربية والإسلامية ، بما لنا من سجايا اجتماعية عريقة فى القدم ، وبما تطورت به هذه السجايا تحت تأثير مبادئنا الأدبية والخلقية المستمدة من سنن الإسلام ، نميل دائما إلى الاعتدال والتوسط فى الأمور ، والأخذ من كل شىء بما فيه من عناصر الخير التى تلائم سجايانا ، وتساير سنن الإسلام . لذلك كانت شعوبنا العربية والإسلامية تقر نظام التملك الفردى ، وتعترف للمواطن منفردا ، وللأفراد مشتركين ، بثمرات نشاطه ونشاطهم فى الكسب الحلال ، وتحب من الكاسب الصالح أن يكون عضوا نافعا فى المجتمع ، متعاونا معه على تقدمه ، وتقدم المجتمع بتقدم أفراده ، حتى يكون الفرد للمجموع والمجموع للفرد .

واعترافنا بمبدأ حرية التملك الفردى ، وإيماننا بصحة هذا المبدأ ، مقيد بالحيطة فيما نبه إليه دستورنا الأعظم فى سورة العلق (الآية ٦) : « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » ، وقد شاهدنا فى عظات التاريخ ، ولا نزال نشاهد فى مختلف البلاد ، مظاهر طغيان المال فى تأثيره على اتجاهات الحكم . كما شاهدنا ولا نزال نشاهد مظاهر طغيان المال فى استئثاره بمصادر العيش ومرافقه وأسواقه . لذلك كان من حكمة التشريع فى نظام العروبة والإسلام تقييد حرية التملك الفردى أولا بأن يكون اكتساب المال وتكوين رءوس الأموال بالأساليب المشروعة ومن الطرق التى يرضاها الله ، وتقييد رءوس الأموال ثانيا ــ بعد تكوينها من حلها ــ بأن تكون قوة للمجتمع لا قوة عليه ، وذلك بأن يحتاط المجتمع للحد من طغيان المال فيما يحتمل أن يؤثر به على اتجاهات الحكم كما هو واقع الآن من وراء ستار فى بعض الدول الكبرى ، ثم فيما يحتمل أن يؤثر به على مصادر العيش ومرافقه وأسواقه مما هو مشاهد وملموس فى كثير من البلاد .

إن المسلمين الأولين من أصحاب الملايين كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطبقتهما كانوا يفهمون من الآية السابعة فى سورة الحديد أن الثروة التى يتيحها الله لمن شاء من الناس إنما هى أمانة الله تحت يد من ساقها إليه ، وكانوا يعلمون أن بين الذين حرموا منها من هم أقدر على تحصيل مثلها وأكثر منها لو كان الغنى والكسب بقدرة الغنى الكاسب ، لابقدرة المغنى الواهب . فكان ذلك يزيدهم يقينا بأن الله « يستخلف »

من شاء على ما شاء من خيراته ليمتحن الأغنياء فى كيفية تصرفهم فى الأموال . فكانوا يكتفون لنفقتهم الخاصة بما يكفيهم بالمعروف من غير تقتير ولا تبذير ، ثم يكون غنى الغنى منهم بعد ذلك قوة للأمة ، فيستعمله فيما تحتاج إليه الأمة فى حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية . هذه بئر فى المدينة يحتاج إليها المسلمون فى شربهم ومرافقهم ، ويتحكم بها يهودى فيلقون من تحكمه عنتا ، وعند مسلم رحيم من سراة المسلمين المال الكافى لتفريج هذا الضيق عن الناس ، فيبادر إلى شراء نصف البئر من اليهودى ويبيحها للأمة مجانا فى أحد يومين ، فينقطع عن اليهودى مورد يومه الثانى لاكتفاء الناس بما يستقونه مجانا فى اليوم السابق ، فيضطر اليهودى إلى عرض النصف الباقى له من البئر للبيع ، فيشتريه ذلك المسلم الرحيم ويبيح البئر كلها للناس مجانا ، وينقذهم من احتكار اليهودى البغيض . وهذا جيش رسول الله يتجهز لارتياد مشارف الشام ، وإن كثيرين ممن أزمعوا الجهاد مع رسول الله لا يجدون الرواحل تنقلهم مع الجيش المتأهب للسفر ، فيقدم هذا السرى المسلم الرحيم الراحلة والعون لكل من يحتاج إليهما من المجاهدين . وهذه قافلة له قادمة من الشام إلى المدينة عليها مواد التموين فى أيام قحط ومجاعة ، فيبذل له تجار المدينة أضعاف ثمنها ليتاجروا به ، فيقول لهم : إن ربى وعدنى بأكثر مما تبذلون ، وأباح ما تحمله القافلة لكل جائع من الفقراء والمساكين . إن هذا التصرف بالمال لخير المجتمع بهذا السخاء العجيب صادر عن دافع واحد هو اعتقاد أن ثروة الغنى أمانة من الله تحت يده استخلفه عليها ليمتحن حسن تصرفه فيها عند الشدائد . وهذه النظرة إلى المال لا ينتظر أن تكون بهذا المقياس الواسع إلا من تلاميذ معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه وعلى تلاميذه ، ونحن لا نطمع من سراتنا وكبار أغنيائنا أن يبلغوا هذه المنزلة ، ونرضى منهم بأن تبقى ثرواتهم تحت أيديهم على أن يتصرفوا فيها ويتخيروا أبواب استعمالها فيما يتفق مع حاجات الأمة وعزة الدولة . فقد يكون التعاون فى عصرنا هذا على إنشاء مصنع للصلب والحديد ، أو المساهمة فى إقامة مصانع للأسلحة ، أفضل عند الله من إنشاء الملوك فى القرن الماضى والذى قبله خمس تكايا للكسالى والمنصرفين عن العمل والكسب النبيل . فإذا توخى أصحاب رءوس الأموال من سراتنا استعمال أموالهم فيما تقوى به الأمة ويتحقق به عز الدولة تجاه الأغيار من شانئيها ، فإننا نعد ذلك فى هذا العصر من تعاون الأغنياء مع شعوبهم على ما يعلى مقامهم ومقام شعوبهم بين الأمم .

فالمبدأ الإسلامى فى سياسة المال أن ينظر أصحاب الأعمال إلى مرافقهم الصناعية

والتجارية والاقتصادية بأنها جزء من ثروة الأمة والوطن ، وأنها أمانة الله تحت أيديهم استخلفهم الله عليها ليديروها بحسب مصالح الأمة ، وبما يزيدها قوة ويغنيها بذلك عن ذل الحاجة إلى الأغيار . ولعلهم إذا نظروا هذه النظرة إلى مرافقهم ومؤسساتهم أن تسرى عدوى الخير إلى عمالهم فيكونوا أخلص لهم فى خدمة المؤسسة واعتبار أنهم لايخدمون فيها تخصصا لمنفعته الخاصة ، بل يخدمون الوطن بحياطة جزء من ثروته والسهر على تنميتها وتقدمها . ويحزننى أن أقول : إن اليهود يتعاونون لصهيونيتهم بالعنصر المادى من هذه المعانى التى هم غرباء عنها وهى من مبادئنا ، ولعلنا نستيقظ لذلك ونتخذ هذه المعانى سلاحا لنا فى المعترك الذى نخوضه لنكون عند الله من المجاهدين ، وفى جهادنا من الفائزين .

وإلى هنا أتكلم عن التعاون بمعناه العام ، وأهدافه الإسلامية ، لا بمعناه الفنى الذى يوشك أن تختاره مصر نظاما لها بعد أن قالت فى المادة السادسة عشرة من دستورها : « تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » .

وأنا أراقب حركة التعاون فى مصر من عشرات السنين ، فقد رأيتها وهى تولد ، وتابعت تطورها وهى تحبو ، ولاحظت قوانينها كلما تغيرت وتجددت . وعيبها الأول والأخير فى نظرى أن التعاونيين ينظرون إلى حركة التعاون بعيون أوربية وأمريكية . هى عندهم طريقة من طرق الحياة الاقتصادية تكون مستقيمة إذا صحت أرقامها وانتظمت ميزانيتها وحساباتها ، وأقصى ما يطمعون فيه لنجاحها أن تموّل وأن يكون القائمون عليها حاذقين فى قواعدها والعمل بنظامها . وهذا الذى يهتمون به هو جسم التعاون ، ولهذا الجسم روح لعله هو الذى عناه جمال عبد الناصر لما قال : التعاون كلمة ضخمة ، وكلمة لها معنى كبير .

إن روح التعاون هو خُلق التعاون ، والإيمان بالتعاون ، وثقة التعاونيين بعضهم ببعض . وهذا هو العنصر المفقود فى حركة التعاون قبل الوعد الذى أعلنه الدستور فى مادته السادسة عشرة بأن الدولة تشجع التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها . والذى أحب أن ألفت الأنظار إليه أن تشجيع التعاون ورعاية منشآته ينبغى أن يبدأ بتحرى روح التعاون والحرص على توفره فى المنشآت التعاونية ، فاذا استطاعت الدولة أن تتحرى هذا الروح وتشجعه وترعاه فان التعاون سيقف على رجليه ويتحرك ويمشى ، وتكون له حركة ذات حيوية نشيطة ، فنطمع أن تكون الدولة حينئذ دولة تعاونية ، وهذا ما يوشك أن يكون ، وسوف يكون إن شاء الله طال المدى أو قصر ، وكلما عجلنا بوجود

عنصر الحيوية فى التعاون ، وأعنى به خلق التعاون والإيمان به وتبادل الثقة بين أهله ، كان ذلك أسرع فى نجاح حركة التعاون ، وقيام دولة التعاون وسيادتها فى دنيا العروبة والإسلام .

أقول هذا لمناسبة ما نشرناه فى باب الأدب والعلوم من الجزء الماضى عن مؤتمر المناطق التعليمية لمناقشة سياسة التعليم ، وإعلان وزير التربية والتعليم فى ذلك المؤتمر : « أن التعاون ينبغى أن يكون موضوع الدراسة فى جميع مراحل التعليم هذا العام ، وأن يعنى ببيان فوائده للتلاميذ ، وتدريسه فى كل مادة من مواد الدراسة ، حتى تغرس فضيلة التعاون فى نفوس أبناء الشعب جميعا » . وهذا تحقيق عملى لما جاء فى مادة الدستور خاصا بتشجيع الدولة للتعاون ، لكننى أعود فأطمع من مدرسى وزارة التربية والتعليم الذين سيتولون هذه المهمة فى المدارس أن يعنوا بروح التعاون وتربيته فى نفوس النشء كعنايتهم بقواعد التعاون وتعليمها لهم ، فمهمة المدرس الآن مزدوجة تتناول التربية والتعليم معا لا التعليم وحده كما كان الأمر من قبل ، وتتناول روح التعاون وقواعد التعاون معا لا قواعد التعاون وحدها كما كان مفهوم التعاون من قبل .

كان تعداد الجمعيات التعاونية فى مصر فى نهاية السنة الشمسية الماضية ٢٧٨٤ جمعية ، منها ١٨٩٢ جمعية تعاونية زراعية ، و ٣٥٢ جمعية تعاونية منزلية ، و ٢٩٤ جمعية تعاونية مدرسية و ٨٨ جمعية للاصلاح الزراعى ، و ٨١ جمعية تعاونية للمساكن ... الخ ، وهذا العدد الضخم من الجمعيات التعاونية كان يكفى لتمهيد الطرق بين يدى دولة تعاونية لو أنه نجح فى إشاعة روح التعاون فى الأمة حتى تكون أمة متعاونة ، ولكن العنصر المفقود فى حركة التعاون أعنى روح التعاون هو الذى جعل العدد الأكبر من هذه الجمعيات متخلفا ويعتبر عبئا على المجتمع ، وقد يضطر القائمون بمهمة الاصلاح فى الحركة التعاونية إلى إلغاء أكثر من نصف هذه الجمعيات لتفاهتها وتخلفها ، ولتجديد تكوينها من جديد على أسس صالحة . ومهما كانت الأسس المادية التى تبنى عليها جمعيات التعاون الجديدة صالحة فإن روح التعاون وخلق التعاون والإيمان بالتعاون وعنصر الثقة فى التعاون هو الذى يجب أن يتحرى قبل كل شىء ، وأن يبحث عن أهله ، وأن يشجع أهله ، ليتم بذلك تشجيع التعاون ورعاية منشآته بمختلف صورها .

كان المفروض فى الجمعيات التعاونية التى تألفت لبناء المساكن ولا سيما فى عاصمة الجمهورية أن تضرب المثل للتعامل بالمعانى التعاونية السامية ، لأن أعضاءها سيكونون متجاورين فى بقعة واحدة ، وسيصبح أبناؤهم فيها كأنهم أبناء أسرة واحدة أو قبيلة

واحدة يتبادلون حقوق الجوار ، ويتسابقون إلى القيام بواجبات المتعاونين الذين يمثلون ـ فى الغالب ـ طبقة واحدة متشاكلة فى المستوى الثقافى والتجاوب الاجتماعى والفكرى .
ومع ذلك فإننا نسمع عن بعضهم من التسابق فى دوافع الأثرة والأنانية ما يتنافى مع معانى التعاون وأهدافه العليا ، هـذا ومساكنهم التعاونية لم تبن بعد ، فكيف يتمتعون بحلاوة الجوار الهنىء والتعاون السعيد بعد السكنى إذا كان بعضهم يقطع الطريق على هذه السعادة وذلك الهناء بشىء من الأثرة لا يستحق كل هذه التضحية . وقد يكون التمادى فى ذلك ناشئا عن ضعف الأعضاء الذين تقع عليهم مسئولية تمثيلهم فى إدارة الجمعية ، وكلا الحالتين من نواحى الضعف فى الكيان التعاونى ، وكان ينبغى لقسم التعاون فى وزارة الشئون الاجتماعية والعمل أن يوجه لروح التعاون عنايته كما يوجهها لجسم التعاون ، ولا سيما فى هـذه السنوات من حياة الحركة التعاونية ، إلى أن ينمو فيها عنصر الثقة الذى لا حياة للتعاون إلا به ، بل هو التعاون والعناصر الأخرى تبع له .

وقد سمعت من صديق الأستاذ محمود فوزى مدير إدارة التعاون بالإصلاح الزراعى خبرا أثلج صدرى ، وذلك أن حريقا نشب فى إحـدى الجمعيات التعاونية للاصلاح الزراعى ، فحضر على الفور فى نفس اليوم مندوبو عشرين جمعية تعاونية قريبة من منطقة الحريق ومع كل منهم مبالغ من المال تتراوح بين مائة جنيه ومائتى جنيه إعانة للمنكوبين فى الجمعية التى حدث فيها الحريق . إن هذا الحادث ينبغى أن يسجل فى تاريخ التعاون المصرى ، لأنه يبشر بولادة التعاون بمعناه الحقيق ، وسيكون له ما بعـده من أمثال هـذا التعاون الذى يجعل المؤمنين به ـ وهو من عناصر الإيمان الإسلامى ـ كالجسد الواحـد إذا اشتـكى منه عضو سهرت على شـكواه بقية أعضائه . وقد يكون مندوبو الجمعيات الأخرى التى تعاونت مع زميلتها بهـذا التواسى فى كارثة الحريق مدفوعين إلى ذلك بإرشاد المشرفين عليهم من كبار التعاونيين . ولكن على فرض وقوع ذلك فإن استجابة الجمعيات الأخرى لهذا الإرشاد يشعر بدبيب روح التعاون الحقيق فى بعض جمعيات الإصلاح الزراعى .

وبعد فقد كتب التعاونيون كثيرا فى معالجـة طرق الإصلاح التعاونى ، ولـكن الناحية الخلقية قلما تناولتها الأقلام بالدراسة والتنبيه ، ولعل وزارة التربية والتعليم تتخـذ من ذلك أساسا فى تدريس التعاون ، ليـكون أساسا لقيام صرح التعاون الحقيق فى المستقبل .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٤ —

سلامة الامة فى تدينها
لا فى مجرد سلطانها وحضارتها

« ألم يروا : كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم ؟ ؟ »

ليس حديثا أن يقال : إن القرآن كتاب تربية جديدة ، وتقويم شامل ، لذلك كان منهجه فى الخطاب منهج التفاهم بالحجة ، والإقناع ، وأن يسلك بالعقول مسالك التوجيه إلى ما يقع تحت الأبصار ، أولا يبعد عن المدارك . . . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم ؟ » .

ومعروف أن دعوة القرآن كانت موجهة أول أمرها إلى أقوام عتاة ، يتحكم فيهم التقليد وتلهيهم الشواغل عن العبرة ، ويفهمون أن صلتهم بالزمن ستمتد بهم فى أمان من الأحداث . فكان من سياسة القرآن معهم أن يعرج بهم على الماضى ، ويضرب لهم من أمثال الغابرين ما يقع تحت أبصارهم أو ما لا يبعد عن مداركهم .

والعرب قوم يرتحلون ، ويشهدون من معالم الدنيا وآثار الأقدمين شيئا غير يسير ، فهم يعرفون من أنباء الامم المحيطة بهم ما يكفى لإيقاظ الوعى فيهم لو أرادوا .

ولكن لما عتوا ، وتمادوا فى الإباء الغاشم جذبهم القرآن إلى ناحية العبرة ، وذكرهم بتاريخ شاخص لمن يبصر به ، ولوى رقابهم إلى الوراء نحو الأحداث التى ألمت بمن كانوا أشد منهم بأسا ، وأكثر مالا ، وأعز جانبا ، ومع ذلك مادت بهم دنياهم وعصف بهم القضاء كما تعصف الريح بالهباء ، وأصبحوا فى حساب التاريخ عبرة لمن بعدهم

وانظر تجد فى الخطاب خصائص جمة :

ففيه استفهام إنكارى ينطوى على سخط وسخرية بأولئك المتصلفين الذين يتعامون عن رؤية ما يقع تحت بصرهم ، أولا يبعد عن مداركهم لو تفطنوا قليلا .

وينطوى على اعتزاز الله بقوته الجبارة ، حيث أهلك قرونا سابقة كانت بالغة العتو ، وأشد بأسا من هؤلاء الذين يواجههم القرآن من جديد .

وينطوى على تحقير لهؤلاء بالنسبة لمن سبقوهم ، إذ كان للأولين تمكن فى الأرض أكثر مما لهؤلاء ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ولا سلطانهم ، ولا قواهم وجبروتهم من الله شيئا .

ولزيادة الإيضاح ذكر الكتاب الكريم جانبا مما كان عليه الغابرون من بسطة فى العيش لم تكن للخاطبين من قريش ومن إليها .

فقال سبحانه : « وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم » . فالمطر مناط الحياة فى البقاع الحجازية وما فى حكمها ، وتعلق العرب بالمطر كتعلقهم بالحياة نفسها ، فاذا عرفوا أن المطر كان دائما لا يتخلف عن أولئك الغابرين ، ولا تجحف بهم كثرته ، بل كان غامرا ، ومتاعا ، وخصبا ، وسعة فضفاضة فى الأرزاق والحضارة إذا عرفوا ذلك ، وتنبهوا إلى أن حظهم من المطر وآثاره لم يبلغ ما بلغه أولئك . أدركوا ما بينهم وبين السالفين من فرق ، وعرفوا أن شأنهم فى الدنيا أهون من شأن السابقين ، وكان عليهم أن يدركوا ما هم معرضون له كما تعرض له الأقوى منهم بسبب ذنوبهم ، وطغيانهم ، وأن الله أنشأ بعد إهلاك الأولين أمما أخرى سكنت ديارهم ، وورثت أوطانهم ، وعمروها من بعدهم ، وأصبح ذكرهم قصصا لغيرهم .

وبعد ـ فما كان القرآن ليترنم بهذا القصص دون هدف يرمى إليه فى إصلاح الناس ، والإقلاع بهم عن عماية البصائر وقسوة القلوب .

وما كان الإعراض عن خشية الله مهلكا لأمم سابقة دون أن يكون شأنهم شأنا لغيرهم ممن يحاكيهم فى بطرهم ، ويخطو على أثرهم فى المفاسد .

وأن سنة الله فى خلقه لا يقف دونها حائل من سلطان الأمم مهما بلغت من جبروت

وإذا كان من حكمته أن يترفق بهم، وألا يعاجلهم بالهلاك ، فليس في هذا أمان من أخذه كما أخذ القرى الظالمة من أهل القرون الأولى .

وقد عرف الناس من تاريخ الحياة قسطا غير محدود ، وعرفوا أن الدنيا أصبحت في غير لونها الأول ، وأخذت في نمو مطرد ، وفي سرعة خاطفة ، حتى تعودنا أن نطمع في تجددها مطلع كل يوم جديد ، ونحن وكل من يدرك معنى الحياة نستبشر بهذا الرقي ، ونبتهج لانتعاش الحضارة ، ونود لو نعيش في ظلالها حقبة طويلة .

ومع ذلك نرى استكمال الدنيا لمباهجها اقترابا من نهايتها « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » فالقرآن يحجزنا عن الغرور بتلك المظاهر ، مع حثه لنا على الجد فيها والمنافسة في تعميرها ، وتدبر ما فيها من نعم ، والانتفاع بكل ما نصل إليه من أسرارها ونعمها مما أباح الله ، ولم يتعلق به حظر ، ولا تتصل به مفسدة .

وتحذير القرآن حماية لنا من الفتنة ومحافظة علينا من الغفلة فالقرآن يدفعنا دفعا إلى الخير من جانبيه . جانب التمتع في الحياة بما اشتملت عليه ، وجانب الصلة بالله ، وتحاشي مايذهب بالنعمة والتحفظ لاستدامتها بمرضية الله فيما دعانا إليه من نشاط روحي أو مادي .

وهذا ربط للدنيا بالدين في أفق واسع ، ونهج رشيد ، وجهد متصل .

وفي ضوء ذلك تكون الحضارة الحديثة ، والمعارف ، والفنون ، وكل حركة إيجابية تأتي بنفع . تكون هذه كلها من وسائل الخير الذي يهدف إليه الدين ، ويعتبره مظهرا لفضل الله على عباده ، وتعميرا للدنيا التي وفر فيها كل أسباب التعمير ، واختار الإنسان خليفة فيها ليتدبرها ، ويحسن استثمارها ، ويتمتع بها ويشكر المنعم علينا من أجلها .

وليس من الفهم للدين أن نفرضه عدوا للدنيا ، أو صارفا عنها بعد أن وضح لنا أنه يطهرها مما يشوبها ، ويرمي إلى كمالها ، وحسن الاتجاه فيها .

ومن غير التوفيق أيضا أن يعتبر هذا النشاط الدنيوي استئنافا لما ينطوي من الزمن ، وامتدادا للحياة في سبيل الخلود ، فإن طبيعة الدنيا أمام الأعين ، وفي المدارك ، وفي كل

ما نحسه ، او نفكر فيه يشهد بالفناء ، والدنو إلى النهاية المحدودة فى علم الله ، فعجيب منا أن ننسى جانب العبرة ، وأن نتمادى فى التغاضى ، وأن تغمرنا مباهج الدنيا ، ونندفع وراء الظواهر الفتانة التى تعرض ثم تنكمش بدورها وتصبح فى غير حساب البقاء .

إن المعالم الثابتة التى يستطيع الإنسان أن يسير فى ضوئها ويستمد منها معارفه هى الكتب السماوية القويمة وملاكها القرآن الكريم .

وكم وددنا أن تجنح الأفهام إلى التزود منه ، وألا تحتجب عن موارده وراء العصبية ، أو الجهالة أو الانهماك فى العيش .

ولكن أناسا يتجهون نحوه فيهديهم الله بهدايته وآخرين يصدفون عنه فيضلهم بما كسبت أيديهم ، والقرآن فى ذاته مشرق دائما لكل ذى بصيرة .

وصدق الله فى قوله : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » . ١

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الرجل المخيف

يقول (روبرت جاكسون) القاضى بمحكمة الاستئناف العليا بأمريكا :

« إن مجتمعنا يحق له أن يخاف الرجل المتعلم وحده ، وذلك لأن أفظع الجرائم وأشدها خطورة على الحضارة يمكن أن يرتكبها أولئك الذين نالوا قسطا وافرا من العلوم ، وتبحروا فى الدراسات الفنية التى تخصصوا فيها . وليس ثمة ما يصلح هذا الاتجاه الخطر سوى المطالبة بادراج الثقافات التقليدية العظيمة والمبادئ الإنسانية ذات القيم الروحية التى تيسر لصاحبها الحكم السليم على قيم الأشياء ، ضمن المواد التى يحتم على جميع الطلاب دراستها .



الوصاة بكتاب الله عز وجل(*)

— ١ —

حياتنا دين لكتاب الله — هل نقضي هذا الدين ؟ — فرية مسطورة — ترويجها بين صديق جاهل أو عدو غائل — ما أجدرنا أن نتواصى بحياتنا خيرا .

عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ؟ ! أو أمروا بالوصية ؟ ! قال : أوصى بكتاب الله .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري)

• • •

بينا في الحديث السابق أن النصيحة لكتاب الله تعالى : إجلاله وتعظيمه ، وتعلمه وتعليمه ، والعمل به ، والتأدب بأدبه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه ، والدعاء إليه ، والإنفاق في سبيله .

(*) لمناسبة إشراف الأزهر المعمور على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بأرض الكنانة ، أعزها الله وسائر بلاد المسلمين بكتابه . وهذا العنوان هو ترجمة الإمام أبي عبد الله البخاري للحديث في « فضائل القرآن » غير أنا اخترنا لفظ روايته له في أوائل « الوصايا » وقد رواه رواية ثالثة في « مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته » والروايات الثلاث متقاربة .

هذه النصيحة ، هى جماع الوصاة بهذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والوصية بكتاب الله عز وجل ، هى - بلا ريب - عين الوصية بحقوق الله وحقوق ورسوله ، بل هى عين الوصية بحقوق المسلمين بعضهم على بعض ، أئمتهم وعامتهم جميعا .

إن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها : عزهم ومجدهم ، بل بقاؤهم على ظهر البسيطة ، دين فى أعناقهم لهذا الكتاب الذى تعهد الله بحفظه « ومن أوفى بعهده من الله » فلينظر المسلمون : أفرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات ، كيف يقضون هذا الدين - نظرتهم إلى البقاء والفناء ، أو نظرتهم إلى المقام الكريم ، والذل المقيم ! ! ! فوالله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، لولا هذا الكتاب لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة ، ولذهب على أثرهما ما فى الأرض جميعا « أى وربى إنه لحق » ومن أصدق الشواهد على ذلك أن رفع هذا الكتاب آية من آيات الساعة ! ! !

• • •

كان بعض أشياع على رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه ، أشاعوا أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلىّ من بعده ، وأن الصديق ثم الفاروق رضوان الله عليهما انتزعاها منه . . . ووضعوا فى هذه الفرية أكاذيب لا تزال مسطورة إلى اليوم ، يخدع بها ويخدع ، من ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة . . . وقد انبرى لرد فريتهم حملة العلم وأمناء هذه الأمة من سلفها الصالح إلى يومنا هذا . . بل إن عليا نفسه رضوان الله عليه يكذبهم ويتبرأ منهم ويرد عليهم ، ولم يدعها لنفسه قط ، لا قبل خلافته ولا بعدها ، ولا ادعاها له أحد من أصحابه وأبنائه ، وهذا أبو جحيفة رضى الله عنه يقول : قلت لعلىّ رضى عنه ، هل عندكم شىء من الوحى إلا فى كتاب الله ؟ فقال لا ، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن ، وما فى هذه الصحيفة ، قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل (١) وفكاك الأسير ، وألا يقتل مسلم بكافر ؛ وعنه كرم الله وجهه : ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء لم يعم الناس كافة إلا ما فى قراب سيفى هـــذا ، ثم أخرج صحيفة مكتوبة . . وقالت عائشة

---

(١) الدية ؛ لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل ويعلقونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبل . والمراد أن بالصحيفة أحكام الدية ومقاديرها مفصلة .

رضي الله عنه ـ وقد ذكروا أن عليا كان وصيا ـ : متى أوصى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كنت مسندته إلى صدري (أو قالت حجري) فدعا بالطست ، فلقد انخنث (مال) في حجري وما شعرت أنه مات ! فمتى أوصى إليه ؟ ! كل هذا ثابت في الصحيحين وغيرهما . . .

وهؤلاء الذين يزعمون الوصية لعلي رضي الله عنه من الأصدقاء الجهلة الذين يتنقصونه ويذمونه من حيث يظنون تعظيمه وتكريمه ، ذلك بأنهم نسبوه مع شجاعته وعلو همته وصلابته في دين الله عز وجل ، نسبوه مع هذا كله إلى المصانعة والمداهنة والتقية ، والجبن عن المطالبة بحقه وهو قادر عليه والله مؤيده وناصره ! ! إن هذا لهو العجز الشائن الذي يحمي الله أولياءه وأهل بيته منه . . . لقد كان رضي الله عنه يتطلع إليها ويريدها لذات الله عز وجل ، ولكن الله الحكيم العليم لم يردها له ، ولو أرادها لأعلن بها الأمين المأمون صلوات الله وسلامه عليه ، ولصاحت بها الدنيا صيحة الحق في الآفاق مدوية .

ولقد استحثه عمه العباس أن يسألها النبي صلى الله عليه وسلم والفرصة في ظنه مواتية ، فأبى :

روى البخاري أن العباس أخذ بيد علي فقال له : أنت بعد ثلاث عبد العصا ! وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله: فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال علي : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن هؤلاء الذين يزعمون أنه صلوات الله عليه وسلامه أوصى إلى علي بالخلافة ، وانتزعها منه أبو بكر وعمر ، ليؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه وأهل بيته ، قصدوا إلى هذا الإيذاء أم لم يقصدوا ، ويسيئون إلى دين الحق والعدل ، أرادوا أم لم يريدوا . . . ثم لن يبلغوا من ذلك مأربا . . .

* * *

لما شاعت تلك الفرية وذاعت ، وعمل على ترويجها صديق جاهل أو عدو لدين الله

مخاتل ، أحب طلحة بن مصرف أن يستبين ويستوثق من أحد علماء الصحابة وأئمتهم : عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما .

وطلحة بن مصرف أحد كبار التابعين وخيارهم ، اتفقوا على إمامته وجلالته وورعه ، ووفور علمه بالقرآن وغيره ، وكان يسمى سيد القراء ، ولما أجمعوا على أنه أقرأ أهل الكوفة غدا إلى الأعمش يقرأ عليه ليذهب ذلك الاسم .

وأما عبد الله بن أبي أوفى فهو الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما :

شهد بيعة الرضوان وخيبر وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يزل معه بالمدينة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . ثم تحول إلى الكوفة ، وهو آخر من توفى من الصحابة بها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال : اللهم صل عليهم ، فلما أتاه أبو أوفى رضي الله عنه بصدقته قال : اللهم صل على آل أبي أوفى .

* * *

لا يجهل طلحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عند موته بثلاث . . . وأن آخر ما تكلم به « الصلاة وما ملكت أيمانكم » ، مما نفصله قريبا إن شاء الله ، وإنما أراد الوصية الخاصة المزعومة ، وفهم ذلك منه بحق عبد الله رضي الله عنه ، فنفى نفيا باتا تلك الوصية المفتراة دون تردد ، ثم أثبت الوصاة بكتاب الله تعالى ، وهي الوصية الوافية الشافية التي ينطوي فيها كل ما عداها من الوصايا النبوية ، وهذا هو سر اقتصاره ـ في الإجابة ـ عليها .

وما أجدرنا نحن والنبي صلى الله عليه وسلم يوصينا بما فيه رفعتنا ومجدنا ، أن نتواصى برفعتنا ومجدنا وحياتنا خيرا ، والله المستعان على البقية ؟

طه محمد الساكت

بيان من مشيخة الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا بيان للناس وهدى وموعظة »

يقول الله عز وجل فى كتابه العزيز : « يَأَيها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وأنثى وَجَعلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ الله أتقاكُم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أنس وأبو هريرة - : « خَيرُكُم مَن يُرجى خيرُه ويُؤمن شرُّه ، وشرُّكم مَن لا يُرجى خيرُه ولا يُؤمن شرُّه » .

بهذا الإرشاد السماوى الكريم ، وهذا الهدى النبوى الحكيم ، الذى بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين ، تزكو النفوس ، وتطهر القلوب ، وتسعد حياة الأمم والشعوب ، فإنه ينبغى أن تقوم أمور الناس فى هذه الحياة ، على المحبة والتعاون ، وعلى الصفاء والتواد ، لتصفو لهم ثمراتها ، وينتفعوا بخيراتها ، وليتفرغ العلماء منهم والباحثون ، للتفكير والتنقيب ، ويوجهوا جهودهم للكشف والاستنباط ، واستخدام ما خلقه الله فى الآفاق ، وما أودعه فى باطن الأرض وأعماق البحار ، من قوى وكنوز ومعادن وذخائر .

هذه القوى والمعادن ، وهذه الكنوز والذخائر - التى خلقها الله للإنسان ، وسخرها لنفعه ومعيشته ، وبقاء نوعه وإسعاد حياته - لا يمكن أن تضيق بحاجات هذا الإنسان ، مهما اشتدت هذه الحاجات وعظمت . ومهما تكاثرت أفراد النوع الإنسانى على وجه الأرض ونمت . بل إن هذه القوى والكنوز ، تغزر مادتها ، وتتجلى آية الله فى خلقها ، كلما اتسعت حاجات الإنسان ، وكلما امتدت الأيدى للأخذ منها والانتفاع بنفائسها . هى باقية ما بقيت

الأرض والسماء ، بل هي أبقى على الدنيا من حياة الإنسان نفسه ، فلا يكون من العقل ولا من الرشد ، التطاحن والتقاتل عليها ، وسفك الدماء في سبيلها ، ما دام معينها هكذا لا ينضب ، وما دام مجال الانتفاع بها فيه متسع للجميع .

إن أسباب البر بالإنسانية ميسرة ، ووسائل إنهاضها والترفيه عنها موفورة ممهدة ، وليس على الإنسان العاقل البصير إلا أن يتدبرها ويحسن التصرف فيها ، وأن يستخدمها في الوجوه النافعة الصالحة ، ويتجنب بها الوجوه الضارة المهلكة ، حتى يعيش هو وإخوته في الإنسانية عيشة أمن وسلام ، فإن خير الناس أنفعهم للناس .

إن ثمرات هذه الدنيا وخيراتها وكنوزها وذخائرها ، موزعة بعدل الله وحكمته ، في جميع الأقطار والأرجاء ، فليست محشورة ولا محصورة في جانب محدود من الأرض ؛ وهذا يعني أن شئون الناس في الحياة وأسباب معايشهم فيها مترابطة متشابكة ، كما أنهم مترابطون بنسب الآدمية ، متشابكون في معنى الإنسانية ، وأن شئون الحياة وأسباب المعايش يجب أن تسير بين الأمم والشعوب على نظام التبادل الحر ، وأن تضبط بينها بالاتفاقات الاقتصادية العادلة ، التي لا حيف فيها ولا حرب ، ولا احتكار ولا استعباد ، شأن جميع المبادلات والاتفاقات التي تجرى بين الأفراد والجماعات .

وإذاً تضيق جدا دائرة الخلاف والشقاق ، وتضعف عناصر الشره المرذول ، وتتلاشى عوامل الفتنة ، وأسباب الحسد والضغينة ، التي وجهت العلم والمال ، وسائر الطاقات والقوى ، إلى غير وجهتها الصالحة النافعة ، وسخرتها للتدمير والتخريب ، بدل أن توجه للتعمير والبناء والإصلاح .

لماذا تتسابق دول العالم شرقيه وغربيه ، في انفاق الملايين من الجنيهات ، على تفجير القنابل الذرية وتحضير القنابل الهدروجينية ، وعلى الصواريخ الموجهة ، وسفن الهواء ، ومراكب الفضاء ، وعلى ما يبتلع كل ذخيرة ويفنى كل ثروة ؟ ألأن الرشاشات والدبابات والنفاثات لم تفلح في إبادة الشعوب ، التي لا تحب أن تخضع للاسترقاق والاستعباد ؟ أم لأن الأمم التي تفتقت معارفها عن اختراع تلك المدمرات المهلكات ، قد سخرت من الدنيا وبرمت بالحياة فيها ، فهي تعمل على الخلاص منها بوسائل الانتحار ، ثم عز عليها أن يبقى

على وجه الأرض أحد بعدها ، فأرادته دماراً عاماً ، وخراباً شاملا ، يفسد كل شيء ويبيد كل حي ؟!

إنه إذا لم يستطع مخترعو تلك الصواريخ ، وكاشفو الطاقات الذرية وغير الذرية ، أن يقفوا استخدامها على المنافع المدنية ، وإنعاش الحضارة الإنسانية ، لحرام أن ينفقوا شيئاً أي شيء ، في سبيل تحضيرها وتفجيرها ، أو الاحتفاظ بها واختزانها . وحرام أن يروعوا الآمنين ، وينغصوا الحياة على الأبرياء المسالمين ، بتلك المخترعات الشريرة التي لا يراعون بها في جانب الإنسانية حقاً ولا حرمة ولا يخشون بها في جانب الله بطشاً ولا قوة .

وقديماً بغى قارون على الناس مثل هذا البغي ، وبطر بالنعمة : نعمة العلم والمال والقوة ، وطغى مثل هذا الطغيان ، فأخذه الله وخسف به ، ونجى من كيده وطغيانه المؤمنين المتقين . « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً » . قال تعالى : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » . ثم قال سبحانه : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

إن شيخ الأزهر وعلماءه يهيبون بهذا إلى حكام الشعوب ، وإلى الهيئات العالمية ، والمنظمات الدولية ، وإلى كل ذي رأي مطاع في قومه ، يدعونهم به إلى التآخي والاتجاه بكل ما يملكون من جهود ، نحو خير البشرية والرفق بها ، وإنقاذها عما يساورها في هذه الأيام من قلق ، وما يحيط بها من ذعر ، حتى تصبح الإنسانية في مأمن من المهالك ، ويتوافر للعالم الاستقرار والأمن والسلام .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

ربيع الأول سنة ١٣٧٧
أكتوبر سنة ١٩٥٧

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر
ورئيس جماعة كبار العلماء

من خواطر الساعة

دور رجال الدين بعد دور رجال العلم

تواجه الجماعات البشرية حالا من الرعب لا عهد لها بمثلها من قبل ولا طاقة لها باحتمالها ، فأخبار الصواريخ والقاذفات والأقمار الصناعية أثارت أعصابها ، وأخذت أسماعها وأبصارها ، وملأتها فزعا وذعرا : فمع كل طير طائرة ، ومع كل نبأة صاروخ ، ومع كل ومضة قمر صناعى ، وباتوا على حسك السعدان ، وشغلوا بالتفكير فى مستقبلهم إزاء هذه المخترعات ، ومن قبل ذلك استنفدت الجماعات قدرا غير قليل من طاقتها العصبية فى الخوف من أخطار حربين متتاليتين ، ثم فيما أعقبهما من شدائد معاشية عمت العالم كله نتيجة لهذه الحروب ولأسباب أخرى متصلة بها كوضع القيود المرهقة على التبادل التجارى الدولى فى المواد الخام وفى المنتجات عامة .

نعم تواجه البشرية عهدا من الرعب تظاهرت على تصويره وتبشيعه وسائل النشر الحديثة من صحافة وإذاعة وغيرهما حتى ليخال الإنسان أن الكون انقلب جحيما تأخذه النيران فيه من بين يديه ومن خلفه وعن أيمانه وشمائله ، ومن أعلاه وأسفله ، وضاقت الدنيا بما رحبت ، وضاقت أخلاق الناس وعز الصفح والاحتمال ، وحار الطب والأطباء فى تلك الأمراض العصبية الغريبة التى انتشرت بين الناس وزادت موجات الانتحار فى الشعوب كما زادت نسبة الجنون ، ومرد ذلك كله على ما يذكر المختصون إلى ظروف الرعب التى اجتاحت العالم فى ظل المخترعات العلمية المدمرة .

ولقد جن جنون العالم وذهلت نفوس الناس إثر انطلاق الصاروخ بالقمر الروسى وشغلت صحافة العالم وإذاعاته بالحديث عن أثر هذا الاختراع فى ميادين العلم والحرب والسياسة ، وعن مدى خطره على البشرية إذا قدر أن يستخدم كسلاح حربى ، وعن قوة فتكه بالأمم والشعوب ، وأضيف إلى بيان حقيقته العلمية وطاقته التدميرية مبالغات الكاتبين وخيالات المغالين ، فاستقر فى نفوس الناس له صورة رهيبة ترتعد لها النفوس

وتطير من حولها القلوب وتكره لها الحياة والأحياء والعلم والعلماء ، وحار الناس فيما يفعلون ليردوا إلى القلوب استقرارها وإلى الحياة جمالها وإلى النفوس بهجتها وهناءتها وليشعروا أنه فى الحياة فائدة وفيها متاعا وفيها خيرا وليست هذه الحياة المظلمة القاتلة للفكر وللوجدان .

وفى هذه الغمرات يتطلع الناس إلى من ينير لهم الطريق ويهديهم سبيل الرشاد ويخرجهم من ظلمات الحيرة إلى نور الاطمئنان ويفتشون عن القادة والزعماء وأول من تقع عليه خواطرهم رجال السياسة فاذا هم منهم على سراب لا ينقع غلة ولا يروى أواما ، فالساسة يعميهم التعصب عن الصواب ويخرسهم عن قالة الحق وتمنعهم المداهنة والحرص على المناصب عن الدعوة المخلصة إلى التعاون والسلام بين الشعوب ، وللناس فى التشكك فى إخلاص الساسة وغيرتهم عذرهم من تجارب الماضى والحاضر ، فمواقف الساسة تتكيف بمصالح الشعوب الخاصة لا بمصالح العالم عامة وليس لهم استقرار على رأى ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس وينكرون فى الصباح ما اعترفوا به فى المساء تبعا لاختلاف البواعث والدوافع .

لقد خاب ظن الناس فى الساسة وفقدوا ثقتهم فيهم وعافوا أساليبهم ونفضوا أيديهم منهم وأخذوا ينشدون غيرهم ويبحثون عن سواهم علهم يعثرون على طلبتهم ويظفرون بضالتهم . فأى الطوائف ينشدون ؟ وإلى أى قادة غيرهم يتجهون ؟ ليس للبشرية فيما نظن أمل بعد ذلك إلا فى رجال الدين ، ورجال الدين أحق الناس الآن بقيادة الشعوب ودعوتهم أنجح الدعوات ، وإن لم يفلح هؤلاء فى توجيه البشرية جهة الخير والصلاح ، فلا رجاء فى غيرهم . ولقد أفلح رجال الدين عصورا طويلة فى قيادة الشعوب شرقا وغربا وتمتعت الإنسانية فى ظلال دعواتهم وهداياتهم بعهود من الأمن والاستقرار والرخاء والاطمئنان مازالت تذكرها وتحن إليها ، وما عمت العالم الفوضى وما حل به البلاء إلا حين افلتت الزمام من أيدى رجال الدين ، وأمسك به جماعة لم يسوسوا الشعوب بسياسة الأديان ، بل ساسوها بقوانين من وضع الإنسان ، لايلبث بريقها أن يخبو فيسود العالم ظلام دامس تخبط الإنسانية فيه خبط عشواء .

سيقول السفهاء من الناس : إن قيادة الدين قيادة ضعيفة لا تظاهرها قوة النفوذ ولا قوة السلاح ، فكيف يقدر لها أن تفلح وهى مجردة من الحول والسلطان ؟! ولقد

وهم هؤلاء فقيادة الدين قيادة قوية تستمد قوتها من الدين وإيمان المؤمنين ، ومكان الدين في نفوس العامة بالقدر الذي نحسه ونلمس أثره ، فالقيادة به قيادة أدبية منتجة وإن أبطأت ، محمودة وإن تعوقت .

بيد رجال الأديان أن يقودوا الشعوب إلى السلام ويوجهوها وجهة الخير والصلاح العام ، وبيدهم أن يعدلوا من أفكار الساسة ويكفكفوا من غلوائهم ويكشفوا عن أساليب مكرهم وخداعهم ، وبيد رجال الأديان أن يدعوا إلى استخدام ما ابتدعه العلم في سبيل السلام الإنساني العام وفي مصلحة البشرية كلها لا فرق بين شرق وغرب ولا بين أبيض وأسود ولا أصفر وأحمر ، والأديان كلها تهدف إلى ذلك وتلتقي عند هذه الغاية ووجهتها جميعا خير البشرية وإسعادهم .

إن المسرح الآن معد لأن يؤدي رجال الأديان دورهم عليه وأن يعيدوا سالف أمجادهم في تزعم الشعوب وقيادتها ، وقد هيأت لهم أحوال العالم الفرصة فعليهم أن يغتنموها ، فقد ضاق الناس بالساسة وأساليبهم ، وكشفت التجارب عن خداعهم وانجلت الأمور عن فشلهم وتطلع العالم إلى غيرهم يلتمس الطب لهذه العلل والأمراض ، وطب العالم وشفاؤه منوط اليوم برجال الدين ، وإنهم لأطباؤه إن أخلصوا القصد وصمموا العزم وطرحوا التعصب المقوت والجدل البغيض ، ومن واجبهم أن يكونوا كذلك فالموقف جد خطير وحيرة العالم عامة وشقاؤه شامل ، لا يخص دينا دون دين ولا طائفة دون طائفة والخطر الذي يواجهه العالم خطر داهم ، لن ينجو منه قبيل دون قبيل ولا دين دون دين . ومهمة رجال الدين هي تكوين رأي عام عالمي تشترك فيه سائر الشعوب ويتقدم إلى الحكومات بما يأتي :

١ — احترام استقلال الأمم وسيادتها .

٢ — تمكين الشعوب من نيل حريتها واستقلالها .

٣ — وقف التسلح وتوجيه نفقاته إلى رفع المستوى المعاشي للشعوب .

٤ — توجيه المخترعات الذرية إلى الأغراض السلمية المفيدة .

٥ — تخفيف القيود على التبادل التجاري بين عامة الشعوب .

هـذه مطالب إجماليه تحل كثيرا من مشا كل العالم وتخفف عنه ما ينوء به وتعيد إليه شيئا من استقراره المنشود إن أمكن تحقيقها ، والشعوب ممثلة فى الرأى العام كفيلة أن تحمل الحكومات على الاستجابة لهذه المطالب ، فقد استيقظت على نذر الخطوب وأهوال الحروب وأصبح لها خطرها فى توجيه شئونها الوجهة التى تلائم مصلحتها ومستقبلها ، ولن تستطيع الحكومات أن تستبد بالشعوب وتغضى عن رغباتها وتوجهها إلى مالا ترضاه ولا يتفق ومصالحها .

وقد استطاع الشعب البريطانى أن يطيح بحكومة ايدن رغم استنادها إلى أغلبية برلمانية حين استبان له خطؤها فى الاسترسال فى الاعتداء على مصر ، ولم تغن عنه أغلبيته البرلمانية شيئا ، ووسمه بميسم العار والفشل ، وقضى على حياته السياسية فذاق وبال أمره وكان عاقبة أمره خسرا .

إن العالم الآن مرهف الإحساس ، مهيأ الذهن لدعوات الخير ، وخصوصا إذا كانت من أهلها وكانت دعوات إلى السلام ، فقد ضاق الناس بالدعوة إلى الحروب وبأحاديث الحروب . وفى عنق رجال الدين أن يهتبلوا هذه الفرصة ، وأن ينشطوا للعمل وأن يثبتوا أن لهم مكانا فى خدمة الحضارة والسلام العام ويخرسوا ألسنة السوء فيهم وفى أقدارهم وأخطارهم فى قيادة الجماعات والشعوب . فهيا يا رجال الدين والقوها فى مسامع الزمن دعوة تعبر القارات وتجتاز المحيطات وتستعيدوا بها مجدكم وتستكتبوا بها التاريخ صفحات عاطرة من سيركم ما .

أبو الوفا المراغى

لو رتعت لرتعوا

حمل مرة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مال عظيم من الخمس ، فلما نظر إليه قال :

ـ إن قوما أدوا الأمانة فى هذا لأمناء .

فقال له بعض الحاضرين : ـ إنك أديت الأمانة إلى الله ، فأدوا الأمانة إليك ، ولو رتعت رتعوا .

مؤامرات ضد الاسلام

لقد رضينا بالله جل جلاله ربا ، وبالإسلام الحنيف القويم دينا ، وبمحمد نبي الرحمة ورسول النعمة قائدا وهاديا ، وبالقرآن الكريم المجيد نورا وإماما ...

لم يحملنا على ذلك إرغام أو إكراه ، ولم يخامرنا فى ذلك ريب أو اشتباه ، بل آمنا — عن اعتقاد ويقين — بأن هـذا هو الدين القيم الذى يجب أن نحيا له ، وأن نعمل به ، وأن نلق الله عليه . ولذلك كان من حقنا — بل من واجبنا — أن نغار على هذا الدين ، وأن نذود عنه سهام المفترين ، وأن نحذر فيه تضليل المخادعين ...

ولـكن يظهر أن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام يفرطون فى حقوقهم كما ينسون واجباتهم ، ويغالطون أنفسهم كما يغالطون سواهم ، فهم يرون المـكايد السافرة المنظمة المتلاحقة المنصبة على هذا الدين ، وهم فى غمرة ساهون ، أو عن حق دينهم فى رقابهم يتغافلون ...

إن أعداء الدين الـكبار والصغار يعملون بجد ومكر على تحوير هذا الدين ، وتسخيره للأهواء والرغبات ، وتطويعه للذات والشهوات ، وإخضاعه — وهو هدى الله العلى الأعلى — للحياة الدنيا بمتاعها ولهوها ، وباطلها وزينتها ، بدل إخضاع هـذه الحياة لتعاليم هذا الدين السمح الكريم ، وكلما راجت عندهم بدعة أو بلوى ، وراقت لشهواتهم ولذاتهم ، ذهبوا يغتصبون لها الفتوى من الدين فى شطط وتكلف ، ويتأولون فى الرخص تأولا فاحشا ، ويتوسعون فيها توسعا مسرفا ، ويأخذون بالآراء الشاذة والأقوال الباطلة والفتاوى الكاذبة أو المتهالـكة ضعفا ، لا لضرورة ملحة ، ولا لمصلحة عامة لازمة ، بل لأن الهوى يريد ، ولأن الشهوة تحكم ، ولأن الإجلال لحق الله تبارك وتعالى — وهو خالق الخلق وواهب الرزق وصاحب الأمر — ينكمش فيهم ويتضاءل ، أو يمحى ويزول ! ...

ولقـد يضحك أهل الأرض على هؤلاء سخرية وهزءا حينما يستغل هؤلاء نصوص الدين بعد تحريفها عن مواضعها استغلالا رخيصا دنيئا فى تبرير سيئاتهم وتسويغ منكراتهم ،

وحينا يحاولون باقتدارهم المختلف الألوان تسخير بعض المنتسبين إلى الدين لكى يأتوهم بالفتوى المصطنعة أو التسويغ الديني المراد ، ومعنى هذا أنهم يريدون أن يجعلوا الدين تبعا للهوى ، لا أن يجعلوا الهوى خاضعا للدين ، مع أن اتباع الهوى بهذه الصورة يكون بابا للكفران بالله ، والحق عز وجل هو الذى يقول : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلا » ؟ . ويقول : « قل لا أتبع أهواءكم ، قد ضللت إذا ، وما أنا من المهتدين » . ويقول الرسول صلوات الله عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » . وهذا الرسول نفسه ــ وهو المصنوع على عين ربه ، المختار لأمانته ورسالته ، المعصوم من الزلل فى دينه ودعوته ــ لم يرض الله له أن يكون متبعا للهوى أو خاضعا لهواتفه ، فقال عنه ربه : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » ! ...

* * *

ترون أعداء الدين يقولون مثلا : « ليس فى الإسلام رجال دين » ! . وهذه كلمة حق فى ظاهرها ، يراد بها باطل خطير فى باطنها ومرماها ، فهم يريدون من وراء ذلك أن يصلوا يوما من الأيام ــ وما هم ببالغيه ــ يقولون فيه : « ليس هناك دين » ! ...

نعم إن الإسلام لا يعرف طائفة خاصة لها سلطة روحية خاصة ، أو سيطرة دينية خاصة تعرف باسم « رجال الدين » على النحو المعروف فى بعض الديانات ، ولكن الدين ــ بنصوصه وأحكامه ومبادئه وتعاليمه وأصوله وفروعه ــ محتاج دائما إلى علماء من أهله يدرسون مسائله ، ويفقهون تعاليمه ، ويبينون للناس أحكامه ، ويبلغون للعالمين دعوته .

وللاسلام علوم تحتاج إلى جهد وتفرغ ودراسة وتبيان ، فالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والأصول والأخلاق والسيرة وآراء الدين فى مشكلات الحياة الفردية والجماعية ، كل هذه أمور دقيقة عميقة واسعة ، تحتاج إلى صبر وعكوف ، وتحتاج إلى إعداد واستعداد ، والله سبحانه يوصينا فى كتابه بأن نسأل فى الدين من له خبرة به : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . ويقول : « الرحمن ، فاسأل به خبيرا » . ويقول : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ! .

ونحن نعيش فى عصر « التخصص » ، والناس ينادون بالتخصص فى نواحى الحياة المختلفة ، ويحاربون اعتداء أى طائفة على اختصاص طائفة أخرى ... فالأطباء مثلا جماعة لا يزاول عملها من لم يتخصص فى الطب ، ولو باشر أحد من الناس عملا من أعمال الطبيب لتعرض للمحاكمة ونائله العقاب ، وكذلك لا يجوز لغير المحامين أن يترافع فى القضايا ، ولا لغير القضاة أن يفصل فيها ، ولا لغير الصيدليين أن يجهز الدواء ، ولا لغير الضباط أن يلبس ملابس الضباط ، فضلا عن أن يباشر اختصاصهم .

فلماذا إذن لا يكون هناك متخصصون فى الفتيا والدراسات الدينية وتبيان الأحكام الدقيقة والخطيرة للناس ؟ ... وإذا لم يكن فى الإسلام « رجال دين » بالمعنى الذى ذكرنا فلماذا لا يكون هناك فى الإسلام « علماء دين » يرجع إليهم المستفتون فى أمور الدين ؟ .

هنا سيقول لك الماكرون المخادعون من أعداء الله وأعداء ملته : لا لا ... إن الدين ليس احتكارا لأحد ! ... وهنا يبيحون لكل من هب ودب ـ من هب هبوب الذباب أو دب دبيب الخنفساء ـ أن يقول فى الدين بما يشاء ، وأن يكتب وينشر ويذيع أفكارا وفتاوى دينية ما أنزل الله بها من سلطان ، بل حدث منذ حين أن اشتركت امرأة لم تقرأ شيئا عن الدين فى مؤتمر خارج البلاد ، واشتركت فيه بصفتها الفردية ، ولكنها ادعت لنفسها فى المؤتمر أنها تمثل العالم الإسلامى والرأى الإسلامى ، وبطبيعة الحال قبلها المؤتمر على هذا الوضع ، وصدقها فيما قالت ، وهى برأيها ونشأتها وتصرفاتها فى واد ، والرأى الإسلامى فى واد آخر بعيد ! .

وكلما حاول غيور أن يقف فى وجه هذا البلاء ثاروا ثورة الحمر الوحشية ، وتباكوا على حرية الرأى والفكر ، وهم فى الواقع يريدون ألا يكون هناك من يغار على حرمات الدين أو يدافع عنها ، أو من يذكر الناس بكلمة الدين فى شئونهم وأمور حياتهم ، حتى إذا لم توجد هذه الطائفة المناهضة لباطلهم وإثمهم ، المحاربة لفسقهم وفجورهم ، المنددة بضلالهم وانحلالهم ، المذكرة بحقوق ربهم ، ضاع الدين بين الجميع كما يحلمون ويتوقعون وينتظرون ، وتقدرون فتضحك الأقدار . يقول الله تعالى فى سورة التوبة : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . ويقول فى سورة الفتح : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ،

وكفى بالله شهيدا » ويقول فى سورة الصف : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » !.

* * *

ومن أجل هذا الغرض الخطير الخبيث تروتهم يهاجمون الأزهر الشريف فى كل مناسبة ، ويهونون من شأنه ومن شأن رسالته ، ويحملون على علمائه وأهله حملة شعواء بلا رفق أو استثناء ، ويهضمون حقوقهم ، ويتناسون جهودهم وجهادهم ، ويفترون عليهم بالباطل ، ويعوقونهم عن أداء رسالتهم بشتى الوسائل ، ويسترون ذلك باسم الإصلاح والتطور والتجديد ، وهم فى الواقع يريدون أن يهدموا الحصن الأخير للاسلام ، وهو ذلك الأزهر الذى طاول القرون ، وعاش أكثر من ألف عام باسم الإسلام ، وانكمش فى فترات الظلمات والانحطاط على التراث الإسلامى والثقافة العربية ، فحفظ لنا هذا الميراث الدينى العلمى اللغوى الأدبى الأخلاقى الضخم الجليل ، ولو لم يكن له إلا هذا الحفظ لكفاه مفخرة ! . . . الأزهر صاحب الفضل علينا وعلى الناس جميعا هنا وهناك وهنالك . . . والذى تعبئ من ساحته مشاعر المسلمين وعواطفهم كلما ألمت بساحتنا ملمة ، والذى تعيش على حسابه وبفضل سمعته وصيته فى سائر بلاد العروبة والإسلام ، ومع ذلك يحاربه فينا محاربون ، ويحمل عليه حاملون ، ويزيد فى بلاياه وأسباب عجزه وتأخره عن أداء رسالته كثيرون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وكأن هؤلاء المفسدين الملحدين لم يكفهم أن الطوفان المدنى الاجتماعى قد اكتسح فى طريقه كتاتيب القرى التى كانت مبثوثة فى كل ناحية لتحفيظ القرآن الكريم ، فتضاءلت وانكمشت وقاربت أن تودع ، وقد كان الطفل فى البيت المسلم يفتح أذنيه أول ما يفتحهما على القرآن الكريم ، ويحرك شفتيه أول ما يحركهما بحفظ سوره ، فالبيت المسلم حينئذ تتردد فيه الآيات كل صباح ، و « كتاب الحى » يتلقف الصبيان من أول الطريق ، فجاء أعداء الدين فلفتونا عن قرآن ربنا بقصصهم الداعرة ، وكتبهم الماجنة ، وصحفهم المتحللة ، ودعواتهم الإلحادية السافرة ، وثقافاتهم الرقيعة المرقعة : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

* * *

واستغل هؤلاء موضوع المرأة ، لعلمهم أن المرأة هى ذات الأثر والخطر ، وأن المثل يقال عند كل حدث ذى بال : فتش عن المرأة ... وتعللوا أولا بأنها مهضومة الحقوق مظلومة ، فقلنا : الإسلام يطالب بإنصافها .

وتعللوا بأن الرجل يهينها ويحتقرها ، فقلنا : نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام يكرمها ويرفع قدرها فيقول : « النساء شقائق الرجال » .

وتعللوا بأنها جاهلة يجب أن تتعلم ، فقلنا : الإسلام يوجب عليها العلم بما يجب العلم به من أمور الدين وشئون الدنيا ...

تعللوا بما تعللوا به ، وأجبناهم بما أخرس ألسنتهم وقطع عليهم تعللاتهم ، ولكنهم لم يكفوا ولم يرتدعوا ...

لقد أخذ هؤلاء الشياطين الماكرون يستغلون موضوع المرأة فى خبث عميق واسع ، فغرروا بالمرأة المسكينة ، ودفعوا بها إلى المعاطب والمهالك ، فلم تتعلم المرأة حقا ولم تتهذب صدقا عن طريقهم وبأسلوبهم إلا فى القليل النادر ، ولكنها فى الأعم الأغلب أطلقت ساقيها للريح - إلا من عصم الله وهن قليل - فتعرت المرأة باسم دعوة الحرية وتجردت ، ورقصت ودخنت ، وسكرت وعربدت ، وتناولت المخدرات وخادنت ، وتاجرت بجسمها وخانت ، وأسرفت فى تحررها وتبجحت ، وشاركها فى أغلب ذلك أمثالها من المتحللين من الرجال ... فلم يثق بها الرجل ، ولم يسعد بها البيت ، ولم يصلح بها المجتمع ، ولم تسعد المرأة نفسها بذلك الانطلاق الخارق ، بل شقيت جزاء ما أسرفت ، ولم يكن هذا الاستغلال للمرأة من أعداء الدين إلا نوعا خبيثا من الهدم لتعاليم ذلك الدين ونظمه ، لأن المرأة المتهدمة الأخلاق والفضيلة هى الحربة الشيطان الخطيرة ! ...

لقد أراد الإسلام المرأة أما فجعلها هؤلاء لاهية لاعبة ، وأرادها زوجة حليلة ، فجعلوها عشيقة خدينة ، وأرادها ذات عفة وفضيلة فحرضوها على الإثم ودفعوها إلى المنكر ، وأرادها عليمة فجعلوها نصف متعلمة أو نصف جاهلة ، وأرادها شقيقة للرجل وشريكة له ، فجعلوها مزاحمة منافسة ، وأرادها لعرشها فى البيت والأسرة ، فأخرجوها من مملكتها إلى زحمة الأسواق ومباءات الفساد ، وأرادها مصلية فجعلوها راقصة ، وأرادها ذاكرة تالية ، فجعلوها عربيدة منطلقة ، وأرادها محتشمة متوقرة ، فجعلوها متجردة عارية ؟ ! ...

ماذا يراد بالإسلام من وراء هذه المكايد المتلاحقة التى تصب عليه صبا كأنها قطع الليل المظلم ؟ ... وكيف تتفق هذه المحاربة السافرة للاسلام مع أن المجتمع مسلم يؤمن أبناؤه بدينهم ، ويقررون أن عقيدتهم أغلى شىء عندهم ، وأن من يحاربها يكون خارجا على هذا المجتمع ، ومتمردا فى وجه نظمه الأساسية ؟ ...

إن دستور الدولة المصرية مثلا يقول فى المادة الثامنة منه : « الإسلام دين الدولة » ويقول فى المادة الخامسة منه : « الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية » . ويقول فى مادته الستين : « مراعاة النظام واحترام الآداب الاجتماعية العامة واجب على المصريين » .

فهل بلغ هذا آذان المفسدين الملحدين الذين يريدون بحللهم ودعواتهم الفاجرة أن يهدموا الدين ؟ ! ..

وهل آن لأهل الغيرة وأهل القدرة أن يوائموا بين هدى الله وبين تصرفاتنا فى هذه الحياة ؟ ! ...

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

الأموال العامة

فى كتاب (السياسة الشرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية :

قال رجل لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت على نفسك فى النفقة من مال الله عز وجل .

فأجابه عمر : أتدرى ما مثلى ومثل هؤلاء ؟ إن مثلى ومثلهم كمثل قوم كانوا فى سفر ، فجمعوا منهم مالا ، وسلموه إلى رجل منهم ينفقه عليهم . فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم .

القوة المادية والروحية

لا يكاد التاريخ يعرف دينا رفع من شأن الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله والحق والمثل الإنسانية العليا ، ودعا إلى الحرية والعزة ، مثل ما عرف ذلك للإسلام ، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية البيان الوافى لما للمجاهدين من منزلة عند الله وللشهداء من حياة عند ربهم ورزق مقيم فى جنات النعيم . والإسلام حينما دعا إلى الجهاد لم يرد إذلال الناس وسلب الحريات وانتهاك الحرمات واستنزاف الأموال والأرزاق كما هو شأن دول الغرب ، وإنما أراد تأمين حرية الناس فى عقائدهم ، والدفاع عن حرمة النفوس والأعراض والأموال ، وحماية الأوطان من ظلم الظالمين واستبداد المستبدين ، وإقامة قواعد الحق والعدل والفضائل الإنسانية فى الأرض ، ولكى يكفل الإسلام العزة للمسلمين ، والنصر على الأعداء الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ، ولا يحترمون حقوق الإنسان ، أمر بتحصيل أمرين مهمين :

١ — القوة المادية : فقد أمر الإسلام المسلمين باعداد العدة وأخذ الأهبة للأعداء ، فقال عز شأنه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » [١] .

وقد جاءت الآية الكريمة على غاية الإيجاز ، إذ تركت تحديد القوة ووسائلها لما يوائم كل زمان ومكان ، وهو ضرب من الإعجاز ، وقد جاء التفسير النبوى للقوة فى الآية معجزا هو الآخر ، فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن القوة فقال : (ألا إنها الرمى) ثلاثا [٢] . وواضح من الآية أن الإسلام قصد باعداد العدة حفظ كيان الأمة الإسلامية وإرهاب أعدائها حتى لا تسول لباغ نفسه أن ينال من عزة المسلمين أو ينتقص من أطراف بلادهم .

---

[١] سورة الأنفال الآية ٦٠ .

[٢] قد أوسعت القول فى هذا فى هذه المجلة جزء صفر لعام ١٣٧٣ .

وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم والرعيل الأول من المسلمين بهذا المبدأ فما وجدوا وسيلة من وسائل العزة والغلب والنصر إلا وأخذوا بها ، فقد لبسوا البيضة على الرءوس وتستروا بالمجن واستعملوا المنجنيق واستخدموا الدبابة المعروفة آنئذ ، ولما أشار سلمان الفارسى على رسول الله بحفر الخندق ولم يكن للعرب علم به استحسن الرسول الفكرة ونفذها واشترك مع المسلمين : يكسر الصخور ، ويحمل التراب مع الحاملين ، وعلى هذا المنهج من الاستعداد سار المسلمون قرونا من الزمان فبقى سلطان المسلمين مرهوبا فى الأرض وارتد كيد الكائدين فى نحورهم .

٢ — القوة الأدبية : وذلك باعداد الأمة ولاسيما جيشها إعدادا دينيا أدبيا خلقيا ، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية بهذا الإعداد الأدبى فأرسى فى قلوبهم حب الإيمان والحق والخير والفضائل الإنسانية السامية التى لاغنى لمجتمع صالح عنها ، فلا تعجب إذا خط المسلمون الأوائل فى كتاب البطولة الإسلامية صحائف مشرقة لا تزال تعنو لعظمتها الجباه ، هذه البطولة التى لم تقم على غدر وخيانة ونذالة وإسفاف كما تفعل دول الاستعمار اليوم ، وقد كان رسول الله يتعاهد المسلمين بما يقوى روحهم المعنوية ويلهب حماستهم ، ولاسيما عند التحام الجيوش مما كان له أكبر الأثر فى النصر ، وبهذه القوة الروحية تغلب ثلثمائة وبضعة عشر رجلا قليل العدة على أضعافهم عددا وعدة فى غزوة بدر الكبرى ، وبالقوة الروحية انتصر أربعة آلاف من المسلمين على أربعين ألفا من ذوى البأس الشديد من بنى حنيفة فى موقعة اليمامة ، وبالقوة الروحية هزم أربعون ألفا من المسلمين مائتى ألف أو يزيدون من الروم فى موقعة اليرموك .

لقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا أرسل جيشا أو سرية أوصاهم بتقوى الله ، وأن لايغدروا ولا يغلوا ، ولا يقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا هرما . وكذلك فعل الخلفاء الراشدون المهديون من بعده لما يعلمون أن النصر متوقف إلى حد كبير على تقوى الله سبحانه ، وهل التقوى إلا جماع الخير والحق والعدل والفضائل ؟ ؟ وهذا هو الحق سبحانه بعد أن ذكر إمداد المسلمين بالملائكة فى بدر قال : « وما النصر إلا من عند الله

إن الله عزيز حكيم » [١] » وذلك ليرينا أن الأخذ فى الأسباب العادية ليس كل شيء ، وأن تقوى الله والعمل على مرضاته من أقوى أسباب النصر .

وليس بعزيز على الله - وهو المتصرف فى الكون علويه وسفليه المرئى منه وغير المرئى - أن يهيء لعباده المتقين من جنوده المرئية وغير المرئية ما ينصرهم على أعدائهم ، وأن يوقع فى صفوف الفساق وأهل البغى ما يخذلهم ويذهب بقوتهم المادية . وليست هذه أمنية وإنما هو أمر يقرره الواقع التاريخى : ففى بدر أمد الله المؤمنين بالملائكة « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان »[٢]. وفى غزوة الأحزاب أمد الله المسلمين بجنوده المحسوسة وغير المحسوسة قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا [٣] » ولله جنود لا تعد ولا تحصى ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ولعلنا على ذكر مما أحدثته الرياح - وهى بعض جند الله - فى أمريكا فى العام الفائت من خراب وتدمير وقفت الدولة العاتية ذات الأساطيل والنفاثات والذريات أمامها عاجزة ذليلة ، وللفاروق عمر رضى الله كلام حكيم فى هذا المقام فقد كتب إلى سعد بن أبى وقاص فقال :

« أما بعد - فإنى آمرك بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحروب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ولا تقولوا : إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » .

وهذه شهادة أخرى من الأعداء ، ذلك أن هرقل وهو على إنطاكية لما قدمت

---

[١] سورة الأنفال الآية ١٠

[٢] سورة الأنفال الآية ١٣ [٣] سورة الأحزاب الآية ٩

عليه الروم منهزمة قال لهم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد في الأرض . فقال هرقل : أنت صدقتني .

ألا ما أشد حاجة الجند إلى التدين الصحيح ، وعلى القائمين عليهم أن يمرنوهم على أداء الفروض الدينية كتمرينهم لهم على الفنون العسكرية . لقد اتفق لي أن ذهبت لزيارة أحد الجنود في ثكنة من ثكنات الجيش — وكان يوم جمعة — فآلمني أني وجدت أن نسبة المصلين من الضباط والجند كانت قليلة جدا . وقد أبديت امتعاضي وأسفي لبعض الضباط الذين كانوا يصلون معي ، فشاركوني التأسف والامتعاض . وإنا لنأمل من السيد وزير الحربية — وهو الغيور على مصلحة الوطن — أن يصدر قانونا ملزما للجنود بأداء الفروض الدينية وعنايتهم بها ، إذ الوعظ والإرشاد وحده لا يكفي ، لقد كنت أدعو بعض الجنود إلى الصلاة فيزعم أنه سيذهب ليتوضأ ثم لا يعود .

إن الجندي الذي يفرط في الصلاة يكون أشد تفريطا في غيرها من فروض الدين وآدابه ، والجندي الذي يفرط في حقوق الله يكون أشد تفريطا في حقوق وطنه ، ولا يرجى منه كبير غناء ، وإذا فشت المعاصي بين الجنود كان ذلك أضر عليهم من عدوهم — كما قال الفاروق رضي الله عنه — وواجبنا — معاشر العلماء — تبصير أولي الأمر بالتنبيه على مكمن الداء ووصف الدواء ، والسكوت في مثل هذا خيانة لله وللوطن .

وبعد : فما أشد حاجتنا — معاشر المسلمين والعرب — في يقظتنا ونهضتنا التي أقضت مضاجع الأعداء أن نتزود إلى جانب التسلح المادي بالتسلح الروحي الذي ينبع من التدين الحق ، فبهذا السلاح الروحي نعوض ما عسى أن ينقصنا من السلاح المادي وبه نستحق نصر الله ، وصدق الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » ما

الدكتور محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حصوننا مهددة من داخلها

إن أهداف الدعوات الشعوبية التي تحدثت عنها في مقالاتنا السابقة أصبحت تخالف دستورنا مخالفة صريحة توقع أصحابها تحت طائلة العقاب . فلم يعد هناك مجال للكلام عن الفرعونية التي تعتبر العرب دخلاء ، بعد أن قررت المادة الأولى من الدستور أن (مصر دولة عربية) ، وأن (الشعب المصري جزء من الأمة العربية) ، ولم يعد هناك مجال للكلام عن (الفولكلور) المصري القديم أو الحديث والدعوة إلى إقامة حياتنا وفنوننا على أساسه ، بعد أن نصت المادة الثالثة من الدستور على أن (الإسلام دين الدولة) ثم نصت المادة الخامسة على أن (الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق والوطنية) . فنظام مجتمعنا لا يستمد مقوماته إذن من ذلك (الفولكلور) قديمه أو حديثه ، ولكنه يستمدها من ديننا الإسلامي ومن أخلاقنا الإسلامية ومن وطنيتنا العربية .

ولكن العجب الذي لا يشبهه عجب أن هذه الدعوة التي قتل الدستور جراثيمها واستأصل سرطانها الفتاك قد أطلت برأسها من جديد تلتمس الحياة في صحيفة حكومية تصدرها وزارة الإرشاد القومي وهي صحيفة « المجلة » .

ويكفي أن تراجع العدد الأول من هذه الصحيفة لكي تتبين أن العصبية الشعوبية والفرعونية الجاهلية تسيطر عليها سيطرة كاملة ، وأنها تتجاهل تجاهلا كاملا أنها في بلد عربي أو إسلامي . فهي تكاد تخلو من المواضيع الإسلامية أو العربية ، وهي مطبوعة بطابع شعوبي انفصالي يتحدى دستور الدولة ، لأنه يتحدث عن العرب بوصفهم غزاة دخلاء في بلد تنص المادة الأولى من دستوره على أنه عربي [١] ، وهي تقدس الفرعونية إلى حد الغلو الذي يخرج بها إلى الوثنية والكفر والتهكم بقيم الإسلام وزعمائه وتشويه

---

(١) راجع مقال « صراع القومية المصرية من غزو الاسكندر حتى الفتح الاسلامي » في العدد الأول من « المجلة » ص ٣٠ — ٤٣ .

سيرتهم . فاذا خرجت « المجلة » عن هذا الطابع الانفصالى الذى هو خليق أن يدعم مزاعم الدعايات الأجنبية التى تريد أن تصور سياسة مصر الحالية سياسة امبراطورية استعمارية ، إذا خرجت « المجلة » عن هذا الطابع لم تحدث إلا عن أدب الغرب وموسيقى الغرب ورقص الغرب وفنون الغرب ، ذلك الغرب الذى وصفه أحد كتابه بأنه (العالم المتحضر) ، حين تحدث عن الاحتفال ببرناردشو ، فقال فى صدر مقاله : « احتفل العالم المتحضر بالعيد المئوى لميلاد برناردشو » ، وكأن من عدا هؤلاء المحتفلين ببرناردشو — ممن يزعم أنهم هم المتمدنون — رعاع وهمج .

يتحدث المقال الأول فى هذا العدد عن (قناة السويس بين التأميم والتدويل) فيزعم أن (تقاطيع رئيس جمهورية مصر الشاب تشبه تقاطيع الشخصيات والرجال الذين خلدت صورهم على جدران المعابد والمبا كل الفرعونية منذ آلاف السنين) . وجمال عبد الناصر — مثله فى ذلك مثل ملايين عديدة من المصريين — عربى الأصل من بنى مر . فن أين يجيئه العرق الفرعونى ؟ وأى فخر فى أن يكون جده أحد هؤلاء الكفار الجبابرة الإقطاعيين الذين قطع الإسلام ما بيننا و بينهم ؟

ويمضى كاتب المقال على هذا النمط فى سائر مقاله ، تقوده نزعة فرعونية غالبة ، فيتحدث عن (عودة التاريخ الفرعونى فجأة ودبيب الحياة فيه ، وتحرك الحضارة المصرية القديمة وسيرها على الأقدام وزحفها فى العربات السريعة الرشيقة التى نرى صورها فى الكتب ونعجب منها ومن راكبها وفارسها) . والحضارة كما هو معلوم دين وتفكير وأسلوب فى الحياة . فهل هناك نية للانسلاخ من حضارتنا الإسلامية والارتداد إلى الوثنية الفرعونية ؟ أم ماذا تكون الحضارة الفرعونية ؟ وكيف يكون تحركها وزحفها وبعثها ؟ ويتحدث المقال فيما يتحدث كذلك عن واجب مصر الأول نحو الناس وهو نشر الحضارة بينهم ، فيخيل للقارئ أن الكاتب يتحدث بلسان الإمبراطورية البريطانية فى القرن التاسع عشر . أبمثل هذا تدعم القومية العربية وتحارب أكاذيب المفسدين والدساسين الذين ينفثون سموم الفرقة بين العرب ، حين يزعمون لإخواننا أن مصر دولة ذات مطامع استعمارية تتذرع إلى مطامعها بين العرب والمسلمين باسم العروبة والإسلام ؟

وإذا شئت المزيد من هذه العصبية ومن هذا التهور فاقرأ نص خطاب كاتب هذا المقال فى الاحتفال بافتتاح البرنامج الثانى (العدد ٦ ص ١٢٣ — ١٢٧) ، حيث يرد إلى الفراعنة مظاهر الحضارة الإنسانية بكل ألوانها وبكل فروعها وصورها ، وينسب إليهم

(صنع فكرة الإيمان بالله) على حد تعبيره ، وحيث يقول : « إن مصر الآن لا يشك فى أنها تلعب دورا رساليا ، دورا ذا رسالة . ونحن لا نستطيع أن نضطلع بهذا الدور إلا إذا شحنا بطاريتنا ، لأن بطاريتنا فارغة » . ثم يروى قصة القبطان الذى نفد ماق سفينته من الماء الحلو ، فأخذ يلح فى طلبه ، ثم يتبين له أن الماء الحلو تحته وهو لا يدرى ، بعد أن قطعت سفينته المحيط ودخلت فى مصب أحد الأنهار . ويشبه حالنا فى مصر بحال ذلك القبطان « الماء الحلو عندنا ، الماء الحلو فى ثقافتنا ... فى بعض هذه الحيا كل والمعابد التى نستطيع أن نشاهدها ، فترى كيف صنع أجدادنا من هذه الأرض وبهذه الأدوات » . ثم يقول : « وأرجو أن يكون البرنامج الثانى إحدى هذه الرسائل فى أعماق حياتنا التى امتدت ستة آلاف سنة بل أكثر . ونستطيع أن نخرج منها ماء حلوا لا لنشرب منه فقط ، وإنما نشرب ونوزع منه على العالم » . فهل هذا هو الدور الرسالى الذى ستقوم به مصر بين العرب ؟ هل رسالتها هى إحياء الفرعونية وفرعنة العرب جميعا ؟ وماذا يحدث لو أراد إخواننا المغاربة بالمثل أن يبربروا العرب ، ونازعهم فى ذلك كل من العراقيين والشاميين واليمنيين واحد منهم يباهى بجاهليته ويزعم أنها أحق بالسيادة ؟ هل هذا هو السبيل الصحيح لجمع العرب ، وهم بحمد الله وفضله مجتمعون فعلا على الإسلام ، لم تفرقهم إلا أمثال هذه الدعوات .

ونجد مثل هذا الانحراف المنفر فى التعليق على العصر الفرعونى فى مقال (تى ـ سيدة من الشعب وجهت أحداث عصرها ـ العدد الثانى ص ٢٥ ـ ٤٢) حيث يدور كلام الكاتب عن تقوية النفوذ المصرى خارج الحدود ، وعن منافسة الأشوريين والبابليين والحثيين لمصر فى ذلك ، وعن أساليب مصر الفرعونية فى نشر نفوذها عن طريق نشر التعليم المصرى . وكل ذلك لا يعين على تدعيم الثقة بين العرب ، ولا يلد إلا الشر لأنه يدعم مزاعم الذين يعبثون بالتفريق بينهم ويشككك فى أهداف مصر من وراء مساعدة إخوانها العرب ومدهم بالمدرسين . ولا سيما إذا كان الذى ينشر هذا الكلام صحيفة تصدرها وزارة الإرشاد القومى .

ومن أمثلة هذه المقالات المنحرفة مقال عنوانه (صراع القومية المصرية من غزو الإسكندر حتى الفتح الإسلامى ـ العدد الأول ص ٣٠ ـ ٤٣) . وهو مقال طويل كله تقديس جنونى للفرعونية وحط من قدر العرب والإسلام ، ونزول بدوافع الفتح الإسلامى الأول فى عهد الخلفاء الراشدين الذين أنقذنا الله بهم من النار وهدى آباءنا وأجدادنا ،

إلى مرتبة السطو والقرصنة واللصوصية ، . انظر إليه كيف يتحدث عن ذى النورين ، عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه ، حين يضعه بين جبابرة الرومان والمماليك ، حيث يقول : (فالخليفة يعزل عاملا من أعدل عماله على مصر ، ثم يعرض بسياسته المعتدلة فى فرض الضرائب ، قائلا : لقد درت اللقحة بعدك يا عمرو . فيجيبه أعدل من ولى مصر بما يفيد أنها أضرت بوليدها ـ العدد الأول ص ٣١) ويردف ذلك بحديث مثله عن أباطرة الرومان وبكوات المماليك ، يصور أن همهم كله كان مصروفا لاستغلال الشعب المستعبد والتمتع على حساب كده وشقائه . والمقال كله يشف عن عداوة عميقة لكل فكرة إسلامية أو عربية ، فهو يرفع ذلك العهد الفرعونى الإقطاعى إلى مرتبة من القداسة تكاد ترد الناس إلى ضرب من الوثنية . وهو لا يوقر صحابة رسول الله الذين كان فتحهم لمصر خيرا وبركة على المصريين ، إذ أنقذهم من الضلال وأدخلهم فى رحمة الله بدخولهم فى الإسلام . فهو حين يتحدث عن أولئك المجاهدين فى نشر كلمة الله وهداية خلقه ، الذين عاشوا ما عاشوا زاهدين ، ثم خرجوا من الدنيا لا يملكون من حطامها شيئا ، يقرنهم بالوثنيين من الرومان واليونان وبالفسقة والجبابرة من الطغاة ، كلهم عنده سواء . تجد ذلك فى مثل قوله : « ولم تكن بيزنطة أرحم بالشعب المغلوب ، ولا كان الولاة العرب » (ص ٣١) . وفى قوله : « لم يكن المصرى يملك شيئا من أرضه ولا من غير أرضه . كلها إقطاعات للفرعون وأسرته ، وللمعبد وسدنته ، ثم للبطليموس فالإمبراطور فى رومة وبيزنطة ، ثم لخلفاء فى شبه جزيرة العرب جنوبا وشمالا [١] ولمن جاء بعدهم من حكام مصر الأجانب » (ص ٣١) . وفى قوله : « وأنت تجد أمثلة لهذه الاضطرابات والثورات على طول التاريخ المصرى فى العهد القديم ، وبعد استتباب الأمر للبطالسة ، وإبان الحكم الرومانى والبيزنطى والعربى والعثمانى والفرنسى والارنؤودى والاحتلال البريطانى » (ص ٣٣) . وقوله : « حدث هذا بعد احتلال الرومان وبعد الفتح الإسلامى والغزو العثمانى » (ص ٣٥) . وقوله : « وكل همه إرضاء الملك البعيد إمبراطورا أو خليفة أو سلطانا » (ص ٣٥) .

ولقد بلغ بالكاتب تقديسه للوطنية المصرية بهذا المعنى الشعوبى المتطرف إلى حد يقرب من الشرك ، فكان من سوء اختياره للألفاظ أن وصفها بما اختاره الله جل وعلا

---

[١] المجلة ـ من الحقائق العلمية والتاريخية أن الفتح الاسلامى هو الذى ألغى به نظام الطبقات للمرة الأولى فى مصر ، وتحررت به الطبقة الكادحة فى الزراعة ، وصار به حق تملك الارض عاما لكل الطبقات . والذى يجهل هذه الحقيقة يجهل تاريخ الاسلام فى مصر .

لنفسه فقال : إنها لا تدركها سـنة ولا نوم (ص ٢٦) ، وأنزل الدين منزلة تلى فى قداستها وسلطانها على النفوس هذه الوطنية ، إذ جعل اعتناق المصريين للمسيحية مظهرا من مظاهر المقاومة الوطنية للاحتلال الرومانى ، وأظهر عجبه لتحول المصرى عن الوثنية إلى المسيحية متسائلا « كيف لم يحرص المصرى على ديانته العتيقة وهى آخر صلة له بمجدها الغابر ؟ » (ص ٣٦) .

وفى « المجلة » بعد ذلك صور كثيرة من هذه الشعوبية البغيضة فى مثل مقال « فن التصوير المصرى ـ العـدد الأول ص ٤٤ ـ ٤٦ » الذى يقدس فن الفراعنة الوثنى وما اتخذوه لأنفسهم من آلهة بزعمهم ، وفى مثل مقال « الفن المصرى ـ إدراك القانون ـ العدد الرابع ٢٩ ـ ٣٣ » بما يتخلله من مجازفات مارقة فى تعريف الدين والتـدين والخلط بينهما وبين فنون الوثنية .

وفى مثل مقال « الرقص الشعبى فى الاتحاد السوفيتى ـ العدد الرابع ٧٢ ـ ٧٧ » الذى يدور حول حـديث لراقص روسى عن خلق رقص مصرى ذى طابع مميز » بل إن الموضوعات الإسلامية التى تتناولها « المجـلة » تنحرف بها نحو هذه الغاية ، فلا تتحدث عن الإسلام وأبطاله إن تحدثت ـ وقليلا ما تفعل ـ إلا من هذه الزاوية الشعوبية المنافية لروح الإسلام منافاة صريحة ، تجد ذلك فى مثل مقال « الخلافة المصرية الأولى ـ العدد السادس ٨١ ـ ٨٤ » ، الذى يدور حـول تمجيد ثورة دحية بن المصعب فى مصر على الخلافة العباسية سنة ١٦٧ « فيسميها كاتب المقال (الخـلافة المصرية الأولى) ، وكأن خلافة المسلمين التى هى خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تجمع شملهم على اختلاف أجناسهم ملك ينسب إلى البلاد لا إلى الإسلام نفسه ، ويجد المـارقون المفتونون ممن يشعبون كلمة المسلمين ويبثون الفرقة بين صفوفهم .

وتجد فى « المجلة » مع ذلك كله حفاوة شديدة بتفاهات هابطة وبألوان من العبث الساذج تسميها « الفنون الشعبية » . تريد المجلة أن ترفع من قدر هذه التفاهات وتنـادى بدراستها وتسجيلها لمجرد تدعيم هـذه الروح الشعوبية المفرقة ، وإلا فالفن يتملق دائمـا بمقاييس رفيعة ، وهـو يهدف إلى ترقية الذوق الساذج المتخلف وتثقيفه ، لا الهبوط بالذوق العام إلى مستوى الأذواق الفجة التى لم يهـذبها التثقيف باسم الشعبية ، وأوضح ما يبدو ذلك فى مقال (الفنون الشعبية فى مصر ـ العدد الرابع ٤٦ ـ ٤٩) ، الذى يدعو إلى إحياء الشخصية المصرية ، ولا يعتبر الوثنية والمسيحية والإسلام إلا أعراضا لا تغير

من جوهر الشخصية المصرية بزعمه . فهى وثنية حينا وهى مسيحية حينا آخر وهى مسلمة تارة أخرى ولكنها فى كل هذه الأحوال مصرية دائما ، وهذا هو ما أسميه جنون (الفولكلور) والانحراف فى فهمه وتوجيهه ، وذلك الغرض المسموم المريض هو الحافز الحقيق لكل ما نسمعه عن الدعوات التى تصدر عن الجامعات حينا ومن مصلحة الفنون حينا ومن مجلس الآداب تارة أخرى ، وكلها تدعو إلى الاهتمام بأدب العوام وأغانيهم وعاداتهم والاستعانة على تسجيل ذلك بكل ما أخرج العلم الحديث من وسائل وأدوات ، كما تدعو إلى تكريم من عرفوا بتصوير هذه النزعة من الفنانين الذين سايروا هذه الدعوة حين طغى مدها بعد الحرب العالمية الأولى ، عن وعى منهم أو عن غير وعى ، مثل حافظ ابراهيم الشاعر ، ومختار المثال ، وسيد درويش المغنى .

ولهذه الدعوة بعد ذلك جانب آخر هدام هو الجانب اللغوى . فأصحاب هذه الدعوة من غلاة الشعوبية الموكلين بالتفريق والتشتيت ، يدعون دائما إلى اتخاذ اللهجات السوقية(١) التى يطلق عليها « العامية » لأنها بزعمهم أصدق تعبيرا عن روح الشعب ـ وكأن الشعبية عندهم مرادف للجهل ـ ولأن (تراث الأدب العربى) كما يقول أحدهم : « ليس ولا يمكن أن يكون تراث لهجة بعينها من اللهجات ، وأن التفنن الأدبى لا شأن له إطلاقا بالقواعد النحوية المصطلح عليها ، وأن الإعراب ليس شرطا أساسيا لازما للتفنن الأدبى . فللبدو شعرهم ونثرهم الذى يصدر عنهم عفو الخاطر ، والذى يفهمونه بعضهم عن بعض ، وللعوام فى المدن شعرهم ونثرهم الذى يتفاعلون هم وهو ولا يتفاعلون هم وغيره ـ العدد الأول تحت عنوان « الملحمة المصرية » ص ٥٥ » .

ومن الواضح أن هذا الكلام وأمثاله قاصد من الناحية الفنية الخالصة التى يحملها الداعون بهذه الدعوة أو زار دعوتهم فى أغلب الأحيان . فالفن فى صورته الكاملة وسيلة من وسائل السمو فوق الواقع المسف . والفن الذى يستحق أن يجهد النقاد أنفسهم فى تذوقه ونقده هو الأثر الذى أجهد الفنان نفسه فى إنتاجه . فالنقاد غير مكلفين بعفو خواطر البدو

---

[١] تسمية هذه اللهجات بالسوقية نسبة إلى « السوق » لا إلى « السوقة » لأنها فى نظرى لا تصلح إلا أن تكون لغة للتعامل فى الأسواق ، ووجودها طبيعى فى كل الأمم واللغات ولكن فى داخل هذا النطاق . فهى لغة عملية تتوافر فيها السرعة التى تصل إلى مايقرب من الرمز فى بعض الأحيان بينما تتوافر فى لغة الأدب الفصحة الأناقة وللموسيقى والدقة ، وكل منها صالح فى ميدانه فلا تنافس ولا ازدواج كما يزعم الزاعمون .

والعوام ، لأن عفو خواطر العوام لا يصلح إلا للهو أمثالهم من العوام . أما عقول المثقفين فهى لا تجد فى مثل هذا الانتاج لذة ولا متاعا . فالفن الراق دائما — فى كل عصر وفى كل مكان وفى كل لغة — مقصور على الخواص ، لأن الأثر الذى يستحق الاعتبار والبقاء لا يصدر إلا عن قلة موهوبة . ومن المسلم به أن الموهبة والاستعداد الحسن لا تنمو وتنضج وتخصب إلا على المران والتثقيف والعكوف على الدرس والتجويد .

أما الجانب الأشد خطورة فى هذه الدعوة فهو أن ضررها لا يقف عند تمييز كل جماعة بطابع خاص تتعصب له مما لا يعين على تدعيم الوحدة العربية المرجوة ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى أن يقطع ما بينهم من الوشائج تقطيعا فيصبحون ولا يفهم بعضهم عن بعض . ومن المؤكد أن العرب فى مختلف البلدان لا يجتمعون على فهم شىء من الإذاعة المصرية إلا فيما يذيعه « صوت العرب » بالفصحى . ومن المؤكد أيضا أنهم لا يفهمون من بعض صحفنا ما تحرص على تسجيله بالعامية مما يدور فى مجلس الأمة أو فى قاعات المحاكم .

والعجيب من الأمر أن جرأة الإذاعة وجرأة الصحف على الإلقاء بالسوقية والكتابة بها شىء جديد لم يجرؤ عليه أحد حين كانت القومية العربية حلما يتمناه المخلصون ويعارضه كثير من المفسدين والمخدوعين ، ولكنهم تجرءوا عليه بعد أن أصبح هذا الحلم حقيقة واقعة مسجلة فى المادة الأولى من مواد الدستور . أليس ذلك مما يدعوا حقا إلى العجب؟

وأعجب منه أن البرنامج الذى ابتدعته الإذاعة حديثا وسمته « البرنامج الثانى » وزعمت أنه برنامج الخاصة من هواة الفكر الرفيع يخاطب مستمعيه بهذه السوقية التى تسمى بالعامية . فإذا كانت العربية الفصحى لا تصلح لخطاب عامة الناس فى البرامج العامة ولا تصلح لخطاب خاصتهم فى البرامج الخاصة فأين ومتى تتعامل الشعوب العربية الصحيحة التى هى عنوان قوميتها ، ووعاء أمجادها ، والتى هى وسيلتها الوحيدة للتفاهم ؟

يبدو أن القائمين على هذا البرنامج مشغولون عن ترويج اللغة العربية بموسيقى (السيمفونيات) القديمة التى يكرهون المصريين على سماعها ، ويتهمون الزاهدين فيها بالتخلف وبلادة الذوق ، لاهون عن تدعيم عروبتنا وثقافتنا القومية بأدباء الغرب وفنانيه وبما يثيرون من غبار حول مقومات فنوننا وآدابنا . فهل نسى هؤلاء أنهم يتبعون وزارة الإرشاد القومى فى بلد عربى ؟!

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية

اليهود فى بلادنا العربية

بدأ اليهود غزوهم لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ ، وفى ذلك الوقت كانت فلسطين متأخرة جـدا من الناحية الاقتصادية لأن الصناعة كانت بدائية فيها ، وكانت الطرق المتبعة فيها قديمة غير مجدية والعرب كانوا غير ملمين بالمعرفة والطرق الفنية اللازمة للصناعات الحديثة ، كما أن نظام الحكم فى فلسطين لم يكن يعين على خلق صناعات جـديدة أو على تطور اقتصادى بوجه عام ، أما الزراعة فلم يكن حالها أفضل من حال الصناعة ، فقد كانت تقوم على الطرق الساذجة القديمة ونظام الأعشار والضرائب ونظام توزيع الأراضى ممـا جعل معظمها فى أيدى قلة من الإقطاعيين .

وقد سبب نظـام توزيع الأراضى فيا بعـد كارثة سياسية بالإضافة إلى الأضرار الاقتصادية . وقد كان تفوق اليهود ساحقا فى أول الأمر بعد أن نص الانتداب البريطانى على وضع البلاد فى أحوال اقتصادية وسياسية تساعد على إنشاء الوطن القومى اليهودى ، واستغل اليهود هـذا النص استغلالا تاما فأصبح جهاز الحكم أداة طيعة تسهل لهم تحقيق مشاريعهم الاقتصادية المختلفة ، وبذلك استطاعوا أن يستثمروا الأموال الكثيرة التى جمعوها من أثرياء اليهود فى مختلف أنحـاء العالم ، وأنشأوا أيضا مؤسسات مالية تغذى مشاريعهم الاقتصادية على أساس تجارى ، وأخرى تغذيها على سبيل التبرع والهبة كلما نشأت الصعوبات والعقبات والمهاجرون اليهود لم تكن تعوزهم المعرفة الفنية ، فقد جاء معظمهم من بلاد صناعية متقدمة ووضعوا خبرتهم ومعرفتهم للقيام بالمشاريع المختلفة فى هذا البلد العربى الذى سرقوه على أعين البريطانيين وسمعهم . وهكذا استطاع اليهود بكل هـذه الوسائل إنشاء نظام اقتصادى لهم فى فلسطين كلفهم مالا يقل عن المـائة وعشرين مليونا من الجنيهات وأنشأوا أيضا عددا كبيرا من الصناعات المختلفة كلفهم حوالى خمسة وعشرين مليونا ، وأنفقوا حوالى عشرة ملايين من الجنيهات على زراعة الحمضيات ، أما الباقى فقد وزع على أنواع الزراعة الأخرى وتكاليف البناء والعمران والمشاريع الإنشائية والتجارية المختلفة .

والآن نرجع إلى أهدافهم وإلى كل ما كانوا يرمون إليه فى بلاد العرب ، فأهدافهم واضحة جلية وضوح الشمس فى كبد السماء ، فالهدف الأول دعم الحياة اليهودية فى فلسطين وجعـل الطائفة اليهودية فيها قادرة على النمو واستقبال اليهود المهاجرين من جميع أنحـاء

العالم . والهدف الثانى إنشاء صناعات قوية تطغى على الصناعات الأهلية فى البلاد العربية وبذلك يستطيعون إضعاف العرب اقتصاديا وجعلهم فريسة سهلة للعدوان السياسى من جهة ، وفتح أسواق البلاد العربية للصناعة اليهودية من جهة أخرى . والهدف الثالث إجلاء المزارعين العرب عن أراضيهم وتحويل طبقة الفلاحين العرب فى فلسطين إلى طبقة عمالية حتى يسهل طردهم من بلادهم بوسائل الضغط الاقتصادية إذا تم تأسيس الدولة اليهودية الصهيونية المشئومة .

فنظرة واحدة إلى الأهداف السابقة تظهر لنا بوضوح أنها أهداف سياسية بحتة ، وقد جعل اليهود الاقتصاد أداة لتحقيقها . والدليل على ذلك أن اليهود لم يتقيدوا فى سبيل تحقيقها بما تتقيد به المشاريع الاقتصادية عادة من جهة الربح والخسارة ، بل طرحوا الخسائر جانبا تاركين لمستقبل أمر إعادة النظر فى تلك المشاريع لعرضها على أسس اقتصادية سليمة ، فكل ما تصبوا إليه نياتهم السيئة ومآربهم الحقيرة هو إنشاء وطن قومى يهودى فى بلد عربى وطرد أهله العرب منه مستعينين بالأموال التى كانوا يجمعونها من يهود العالم كما استعانوا أيضا بالحماية الجمركية العالية التى استطاعوا أن يحصلوا عليها من حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين ، وأراك تسأل فتقول : هل نجحوا فى تحقيق هذه الأهداف ؟ والجواب على ذلك أن الهدف الأول وهو تثبيت أقدام اليهود فى فلسطين قد نجحوا فيه إلى حد غير قليل ، إلا أن هذا النجاح لم يكن سهلا ، فقد مرت بهم فترات من الضيق الاقتصادى أظهرت فساد الأساس الذى بنى عليه نظامهم الاقتصادى أما أشد فترات الضيق التى مرت بهم فهى المدة بين سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ وهى فترة ثورة العرب فى فلسطين فلما قل دخول المهاجرين اليهود فلسطين بسبب الثورة العربية أدى ذلك إلى تناقص حركة البناء ، وقد كان أكثر من ٥٠ ./. من اليهود معتمدا على حركة البناء ، والسبب الثانى هو هبوط أسعار الموالح فى الأسواق العالمية علما بأن هذه التجارة كانت أحد الأركان المهمة فى الاقتصاد اليهودى . لكن هذه الفترة انتهت بإعلان الحرب العالمية الثانية التى فصلت فلسطين وكثيرا من البلاد العربية المجاورة عن مصادر الإنتاج الصناعى فى العالم . فانتهز اليهود هذه الفرصة وأنشأوا صناعات جديدة وأحيوا الصناعات الدارسة فكسبوا فى هذه الحرب أموالا طائلة باذلين الجهود فى تصريف بضائعهم فى البلاد العربية متوسلين بوسائل كثيرة . فمثلا إغراق الأسواق العربية ببضائع صهيونية رخيصة حتى باعوها بأرخص من أثمانها فى فلسطين نفسها . والدعاية والإعلان

كانتا من تلك الوسائل . وساعدهم أيضا أن كبار التجار فى البلاد العربية كانوا من اليهود ، إلا أن العرب وقفوا صفا واحدا لمقاطعة هذه البضائع . وهدفهم الثانى وهو استيلاؤهم على أرض فلسطين العربية الزراعية وإجلاء أصحابها عنها وخلق طبقة الفلاحين الفلسطينيين الذين لا يملكون أرضا قد نجحوا فيه أيضا .

فاليهود فى وقتنا الراهن يمتلكون ثلث الأراضى الزراعية فى فلسطين وهو تقريبا الثلث الجيد المتوفرة فيه المياه إما بواسطة الآبار الارتوازية أو الأنهار أو الجداول أو مياه المطر . وتقع أكثر أراضى اليهود فى فلسطين فى السهل الساحلى ومرج ابن عامر وسهل الأردن والحولة ، وهذه هى سهول فلسطين الرئيسية . فالحقيقة المجردة إذن أن اليهود يملكون نصف الأراضى الزراعية فى فلسطين وقد أدت مشكلة الأراضى إلى الاضطراب والثورات المتلاحقة وقام بتحقيقها عدة لجان بريطانية وأهم تقريرين كتبا عن فلسطين كتبهما خبيران ، فالأول كتبه الخبير البريطانى جوب هوب سنة ١٩٣٠ وفيه يقول :

إن الأراضى التى يملكها الفلاحون الفلسطينيون العرب قليلة عن حاجتهم الزراعية بكثير ، وإن أكثر من ثلاثين فى المائة من العرب لا يملكون أرضا على الإطلاق ، وهؤلاء الذين لا يملكون يعتمدون على الأعمال الزراعية الموسمية أو على مساعدة الأقارب أو على النزوح إلى المدن المزدحمة بالسكان فلا يجدون الأعمال التى يبحثون عنها . أما الذين يملكون أرضا فليس لديهم ما يكفيهم ، والدليل على ذلك أنهم غارقون فى الديون ، ولذلك يضطرون إلى بيع أراضيهم .

أما التقرير الثانى الذى كتبه الخبير جونسون كروسى الذى يقول فيه :

إن معدل دين العربى يزيد عن دخل سنة كاملة ، ومعدل ما يملك من الأرض نصف ما يحتاج إليه ، وكثيرا ما وجهنا اللوم إلى عرب فلسطين المساكين واعتبرناهم مسئولين عن بيع أراضيهم ، ولكن الحقيقة السافرة التى لا تدع قولا لقائل ولا صولا لصائل أن الفلسطينيين لم يبيعوا من أراضيهم إلا جزءا قليلا ، والدليل على ذلك أن اليهود كانوا يملكون جزءا بسيطا من أراضى فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى وقبل أن تظهر الصهيونية بشكلها القبيح ، أما بعد الحرب فاشتروا أكثر مما كانوا يملكون وممن ؟! من إقطاعيين لم يسكنوا فلسطين يوما من الأيام ، وكان أكثرهم من العائلات التى لم تعرف الوطنية ولم يكن يمنيها فى الحياة سوى الملذات والتشبه بالأجانب . علما بأن ملكيات الأراضى الكبيرة كانت إحدى العوامل الفعالة التى مكنت اليهود من شراء قدر كبير من أراضى الفلاحين العرب بإغراء عدد قليل جدا من الإقطاعيين .

فكذاب أشر ذلك الذى يحاول إفهامك أن الفلاح الفلسطينى باع أرضـه ، ولعلك تذكر أن حكومة فلسطين كانت مرغمة على إنشاء الوطن القومى اليهودى تحت لواء الانتداب البريطانى فلم تعمل الحكومة القائمة وقتئذ أى شىء لحماية الفلاح العربى من الآفات الثلاثة التى كانت مسلطة عليه وهى :

١ — السمسار : وعمله ينحصر فى إغراء الإقطاعى ببيع أرضه إليه ثم يبيعها السمسار بدوره إلى اليهود .

٢ — الدائن : وهو الذى كان يقوم بدور المحسن على القلة القليلة من صغار الفلاحين فيدينهم ليأخذ أرضهم ولكنه لم ينجح .

٣ — الجهل : وهذا يكفى لتدمير أكبر قوة فى العالم .

وأخيرا فى سنة ١٩٤٠ تقريبا بعد أن استفحل الداء وشح الدواء أصدرت الحكومة البريطانية قانونا لحماية الفلاح العربى وأرضه وهو :

١ — منطقة يمنع فيها بيع الأراضى إلا لعربى فلسطينى .

٢ — منطقة يسمح فيها لليهود بشراء الأراضى الفلسطينية .

٣ — منطقة يسمح فيها للأجانب بالشراء بعد موافقة المندوب البريطانى .

أما اليهود فقد وجدوا طرقا عديدة للاحتيال على هذا القانون فاستمر تسرب الأراضى إليهم .

والسؤال الذى كثيرا ما دار فى خلد كل رجل ينظر إلى المستقبل بإمعان وحذر هو :

هل وليدة الاستعمار وقفت على قدميها واستطاعت أن تخطو خطوات إلى الإمام ؟

والجواب على ذلك : أنها ما زالت فى حضانته ولكن أيحتضنها الدهر كله ؟

كلا ، سيتركها فى أول فترة من فترات الضيق الاقتصادى أو اليأس ، والدول الاستعمارية اليوم تمر بكثير من الفترات السيئة أو على الأقل تقف على أبوابها ، وعندئذ تصبح المتطفلة كسمك صغير جف الماء حوله وتركه للشمس والهواء ."

عباس طه

المحامى

لغويات

ركب فى السفينة ، ركب الجواد

هذا من محاسن العربية وفروقها الدقيقة . فيقال : ركب الجواد لأن الراكب يعلو الجواد ، ويقال فى المجاز : ركبه الدين ، كأن الدين يعلو صاحبه ويكون ثقلا عليه ؛ ويقال : ركب فى السفينة لأن الراكب يحل فيها ، كما يحل فى المسكن والدار ، فى حالة أمن وقرار .

وقد جاء هذا فى الكتاب العزيز . ففى الآية ٦٥ من سورة العنكبوت : (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ، وفى الآية ٨ من سورة النحل : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) .

وعلى ذلك نقول : ركبت فى المركب الكهربى (الترمواى) أو مركب سكة الحديد (القطار) ، وجاء قوله تعالى فى الآية ١٢ من سورة الزخرف : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) وتقدير الكلام : تركبونه ، فعدّى الركوب للفلك بنفسه من غير صلة ، مع ركوب الأنعام ، وهذا لتغليب التعدّى ، وفى هذا يقول الزمخشرى : « فان قلت : يقال : ركبوا الأنعام وركبوا فى الفلك ، وقد ذكر الجنسين ، فكيف قال : تركبونه ؟ قلت : غلب المتعدّى بغير واسطة ـ لقوته ـ على المتعدّى بواسطة ، فقيل : تركبونه » .

فأما قوله تعالى فى الآية ٧٩ من سورة غافر : (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان المراد : لتركبوا بعضها ، والمراد : الإبل ، فانها التى تركب فى العادة من الأنعام ، وهى الإبل والبقر والغنم ، وهذا فى معنى التعدية بغير واسطة ، والأخفش يجعل (من) فى مثل هذا مزيدة فى الإعراب والمجرور مفعولا به ، ومعنى التبعيض مراد على كل حال .

شقط الكرة

يقول العامة : شقط الكرة أى تلقفها ، وشقط الثمرة ، أخذها بيديه ، والذى فى دواوين اللغة من هذه المادة : الشقيط ، وهو الجرار من الخزف يجعل فيها الماء ، وقال الفراء ؟ الشقيط : الفخار عامة ، وهذا لا يناسب ما تعنيه العامة .

وقد بدا لى أن أصل ذلك اللقط ، وقد ورد عن العرب : التقطت النوى واشتقطته واضتقطته ، فى معنى واحد . فاشتقاط النوى التقاطه . و إذا كان هذا لم يقيد فى المعاجم فقد جاء به ابن جنى ، وحسبك به حجة فى اللغة . فهو يقول فى الخصائص ٢ / ٣٤٩ : « فأما ما حكاه خلف – فيما أخبرنا به أبو على – من قول بعضهم : التقطت النوى واشتقطته واضتقطته فقد يجوز أن تكون الضاد بدلا من الشين فى اشتقطته . نعم ، ويجوز أن تكون بدلا من اللام فى التقطته ، فيترك إبدال التاء طاء مع الضاد ليكون ذلك إيذانا بأنها بدل من اللام أو الشين ، فتصح التاء مع الضاد ، كما صحت مع ما الضاد بدل منه » ، ويرى القارئ أن ابن جنى عنى ببيان الإبدال فى اضتقط ، ولم يعرض لأمر اشتقط ، وعندى أن الشين مبدلة من لام التقط ، فاشتقط فى الأصل التقط ، وقد جرأ العامة على صوغ شقط وجود اشتقط ، والخطب فى هذا سهل يسير .

السلك

السلك عند الناس : حبل من الحديد ، وفى اللغة : السلك : الخيط الذى يخاط به الثياب ، وكأن الأصل فى إطلاق الناس السلك على الرقيق من الحديد هو المشابهة لخيط الثياب .

ومما جاء فيه السلك بمعنى الخيط قول الراجز من رجز ورد فى معجم البلدان فى ترجمة (بعلبك) :

إذ لبست ثوبا دقيق السلك   وعقد در ونظام سك

(والسك : عقد من الطيب) ، وترى فى هذا ضربا من تصرف العامة فى مفردات اللغة ، فقد هجروا المعنى الأصلى للكلمة واستعملوه فى معنى جديد له علاقة بالقديم المطرح .

على محمود عشرون فدانا

يجرى هذا فى أسلوب النــاس . وكنت أرى أن الوجه فى العبارة أن يقال : له عشرون فدانا أو عنده عشرون فدانا وما جرى هــذا المجرى . ولــكنى وجدت فى كلام العرب ما يوافق استعمال الناس . ففى ديوان الهذليين ١ / ١٣٦ : « يقال : على آل فلان كور عظيم أى قطيع من الإبل والبقر والظباء ، وعليهم أكوار من الإبل » . والإبل والبقر والظباء مال العرب فى البادية ، ومال غيرهم الأرض المزدرعة .

قنط ، قناطة

ويقول العامة لمن يعاف من الطعام ما لا يعافه سائر النــاس : قنط ، وعنده قناطة . ويتوسعون فى هذا فيقولون لمن يتقذر ويتقزز : قنط . وقد يقال للتكبر : عنده قناطة .

ومن العسير أخذها من القنوط الذى هو اليأس .

ويبدو لى أن أصل القنط : القنيت ، وهو الذى يصيب من الطعام قليلا ، وليس بالرغيب الأكول . ويقال : قتين أيضا فى هذا المعنى . فحرف العــامة القنيت إلى القنط بالحذف وإبدال التاء طاء .

محمد على النجار

التعليم الميكانيكى

قال الدكتور (جون بادو) المدير السابق للجــامعة الأمريكية بالقاهرة فى تقريره الذى نشره فى مايو سنة ١٩٥١ :

« من المعلوم أنه بتقدم العلوم والتــكنولوجيا فى عالمنــا الحديث أصبحت العناية بالتربية الميكانيكية المحضة تزداد يوما بعد يوم ، حتى أخــذ نجم الآداب والفنون الثقافية الحرة فى الأفول . وفضلا عن هذا قد بلغ التخصص فى كل ميدان من ميادين الدراسة الجامعية أقصى حد ، حتى ضاق أفق الطالب بضيق الدائرة التى تخصص فيها ، ونتج عن ذلك أننا أصبحنا نخرج علمــاء ومهندسين وكيمائيين وصحفيين وأطباء ، على درجة كبيرة من التبحر فى مهنهم ، ولــكن على درجــة ضئيلة فيما يتعلق بمعنى الحياة الــكاملة والقيم الروحية السامية التى بها يستطيعون مزاولة هذه المهن على أحسن وجه » .

القمر الصناعى

كرم الله الإنسان بالعقل ، وأمره بالنظر والتفكر والفهم ليستطيع تسخير ما فى السموات وما فى الأرض تحقيقا لحكمة خالقها وإظهارا لأسرار منشئها ومبدعها لتظهر صلاحية البشر للخلافة والعمران ، وينالوا حظهم من منافع الجماد والنبات والحيوان ، وكل ذلك بتقدير الحكيم العلام .

قال تعالى فى محكم القرآن : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، وقال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

كلما ظهر فى المخترعات جديد تكبر وتجبر عبيد ، وخاف وذعر وروع عبيد ، لأن السرائر خبيثة ، والنيات السيئة عن الخير بعيدة ، ومن الشر والغدر والخيانة والانتقام قريبة ، وقد كان أولى لها ثم أولى أن تجعل الخير رائدها ، ونفع البشرية مقصدها ، فيرتفع عن الإنسان البلاء ويتحقق له الرخاء ، ويخرج من الأرض وينزل من السماء من الخير ما هو الرجاء ، ولكن ويا للأسف غلبت على الإنسان الضراوة ولحقته الشقاوة فأخذ من الصفات الحيوانية أخسها من لؤم وغدر وخيانة ، فلا يبالى بعد ذلك بما عليه من واجب للبشرية من الصيانة وما يلزمه من تبعات الأمانة . وما درى المخترعون للمهلكات والمبيدات والمفنيات أنها أسلحة ذات حدين تقتلهم وتقتل أعداءهم على سواء إن لم يجعلوا مخترعاتهم وسائل لتحصيل الخير ودفع الشر .

أيها المعسكران الشرقى السوفييتى ، والغربى الأمريكى لا يأخذنكما الغرور فيصيب زعيم أحدكما الجنون . فتقع الحرب الثالثة المفنية فتنزل بالبشرية فاقرة ، ليس لها من دون الله كاشفة . لا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . ويصبح الناس فى جحيم وأى جحيم ! فيأخذنا الله بعذاب عميم — وصدق أحكم الحاكمين إذ يقول : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » .

أيها المعسكران ما لكم فى السلطان والجاه والجبروت والاستعمار تختصمون ، وكان أجدر بكم أن تتعاونوا على بر بأممكم ، وخير لأوطانكم ، ونفع لأقوامكم ، فتصبحوا

مغاليق للشر ، مفاتيح للخير فيعيش الجميع فى اطمئنان يجنى كل مجتهد ثمرات جده وعمله وتعبه ونصبه ، فيرتفع مستوى المعيشة العالمية ، وتنعم البشرية ويرتفع عن كاهلها عبء الحروب الطاحنة التى تيتم الأطفال ، وتشرد الغلمان وتكثر من الأرامل بفقد الأزواج وهلاك الأكباد وفناء العباد .

أيها المكتشفون ! كتاب الكون عامر الصفحات ملء العظات . فاقرءوا منه بتدبر ما شئتم من الحكم والأسرار فلن تستطيعوا أن تصلوا إلى العلم إلا بمقدار ، وصدق الكبير المتعال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فمحال عليكم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إلا بما منحكم الله من إدراك وما يفيضه عليكم من فهم واستنباط حتى ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا ، ولصاحبه معضدا ومقوما ، ومظهرا ونصيرا ، أمامكم الأفلاك التى عرفتموها من : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى الى آخر ما تعلمون ، وسواء عليكم أوصلتم إلى بعضها أو إلى جميعها ، فلن تكونوا لله فى الإيجاد شركاء ولا أندادا ، ولن تماثلوه فى أى صفة من صفات الربوبية ، ولا فى أى منزلة من منازل الإيجادية والخلقية ، قال الله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ولقد أخذ فرعون قبلكم الغرور فأمر باعداد المعارج إلى السماء ليطلع على مبدع الكون و إله موسى ورسله ، فكانت عاقبته أن التقمه اليم ، وما دفع عنه القضاء من كان حوله من الجند والحراس والأولياء قال تعالى : « وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب » . وقال تعالى : « هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل : هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ؟ فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » .

أيها المخترعون : عجزكم عن درجة الألوهية محقق ، لأنكم عن إدراك سر حياة الإنسان عاجزون ، وعن الوصول إلى تحديد انتهاء الأجل قاصرون ، وعن معرفة النطفة المخلقة وغير المخلقة ، ومعرفة الذكورة والأنوثة فيها غائبون . فاذا عمركم العجز واستولى عليكم الضعف وأحاط بكم الجهل عما فى الأرض من أسرار وعلم ، فما بالكم بما فى السماء من مكنونات ، وما أودع الله فيها من مخلوقات ، ومبدع الكون يقول : وقوله الحق : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

أيها المكتشفون ، محال عليكم أن تمنعوا الزلازل المروعة وتصدوا الصواعق المفزعة وتزيلوا من السماء البروق اللامعة ، فما أنتم إلا فى أوليات العلم الكونى من الباحثين ، وما أنتم لنهايته وغايته من الواصلين . قال أحكم الحاكمين : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » . فلا تشمخوا بأنوفكم ولا تصعروا لنا خدودكم فلن تخرقوا الأرض غرورا، ولن تبلغوا الجبال طولا، ولن تعلموا إلا ظاهرا من الحياة ، وباطنها يعلمها معيدها ومبديها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . ونحن رجال الدين إلى عقائدنا مطمئنون ، وبها مذعنون ، فلا تخيفنا مخترعاتكم ولا ترهبنا مكتشفاتكم بل تزيدنا تمسكا بما نحن عليه من يقين ومبادئ دينية وقواعد روحية مادمنا - ولا شك - نقطع بأنا وإياكم إلى فناء ، وأن حياتنا هباء، وأن أحدا منكم لن يصل إلى الخلود ، ولن يخرج بما يملك عن سلطان الواحد المعبود ، فرحى مرحى بما توجدون ، فما أنتم أشد خلقا ممن خلق السماء ، ورفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها .

حقا لقد شكرتم الله على نعمة العقل فاستعملتموه فيما خلق لأجله ، وما خلق إلا لاستخراج كنوز السموات والأرض ، وما خلق الله من جماد وحيوان . وقد ذم الله أقواما عطلوا عقولهم وأهملوا قلوبهم بجعلهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

ونحن المسلمين أمام هذا الواقع فى عالم المخترعات والمكتشفات ، تأخذنا الحسرة وتذيبنا اللوعة على ما غمرنا من نوم وسبات أجيالا طوالا ، فقطعنا حبل الجهاد العلمى المتواصل فى هذا الشأن وفى تلك النواحى العلمية ، فما ازدهار العلوم الكونية ببغداد أيام العباسيين عنا ببعيد ، وما أمرها يخاف على العدو والصديق ، ولكن لو تفتح أبواب الشيطان ، وتدخل اليأس والقنوط على بنى الإنسان، فما علينا بعد الآن إلا أن نزج بأنفسنا فى هذا الميدان ، ميدان المخترعات والمكتشفات فنأخذ منه بأوفر نصيب . فنحن أحوج ما نكون إلى رفع مستوانا المعيشى، وما سبيله الآن إلا قطف ثمار المخترعات، واستخدامها فيما يحقق للأمة نصيبا وافرا من المسكن والكساء والغذاء ، ويرفع عن قلوبها وأعينها غشاوة الجهل ، ويزيل عن أجسامها العلل والأدواء والأمراض ، فالعاقل من يأخذ الفرصة عند اهتبالها ويتصيدها فى أوانها ، فلا تفلت من يده ثم يعض عليها بنان الندم ، ويعيب زمانه والعيب فيه . فالعمل سبيل تحقيق الأمل . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ؟

عبد الله المراغى

كلمات اسلامية خالدة

إن سلفنا الصالح وفى مقدمتهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قلوبهم مشرقة ، ونفوسهم صافية ، وسرائرهم طاهرة ، وبصائرهم نافذة ، لمعاصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لقرب زمنهم من زمنه عليه الصلاة والسلام ، زمن الهدى والنور والحكمة . ولذلك كانت لهم كلمات إسلامية خالدة يتخذها الناس من بعدهم نبراسا لهم تضىء لهم الطريق وتهديهم إلى صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض . وقد اخترنا كلمة قصيرة لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، وأخرى لسيدنا عمر رضى الله عنه ، وثالثة لسيدنا على كرم الله وجهه . فأما التى لأبى بكر رضى الله عنه فقوله فى بعض خطبه : « أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهداكم به وإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ، فانه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق » .

وهى حكمة من حكمه رضى الله عنه وإرشاد حكيم من قلب طاهر سليم ، فانها كلمة جامعة لأنواع الخير ومنظمة للسلوك الشخصى ، والسلوك فى المجتمع .

فأما السلوك الشخصى فيظهر أثره فى تقوى الله سبحانه والاعتصام بأمر الله الذى شرعه وبينه للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان تقوى الله خشيته فى السر والعلن ، وطاعته فيما نهى عنه أو أمر ، حتى يصون نفسه مما يؤذيها ويرديها ويحفظها من كل شر يحيق بها والاعتصام بأمر الله التمسك به والحرص على تنفيذه والاهتداء بهديه « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وأما السلوك فى المجتمع فيظهر أثره فى طاعة ولى الأمر الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر كما قال رضى الله عنه ، فان ولى الأمر إنما يعمل لصالح الأمة ورعاية حقوقها ويسهر على إعزازها جماعات وأفرادا ، وتيسير الخير لها ، واتحادها وجمع كلمتها ، والذود عن حرماتها ، والدفاع عن استقلالها وحياتها حياة العزة والكرامة . فاذا خولف أمره كثر النزاع بين أفراد الأمة وتفرقوا شيعا وأحزابا ، وطمع فيهم عدوهم وتربص بهم الدوائر — إن طاعة ولى الأمر الصالح المخلص فى عمله الناصح لأمته العامل لرقيها المدافع عنها واجبة لا يجوز إهمالها ولا التفريط فيها ، والخروج عليه حرام مادام يعمل للصالح العام .

وأما التى لعمر رضى الله عنه فقوله لعبد الله بن قيس الأشعرى أحد قضاة الأمة وهم عمر وعلى وزيد بن ثابت وأبو موسى : « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا » .

لله درك يا ابن الخطاب عاصرت عهد النبوة وشاهدتها وامتلأ قلبك هدى ونورا ، فنطقت بالحكمة وفصل الخطاب فى كلمات قليلات خلدها الزمان وتناقلتها الأجيال ، لما فيها من الهدى والرشاد . فقد بين بها أمير المؤمنين ما يجب على القاضى أن يتمسك به فى قضائه ويتبعه فى الفصل فى الخصومات ، حتى يكون قضاؤه حقا مقبولا . ألا تراه يقول لقاضيه : « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » أى إذا جلست للقضاء بين الناس وفصل خصوماتهم فسو بينهم فى ثلاثة أمور ، فى وجهك فلا تقبل على أحدهما حتى لا تكاد تفارقه عيناك ولا يتحول عنه وجهك ، وتعرض عن الآخر إعراضا تاما حتى يسىء الظن بك ، وسو بينهم فى عدلك ، فلا تحكم فى بعض القضايا بالعدل والإنصاف وفى بعضها الآخر بالهوى والاعتساف ، وسو بينهم فى مجلسك ، فاذا قربت أحد المتخاصمين فقرب الآخر وإذا أبعدته فأبعد الآخر - إنك إن فعلت ذلك أمنت أن يطلب منك شريف عظيم أن تحيف على الناس من أجله وتظلمهم تحقيقا لرغبته ، وأمنت مع ذلك أن يعتقد الضعيف فيك أنك تارك حقه يأخذه القوى منه ولا ترده عليه . روى أن المأمون كان يجلس للظالم فى يوم جعله لذلك ، فبينا هو ذاهب إلى مكان حكمه لقيته امرأة فى ثياب رثة فرفعت إليه شكوى ضد ولده العباس ، فلما وصل إلى مكان حكمه قال لقاضيه يحيى بن أكثم : أجلسها معه وانظر بينهما . فأجلسهما ونظر بينهما بحضرة المأمون ، وجعل كلامها يعلو على كلام العباس ، فزجرها بعض الحجاب . فقال له المأمون : ويحك خلها ، فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ، وأمر برد ضياعها إليها . هذا هو العدل الذى أراده عمر ، وهكذا يكون العدل بين الرعية ، وصدق سيدنا عمرو بن العاص إذ يقول : « سلطان عادل خير من خصب الزمان » .

ثم انظر إلى ابن الخطاب بعد ذلك يقول : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » فانها رشفة من معين النبوة الصافى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ، ولكن البينة على من ادعى واليمين

على من أنكر » ، وهذا أصل من أصول القضاء استنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقضاة الدنيا جميعا ، فلا يكاد يحيد عنه أحد فى قضائه ، والمدعى من زعم خلاف الأصل كأن يزعم أن فلانا مدين له ، فهذا خلاف الأصل لأن الأصل براءة الذمة من الدين وغيره فإن المرء ولد هكذا بريئة ذمته من كل شىء فمن جاء بخلاف الأصل فهو المدعى ، وعليه أن يأتى ببينة أى شاهدين مسلمين عدلين يشهدان له بما ادعى ، فإن عجز عن البينة طلب اليمين من المدعى عليه على براءة ذمته إن كان منكرا وعلى ذلك يحكم القاضى . روى أن هشام بن عبد الملك أرسل إلى قاضيه ليفصل فى أمور بينه وبين إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فلما حضر القاضى خرج إليه الوزير وقال له : إن أمير المؤمنين قدمنى للكلام عنه مع ابراهيم ، فقال القاضى : ائتنى ببينة على ذلك فقال أترانى أقول على أمير المؤمنين مالم يقل ؟ قال : لا ، ولكن لا يثبت الحق إلا بذلك فخرج أمير المؤمنين وجلس مع الخصم فى مجلس واحد وحضرت البينة فوجب الحكم على أمير المؤمنين . فقضى القاضى عليه . هكذا يجب أن يكون القضاة ، لا يخشون فى الحق لومة لائم كما قال الله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » أما الصلح فيجىء أخيرا بعد الخصومة ، فإذا تخاصم بعض الناس مع بعض واشتد النزاع بينهم حتى أفضى إلى ما أفضى إليه من شىء ثم أرادوا الصلح بعد ذلك كان لهم ما أرادوا ، فالصلح خير كما قال الله سبحانه وهو جائز ، كما قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى وغيره « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أوحرم حلالا ، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » .

وأما التى لعلى رضى الله عنه فقوله فى بعض خطبه عليه السلام : « رحم الله عبدا سمع فوعى ، ودعى إلى الرشاد فدنا ، وأخذ بحجزه هاد فنجا (أى استمان بهاد فحصلت له النجاة) ، وراقب ربه وخاف ذنبه ، وقدم خالصا وعمل صالحا ، واكتسب مذخورا واجتنب محذورا ، وكابر هواه وكذب مناه ، وحذر أجلا ودأب عملا ، وجعل الصبر رغبة حياته والتقى عدة وفاته ، يظهر دون ما يكتم ويكتفى بأقل مما يعلم ، لزم الطريقة الغراء والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل » . وهذا كلام لا يحتاج إلى تعليق فهو يشع نورا وهدى ويتضح علما وحكمة . والله ولى التوفيق ؟

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

أم المؤمنين حفصة بنت عمر

كانت حفصة بنت الوزير الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعز الله به الإسلام تحقيقا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت عائشة من قبلها بنت الوزير الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دعا إلى الإسلام فى بدئه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو معنى من المعانى الكريمة فى صاحب الرسالة أن يتألف أصحابه وأحبابه بكل ما يحكم روابط الود ومنه الصهر . وكانت ولادة حفصة قبل الهجرة بنحو خمس عشرة سنة كما يدل له ما نقل ابن الأثير الجزرى فى أسد الغابة وغيره من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها سنة ثلاث عند أكثر العلماء وأنها كانت فى سن الثامنة عشرة تقريبا .

كانت تشبه عائشة رضى الله عنهما فى جمالها وفى حسبها وفى قوة الرابطة وفى تقارب السن . وتشبه أم سلمة التى تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعدها فى أن كلا منهما أرملة صحابى كريم وإن كانت حفصة فقدت زوجها الأول « خنيس بن حذافة السهمى » فى شبابها وروائها وهى خالية من شواغل الولد وأحوج ما تكون إلى كفء كريم يعوض عليها ما فاتها من تبعل لم يطل مداه ولم يحقق غايته .

على أن الناظر إلى سنة الكون المجردة وطبيعة الوجود وحدها دون اعتبار آخر فإنه يرى أن حفصة إلى عهد أم سلمة أقرب من كل فى البيوت النبوية الكريمة إلى تحقيق معانى الزوجية ؛ فهى أجمل وأقوى من سودة بنت زمعة التى تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بنت خويلد عزاء لها عن زوجها (السكران) المهاجر المجاهد لتكون كلمة الله هى العليا وعزاء له عما فقد من خديجة التى كانت خير مشجع له فى مهمته ، ولم تكن سودة — كما قالوا — ذات جمال ولا فى شباب يحقق مطالب البشرية للأزواج ، وكانت حفصة — فى حكم الطبيعة ، كما قلت — أنضج من عائشة أنوثة وأصلب عودا وأخبر بالرجال وحقوقهم وأقوى على تحمل واجبهم ؛ فهى فتاة ناضجة أرملة تكبر عائشة بنحو سبع سنوات أو أكثر قليلا أو أقل قليلا على اختلاف الرواية والبحث .

ولما وردت بعدها زينب بنت خزيمة (أم المساكين) إلى بيوت النبى الكريم استأثرت بها رحمة الله سبحانه بعد شهرين أو ثلاثة ، فلم تكن موضع بحث ولا موازنة .

ثم وفدت بعدها السيدة أم سلمة التي سبق الحديث عنها على صفحات هذه المجلة الغراء فكانت مسنة ذات عيال ، ولم تكن في جمال عائشة ولا حفصة ولا في تفرغ واحدة منهما على جلال قدرها واضطلاعها بكثير من الأعباء .

ولست بصدد الإسهاب في الموازنة بين الأمهات فهو حديث جر إليه عقد المشابهة بين حافظة المصحف الشريف [١] وبين عائشة وأم سلمة .

تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة إذا جبرا لكسرها ، وتخفيفا لمصيبتها ، وتوددا إلى والدها ، وتحقيقا لرغبة ملحة فيه أن يلتمس لها بعلا كريما ، يؤنس وحشتها ، ويسكن نفرتها . ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أوسع الناس ساحة وأقدرهم على تحقيق واجب الزوج ولو كثر الأزواج . وعلى تحمل أعباء المرأة بما آتاه الله من خلق وطاقة عظيمة .

ودلت الأخبار على أن حفصة كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم زوجا لصحابي جليل هو خنيس بن حذافة السهمي الذي شهد بدرا لم يشهدها غيره من بني سهم ، وشهد أحدا فجرح فيها بجرح انتهى بموته ، وكان خنيس من السابقين إلى الإسلام ومن أصحاب الهجرتين

فلما توفي خنيس وانقضت عدة حفصة عز على أبيها أن يسلمها إلى ذلك الحزن والانقباض الذي كان يشعر به كلما دخل عليها . وما أشد انقياد المرأة إلى داعي الحزن وتلبيتها دعوته مالم تلتمس المخرج من عابسه الخانقة .

رأى عمر إذا أن يلتمس لها بعلا كريما ، فعرضها على أحب الناس إليه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق ، ولكن أبا بكر سمع رسول الله صلى عليه وسلم يذكرها فخشي أن يفشي سره قبل أن يبت في الأمر ، وسكت ولم يحر جوابا مما أفهم عمر أنه غير راغب في ذلك الزواج ، على أن مثل حفصة ممن لا يعدل عن زواجه ولا يرد عرضه ولا سيما من صديق حبيب فاستاء عمر في نفسه .

ثم ذهب إلى عثمان يعرضها عليه لعله يقبل مارفض صاحبه ، فقال له لاحاجة لي بالزواج اليوم . فاستاء استياء أشد من الأول ، وضاقت في وجهه الدنيا ، وعجب أن يقع مالم يقدره من صاحبيه في أمر كان يرى أنه موضع رغبة ومنافسة وأنه متفضل بعرضه وجدير ألا يحرج فيه . ولعل ذلك صده على أن يلتمس لها كفئا سواهما وهما موضع الثقة وأولى الناس بالمصارحة . فلم يكن إلا أن يرفع شكواه إلى السيد رسول الله . وهو لا يفكر في ما ادخر الله لها وله .

---

[١] هو وصف السيدة حفصة لما سترى بعد .

ذهب إلى السيد الرسول صلوات الله عليه يشكو إليه ما لقى من صاحبيه وأنهما خيبا أمله ، وكانت الشكوى الثانية من عثمان وردّه عليه ، وقـد كان عثمان زوجا لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفيت فعزم على أن يزوجه بنته الثانية أم كلثوم كما فكر فى أن يتزوج حفصة بنت عمر فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يزف إليه البشارة فيـه وفى أخيه عثمان فى هـذه الـكناية البديعة والأسلوب الحلو الأنيق الجميل « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة » ووقعت البشارة بردا وسلاما على قلب عمـر ، وخرج بها يتهلل وجهه يريد أن يبشر بها كل حبيب ليبارك فرحه ، ويضاعف بهجته ، فكان أول من لقى أبا بكر . ولمـا رآه كذلك فهم ما كان ، وكان فى القـوم ذكاء وبصيرة وفراسة صادقة وحدس عجيب يذكيه الإيمان الصادق والبصيرة الصافية ــ ثم مد يده إلى عمر مهنئا واعتذر إليه يقول : « لا تجد على ياعمر ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حفصة فلم أكن لأفشى سر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، ولو تركها لتزوجتها » ثم مضى كل من أبى بكر وعمر إلى ابنته فأما عمر فليبشر حفصـــة ويهنئها ، وأما أبو بكر فليخفف عن ابنته عائشة من وقع الخبر وليهيئها للحياة الجديدة .

ثم كان أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وســلم حفصة فاتخذت منزلها من بيوت النبى صلى الله عليه وسلم كما تزوج عثمان رضى الله عنه أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم وتحقق الخبر بشطريه ، تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وفى البيت الـكريم كل من سودة وعائشة فأما سودة فرضيت الزواج وباركته . وكان موقفها منها كموقفها مع عائشة من قبلها : رضا وتسليم ، ومباركة وتكريم . فإن سودة كانت سيدة مسنة لا أرب لها فى زواج السيد الرسول صلوات الله عليه إلا أن تخدمه وبناته وتلتمس بركته وأن يبعثها الله سبحانه زوجا لرسول الله صلى الله عليـه وسلم كما قالت ذلك حين طلبها للزواج ، فهى إذن لا تنافس عليه النساء وأما عائشة فسكتت على مضض ، وصبرت على ألم ، فقد كانت تشتمل على غيرة شديدة وتحاول الاستئثار برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يعنيها أمر سودة تلك السيدة المسنة قليلة الحظ من الجمال ، فأما حفصة فقد كانت جديرة أن تستثير مكان الغيرة بجمالها وفتائها رقوتها وعزتها فهى جديرة أن توجه ميول الرسول صلى الله عليه وسـلم إلى شخصها ، وأن يكون لهـا حظها الوفير من حبه وإقباله .

وربما كانت عائشة تزهو على سودة أو تفخر على خديجة فتغار منها وهى فى ذمة التاريخ فتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مفضلة نفسها عليها : إنها عجوز حمراء الشدقين قد أبدلك

الله خيرا منها ، فماذا عسى أن تقول فى هذه الوصية القسيمة سليلة عمر بن الخطاب ؟ ومن عمر بن الخطاب ؟ كان لا بد إذن أن تجد فى نفسها جانبا من الغيرة من حفصة ، وكان جائزا ـ ولعله كان واقعا أيضا ـ أن تبادلها حفصة تلك الغيرة كما هو حكم الطبيعة ، وإن كانت عائشة أسبق من حفصة إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم وإلى قلبه الطاهر الكريم .

ولعل تكاثر الزوجات من بعد وفيهن من هى موضع الغيرة والمنافسة من أمثال زينب بنت جحش ، وصفية بنت حيى ، جعل عائشة رضى الله عنها تنسى كثيرا من مظاهر الغيرة على حفصة ، بل إنه جعلها تتخذ من حفصة صديقة لها تقربها فى المناسبات ، وتتقوى بها فى المشاحنات .

ولا غرو فإن بينهما وجوها من المناسبات تدعو إلى حسن التفاهم ووشك المودة والبر ، فكل منهما بنت صديق الآخر ، وكل منهما بنت حبيب النبى صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس مودة له ، وكلتاهما قرشية ، وقد كانت حفصة هى التى وفدت على عائشة من قبل كل وافدة من بعدها ، لأنها هى التى تليها فى الزواج ، وقد كانت تقاربها فى سنها وفى جمالها فليس ببدع أن تكونا أقرب زوجات النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، وسيتجلى لك ذلك فيما يمر بك من الحديث ، ولا سيما فى موقف كل منهما مع مارية القبطية مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولقد قامت المودة فعلا والصفاء بين عائشة وحفصة ، يتجلى ذلك فى مناسباته ويظهر فى صور يتحدث عنها التاريخ .

ومن ذلك ما يروى عن عائشة فى موقفها من زواج أم سلمة .

قالت عائشة : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكر لنا من جمالها فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت والله أضعاف ما وصفت به ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت : هى كما يقول ، ولكنها كبيرة السن . فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ولكنى كنت غيرى .

وتحدثوا أن السيدة عائشة كانت تضيق ذرعا بميل النبى صلى الله عليه وسلم إلى زينب بنت جحش وإطالة المكث عندها فكانت تتآمر مع حفصة وسودة أيتهن دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد انصرافه من عند زينب فلتقل : إنى أجد منك ريح مغافير

(والمغافير) ثمر حلو كريه الرائحة [١] وكان صلى الله عليه وسلم يكره الرائحة الكريهة أن يشمها أو تشم منه . على أنه ورد أن سودة لم تنفذ هذه المضايقة بالدقة .

وكان عمر بن الخطاب يكره لحفصة أن تساير عائشة فى غيرتها ، فهى بنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما كانت زلتها مغفورة عنده ، ممحوة من حسابه ، ولا سيما أنه كان يعلم أن حبا بالغا متبادلا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ، وكان يقول لابنته حفصة : « أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها » وربما أنذرها فتحامل فى إنذاره حتى لا تتورط فى المكروه أحيانا . وروى أنه قال لها يوما : لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحبك ولولا أنا لطلقك .

ويبدو لنا أن عمر بن الخطاب كان مبالغا فى الحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يحبها ، وأن الذى دفعه إلى ذلك زيادة الحرص على ابنته والعمل على صدها عن بعض ما كان يبدو منها من مظاهر مضايقة غير مقصودة أحيانا وربما استشف ذلك من بعض الأخبار النبوية الكريمة .

ويظهر أن إعجابها بالسيدة عائشة وتقديرها لمركزها العظيم كان يرجح عندها أحيانا أن تلجأ إليها مسترشدة أو مستنصحة وكان يحبب إليها أن تزدلف إليها ـ وهى الصوامة القوامة ـ ببعض الأمر كان الأولى بها أن تكتمه ، وفى قصة مارية التى نزل بها القرآن الكريم : فى سورة التحريم ـ على ما يرويه بعض علماء الخبر ، وما يذهب إليه كثير من المفسرين ـ دليل صادق على مقدار ما تكنه لعائشة من إخلاص وما تحبوها به من إيثار .

حديث مارية القبطية

ذكر كثير من علماء الأثر وروى جماعة من المفسرين وهو ما رواه النسائى والحاكم وصححه [٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل عائشة وحفصة به حتى حرمها على نفسه ، فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله

---

[١] وله مفردات كثيرة ذكرت فى القاموس منها مغفر كمنبر ومغفر بضمتين ومغفور ومغفار ومغفير .
[٢] راجع تفسير الألوسى فى هذا المقام (سورة التحريم) .

لك » وأخرج البزار والطبرانى بسند حسن صحيح عن ابن عباس قال : « نزلت (لم تحرم) فى سريته » ، وكان معروفا أن هذه السرية هى مارية القبطية .

وأنه وطئها فى بيت حفصة التي كانت تغار منها غيرة محرجة مضنية ، ويكمل الرواة هذه القصة فيقولون : إن حفصة بقيت حتى خرجت مارية فذهبت إلى السيد الرسول صلى الله عليه وسلم مغضبة صاخبة وقالت : « والله ما كنت لتفعل ذلك لولا هوانى عليك » فأسر النبي صلى الله عليه وسلم إليها حديثا فى شأن مارية بأنها عليه حرام ، وفى شأن أبى بكر وعمر بأنهما يليان الخلافة من بعده كما أعلمه الله . وقد عهد إليها ألا تطلع أحدا على ذلك السر .

ولم تستطع حفصة أن تكتم ما أمرها الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمانه ، فأخبرت السيدة عائشة وهذه الأم أيضا قد ساءها مايختص النبي صلى الله عليه وسلم به هذه الأمة التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملها معاملة يظهر أنها لم تكن تخصيصا لولا الغيرة . وقالوا : إنها جمعت سائر الزوجات الكريمات فأبرمن العمل على إخراج مولاة النبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، واشتعلت النار فى بيوت النبي الكريم وظهر الشغب على السيد الرسول صلى الله عليه وسلم بينهن فكان الجواب الحازم أن اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا واشتغل عنهن فى أمور رسالته وشئونها والتزم المبيت فى مشربة منفردة عن الحجرات يتصل به خادمه ومولاه بلال ابن أبى رباح . فلما انقضى الشهر وكان تسعة وعشرين يوما عاد إليهن وقد صفت نفسه ، وثابت كل من حفصة وعائشة ، وتابتا عن العودة إلى مثل ما كان ومعهما بقية الأمهات الطاهرات ، ولكن هل طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة فى هذه المناسبة ؟

اختلفت الروايات فى ذلك فبعضها على أنه صلى الله عليه وسلم طلقها وأنه راجعها بعد ذلك رحمة بعمر وابنته بعدها ، وأن جبريل هو الذى نزل عليه بذلك من عند الله .

وفى رواية أنه قال له : « أرجع حفصة فانها صوامة قوامة ، وأنها زوجتك فى الجنة » ، والأصح عندنا فى الرواية أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلقها ولا واحدة من الأمهات الكريمات ، وإنما أنزل الله سبحانه ما فيه الكفاية من تعريفهم بقدر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنزلته فى سورة التحريم ، وإن كان بعض المفسرين يذهب إلى

أنها نزلت فى قصة العسل والمغافير . على أن كلا من الروايتين صحيح ثابت لا مغمز فيه ، ولـكن سياق القرآن الـكريم يؤيد أن السورة نزلت فى حادث مارية ، وليس هناك ما يمنع أن تـكون السورة نزلت بعد الواقعتين معا وهى مناسبة لكل منهما ، رادعة عن كل ما فيه إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم ومنطبقة على ما صدر فى كل منهما ؛ وليس ذلك مجال البحث فى ذلك .

وإنما الذى يعنينا صحة القصة والدلالة على شدة الغيرة وتحقيق معنى التظاهر والمعاونة بين كل من عائشة وحفصة .

على أنه لا يعرف عن حفصة ولا عائشة ولا غيرهما من الأمهات تظاهر بعد ذلك الدرس ، وإنما هو التفرغ للدرس النبوى والقنوت لله سبحانه وذكر ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحـكمة حتى اللحاق بالله عز وجل .

ومما سجل التاريخ لحفصة أنه وقع الاختيار عليها من بين الزوجات الطاهرات لحفظ المصحف الشريف الذى جمعه أبو بكر بمشورة عمر ، وأنه بقى عندها حتى سلمته إلى عثمان رضى الله عنه فنسخ منه النسخ الأربع التى وزعت على الأمصار .

كما سجل لها أنها بعد أن فـكرت فى الخروج مع السيدة عائشة للطالبة بدم عثمان عدلت عن ذلك تقية وخوفا من الله ، أن تخوض فيما لا تدرى عقباه ، وأعانها على ذلك شقيقها عبد الله بن عمر رضى الله عن الجميع .

ثم بقيت كما وصفها التاريخ صوامة قوامة تروى ما أخذت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ويأخذ عنها عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة والتابعين حتى صعدت روحها الطاهرة إلى ربها فى جمادى الأولى سنة ٤١ فى عهد معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه ما .

محمود الدواوى

المفتش بالأزهر

محنة اللغة العربية فى الجزائر

ليس فى وسع رجل ذى ضمير حى فى العالم أن ينكر على الجزائريين حق الثورة فى سبيل تحرير بلادهم من السيطرة الإفرنسية ، وما أظن هؤلاء الذين يكابرون ويجحدون حق هـذا الشعب الحر المناضل إلا مصابين بعمى فى أبصارهم أو بصائرهم أو انحراف فى إنسانيتهم مما يحملهم يميلون إلى التمسك بشريعة الغاب ، ويتجاهلون تجاهلا تاما قوانين الأخلاق والأديان والمبادئ السامية ، ولم يعد أحد يخدع بتضليلاتهم ، ومحاولاتهم طمس الحقائق ، فقد وضح بما لا يدع مجالا للشك ـ بعد المجزرة البشرية الهائلة التى ترتكبها فرنسا فى الجزائر ، والتى يصمون عنها أسماعهم ـ وضح لكل ذى عينين أن مبادئ الحرية والعدل والإخاء والمساواة وما إليها إنما هى ألفاظ جوف تقبع فى قواميس الدول المستعمرة ، وتجرى حينا على أفواههم بقصد التمويه والتضليل ، أما حقائقها فلا وجود لها على سطح هذه الكرة ، ولا فى قلوبهم .

فنحن من أى زاوية نظرنا إلى سلوك الفرنسيين فى الجزائر ، وجدنا غرائب تفوق حد الخيال ، وأى خيال يمكن أن يصل إلى أن يعيش شعب فى أرض آبائه وأجداده غريبا عنها ، يتمتع غيره بخيراتها ، ويعيش هو فقيرا محروما ؟ وهذه الحال قد حملت كاتبا فرنسيا هو جان ميليا على أن يصيح فى وجه فرنسا على أن تعامل مسلمى الجزائر كما تعامل الفرنسيين واليهود والأجانب المتفرنسين فى هـذا القطر ، ويذكر فى صراحة وشجاعة أن الجزائريين يعيشون غرباء فى بلادهم ، أى أنهم من أتباع فرنسا لا من رعاياها ، فهم محرومون من الحقوق السياسية فلا ينتخبون للمجلس النيابى الفرنسى ولا ينتخبون ، ولا يرتقى المسلم الجزائرى فى الجيش الفرنسى رتبة تفوق الملازم الأول ، والذين بلغوا رتبة رئيس قليلون جدا ، ولا يتساوى المسلم والفرنسى حتى فى رواتب التقاعد العسكرية ، وكان المسلمون ممنوعين من وظائف الحكومة فى الجزائر ما لم يتجنسوا بالجنسية الفرنسية ، ثم يقول بعد أن يصف حالة الفقر المدقع التى يعيش فيها الجزائريون : « لا يستغرب بعد هذا أن تكون الجزائر الإسلامية نموذجا لأرض المجاعات » .

ومع أنهم يدرسون فى مدارس فرنسية ، ويتخلقون - كما يقول المؤلف - بأخلاق فرنسية ، ويكتسبون عادات فرنسية ، ومع أنهم فرنسيون بموجب دستور سنة ١٨٤٨ م مع كل هذا - كما يقول المؤلف أيضا - لا تسرى عليهم قوانين فرنسا كلها ، لأنهم لا يحسبون فرنسيين ولا أجانب ولا بشرا [١] .

وأمرا للغة العربية فى الجزائر أمر يدعو إلى أشد العجب ، فنحن نعرف أن المستعمرين فى كل الأقطار يحرصون كل الحرص على أن ينشروا لغتهم وثقافتهم ، وأن يقضوا على لغة الدولة المستعمرة ، لأن اللغة روح الأمة ، ولا تزال الأمة بخير ما بقيت محافظة على لغتها ، أما حين تتهاون فى شأن لغتها فتهملها أو تتركها نهائيا ، حينئذ تنسلخ عن كيانها ، وتصير أمة أخرى ، لذلك يحرص المستعمرون أول تزولهم أى قطر على وأد لغته ، ومع هذا فلا نعرف دولة بلغ بها الحمق وحب التسلط ، والعمل على القضاء على الأمة التى اغتصبوا أرضها كالدولة الإفرنسية .

وتاريخ فرنسا الحديث شاهد عدل على أن الفرنسيين يعملون جادين فى كل قطر يدخلونه على أن يسلخوه من قوميته ، ولولا أنهم فى حاجة إلى الأيدى العاملة فى تلك الأقطار لأبادوا سكانها كى تخلولهم الأرض ، وهم يتذرعون بشتى الدعايات ، وبالأعمال المجرمة لتحقيق أهدافهم .

فهم فى سوريا كانوا يدعون - حين كانوا منتدبين عليها من لدن عصبة الأمم - أن السوريين ليسوا بعرب ، ولو كانت لغتهم عربية ، وأن اللبنانيين يختلفون عن العرب وعن السوريين فى وقت واحد . إنهم فينيقيون ، ولا سيما المسيحيون منهم ، فهم من أبعد الناس عن العروبة والعرب ، لأنهم من أحفاد الصليبيين الذين كانوا قد أتوا إلى سوريا ولبنان من مختلف البلاد الأوربية ولا سيما من فرنسا .

لقد سعى الفرنسيون - طوال مدة انتدابهم على سوريا ولبنان لبث هذه الأفكار والآراء بواسطة الصحافة والمدارس والوعظ واستطاعوا أن يؤثروا فى بعض النفوس ويجعلوهم دعاة للاقليمية وأعداء للقومية العربية [٢] .

---

[١] هذه الفقرات منقولة بتصرف من كتاب الاستعمار ج ١ ص ١٧٠ للأمير مصطفى الشهابى .

[٢] نشوء الفكرة القومية ص ٢١٣ للاستاذ ساطع الحصرى .

وكذلك شقوا طريقهم فى الجزائر ، فالجزائر فى عرفهم يجب أن تكون فرنسية ، بل هى فرنسية بالفعل ، لأن موقعها الجغرافى يجعلها أقرب إلى فرنسا منها إلى جزيرة العرب ، واللغة العربية لغة أجنبية عن الجزائريين فيجب أن يتناسوها ، وبذلك صدر مرسوم فى عام ١٩٣٨ م أصدره الوزير الفرنسى شوتان ، يحرم فيه تدريس اللغة العربية باعتبارها - كما زعم - لغة أجنبية .

ولم يقف الأمر عند حد إصدار المراسيم ، وسن القوانين بل تعداه إلى الناحية العملية ، فجعلت السلطات التدريس من رياض الأطفال إلى الفرق العالية باللغة الإفرنسية وحدها ، وجعلت كل مدرسة تدرس باللغة العربية فى عداد المدارس الأجنبية التى تخضع لقانون خاص .

وكذلك الشأن فى الصحف التى تصدر باللغة العربية ، فهى تعامل بقانون المدارس الأجنبية . ولعل الأدهى والأمر من كل ذلك أن تحتم مصلحة البريد على الجمهور أن يعنونوا رسائلهم بالفرنسية وإذا تعمد كاتب أو خطأ فعنون الرسالة باللغة العربية كان مصير رسالته الإهمال ، ولا ينجو فى كثير من الأحيان من العقوبة على هذا الجرم الفظيع الذى سول له أن يستعمل لغته فى عنوان رسالته .

وقد قرأت فى بعض الكتب أن فرنسا تعتبر المدرسة العربية فى الجزائر أشد خطرا من مصنع للذخيرة ، وهى تحارب بكل الوسائل معلم اللغة العربية ، وتعتبره أفظع جرما من اللصوص وقطاع الطرق !

وكما حاربت المدارس العربية ، حاربت كذلك الكتاتيب القرآنية ، والجمعيات التى تعنى بتدريس الدين ، بل هى تعتبر كل جمعية تدرس الدين خصما مباشرا للدولة ، ولذلك اضطرت جمعيات إسلامية إلى الاختفاء .

وقد سجنت السلطات الفرنسية مدرسا جزائريا لأنه درس لتلاميذه تاريخ الجزائر العربية الإسلامية ، إذ يرى الفرنسيون أن تاريخ الجزائر يجب أن يبدأ من سنة ١٨٣٠ م وهى سنة احتلالهم لها .

ولقد يذكرنا عمل فرنسا هذا بما عملته تركيا مع العرب أيام خضوعهم لحكمها ، فقد حارب هؤلاء اللغة العربية ، فجعلوا التعليم باللغة التركية ، حتى قال الشاعر سليمان التاجى الفاروقى :

بضع وعشرون مليونا لهم لغة ‏ ‏ ‏ تضيع ما بينهم ياشد ما غلبوا

وردد كثير من شعراء العرب هذا المعنى ، ولـكن البون شاسع بين شعور العرب فى ذلك العهد نحو الأتراك وبين شعور الجزائريين نحو فرنسا ، ومع هذا فقد تقلص الحـكم التركى ، وبقيت اللغة العربية مرفوعة الرأس ، منيعة الجانب .

والعجب من قادة فرنسا وساستها كيف يغيب عن أذهانهم أن القضاء على لغـة من اللغات لا سيما اللغة التى لها ماض وتاريخ ، ولها ارتباط بدين سماوى ، ليس من الأمور الميسورة . وتغلب لغة على لغـــة يخضع لنواميس طبيعية ليس منها على أى حال من الأحوال ، القوة والتسلط ، وأول شرائط التغلب ــ وهو اتحاد اللغتين فى الأصل ــ مفقود بين الفرنسية والعربية ، فالعربية من اللغات السامية ، والفرنسـية ترجع إلى أصلها اللاتينى .

(وبعد) فليجهد الفرنسيون جهدهم ، وليبذلوا كل ما فى وسعهم ، فلن يقضى على لغة العرب فى بلاد العرب ، بل إننا على يقين من أنه سيقضى على نفوذ فرنسا فى بلاد العرب طال الطريق أم قصر ؟

على العمارى
مكة المكرمة

حصوننا المهددة من داخلها

كما يسر الله التعاون بين مصر والشام فى مواقفهما العسكرية للدفاع عن حصوننا المهددة من الخارج ، فقد بدرت بوادر تدل على أنه سبحانه يسر لنا التعاون كذلك فى مواقفنا الثقافية للدفاع عن حصوننا المهددة من الداخل . وقد تلقينا عدد ١٣ ربيع الأول (٨ أكتوبر) من جريدة (الأخبار) اليومية التى تصـدر فى دمشق وفى صفحتها الأولى ترديد كريم لصـدى الأفكار النيرة والإيقاظ المخلص الصادرين من قلم الدكتور محمد محمد حسين فى مقاله العظيم (حصوننا مهددة من داخلها) المنشـور فى جزء صفر من مجلة الأزهر ولا سيما ما يتعلق منه بالكتب الأمريكية الفاجرة التى تحرض على تمزيق حجاب الحياء والعفة بين البنات والبنين فى مصر والأوطان العربية ، وقد طلبت الجريدة اليومية الدمشقية أن يجازى المشرف المسئول عن هــذه الدعوة الشيطانية بما يقى أبناء الجيل من عواقبها .

مصادر الشريعة الاسلامية

المصالح المرسلة « تعريفها »

— ١١ —

وعلى هذا لا يكون هذا الرأى مخالفا لرأى المانعين بل هو موافق لرأيهم . وبذلك تكون آراء العلماء فى المصالح المرسلة منحصرة فى رأيين فقط : أحدهما رأى القائلين بحجيتها . وثانيهما رأى المنكرين لهذه الحجية . ولكل من الفريقين أدلة على ما ذهب إليه نوردها فيما يلى :

وقد استدل القائلون بحجية المصالح المرسلة بما يأتى :

١ — ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ . قال : أقضى بكتاب الله . قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ (قال : أجتهد رأيى لا آلو . أى لا أقصر فى الاجتهاد) . قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » (١) فان الرسول صلى الله عليه وسلم أقر معاذا على الاجتهاد بالرأى إذا لم يجد فى الكتاب أو السنة ما يقضى به . والاجتهاد بالرأى كما يكون بقياس النظير على نظيره يكون بتطبيق مبادئ الشريعة والاسترشاد بمقاصدها العامة . والعمل بالمصالح المرسلة لا يخرج عن هذا .

٢ — ان من يتتبع تشريع الصحابة الذين هم عماد الاجتهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر له أنهم كانوا يبنون الكثير من الأحكام على المصالح المرسلة من غير إنكار من أحد منهم على ذلك فكان ذلك إجماعا منهم على العمل بالمصالح المرسلة والاعتداد بها فى تشريع الأحكام .

---

[١] صحيح الترمذى ج ٦ ص ٦٨ و ٦٩ . وسنن أبى داود ج ٢ ص ١١٦ .

وقـــد نقل العلماء عنهم كثيرا من الأحـكام التى بنوها على ما رأوه من المصالح . نورد هنا طائفة منها :

(ا) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع الصحف المتفرقة التى كتب فيها القرآن فى مصحف واحـد فى عهد أبى بكر باشارة عمر بن الخطاب . وليس هنـا ما يدل على جمعه وكتابته من الـكتاب أو السنة . ولـكنه عمل مبنى على المصلحة كما يدل على ذلك قول أبى بكر عندما أشار عليه عمر بذلك : « كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » « وقول عمر : إنه والله خير ومصلحة للاسلام » [١].

(ب) أن أبا بكر استخلف عمر بن الخطاب وهو عمل مبنى على المصلحة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا بعده . ولم يرد عنه شىء فى ذلك . [٢]

(ج) أن عمـر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أبقى الأراضى المفتوحة فى أيدى أهلها ولم يوزعها على الفاتحين . ووضع الخراج على أهلها ليكون موردا للمسلمين . وينتفع به أول المسلمين وآخرهم . وقـد وافقه على ذلك سائر الصحابة بعد أن بين لهم ما يترتب على ذلك من المصلحة للمسلمين . ومما قاله فى ذلك ردا على المعارضين له فى أول الأمر : « إنه لم يبق شىء يفتح بعد أرض كسرى . وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم . فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله . وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه . وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها ، وأضع عليهم فيهـا الخراج وفى رقابهم الجزية يؤدونها . فيكون فيئا للمسلمين المقاتلة والذرية . ولمن يأتى بعدهم . أرأيتم هذه الثغور لا بد لهـا من رجال يلزمونها . أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والـكوفة والبصرة ومصر لا بد لهـا من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هـؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج؟ فقالوا جميعا : الرأى رأيك ! فنعم ما قلت وما رأيت ! إن لم تشحن هذه الثغور وهـذه المدن بالرجال وتجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الـكفر إلى مدنهم . فقال : قد بان لى الأمر » وقرر إبقاء الأرض بأيدى أهلها وضرب عليهم الخراج . وسلم الجميع بذلك [٣] .

---

[١] الاعتصام للشاطبى ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ .

[٢] الفكر السامى لمحمد بن الحسن الحجوى ج ٢ ص ١٣ .

[٣] راجع كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٨ — ٣٢ . والأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ص ٥٧ — ٦٣ .

(د) أن المسلمين لما كثروا فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه زاد الأذان الثانى لصلاة الجمعة ، وجعله على دار فى سوق المدينة تسمى بالزوراء . وهو الأذان الذى يفعل الآن فوق المآذن عند دخول وقت الصلاة . وهذا الأذان لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن أبى بكر وعمر . فرأى عثمان رضى الله تعالى عنه أن الأذان إنما شرع لإعلام الناس بالصلاة ، ولو اقتصر على ما كان قبله من الأذان بين يدى الخطيب أو على باب المسجد لما أدى الأذان المقصود منه ولفاتت الصلاة على كثير من المسلمين البعيدين عن المسجد . وقد وافق الصحابة عثمان على ذلك . وليس له مستند فيه إلا المصلحة ودفع المفسدة التى كانت تترتب على بقاء الأمر على ما كان عليه قبل ذلك .

(هـ) أن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع ما كان فى أيديهم من أمتعة الناس محافظة على الأموال من الضياع . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « لا يصلح الناس إلا ذلك » يعنى الحكم بالضمان . ووجه المصلحة فى هذا الحكم ، كما يقول الشاطبى فى « الاعتصام » : أن الناس لهم حاجة إلى الصناع . وهم يغيبون عن الامتعة فى غالب الأحوال . والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين : إما ترك الاستصناع بالكلية . وذلك شاق على الخلق . وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهلاك والضياع فتضيع الأموال، ويقل الاحتراز . وتتطرق الخيانة . فكانت المصلحة التضمين .

زكى الدين شعبان

الأستاذ المساعد بكلية حقوق عين شمس

اللغة العربية فى كلياتنا العلمية

تقدم المجلس الأعلى للعلوم بمشروع إلى الجهات المختصة لتدريس مواد الكليات العلمية فى جامعات مصر باللغة العربية بدلا من اللغة الإنجليزية . ويقترح المجلس أن يبدأ بذلك فى المراحل الأولى للكليات الجامعية .

أضواء على التاريخ الاسلامى

قرأت مغتبطا تلك الخطوة الموفقة التى خطاها المجلس الأعلى للفنون والآداب ، إذ قرر مشكورا أن يسلط بعض الأضواء على تاريخ الإسلام .

هـذا الاتجاه الصحيح ينبغى أن يزكيه كل مشتغل بالدراسات الإسلامية عامة وبالتاريخ الإسلامى خاصة ، وليست تزكيته أن يساق المديح للمجلس وأعضائه ، بل أن يقـدم كل دراس إسلامى خبرته ورأيه فى تعزيز هـذا الاتجاه ، حتى تستفيد الثقافة الإسلامية حق الفائدة ، وتنتفع من الفرصة المتاحة ـ قبل أن تضيع ـ أقصى انتفاع .

لقـد دعوت وقلت فى حرارة منذ عام تقريبا ، وكان مجلس الفنون والآداب فى باكورة حياته : « إننا نريد تاريخا حيا ، ونريد تاريخ حضارة ودين ، ولقد وعدنا مجلس الفنون والآداب خيرا فى تاريخنا القومى فعليه ألا ينسى تاريخنا الإسلامى ، حقق الله الآمال » . وأشرت فى التعريف بالكتاب ـ الذى ضمنته هذه الآمال ـ إلى الرسالة القومية التى يؤديها التاريخ الإسلامى : « بين القومية العربية والتاريخ الإسلامى رباط وثيق ... فعن طريق هذا التاريخ برزت القومية العربية كشخصية عالمية ، وأصبح مكانها أكبر من مجرد قبيلة أو شبه جزيرة . وعن طريق هـذا التاريخ ارتبطت القومية العربية بمنهج ورسالة ولم تعد مقصورة على فورة دم أو تمدد جسم ... » .

واليوم يطيب لى أن أرى آمالى فى « أضواء على التاريخ الإسلامى » قد صارت حقائق ، وأخـذت أكبر هيئة رسمية فى مصر لرعاية الفنون الآداب تتجـه إلى تسليط الأضواء على هذا التاريخ .

• • •

الترجمة وحدها ... لا تكفى :

لكنى اليوم لا أكتفى بالثناء على المجلس ، بل أناقش الخطوات العملية للتنفيذ ، وأضع تحت النور المحاولات الممكنة لتدعيم هذا الاتجاه .

وأول ما أحب أن يستقر فى الذهن أن الاعتماد على الترجمة فقط ـ ولا سيما فى تاريخنا ـ سبيل لا يغنى ... وهو من قبل ومن بعد جهد لا ينتظر أن تقنع به أمة عربية هى جزء من هذا التاريخ الذى تترجم فيه عن الغرباء . فليس يمنى الاتجاه إلى تسليط الأضواء على التاريخ الإسلامى أن تترجم بعض كتب المستشرقين فى سلسلة الألف كتاب مثلا ، بل الأمر أعمق من ذلك بكثير .

وليس معنى هذا أننى أغض من قدر دراسات المستشرقين ، فأنا أقدر جهودهم ومناهجهم وقد قلت عنهم بالنص فى (الأضواء) : « ومزايا المستشرقين فى مناهج البحث وأساليب العرض وطرائق التحليل والنقد مذكورة مشكورة ، وإنما أتى المستشرقون من ناحيتين : اللغة ، والدين . فهم يدرسون لغة غريبة عليهم ، ويدرسون حقبة من الزمن لغتها غير يسيرة حتى على أبنائها فى هذا الجيل ، وهم يدرسون تراثا وحضارة لدين كانت له دولة فى أسبانيا وإيطاليا ، وكانت له جولة فى فرنسا ، واستقرت له ركائز فى البلقان . هذا الدين بذل الأوربيون كل جهودهم ليخرجوه من الأندلس ، وتكاتفوا ليحرروا من حكمه اليونان ، ويحطموا خلافة آل عثمان . هذا الدين خاضوا القفار والبحار من أجل أن يحاربوه فى عقر داره حاملين الصليب تارة ، وحاملين لواء التجارة والاستغلال والقروض والاستعمار أخرى ... فهل ينسى المستشرقون هذا كله ... هكذا يرتفع أمام بصيرة المؤرخين الأجانب حجاب من العقل ، فهم لا يتفاعلون مع الفكر العربى ، وحجاب من النفس ، فأوربا عندهم هى مركز العالم ، ومن أجل هذا وذاك يجب أن نتحفظ مع المستشرقين وإن كنا نحترم ما بذلوا من جهود وأدوا من خدمات » .

والتحفظ ليس معناه الإهمال ، ولكن معناه أن نترجم لهم ، ثم نغمر دراساتهم بالنور ، ونضيف إليها من التعليقات والحواشى مما تقتضيه الأمانة العلمية .

فأنا إذن أقدر جهود المستشرقين ، لكننى أراها وحدها لا تكفى .

لابد أن يعكف أبناء هذه الأمة على تاريخهم ، فهم أقدر الناس على فهمه وأجلدهم على خدمته ، وأخلصهم فى نشره صحيحا سليما أمينا ، بغير تحيز ولا تحامل .

لابد أن يقبلوا على المادة الأصيلة الخام ، التى تخطف منها المستشرقون عبارة هنا وعبارة هناك ، وفهموها بمفاهيمهم وتقاليدهم : « والتاريخ الإسلامى مرتبط فى مصادره

بمنهج فى التأليف ساد الثقافة الإسلامية فى ذلك الوقت ، ولن يتسنى لنا الإفادة من تلك المصادر على الوجه السليم دون أن نعرف أسلوبها وظروفها » .

فكيف يصبر المستشرقون على عنت (التعديل والتجريح) و (الرواية والإسناد) ؟ وأنى لهم الجهد الصادق فى التعمق فى علم الرجال ، وفى (تقويم) المؤرخين وإنزالهم منازلهم ؟ ؟ .

كل الذى رواه الطبرى ينسب إليه لا إلى من روى عنهم ! ؟ والطبرى والمسعودى ، وابن الأثير واليعقوبى ، وابن كثير والمبرد سواء فى الاحتجاج ! ! !

ومن فطن من المستشرقين إلى مراعاة سند الروايات التاريخية ، لم يدأب على التمحيص والتحقيق ليستفيد من هذه الملاحظة فى كل ما يكتب ، فضلا عن أن من فطن إليها واتجه إلى مراعاتها قليل .

الترجمة عن لغة واحدة . . . لا تكفى :

ويزيد الاعتماد على الترجمة قصورا أن تتجه كلها أو أغلبها إلى لسان واحد تنقل عنه فكثير من تراجم مصر مأخوذة عن الإنجليزية ، فى الوقت الذى تسود فيه الترجمة فى الشام عن الفرنسية . . . . . والتراجم اليسيرة التى ظهرت عن الألمانية مثلا كشفت عن دراسات إسلامية جليلة لا نعرف عنها شيئا ، والذين يعرفون الألمانية قليلون ، والذين يريدون أن يستغلوا معرفتهم فى ترجمة الأصول الألمانية أقل ، لأن أكثر من أتقن لغة يفضل أن (ينثر) عبارات من كتاب فى عشر كتب من تأليفه وإنتاج قلمه ، كل جهده فيها أن يقدم إطارا لمنقولاته ليس فيه أصالة ولا طرافة يفضل هذا عن أن (ينشر) كتابا كاملا مترجما عن لغته الأصلية ! !

وعلاج هذا يسير . . . فلو أجزل العطاء ، وخاصة فى هذه اللغات التى لا يكثر متعلموها الذين يستطيعون الترجمة عنها ، لا نقطعت الحاجة إلى إخراج تلك المؤلفات (فكة) أو (بالقطاعى) . ولأغنى الكتاب المترجم صاحبه وأغنى الناس عن هذا العناء !

وفى اللغة الروسية دراسات نافعة لمستشرقين روس ، نذكر منهم (فازيليف) الذى نشرت له أخيرا إدارة الترجمة شيئا من دراسات فى العلاقات العربية البيزنطية . فإن

تعذر النقل فى مثل هذه اللغة عن الأصل الروسى فلا مناص من الاعتماد على ترجمة انجليزية أو فرنسية ، على أن تستشار المجامع العلمية فى الدولة صاحبة الأصل عن أكثر الترجمات وثوقا فى نظرها وتقديرها .

الأمهات العربية :

وإذا كانت الترجمات المتعددة ولو كانت من ألسنة كل أمم الأرض لا تكفى وحدها ، فلا بد إذن من أن نوضح أن المنتظر من أمة عربية مسلمة أن تكون هى المصدر الأمين الأصيل للمادة التاريخية ، فاذا كان أجدادنا هم الذين صنعوا هذا التاريخ ، فلا أقل من تكون نحن رواة أخبارهم على وجهها الصحيح .

« إن من أعظم المفارقات فى ديننا أن تكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التى نستطيع أن نصحح بها تاريخنا فنبنيه على أساس قويم من الحقائق العلمية التى لا يتطرق إليها الشك ، وأن تكون — مع ذلك — أشد أمم الأرض إهمالا للافادة من تلك النصوص حتى بقى تاريخنا مضطربا كما أراده له الذين دسوا فيه ما ليس منه ، وشوهوا من جماله ما جعل المسلمين يسيئون الظن بأمجد صفحات ماضيهم . . . . إن تاريخ مصر الإسلامية فى حاجة إلى التمحيص والتنقيح والتصحيح ، وإن تاريخ العرب قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام فى حاجة إلى البحث والكتابة من جديد ، وإن تاريخ المسلمين والإسلام أجدر تاريخ فى الإنسانية بأن يرجع به إلى نصوصه السليمة التى عرف رواتها بالصدق والدين والمعرفة وعروبتهم الوثيقة . ولا يقوم بهذه المهمة لتاريخ مصر والعرب والإسلام إلا المحققون وأهل الألمعية من أوفياء المصريين والعرب والمسلمين لمصريتهم وإسلامهم »

هذا الكلام الدقيق قرره رجل عالم بالتاريخ الإسلامى ، ولا أستطيع أن أصفه بأكثر من هذا فى المجلة التى يرأس هو تحريرها . فالسيد محب الدين الخطيب قد كتب هذا الكلام فى مجلة الأزهر نفسها (جزء رجب ١٣٧٣ هـ) ، وما فتئ يردده من قبل ومن بعد طول حياته — بارك الله فى عمره ونفع بعلمه ، وقد نقلته عنه فى خاتمة (الأضواء) تحت عنوان « ماذا نريد » ، وهأنذا أردده وسأكرره لأنى لا أجد أصدق منه تحديدا لما نريد ، ولا ينبئك مثل خبير .

وأنا أضيف إلى هذه المفارقات التى ذكرها أستاذنا الكبير ، أننا مع كوننا أضعف

الناس نشاطا فى تحقيق تاريخنا ، فنحن أقوام جرأة على التأليف فيه . . . نؤلف ونحن لا نعرف المادة الخام التى نستمد منها ، وتمتلىء السوق بكتابات فى التاريخ الإسلامى قد يختلف حظ أسماء أصحابها من اللمعان لكن لا يختلف حظها هى فى التحقيق العلمى »

« إن تاريخنا كثيرا ما يبدو من بين الكتب التى نتداولها (تافها وهزيلا) بالنسبة إلى التواريخ الغربية (الناصعة المجيدة) ، ولكن السبب فى ذلك لم يكن تفاهة تاريخنا نفسه بل هو رداءة الكتب التى تعرض لنا ذلك التاريخ . فان الكتب التى نقرؤها عادة عن تواريخ الغربيين مكتوبة لنظرة علمية وخطة تربوية ونزعة قومية فى وقت واحد . . . فى الواقع قد صدرت فى بعض الكتب وبعض المجلات عدة أبحاث تاريخية لا تخلو من مظهر الجدة ، ولكنها لا تزال بعيدة كل البعد عن المناحى العلمية الحقيقية ، ومجردة تجردا تاما من النظرات الاجتماعية الشاملة . وبينها ما ينم عن نزعة شعوبية جديدة تميل إلى استصغار شأن الأمة العربية فى كل شىء ، وبينها ما يدل على روح تشاؤمية تلون كل شىء بألوان سوداء ، وبينها ما ينم عن التفكير اليائس الذى يعتبر كل النقائص متأصلة فى نفوس العرب ، ويزعم أنه لا سبيل إلى التخلص منها بوجه من الوجوه » هـذا تقويم لأبحاثنا التاريخية التى تخرجها المطابع بأسماء أصحابها ، من رجل خبير هو الأستاذ ساطع الحصرى مؤسس معهد الدراسات العربية العالية ، ولا يحسبن القارىء أن هذا تقرير ماض اندثر فى تاريخنا الثقافى فهو فى كتاب حديث طبعته الأولى ظهرت فى بيروت ١٩٥٦ بعنوان « دفاع عن العروبة » .

أليس من الأولى والأحق أن نولى جهودنا شطر تحقيق تراثنا ، والعمل على نشره نشرا علميا ، حتى تتوفر لنا ولغيرنا من طلاب البحث المادة العلمية الصحيحة بدلا من تبديد الجهود فى إخراج المجالات ، معتمدين على ما تحت أيدينا من المطبوع غير المحقق ، متجاهلين قدر هـذا المطبوع ومؤلفه فى منازل مؤرخينا ، ومتجاهلين مدى صحة هـذا المطبوع وهو غير منشور بطريقة علمية ، ومتجاهلين ما لم يصلنا من مطبوعات لم نسمع بها ولم نبحث عنها ، ومن مخطوطات لم تر النور بعد ؟ ؟

من من دارسى التاريخ الإسلامى والكاتبين فيه يتجه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ويعرف أن له مرجعا فى التاريخ هو (منهاج السنة) ؟ ومن يتجه إلى القاضى ابن العربى ويعرف أن له مرجعا فى التاريخ هو « العواصم من القواصم » ؟ ومن يتجه إلى الحافظ الذهبى ليقرأ

مختصره لمنهاج الاعتدال إن تعذر عليه المطول وهو « منهاج السنة » ؟ . الذائع الطائر بين الباحثين أن ابن تيمية مؤلف فى العقائد والفقه ، وأن لابن العربى كتابات فى التفسير والحديث ، وأن الذهبى صاحب حديث ... أما بضاعة هؤلاء فى التاريخ فقليل من يعرفها . وعلى دارسى التاريخ الإسلامى أن يعرفوا الحق ، لمحب الدين الخطيب الذى نشر جزءا من (العواصم) عن مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول ، وفى تعليقاته عليه وحواشيه غمر الكتاب بالنور ، وفعل مثل ذلك أخيرا فى (منهاج الاعتدال) ... كل هذا جهد فرد واحد علاوة على نشره الكتب ودراسات فى نواح إسلامية أخرى .

ثم من من دارسى التاريخ الإسلامى يعرف للمؤرخين الذين اشتغلوا بعلوم إسلامية أكسبتهم أمانة التحرى وخبرة تقويم الرواة – من يعرف لهؤلاء فضلهم على غيرهم ، ولو على الأقل فى مواقف الفتن والريب حين تزيغ الأبصار وتزل الأقدام ؟ من ينظر للطبرى وابن الأثير وابن كثير النظرة الجديرة بهم ، وينزل المسعودى والمبرد واليعقوبى منازلهم – ؟ وهم دون سابقيهم فى التحقيق بغير جدال . من يبصر بالروايات المنحولة كذبا لابن قتيبة المسماة (الإمامة والسياسة) ويحكم فى دعوى نسبتها إلى صاحبها ؟ ؟

نحن فى حاجة إذن قبل كل شىء إلى نشر الأمهات من كتب تاريخنا نشرا علميا محققا مفهرسا مغمورا بالنور ...

ولا يقنع العلم من مصر وهى داعية القومية العربية ، ومقر الأزهر والمؤتمر الإسلامى أن يخرج مجلسها الأعلى للفنون والآداب بطائفة من المترجمات عن أعلام الاستشراق ، على ما فى هذه المترجمات من نفع ، خاصة إن تعددت ألسنتها .

التآليف الجديدة :

وليس معنى هذا أن نصادر اتجاه التآليف أو نزهد فيه أو ننصرف عنه ... كل ما فى الأمر أن نرتفع بمستوى تآليفنا ، وأن نحترم عقولنا وأقلامنا ، وأن نقدر أمانة التاريخ . فقد يكون من الممكن أن تظهر مؤلفات فى موضوعات جزئية مدروسة مهضومة من مصادرها الأصلية مطبوعة ومخطوطة ، مستعان فيها بالترجمات الأجنبية المتعددة ... لكن قد يكون من المتعذر أن نصدر كتبا شاملة ، أو موسوعة كاملة فى التاريخ الإسلامى كله ، ونحن على هذا النقص فى النشر والتحقيق .

ولست أترك بعد ، هذا الكلام على علاته ، حتى أضع النقط فوق الحروف ، فقد تكون صياغة المبادئ أسهل من تخطيط تنفيذها .

من هنا تبـــدأ طريقنا :

كتاب الطليعة : إن الكتاب الذى أرشحه للبداية هو تاريخ الطبرى ... وهو كتاب منزلته التاريخية يشهد بها الجميع ، ولدينا منه طبعتان : طبعة ليدن وطبعة الحسينية ، ولا جـدال فى أفضلية الأولى من ناحية التصحيح ، ولكن بقيت مهام أخرى جليلة الخطر أشرت إليها فى كتاب « أضواء على التاريخ الإسلامى » إذ قلت فى مقدمته مانصه :

« فكتاب كتاريخ الطبرى يحتاج إلى لجنة علمية تفحص إسناده وتعلق على رواته ، وتقارن رواياته بروايات غيره من المؤرخين المتقدمين كالبلاذرى وابن عبد الحكم مثلا ، ثم تذيله بفهارس دقيقة للأعلام والمعالم والموضوعات تجمع بها ما تناثر على مر السنين فى الحوليات . كل ذلك فضلا عن الجهد الأصيل الذى ينبغى أن يبذل فى مقابلة النسخ الخطية الموجودة فى المكتبات العالمية دون القنوع بطبعة ليدن أو القاهرة ، ولا يستطيع ناشر أن ينفق على هذا كله ، ولو أنفق فلن يستطيع أن يوزع سريعا ما أنفق عليه كل هذا المـال ، ودار الكتب نفسها ـ وهى مؤسسة حكومية ـ تمتاز مطبوعاتها بالعرض الجميل لكن الهوامش والتعليقات تحتاج إلى المزيد من العناية والإحاطة ... لقـد صار لدينا مجلس أعلى للفنون والآداب ننتظر منه جهودا فى شأن ثقافتنا الإسلامية ... ولدينا من العلماء المتخصصين من يلح عليه الشوق لتلق دعوة ليبذل مثل هذا الجهد العلمى قبل أن يموت ، ترى من هو (المنصور) الذى يدعو لهذا (الموطأ) ؟ ؟ » .

هذا ما قلناه ، وهو ما نعيده ونكرره ونلح عليه ، وإن كان قد وصل أسماعنا فى غضون العام الذى مر بعـد ما كتبناه ، أن دارا للنشر أعدت العـدة لإخراج كتاب الطبرى فى التاريخ .

وأنا لا أعتقـد أن دار نشر مهما كانت إمكانياتها العلمية والفنية والمـادية تطيق إنتاج هذا العمل العلمى الضخم فى صورته المبتغاة ، لـكن تستطيع أن تتعاون مع الدولة فى هـذا السبيل بأسلوب قريب مما كان يحـدث فى تنظيم مشروع الألف كتاب بين إدارة الثقافة والناشرين .

آمال المستقبل :

وبعد : فإن اتجاه المجلس الأعلى للفنون والآداب بداية متواضعة لجهود كثيرة منشودة ولطريق طويل :

« نحن نحتاج إلى أكاديميات متفرغة لثقافتنا الإسلامية تقوم بنشر معالم إسلامية (انسيكلوبيديات) ومجلات علمية متخصصة لهذه الثقافة ، فلا يليق أن يكون لدى الغرب مجامع ومعالم ومجلات للدراسات الإسلامية أو الشرقية أو الإسلامية وفقا لما يختار من أسماء فى حين تخلو مصر من هذه الدراسات » .

نحن نريد مجلسا خاصا للثقافة الإسلامية ، فإن تعذر فعلى الأقل لجنة خاصة فى المجلس العام .

« ثم نحتاج إلى فهارس مضبوطة للمخطوط والمطبوع فى العالم من تراثنا القديم ولما نشر من الدراسات الحديثة فى الثقافة الإسلامية ... وندعو مع الدكتور ماجد : « إننا فى الشرق لم نقم بطبع الأصول التاريخية العربية إلا على نطاق ضيق جدا مع أهمية هذه الأصول فى أنها تضع تحت أعيننا مجموعة هائلة من الحقائق التاريخية التى هى أساس البحث التاريخى . وإننا نلح على حكومتنا بالإسراع إلى تصوير المخطوطات العربية التى فى حوزة الدول الأخرى ... هذا وإن دور المكتبات عندنا غير منظمة وتفتقر إلى فهارس وقوائم للمخطوطات ، كذلك تنقصنا حتى الآن فى مصر المجلات التاريخية الصرفة » .

ونحن نتابع فى بعض هـذا جهود الإدارة الثقافية فى الجامعة العربية بإشراف الدكتور صلاح الدين المنجد فى تصوير المخطوطات العربية فى المكتبات الإفرنجية على (الميكروفيلم) ، ونرجو ألا تحول مشكلات ميزانية الجامعة دون استمرار هذه الجهود .

هذه آمال سبق لنا تردادها فى « الأضواء » ... نأمل أن تأخذ طريقها إلى التحقق بهذه البداية الموفقة لمجلس الفنون والآداب فتشع فى عالم المعرفة منها الأضواء »

فتحى عثمان

من تاريخ المسلمين فى الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

— ٢ —

تحدثت فى المقال السابق [١] عن بدء الزحف الغربى على الهند باسم التجارة ، وكيف اختفى الغرب وراء هذا الستار للوصول إلى أغراضه فى السيطرة على الهند والبلاد الشرقية .

ولقد كانت هذه الشركات التجارية ومنها شركة الهند الشرقية الانجليزية تعتمد على أساليب الحيلة والهدايا للوصول إلى ما تريد إبان قوة الحكام فى الهند ولا سيما المغول . وكانوا كلما حدثتهم نفسهم بالاعتماد على القوة ردعهم المغول وأدبوهم . . ولكن حينما بدأت قوة الحكام المسلمين فى الضعف ، ولا سيما بعد موت الإمبراطور « أورنگزيب » أخذت رءوس الحيات تطل من أجحارها ، وظهرت للناس نيات الغربيين الحقيقية حين أسسوا لهم المستعمرات الصغيرة على الشاطئ وكونوا الجيوش من بنى جنسهم ومن المرتزقة الهنود وسلحوهم بالأسلحة الحديثة ، ونزلوا بهم الحروب مساعدين بعض الأمراء على بعض ، مستغلين الخلافات التى بينهم لفرض نفوذهم ، معتمدين على بعض الخونة لتمهيد الطريق أمامهم . .

وكانت موقعة « بلاسى » سنة ١٧٥٧ م بين الانجليز وبين « سراج الدولة » حاكم البنغال صورة مكبرة من غدر الانجليز وخيانة بعض أمراء المسلمين الذين تواطئوا معهم على إخوانهم فى الوطن والدين : فقد كان سراج الدولة يعمل دائما على وقف تغلغل الشركة الانجليزية ويحد من طغيانها ، ولو أنه كان يتجنب ـ ما أمكن ـ الدخول معها فى حرب ، حتى عقد معها معاهدة عدم اعتداء . .

---

[١] فى عدد المحرم ١٣٧٧ ص ٦٦ .

لكن قائد الشركة أو مديرها « مستر كلايف » لم يقف عند هذا ، بل أخذ يستعين بالخونة للفتك بسراج الدولة ، وكان كبير هؤلاء الخونة « مير جعفر » أحد القواد المسلمين فى جيش سراج الدولة حيث اتفق مع الانجليز على أن يتخلى عن أميره حين يهاجمونه . . ولما وثقوا من ذلك نقضوا المعاهدة وهاجموا سراج الدولة فى ٤ فبراير سنة ١٧٥٧ بجيش صغير ولكنه مسلح بالأسلحة الحديثة ، وثبت لهم الحاكم المسلم مع قواده المخلصين حتى انتصر أولا ، ولكن خيانة القائد « جعفر » قلبت النصر إلى هزيمة شنيعة كان من نتيجتها أن نصبوا الخائن حاكما اسميا على البنغال بينما كانت السلطة كلها فى أيديهم ، ثم قبضوا على سراج الدولة وقتلوه فى بلدة « مرشد أباد » ومنذ هذا التاريخ وبعد هذه الموقعة سيطروا على البنغال وتركزوا فيها وأصبح لهم مستعمرة كبيرة فى الهند بالإضافة إلى المستعمرات الصغيرة على الساحل فى مدراس وغيرها . . فكانت هذه الموقعة مفتاح سيطرة الانجليز على الهند كلها فيما بعد . . وكان الشعب لذلك يحتفل فى ألم وحزن بذكرى هذه الموقعة كل سنة . .

وقد قال الشاعر الهندى المسلم : « إقبال » عن سراج الدولة وجهاده ضد المستعمرين « وما عرف الناس سراج الدولة على حقيقته ، وإلا لصارت « مرشد أباد » مثل « أجمير » كعبة للزوار ، و « مرشد أباد » هى المدينة التى دفن فيها المجاهد الشهيد أما « أجمير » فهى المدينة التى دفن فيها منبع الأولياء فى الهند « الشيخ معين الدين الجشتى » ويؤمها مئات الآلاف من الزوار كل عام . والعوام فى الهند يعتبرونها المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة . .

ولم يترك الشاعر « إقبال » هذا الخائن « جعفر » حتى دفعه بهذا البيت الذى يحفظه عامة المسلمين فى الهند عن جعفر وعن زميل له خان سلطانه « المجاهد سلطان تيبو » حاكم ميسور وانضم للانجليز . فقال باللغة الأوردية :

جعفر أز بنغال صادق أزدكن ... ننك ملت ننك دين ننك وطن

أى : جعفر من بنغال وصادق من دكن ... عار الملة وعار الدين وعار الوطن

* * *

بعد هذه الواقعة علا نجم الانجليز وأخذت الأنظار تتجه إليهم لا سيما أنظار الحكام

الذين يحرصون على مراكزهم والذين رأوا فى الانجليز قوة يحسب حسابها ، وكانت الهند فى ذلك الوقت قد تفتتت السلطة فيها بعد ضعف السلطة المركزية فى « دهلى » فأصبح فيها مئات الولايات والحكام ، وكثير من هؤلاء وجدوا فى الانجليز عونا لهم على منافسيهم فتعاهدوا معهم ضد إخوانهم فى الدين والوطن ، ومن خلال ذلك تفذت أصابع الشيطان الانجليزى إلى كل جانب فى الهند ، وقوى أمره وبدأ يبطش بمخالفيه ويحاربهم ويقضى عليهم ويفرض نظامه وأحكامه على البلاد التى تخضع له ، حتى لم يبق فى الهند كلها قوة تستطيع أن تصمد لهم . حتى السلطان المغولى القابع فى قلعته الحمراء فى دهلى أصبح خاضعا هو الآخر للسيطرة الانجليزية فى أخص شئونه ، وأصبح كثير من حاشيته يرنون بأبصارهم وقلوبهم إلى السادة الجدد الأقوياء غير مهتمين بسيدهم العجوز الضعيف الشأن .

وبذلك خضعت الهند كلها خضوعا فعليا لسيطرة الانجليز ونظامهم ... وكان هذا هو الذى دعا العلماء وعلى رأسهم العالم المجدد الشاه ولى الله الدهلوى ومن بعده أبناؤه وتلامذته إلى القيام ضد الشركة وإعلان الجهاد العام لتخليص البلاد من سيطرتها . فقد أصدر الشاه عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله فتوى سنة ١٨٠٣ م : « بأن الهند صارت دار حرب بعد سيطرة الانجليز على شئون الملك فيها وأن الجهاد أصبح فرض عين على المسلمين » .

وقد كان لهذا الموقف من العلماء أثره القوى فى شحن النفوس بالكراهية للانجليز وتعبئتها للجهاد ضدهم حيث أخذ العلماء والمتصوفة يجوبون البلاد والقرى وينبهون الناس إلى الخطر المحدق بهم ، وكانوا قد أخذوا على عاتقهم إنقاذ البلاد والحكم الإسلامى فيها بعد أن رأوا ما آل إليه أمر سلاطين المسلمين من الضعف والتخاذل والتفرق حتى طمع فى المسلمين أعداؤهم من سكان الهند فأخذوا ينكلون بهم شر تنكيل ... وكان هذا هو الذى دعا العالم الصوفى الكبير « سيد أحمد بريلوى » إلى أن يدعو أتباعه لتأليف جيش قاده بنفسه مع الشاه إسماعيل الدهلوى حفيد الشاه ولى الله ليكسر شوكة « السيك » الذين أخذوا ينكلون بالمسلمين فى البنجاب ، فتم له ما أراد أولا لكن خيانة بعض مرافقيه مكنت أعداءه منه فقتلوه مع الشاه إسماعيل وكثير من أصحابه وعرفا فى التاريخ باسم السيد الشهيد ، وإسماعيل الشهيد وكان ذلك سنة ١٢٤٦ هـ (سنة ١٨٣١ م) . ولم تنطفىء جذوة الجهاد بعدهما ، بل اشتعلت أكثر مما كانت لا سيا ضد الانجليز وتابع العلماء رسالتهم حتى اشتعلت الثورة .

وهناك أسباب جوهرية أشعلت النار وساعدت على التحمس لدعوة العلماء كان منها :

١ — أن عامة الشعب وجدوا من الشركة معاملة لم يألفوها من قبل فقد كانت تتفنن فى فرض الضرائب المرهقة بجوار ما وجدوه من كساد مصنوعاتهم المحلية نتيجة للسياسة التى رسمتها الشركة للقضاء على الصناعة فى البلاد حتى يتسع المجال للتجارة والصناعة الانكليزية ، فحاق الإفلاس بالزراع والصناع ، بينما أخذت أموال الهند وخيراتها تتحول إلى انجلترا فكان الأمر كما قال الأديب الانجليزى الكبير الذى عاش فى الهند فى هذه الفترة وهو لورد ماكولى : « إن أنهار الثروة فى الهند كانت تنساب إلى انجلترا » فأصبحت الهند كما قال سير جون لورنس سنة ١٨٤٤ م : « إن الهند أصبحت مفلسة حتى إن أكثر أهلها قد هاموا على وجوههم » .

ولقد كان العمال الذين يشتغلون فى أعمال الشركة يستغلون أسوأ استغلال فالعمل كثير مرهق والأجر قليل وتافه ، والسوط مسلط على من يبدى أقل تذمر ، وهذا شىء لم يكن مألوفا فى الهند من قبل .

جاء فى مذكرة مصلحة التجارة البريطانية ١٧٦٦ — ١٨١١ م : « كان الصناع والمحترفون يكرهون على العمل للشركة ، ويؤخذ منهم ميثاق غليظ لا يزيدهم إلا خسارا ، ولا يجدون بجانبهم وليا ولا نصيرا ، إنهم يستغيثون ولا مغيث ، وكانوا يجبرون على عمل لا تستسيغه نفوسهم وطالما سيقوا إلى دفع غرامات باهظة لامتناعهم عن العمل ، وكان النساجون تفرض عليهم غرامات باهظة تضطرهم إلى ترك العمل » .

ويقول مؤرخ آخر : — كان يصب على أبدان الصانعين البائسين من ألوان الظلم والعقوبة مالا يتصوره عقل كأنهم عبيد للشركة ، فان الغرامة والحبس والضرب بالعصا كل ذلك أبادهم وقطع حبلهم وأتى عن حرثهم ونسلهم .

وجاء فى كتاب « بنغال فى عهد الشركة سنة ١٧٨١ » : — قد أهلكت المالك بعد أن شد على أهلها الخناق بكل ما يمكن من الأنواع . واجتيح نحو نصف أملاك الأعيان الأباة العامرة فى زمن أقل من ستة أعوام ، ودمرت أخصب الأراضى وغرب خمسة ملايين من الرجال الجادين الأبرياء وأودى بهم .

ويقول جيمس تيلر « كان من نتائج كساد سوق التجارة والصناعة أن انحطت (دها كه) عاصمة البنغال عمرانا ، فأن عمرانها الذى كان يضم مائتى ألف قد صار إلى ثمانية وستين ألفا فقط . . . . » [١]

وهذه أقوال صادرة عن كتاب انجليز عنى بتدوينها مؤلف أمريكى اهتم بنشر ماحاول الانجليز إخفاءه ، وسمى كتابه «الصورة الخلفية للثورة» The other side of medal وهى أقوال فى غير حاجة إلى تعليق ، وتنطق بما حاق بالأهالى من الإفلاس والظلم .

وقد كان المسلمون أشد الناس تعرضا للفقر والإفلاس ، فالحكم كان بأيديهم وكان من الطبيعى أن يكون الأمراء والوزراء وغالبية الحاشية وكبار الموظفين والحكام منهم فى الأقاليم ، وكانوا متمتعين بكثير من الأراضى والعطايا الملكية ، وقد سلب ذلك كله من أيديهم فى كل مكان حل فيه الانجليز ، كما أن كبار الموظفين قد عزلوا عن أعمالهم وسد هذا الباب فى وجوههم نهائيا وبدأ الحرمان يمتد إلى الموظفين الصغار منهم فحل البؤس والفقر مكان العز والنعمة بينما كانت الأغلبية من الهندوس تعتمد على العمل والتجارة ، وهؤلاء وإن كانوا قد أصابهم الضرر كذلك إلا أن نسبته كانت على كل حال أقل بكثير عما كانت بين المسلمين . . فقد كان الانجليز يتعنتون مع المسلمين خاصة لما يشعرون به من أنهم قد نزعوا السلطان من أيديهم وهم لا يفتئون عن السعى لإعادة هذا السلطان متى وجدوا لذلك سبيلا ، ولذلك اجتهد الانجليز فى تقليم أظفارهم والعمل على إفقارهم بشتى الوسائل حتى يسدوا كل باب يمكن أن يلجوه لإعادة سيطرتهم من جديد . من أجل هذا كله كانت النكبة على المسلمين أشد ، وكانت خطواتهم للثورة أسبق ، وفى مقال آخر نكمل الحديث عن المظالم التى أثارت هذا الشعب وأجبرته على أن يخوض هذه الثورة الدموية هادفا إلى الحرية والحياة الكريمة ؟

عبد المنعم النمر

ديو بند   مبعوث الأزهر والمؤتمر الإسلامى فى الهند

---

[١] الأقوال السابقة نقلا عن كتاب الوجه الثانى للثورة تأليف ادورد تومس الأمريكى ونشرتها مجلة الضياء العربية التى كانت تصدر فى دار العلوم لكهنو شعبان ١٣٥٤ .

أثر التراث الاسلامى
فى حضارة العرب

أجمع المؤرخون على أن الأمة الإسلامية قامت فى نحو قرنين من الزمان بأعظم نهضة أدبية وعلمية عرفها البشر ، وقد امتد رواقها على أكثر الأمم التى كانت معروفة حين حدوثها . فاعتبرت عالمية . وأفادت منها كل أمة حتى التى قاومتها بالحديد والنار . فانها بسبب الاتصالات العادية بين الشعوب استعادت ما أثر فى كيانها وظهرت ثمراته فيها بعد حين .

لسنا نحب أن نلق بمثل هذه الأقوال على عواهنها ، فلا بد لنا من دعمها بالأدلة ، وليس من أدلة أعظم دفعا فى النفوس والعقول من الاستشهاد بأقوال الفرنجة فى هذا الموضوع وهم الذين جنوا أعظم الفوائد من احتكاكهم بالمسلمين .

من أوثق مصادر التاريخ الإسلامى فى هذا العصر كتاب العلامة الكبير (الكسندردريبر) المدرس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية (المنازعات بين العلم والدين) Les canflits entre la science et la religion قال : « إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨ ميلادية أى بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) بست سنين . ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلميه اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » .

إلى أن قال : « ولما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور (صنة ٧٥٣ إلى سنة ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك إلى بغداد ، وجعلها عاصمة فخمة . ولم يأل جهدا فى بذل الوسع فى نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما تولى حفيده هرون الرشيد (٧٨٦ م) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة إلى كل مسجد فى جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الأسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة (من سنة ٨١٣ إلى سنه ٨٣٢ م) فانه جعل من بغداد

العاصمة العلمية العظمى وجمع إليها كتبا لا تحصى . وقرب إليه العلماء وبالغ فى الحفاوة بهم . ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن . وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم كلها مجتمعة . أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث . وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوروبيين . لأنهم كانوا تحققوا أن الأسلوب النظرى العقلى لا يؤدى إلى التقدم ، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعار أبحاثهم الأسلوب التجريبى والدستور العلمى الحسى .

هذا هو الذى قاد العرب إلى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء . والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة (إسالة الجوامد) والتصفية الخ الخ . . . وهذا عينه أيضا هو الذى جعلهم يستعملون فى أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة .

والاسطرلابات (آلات لقياس أبعاد الكواكب) وهو أيضا الذى دعاهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيميائية . وكانوا على علم عميق بنظريته . وهو الذى هداهم لعمل الجداول للأوزان النوعية للأجسام ، والأزياج الفلكية (هى جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضا الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضا الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر . ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية .

ولقد دأبوا على جمع الكتب بطريقة منتظمة لأجل أن يتوصلوا إلى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها آنفا » إلى أن قال : « ولقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد . وغير هذه فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

ولقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والإبل . كل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر . وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث بعد هذا التاريخ .

وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جدا فى

الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد بن عبدالله ، وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض وفى إعطاء المداد الألوان المختلفة ، وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الألوان المختلفة من المداد ، والإبداع فى تنسيقها وتذهيبها على صور شتى .

وكان الملك الإسلامى حافلا بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان فى طرف من أطراف تلك المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد فى سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله من الطرف الآخر مرصد جيرالد فى الأندلس .

ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » ، ثم قال الأستاذ دوبير :

« اهتم الفلكيون من العرب أيضا بتحسين آلات الإرصاد وتهذيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض .

أما فى العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعض محللاتها الشهيرة كحمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول » .

واستخدم العرب علم الكيمياء فى الطب ، لأنهم أول من أوجدوا علم تحضير العلاجات ، والأقرباذينات ، واستخراج الجواهر المعدنية .

أما فى علم الميكانيكا فإنهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة .

أما فى الإيدروستاتيك (وهو علم توازن السوائل والضغط الذى تحدثه على أوعيتها) فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية ، وكتبوا أبحاثا عن الأجسام السابحة والغائصة تحت الماء .

أما فى نظريات الضوء والإبصار فقد غيروا الرأى اليونانى الذى كان مؤداه أن الإبصار يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئى وقالوا عكس ذلك : أى أن

الإبصار يحصل بوصول شعاع من المرئى إلى العين ، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الأشعة وانكسارها ، وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو ، وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة فى الأفق ، وكذلك نراهما فى الغرب بعد أن يغيبا بقليل .

إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا التقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم فقد أفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ومن النظم الزراعية الحكيمة ، وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن إلى بلادهم ، وقد انتشرت لديهم المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون فى عملها على ما هذبوه وحسنوه فى صنعها وسبكها ، وإننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هذا العصر » .

ثم بين الأستاذ (دريبر) كيف دخل علم المسلمين إلى أوروبا ، وكان سببا فى نهضتها ومدنيتها الراهنة . فقال :

« سلك العرب إلى أوروبا المسلك نفسه الذى سلكته أدبياتهم إليها ، وذلك أنه انهمر عليها من طريقين : جنوب فرنسا من جهة الأندلس ، وطريق جزيرة صقلية (سيسليا) ، ومما ساعد على انتشاره فى أوروبا اعتزال البابوات (فى مدينة أفنيون) والتفرق العظيم الذى كان موجودا فى المسيحية إذ ذاك . فلهذا السبب تمكن العلم العربى من ترسيخ قدميه فى جنوب إيطاليا » .

ثم قال :

« وبرسوخ قدمى العلم فى جنوب إيطاليا امتد رواق سلطانه على جميع البلاد الإيطالية ، وساعد على انتشاره وتكثير أنصاره هنالك زيادة عدد الجمعيات العلمية ، وكان ذلك على مثال ما وجد فى غرناطة وقرطبة تحت سلطان العرب » ـ انتهى ما نقلناه عن العلامة (دريبر) .

بعد إيراد هذه الفذلكة التاريخية عن مؤلف كبير من علماء الفرنجة ، نقول : إن هذه الحركة العلمية العالمية اضطلع بها رجال بذلوا حياتهم فى سبيل إبلاغها إلى ما بلغت إليه ، حتى أصبحت الأمة الإسلامية فذة من هذه الناحية بين جميع الأمم .

ثم إنها تناولت العلم عمن سبقها في الوجود كاليونانيين والرومانيين والكلدانيين والهنود ولكنها هي أول من جمع بين جميع هذه المعارف على شيوع بلاد أهلها ، وقامت بتوحيدها ، والتأليف بينها . ولم تكتف بذلك بل زادت مادتها من ثمرات جهاد أبنائها ، بعد أن جردتها من طوابعها الخاصة المبنية على الظنون والخيالات . وجعلتها معارف تطبيقية على حاجات الحياة . كما فعل العلم الغربي اليوم بعد تجرده منذ القرن السادس عشر من بقايا الآراء الظنية تحت ضوء الدستور العلمي ، فكان أثره في ترقية الحياة ظاهرا ، وتغلبه على الخيالات المذهبية باهرا .

أليس الرجال الذين اضطلعوا باحداث هذه النهضة الثقافية العالمية يستحقون منا — وقد بنوا لنا هذا الصرح الباذخ من المجد — أن نتدارس حقيقة حياتهم وأن نحال ضروب مؤلفاتهم لنقف على عوامل النهوض في ثنايا آرائهم وأحناء وجهاتهم ؟

إن الرجال الذين يعتبرهم العلم الرسمي اليوم — كما تبين مما نقلناه عن العلامة (دريبر) — أول الواضعين لعلم الكيمياء ، وأنهم المخترعون لعدد يذكر من أدواتها ، والمستخدمو الميزان في أعمالها ، والمحدثو الترقيات البعيدة المدى في تقدير الأوزان النوعية للأجسام وعمل الأزياج الفلكية ، وفي الهندسة وحساب المثلثات ، والمؤسسون لعلم تحضير العلاجات الخ ... قلنا : إن الرجال الذين يعتبرهم العلم الرسمي اليوم الموجدين لكل هذه المعارف والوسائل ، معناه أنهم قد أحدثوا ثورة علمية عالمية عم يمنها العالم الإنساني في مشارق الأرض ومغاربها ولم يتسن مثلها لأمة قبلها .

ثم إن اليونانيين الذين نقلوا العلم عن المصريين قد قاموا بنصيب كبير في بناء أسس صرحه العظيم ، ولكنهم بعد فتح الإسكندر المقدوني لبلادهم وإضاعتهم استقلالهم وقفوا منه عند حد محدود . ولما وقعوا تحت نير الرومانيين أصاب أمتهم العقم فلم تنجب ما كانت تنجبه من العلماء المختارين . وقويت شوكة رجال الدين فأودت بأمهات المؤلفات العلمية والفلسفية إلى ظلمات المكتبات ترتع فيها الحشرات وتستعمل صحفها للتغليف والحريق ، حتى جاء العرب الفاتحون فجعلوا همتهم استخراج تلك المؤلفات وترجمتها ، واقتباس أحسن ما فيها ، وتدريسه ونشره في الخافقين . ولو لاهم لدفن الإهمال على أثر البقية الباقية من تلك المؤلفات ، ولما وجد الأوروبيون من يأخذ بيدهم إلى الترقي حين جاء دور بعثهم من لدن القرن الخامس عشر م

عبد الحميد سامي بيومي

الأمير فهد الصباح
فى زيارة شيخ الأزهر

استقبل صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سمو الأمير فهد السالم الصباح وزير الصحة والمواصلات والأشغال بالكويت وضيف مصر الكبير وبرفقته السيد صلاح الشاهد تشريفاتى رياسة الجمهورية .

وكان فى استقبال سموه أصحاب الفضيلة السكرتير العام للأزهر وشيخ الكليات ومديرو الوعظ والتفتيش والامتحانات وأعضاء هيئة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد وكبار موظفى الإدارة العامة للجامع الأزهر .

وقد عانق سمو الأمير فضيلة شيخ الأزهر عند وصوله إلى مكتبه ورحب به فضيلته وحياه وجرى الحديث بينهما حول العلاقات الكريمة التى تربط الكويت ومصر برباط الدين والعروبة والأخوة والمحبة ، ثم ألقى فضيلة مدير التفتيش كلمة ترحيب كما ألقى فضيلة مدير الوعظ كلمة مناسبة فى هذا المقام باسم علماء الأزهر .

وقد رد سمو الأمير فهد بكلمة عليه وقال : « إننى أحيى الأزهر وأشكر له جهوده فى العلم والدين وفضله على العروبة واللغة فهو منار الدين وقبلة الأنظار وإليه تتجه الملايين فى أنحاء العالم ليتزودوا من علمه وينهلوا من ثقافته ، وطلب من السادة العلماء ألا يدخروا وسعا فى نصح المسلمين والعمل على ما من شأنه أن يقوى الروابط بينهم » .

كما شكر سمو الأمير باسم الكويت للأزهر جهوده وخدماته للكويت بإرسال العلماء والأساتذة وقبول أبناء الكويت فى معاهده وكلياته .

واختتم الأمير كلمته بأنه يعاهد الله أن يكون هو وأمراء الكويت وشعبها فى خدمة مصر والعروبة ، وأنهى سموه كلمته بأن يحفظ الله الرئيس جمال عبد الناصر ويبقيه ذخرا لمصر والعروبة ، وعاملا قويا فى سبيل توحيد كلمة العرب فى شتى البقاع .

وفى نهاية الزيارة أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى الضيف الكريم « المصحف الشريف » فتقبله سمو الأمير باغتباط ثم ودع سموه بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم .

في ذكرى العبور الثلاثى :

رسالة الى شهيد . . . !

في فترة من الهدوء النسبي الذي يتخلل المعارك أحيانا ، شاهدت مؤخرة بندقية تعود لأسلحتنا ، قد انطبعت عليها بالدماء الغالية صورة كف لشهيد مجيد ، فأخذت بهذا المشهد وأوحى إلىّ بتسطير رسالة إلى صاحبها النائم بجوار ربه في جنات الخلود ... !
ولا عجب في التحدث إلى شهيد : فالله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله » .
ورسالتي في معناها ليست قاصرة على هذا الشهيد ، فما هو إلا رمز لأبطالنا ، الذين ضربوا أجل المثل في الشجاعة والتضحية ، حين التقوا بعدو غادر في معركة غير متكافئة ، فلم يهنوا ولم يتخاذلوا ، بل قاتلوا بصدق ، فنهم من قضى نحبه ... ! ومنهم من عاد وعلى رأسه إكليل الغار . ليكشف عن قصص مثيرة تشهد لجيشنا الباسل بالمجد والفداء ، وشاهدة بالجبن والخسة على الأعداء . فحق على في ذكرى النصر العظيم الذي هو ثمرة كفاح الأبرار من أبناء مصر أن أذكر أحدهم . . . !

سلام عليك أيها الشهيد ، في يوم النصر على الأعداء ... !

ويوم فرض علينا القتال ، فأبليت أحسن البلاء ... !

ويوم جدت بالروح على الأرض التي باركها الله من سيناء ... !

سلام عليك يوم تبعث في الخالدين ... !

لقد دلنى عليك رسالتك الخالدة ، التي هي على تضحيتك شاهدة ، ووقفت أنا ومن رآها معى حيالها حيارى ، وأمام عظمتها مشدوهين ... ! كيف لا ؟ وقد كتبتها للوطن بدمائك ، فأتت عظيمة هائلة كوفائك ، تملأ النفس رهبة وجلالا ، وتؤكد الثقة في عنصر شعبنا الأمين ... !

بدت كلماتها ناطقة فى صلاحك ، الذى تمثلتك وقد احتضنته لتزود به العدو الغادر عن أرض أجدادك ، وجبن عدوك فلم يجرؤ على مواجهتك ، بل استعان عليك بشياطينه فأسرعوا يحومون حولك ، وهم يزمجرون ... ؟

وكثرتهم لم تفت فى عضدك بل وقفت ثابتا شامخا ، تقاتل بعزم وبأس ، معتزا بسلاحك ولا تفكر أبدا فى التخلى عنه ، وكنتما حقا فى صدق الود سواء فلم تتفرقا إلا وأنتما أشلاء ... ! وبقيت مؤخرته لتحكى قصة تفانيك فى الكفاح وقد سجل عليها بذكى دمائك وسم ليدك ، وكأنك تشد بها على يد السلاح الحبيب قبل الرحيل مودعا ... !

وتأملت مليا تلك الصورة المؤثرة ، فرأيتها من أسمى آيات الجهاد معبرة ، فأيقنت بنصر الله لنا على القوى الغاشمة الغادرة ... !

فسلام عليك يا من جدت بالروح على أرض الصحراء ، فى بقعة ما ، يباركها الله من سيناء ، سلام عليك مع النبيين والصديقين والصالحين .

ابراهيم محمد الأصيل

ذكرى الاعتداء الثلاثى

أرسل السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية بمناسبة ذكرى الاعتداء الثلاثى على مصر :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

حق على كل محب للحرية مخلص لدعوة السلام أن يمجد مواقفكم مواقف الحزم والبطولة والتضحية وأن يحيى مصر التى انتصرت فى مثل هذه الأيام على قوى البغى والعدوان .

وإنه ليطيب لى أن أهنئكم وأهنئ مصر بحكمة قيادتكم ، وأسأل الله أن يحفظكم ويديم لكم جميل رعايته وتوفيقه ، وأن يحفظ بلادنا وسائر بلاد العروبة والإسلام من شرور الفتن والمؤامرات وأن يؤلف بين قلوب القادة والزعماء ويجمع كلمتهم على الحق والعمل لإقرار الأمن والسلام .

القاهرة فى { ٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ / ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٧ }

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

القمر الصناعى

ضيف الكواكب فى السماء — طف حولها واغزُ الفضاء
واذكر لنا ماذا رأيت — من الجفاوة واللقاء
وابعث إشارات تنم — عن الخبأ فى الهواء
فى كل آن قدرة — لله تظهر ما يشاء

• • •

أوصلت تخبر عن عوا — لم فى العلا بين الخفاء
حارت عقول الخلق فيها — ذاك .. لغز أم غباء ؟
ومراصد الأجواء تاهت — وانثنت نحو الوراء
وتوقف الرادار عجزا — عن تحركه ، وباء
يا من وصلت الأرض بالنجم — المعلق فى السماء
أنذير حرب جئت تشعل — نارها دون انطفاء ؟
أم أنت نور للسلا — م طلعت فوق الأبرياء

• • •

خير لهذا الكون أن — يحيا وليس به اعتداء
والأمن رفرف فوقه — ونأى عن الكون البلاء
يا رب أنت بنا الرحيم — فمن سواك لذا العناء
علمت بالقلم الرفيع — الخافيات ، بلا مراء
سبحان خالق كل شىء — من تفرد بالبقاء
إن الصواريخ التى انطلقت — تؤذن بالفناء
هى فى الحقيقة قدرة — والله يخلق ما يشاء

حسنى مهدى هداهد
سكرتير معهد الزقازيق الدينى



تفسير الطبرى

الجزء العاشر — ٦٣٤ ص — دار المعارف بمصر (مؤسسة المطبوعات الحديثة)

يبدأ هـذا الجزء بالقول فى تفسير الآية السادسة من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » ، وينتهى بالآية الرابعة والتسعين من تلك السورة : « ليعلم الله من يخافه بالغيب » . وفى هذا الجزء من الآثار ١٢٤٣ أثرا من رقم ١١٣٠٠ إلى ١٢٥٤٣ ، وقد نبه الفاضل المحقق الضليع الأستاذ محمود محمد شاكر فى تصدير هذا الجـزء إلى ما كان أشار إليه فى تصدير الجزء الرابع من أنه شارك أخاه العلامة الأستاذ أحمد شاكر فى بيان حال رجال الآثار ، وتخرج ما اتفق منها . ثم كثر ذلك حتى صار يوقع باسمـه فى ذيل بعض التعليق ، ولـكنه منذ الجـزء التاسع قد انفرد بالعمل كله ، تخرج عامة أحاديث التاسع والعاشر ، لأن الأعباء العلمية الكثيرة التى يقوم بها أخوه الأكبر شغلته عن مواصلة المراجعة وتخريج الأحاديث فى تفسير الطبرى . وقد بلغ عدد الأعلام الذين ترجم لهم فى التعليق على هـذا الجزء قريبا من أربعمائة ، وفيهـا من التحقيق والنقد ما يجعلها فى قيمة كتاب مستقل . ومثل ذلك التحقيقات اللغوية ، والمصطلحات ، ومباحث العربيـة والنحو ، ومسائل الرد على الفرق ، ولكل من هـــذه الأنواع فهرس واف محيط بها ، وذلك غير فهرس الآيات التى استدل بها فى غير مواضعها من التفسير ، وغير فهرس التفسير نفسه وما اشتمل عليه من نصوص وتحقيقات ومسائل رئيسية هى المقصـود الأول من هذا الكتاب الذى لم يخدم كتاب الله بمثل ما خدمه به الإمام أبو جعفر محمد جرير الطبرى ، ولم يخدم كتاب الطبرى بمثل ما خدمه به الأستاذ محمود محمد شاكر .

كتاب التمهيد ـ للقاضى أبى بكر بن الطيب الباقلانى

نشره الأب رتشرد مكارثى — ٤٤٠ ص — المكتبة الشرقية ببيروت

كان الأستاذان الفاضلان محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادى أبو ريدة قد نشرا قبل

عشر سنوات كتاب (التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) للامام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، واعتمدا فى نشره على مخطوطة دار الكتب الأهلية بباريس (بمجموعة شفر رقم ٦٠٩٠ عربى) وكانا يعلمان أن للكتاب مخطوطتين أخريين فى القسطنطينية إحداهما فى مكتبة جامع أياصوفيا ٢٢٠١ والأخرى بمكتبة مصطفى عاطف أفندى لكن تعذر عليهما الاستعانة بهما فى ذلك الحين . ولما كانت نسخة باريس ناقصة ، فقد تمكن الأب رتشرد يوسف مكارثى اليسوعى من تصوير مخطوطتى القسطنطينية وأكمل منهما الفصول الناقصة فى مخطوطة باريس وعارض هذه الفصول الثلاثة فى إخراج مطبوعته الجديدة لهذا الكتاب النفيس من مؤلفات القاضى الباقلانى ، وهو فى أربعين بابا أولها فى العلم وأقسامه وطرقه ، والثانى فى المعلومات والموجودات ، والثالث فى وجود الله وصفاته ، والرابع فى القائلين بفعل الطبائع ، والخامس فى المنجمين ، والسادس فى الثنوية ، والسابع فى المجوس ، والثامن فى النصارى ، والتاسع فى البراهمة ، والعاشر فى اثبات النبوة المحمدية والرد على من أنكرها ، والحادى عشر فى إعجاز القرآن ، والثانى عشر إلى الخامس عشر فى توابع الكلام على اليهود والنصارى ، والسادس عشر فى المجسمة ، ثم أبواب الصفات والأسماء ونفى خلق القرآن ، ووجوب رؤية الله فى الآخرة ، وأبواب أخرى فى نقض مذاهب المعتزلة والقدرية والكلام فى التعديل والتجوير ، والباب السادس والثلاثون فى معنى الدين ، والسابع والثلاثون فى الإيمان والإسلام والأسماء والأحكام ، والثامن والثلاثون فى الوعد والوعيد ، والتاسع والثلاثون فى الخصوص والعموم ، والأربعون فى الشفاعة ، يليه ملحق فى الإمامة وأقسام الخبر وإثبات التواتر ومعنى خبر الواحد .

وقد قام الناشر بتحقيق المعارضة بين المخطوطات بمجهود عظيم يشكر عليه ، وصدر الكتاب بمقدمة وفهرس للابواب وما يتفرع عنها ، وألحق به فهرسا للآيات القرآنية المستشهد بها ، وفهرسا للأحاديث ، وثالثا للشعر ، ورابعا للأعلام ، وخامسا للفرق والمذاهب ، وسادسا للاصطلاحات والكلمات (وهو أطول الفهارس) ، وقد ذكر فى عنوان الكتاب أنه من منشورات جامعة الحكمة فى بغداد .

جواب أهل العلم والايمان

لشيخ الإسلام ابن تيمية ــ ١٢٧ ص ــ المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

الاسم الكامل لهذا الكتاب (جواب أهل العلم والإيمان ، بتحقيق ما أخبر به

رسول الرحمن ، من أن « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن) وهو من أنفس مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأشرفها ، بين فيه حكمة الله فى تفاضل بعض السور والآيات ، مع أنها كلها من كلام الله عز وجل ، واستطرد فيه إلى دقائق من علوم اللغة وأسرار العربية ، وبيان مذاهب العلماء فيما اختلفوا فيه من مسائل أصول الدين ، والانتصار لمذهب السلف رضى الله عنهم ومنها صفة الكلام ، وفيه من حقائق التفسير ولطائف البحث ما لا يجده القارئ فى كتاب غيره . ويرجع الفضل الأول فى نشر هذا الكتاب لعلامة العراق السيد محمود شكرى الألوسى رحمه الله ، فقد عثر قبل نحو نصف قرن على مخطوطة منه ببغداد فنقلها بخطه وطبعت فى القاهرة سنة ١٣٢٢ ثم أعيد طبعها سنة ١٣٢٥ . وقام الآن بتجديد طبعها السيد محمد الصالح وكيل وزارة الدفاع والطيران السعودى ، وتولى تصحيحها رئيس تحرير هذه المجلة ، مع الدلالة على مواضع ما ورد فيها من الآيات بتسمية سورها وتبيين أرقام آياتها . وألحق بها فهرس مفصل لجميع المطالب التى اشتمل عليها الكتاب .

حياة الشيخ عيسى منون

للأستاذين يوسف عبد الرزاق ومحمد عيسى منون – ١٢٢ ص

كان الشيخ عيسى منون رحمه الله (١٣٠٦ – ١٣٧٦) ركنا من أركان جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى بالأزهر وعميدا لكليتى الشريعة وأصول الدين ومن أعلام الفقهاء فى هذا العصر ، بدأ دراسته فى الأزهر سنة ١٣٢٢ هـ ، وبعد انتسابه للأزهر بخمس سنوات دخلت الأنظمة الحديثة هذا المعهد الإسلامى القديم وجعلت مدة الدراسة فيه اثنى عشر عاما ، فاستطاع هذا الطالب النجيب أن يتخطى السنين بكفاءته وتحصيله وقبل بالامتحان فى التاسعة الدراسية ثم حصل على درجة العالمية من الدرجة الأولى فى وقت قصير سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١٢ م) واختير فى تلك السنة مدرسا فى الأزهر . وما زال يتدرج فى مناصب التدريس إلى أن نال سنة ١٩٣٩ عضوية جماعة كبار العلماء بكتابه النفيس (نبراس العقول فى تحقيق القياس عند علماء الأصول) . وحياته كلها حافلة بخدمة العلم الإسلامى من بداية السلم إلى أعلى درجاته .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا عن حياته ألفه صاحب الفضيلة الشيخ يوسف عبد الرزاق الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين ، ونجل الفقيد فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عيسى منون المدرس بالأزهر . وفيه عن حياة الفقيد وما قيل فيه لمناسبة وفاته كل ما يهم القراء الاطلاع عليه .

الأدب والعلوم

التعليم الابتدائي بمصر

قال وزير التربية والتعليم فى جلسة ٣ اكتوبر لمجلس الأمة : ان المدارس الابتدائية قبلت منذ عام ١٩٥٣ إلى الآن ٨٠٠ ألف تلميذ ، أى بزيادة ٦٠٪ عن كانوا يقبلون فى المدارس قبل الثورة ، وأصبح عدد تلاميذ الابتدائى الآن مليونين ومائة ألف تلميذ ، وتبذل الحكومة جهدها فى حدود الميزانية لإنشاء أكبر عدد من المدارس لتتيح فرصة التعليم لأكبر عدد من المواطنين تدريجيا ، وقال : إن ما وصلنا إليه اليوم وصلت إليه دول أخرى فى مئات السنين ، مع أنها كانت متمتعة باستقلالها .

القمر الصناعى

أطلقت روسيا قمرا صناعيا فى مساء ٤ اكتوبر ، أخذ يدور حول الأرض بدرعة ١٨ ألف ميل فى الساعة وارتفاع قدره ٥٦٠ ميلا ، وهو بحجم كرة قطرها ٢٢ بوصة ، ووزنه ١٨٤ رطلا ، وفيه جهاز إرسال قوى للاشارات يمكن لهواة اللاسلكى التقاطها ، وهو يدور حول الأرض مرة كل ساعة و ٣٥ دقيقة ، ويمكن سماع الإشارات الصادرة منه على موجتين قصيرتين طول إحداهما ١٥ مترا وقوتها ٢٠٫٠٠٥ ميجاسيكل وطول الأخرى ٧ أمتار ونصف وقوتها ٢ ١٠٫٠ ميجاسيكل ، ويمكن سماع الإشارة كل ثلاثة أعشار الثانية على كل من الموجتين وتشتد قوة هذه الإشارات بعد كل ٩٥ دقيقة أى بعد المدة التى يستغرقها الكوكب فى إتمام دورته حول الكرة الأرضية ، وصوت إشاراته يشبه الصوت الذى يصدر عن نطق كلمات « بيب . . بيب . . بيب » ، ونكتب هذا بعد نحو ثلاثة أسابيع من انطلاقه ، وهو لا يزال يدور حول الأرض يتقدمه على مسافة بعيدة الصاروخ الذى استخدم فى اطلاقه ، وقد أتما حوالى ثلاثمائة دورة .

وقد قدر العلماء البريطانيون ما أنفقه الروس فى البحوث الخاصة باطلاق القمر الصناعى بحوالى خمسة آلاف مليون جنيه أنفقت فى خمس سنوات ، أما نفقات صنع القمر نفسه فتتراوح بين ٦ ملايين و ١٠ ملايين من الجنيهات .

هدية لمرصد حلوان

صرح الأستاذ ديفارى وكيل البعثة الفلكية

التى زارت مصر أخيرا بأن البعثة أهدت جميع الأجهزة التى أحضرتها معها لمرصد حلوان ، وقال : ان هذه الأجهزة ليس لها مثيل إلا فى روسيا وأمريكا وانجلترا .

العربية فى جامعة بلغراد

تقرر تدريس اللغة العربية فى جامعة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا ، وقد اتفقت مصر ويوغوسلافيا على تبادل أساتذة الجامعات والطلبة والوفود العلمية والفنية .

ومن المعلوم أن للعربية – فى ظل الإسلام – وطنا واسع الآفاق فى يوغوسلافيا وذلك فى مقاطعتى البوسنة والهرسك العامرتين بمئات الألوف من الاخوان المحمديين ، وكذلك بعض البلاد الألبانية الداخلة فى حدود يوغوسلافيا . وفى البوسنة والهرسك عشرات من العلماء المسلمين الذين تلقوا ثقافتهم وعلومهم فى البلاد الإسلامية ولاسيما مصر وأزهرها المعمور ، بل إن فى بعض معاهد الأزهر من بلغ كراسى التدريس فيه من إخواننا مسلمى يوغوسلافيا .

المترددون على دار الكتب

قيل للأستاذ محمد حسين مدير دار الكتب المصرية : تدل إحصائيات الدار أن عدد المترددين عليها فى ازدياد مستمر ، فهل تعتبر ذلك نجاحا للدار ؟

فأجاب المدير : أنا لا يعنينى إقبال آلاف القراء ... إن بعض الناس يحسب أن كثرة المترددين دليل النجاح .. ولكنى أرى العكس . وما الفائدة إذا كان ثلاثة أرباع القراء من هواة الروايات البوليسية ، وطلبة يبحثون عن سندباد والقراءة الرشيدة ؟

تشجيع البحوث التطبيقية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير التربية والتعليم منح مكافآت مالية لكل باحث مصرى يتقدم ببحث علمى يثبت نجاحه فى التطبيق العملى فى مجال الصناعة والإنتاج ، والهدف من هذه المكافآت تشجيع البحوث التطبيقية التى تخدم الأهداف الحيوية .

ووضع المجلس خطة لمراقبة الصبية والشباب الذين توجد عندهم ملكات علمية فى مراحلهم التعليمية الأولى ، فيتعهدهم الأساتذة المختصون بالرعاية والتوجيه .

وأقيم المعرض الأول للعلوم فى مصر ليكون بمثابة تجربة لإنشاء متحف دائم للعلوم الغرض منه تكوين الروح العلمية الأصيلة منذ الطفولة وخلال فترة الشباب ، وسيضم المتحف نماذج حية عاملة لكل صناعة وكل جهاز ، ويلحق به ورش عملية وهيئات علمية لمراقبة الصغار وتسجيل اهتمامهم العلمى الذى يبدو منهم فى أثناء اتصالهم بهذا الوسط العلمى فى مظاهره التطبيقية .

أنباء العالم الإسلامي

العرب يدخلون العالم الكبير

قال شكرى القوتلى صباح يوم ١٠ ربيع الأول عند افتتاحه مهرجان القطن فى حلب : « إننا نعد أنفسنا لدخول العالم الكبير فى ظروف دولية حرجة يحكم فيها الاستعمار حصاره الاقتصادى السياسى ضد سمعتنا وقوميتنا ومصالحنا الاقتصادية ، لأننا أخذنا نتحرر من قيوده . وفى الوقت نفسه ينبغى لنا أن نواجه الخطر الآتى من إسرائيل صنيعة الاستعمار . ولتعلموا حق العلم أننا فى هذه المعركة التى ساقنا المستعمرون لخوضها فى شتى الجهات لن نحيد عما عزمنا عليه وسددنا جهودنا نحوه . وإننا نأبى أن نعيش على الصدقات فى تعاملنا مع أية دولة ، ولن نخنى للحصول على المعونات الرخيصة والمساعدات المشبوهة . ومهما تكن الصعاب التى تواجهنا ، ومهما يكن الحصار الذى يضرب حولنا من أثر فى توجيه الحياة العامة ، فإننا نعلم أبدا أن أعظم منابع الثروة فى هذا الوطن الحر هو سيادته » .

خروشتشيف يتحدث عن العرب

قال الزعيم الروسى خروشتشيف فى حديث له مع جيمس رستون نائب رئيس تحرير جريدة (نيويورك تيمس) : ليس فى سوريا جندى روسى واحد . والعرب عامة أبعد ما يكونون عن الشيوعية . وأنا أملك الأدلة القاطعة على أن دالاس بعث هندرسون ليحرض العراق والأردن على مهاجمة سوريا ، ثم جعل هندرسون يركز جهوده على تحريض تركيا ، وأن تركيا كانت على استعداد لتستجيب . انى أطلب من دالاس أن يقسم بالله أنه لم يفعل ذلك . وعلى تركيا أن تعلم أنها إذا صوبت مدافعها إلى سوريا فسوف تنهال على رأسها الصواريخ الروسية . إننا نستطيع أن نسحق تركيا تماما فى أقل من يوم واحد . وقال خروشتشيف : إنه والرئيس جمال عبد الناصر يتعاونان بكل بساطة ضد كل أنواع الاستعمار ، بما فى ذلك الاستعمار الأمريكى ، وإن هذا التعاون هو المعايشة السلمية عند تطبيقها من الناحية العملية . وقال فى معرض الدلالة على أن العرب أبعد الأمم عن الشيوعية : إن الرئيس جمال عبد الناصر نفسه يودع الشيوعيين المصريين السجون .

وقال أيضا : إن تركيا بنقلها بعض قواتها قرب الحدود السورية تترك جزءا من

حدودها معنا بلا قوات ، والواجب يقضى بأن لا تفعل ذلك لأنها دولة ضعيفة ، ولن تحتمل أكثر من يوم واحد إذا نشبت حرب .

وقال : إن المشكلة فى الشرق الأوسط هى أن أمريكا تعطى نفسها دور رجل البوليس الدولى فى تلك المنطقة ، فى الوقت الذى بدأ الاستعمار القديم ينهار . فعندما يحصل شعب من شعوب الشرق الأوسط على حريته تبادر أمريكا إلى محاولة سلب ذلك الشعب تلك الحرية .. وهذا عمل معيب !

وقال : إن روسيا أرسلت حقيقة شحنات من الأسلحة إلى سوريا ، ولكنها لم تقم بأية أعمال استفزازية فى سوريا . على أنه إذا كانت سوريا تريد أن تساعدها روسيا فى الحرب ، فأن روسيا على استعداد لتقديم هذه المساعدة .

أسرار تسليح سوريا

قالت الدوائر الدبلوماسية فى لندن : إن صفقة الأسلحة التى عقدتها سوريا مع روسيا تقدر بحوالى ٢٤٠ مليون دولار . والمعتقد أن ثلثى هذه الكمية قد سلم فعلا إلى سوريا على شكل أسلحة من مختلف الأنواع من المدافع إلى الطائرات . ومن المنتظر أن يشحن الباقى إلى سوريا خلال الأشهر القادمة وقد تسلمت سوريا حتى الآن ١٢٠ دبابة من طراز (ت ٢٤) و ٣٥٠ قطعة من المدفعية فيها حوالى ١٠٠ مدفع أتوماتيكى ومئات من قطع الأسلحة المضادة للدبابات وحوالى ٦٠ أو ٧٠ نفاثة من طراز ميج ، ومقادير كبيرة من مدافع المورتار والذخيرة وغيرها من أنواع العتاد الحربى ، و ٦ من زوارق الطوربيد ، وغواصتين . وتتضمن الشحنات المستقبلة حوالى ٥٠ طائرة ميج النفاثة وبعض السفن الحربية الصغيرة والدبابات وسيارات النقل الحربى .

ويعتقد الخبراء العسكريون أن هذه الشحنات من الأسلحة المتعددة الأنواع والتى ينتظر أن يتم تسليمها قبل الربيع القادم تعد ضخمة جدا بالنسبة لمستوى التسلح فى الشرق الأوسط .

تبرع أمير كويتى لبورسعيد

كان فى زيارة مصر فى هذا الشهر الأمير فهد السالم الصباح شقيق حاكم الكويت ، وقد كان موضع الاجلال والإكرام فى جميع الأوساط المصرية . وعند زيارته بورسعيد أعلن تبرعه بمبلغ مائة ألف جنيه باسم شقيقه الأمير عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت وباسمه وباسم حرمه التى كانت معه فى هذه الزيارة لمصر ، وقد اختار أن يكون هذا المبلغ لمشروع إسكان الصيادين فى بورسعيد .
وتقديرا من بورسعيد لهذه الأريحية العربية الكريمة قرر مجلسها البلدى اعتبار الأمير فهد والأميرة قرينته مواطنين فخريين فى بورسعيد

شكوى سوريا للأمم المتحدة

عقدت اللجنة التوجيهية التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعا فى قاعة مجلس الأمن مساء ١٨ أكتوبر للبحث فى إدراج الشكوى المقدمة من سوريا عن (الخطر الذى يهدد سلامتها والسلام العالمى بمنطقة الحدود السورية التركية ، وكان صلاح البيطار وزير خارجية سوريا أول المتكلمين فقال : إن تركيا وغيرها قامت بنشاط ضد سوريا من تصريحات ودعاية إلى أعمال استفزازية بحشود عسكرية على الحدود ، ويبدو أن ذلك جزء من خطة عامة موضوعة لتعريض سلامة سوريا واستقلالها السياسى لخطر مما ينذر باشتعال نيران حرب عالمية ، وقد لجأت سوريا إلى الأمم المتحدة بعد أن استنفدت جميع الوسائل الدبلوماسية فى محاولة تسوية مشكلة الحدود مع تركيا ، وبعد أن استمعت لجنة الأمم المتحدة إلى شكوى وزير خارجية سوريا ووزير خارجية روسيا ومندوب تركيا قررت بإجماع الآراء تحويل الأزمة إلى جلسة سريعة للجمعية العامة للأمم المتحدة .

قوات مصرية فى سوريا

استنادا لاتفاقية الدفاع المشترك بين جمهوريتى سوريا ومصر ، وتنفيذا لخطة المشتركة التى تقررت فى المؤتمرات التى عقدت فى القاهرة فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٧ بين القائد العام للقوات المسلحة والمشتركة والقائد العام للجيش والقوى المسلحة السورية باشرت القوات المسلحة المصرية إيفاد عناصر أساسية إلى سوريا منذ منتصف سبتمبر من أجل تدعيم قوات سوريا وتعزيز إمكانياتها الدفاعية . وفى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ١٣ أكتوبر وصلت إلى ميناء اللاذقية القوات المصرية فى حراسة القطع البحرية المصرية والقوات الجوية للدولتين ، وقامت قطع الأسطول المصرى بزيارة رسمية للميناء السورى كان لها وقع عظيم فى سوريا كلها حكومة وشعبا . وستتخذ سوريا ذلك اليوم عيدا قوميا لأنه الحادث العمل الأول فى وضع الأساس للاتحاد القومى العربى المرجو قيامه كاملا فى أقرب فرصة إن شاء الله .

فى المؤتمر الآسيوى الافريقى

استقبلت القاهرة حتى الآن ممثلى إحدى وعشرين دولة من إفريقية وآسيا ، انعقد منهم مؤتمر تمثلت فيه حركة التحرير التى ينشدها ويجاهد فى سبيلها شعوب صممت على مكافحة الاستعمار وتغيير سير التاريخ عما كان رسمه له طواغيت الغرب من ثلاثمائة سنة إلى الآن .

وقد اختير السيد أنور السادات لرئاسة اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر .

الفهـرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	للطلبة في وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الخامس ـ القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٧ ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إيماننا

قال : جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه :

« كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (أي في إبان شبابنا وقوتنا) ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا » .

سنن ابن ماجه
الباب ٩ من المقدمة (الحديث ٦١)

ونحن لما طغى علينا الغرب بثقافاته وأساليب تعليمه ، وقعت في يدي ـ وأنا في مرحلة التعليم الابتدائي ـ رسالة باللغة التركية ، أصلها من تأليف الحكيم الفرنسي فولني C. F. Volney (١٧٥٧ ـ ١٨٢٠) عن شريعة الفطرة Loi naturelle ومبادئ الأخلاق الإنسانية العامة التي ينبغي لجميع أمم الأرض أن تشترك في احترام أهلها وأن تتنافس في العمل بها . فوقعت تلك الرسالة من نفسي وأنا في تلك السن موقع الاستحسان . ثم كنت كلما تقدمت بي السن ، وازددت معرفة بالإيمان الإسلامي ، ازددت يقينا بأنه هو شريعة الفطرة وقانونها الذي ينبغي لأبناء الإنسانية جميعا أن يؤمنوا به ، وأن يحترموا

من يؤمن به ، وأن يروا أن من يؤمن به لا شك أنه على الحق فى إيمانه ، وفيما يوجهه إليه هذا الإيمان .

ما هو الإيمان الفطرى الذى يطالبنا الإسلام بأن نؤمن به ؟

الإسلام يطالب الواحد منا بأن يعتقد أن الله حق ، وأن هذه الكائنات فى عظمتها ودقة أنظمتها ، وبدائع صنعها ، وما فيها من سر الحياة والحركة والجاذبية ، إنما هى من صنع الله وحده لا شريك له . وأن محمدا (صلوات الله وسلامه عليه) كان صادقا فى الرسالة التى حملها من ربه إلى الإنسانية كلها ، والتى وافق بها رسالات الله السابقة وأيدها فى أصولها المشتركة ، ودعا إلى الإيمان بأصحابها توحيدا للانسانية حول أتم رسالات الله وأكملها ، ثم تصير إلى يوم يجازى فيه المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته .

ويترتب على الإيمان بالله وصدق الرسالة المحمدية ، أن نؤمن بصحة كل ما يطالبنا الإسلام بالإيمان بصحته من الأوامر والتوجيهات التى وردت فى كتاب الله ، والأوامر والتوجيهات التى صح صدورها عن حامل أكمل رسالاته ، فاذا اعتقدنا صحتها وسرنا فى طريقها نحو أهدافها كنا مؤمنين .

وهنا نتساءل : ما هى هذه الأوامر والتوجيهات التى طالبنا القرآن بأن نؤمن بها ، وصح عن رسول الله أنه دعا إليها ووجه أمته إلى إقامتها والعمل بها وانطواء العزائم على تحقيقها ؟

فى حديث عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة من صحيحى البخارى ومسلم وأمهات كتب الحديث (واللفظ لمسلم فى كتاب الإيمان ، الباب ١٢ ، الحديث ٥٨) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

فالإيمان بوحدانية الله أعلى شعب الإيمان ، والحياء شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، وأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى ـ كل أذى ـ عن طريق الناس ، والناس الذين من أدنى شعب إيمان المسلم أن يميط الأذى عن طريقهم هم كل الناس بلا استثناء .

والحياء الذى عده رسول الله صلوات الله عليه شعبة من شعب الإيمان فى الحديث السابق ، قد تكررت الأحاديث المحمدية فى كونه من الإيمان ، منها حديث سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه (فى صحيح البخارى ، الباب ١٦ من كتاب الإيمان) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه ، فان الحياء من الإيمان » .

وهذا الحياء المضروب به المثل فى الحديث ، شعبة من ستين أو سبعين شعبة من أمثاله ، وكلها من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، ولذلك كانت من شعب الإيمان به ، فالصدق من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة من شعب الإيمان الإسلامى . والتعاون على الخير من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، فالإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة أخرى من شعب الإيمان الإسلامى. والعدل من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، فالإيمان به ، والعمل بهذا الإيمان شعبة ثالثة من شعب الإيمان الإسلامى . والإحسان ، أعنى الإحسان فى المواساة ، والإحسان فيما يتولاه الإنسان من شئونه وشئون الناس ، والإحسان فى اختيار أفضل ما ينوى أحدنا الجنوح إليه من أمور ، هذا الإحسان فى كل شىء هو من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، وخطباء المنابر الإسلامية يذكرون المسلمين فى كل جمعة بأن الله يأمر بالعدل والإحسان ، فالإيمان بالإحسان والعمل بهذا الإيمان شعبة مهمة من شعب الإيمان الإسلامى . وبر الوالدين ، والتراحم بين الناس ولا سيما بين ذوى القربى ، والتناصح فيما بين الأمة والحكومة ثم فيما بين أفراد الأمة خاصتهم وعامتهم ، كل هذا من صميم أوامر الإسلام وتوجيهاته ، ولذلك كان من صميم الإيمان الإسلامى . والأمانة ، هذه الشعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، لو شاء المسلم أن يكتب فى موقف الإسلام منها مجلدات لضاق به مجال القول ، وليست الأمانة قاصرة على ما يكون للناس تحت يدك من مال أو غيره ، بل أخلاقك أنت أمانة لله تحت يدك ، والإسلام يطالبك بأن تحفظ هذه الأمانة بما يوافق إيمانك الذى ينبغى أن يكون أعز شىء عليك . ونقودك الزائدة عن نفقاتك المعتدلة هى كذلك أمانة لله تحت يدك . وصحتك من أمانات الله عندك فى نظامك الإسلامى . وأولادك ، وأهل بيتك ، من أعظم أمانات الله التى ستحاسب عليها باعتبار أنها شعبة من شعب هذا الإيمان الإسلامى . والوظيفة التى تتولاها للدولة ، والعمل الذى تتقاضى أجره ممن يستعين بك فى مؤسسته أو أعماله ، كل هذا من أمانات الله الداخلة فى إيمانك الإسلامى . ولعلك تذكر قول الله

سبحانه عن الأمانة وخطورة أمرها أن الله عرضها على السموات والأرض والجبال فأبينها وحملها الإنسان ، ولو عاش الإنسان عمره كله وهو يفكر فى كل دقيقة من دقائقه بما يجب عليه لأمانات الله التى تحت يده لفاته من ذلك شىء كثير . والاقتصاد فى كل الأمور ـ ولا سيما فيما يمكن الاستغناء عنه من كماليات وزينة وزخرف ـ يعد من صميم أوامر الله وتوجيهاته ، حتى إن الرجل وهو يتوضأ للصلاة من ماء النيل فى مجراه الأعظم ينبغى له أن لا يسرف فى الماء ، لا خوفا على ماء النيل الأعظم من أن ينقص إذا أسرف المتوضئ فيما يستعمله من مائه ، بل خوفا على أخلاق المسلم أن تنزلق فى الإسراف والتبذير المنهى عنهما فى توجيهات الإسلام . فهذا الاقتصاد من صميم أوامر الإسلام ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة مهمة من شعب الإيمان الإسلامى . والطاعة لنظام الحكم فى الأوطان الإسلامية من أوامر الإسلام وتوجيهاته فيما لا معصية فيه لله ، والإيمان به والعمل بهذا الإيمان شعبة كبرى من شعب الإيمان الإسلامى . وتبادل المحبة والرحمة والمواساة بين أفراد الأمة ـ ولا سيما بين المتعاملين والمتجاورين ـ من أوامر الإسلام وتوجيهاته ، وفى الباب السابع من كتاب الإيمان فى صحيح البخارى والباب السابع عشر من كتاب الإيمان فى صحيح مسلم (الحديث ٧٢) والباب التاسع من مقدمة سنن ابن ماجه (الحديث ٦٦) عن قتادة بن دعامة السدوسى يحدث عن أنس بن مالك خادم رسول الله أنه صلوات الله عليه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ـ أو قال : لجاره ـ ما يحب لنفسه » . وفى كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ٢٢ الحديث ٩٣) ومقدمة سنن ابن ماجه (الحديث ٦٨) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » . وفى كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ١٩ ، الحديث ٧٥) عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . وفى الباب الحادى عشر من كتاب الإيمان فى صحيح البخارى عن عبادة بن الصامت الخزرجى رضى الله عنه ـ وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، ثم هو أمير ربع المدد فى الجيش الذى حمل دعوة الإسلام إلى مصر وكان من أسباب عروبتها ودخولها فى الإسلام ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب

من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » . قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على ذلك .

وقد استقصى أئمة الإسلام وأعلامه هذه الأوامر والتوجيهات التى تتألف من مجموعها شعب الإيمان الإسلامى ، وألفوا فيها وفى نصوصها الكتب الجليلة ، ومنها كتاب (شعب الإيمان) للامام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨) . ومن تتبع هذا الموضوع وأطال النظر فيه وعنى بدراسته يتبين له أن الإيمان الإسلامى كما يتناول الإيمان بالغيب (ومنه أسماء الله وصفاته والإيمان بها وإمرارها كما وردت بلا تمثيل ولا تعطيل ، والإيمان باليوم الآخر ، والملائكة بلا زيادة ولا نقص) ، فانه يتناول كذلك العبادات وما يلزم لها ، ونظام الدولة والمجتمع الإسلامى وما تتوفر له به أسباب القوة والطمأنينة والسعادة ، ويتناول بعد ذلك وقبل ذلك نفس المسلم وما يكون به تطهيرها وتكميلها والسمو بها إلى أعلى مراتب النزاهة والنبل والعفة والنشاط والإقدام والعمل النافع .

وقد تتبعت جميع شعب الإيمان الإسلامى فوجدتها كلها ترجع إلى أصلين أصيلين : الحق ، والخير . بل إن الإسلام نفسه (دين الحق) ما كان منه وما يكون ، وبذلك سماه الله فى سورة التوبة (الآية ٣٣) وسورة الفتح (٢٨) وسورة الصف (٩) ، وستظل الإنسانية محتاجة إلى هذا الدين ما احترمت الحق والتزمته وأقامت على أساسه عقودها ومعاملاتها وأحكامها وعلومها وتفكيرها .

إيماننا الإسلامى كالشجرة العظمى التى تتشعب عروقها وأغصانها عشرات وعشرات إلى ستين أو سبعين ، والمسلم الكامل هو الذى يحرص على التحلى بجميع شعب الإيمان فيما استطاع ، وكان الرعيل الأول من أعلام الإسلام الذين تتلمذوا لرسول الله وتشرفوا بمبايعته على الحق والخير يقول (صلوات الله عليه) لكل واحد منهم ، إذا بايعه على السمع والطاعة لأوامر الإسلام وتوجيهاته كلها : « فيما استطعت ، والنصح لكل مسلم » كما صح عنه فى كتاب الإيمان من صحيح مسلم (الباب ٢٣ ، الحديث ٩٩) عن الشعبى من حديث جرير .

وقد وصف الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الإيمان الإسلامى فى صدر كتاب الإيمان من صحيحه بأنه « قول وعمل ، ويزيد وينقص » ، وإنما كان يزيد

وينقص بمقدار ما يتحلى به المسلم من شعب الإيمان قلة أو كثرة وقوة أو ضعفا ، وقد استدل البخارى على زيادة الإيمان ونقصه بآيات كثيرة منها الآية ١٧ من سورة محمد « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » ، والآية ٢ من سورة الأنفال « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » والآية ٢٢ من سورة الأحزاب « وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص . ثم عاد البخارى فى الباب ٣٣ من كتاب الإيمان فى صحيحه فقال «باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى « وزدناهم هدى » ، « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » وقال « اليوم أكملت لكم دينكم » فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص » . وعن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آية فى كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ، قال عمر : أى آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة (أى فاتفق أن اليوم التالى لنزولها هو يوم العيد الأكبر للمسلمين إلى يوم القيامة)

واستدل البخارى فى الباب ١٨ من كتاب الإيمان على أن العمل به من شرط الإيمان به فقال : « باب من قال : إن الإيمان هو العمل ، لقول الله تعالى : وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » .

وكما أن للإيمان شعبا فإن للكفر شعبا كذلك . وكما أن رأس الإيمان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فإن الكفر بها رأس الكفر . فهذه الخمسة هى مناط الدخول فى الملة والخروج منها ، ثم الإخلال بشعبة من شعب الإيمان الأخرى تنشأ عنه شعبة من شعب الكفر ، وإن كان ذلك لا يبلغ أن يخرج به المؤمن عن الملة . مثال ذلك ما رواه البخارى فى الباب ٢١ من كتاب الإيمان عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط » . فهذا من النساء كفر بالإحسان والإحسان شعبة من شعب الإيمان ، فالكفر به كفر بشعبة من شعب الإيمان ،

لكنها ليست من أركانه التي هي مناط الدخول في الملة والخروج منها . وهكذا سائر شعب الإيمان التي أحصاها أعلام الأئمة ، وهي كلها داخلة في مدلول الحق والخير .

إن الإسلام رسالة السعادة والسيادة للإنسانية ، لكن المسلمين في مظهرهم العام وتطور مجتمعهم عطلوا العمل بشعب إيمانهم فخفيت على الناس ، ولو عرفتها الإنسانية لعرفت أنها هي ضالتها التي تنشدها ، وكم من حكيم من حكماء الغرب مثل جيته وغيره تساءلوا حين عرفوا شيئا عن الإسلام : أليس هذا هو الذي ننشده ولا نجده ؟ لكن إهمال الدول الإسلامية في مئات السنين الأخيرة تربية شعوبها بآداب هذا الدين ، وإحياء عناصر الإيمان الإسلامي ، قد جعل المسلمين حجابا بين الدنيا والإسلام فلم تر جماله . ولو عرف فولني Volney الإيمان الإسلامي كما عرفته أنا بعد قراءتي رسالته عن شريعة الفطرة Loi naturelle لعرف أن الإيمان الإسلامي فوق كل ما كان يأمل ، وأنبل من كل ما كان يتصور . فهل آن لنا أن نرجع إلى إيماننا ! ؟

محب الدين الخطيب

الحكام ومسئولية التعليم في الأوطان الاسلامية

كتب صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله الثاني حاكم قطر ، إلى مدير المعارف في بلاده الرسالة الآتية :

يا مدير المعارف :

إن اختيار المعلمين في ذمتك ، وأنا أريد أن أخبرك بما عندي - أنت ورئيس المعارف - حتى أتخلص من المسئولية وأحاججكم عليها بين يدي الله تعالى .

نحن لا نريد معلما يحضر إلى هذه البلاد ومعه زيغ في العقيدة ، أو استهتار في الأخلاق ، أو إهمال في فرائض الدين .

إن أبناءنا هم أغلى شيء عندنا ، فاستوصوا بهم ، واجتهدوا غاية الاجتهاد لمصالحهم . وإن بقاءهم على الفطرة أفضل من تعليم يجرهم للفساد والإلحاد . وحسبي الله ونعم الوكيل .

علي بن عبد الله الثاني

حاكم قطر

نفحات القرآن

— ٥٥ —

الاعراض عن الحق من أسباب المحن الشديدة والدعاء إلى الله وسيلة لدفع البلاء

« ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء ، لعلهم يتضرعون » .

١ — من مفهوم الإيمان ، ومما تتم به العقيدة أن دعوة الأنبياء فى كل عصر من عصورها كانت حقا وخيرا للأفراد وللأمم .

ومن بدائه المعرفة أن عقولا سابقة مستها نفحة من هداية الله ، فاستجابت للدعوة ، وأسلمت وجهها إلى الله ، واطمأنت معها القلوب ، وعاشت فى ظلال الحق ، حتى لقيت ربها على وفاء بعهده ، وفوز برضوانه .

وكذلك من بدائه المعرفة أن عقولا أخرى ـ وهى الكثرة ـ تمكن منها الغباء والتعنت ، وجنحت إلى كفر لو طلب منها أن تجترحه لكان نشاطها فيه دون النشاط الذى دفعها إليه جهلها ، وجمودها على تقاليد أسلافها ، وانقيادها لنزغات الشياطين .

وقد نفذ الله سنته فى المخالفين فأخذهم ـ بعد الإمهال ـ بأنواع من عذابه يكون جزاء لهم وعبرة لمن بعدهم .

٢ — والآية التى معنا تفيد أن بعض المكذبين لرسلهم نزلت بهم الشدائد القاسية قبل أن يأخذهم الله بعذابه الماحق إذ ابتلاهم بالبأساء ، والضراء : تبصيرا لهم بسوء حالهم ، وتوجيها لهم نحو اتخاذ مسلك سوى مسلكهم الخاطئ الذى هم عليه ـ والبأساء : ضيق العيش ، وقلق الخاطر ، والحروب ، والمكاره التى لا يستطيعون العيش معها .

والضراء : علل وأمراض تبدد نشاطهم الدنيوى ، وتزيدهم نقصا جسمانيا فوق نقصهم المعيشى الذى أصبحوا فيه .

٣ — وكان مفروضا فيهم وقد تغيرت بهم الحال ، أن يلوذوا بالرجاء إلى الله ليكشف عنهم ما هم فيه ، إذ الجدير بالعاقل أن يزدجر بالبلاء السيئ ، وأن يتجه بالضراعة نحو من أنزله ، فهو القادر على تفريجه ، وتغيير الحال إلى خير منه .

كان مفروضا أن ينبثق فى مداركهم وعى ، وأن يجيش فى أنفسهم أمل ، وأن يتداركوا أمرهم بالتقرب إلى الله ، ويطمعوا فى تجاوزه عنهم ، ورعايته لهم .

والله تعالى يحب من عبده أن يكون دائما فى رحابه ، وتحت فيضه ورحماته ، وفى ملتمس هدايته ، .. ومن أجل ذلك كان من سنته تعالى أن يبين لنا الرشد من الغى ، ودعانا إلى ناحية ، ونهانا عن أخرى وما جهلت أمة من الأمم أن هذه توجيهات الرسل ، ومقصد التشريع ، ولكن : لم يكن من تلك الأمم امتثال ، ولم تأخذ بالرجاء ، بل أساءت أولا وأخيرا ، ولم تأخذ من شدائدها عبرة لحاضرها ، ومستقبلها ، ... والله تعالى يلومهم على على ذلك أيضا ، كما يلومهم على سابق تخالفهم ويقول فيهم : (فلولا إذجاءهم بأسنا تضرعوا ! !) يعنى لم يتضرعوا إليه حين جاءهم بأسه ، وفى ذلك تنديد وتأسيف لهم على ما فوتوا : من فرصة الرجوع إليه .

وفى هذا إشعار لهم بأن الله لم يغلق فى وجوههم بابه لو عادوا إلى جانبه : سبحانه ولكنهم أعرضوا عن جانبه ولم يتجهوا إليه كما هو الشأن فيمن اشتدت به الضائقة ، وفيهم يقول تعالى : (ولكن : قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) ومع ما فى هذا من تشنيع عليهم ، وتنديم لهم ، ففيه العبرة لغيرهم ، وفيه تمهيد لسبيل الاهتداء وفيه تشخيص للعاقبة السيئة التى انحدر إليها أولئك ، بسبب تقصيرهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، حتى يتجنبها ذو العقل ممن بعدهم .

٤ — وبعد هذا الموقف منهم ، ونسيانهم العظة مما حاق بهم ، رفه الله عنهم ثانيا ، وغمرهم بما كانوا يتمنون ، وليس هذا تكريما لهم ، ولكنه ، استدراج ، ومكر بهم ، وإقامة للحجة عليهم وكشف عن خباياهم ، ليتبين لهم ما انطوت عليه طباعهم ، وليتبين للناس من بعد : أن الله لم يظلمهم فيما فعل بهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم ، فأخذهم بذنوبهم تحقيقا لعدله فيهم .

وفى هذا يقول عز شأنه :

(فلما نسوا ما ذكروا به — من البأساء والضراء — فتحنا عليهم أبواب كل شىء — من الخير — حتى إذا فرحوا بما أوتوا ، أخذناهم بغتة ، فإذاهم مبلسون) أخذهم بغتة وهم فى أمان ، وأهلكهم وهم فى بسطة وسعة وسلطان « فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين » ، وهكذا انتهى أمرهم لإعراضهم عن الحق بعد أن تبين لهم .

٥ — فان يكن فى شأن هذه الأمم شىء من عجب ، حيث لم يستقيموا على النعمة — أولا — ولا على العظة بالبأساء والضراء — ثانيا — ولا على تجـدد النعمة والترف لهم ثالثا ، ولم تكن فيهم صلاحية للحياة الدنيا ، حتى طهر الله منهم أرضـه ، وقطع دابرهم منها : فان العجب لا يزال عالقا بالناس حتى اليوم ، لأن الشبه قائم فيهم إذ لا تقبل على الخير إلا فى تكلف ، ولا تكف عن الشر إلا مخافة الناس ، ورياء لهم .

وكأننا لا نثق فى توجيه الله ، فنحن خفاف إلى المعصية ، ثقال عن الطـاعة ، حتى إذا أصابنا المكروه وجدت فينا شبها بمن لم يردعهم المكروه ، وشبها بمن يدعون ربهم عندما يمسهم الضر ، فاذا كشف الضر عنهم نسوا ما كانوا فيه : وابتدءوا يحـاربون الله من جديد . . . يفهم الواحد منا أنه مسلم حقا ، فاذا استوعبت حاله وجدته فى غير ناحية الإسلام ، وبعيدا عنها بعدا يكاد يقطع صلته بدينه ، فالناس متجهون اتجاها مزعجا إلى المادية وإن كانت ملوثة بالمحارم ، والناس — إلا قليلا منهم — مقاطعـون لربهم ، لا يسجدون له ، ولا يدعونه ، ولا يخشون بأسه فى سر ، ولا جهـر ، وأصبحت ترى نفسك فى مجتمع غير مطبوع بطابع الإسلام اللائق بالمسلمين وبمجدهم الأول ، وقد أتعب المصلحون أنفسهم كثيرا فى الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية : كريمة فى تقاليدها ، ومظاهرها وحياتها من كل ناحية .

ولكن الموجات الزاحفة تجد أنصارا كثيرين ممن لم تكن لهم نشأة فى أحضان الإسلام ، أو قريبا من ظلاله .

وهذه الموجات تعترض الغيورين ، وتكلفهم جهودا مضنية وتطيل عليهم السبيل .

ولولا أن الله — سبحانه — تفضل على محمد خاتم رسله — صلى الله عليه وسلم — بإمهال الأمة التى بعث إلى دعوتها — وهم الناس جميعا منذ رسالته — لكان نصيبها من عدل الله فى معاملتها أشبه بنصيب من حدثنا عنهم القرآن الكريم ، وإن لله قدرا لا يتخلف موعده ، وقضاء لا مرد له ، وهو ذو رحمة واسعة وذو عذاب أليم .

ونرجو أن يكون عملنـا فى الدنيا مبرورا ، وعفو الله عنا شاملا ، حتى لا نتعثر بعـد فيما نخشى من جزاء ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

الوصاة بكتاب الله عز وجل

— ٢ —

الوصية فى صدر الإسلام — ميراث الأنبياء — خصومة الزهراء للصديق — أجمع الوصايا خيرا وبرا — الوصاة بالصحابة حق على الأئمة والعامة — أين مكاننا من القرآن ؟! إنذار ! !

عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبى أوفى : هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ، قلت : فلم كتب على المسلمين الوصية ؟ ! أو فلم أمروا بالوصية ؟ ! قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم [*])

كانت الوصية حقا مفروضا للوالدين والأقربين فى صدر الإسلام ، على كل من ترك مالا ، وذلك قوله جل سلطانه : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » . فلما نزلت آيات الفرائض نسخت الوصية للوارثين ، وأضحت المواريث المقدرة فريضة من الله يأخذها أهلها من غير وصية ولا منة ، وخطب صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال : إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث .

وصارت الوصية بشىء من المال لغير الوارثين قربة من القرب المندوبة لمن كان ذا فضل وسعة ، وأعظم النبى صلى الله عليه وسلم شأنها حتى كاد يلحقها بالحقوق الواجبة ، فقال فيما رواه

(*) فى كتاب الوصية ، وقد اخترنا فى الجزء الماضى لفظ البخارى فى كتاب الوصايا ، وبينا أنه رواه فى موضعين آخرين : فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته ، وفى فضائل القرآن . . . والمناسبات فى المواطن الثلاثة واضحة .

الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما : ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده .

* * *

لا جرم أن الوصية إنما تكون فيما يصح أن يورث ، والأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم لم يورثوا مالا ، وكل ما تركوه فإنما هو صدقة محبوسة على الأمة ، شأنها شأن الوقف المحبس ، وإنما أورثوا النبوة والعلم والهدى والحكمة ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : « وورث سليمان داود » . وقوله سبحانه حكاية عن نبيه زكريا عليه السلام : « فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب » . وجاءت فاطمة إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقالت : من يرثك ؟ قال : أهلى وولدى . قالت : فما لى لا أرث أبى ؟ قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ولكنى أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله ، وأنفق على من كان ينفق عليه ؛ وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلبان أرضيهما من فدك (١) وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته ، فهجرته فاطمة رضوان الله عليها فلم تكلمه حتى ماتت ! وهذا أحد الأدلة التى لا تحصى على صلابة أبى بكر رضى الله عنه وشدته فى دين الله عز وجل ، مع بلوغه الغاية التى لا مطمع وراءها فى حب النبي صلى الله عليه وسلم وابنته وآل بيته ، وافتدائه إياهم بماله ونفسه ، وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء ، وروى البخارى عنها قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى (٢) .

(١) بفتحتين : قرية بخيبر ، على ثلاث مراحل من المدينة ، وكانت حبسا لأبناء السبيل ، وأما خيبر فكانت ثلاثة أجزاء : جزأين بين المسلمين ، وجزءا نفقة أهله ، فما فضل منهم جعله بين فقراء المهاجرين .

(٢) روى الإمام أحمد والطبرانى عن أبى الدرداء ، مرفوعا : كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه . فلعلها رضى الله عنها نسيت التسمية عند الكيل فنزعت بركة الطعام ، وللتسمية سر عظيم على رغم أنف الجاحدين ، أو لعلها كالته لمجرد الاختبار ذاهلة عن فضيلة الامتثال ، والعلم عند الله تعالى .

لعل هـذه الأدلة الواضحة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك مالا يوصى فيه ـ وهى قليل من كثير ـ ترجح ما اقتصرنا عليه فى الجـزء السابق من أن طلحة سأل عن الوصية المزعومة : وصيته صلى الله عليه وسلم بالخلافة ... ولا مانع أن يريد الوصية بالمـال ، ويؤيد ذلك تعجبه من عدم وصيته به صـلى الله عليه وسلم مع أمر الله ورسوله بهـا ! وأيا ما كان المسئول عنه من خلافة أو مال ، فقد نفاه ابن أبى أوفى رضى الله عنه نفيا باتا من غير تردد و « أو » التى بين الاستفهامين ، للشك من الراوى عن طلحة : هل قال : فلم كتب على المسلمين الوصية ؟ أو قال : فلم أمروا بالوصية ؟ وهى من الأدلة القائمة على أمانة الرواة وتحريهم فى نقل الحديث ، ممـا لم يعهد فى غير الأمة المحمدية .

• • •

ولمـا عجب طلحة من عدم وصيته صلى الله عليه وسلم بمـال أو خلافة ، مع أنه أولى الناس بالوصية ، أجابه ابن أبى أوفى بأن الوصية لم تفته صلى الله عليه وسلم فهو أولى الناس بالخير ، وأسبقهم إليه ، وأحرصهم عليه ، فليطب نفسا ، وليطمئن فؤادا ، وليعلم أن هناك وصية أوصى بهـا ، هى أجمـع الوصايا خيرا ، وأعظمها ذخرا وبرا ، هى الوصاة بكتاب الله عز وجل : تعلما وتعليما ، وفهما وتفهيما ، ودرسا ونشرا ، ومهما تـكن من وصية فى خير فانها مقتبسة منه أو متصلة به نصا أو استنباطا ؛ وهذا هو سر اقتصاره على الإجابة بهذه الوصية الجـامعة الشافية ، وإلا فقد أوصى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة وما ملـكت أيمـانكم ؛ وأوصى بالمهاجرين والأنصار وأوصى بأصحابه خيرا ، وقال : لا تسبوا أصحـابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحـدهم ولا نصيفه . . ولم يعرف تاريخ الخليقة ـ ولن يعرف ـ من يدانى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى كرم صحبته ، ومحافظته على أصحابه ووصيته بهم .

وأوصى بسنته والمحافظة عليها فقال : ألا إنى أوتيت الـكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فمـا وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . والأريكة : السرير ، وفى هذا الأسلوب أبلغ رد على هولاء الغواة الحمق الذين يزعمون أنهم استغنوا بكتاب الله عن سنة رسـوله صلى الله عليه وسلم ، وما هو إلا الضلال والخبث ، والكتاب العزيز نفسه يرد عليهم حماقتهم وضلالتهم إذ يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » والحق أن هولاء يكيدون

للاصلام بطرح شطره الثانى، طمعا فى أن يسهل عليهم طرح شطره الأول: « و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

* * *

لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، وكان ذلك يوم الخميس [١] أوصى أصحابه بثلاث : أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزهم به ، قال الراوى عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو سعيد بن جبير : ونسيت الثالثة [٢] فقيل هى الوصية بالقرآن ، وقيل هى تجهيز جيش أسامة ، وقيل هى نهيه أن يتخذ قبره وثنا . وكل هذه الوصايا فى جملتها وتفصيلها منطو فى كتاب الله تعالى .

* * *

وأحاديث الوصاة بالكتاب العزيز والعناية به ، من الشهرة والمعرفة بمكان عظيم ، ومن أشهرها ـ ولعل ابن أبى أوفى رضى الله عنهما يشير إليه فى إجابته ـ ما رواه مالك فى موطئه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ألا إن حقا مفروضا على كل من يؤمن بالله وكتابه أن يكون له سهم ـ بقدر وسعه ـ فى المحافظة على القرآن الكريم والعناية به والدعوة إليه ، ونشره فى بقاع الأرض ، فان لم يكن ذلك لإيمانه بالكتاب وحق الكتاب العزيز عليه ، فليكن لفضل القرآن ورحمته وإنقاذه ، فان حياة العالم رهن بهذ الكتاب الذى لولاه لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة كما قلنا فى الجزء الماضى ، ولذهب على أثرهما من فى الأرض جميعا .

فلينظر المسلمون أئمة وعامة أين مكانهم من القرآن ؟ وأين مكان القرآن منهم ؟ قبل أن يشكوهم الصادق المصدوق إلى ربه ، كما شكا المشركين إليه من قبل فقال : « يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » .

طه محمد الساكت

---

(١) الثامن والعشرين من شهر صفر ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين الذى يليه ، ثانى ربيع الأول لتمام عشر سنين من الهجرة .

(٢) نرجو أن نشرح هذا الحديث بتوفيق الله تعالى فى فرصة قريبة .

من مشكلات المجتمع :

بين الأستاذ والتلميذ

هذه الحياة كالنهر الجارى المتدفق الموصول التيار، كل موجة من موجاته تمهد الطريق لموجة تليها وتقبل بعدها ، والناس فيهم السابق واللاحق ، ومنهم الأسلاف والأخلاف، وقد جرت سنة الحياة بأن يأخذ المتقدم بيد المتأخر ، وأن يعلم الكبير الصغير ، ويرشد الأستاذ التلميذ ، ولولا أن العالم يعلم الجاهل ، وأن المهتدى يرشد الضال لما استقام أمر هذه الحياة ! ! . . .

ومن هنا كان التعليم بمعناه العام الواسع أشرف عمل فى هذا الوجود ، فالله عز وجل هو « المعلم الأول » للخلائق ، وهو القائل فى كتابه : « الرحمن، علم القرآن ، خلق الإنسان، علمه البيان » وهو الذى يقول لنبيه : « وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » فذكر الله التعليم منسوبا إليه فى معرض الامتنان بالفضل العظيم ، والتعليم هو وظيفة الأنبياء السامية ، ومحمد إمامهم وخاتمهم يقول : « إنما بعثت معلما » ويروى أنه صلوات الله عليه دخل المسجد وفيه مجلسان : مجلس تعليم ، ومجلس دعاء ، فقال : « كلا المجلسين إلى خير ، أما هؤلاء فيدعون الله ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، بالتعليم أرسلت » ! . ثم قعد معهم ! ! .

وأتباع المسيح عليه السلام يجعلون من أوائل ألقابه التى ينعتونه بها لقب « المعلم » ! .

وأفضل المراتب فى الإسلام أن يعلم المرء علما ، ويعمل به ، ويعلمه غيره ، « ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ! وشوقى يشير إلى هذه المنزلة السامية التى يحتلها التعليم والتعلم فيقول :

سبحانك اللهم خير معلم	علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته	وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم ، تارة	صدئ الحديد ، وتارة مصقولا

أرسلت بالتوراة موسى مرشدا … وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا … فسق الحديث، وناول التنزيلا

ولقد كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم قائمة على الحب والوفاء ، والتكريم والتوقير ، فالمعلم والد يؤدب بالحسنى ويهذب بالحكمة ويقسو حينما تجب القسوة ، ولكنها قسوة من يريد الخير لابنه وتلميذه :

فقسا ليزدجروا ، ومن يك حازما … فليقس أحيانا على من يرحم

والمتعلم ابن مطيع خاضع بار، يرى في إجلاله لأستاذه مظهرا من مظاهر الأدب وحسن الخلق، وكان التلميذ يعتبر نفسه عجينة في يد أستاذه المحب له الحريص عليه البصير به، فهو يشكلها و يصوغها حسبما يرى فيه الخير و يعتقد فيه الصلاح . وعلى التلميذ أن يسمع ويستجيب .

وكان الطالب يحافظ على وفائه لأستاذه حتى بعد تخرجه، أو انقطاعه عن حلقة الدرس أو بلوغه مرتبة ملحوظة في الحياة ، فهو يظل يذكر مدرسه بالخير ، وهو يحتفل لقدومه ولقائه ، ويجل محضره ومجلسه ، ولا ينسى سابق فضله ، وهو يتأدب أمامه ويستحيي منه وهو يزوره ويتودد إليه ، والمدرس من جهته يظل على صلته بتلميذه ، ولو نزل معترك الحياة ، وهو يواصل توجيهه وإرشاده حسب طاقته وإمكانه ، وهو يتتبع خطواته في المجتمع ، ويفرح لتوفيقه ونجاحه . . .

هذه العلاقة كانت إلى عهد قريب ، ولو رجعنا إلى عهد أبعد ، وذهبنا نستنبئ تاريخنا الإسلامي لوجدناه عاطرا بقصص الوفاء والحب المتبادل بين المعلمين والمتعلمين ، مليئا بمواقف التمجيد من التلاميذ للأساتذة والمربين . . .

فهذا هو الخليفة المأمون يحضر المعلم النحوي الشيخ « الفراء » ليعلم ولديه علوم العربية وذات يوم أراد الفراء أن يقوم من درسه ، فتسابق الولدان الأميران إلى حذائه، ليقدماه إليه ، وتنازعا على ذلك لحظة ، ثم اتفقا على أن يحمل كل منهما من الحذاء واحدة ! ! . . .

وعلم الخليفة الوالد بالقصة ، فتأثر منها وأعجب بها ، والتقى بالفراء فسأله : من أعز الناس ؟ فأجاب الفراء : لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين . فقال المأمون : بل أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله إليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فردا ! . . . فقال الفراء : يا أمير المؤمنين ، لقد أردت منعهما من ذلك ، ولكني خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها

وهذا عبد الله بن المبارك ، كان عالم أهل خراسان وواعظها — والعالم والواعظ والمدرس والمعلم والأستاذ كلها ألفاظ متقاربة المفهوم متدانية المعنى ، إذ يراد بها ذلك الذى يعلم الناس من جهل ، ويقومهم من عوج ، ويهديهم من خطأ — ونزل ابن المبارك مدينة الرقة على شاطىء الفرات ، وكان إذا خرج التف الناس حوله ، وعظموه من أجل علمه ، وكان بالرقة حينئذ الخليفة هارون الرشيد ، ورأت أم ولد الخليفة هارون الرشيد موكب ابن المبارك ، فسألت : من هذا ؟ قالوا : هذا عالم أهل خراسان ، قدم الرقة ، يقال له عبد الله بن المبارك !... فقالت : هذا والله هو الملك ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان ! ! ...

وهذه هى العالمة المصرية الفاضلة تقية بنت غيث بن على ، كانت تلميذة للحافظ المحدث أبى طاهر السلفى ، وذات يوم عثر أستاذها فجرحت قدمه ، فشقت فتاة فى داره قطعة من خمارها ، وربطت بها الجرح ، وعلمت تقية بالحادث بعد ذلك ، فارتجلت تقول :

لو وجدت السبيل جدت بخدى عوضا عن خمار تلك الوليدة
كيف لى أن أقبل اليوم رجلا سلكت دهرها الطريق الحميدة

ولو امتد حبل الاستشهاد فى هذا المجال لذكرنا عشرات الأمثلة من هذا القبيل من تاريخنا الإسلامى الجليل ! .

هكذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمعلمين ، وبين الطلاب والأساتذة ! ! ...

أما اليوم فوا أسفاه ... أما اليوم فلا محبة ولا وفاء بين التلميذ والأستاذ فى كثير من الأحيان ... إن الطالب غالبا ينسى حق أستاذه وهو بين يديه يغترف من علمه وفضله ، فكيف إذا بعد عنه ؟ ... وإن من المدرسين من لا يؤدى حق تلميذه وهو مكلف بهذا الحق « رسميا » كما يقولون ، فكيف إذا تخلص من قيود هذا التكليف « الرسمى » ! ! .

لقد انفصمت الرابطة الكريمة بين التلميذ ومدرسه ، وفسدت العلاقة بينهما فسادا ينذر بأخطر العواقب ، إذ بدأ التلميذ يسرف فى الاعتزاز بشخصيته ، وأخذ يعلو صوته على مدرسه ، ويخشن فى تعبيره معه . ويدخن فى محضره ، ويضع ساقا على ساق فى وجهه ، ويصرح أمامه فى جرأة بما لا يليق التصريح به — ولو من تلميذ فى حضرة أستاذه على أقل

تقدير ... وأخذ الطالب يتجارأ فيعصى أمر أستاذه ، ثم تجارأ التلميذ فشتم الأستاذ ، ثم زاد جرأة فضربه ، ثم زاد حماقة فأسال دمه ، ثم بلغ قمة الإسراف فأزهق حياته بيده ! !

« أريد حياته ويريد قتلى » ! ! ...

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى ! !

ووصل هذا التطاول إلى محيط أبناء الإسلام ، وظهر فى البيئة العلمية الدينية ، بين الذين نريدهم أن يكونوا غدا مصابيح الظلام وهداة الأنام ، فيا ضيعة الرجاء ويا خيبة المسعى إن كانت النتيجة للتربية والتعليم هى أن تمتد اليد الناشئة إلى الذى رباها وعلمها فتعتدى عليه أو تنال منه ! ! ...

فأين إذن قول القرآن الكريم : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ؟... وأين قول الحكيم : « من علمنى حرفا صرت له عبدا » ؟.. وأين قول الناصح اللبيب : « لا ترم فى البئر التى تشرب منها حجرا » ؟... وأين قول شوقى :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أعظم أو أجل من الذى يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

وأين تطبيق ذلك المبدأ السليم الحكيم الذى نردده أو نتذكره ، ولكننا لا نجد موضعه فى القلوب ، أو تأثيره فى النفوس ، وهو قول القائل :

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلما

والعجيب أن هذه الجرأة الزائدة من التلميذ لم تصحبها قوة فى العلم عنده . ولا اتساع فى المعرفة لديه ، بل نرى أن الذين يسرفون فى الجرأة من التلاميذ هم فى الغالب أقل التلاميذ علما وثقافة ، وكلما اتسع علم التلميذ حسن خلقه ، وتهذبت نفسه ، وحفظ حق أستاذه...

وقد وصل الأمر فى بعض الأحوال أو فى بعض المجالات التعليمية أن الطالب ـ

لجرأته على أستاذه ولقلة احترامه له ـ قد حمل هـذا المدرس حملا على عدم الإخلاص فى تعليم هذا التلميذ ، وعلى عدم التعب الموصول فى سبيل إعداده وتخريجه ، فاكتفى المدرس بأداء واجبه إليه أداء آليا « رسميا » ، وقال المدرس لنفسه : إذا كانت التربة غير خصبة ، وكان الصدر غير روق ، فليس على إلا أن أؤدى واجبي فى نطاقه الضيق ، ثم ردد قول الأول : « دعــوا دما ضيعه أهله » ، وقول الآخر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا !

ولا نستطيع أن ننكر أن بعض المعلمين يسرف فى القسوة ، أو فى الاعتزاز بمكانته كمعلم ، وقد يتجاهل شخصية التلميذ ، أو يتحكم فيه تحكما عنيفا ، وهذا خطأ مبين ، فالتلميذ يحتاج إلى الشعور بذاته وكيانه . والمعلم الناجح هو من يخلط اللين بالشدة ، والرفق بالحزم ، ويكون فى تلاميذه صورا من شخصيته ، بدل أن يلغى شخصيات تلاميذه فلا تبقى سوى شخصيته ! ! . .

ونحن لا نضع تبعة هذا الفساد على كواهل التلاميذ وحدهم ، ولا على كواهل المعلمين وحدهم ، وإن كان التلاميذ يبوءون بجانب عظيم من التبعة فى هـذا المجال ـ فهناك الأوضاع الاجتماعية التى زاد التحرر فيها ، وهناك الانحلال الخلقى فى الأسرة ، وهنـاك انعدام التعاون بين البيت والمدرسة ، وهنـاك شعور المدرس بأنه لم يأخذ حقه المـادى والأدبى ، وهناك انصراف أغلب العناية فى التعليم إلى حشد المعلومات وتنمية المعارف دون رعاية كافية للتربية والتهذيب الروحى وغرس الأخلاق الفاضلة ، وهنـاك ضياع سلطة الوالدين وانعدام هيبة الولد لها وقلة خوفه منهما ، وما دام الولد مدللا عند أبيه وأمه ، « دلوعة » فى بيته وأسرته ، فـكيف ننتظر منه أن يحفظ حق معلمه فى مدرسته ! ؟ . .

إن موضوع العلاقة بين الأستاذ والتلميذ من موضوعات الساعة التى يجب أن تأخذ حظها من بحثنا وعلاجنا ، ولا شك أن هــذا العلاج يشترك فى تقديمه ولاة الأمور بسلطتهم ، والآباء بإشرافهم وعنايتهم ، والمدرسون بتوجيههم وحكمتهم ، والتلاميذ بأدبهم وأخلاقهم ، ولعل بهذه السطور أكون قد فتحت الباب لتقديم هذا العلاج ! ! . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

من الهدى المحمدى

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ومن رائع تمثيلاته وصادق توجيهاته وإرشاداته، ضرب لنا فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مثلا واضحا بليغا يعتبر بدعا فى بابه لم يتفتق عن مثله — فيما أعلم — بيان إنسان ما، اللهم إلا صاحب الرسالة العظمى الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

وهذا الحديث الشريف يقرر سنة من سنن الله سبحانه فى الكون وأصلا من أصول الاجتماع، وهو تكافل أفراد الأمة وتضامنهم وتعاونهم فى سبيل تثبيت دعائم الحق والخير والفضائل، والقيام على حراسة هذه الأصول والقضاء على أهل الباطل والشرور والرذائل وإلا فلا قيام لحق ولا استقرار لفضيلة ولا دوام لعزة وسلطان.

والمراد بحدود الله: ما نهى الله عنه من المعاصى والمحرمات، والمراد بالقائم على الحدود: الناهى عن المنكرات.

والمراد بالواقع فيها: العصاة وأهل الباطل والإفساد فى الأرض. ومعنى استهموا: اقترعوا. فمثل أهل الحق القائمين عليه وأهل الباطل الواقعين فيه كمثل جماعة ركبوا سفينة توصلهم إلى مقصدهم وغايتهم، وقد اقترعوا على اقتسامها، فأصاب بعضهم — وهم أهل الحق — أعلاها، وأصاب بعضهم — وهم أهل الباطل — أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا أحبوا أن يشربوا مروا على من فوقهم فبدا لهم أن يخرقوا السفينة فى نصيبهم كى يستقوا من غير أن يضاروا من فوقهم، فان تركهم من هم فى أعلاها يخرقون السفينة لم يلبث الماء أن يدخل جوفها فيغرق الجميع، وإن منعوهم وحالوا بينهم وبين ما يريدون نجا من فى أعلاها ونجا من فى أسفلها.

كذلك أهل الحق مع أهل الباطل ، فإن ترك أهل الحق والإصلاح أهل الباطل والمعاصي يفسدون ويعيثون الأرض جورا ومنكرات لا يلبثون أن يهلكوا جميعا هلاكا معنويا وحسيا ، هلاكا معنويا بالقضاء على معنوياتهم ومقوماتهم الإنسانية وتدنيس فطرهم وإضعاف دواعي الخير والحق في نفوسهم ، وهلاكا حسيا بتقويض بنيان أمتهم وذهاب دولتهم وعزتهم وسلطانهم بين الأمم والشعوب ؛ وإن وقف أهل الحق لأهل الباطل بالمرصاد وقطعوا عليهم سبل الشر والفساد وضربوا على أيديهم بإقامة الحدود أو التعزير والتأديب فقد نجوا جميعا : نجا المفسدون لأنهم لم يجدوا بيئة صالحة لإفسادهم وشرورهم ، ونجا الصالحون لأنهم لم يفرطوا في الأمانة التي ائتمنوا عليها وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحراسة الشريعة والقيام على ذلك ، وبذلك يحفظون على الأمة دينها واستقامتها ، فتبقى قوية البنيان عزيزة المنال ظاهرة السلطان ، وكانت جديرة بنصر الله الذي تكفل بنصر من ينصره وهم أهل الحق والإيمان .

والأمة التي يكون لها من أمرائها وعلمائها وصالحيها رقابة صادقة على أفرادها ، وهيمنة زاجرة رادعة لأهل المعاصي والشرور والفجور والتحلل من الشرائع والفضائل واستهجان ما يفعلون ، والضرب على أيديهم العابثة ، أمة جديرة بالبقاء . أما الأمة التي تنعدم أو تضعف فيها روح المراقبة والسيطرة على سلوك أفرادها ويفشو فيها النفاق ومداهنة أهل الباطل والفسوق والسكوت على مآثمهم ومفاسدهم ، بل ومجاوزة هذا إلى الثناء عليهم واستحسان منكراتهم ، فهي – ولا ريب – أمة متداعية وصائرة ولا محالة إلى الفناء ، سواء في هذا صالحهم وطالحهم ومحقهم ومبطلهم .

وقد أكد المشرع صلوات الله وسلامه عليه هذا الأصل الثابت وهذه السنة الإلهية في غير ما حديث ، روى أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » . ورضي الله عن الصديق حينما بين لنا أن الآية ليست على ظاهرها كما يلهج بها المحرفون المغرضون ، وإنها فيمن أمر بمعروف ونهى عن منكر فلم يسمع له فحينئذ عليه نفسه .

وروى الإمام أحمد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : بلى . قالت : فكيف يصنع أولئك ؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان » .

وروى أيضا مرفوعا « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب » ومصداق هـذا من كتاب الله سبحانه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة [١] » قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : « أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكرين بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب » .

لو أن الأمم الإسلامية جعلت رقباء من نفسها على نفسها ومن بعضها على بعضها لقلت المفاسد والشرور ، واستقامت الأمور وصلحت الأحوال ولكان المسلمون بحق خير أمة أخرجت للناس لإيمانهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . ولكن مما يؤسف له غاية الأسف أن المفسدين وأهل الباطل وجدوا من معظم أفراد المجتمع مداهنة ومجاملة في القيام على حـــدود الله ، فمن ثم استشرى الفساد واستفحل الداء وضاعت صيحات المصلحين والغيورين سدى وصارت هباء ، ولا عجب إذا كان الله سبحانه ضرب القلوب بعضها ببعض وعمت النقمة والبلاء .

خلق المداهنة والمجاملة في الحق خلق قديم ابتليت به بعض الشعوب في القديم فكان سبب هلاكها وغضب الله عليها ، وهو خلق يهودي متأصل فيهم ، وبسببه أذلهم الله ولعنهم . روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي

---

[١] سورة الأنفال الآية : ٢٥ .

العذاب هم خالدون ». ثم قال: كلا والله، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا [١]، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم » وهكذا يتبين لنا أن خلق المداهنة فى الحق أنكرته الأديان عامة على لسان موسى وداود وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأنه سبب للهلاك والدمار واستحقاق اللعنة وسوء العذاب .

وبعد فهل نحن متمسكون بهذا الهدى المحمدى، وهذا المبدأ الإصلاحى العتيد الخالد؟ الحق أن لا . إن فى المجتمعات الإسلامية اليوم انحرافا عن سنن الإسلام وطريقه اللاحب المستقيم : فى العقائد، والفضائل، والأحكام، والمعاملات . وفيه حركات ظاهرة وخفية وتيارات فكرية وعقدية، وهى معاول هدم لصرح الإسلام الشامخ، وصرح الفضائل الثابتة التى تدعو إليها جميع الأديان . فما موقفنا منها ؟ وما الذى صنعناه حيالها نحن المسؤلين عن الإسلام والمسلمين، حكاما وعلماء وشعوبا ؟ وما مبلغ تطبيق هذا المبدأ الخالد فى مصر قطب الإسلام وقلبه النابض وبلد الأزهر الشريف ؟ ! .

بالأمس القريب قام رجل كريم من أعضاء مجلس الأمة يدعو دعوة الحق، يدعو إلى الفضيلة والكرامة والاحتشام والحد من تبرج النساء الذى وصل إلى حد العرى الفاضح، ومن الإباحية فى الأزياء التى وصلت إلى درجة الابتذال واستعمال المساحيق ونحوها من وسائل الإغراء، فما مبلغ التجاوب معه من الشعب ؟ وماذا قام به العلماء والمصلحون فى تأييد صاحب هذه الدعوة الحقة الكريمة ؟ وما هى الخطوة العملية التى خطوناها فى هذا السبيل ؟ وهذه دعوة حقة من عشرات الدعوات الكريمات .

يا قوم، العمل العمل، والنجاء النجاء، قبل أن تغرق السفينة فنكون جميعا — والعياذ بالله — من الهالكين «

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] أطره على الحق أطرا : عطفه عليه، وقصره على الحق : حبسه عليه .

المجتمع المختلط

كثر كلام الناس فى هذه الأيام ـ فى الصحف وفى دور العلم ، وأقسام الفلسفة ومعاهد تخريج المدرسين والإخصائيين الاجتماعيين منها خاصة ـ عن الكبت الجنسى ومضاره . وشاع بين كثير ممن ينتحلون الدراسات النفسية ـ والفرويدية منها خاصة ـ أن السبيل إلى تلافى الأضرار المتولدة عن هذا الكبت هى اختلاط الذكور بالإناث وتخفف النساء من الحجاب ومن الثياب ، وهو تخفف لا يعرف الداعون إليه مدى ينتهى عنده . ولعله ينتهى إلى ما انتهى إليه الأمر فى مدن المراة التى نكست فيها المدنية فارتدت إلى الهمجية الأولى . ذلك هو « المجتمع المختلط » الذى يدعون إلى تعميمه فى المدارس وفى الإدارات الحكومية وفى المصانع وفى الشركات وفى الأندية والمجتمعات . وقد أخذت هذه الدعوة سبيلها إلى التنفيذ فى بعض هذه الميادين .

والواقع أن هذا الاتجاه هو جزء من اتجاه أكبر وأعم يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب الغرب فى شتى شئونها : فى الزواج وفى الطلاق وفى المشاركة فى العمل والإنتاج فى شتى الميادين وفى الزى وفى المحافل والمراقص ، إلى آخر ما هنالك . وهذا الاتجاه هو بدوره جزء من اتجاه أكبر يراد به سلخنا من أدب إسلامنا وتشريعه ، و إلحاقنا بالغرب فى التشريع والأدب والموسيقى والرسم وفى سائر فنون الحياة بين جد ولهو والموضوع ذو جوانب متعددة . ولكن أبرز جوانبه ناحيتان : اختلاط النساء بالرجال ، واشتغال النساء بأعمال الرجال . وسأعالج الناحية الأولى منه فى هذا المقال ، مرجئا الشق الثانى إلى مقال تال إن شاء الله .

وأخطر ما فى هذه الدعوات الجديدة أن أصحابها يلجئون إلى تدعيمها وتثبيت جذورها الغريبة فى أرضنا بأسانيد من الدين بعد أن يحرفوا الكلم عن مواضعه فى نصوصه الشريفة من قرآن أو حديث أو خبر . لذلك رأيت أن أبدأ هذه الكلمة بتقديم طائفة من الآيات القرآنية تبين بشكل قاطع حكم الإسلام الصريح فى هذه الأمور .

١ – يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها النبى قل لأزاجك وبناتك ونساء المؤمنين

يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ . ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين . وكان الله غفورا رحيما ـ الأحزاب ٥٩ » .

تأمر هذه الآية المسلمات بإطالة الثياب وبإدناء بعض أطرافها من البعض الآخر ، حتى تستر الصدور والظهور والأذرع والسوق . وتصرح بالحكمة في ذلك ، وهو تمييز الأحرار من النساء وتكريمهن بصونهن عن أذى الذين يتعرضون للبغايا والخليعات ، لأن التبرج والتبذل يسلكهن في مسالك الريب ويطمع الفساق في التعرض لهن وإيذائهن وفي أعراضهن بالأقوال أو الأفعال .

٢ — ويقول تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ـ النور : ٣٠ : ٣١ » .

تأمر هاتان الآيتان الرجل والمرأة كليهما بغض البصر عن رؤية أحدهما للآخر . وتردف الأمر بالمحافظة على العفاف مع الأمر بغض البصر ، كأن النظر هو سبيل التفريط في العفة . ثم هي تأمر المرأة بأن تحرص على ستر مواضع الفتنة والأنوثة منها وعدم إفشائها بأدوات الزينة والتجميل المختلفة أو الثياب الضيقة أو الشفافة أو الحركات الخليعة التي تذيع صوت ما تتحلى به من حلي ، كما يأمرها أن تغطي رأسها بالخمار وأن تضرب بفضوله على صدرها ليستر فتحة ثوبها . ولا تبيح الآيتان للمرأة أن تتخلى عن هذا الحجاب إلا في حضرة الذين لا تثيرهم مفاتنها من المحارم أو الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو ناقصي الذكورة من الرجال الذين لا أرب لهم في النساء . وتكشف الآية الأولى من الحكمة فيما تطلب إلى المؤمنين من غض الأبصار ، فتقول إنه أدعى إلى تزكية النفس وتطهيرها ، والسمو بها عن مواطن الدنس . وتقول للمرتابين في صدق هذا الأمر وحكمته : إن الله أخبر بطبائع خلقه وبمذاهبهم فيما يصنعون من أنفسهم . وتختم الآيتان هذه الحدود المرسومة بدعوة

المؤمنين جميعا إلى أن يعودوا إلى طريق الله بعد أن نأت بهم عنه الشهوات ودعوات المضلين ، لأن التزام طريق الله هو سبيل الفلاح والنجاح .

٣ — يقول تعالى: (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم — النور ٦٠) .

أما هذه الآية فهى لا تبيح التخفف من بعض الثياب (كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار) إلا للطاعنات فى السن ممن ذهب رونقهن وفارقن سن الزواج ، ولم يعد مثل هذا الصنيع منهن يثير الناظر إليهن ، ومع ذلك فهن مأمورات بأن يلزمن جانب الحشمة فلا يبرزن ما يتكلفن من زينة ، وتحثهن الآية على التزام القصد فيما أباحت لهن ، وتصف الاحتشام أمام الغرباء بالعفة حيث تقول (وأن يستعففن خير لهن) .

٤ — يقول تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا — الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣) .

الحديث فى هاتين الآيتين موجه إلى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يتضمن أمرهن بأن يلزمن بيوتهن ولا يصنعن صنيع الجاهليات فى التبرج ، وبأن يقصدن فى محادثة الرجال إذا دعت إليه ضرورة فيذهبن به مذهب الجد والحزم والإيجاز ، وبأن يقمن شعائر الدين من صلاة وزكاة ويلزمن حدود الله ، وتعلل الآية ذلك كله بأنه سبيل الطهارة والبعد عن مظان الريبة وإطماع مرضى القلوب .

وقد يظن بعض الناس أن توجيه الحديث فى هاتين الآيتين إلى نساء الرسول صلى الله عليه وسلم يعنى أنهن قد خصصن به دون سائر المسلمات ، وأن حكمه لا يتعداهن إلى غيرهن ، وهو خطأ ظاهر . فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوة المسلمين ومثلهم الأعلى ، ونساؤه قدوة المسلمات ومثلهن الأعلى ، فالله سبحانه وتعالى يقول (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا — الأحزاب : ٢١) . فاذا كان هذا هو الأحوط وهو الأطهر وهو الأدعى إلى إذهاب الرجس عن بيت

سيدنا رسول الله وعن نسائه الطاهرات رضوان الله عليهن ، فلا شك أن عامة المسلمات ـ وهن أبعد عن العصمة جدا ـ أحوج إلى الأخذ به والتزامه ، وإذا كانت إلانة القول وإطالته فى غير موجب من جانب نساء الرسول ـ وهن أمهات المؤمنين ـ مظنة إطماع مرضى القلوب فكيف يكون الحال بالقياس إلى سائر المسلمات اللاتى لا يحيطهن من أسباب العصمة وذود الشر ودفع الإطماع والإغراء ما كان يحيط بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ — يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم ، والله لا يستحى من الحق ، وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا . إن ذلكم كان عند الله عظيما ـ الأحزاب ٥٣) .

هذه الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم أيضا ، وهى تنبه المسلمين إلى أن يخففوا عند زيارته والإلمام ببيته ، وأن لا يثقلوا بإطالة الحديث بعد قضاء حاجاتهم أو تناول ما دعوا إليه من طعام . كما تأمرهم إذا احتاجوا إلى طلب شيء من نساء الرسول أن يكون حديثهم إليهن من خلف ستار يحجب كلا منهم عن الآخر ، وتعلل الآية الكريمة ذلك بأنه أدعى إلى طهارة الطرفين وأحوط فى تجنب أسباب الفتنة ، وليت شعرى إذا كان نساء النبي ـ وهن من هن ـ وصحابة رسول الله ـ وهم من هم ـ مأمورين بذلك ، فكيف لا نكون نحن مأمورين به ؟

٦ — يقول تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات . والله أعلم بإيمانكم ، بعضكم من بعض . فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان . فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب . ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم . والله غفور رحيم . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا ـ النساء : ٢٥ إلى ٢٨) .

المخاطبون بهذه الآيات هم الذين لا تساعدهم ظروفهم المالية على الزواج ودفع مهور الحرائر من النساء . والآيات تبيح لمن لا يستطيع الصبر من هؤلاء أن يتزوج من الإماء بعد أن يدفع مهورهن إلى مواليهن . وتنهى عن أن يكون سبيل التنفيس عن شهوات الذين لا يجدون إلى ضبطها سبيلا هو الزنا بهؤلاء الإماء أو عقد الصلات معهن فى السر واتخاذهن عشيقات أو صديقات — على ما يحلو لبعض الناس فى هذه الأيام أن يسميهن تقليدا لمذهب الفرنجة فى تسميتهن (girl friends) . ولكنها تنصح لهم بالصبر حتى لا يجنوا على أولادهم من هؤلاء الإماء بجعلهم أرقاء . ويقول الله تبارك وتعالى إن (الصبر خير) ، بينما يسمى الفرويديون الصبر وضبط النفس والتحكم فى الرغائب والشهوات كبتا . ويرتبون على هذا الكبت ما شاءت لهم شياطينهم من الأمراض النفسية . فليختر المسلمون لأنفسهم بين الكفر والإيمان ، وبين ما أوحى الله إلى نبيه وما أوحت شياطين الجن إلى شياطين الإنس .

وتختم الآيات هذا الحديث بأن الله سبحانه وتعالى عليم يعرف حقائق شئونكم ودقائقها حكيم يضع الأشياء فى مواضعها . فهو — سبحانه وتعالى — يرشدكم إلى سبيل الطهارة والتوبة ويبين لكم طريق الرشاد والصلاح ، ويخفف عن الضعفاء منكم فيرسم لهم ما يحتملون ولا يكلفهم ما لا يطيقون . يريد الله سبحانه وتعالى أن يعود بكم إلى طريقه الموصلة للخير والمنقذة من الضلال ، بينما يريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا بكم عن طريق الهداية والنجاة ميلا عظيما .

هذه جملة من الآيات صريحة الدلالة فيما تأخذ به المسلمين والمسلمات فهى تأمرهم :

(١) بستر جسم المرأة كله — ومنه شعر الرأس — وتجنب إبداء المفاتن والتزين أمام الغرباء من غير المحارم .

(٢) بتجنب التسكع فى الطرقات واستعراضها فى غير حاجة ، وبالاستقرار والاكتنان فى البيوت .

(٣) بتجنب التحدث إلى الرجال ، فاذا دعت إلى ذلك ضرورة فليكن بين الرجل والمرأة ستار ، وليكن الحديث أميل إلى القصد ، وعلى قدر ما تقضى به الضرورة .

(٤) بغض البصر عند التقائه بالرجال (والرجال مأمورون بمثل ذلك عند التقاء نظرهم بالنساء) .

(٥) بالزواج لمن استطاعه ، وبالصبر وضبط النفس لمن أطاقه ، وبالزواج من الإماء لمن لا يطيق الصبر ولا يجد مهر الحرائر . أما اتخاذ الخليلات ومقارفة البغايا فهو محرم يحذر منه الدين .

ولا أظنني محتاجا بعد ذلك كله إلى إطالة القول في أن التزام هذه القواعد التي يأمر بها الشرع أمر قاطع لا يدع مجالا للتوفيق بين إسلام المسلمين ، وبين مذاهب دعاة المجتمعات المختلطة في شتى صورها وأشكالها .

هذا هو حكم الدين لمن أراد أن يقيمه . وتلك هي حدود الله لمن أراد أن يلتزمها . وذلك هو الخير كل الخير لمن أسلم وجهه لله وآمن بالكتاب كله ، لا يحكم هواه أو أهواء الذين يضلون بغير علم ممن يتبعون الظن ، فيأخذ ببعض ويدع بعضا ، ولا يطلب دليلا على ما أمر به ولكنه ينقاد إليه سواء ظهر له وجه الخير فيه أو خفي عنه . لأن الدين يقوم على مجموعة من المسلمات يلتقي عندها الناس على اختلاف أفكارهم وأمزجتهم وبيئاتهم ، فيصبحون في اتحادهم أمة واحدة ، ويصبحون مع تعددهم كالفرد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويصبحون في توادهم وتراحمهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وذلك هو أقصى ما يطمح إليه التفكير السياسي من التماسك والتآلف والاستقرار والاطمئنان .

أما الذين لا يلزمون أنفسهم حدود الله ، ولا ينقادون لما أمر به فلنا معهم حديث آخر . وإلى هؤلاء نقول :

قد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون جميع خلقه من ذكر وأنثى . تجد ذلك في الحيوان وفي النبات وفي الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس ، وتجده في الكرة الأرضية نفسها ، فأحد قطبيها سالب والآخر موجب ، وتجده في أدق دقائق الخلق وألطف وحداته ، وهي الذرة . و « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ــ يس : ٣٦ » ومن طبيعة الأزواج في كل هذا الخلق أن تتجاذب . فالذكر والأنثى في النوع الواحد يتجاذبان حتما حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منهما وحسب ما هدى إليه من فطرة ، وسبحان الذي « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ــ طه : ٥٠ » . فميل الرجل للمرأة وميل المرأة للرجل إذن هو جزء من قانون عام اقتضته حكمة الله سبحانه ، لا سبيل إلى تجنبه أو إنكاره . وليس من المطلوب ولا هو مما يرغب فيه ويسعى إليه أن يخفف هذا الميل أو يعمل على إضعاف حدته .

ثم إن إطلاق الأمر فى تجاور الرجل والمرأة واختلاطهما لا يخلو من أحد أمرين : فهو إما أن يؤدى إلى إثارة الشهوة فى الجنسين وزيادة حدتها ، أو يؤدى إلى إضعافها وكسر حدتها . فإذا كان الاختلاط مؤديا إلى تجاذب الذكر والأنثى على ما ركب فى طبيعة كل منهما ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس بشيوع الأمراض التى قدر الله سبحانه أن يضرب بها الذين يقارفون الفاحشة من الزناة ، ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه ويتمزق شمل جماعته ويموج بعض الناس فى بعض ، بتكاثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أوذوا فى بناتهم ، والأزواج الذين أوذوا فى نسائهم ، والأولاد الذين أوذوا فى أمهاتهم ، وبين المتنازعين والمتنازعات والمتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة . وذلك كله مما لا خير فيه ، ومما لا تسعى إليه جماعة من الناس تنشد الوحدة والطمأنينة والسلام ، ولا تسلك سبيلا تظن أنه يؤدى إليه . ذلك هو أحد الفرضين .

أما الفرض الآخر فهو أن التجاور بين الرجال والنساء وكثرة اللقاء بينهم وبينهن أفرادا وجماعات موجب لإضعاف التجاذب بخفوت صوت الشهوة الجنسية وإضعاف حدتها أو تحويلها عن وجهها وأسلوبها ، على ما يزعمه الزاعمون من بعض الباحثين فى علم النفس ، الداعين إلى تهذيب الغريزة الجنسية أو التنفيس عنها ، ومعنى هذا أن يجد كل من الذكور والإناث لذتهم فى مجرد الاستمتاع بالحديث والنظر ، وأن طول التجاور والتقارب يولد فى نفوسهم ونفوسهن شيئا من الإلف لا تثور معه الرغبة فى استمتاع جسد الواحد منهم بجسد الجنس الآخر عند رؤيته ، بل مع قربه منه وملاصقته له ، وذلك كله أمر معقول ومحسوس يؤيده المنطق والتجربة ، لأن إلف النفس للشىء وتكرار اعتيادها إياه يضعف أثره فيها ؛ فالذى يطيل المكث فى مكان عفن نتن يفقد الإحساس بعفنه ونتنه على مر الزمان ، والذى يدمن شم رائحة زكية يفقد الإحساس بطيبها بعد وقت قصير أو طويل ، والذى يتعود لمس الأجسام الساخنة أو الشديدة البرودة يفقد الإحساس بحرارتها أو ببرودتها مما لا يطيقه غيره من الذين لم يدمنوا ممارسة ذلك .

وكذلك الشأن فى الرجال والنساء . فالذين يسكنون المدن من الرجال لا يثير غرائزهم الجنسية رؤية أذرع النساء وسوقهن وصدورهن ، بل إن بعضهم قد لا يثيره رؤية الجسد عاريا معروضا فى أكثر الأوضاع إغراء على شواطىء البحر فى الصيف أو فى مراسم

الرسامين من هواة رسم الأجساد البشرية العارية ، وفى هؤلاء الرجال من كان يعيش فى الريف من قبل ، وكان يثير شهوته مجرد الاستماع إلى صوت المرأة أو مجرد النظر إلى وجهها أو يدها أو رجلها ، فضلا عن مجالستها أو مصافحتها . ذلك أمر صحيح تثبته التجربة ويؤكده الواقع ، والذى يذهب إليه دعاة تهذيب الشهوة صحيح من بعض نواحيه ، وإن كان كثير من الشهوات الجامحة الجارفة يستعصى على الترويض وينطلق إلى الفتك والافتراس ويفلت زمامه من المروضين ، وأغلب الظن أن إدمان الخضوع للتجربة على تعاقب الأيام قد ينتهى إلى ما يريده المروضون من دعاة التهذيب ، ولكن أى شيء يمكن أن يسمى هذا الذى يسمون إليه ويبذلون الجهود لتحقيقه ؟ أليس هذا هو البرود الجنسى عينه ؟ إذا رأى الرجل المرأة فلم يثر فيه هذا اللقاء ما يثور عادة فى الرجال عند رؤية النساء ، وإذا رآها بعد ذلك عارية الأذرع والسوق والصدور والظهور بارزة النهود والأوراك فكان قصارى ما يلتذ به هو الحديث والنظر ، ولم يستتبع هذا الحديث والنظر أى اندفاع أو رغبة فى ممارسة الصلة الجسدية ، وإذا تشابكت الأذرع بالأذرع والتفت السوق بالسوق ولامست الأجساد الأجساد صدرا لصدر وبطنا لبطن ثم لم يطرأ على الرجل أى تغير جنسى جسدى ، وكان قصارى ما يستتبعه ذلك كله هو أن تسرى فى جسده نشوة لا تدفع به إلى الحالة الإيجابية العضوية ، أليس يكون قد بلغ عند ذلك ما يسمى بالبرود الجنسى ؟ وهو عند ذلك برود مزدوج يشمل الطرفين كليهما : الرجل والمرأة ، ثم ، أليس البرود الجنسى مرضا يسعى المصابون به إلى الأطباء يلتمسون عندهم البرء والشفاء من أعراضه ؟ فكيف إذن نجعل هذا المرض غاية من الغايات نسعى إليها باسم التنفيس عن الكبت أو تهذيب الغريزة الجنسية ؟ وكيف يكون الحال لو تصورنا هذا الناموس ـ ناموس تجاذب الذكور والإناث ـ وقد « تهذب » فى سائر خلق الله ، فبطل تجاذب السالب للموجب ، أو فتر ، فأصبح من غير المؤكد أن يترتب على التقائهما التوق الشديد والميل العنيف الذى لا يقاوم إلى الاندماج الكامل ؟ أليس يفسد الكون كله ؟ (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ـ المؤمنون : ٧١) .

ثم إن هذا البرود الجنسى متفاوت الدرجات ، يختلف قوة وضعفا باختلاف درجات المجتمعات فى الأخذ بمبدأ المجتمع المختلط ورفع الحواجز بين الذكران والإناث ، ولكنه ـ فى غير الحالات المرضية الشديدة التى تعرض النوع البشرى للفناء بانقطاع النسل ـ

يستتبع نتيجتين خطرتين : ضعف النسل وتخلفه وانحطاط خصائصه ، وانتشار الشذوذ الجنسي واستفحال دائه .

أما النتيجة الأولى فهي ترجع إلى أن حدة الشهوة وقوتها سبيل إلى ضعف النسل وداعية إلى تدهور خصائصه وانحطاط صفاته . ومما يتفق مع هذا المذهب في النتيجة ـ وإن اختلف معه في التعليل ـ ما يذهب إليه علماء من التنبيه إلى خطر زواج الأقارب ومضاره [١] . ويؤيده تأييدا قويا تحريم الشريعة الإسلامية زواج أخوات الرضاعة ، فمن الواضح أنه مبني على اعتبار الغرباء الذين لا تربطهم قرابة الدم ممن تجاوروا حتى ازداد إلف أحدهما للآخر في حكم أقرباء الدم ، هذه حقيقة معروفة تقطع بها المشاهدة وتجارب الأجيال المتعاقبة ، وتؤيدها الشرائع الثابتة ، وهي تشمل الإنسان والحيوان على السواء . ومن مظاهر تطبيقها على الحيوان إبعاد الذكور عن الإناث وعدم السماح باختلاطها إلا عند اللقاح . ومن علامات صحتها فيما أزعمه انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج من العراة الذين لا يزالون يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية ، فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا ، ويستطيع المراقب الحالم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت

---

[١] علماء الوراثة لا يعتبرون أن قوة الشهوة أو ضعفها هي العلة في قوة النسل وضعفه ، لأنهم يردون قوانين الوراثة إلى عوامل مادية خالصة . ويزعمون أن ما يسمونه الكروموسومات بما تحتوى عليه من الجينات التي تصور الخصائص المختلفة هي وحدها التي تتحكم في الوراثة ، بما تحمله البويضات والحيوانات المنوية منها ، فتنحدر بعض هذه الصفات والخصائص من الأسلاف إلى الأبناء والأحفاد حسب قوانين معينة رتبوها . ولكن علماء الوراثة مع ذلك يعترفون بأن الجينات تكاد تكون شيئا افتراضيا لم يره أحد ولا يمكن تحديد عددها في الكروموسوم الواحد أو وصفها أو بيان خصائصها . هذا إلى أن فرضهم هذا لا يستقيم مع كثير من الظواهر التي لا يمكن حلها على أساسه ، مثل ظواهر الوراثة المتحدة الأزمنة ، ومثل ظواهر الوراثة بالتأثير ، ومثل وراثة الحالات العارضة وقت التلقيح ، ومثل قانون وراثة الصفات الخارجة عن المعتاد . على أن من علماء الوراثة من أنكر نظرية الكروموسومات التي يترتب عليها عدم قابلية الصفات المكتسبة للوراثة ، مثل ليسنكو Lysenko . على أن علماء الوراثة جميعا يعترفون بما يسمونه (الطفرة) ، كما يعترفون بعجزهم عن تعليلها ، وبقصور قاعدة (الكروموسومات) المادية عن تعليلها ، بل ومناقضتها لها ، وموضع الضعف في كل النظريات التي يكتشفها الباحثون أن أصحابها يظنون حين يطلعون على بعض الحقائق والأسباب أنهم قد أحاطوا بكل الحقائق والأسباب . وذلك ما لا يحصيه إلا الله وحده سبحانه وتعالى . ثم إنهم لا يقرون إلا بما يخضع للحس والتجربة .

مساحة الأعضاء الكاسية من أجسادهم . كما يستطيع أن يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العرى الكامل في مدن العراة ، التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة .

وقد أدرك قدماء العرب ذلك بالتجربة والملاحظة ، فوصف أبو كبير الهذلي فارسا عربيا مشهورا من صعاليك العرب ـ وهو تأبط شرا ـ بأن أمه قد حملت به وهي أشهى ما تكون إلى زوجها ، حين لم تكن مرضعا ولم تكن في أعقاب حيض ، حتى لقد صور أباه في هياج شهوته وكأنه قد اغتصب أمه اغتصابا وأخذها غلابا ، وذلك حيث يقول (١) :

ممن حملن به وهن عواقد	حبك النطاق فجاء غير مهبل
ومبرأ من كل غبر حيضة	وفساد مرضعة وداء مغيل
حملت به في ليلة مزؤودة	كرها وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنا	سهدا إذا ما نام ليل الهوجل

وأدرك ذلك أيضا الإمام الجليل أبو حامد الغزالي ، فجاء في كتابه «إحياء علوم الدين» من بين ما سرده في الخصال المطلوبة لعيش الزوجين قوله :

« ثامنا : أن لا تكون من القرابة القريبة . فان ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم (لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا) . وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة . فان الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس . وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد . فأما المعهود الذي دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ، ولا تنبعث به الشهوة » .

أما النتيجة الثانية الخطيرة لشيوع البرود الجنسي وهي انتشار الشذوذ واستفحال دائه فهي راجعة إلى أن الرجل الذي ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة فلا يثور ، يحتاج

---

[١] شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ : ٨٤ ـ ٨٦ ط مصطفى محمد ١٣٥٧

[٢] ج ٤ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ط لجنة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٥٦ .

لكى يثور إلى مناظر وأوضاع تخالف ما ألف . ثم إن إصابته بالبرود تحرمه لذة من أكبر اللذائذ ، ومتعة من أعظم ما ينطوى عليه الناموس من المتع ، وهى متعة تسكن عندها النفس ويطمئن القلب ويستقر الاضطراب . ومصيبته هذه بالبرود الجنسى تحرمه من الإحساس بذكورته فيعانى أشد الألم مما يحسه فى أعماق نفسه من الذلة والمهانة . ويدفعه ذلك كله إلى أن يحاول تحقيق متعة الاتصال الجنسى وإثباتها من كل الوجوه ، عن طريق التقلب بين الخليلات وبائعات الهوى والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع ، رجاء انبعاث ما ركد من ذكورته . وقد تدفعه مع ذلك إلى إغراق نفسه فى المخدرات تعويضا لما فقده من لذة ، أو إلى الإجرام أو المغامرة إثباتا لذكورته من وجه آخر . ومثل هذا الشذوذ يشمل المرأة والرجل على السواء ، لأن البرود الجنسى الذى يؤدى إليه هذا الاختلاط - بل الذى يسعى إليه دعاة الاختلاط - برود ذو شقين ، لا يحقق ما يزعمونه من أهداف إلا إذا شمل الذكر والأنثى ، فانتفت الرغبة الجنسية الجسدية فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب وعند الممازجة والمراقصة . ويستطيع القارئ أن يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربى ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهى آثار لا مفر منها من مثل مصير الذين خلوا من البائدين و « لن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

وأنا أعلم أن كثيرا من الناس لا يقع منهم الدليل موقع الإقناع إلا إذا نسب إلى الغرب . وإلى هؤلاء أسوق بعض ما نقلته صحف لا تتهم عندهم بالرجعية عن علماء الغرب وهيئاته . فمن ذلك ما نقله المصور (العدد ١٦٨٩ ص ٤) عن الأستاذ بيتيريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد فى كتاب له صدر أخيرا بعنوان (الثورة الجنسية) ، حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية . كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذى أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية ثم الإمبراطورية الرومانية فى الزمان القديم . ويقول فى ذلك الصدد : (إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل بقاع من حياتنا العامة . وهذه الثورة التى تمر بنا آخذة فى تغيير حياة كل رجل وكل امرأة فى أمريكا أكثر من أى ثورة أخرى فى هذا العصر .

ومن ذلك ما جاء فى صحيفة « الأخبار » (عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ ص ٢ تحت عنوان : عالم أمريكى يقول : إن المرأة الأمريكية باردة) حيث نقلت ما صرح به الدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الأمريكيين فى شيكاغو ، حيث قال : إن (٩٠ فى المائة من

الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي ، وأن ٤٠ في المائة من الرجال مصابون بالعقم .
وقال الدكتور : إن الإعلانات التجارية التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي) .

ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونغرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا ، والذي نقلته مجلة « التحرير » (العدد ٢٣٤ تحت عنوان : أخلاق المجتمع الأمريكي منهارة) . وهو يشير إلى ارتفاع نسبة تعاطي المخدرات بين الأحداث ، وانتشار الحانات التي تقدم الخمور وكتب الجنس وقصص الجنس وأفلام الجنس ، وانتشار نوادي العراة بكثرة مخيفة على الشواطىء الشرقية خاصة) ومن شاء فليرجع كذلك إلى تقرير اللجنة التي شكلها مجلس العموم البريطاني للتحقيق في مشكلة الشذوذ الجنسي ، فانتهت من بحثها إلى اقتراح إباحته بعد الواحدة والعشرين ، وقد نشرته صحيفة « الأخبار » منذ شهرين تقريبا .

ثم أحب في آخر الأمر أن أضع بين يدي القارئ مقتطفات من خطة الصهيونية الكبرى للسيطرة على العالم عن طريق هدم كل ما فيه من قوى ، التي اكتشفت مخطوطتها وذاع سرها للمرة الأولى في أواخر القرن التاسع عشر ، وهي الخطة المشهورة باسم « بروتوكول حكماء صهيون » فقد تعين على تدبر بعض ما ذكرته .

جاء في البروتوكول الأول : (يجب أن ننظر إلى أولئك السكارى الذين قد تبلدت أذهانهم بفعل الخمر . إن الحرية أتاحت لهم هذا الإفراط والإدمان ... إن الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما إن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللاتي تعملن في أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف) .

وجاء فيه أيضا : (لقد كنا أول من صاح في الشعب فيما مضى « بالحرية والإخاء والمساواة » تلك الكلمات التي راح الجهلة في أنحاء المعمورة يرددونها بعد ذلك دون تفكير أو وعي ... إن نداءنا « بالحرية والمساواة والإخاء » اجتذب إلى صفوفنا من كافة أركان العالم ، وبفضل أعواننا ، أفواجا بأكملها لم تلبث أن حملت لواءنا في حماسة وغيرة .
وكانت هذه الكلمات — في ذلك الوقت — تسيء إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وتحطم

سلمهم وعزيمتهم ووحدتهم ، عاملة بذلك على تقويض دعائم الدولة . وأدى ذلك العمل إلى انتصارنا) .

وجاء فى البروتوكول الثانى : (.. أما غير اليهود فانهم لا يستفيدون من تجارب التاريخ التى تمر بهم ، ولكنهم يتمسكون بنظريات روتينية دون تفكير فى النتائج التى قد يسفر عنها هذا المسلك . لذلك فنحن لا نعير غير اليهود أية أهمية . فليلهوا ما طاب لهم اللهو حتى ينقضى الوقت . وليعيشوا على أمل ملذات جديدة أو فى ذكرى متع سالفة . وليعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا بها إليهم ذات أهمية قصوى . فبهذا الاعتقاد الذى تؤكده صحافتنا تزيد من ثقتهم العمياء فى هذه القوانين ... يجب أن لا يكون هناك اعتقاد فى أن مناهجنا كلمات جوفاء . فنحن الذين هيأنا لنجاح دارون وماركس ونيتشة [١] ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود) .

وجاء فى البروتوكول الرابع : (إن لفظة الحرية تجعل المجتمع فى صراع مع جميع القوى ، بل مع قوة الطبيعة وقوة الله نفسها ... على أن الحرية قد لا تنطوى على أى ضرر ، وقد توجد فى الحكومات وفى البلاد دون أن تسىء إلى رخاء الشعب ، وذلك إذا قامت على الدين والخوف من الله والإخاء بين الناس المجرد من فكرة المساواة التى تتعارض تماما مع قوانين الخليقة ، تلك القوانين التى نصت على الخضوع ، والشعب باعتناقه هذه العقيدة سوف يخضع لوصاية رجال الدين ويعيش فى سلام ويسلم للعناية الإلهية السائدة على الأرض ، ومن ثم يتحتم علينا أن ننتزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالبة المادية) .

وجاء فى البروتوكول الخامس : (ولكى نطمئن إلى الرأى العام يجب بادئ ذى بدء أن نربكه تماما فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق فى تيههم ، فيدركون حينئذ أن أقوم سبيل هو أن لا يكون لهم أى رأى فى الشئون السياسية ... والسر الثانى اللازم لنجاح حكومتنا يقوم على مضاعفة الأخطاء

---

[١] من المعروف أن فرويد رأس الزاعم النفسية الحديثة التى تستند إلى ما سماه العقل الباطن ، والتى تجعل الغريزة الجنسية محور الشخصية الانسانية يهودى . بل لقد كان معروفا بتعصبه المفرط لليهود فلم يكن يختار مساعديه وأعوانه إلا منهم .

التي تركب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى ... وسوف تساعدنا تلك السياسة كذلك على بث الفرقة بين جميع الأحزاب وعلى حل الجماعات القوية وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردي يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) .

وجاء في البرتوكول الثامن : (لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواننا اليهود . فإننا سنسند المناصب المهمة إلى أناس من ذوي السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أوامرنا ، والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عن مصالحنا حتى النفس الأخير) .

وجاء في البروتوكول التاسع : (ولكي نحطم التنظيمات التي أقامها غير اليهود عاجلا ، فإننا قد دعمناها بخبرتنا وأمسكنا بأطراف أجهزتنا . فقد كانت الأجهزة تسير في الماضي بنظام صارم ولكن عادل . فأحللنا محله نظاما متحررا غير منتظم . ووضعنا يدنا على التشريع ، وعلى المناورات الانتخابية ، وتحكمنا في إدارة الصحافة وفي نمو الحرية الفردية . والأهم من ذلك كله إشرافنا على التعليم وهو المعول الرئيسي لحياة الحرة) .

وبعد ، فإني أسوق هذا الحديث إلى دعاة المجتمع المختلط في المدارس وفي الجامعات وفي الأندية والمجتمعات ، وفي المصانع والمتاجر ، وفي إدارات الحكومة ومحافلها ، وفي المعسكرات والمهرجانات ، حيث تعرض أجساد الطالبات وأفخاذهن وأذرعهن ومفاتن أجسادهن في تمايلهن وتثنيهن باسم الرياضة والفن ، والتي انتهت أخيرا إلى إجراء مسابقات للسباحة في الجامعات تظهر فيها الطالبات عاريات إلا من زي الشاطئ الذي لا يستر من العورات إلا ما يضاعف فتنته وإغراءه ، وذلك على مشهد من الأساتذة والطلاب في منشآت الجامعات الرياضية ، إلى هؤلاء جميعا أسوق الحديث . ثم إني أرجئ الشطر الآخر من الموضوع ، وهو الخاص باشتغال المرأة بأعمال الرجال مما جرى عرف بعض الناس في هذه الأيام على تسميته « حقوق المرأة » إلى حديث تال إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

عروة بن الزبير

٢٢ — ٩٣

ما أشد حرصى لك أن تنظر فى تاريخ رجالات الإسلام ، وعلمائه الأعلام ، ولا سيما مثل هذا التابعى الجليل الذى اختلط العلم والإيمان بلحمه ودمه فبلغ فى التماسك والرجولة وصفاء النفس . مبلغا لو تقطعت دونه أعناق المدعين المستكبرين من قادة الغربيين وكبار الموجهين فيهم ، لما بلغوا قليلا منه . وما أكثر نظراءه من رجالات الإسلام أمثال سعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين وعلى زين العابدين ومحمد بن الحنفية ومن قبلهم صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وما أكثرهم من أمثال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وسعد بن أبى وقاص وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وكثير غيرهم ممن نوهنا بهم على صفحات هذه المجلة أو بأمثالهم ثم أفردنا لهم كتابا تسجل فيه مفاخرهم ، وما كان لهم من مزايا وفضائل هيهات أن يظفر بها إلا من أخذ هذا الدين بقوة وهداه الله للعمل بذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

هذا ليعلم الشرق والغرب وكل عاقل منصف أن الإسلام بتربيته الرفيعة ، وبتوجيهاته السامية فتح على الإنسانية ثروة ثرة للبشرية لن ينضب معينها حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وأنه دين جدير أن يبنى النفوس على العز والمجد وأن يخرج النفوس من بؤر الشهوات . وأوجار الحيوانات ، وأعشاش الظلمات ، إلى حيث النور الساطع . والضياء الثاقب . والأحصان السماوية فى تلك النفوس الكريمة الملكية ، وإلى حيث الربانية الحق . قد انسلخت من استعباد المادة . وقيودها الضيقة الجبال . إلى حيث الروح الذى وسع كل شىء ، وقدر على كل شىء ، وأتى بالمعجزات ، وحير الكائنات .

وعروة بن الزبير تابعى من أئمة التابعين وكبارهم ، وابن صحابى من خيرة الصحابة وأفذاذهم وأفرادهم ، وصحابية من أعرق الصحابة وقانتيهم وعبادهم . هو فى شرف النسب فى الغاية التى قل أن تدرك إلا فضلا من الله سبحانه : أبوه الزبير بن العوام الذى كان من أسبق السابقين إلى الإسلام . فكان رابع أربعة فيه وامتاز بأنه لم يبلغ الحنث ولم يفارق الشرك كابن خاله على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وبأنه أول من سل سيفا فى الإسلام

دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبأنه حوارى النبي صلى الله عليه وسلم وناصره ، وبأنه أحد العشرة المبشرين ، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم فداه بأبويه يوم قريظة فقال : بأبي أنت وأمي ، وبأنه وبأنه ...

وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين العابدة القانتة العالمة الراوية ، وجده أبو بكر من جهة أمه ، وجده العوام بن خويلد أخو خديجة بنت خويلد من قبل أبيه ، وخالته عائشة بنت أبي بكر ، وأخوه عبد الله بن الزبير ، وأخوه مصعب بن الزبير . وكل هؤلاء ممن تكتب فيهم الأسفار فما تقضي حقهم ، ولا تفي بمآثرهم .

فلو لم يكن لعروة بن الزبير مناقب لكانت هذه مناقبه ، لأن غصنا ينبت من هذه الشجرة جدير ألا يكون إلا طيبا مؤتيا أطيب الثمرات ، والغصن ينبت حوله الغصن .

فما يك من خير أتوه فإنما تــوارثه آباء آبائهم قبــل

فكيف إذا تحقق له أنه كان من مفاخر آل الزبير بن العوام إذا ذكر الفقهاء فقد كان واحدا من سبعة يعدون على الأصابع . وإذا ذكر العلماء الربانيون فقد كان غرة في جبينهم ، ما حملته رجله نحو فاحشة ، ولا نام عن ورده ليلة . وإذا ذكر الكرماء والأجواد فقد كان من عيونهم ومفاخرهم . وكان يملك بستانا من النخيل فكان يثلمه أيام الرطب ليدخل الناس بلا حاجب ولا حارس . فمنهم من يدخل فيأكل . ومنهم من يجمع فيحتمل والكل آمن قرير العين رضي بذلك الإحسان .

* * *

ولد عروة رضي الله عنه في السنة الحادية والعشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتوفي سنة ٩٣ هـ في عهد الوليد بن عبد الملك .

فقد نشأ في عهد خليفتين من الخلفاء الراشدين تكون فيهما وصلب عوده على علم النبوة الموروث بالمدينة التي هي موطنه يتقلب بين الصحابة ويأخذ العلم عن أبيه وغيره من علمائهم وأحبارهم وأئمتهم . واستوى في عهد بني أمية الأول وفي الأمة بقية من الخير برغم ما كان يهب من عواصف السياسة التي لا يعرف لعروة مشاركة فيها كما عرف لأخويه ، ولكنه كان للعلم بشراشره ، وللخير من كل وجوهه ، يؤثر السلامة ، ويعض على السنة بنواجذه . وهذا العهد مبارك بمن فيه من الرعيل الأول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هداة الأنام

ونجومه الوضاءة وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون ، فمن لزم جادتهم فقد فاز وأفلح ، ومن عشا إلى ضوئهم من أمثال عروة بن الزبير فقد هدى إلى صراط المستقيم .

أخذ العلم عن أبيه الزبير بن العوام وعن زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد [١] وحكيم بن حزام [٢] وأبي هريرة . وتفقه كما نقل الذهبي بخالته عائشة فما ظنك بمن تفقه بتلك السيدة العليمة أم المؤمنين .

ثم أخذ عنه بنوه محمد ويحيى وعثمان وعمر وعبد الله وحفيده عمر بن عبد الله ، وأخذ عنه الإمام الزهري [٣] وابن المنكدر [٤] وأبو الأسود وغيرهم ، وقالوا : إنه كان بحرا لا ينزف ، عالما بالأنساب ، حافظا متثبتا ، وكان من الصلاح والنسك بحيث يصوم الدهر كله ، ومات صائما ، وكان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به فما تركه إلا ليلة قطعت رجله بالمنشار حين وقعت فيها الأكلة فأمر بقطعها . ومن الناس من يقول إنه لم يترك ورده في تلك الليلة ، وحديث قطع رجله وما حف به من أعجب الأحاديث ومن أدلها على أن الروح إذا تغلبت على البدن وتخلصت من رعونات النفس فعلت العجب ، وتجلت بما يعجز عن مثله البدن ، واستغنت عن كثير مما تتقاضاه سنن الكون وأنظمته كما وقع لعمر من رؤية سارية ودونه المسافات ، وكما وقع لجعفر وقد قطعت رجله فأخذها يخترق بها الصفوف ويقاتل بها .

حديث قطع رجله :

نقل ابن خلكان عن أبي إسحاق المبرد في كتاب المغازي عن إسحاق بن أيوب وعامر ابن حفص وسلمة بن محارب قالوا : قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه

---

[١] صهر عمر بن الخطاب وابن عمه ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

[٢] هو ابن أخي خديجة ـ حزام بن خويلد ، وابن عم الزبير ولد في الكعبة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام عاش ١٢٠ سنة ٦٠ في الجاهلية و ٦٠ في الاسلام .

[٣] كان الزهري أعلم الحفاظ ، وهو من التابعين ، سمع من ابن عمر ، وقال إمام مصر الليث ابن سعيد : إنه ما رأى عالما قط أجمع منه . وحدث عن نفسه فقال : ما رأيت أحدا أصبر على العلم مني ولا نشره أحد نشري .

[٤] شيخ الاسلام القرشي التيمي تابعي سمع من أبي هريرة وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة قال مالك : إنه سيد القراء توفي سنة ١٣٠ .

ولده محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر ميتا و وقعت في رجل عروة الأكلة ، ولم يترك ، ورده في تلك الليلة . فقال له : الوليد : اقطعها و إلا أفسدت عليك جسدك ، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسكه أحد وقال : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ولم يزد على ذلك .

ثم عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فكان أحسن من عزاه، قال له : والله ما بك حاجة إلى المشي ، ولا أرب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة والكل تبع للبعض إن شاء الله ، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك . نفعك الله وإيانا به ، والله ولى ثوابك والضمين بحسابك .

وقال ابن قتيبة وغيره : إنه لما دعى الجزار ليقطعها قال له : نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألما ؟ قال : لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية ! قال : فنسقيك المرقد ؟ قال : ما أحب أن يقطع عضو من أعضائى وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه . قال : ودخل عليه قوم أنكرهم فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يمسكونك ، فان الألم ربما عزب معه الصبر . قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى ، فقطعت كعبه بالسكين حتى إذا بلغ العظم وضع عليها المنشار فقطعت وهو يهلل ويكبر ، ثم إنه أغلى الزيت فى مغارف الحديد لحسم به فغشى عليه فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها فى يده ثم قال : أما والذى حملنى عليك إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام ، ثم قدم المدينة فقال :

اللهم إنه كان لى أطراف أربعة فأخذت واحدا وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد ، وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لطالما عافيت .

وفى بعض الروايات أن الوليد بن عبد الملك كان فى المجلس ساعة القطع وكان مشغولا بالحديث مع بعض جلسائه فلم يشعر إلا حين شم رائحتها عند الكى ، ومهما يكن لقد كان فى هذه الحادثة كثير من العبر التى تفسر ما يصنع الإسلام بأبنائه من قوة وجلد وتماسك وصبر هيهات أن يكون إلا فى نفس آمنت بالله فاختلط الإيمان بها ، وقويت روحيتها بتعليم الإسلام فلم تبال ما يصيب جسدها .

فهذا رجل يبتلى الإسلام الأولى في سلامته : بمصيبتين جليلتين :

إحداهما في ولده الذي استصحبه معه يستعين به على ضعف الشيخوخة وهو في دار غربة لا عضد له سواه بعد الله .

والثانية في قدمه التي لم يسلبها كما يسلب الشيء المنفصل الذي قد يتعزى بفقده ويسلى عنه ، ولكنها قطعت بالسكين والمنشار ، والشأن في مثل ذلك أنه بلاء لا يحتمل ، وألم لا يطاق في طبيعة البشر ، ولهذا عرض عليه أن يشرب الخمر ثم عرض عليه أن يشرب المرقد ثم أحضر له قوم يمسكونه حتى لا يتفلت من الوضع إذا طاش به الحلم على مقتضى الطبع البشرى ، ولكنه أبى شيئا من ذلك فلم يقبل واحدا منه ، ثم أمسك برجله وأقبل عليها يخاطبها ، وأشهد الله أنه لم يمش بها في غير طاعة الله . وذلك قرة عينه وغاية مطلبه ، ثم هو بعد ذلك يناجى ربه بأنه أحسن في المصيبة ، وأبقى له أكثر من العوضين، فلله هذه النفوس العظيمة الكريمة ، لقد علمها الله في دينه كيف تواجه كل شيء في الحياة وكيف تصبر على كل نازلة وبلاء وترضى في حالي النعماء والضراء ، وهذا هو الإسلام الذي يريدون أن يصرفوا الناس عنه ويصدوهم عن سبيله ليكبلوهم في قيود الشهوات التي تحلل الناس وتفكك من تماسكهم وتجعلهم أقل وضعا من الحيوان الأعجم : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

أيها المسلمون : هذا دينكم وهذه بعض صور لبعض من تكونوا في مدارسه الصحيحة، نعرضه عليكم لتزدادوا إيمانا به ، وتمسكا بتعاليمه : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » اللهم بصرنا بالحق وأعنا عليه . م

محمود الشرقاوي

صفة العالم

كان أسلافنا يقولون : « لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ ثمنا على العلم » .

الاصلاح الدينى

«مقاصده وأطواره»

قامت دعوة الأنبياء والرسل فى أهدافها وأغراضها ، على تحقيق ثلاثة مقاصد ، وهى إصلاح العقائد ، وإصلاح الأخلاق ، وإصلاح الأعمال .

هذه هى المقاصد الإصلاحية ، التى اتفقت عليها جميع الشرائع السماوية ، والتى لم تختلف باختلاف الشعوب والأمم ، ولا بتعدد الأنبياء والرسل .

أما المقصد الأول : وهو إصلاح العقائد ، فيرجع فى جملته إلى تنمية الدين الفطرى ، والانتقال به من حيز الإجمال والكمون ، إلى حيز التفصيل والظهور ، والتدرج به من الشعور الوجدانى إلى الاعتقاد القلبى ، وذلك بالإرشاد إلى دلائل التوحيد والتنزيه ، التى لا تتعاصى على عقول المخاطبين ، ولا تنبو عنها مداركهم وأفهامهم ، كتوجيه عقولهم إلى مسارح النظر فى ظواهر العوالم الكونية ، وما فيها من الدلائل على وجود الله وتفرده بالألوهية والربوبية ، واتصافه بصفات الجلال والجمال والكمال ، التى تجلت مظاهرها فى بدائع الموجودات وروعة الكائنات ، فان أقصى ما تستطيع العقول إدراكه من شئون الله جل جلاله ، إنما هو أسماؤه الحسنى وصفاته العليا ، وبذلك استطاع الإنسان أن ينتقل بإيمانه من طور الشعور الوجدانى ، إلى طور العلم الاستدلالى ، وأن يجمع بين الدين الفطرى والدين التشريعى ، الذى بعث الله به الأنبياء والرسل .

وهذا المقصد هو الذى يحقق صلة الإنسان بربه ، وهى صلة العبودية لله وحده ، والاعتصام به والإسلام له ، كما قال تعالى : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » ٣ : ١٠١ » ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور » ٣١ : ٢٢ » فالعبودية لله وحده ، والاعتصام به والاستسلام له ، والفزع إليه فى الشدائد والملمات ، والإقبال على طاعته ، والفرار من معصيته ، والخوف من عقابه وبطشه ، والرجاء فى عفوه وكرمه هى مظاهر الإيمان

بالله واليوم الآخر ، وآثاره الدالة على وجوده فى أعماق القلوب ، و بدون هذه الآثار لا يتحقق له وجود واستقرار فى القلوب ، فإن وجود العقيدة يستلزم وجود آثارها ومظاهرها ، فلا تنفك عنها إلا بمقدار ضعفها أو فقدانها ، فالعمل هو الميزان الصحيح لقوة العقائد أو ضعفها .

وأما المقصد الثانى : وهو إصلاح الأخلاق ، فيرجع فى جملته إلى تنمية غرائز الخير وأصول الفضائل فى النفوس ، وترويضها على مكارم الأخلاق ومحامد الصفات ، وذلك بالترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والتوجيه والإرشاد ، وشرع بعض العبادات التى تزكى النفوس وتهذب الأخلاق ، وتملأ القلوب بمحبة الله وخشيته ، ومراقبة جلاله وعظمته ، والخوف من بطشه وانتقامه ، والرجاء فى فضله وإحسانه ، وقد روعى فى شرع هذه العبادات ، أن تكون بالكيفيات التى تتمشى فى تأثيرها وانفعال النفوس بها ، مع الصفات النفسية والخلقية للأمم التى شرعت لها ، وهذا المقصد من مقاصد الإصلاح الدينى ، هو الذى يحقق فى الإنسان معنى الإنسانية الكاملة ، ويعده للقيام بأعباء الخلافة التى خلق لأجلها ، فإن الأخلاق القويمة الكريمة ، هى الأساس الأول فى بناء المجتمعات الصالحة ، التى تتمثل فى مظاهرها الحياة الكريمة الفاضلة .

وأما المقصد الثالث : وهو إصلاح الأعمال ، فيرجع فى جملته إلى تنظيم الحياة العملية للأفراد والجماعات ، والسير بها على النهج الذى يجلب الخير والسعادة للسائرين ، وذلك بوضع أصول السير وقواعد السلوك ، التى يستطيع المخاطبون بها ، أن يقيموا عليها حياتهم الدينية والاجتماعية ، وتفصيل ما يتعاصى من مناهج السلوك على عقولهم ، ولا يستطيعون الاهتداء إليه على سبيل الاستقلال والابتكار ، وأما الشئون الدنيوية التى لا تتعاصى على عقولهم وأفهامهم ، فقد وكلها الله إليهم بعد أن أرشدهم إلى أبواب الوصول إليها ، وحثهم على طلبها والبحث عنها ، والتصرف على مقدار الحاجة إليها ، وكيفية الانتفاع بها ، وطالبهم فى ذلك كله بالتزام القصد والاعتدال ، وحسن النية وسلامة الاعتقاد ، وهذا المقصد من مقاصد الإصلاح الدينى ، هو المحقق لمعنى استخلاف الإنسان فى الأرض ، فإن العمل للدين والدنيا هو سر الخلافة الأرضية ، وهو الثمرة العملية لإصلاح العقائد والأخلاق ، وهو سبيل السعادة فى الدنيا والآخرة .

هذه هى المقاصد الإصلاحية التى قامت عليها دعوة الأنبياء والرسل ، واتفقت عليها

جميع الشرائع والأديان، وهى الدين القيم الذى رضيه الله دينا لعباده فى كل زمان ومكان، وربط به السعادة فى المعاش وفى المعاد ، كما قال جل شأنه : « والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ١٠٣ : ١ - ٣ » ، فدين الله فى الأولين والآخرين ، وعلى ألسنة جميع النبيين والمرسلين ، دين واحد لا تختلف أصوله ومقاصده ، وإنما تختلف شرائعه ومناهجه ، تبعا لاختلاف الأمم فى أطوارها وأحوالها ، ولقد قرر القرآن هاتين الحقيقتين فى آيات كثيرة ، فقال تعالى فى بيان الحقيقة الأولى : « إن الدين عند الله الإسلام ، ٣ : ١٩ » ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ، ٣ : ٨٥ » ، « قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا ، ٦ : ١٦١ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تدل دلالة واضحة جلية ، على أن دين الله فى الأولين والآخرين واحد فى أصوله ومقاصده .

وقال تعالى فى بيان الحقيقة الثانية : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، ٥ : ٤٨ » أى لكل أمة منكم جعلنا شريعة أوجبنا عليهم أن يقيموا أحكامها ، وطريقا واضح المعالم فرضنا عليهم أن يسلكوا معالمه ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، أى ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد ، ولكنه لم يشأ ذلك ، بل جعلكم أمما مختلفة ، وجعل لكل أمة شرعة ومنهاجا ليختبركم فيما أعطاكم من الشرائع والمناهج ، فهذه الشرائع والمناهج العملية المختلفة ، هى مظاهر التفاوت بين شرائع الأنبياء والرسل ، وهذا التفاوت راجع كما قلنا ، إلى اختلاف أطوار الأمم فى حياتها الفكرية والاجتماعية ، وتفاوت أحوال السائرين فى مراحل السير المختلفة ، فكان لكل مرحلة من هذه المراحل منهاج تشريعى خاص ، يتمشى مع مطالب السائرين واستعدادهم ، وتطور عقولهم وأفكارهم ، لأن الإنسان بمقتضى سنة التدرج التى فطر عليها،لم يكن مستعدا للعمل بشريعة واحدة فى جميع أجياله وأطواره فاقتضت حكمة التشريع السماوى ، أن يكون جاريا مع الإنسان على سنة التدرج فى تكاليفه ، ومسايرا لأطوار حياته الفكرية والاجتماعية فى مناهجه ، وهكذا تمشت الشرائع السماوية فى أحكامها ومناهجها ، مع أطوار الأمم فى تعقلها وتفكيرها ، وبداوتها وحضارتها .

فكان التشريع فى أول نشأة الإنسان ووجوده ، قاصرا على بعض إرشادات

وتوجيهات تلائم حالة المخاطبين ، وتتقرر فى أذهانهم لقلتها وسهولتها، ولا تحتاج لتدوين ولا إلى إنزال كتب سماوية ، فكان الرسول فى بداية التشريع السماوى، يباشر بنفسه تبليغ هذه التوجيهات إلى قومه، ويتعهدهم بالموعظة الحسنة والتربية العملية، ويرعاهم كما يرعى الوالد شئون أبنائه وحفدته ، وهم على كثب منه لقلة عددهم وتقارب مساكنهم ، فلما كثر العدد واتسع نطاق العمران فى الأرض ، وتعددت الشعوب والأمم ، وتباعدت الأقطار والأمصار ، واختلفت الأنظار والاتجاهات .

اقتضى التشريع الإلهى الحكيم ، أن تدون الشرائع فى صحف وكتب منزلة ، يقوم بتبليغها وتبيينها النبيون ، ويتدارسها الحواريون والربانيون ، ويتوارثها الأحبار والعلماء فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل عليهم الصحف والكتب ، على النهج الذى يتمشى مع استعداد الأمم ، ويفى باصلاح أحوالهم وعلاج أدوائهم ، وتنظيم شئون دينهم ودنياهم ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ٢ : ٢١٣ » .

وجاءت توجيهات العقول إلى دلائل التوحيد والتنزيه ، واستظهار آيات الله الكونية والتشريعية ، على قدر استعداد العقل البشرى لإدراكها وفهمها ، وتمشت مع أطوار رقيه فى بساطتها ودقتها ، فان النوع الإنسانى ، لم يخلق على درجة واحدة من الفكر النظر ، والعلم والفهم ، من أول نشأته ومهده بالوجود ، إلى أن يبلغ منتهى ما قدر له فى الأرض من بقاء ووجود ، وإنما جرى فى كماله العقلى والفكرى ، على سنة التدرج والترقى ، وإلى هذه الحقيقة التى قررناها ، يشير قوله صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء ، أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

ووضعت مناهج الأخلاق وتربية الملكات الفاضلة ، على قدر استعداد المخاطبين لمراتب الكمال البشرى ، وحاجتهم إلى الإصلاح الخلقى ، فان هذا الكمال الذى قدر للنوع الإنسانى أن يبلغه ، لا يمكن أن يتحقق له فى طور واحد من أطوار حياته ، وإنما يتحقق له على سبيل التدرج والترقى ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، والأمراض الخلقية التى تحتاج إلى وقاية أو علاج ، لم تحدث

كلها فى محيط المجتمع البشرى فى وقت واحد ، وإنما كانت تحدث شيئا فشيئا ، تبعا لحدوث أسبابها وعللها المتجددة ، فان الانسان وإن كان بمقتضى فطرته جامعا لأصول الغرائز والأخلاق ، إلا أن عوامل الحياة وأحداثها المتجددة ، هى التى تظهر كوامن الغرائز وخفايا الأخلاق ، وتكشف عن مكنون الميول والأهواء ، والشرائع السماوية إنما جاءت للاصلاح والإرشاد ، والوقاية والعلاج .

والعلاج إنما يكون للأمراض الخلقية التى حدثت ، أو التى يتوقع حدوثها لوجود أسبابها وعللها ، فلم يكن من المعقول وهذه طبيعة العلاج والوقاية ، أن تعنى الشرائع السماوية ، بوضع القوانين العلاجية والوقائية ، لأمراض خلقية لم تحدث فى محيط المخاطبين بها ، ولا ظهرت بينهم أسبابها وعللها ، ولهذا وضعت مناهج الأخلاق فى كل شريعة من الشرائع ، على قدر حاجة المخاطبين إلى الإصلاح والعلاج كما قلنا .

ووضعت مناهج العبادات على صور تختلف باختلاف الأمم التى شرعت لها ، وتتمشى فى يسرها وشدتها ، مع رقة عواطفها أو شدة طباعها ، وإن كانت أصول هذه العبادات متحدة فى الشرائع السابقة واللاحقة ، كما يدل لذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، ٢ : ١٨٣ » « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ، ١٩ : ٥٤ – ٥٥ » « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ٢٢ : ٢٦ – ٢٧ » فالصلاة والصوم والزكاة والحج ، كانت مشروعة فى الشرائع السابقة ، كما هى مشروعة فى شريعة الإسلام ، وإنما تختلف فى صورها وكيفياتها ، ومقاديرها وأوقات أدائها ، تبعا لاختلاف الأمم فى استعدادها ونفسياتها ، ومدى انفعالها وتأثرها بهذه الصور والكيفيات لأن العوامل الروحية التى تحرك أوتار القلوب ، وتثير كوامن الأحاسيس والمشاعر ، تختلف فى تأثيرها باختلاف الصور والكيفيات ، والأمزجة والنفسيات .

ولهذا تمشت التكاليف الشرعية فى صورها وكيفياتها ، وفى يسرها وشدتها ، مع تفاوت الأمم فى أمزجتها ونفسياتها ، ورقة عواطفها وشدة طباعها ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى

التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ٧ : ١٥٧ ؛ أى الأحكام الشديدة التي كانت مفروضة عليهم في شرائعهم ، والتي تلائم شدة طباعهم وتمردهم على تعاليم أنبيائهم .

ووضعت أنظمة المعاملات بين الأفراد والجماعات ، على المناهج التي تتمشى مع تطور المجتمع الإنسانى ، في حياته الفكرية والاجتماعية وتفي بحاجاته في بداوته وحضارته ، فإن هذا التطور كان في كل مرحلة من مراحله ، يحدث أنواعا من المعاملات والصلات ، لم تكن موجودة في المرحلة التي قبلها ، فلكل طور من أطوار حياة الشعوب والأمم ، كان له طابع خاص في المعاملات والصلات ، والميول والاتجاهات ، فاقتضت سنة التدرج في التشريع السماوى ، أن تكون هذه الأنظمة متمشية في أصولها ومناهجها ، مع الأطوار المختلفة لحياة الشعوب والأمم ، ومن هنا يتضح لنا جليا أن التشريع السماوى ، سار مع النوع الإنسانى ، على سنة التدرج والتطور ، وأن هذا التطور لم يكن في العقائد والأصول والمقاصد ، لأنها حقائق ثابتة ، لا تتغير ولا تتبدل ، ولا تجرى عليها سنن التدرج والتطور ، وإنما كان التدرج والتطور ، في طريقة تبليغ هذه الأصول والعقائد ، وفي كيفية الاستدلال عليها وتقريرها في الأذهان ، وفي التكاليف العملية والمناهج الإصلاحية ، على النحو الذى يفى بحاجة المخاطبين إلى الإصلاح وتزكية النفوس ، وتنمية روح العبودية لله في القلوب ، وأن الشرائع السماوية وإن اتفقت كلها في المبدأ والغاية ، وفي كونها هدى ونورا للسائرين ، إلا أنها تختلف في مناهج الهداية والإرشاد ، وطرائق الإصلاح والعلاج ، تبعا لاختلاف الأمم في الاستعداد الفطرى ، والاتجاه النفسى والفكرى ، والسلوك الخلقى والاجتماعى .

وهكذا تدرج التشريع السماوى مع النوع الإنسانى ، وسايره في أطواره حتى بلغ طور الكمال والرشد ، واستعد لمرحلة تشريعية عامة ، وقيادة دينية واحدة ، يتولى زمامها رسول واحد ، وقد شاءت إرادة الله جل جلاله وعظمت نعماؤه ، أن يعقد لواء هذه القيادة العامة والرسالة الخالدة ، لبشير الرحمة ونبى الإسلام ورسول السلام ، محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وإلى الحديث التالى إن شاء الله .

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

مصادر الشريعة الاسلامية

المصالح المرسلة — « تعريفها »

— ١٢ —

٣ — ان المقصود من التشريع جلب المصالح ودفع المفاسد والمضار عن الخلق ، ولاريب فى أن مصالح الناس تتجدد بتجدد الزمان ، وتختلف باختلاف البيئات ، ولاسبيل إلى حصرها فى عـدد معين . فاذا لم تعتبر المصالح المتجددة ، ولم تشرع لهـا الأحكام المناسبة ، ووقفنا عند المصالح التى قام الدليل على رعايتها لضاع على النـاس كثير من مصالحهم ووقف التشريع عن مسايرة تطورات الحيـاة ، وهـذا لا يتفق وما قصد بالتشريع من تحقيق مصالح الناس ، ودرء المفاسد عنهم ، ولا يتلاءم مع ما هو مقرر من أن هذه الشريعة شريعة الخلود والبقاء .

واستدل المنكرون لحجية المصالح المرسلة بمـا يأتى :

أولا : أن الشارع الحـكيم ألغى بعض المصالح ، واعتبر بعضها ، والمصالح المرسلة مترددة بين ما ألغـاه الشارع منها وبين ما اعتبره ، تحتمل أن تـكون من المصـالح التى ألغاها الشارع ، وتحتمل أن تـكون من المصالح التى اعتبرها ، ومع هذا الاحتمال لا يصح الجزم ولا الظن باعتبارها وبنـاء الأحكام عليها ، وإلا كان ترجيحا بلا مرجح ، وهو لا يجوز والجواب عن هـذه الشبهة : أن القائلين بحجية المصالح المرسلة لا يدعون الجزم باعتبارها بل يقولون : إن الظاهر اعتبارها ، والظهور كاف فى الأحكام العملية .

وليس فى الحـكم بهذا الظهور ترجيح من غير مرجح لأن ما ألغاه الشارع من المصالح قليل بالنسبة لمـا اعتبره منها . فـاذا كان هنـاك مصلحة لم يقم الدليـل على اعتبارها أو إلغائها كان الظاهر إلحاقها بالـكثير الغالب دون القليل النادر .

على أن ما ألغاه الشارع من المصالح لم يلغه لأنه مصلحة ، بل لمـا يترتب على اعتبارها

من المفاسد التى تساويها أو ترجح عليها ، وهـذا غير متحقق فى المصالح المتنازع فيها .
لأن جانب المصلحة فيها راجح على جانب المفسدة . كما هو فرض الكلام فلا يصح إلحاقها
بالمصالح التى ألغاها الشارع .

ثانيا : أن الاعتداد بالمصالح المرسلة فى تشريع الأحكام طريق لذوى الأهواء ،
ومن ليس أهلا للاجتهاد ينفذون منه إلى التصرف فى أحكام الشريعة وبنائها على مايوافق
أهواءهم ومصالحهم الخاصة ، وفى هذا إهدار للشريعة وخروج عن قيودها ، وهو لايجوز .

والجواب عن هذه الشبهة سهل إذا عرفنا أن شرط الأخذ بالمصالح ألا يرد فيها دليل
شرعى معين يدل على اعتبارها أو إلغائها . فان هـذا الشرط يخرجها عن أن تكون فى
متناول العلماء الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد . فضلا عن غيرهم من العوام أوذوى
الأهواء . إذ لا يدرى أن هذه المصلحة لم يرد فى اعتبارها أو إلغائها دليل شرعى إلا من
كان أهلا للاستنباط . فليس كل ما يبـدو للعقل أنه مصلحة يدخـل فى قبيل المصالح
المرسلة ، وتبنى عليه الأحكام ، وإنما هى المصالح التى يدركها من هو أهـل لتعرف
الأحكام الشرعية من مصادرها . حتى يمكن الوثوق بأنه لم يرد فى الشريعة دليل يدل على
اعتبارها أو إلغائها .

ثالثا : أن العمل بالمصالح المرسلة يؤدى إلى اختلاف الأحكام باختـلاف الأزمان
والبيئات . فان المصالح ـ كما هو مشاهد ـ تتغير بتغير الأزمان وتتجدد بتجدد الأحوال ،
وهذا ينافى عموم الشريعة وصلاحيتها لـكل زمان ومكان .

وهذه شبهة أضعف مما سبقها لأن اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان وتبدلها
بتبدل المصالح معدود من محاسن الشريعة . وهـو من الطرق التى تجعلها صالحة لـكل
زمان ومكان .

وليس اختلاف الأحكام النـاشىء عن مراعاة المصالح المرسلة اختلافا فى أصـل
الخطـاب حتى يكون منافيا لعموم الشريعة بل هو اختلاف ناشئ عن التطبيق لأصل
عام دائم ، وهو أن المصلحة التى لم يرد دليل على اعتبارها أو إلغـائها يقضى فيها المجتهد
على قدر ما يراه فيها من صلاح ، فكأن الشارع يقول لمن أوتى العلم : إذا عرض لـكم

أمر فيه مصلحة ، ولم تجدوا فى الأدلة ما يدل على اعتبارها أو إلغائها فزنوا تلك المصلحة بعقولكم الراجحة فى فهم المقصود من التشريع ، وفصلوا لها حكما يوافقها .

هذه أدلة الفريقين وما يرد عليها من مناقشة ومنها يتبين بجلاء أن القول بحجية المصالح المرسلة هو القول الراجح الذى تشهد له الأدلة ، والذى جرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الاجتهاد فى العصور المختلفة ، وأن إنكار هذا الأصل مخالفة للأدلة القائمة على حجيته ، وفيه فتح باب للطعن على الشريعة ورميها بالجمود وعدم مسايرتها لتطورات الحياة .

وكيف يسوغ إنكار هذا الأصل وهو من أهم الأصول الشرعية ، والذى يمكن أن يأتى بثمر طيب إذا تناوله الراسخ فى علوم الشريعة البصير بتطبيق أصولها .

فمن طريق هذا الأصل يمكن لولاة الأمور فى الأمة الخبيرين بروح الشريعة ومبادئها العامة وقواعدها الأساسية أن يشرعوا لها الأحكام والقوانين التى تحقق مصلحتها وتلبى حاجاتها العارضة ومطالبها المتجددة إذا لم يجدوا لها دليلا خاصا من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس .

موازنة بين المصالح المرسلة والقياس

من يمعن النظر فى المصالح المرسلة والقياس يجد أنهما يتفقان فى أمرين :

أحدهما : أن العمل بهما إنما يكون فى الوقائع التى لا يوجد لها حكم خاص فى الكتاب أو السنة أو الإجماع .

وثانيهما : أن الحكم الثابت بهما مبنى على رعاية المصلحة التى يغلب على الظن أنها تصلح أن تكون مناطا وعلة لتشريع الحكم .

وأنهما يختلفان فى أمرين أيضا :

أحدهما : أن الوقائع التى يحكم فيها بالقياس لها نظير فى الكتاب أو السنة أو الإجماع يمكن أن تقاس عليه بواسطة المصلحة التى لأجلها شرع الحكم فى المنصوص أو المجمع عليه ، أما الوقائع التى يحكم فيها بالمصالح المرسلة فليس لها نظير تقاس عليه بل

يثبت الحكم فيها ابتداء بناء على ما يكون فيها من المعنى المناسب الذى يترتب على تشريع الحكم عليه تحقيق مصلحة أو دفع مفسدة .

وثانيهما : أن المصلحة التى بنى الحكم عليها فى القياس قام الدليل المعين على اعتبارها ، أما المصلحة التى بنى الحكم عليها فى المصالح المرسلة فلم يقم الدليل على اعتبارها أو إلغائها بل سكت الشارع عنها .

الفرق بين المصالح المرسلة والاستحسان :

يمكن أن يفرق بين المصالح المرسلة والاستحسان بأن الاستحسان يقتضى أن يكون للمسألة التى يحكم به فيها نظائر قد حكم فيها على خلاف ذلك ، أما المصالح المرسلة فليس لمحلها نظائر ثبت لها حكم على خلاف ما تقتضيه المصلحة فى ذلك المحل ، بل الحكم فيه ثابت بالمصلحة ابتداء .

وإلى هنا ينتهى الكلام على المصالح المرسلة ونتكلم بعدها بمشيئة الله ، على المصدر الرابع وهو الاستصحاب .

زكى الدين شعبان

الأستاذ المساعد بحقوق عين شمس

الوقف على مصالح المسلمين

فى كتاب (السياسة الشرعية) لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ص ١٤٨ :

« من اجتهادات عمر السياسية أنه كان يجعل غنائم الأرض وقفا على مصالح المسلمين ، ينتفع بثمراتها أولهم ، ولا يحرم منها من يجىء بعدهم . وفى ذلك ما أخرجه البخارى (فى كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر) . عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه قال : « لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسم النبى صلى الله عليه وسلم خيبر » . وهكذا فعل عمر بسواد العراق : « أبقاه وقفا على المصالح العامة ، وفرض فيه وظيفة الخراج » .

الفتح الاسلامى للمغرب العربى

نحب فى هذه اللمحة أن نحيط قراء مجلة الأزهر ببعض ما كان عليه الفتح الإسلامى فى بداية أمره للبلاد المغربية لمناسبة ما يجرى على الألسنة بشأن الأحداث الجسام التى غمرت بلاد المغرب وأخذت عليها المسارب وجعلتها للغاصبين نهبا مقسما .

ولمناسبة تلك النهضات والحفزات التى يقوم بها إخواننا المغاربة فى مناجزة الدولتين الغاصبتين فرنسا وأسبانيا ، وذلك الذى خلق شعورا فياضا عدائيا نحو الغربيين الذين استباحوا جزءا غير قليل من بلاد العرب فى أقطار المغرب العربى . والحق أن فتح العرب للمغرب قد حقق فى نهايته ما لم يستطعه خلال قرون طويلة الفينيقيون ولا القرطاجنيون . ولا حتى الرومانيون لأن العرب تمكنوا من إدخال المغاربة بسرعة فى حظيرة المسلمين ، وإدماجهم رويدا رويدا ، إلى حد امتزاج السلالتين واتحاد العنصرين . حتى أصبح من العسير تحقيق أصول القبائل فى كثير من المناحى .

فحوالى سنة ٦٣ هـ (٦٨٢ م) أى بعد مرور نصف قرن على وفاة الرسول الأعظم توغل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان بالجيوش الإسلامية داخل الأراضى المغربية وقضى على ما بقى من آثار دولة « بيزانس » التى استقرت للمرة الثانية فى المغرب . كما قضى على قبيلتى « كسيلة » و « الكاهنة » اللتين انبرتا للمقاومة . ولكن نجاح الفتح العربى لم يبلغ أشده إلا فى أوائل القرن الثامن الميلادى . بفضل حملة موسى بن نصير الذى يعتبر بحق الفاتح العربى المظفر للمغرب وفى سنة ٩١ هـ (٧٠٩م) كان المغرب قد ألحق سياسيا بامبراطورية الخلفاء الأمويين ، وبعد ذلك بأقل من عامين اجتاز جيش عرمرم كثيف تحت قيادة بربرى مسلم هو طارق بن زياد الطائر الصيت فى عالم الفتوحات المضيق ونزل أسفل الجبل الذى ما يزال إلى اليوم وبعده يحمل اسم هذا الفاتح العظيم وهو جبل طارق ، وكان البرابرة يؤلفون معظم الجيوش التى حاربت فى أسبانيا ووصلت إلى جنوب فرنسا سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) وهكذا أسهم المغرب العربى فى المعارك طوال مدة فتح أسبانيا أكثر من أى قطر إسلامى آخر .

وليس فى طوقنا أن ندرك سر هذه السرعة الخارقة التى تم بها الفتح واعتناق المغاربة للاسلام إلا فى مزايا هذا الدين الجديد ، وهو رمز الوحدة والتحرير والإخاء والمساواة والحرية فى أوسع معانيها المشروعة . فبقدر ما كان أثر روما بالمغرب أنانيا واهيا حيث

لم تكن تعنى إلا باستغلال خيرات البلاد والاستئثار بمواردها وصادراتها بقدر ما كان الإسلام كما يقول « المؤرخ تيربى » يتوامم تواؤما دقيقا مع مطامح شعب يهيم بالحرية ويهتف بها فى أعماق نفسه ، وذلك لما يتسم به هذا الدين السمح الحنيفى من طهارة فى روحه وبساطة فى معتقداته مع صداقة فى مبادئه وديمقراطية فى مرماه ومغزاه . بل يمكن القول بأن هناك تجانسا إلى حد ما بين النفسية البربرية وجوهر الإسلام، بلغ من العمق مبلغا وجد العرب بفضله فى المسلمين الأفارقة حماة لهذا الدين لا تلين لهم قناة، ولا تقرع لهم صفاة ، ويجب أن نضيف لهذه العوامل المختلفة أن سلطة الخلفاء الذين كانوا يشرفون من دمشق على المغرب لم تكن لتضايق المغاربة على ما يظهر ، فان الخلفاء لم يكونوا يطالبون بغير اعتناق الإسلام بحيث يصبح المغاربة بعد ذلك مساوين للعرب فى جميع الميادين ، وفى هذا تفسير لذلك الانقلاب العجيب الذى جعل مصير المغرب يرتبط بمصير الإسلام ارتباطا لا يقبل الانفصام فغدا المغرب والإسلام خلال التاريخ أخوين فى السراء والضراء ، وإن رسوخ قدم المغرب لم يصحبه أى اضطهاد لأقليات تدين بالمسيحية واليهودية بكامل الحرية .

وهكذا فان المغرب بعد أن دخل فى حضانة الإسلام تعاقبت عليه دول إسلامية عظمى . ومنها دولة الأدارسة ، فبينما كان صرح الإمبراطورية العربية يتقوض باستيلاء العباسيين على الخلافة إذا بدول أخرى تشيد لها بناء وترفع لها صرحا ، ففى أسبانيا انفصل المسلمون عن سلطة خليفة بغداد واجتمعوا حول الخليفة الأموى فى قرطبة ، وفى المغرب ازدوجت هذه الحركة الاستقلالية بحركة الخوارج الآتين من الشرق ، غير أن هذه الحركات حوربت بصلابة رغم تمكنها من تأسيس دولة « سجلماسة » وراء جبال الأطلس فلم تلبث دولة الأدارسة أن رفعت لواء السنة وأعادت للبلاد وحدتها .

نزل المولى إدريس ـ الذى نجا من اضطهاد الخليفة العباسى ـ فى طنجة عام ١٧٢ هـ (٧٨٨ م) ، واستقر قرب أطلال مدينة وليلى الرومانية ، وما لبث أن فتح لأنصاره ميادين جديدة للغزو وراء نهر أبى رقراق فى نواح لم تستطع قط التوغل فيها جيوش الرومان . وكان بها جماعات مسيحية ويهودية ووثنية اكتسحها بسهولة فدخلت فى حظيرة الإسلام .

فقلق الخليفة هارون الرشيد ووجم من هذا الانتصار الذى أحرزه المولى إدريس ، فدس له من يقتله عام ١٨٠ هـ (٨٩٣ م) وخلفه نجله المولى إدريس الثانى الذى ولد له من بربرية فأصبح أميرا غير منازع على المغرب أجمع وناحية تلمسان ، وكان أول ما اهتم به

وهو فى شبابه تأسيس عاصمة لمملكته وهكذا أسست مدينة فاس . التى استمدت حضارتها من قرطبة والقيروان وهما محط رحال المدنية الإسلامية فى المغرب . وقد ورد من هاتين العاصمتين مهاجرون للاستيطان بالمدينة المغربية الجديدة وعندما بنى جامع « القرويين » أضحت مدينة فاس فى ذلك المهد أم القرى فى المغرب يؤمها العلماء والأدباء فيستقبلون فيها بكل حفاوة وإكرام وظلت هذه الجامعة التى كانت يومئذ أقدم جامعة فى العالم خلال القرون التالية مركزا من أهم المراكز الدينية والفكرية فى العالم الاسلامى .

لهــذا فان الأدارسة هم أول من أدخل الحضارة الإسلامية على المغرب بتأسيسهم مدينة فاس .

وبتأسيسهم هــذه المدينة أضحت لهم المكانة السامية فى مختلف عصــور التاريخ فى بلاد المغرب .

فمن مدينة فاس أشع على البلاد قبس من نور الفكر الإسلامى مقرونا باللغة العربية وآدابها ومراميها وما يحيط بها من ثقافات ومذاهب . وقــد احتفظ الأولون من خلفاء المولى إدريس الثانى للمغرب بعظمته وجلاله إلى منتصف القرن الحادى عشر . لكن ما لبثت قواهم أن تداعت ووهت تبعا لما نشب بعــد ذلك من حروب داخلية أهلية طاحنة . كانت أفعل الأسباب فى انهيار قواهم وضياع تماسكهم ووحدتهم حتى أصبحوا مثلا فى الأولين وعبرة للآخرين .

« والدهر ذو دول بالناس ينتقل » .

غــير أن المسلمين كانوا مستمسكين بالعروة الوثقى ، وكانوا على أشدهم من التفقه فى دينهم والإحاطة بشعائرهم والغيرة المتأججة على قوميتهم ، ولم يكونوا يقدرون فى حسابهم أن الأيام ستقف لهم عقبة كأداء ، فيتحالف عليهم الأجنبى وتجتمع عليهم دولتا البغى والعــدوان والكبت والحرمان ، فرنسا وأسبانيا تظاهرهما الدول المسيحية الأخرى ، واتفاقية مراكش سنة ١٩٠٤م شاهد عدل على أن دول الاستعمار تنتهز كل فرصة للايقاع بالمسلمين وصدق شوقى حين يقول :

كأن النحس حين جرى عليهم أطــار بكل مملكة غرابا

غير أن يوم الخــلاص قريب إن شاء الله . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » وصدق الله ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ ... ١٠

عباس طه
المحامى

من تاريخ المسلمين فى الهند :

ثورة الهند الدامية على الانجليز

سنة ١٨٥٧ م

— ٣ —

تحدثت فى المقال الماضى عن بعض أسباب الثورة وعن سياسة الانجليز فى إفقار الشعب حتى يقلموا أظفاره . وهم وإن كانوا قد نجحوا فى سياستهم هـذه إلا أن نجاحهم كان من الأسباب التى دفعت بالشعب إلى الثورة عليهم .

وبجانب هذا البؤس الذى كان الناس يعانونه ـ وربما أمكن لهم أحيانا الصبر عليه ـ كانو يحسون شيئا آخر يوجعهم ويطعن فى نفوسهم أعز شىء لديهم ، وهو دينهم وعقيدتهم لقد تلفتوا حولهم فوجـدوا الشركة الانجليزية تجلب معها المبشرين المسيحيين ، وتعينهم بشتى الوسائل على أهـدافهم ، وتوفر لهم كل الإمكانيات التى تساعدهم على تغيير عقيدة الشعب مسلمين وغير مسلمين .

ونحن نعرف من تاريخ الاستعمار ـ أو الاستخراب كما يجب أن نسميه نحن ـ أن هذه البعثات البشرية كانت دائما طلائع تمهـد له طريقه ، وتوطد أقدامه ومـكانته فى نفوس الشعب بالوسائل الظاهرية التى تلجأ إليها ، لابسة مسوح الإنسانية والشفقة والرحمـة لتخدع الناس وتجذب عواطفهم نحوها ونحو الغرب بصفة عامه ... !

وقد ربط الناس بين سياسة الحكومة فى إفقارهم وبين سياستها فى جذب الناس إلى المسيحية ، ففهموا أن سياسة الإفقار لها هدف آخر كذلك غير تقليم أظفارهم وتعجيزهم ، وهو تنصيرهم وإخراجهم عن دينهم ... وكان تصرف موظفى حكومة الشركة لايدع فى نفوس الناس مجالا لحسن الظن بهم ، بل كان يحمل الناس حملا على الارتياب فى مقاصد الانجليز السيئة نحو أديانهم ... ؟

ونحن نضع أمامك ماقررة سير سيد أحمد خان فى كتابه « أسباب الثورة » والسير سيد أحمد معروف فى التاريخ بميوله الانكليزية الصرفة فلا يمكن أن يكون متجنيا أو متحاملا على أصدقائه الإنجليز فيما يقرره عنهم فيقول [١] : —

«لقد تيقن أهل الهند أن الانجليز سينصّرونهم بعد إفلاسهم كما نصّروا اليتامى الذين فقدوا آباءهم فى مجاعة عام ١٨٣٧ . وكان القسيسون يتقاضون مرتباتهم من الشركة كما إن كبار الموظفين الانجليز كانوا يستغلون مراكزهم لتحسين المسيحية لصغار موظفيهم الهنود ، ويجمعونهم فى بيوتهم بالقسس محاولين التأثير عليهم وجذبهم للدين المسيحى ، ويأتون بالشبهات والشكوك ليزلزلوا عقائدهم ، وكان المبشرون يوزعون الكتب مجانا وهى محشوة بالطعن على أديان أهل الهند وزعمائهم الدينيين ، كما كانوا يذهبون إلى اجتماعات المسلمين والهندوس فى حماية البوليس ويأخذون فى تحقير عقائدهم دون مبالاة . والناس يسمعون هذا وتثور نفوسهم لكنهم يخشون سطوة البوليس .

وبجوار ذلك نشط المبشرون فى فتح المدارس بمعاونة حكومة الشركة فى مختلف البلاد ، وكانوا يدرسون فيها الإنجيل ويسألون الطلاب فى الاختبارات : من ربكم ؟ ومن ينجيكم ويفديكم ؟ ولا ينجح إلا الطالب الذى يجيب حسب عقائدهم ويمنحونه الجوائز . وكان هذا التصرف مما أثار ثائرة الشعب والمسلمين على الخصوص وعلى رأسهم ملكهم المغولى » .

ويقول مولانا فضل حق خيرآبادى وهو أحد العلماء المجاهدين الذين تزعموا هذه الثورة وذلك بأسلوبه العربى المسجوع عن أسباب « هذه الواقعة الفازعة القاقرة التى جعلت الأمراء فقراء صعاليك ، والملوك أسراء مماليك » : [٢]

---

[١] كتاب ماضى العلماء للغنى» لمولانا محمد ميان ص ١٧ ، ١٨ ملخصا عن كتاب « ثورة الهند » لسير سيد احمد .

[٢] فى كتابه « الثورة الهندية ص ٣٥٥ . وقد تزعم مولانا فضل حق ثورة الشعب مع غيره وأصدر فتوى بوجوب الجهاد وأعلنها فى المسجد الجامع فى « دهلى » بعد أن أخذ عليها توقيعات كبار العلماء والمفتين . وبعد انهزام الثورة فى دهلى خرج مع أهله إلى موطنه وظل هناك حتى قبضوا عليه سنة ١٨٥٩ وحاكموه فى « لكهنو » بتهمة معاونته الملك وإصداره فتوى بقتال الانجليز وقد أقر بالفتوى وقال لازلت متمسكا بها . وكان القاضى يعرفه ويجله ويحاول أن يلقنه إنكار التهمة الموجهة إليه ولكنه أبى . فصدر الحكم عليه بالنفى للؤبد فى جزائر « أندمان » فى جنوب خليج بنغال وذاق من العذاب هناك حتى توفى فى ١٢ صفر ١٢٧٨ هـ ١٨٦١ م وكانت وفاته فى اليوم الذى وصل فيه ابنه يحمل نتائج سعيه بالافراج عنه . فلم يقدر له أن يراه حيا وإن كان قد اشترك فى تشييع جنازته ودفنه هناك . عليه رحمة الله . ا هـ من كتاب « تاريخ حياة » لمولانا مدنى شيخ الاسلام أمد الله فى حياته . . ا

«من قصتها أن النصارى البراطنة شحنوا صدورهم بالشحناء الباطنة، بعد ما تسلطوا على ممالك الهند وأقطارها، وقراها وأمصارها، هموا بأن ينصروا كلا من سكانها وقطانها تنصيرا، ظنا بأن هؤلاء الضعفاء لا يجدون وليا ولا نصيرا، ليصير الناس كلهم كتلهم لتخيلهم أن اختلاف الأديان والملل، من أقوى العلل. فبنوا لتعليم الأطفال والأغفال وتلقينهم كتب لسانهم ودينهم فى القرى والبلاد مدارس، وصيروا معالم العلوم والمدارس التى بنيت فى العهود السوالف دوارس... الخ».

ويقول فى ذلك الموضوع أيضا من قصيدته الطويلة التى نظمها أيضا فى منفاه يصور بها حال الهند قبيل الثورة، متحدثا عن ملكة انجلترا: —

همت بتنصيرهم قبلا وهم شيع   من مسلمين ومن عباد أبداد

«والأبداد» جمع بده ويطلق على الأصنام التى يعبدها الهندوس.

* * *

ولقد كان عمل الانجليز فى هذا تابعا لخطة مرسومة ربما لفوها فى ستائر مختلفة الألوان لتأتى بثمرتها المرجوة — وقد رأينا مثل هذا قريبا فى جنوب السودان حين سيطرة الانجليز عليه — وإذا كنا قد تعودنا من الانجليز وغيرهم من المستعمرين أن يحاولوا ستر هذه الأعمال لخداع الشعوب، فان الشعوب دائما كذلك تتفطن سريعا وتدرك النيات المستورة لهؤلاء وتقطع عليهم الطريق ... ومع ذلك نجد من أقوال الرسميين الانجليز ما يثبت عليهم خبثهم ونيتهم السيئة نحو أديان الهند وسعيهم الحثيث للقضاء عليها. فقد وقف أحد أعضاء البرلمان الانجليزى سنة ١٨٥٧ بعد الانتصار على الثوار وقال فى صراحة مكشوفة: «الحمد لله الذى أرانا هذا اليوم الذى أصبحت فيه الهند تحت سيطرة انجلترا وأمكن أن يرفرف علم المسيح عليها، وعلينا أن نجمع قوانا ونبذل جهدنا فى تنصير شعب الهند ولا نترك الكسل يستولى علينا» [١].

وهذا كلام صريح يعبر عن روح الشركة الانجليزية فى الهند وعملها تجاه الأديان، أما أثر ذلك فى النفوس فيحسه كل قارئ من نفسه حين يتصور أن عدوه الذى سلبه قوته وأمنه تمتد يده كذلك لتجرده من أعز شيء لديه وهو دينه وعقيدته، وذلك

[١] من تاريخ الماضى للشيخ العلماء فى الهند ص ٣٦ نقلا من كتاب «الحكومة الاختيارية» ٩٦٢.

بأساليب لا تمت إلى الشرف والإنسانيـة بسبب ... إن الحمل الوادع لينقلب فى هذه الحالة أسدا هصورا .

• • •

ويمـكن أن نضيف لما سبق من الأسباب هـذا الحدث الذى قابله الأهالى بفزع وخوف من المستقبل الذى تبدو فيـه الشركة مسيطرة على كل شىء وذلك حين قبض « اللورد دلهوزى » على « واجد على شاه » ملك مملـكة « أوده » التى كانت عاصمتها « لـكهنو » وضم مملـكته إلى حكم الشركة سـنة ١٨٥٦ ، وكذلك إلغاؤه لـكثير من الألقاب والمرتبات التى كان يتمتع بها بقايا ملوك الولايات التى ضمت للشركة من قبل ، وأكثر من هذا أثرا فى نفوس الناس حين وجه « اللورد كيننج » إنذارا إلى « بهادر شاه » الملك المغولى المسلم القابع فى قلعته مجردا عن السلطان : بأنه سيكون آخر من يتمتع باللقب والمزايا وسكنى القلعة ، وأنها أى القلعة ستتحول إلى ثكنة عسكرية للجنود الانجليزية .

وقـد كانت مهوى الأفئدة ومحط الرحال ، وطالما حفلت بأمجاد الملوك وشرفت بسكناهم . ولا تسل عن هذا الخبر فى النفوس ولا سيا فى نفوس المسلمين الذين سيطروا على الهند أكثر من ثمانية قرون ... لقد أحسوا أن الشمس التى أشرقت على الهند حين دخلها محمود الغزنوى سنة ١٠٠١ م والتى شهدها آباؤهم منـذ قرون كتب عليهم حظهم التعس أن يشاهدوا مغيبها .. وهو مغيب لا يؤملون معه شروقا .. فأى غم وحزن أصاب النفوس؟! وأية شرارة مستها لتهب من رقادها وتحمى ذمارها ؟ .. ! إنه ملك إسلامى عتيد يهوى .. وكان المسلمون ــ على أى حال ومهما ضعف ملـكهم ــ يرون فيه رمزا لعزهم وحكمهم ويؤملون أن يأتى ملك يعيـد الروح إلى الجسد الخـامد ويسترد عظمة آبائه وأجداده .. ولـكن ــ وقد جاء الإنذار بإزالة آخر لافتة من حكم المسلمين وهى التى كانت باقية لهم يتعلقون بأهدابها ــ فما أفدح الخطب ... !

ولئن كانت هـذه روحا تساور المسلمين وتنفعل بهـا نفوسهم لقد كان أبناء الهند من أهل الأديان الأخرى يرون فى الملك المغولى المسلم ملكا وطنيا شعبيا يحكم الشعب للشعب حتى رأيناهم بمختلف طبقاتهم يلتفون حول الملك . حتى « المراهتا » الذين طالما حاربوا ملك دهلى وحاربهم أحسوا بأن الشعار الوطنى للهند كلها تمتد إليه يد أجنبية عن الهنـد جاءت من بعيد ــ من الجزر البريطانية ــ لتزيله ، وتقبض على أعناقهم ، فالتفوا حوله وأعلنوا خضوعهم له ، ومقاومتهم للانجليز تحت رايته .

وهكذا تجمعت الجهود المبعثرة فى ساحة القلعة تشخص بأبصارها نحو الملك على رغم ضعفه وشيخوخته . واجتمعت كبار الشخصيات المتحمسة تعد للثورة وتهيئ لها ، لكن الأمور سارت بسرعة ، والحوادث تعاقبت فى عجل ، وبلغ استهتار الانجليز حدا فقد الناس معه الصبر ، فأخذت الثورة تندلع هنا وهناك بدون ترتيب .

اندلعت الثورة فى « بنغال » بقيادة أحد الهندوس فى مارس سنة ١٨٥٧ ، قبل أن تتهيأ الأماكن الأخرى فتمكن الانجليز من إخمادها فى سرعة وقوة ، وفى الأيام التى نفذوا فيها حكم الإعدام على قائد ثورة البنغال كانت الشرارة قد انبعثت من مكان آخر . فكانت إيذانا بفتح كتاب ضخم فى تاريخ الهند والمسلمين على الأخص سجل فيه الشعب الهندى ولا سيما المسلمون منهم صفحات بيضاء من آيات البطولة والكفاح والتضحية ، وسجل الانجليز فى الجانب الآخر منه صفحات سوداء من الخزى والعار . مما سنتحدث عنه فى المقالات الآتية إن شاء الله »

عبد المنعم النمر

ديو بند — مبعوث الأزهر والمؤتمر الإسلامى فى الهند

الرافعى أديب الاسلام

فى مساء الإثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م) أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفل كبير ضمن « أحاديث الإثنين » للحديث عن شخصية أديب العصر السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله، وقد افتتح الحفل الأستاذ أحمد الشرباصى بكلمة عن « الرافعى أديب الإسلام » أبان فيها كيف عاش الرافعى مدافعا عن الإسلام كاشفا لأسراره، ثم تحدث الأستاذ محمد سعيد العريان عن كيفية معرفته للرافعى ، وكيف كان نسيج وحده فى لغته وبيانه، ثم تحدث الأستاذ محمود أبو رية عن الرافعى فى رسائله ، وكيف تضمنت هذه الرسائل كثيرا من شئون الإسلام والأدب واللغة، ثم ألقى الدكتور حامد الغوابى كلمة عن مطالعاته فى أدب الرافعى ، مستشهدا بنماذج من كتابات الرافعى ذات وقع بليغ ، ثم تحدث الأستاذ طاهر الطناحى عن ذكريات الرافعى ، فأطلع السامعين على كثير من هذه الذكريات الرافعية التى لم تنشر ولم تعرف من قبل ، وكان لهذه الذكريات تأثير عميق فى نفوس الحاضرين ، ثم ختم الحفل بقصيدة للأستاذ هاشم الرفاعى حيا بها شخصية الرافعى وأدبه الإسلامى الرفيع ، وقد أعلن رائد الجمعية أنهم سيحتفلون بالرافعى فى كل عام بمشيئة الله .

انتصرنا على الخوف . . . !

بين وساوس الهلع ، وهواجس الفزع عاش العرب أحقابا تهصرهم عوانى الأحداث وتمصرهم طواغى الشدائد ، وتستبد بهم نوازع الوجل كلما قطب غاصب ، أو كشر طالب ، أو غضب دخيل ، أو سخط نزيل . حتى صاحت الصيحة فانطلقوا مع أنفاسها عمالقة كأنما تفرع رءوسهم مدارات الكواكب ، وتهز أبراج الشهب الثواقب ، وصرخوا فى طواويس البشرية صرخة شوى خيلاءهم لظاها وأطار صوابهم صداها : تحررنا من الخنوع وانتصرنا على الخوف . . . !

لقد صنعت سياسة الاستعمار من بعض الملوك أشباه أرباب ، وسيقت إليهم نفوس المستذلين قرابين تستحل دماؤها وتستباح أرواحها ، ونصبت سياسة الاستعمار حول هؤلاء الملوك سياجا يستمد قوته من سلطان المستعمر ، ويحمى سيادته الجوفاء حديد المستعمر وناره ، وجعلت سياسة الاستعمار تصور هؤلاء الملوك معابد نسجت لها من الرهبة الزائفة قدسية ، وساقت إليها الشعوب تمسح بالأعتاب ، وطالما تمسح بأعتاب المستعمر صاحب الأعتاب حتى دوى النفير وصاح النذير : لا استعمار ، ولا صنيعة بيننا للاستعمار . تحررنا من التضليل ، وانتصرنا على الخوف . . . !

وأراد المستعمر أن تكون جيوشنا أشبه ما تكون ببيادق (الشطرنج) ، حركتها وسكونها رهن بإرادة اللاعبين .

وأراد كذلك أن تكون أسلحتها مما لفظته متاحفه لا مما تحدث مصانعه ، أسلحة تخيف الضارب وتضحك المضروب بل تهلك الرامى قبل أن تحمل الموت إلى المرمى ، أسلحة ليست من الخشب ولكن الخشب فى يد المحارب المستميت أشد منها نتكا ، وفى انبعاث العزائم أقسى منها وأنكى .

ثم أردنا أن تكون لنا جيوش تريد وتفعل ما تريد بل تعصف بمن يقيد إرادتها أو يكبل يوم الزحف عزتها فتجهموا ولووا رءوسهم .

وأردنا أن يكون لنا سلاح يحمى حمى العرب ويخيف الغاصب ويخشاه الطالب ، فغلقوا فى وجوهنا أبواب المصانع ، وحسبوا أننا لن نجرؤ على طلب السلاح ممن نريد ومن حيث نريد ، وحسبوا أنهم ضربوا حولنا سورا من الرهبة فلا نستطيع أن نمد إلى غيرهم يدا ، بل إليهم وحدهم نمد اليد ، بل اليد الضارعة ، ولكن أسقط فى يدهم حين رأوا السلاح الروسى يتدفق من البحر والجو فتمتلئ أرض العرب وصحراء العرب وأجواء العرب ومياه العرب بما يدرون وبما لا يدرون من السلاح ، وانطلقت الثورات العربية فى سلاحها الجديد من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد وهى تهتف : حطمنا الأسوار ، وانتصرنا على الخوف . . . !

وجن جنون المستعمر حينما ارتطم بالعزائم العربية وعيده ، وتناثر أمام صلابتها تهديده ، فألقى بجحافله من الجو والبحر ليرد إلى سجونه المنطلقين ، ويعيد إلى قيوده المتحررين . ولكن دهمته الحقائق الرهيبة ، حقائق العروبة المؤمنة التى تسخر إيمانها من القيود ، حقائق النفوس المنبعثة من أعماق الماضى المجيد ، لتكتب أنضر الصفحات لحاضرها الجديد . . . !

حقائق الوعى المتجاوب الذى ربط آفاق العروبة بجعلها جميعا شواظا تلتهم ألسنته حافة المعتدين . حقائق البعث الجبار الذى يسخر من الحديد والنار .

لقد اصطدم المستعمر بكل هذه الحقائق الزاحفة ، فجمع ما بقى له من جنود وعاد وهو كسير ، ولم تزل ترن فى أذنه صيحة الأحرار حققنا للعروبة وعدنا وانتصرنا على الخوف . . . !

ثم أعلن المستعمر الحرب الاقتصادية ليصبح العرب نهبا للجوع والحرمان أو ليذهبوا ضحايا الخوف من الجوع والحرمان ، أعلنها فى إصرار ، ثم لوح بالدولار ، ليذل به أنفة العرب وليجرح به عزة العرب ، ولكن العرب الذين نبضت عروقهم بدماء العزة لن يخدعهم لين العيش فيذلوا له ، ولن يبيعوا حريتهم وكرامتهم بمظهر كله زيف ، أو جاه كله زور . . . !

وهكذا علم المستعمر ما كان ينكر ، علم أنه أمام أمة عربية لا يخيفها الجوع ولا يذلها الحرمان .

وعلم أن الذهب الذى داسته أقدام الأجداد فى إيوان كسرى وفى قصور قرطبة ، لن يستذل بريقه الأحفاد فى القاهرة ودمشق والرياض وصنعاء والجزائر وتونس وغيرها

من بلاد العرب . وعلم أن هزيمته فى الحرب الاقتصادية جنى هو شرها قبل أن يجنى العرب ضرها .

وعلم أخيرا أن النفوس الكبيرة أكبر من أن تستسلم للفزع أو تدين لخوف .

إن الخوف الذى عبأ المستعمر ألوانه لحرب العرب لم يبق له على الأحرار سلطان .

وإن الرعب الذى طالما سيطر على أرض العرب وأجوائهم وأمواههم قد جر أذيال الفشل أمام وثبات العزائم فى كل بلد عربى ومن كل جو عربى و فى كل مياه عربية .

فليفق الغرب من غروره ، وليعلم الرجعيون أن سياسة استعباد الشعوب واستغلال مواردها تحت ضغط الإرهاب والخوف سياسة لم يعد يؤمن بها أحرار العالم ، ولم يعد يستسلم لها الضعفاء .

وسيعلم الغرب أن صوت الحرية الذى دوى فى أرجاء العالم سيديل قواعد الظلم وسيقوض عروش الظالمين ويطيح بتيجان المستهترين .

وسيعلم الغرب كذلك أن بلاد العرب التى عاث فيها واستغل كل ما فيها ستنقض عزماتها صواعق تدمر كل ماله ، فلم يعد العرب يتحسسون مواطئ أقدامهم منذ انتصروا على الخوف ما

محمد محمد خليفة
المدرس بمعهد القاهرة

فلسطين هى سوريا الجنوبية

بعث الحاج أمين الحسينى - بصفته رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين - ببرقية إلى المسئولين فى مصر وسوريا قال فيها : إن الشعب الفلسطينى يؤيد بحرارة وحماسة القرار البرلمانى المشترك بشأن الاتحاد الفيدرالى بين مصر وسوريا . وإن الفلسطينيين يعتبرون بلادهم (سوريا الجنوبية) وأنها جزء لا يتجزأ من سوريا . وهم يطالبون باعتبار فلسطين بحدودها الطبيعية والسياسية فريقا فى هذا الاتحاد الفيدرالى ، كما يطالبون بالعمل لتقرير مستقبلها السياسى على هذا الأساس .

الاسلام والمسلمون فى صحف العالم :

وعى العـــــالم الاسلامى

أمام الاستعمار الغربى

كتبت جريدة « الكروريرا دلاسيرا » الإيطالية مقالا قالت فيه : لا جدال فى أن وعى العالم الإسلامى هو أحـد مظاهر العصر الذى نعيش فيـه ومن الواجب أن نحسب حساب هذا الوعى فى خلق توازن عالمى جديد ، يقوم على التعاون والسلام .

ثم قالت الجريدة الإيطالية : إن العالم الإسلامى يضم حوالى ٣٦٠ مليون نفس يؤمنون بتآخيهم وتراحمهم رغم اختلاف الجنسيات بينهم، ويقول الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه (فلسفة الثورة) : إنه عند ما يفكر فى هذه الملايين المتحدة فى عقيدة واحـدة يقوى إيمـانه بالإمكانيات الضخمة التى يمكن أن تتوالد عن تعـاون كافة المسلمين ، ثم انتهت الجريدة إلى إعلان الحقيقة التى لابد منها ، والتى يجب أن تتـدبرها دول الغرب فقالت : ولهذه القوى فى الشرق الأوسط آيات ومظاهر تشهد بأن الدول الغربية يجب عليها أن تقتنع آجلا أوعاجلا بأن عهد الاستعمار قد انقضى وأن التعاون السياسى والاقتصادى يستطيع أن يخلق توازنا جديدا ، يقوم على السلام بين العالم الإسلامى والعـالم الغربى ، وهذا هو السبيل الوحيد لـكبت الدعاية السوفييتية المـاكرة ، التى ترسم استعمارا لاحدود له خلال الوهم الشيوعى .

وهذا الذى قالته الجريدة الإيطالية صحيح إلا أنها نقصت من تعداد المسلمين حوالى مائة مليون معتمدة فى ذلك على تعداد قديم، إذ أن تعداد المسلمين اليوم يزيد على ٤٥٠ مليون مسلم فى بقاع الأرض [١] ، وثانيا فان الصحيفة الإيطالية قد قرنت وعى العالم الإسلامى

---

(١) المجلة بل يزيد عدد المسلمين الآن من خمسمائة مليون .

بما ترسمه الدعاية الشيوعية ، وهـذا شأن جميع الصحف الأوروبية والأمريكية التى تتحدث عن أحوال المسلمين ، فانها لا تسوق الحديث فى هذا المجال دائما إلا من خلال الدعايات الغربية والشيوعية ، والمصالح المشتركة التى تتنازعها الدول القوية على حساب المسلمين ، وكل منها تريد أن يكون لها أكبر نصيب من هذه المصالح على حساب المسلمين وإنما الحقيقة التى يجب أن يدركها الغربيون والشيوعيون على السـواء هى : أن الوعى الإسلامى يسير فى طريقه مستقلا معتمدا على قواه الذاتية ، فلا تحركه دعاية غربية ولا دعاية شيوعية ، ولا يرضى لنفسه أن يكون أداة طيعة تمشى على أهواء أولئك المتنازعين على المصالح ، والمتصارعين على مناطق النفوذ .

يجب أن يعلم الغرب والشرق أن يقظة العالم الإسلامى يقظة تنبعث من وجدانه وضميره ، وأن هذا الوعى الذى يسود الشعوب الإسلامية ، إنما هو وعى ذاتى لا يستهدف إلا الخير للجميع ، وإلا السلام لجميع أبناء الأرض ، وإلا إقامة العدالة بين جميع الأمم والشعوب .

لأنها دعوة الإسلام التى تقوم على التآخى والتراحم والتعاون ، فاذا ما أراد الغرب أو الشرق أن يتعاون مع المسلمين على أساس هذه المبادئ ، فان يد المسلمين لا شك مبسوطة بهذا للعمل فى مختلف النواحى وشتى الميادين .

الإسلام والشيوعية :

فى مقال عن الشيوعية والإسلام قالت جريدة « الأمة » السودانية : « إن الشرق العربى يتعرض اليوم لأكبر حملة شيوعية ، فالشرق العربى يدين بالإسلام ، والإسلام وضع من الأسس الاجتماعية خير ما يمكن أن يصل إليه عقل بشرى ، وليس ثمة حاجة إلى جلب أية مبادئ أخرى لتحل مشكلاته ، بل إن المذهب الشيوعى أخطر المذاهب على الإسلام والمسلمين » .

وخلصت الجريدة من هذه المقدمة إلى الحديث عن الوضع فى السودان ، بالنسبة للشيوعية فقالت : « السودان بلد عربى مسلم ، له من التقاليد الإسلامية ما يزيده زهدا فى الشيوعية ، وليس فى السودان طبقات بين الشعب ، ولكن الشيوعيين على قلتهم فى السودان يحاولون إيجاد الفوارق ، وإثارة الطوائف بعضها ضد بعض ، ثم ناشدت الجريدة حكومة السودان أن تعمل على حماية الشعب وتقاليده من عبث أولئك الشيوعيين .

وقد تلقفت إذاعة « أنقره » هذه الكلمة فأذاعتها على العالم الإسلامى مناشدة المسلمين أن يفطنوا لوسائل الدعاية الشيوعية ، ولخطر الشيوعية على الإسلام قائلة : إن الشيوعية أكبر خطر فى التاريخ على الإسلام والمسلمين .

ويبدو أن الصحيفة السودانية هى الأخرى قد تناولت هذا الموضوع بدافع محلى حزبى وأنها قصدت من تناول الموضوع أن تلق على الحكومة تبعة من التبعات » . وعلى أية حال فان ما قالته الصحيفة السودانية صحيح ، فان المسلمين يجدون من مبادئ دينهم الاجتماعية والإنسانية ما يغنيهم عن الاتجاه إلى أية مبادئ خارجية ، وإن فى الإسلام من المبادئ ما يحقق العدالة والمساواة على خير ما تكون العدالة والمساواة ، ولكن يجب أن نحذر فان الدعايات المغرضة تحاول أن تجد لها مجالا ، لا تحقيقا لعدالة أو قصدا إلى مساواة كما يزعمون ، ولكن قصدا إلى غاية مفهومة هى : تحقيق مبادئها وتعاليمها ، ووسيلتها فى ذلك . إما منغص بطلب العيش أو جاهل لايدرى عن الإسلام أى شىء ، والفقر والجهل لا شك سبب كل علة ، ومصدر كل آفة .

المسلمون فى آسيا الوسطى :

عقد المسلمون فى آسيا الوسطى ، وقازاقستان مؤتمرهم الثالث فى طاشقند وقد استغرق أربعة أيام ، واشترك فيه مائة وخمسون وفدا يمثلون المسلمين فى هذه المناطق . وحضره السيد عبد المجيد عبد الله رئيس الجالية الإسلامية فى باكو ، والسيد قمر الدين ماليكوف إمام مسجد موسكو والسيد عبد البارى إساليف إمام مسجد لينتجراد .

وقد أذاعت وكالة الأنباء أن المؤتمر استمع إلى تقرير عن نشاط المسلمين فى آسيا الوسطى ، وضعه السيد ضياء الدين بابا كانوف نائب رئيس المؤتمر قال فيه : إن خمسين مسجدا قد تم إنشاؤها فى الفترة الأخيرة بأزبكستان .

وأن مدرسة إسلامية قد افتتحت فى باركان لتخريج العلماء ، وقال : إن جماعات كثيرة من مسلمى آسيا الوسطى قد أدت فريضة الحج فى الأعوام الماضية ، كما ازدادت الروابط بين المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، وبين المسلمين فى جميع أنحاء العالم ، وتم تبادل الوفود فيما بينهم ، وزارت وفود من المسلمين السوفييت لبنان وسوريا والهند واشتركوا فى مؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية الذى عقد فى باندونج ، ونحن يهمنا

أن يكون كل ما قاله السيد ضياء الدين صحيحا ، وأن تكون حال المسلمين فى آسيا الوسطى على خير ما يجب أن تكون من التواد والتراحم والتعاطف بين المسلمين ، ويهمنا ألا يكون ما أعلن فى هذا المؤتمر من قبيل المظاهر التى تستغلها الدعايات المغرضة فى هذه الأيام ، وألا تكون هذه المؤتمرات التى تعقد فى بعض نواحى العالم الإسلامى ، كتلك المؤتمرات التى تعددت وتكررت بين المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم ذهبت تلك المؤتمرات بذهاب الأغراض التى كانت وراءها الأيدى الخفية التى كانت تحركها .

إننا نحبذ عقد المؤتمرات بين أبناء العالم الإسلامى للتعارف وللتعاون ولتبادل الآراء ، ونحبذ أن تكون هذه المؤتمرات عامة شاملة يمثل فيها صوت المسلمين فى جميع الأرض .

أما هـــذه المؤتمرات الجزئية المحلية فلن يكون لها جدوى طائلة ، ولماذا لم يوجه القائمون بأمر المؤتمر الإسلامى فى آسيا الوسطى الدعوة إلى الهيئات الإسلامية ، وإلى ممثلى المسلمين فى الأقطار الأخرى ، لحضور مؤتمرهم ، وللتعرف على شئون إخوانهم ؟

فلعلهم أن يتداركوا هذا فى مؤتمرهم القابل . . . . ! .

محمد فهمى عبد اللطيف

نجاح سياسة الحياد

أعلنت الدوائر الدبلوماسية والرسمية فى باريس أن مصر قد برهنت على نجاح سياسة « الحياد » فى الحرب الباردة الناشبة بين الشرق والغرب ، وقد تصبح مصر « مثالا خطرا ، تحذو حذوه دول الشرق الأوسط » .

وقالت صحيفة « لوموند » الفرنسية فى مقال افتتاحى نشر فى الصفحة الأولى : « إذا كان هناك مصرى واحد يساوره أدنى شك فى المفعول الساحر للحياد الإيجابى ، فان الأنباء الأخيرة ـ عن المعونة الاقتصادية الروسية لمصر ـ قد أزالت كل تردد » .

الثقافة الماجنـــــــة
وأثرها فى المجتمع

يتعرض شبابنا لمحنة قاسية سيكون لها أثرها فى المجتمع المصرى وقد بدأ خطرها يتماثل أمام أعين بعض الناس وسيتفاقم ويشتد حتى نحس به جميعا وحتى يستعصى على العلاج ، ومن الخير أن يبادر المصلحون بالتنبيه إلى الوقاية منه وحماية المجتمع من شره .

فقد انصرف بعض الكتاب إلى الكتابة فى الموضوعات التى تمس مسائل الجنس والغريزة دون تصون واحتشام ودون تقدير لعواقب هذه الكتابات على أخلاق الشباب وبناء المجتمع ، وأخذت المطابع تصدر كثيرا من هذه الكتب بعنوانات مختلفة ترمز إلى ما فيها من موضوعات تستهوى نفوس الشبان وتسترعى أنظارهم ، وقد استغل أولئك الكتاب عواطف الشباب وميولهم وإقبالهم على هذا النوع من الكتب فأخذوا يكثرون منها ويفتنون فى عرضها وجذب الأنظار إليها ، ولم يكتفوا بالعبارات العاطفية الملتهبة بل استعانوا بالصور الخليعة يرسمونها فى معارض مخجلة مخزية تنقبض لها نفوس الأحرار وتندى لها جباه الآباء والأمهات .

وقد راجت سوق هذه الكتب لما أسلفنا ، وساعد رواجها وكثرة ما يطبع منها على رخص أثمانها رخصا مكن أكثر الطبقات من قراءتها فغدا خطرها شاملا لا يخص طائفة دون أخرى ، وقد يهون الخطب لو اقتصر الأمر على هذه الكتب المستقلة ، ولكن المؤسف والمزعج أن لهذه الكتب روافد من الشر تمدها وتظاهرها ، ففى كثير من المجلات التى نعدها راقية وتقبل على قراءتها أسر كريمة ، أبواب خاصة تنضح بالموضوعات الغرزية وتفوح منها رائحة الجنسيات صارخة كريهة ، تأنف لها الأخلاق الكريمة والتقاليد الفاضلة ، وفى هذه الأبواب استفتاءات فى خطايا جنسية انزلق فيها السائلون ووقعوا منها فى محرجات خلقية وعائلية ، وهم يطلبون إلى المفتين فى هذه المجلات فتاوى فى هذه النوازل يريحون بها ضمائرهم فيما يزعمون ، ويخلصون من آثامهم وأوزارهم ، ويتولى هؤلاء المفتون الإجابة عليها فى أساليب يعف القلم عن اقتباس أمثلة منها ، ويأبى الحياء والإشفاق على

القارئين تلخيصها ، كما تأبى الاعتبارات الكتابية التصريح بأسماء هذه المجلات ، ومن العجيب فى بعض هذه الأبواب أن يكون المستفتى والمفتى من هذا الجنس الذى يحمد الله والناس منه خلق الحياء والاحتشام .

وثالثة الأثافى أن تعرض محطة الإذاعة فى بعض أركانها لنواح خلقية ما كان أغناها عنها وما أليقها بألا تحوم حولها ، وفى هذه الأركان يمتحن ذكاء الأشخاص بسؤالهم عن كيفية التخلص من بعض المآزق ، وأحيانا ما تكون مآزق خلقية مريبة فيجيب الممتحن بما يسعفه به ذكاؤه فإن لم يفلح فى حل تلك المشكلات ، والخلاص من هذه الضائقات ، تولى الممتحن إرشاده إلى ما يحسن عمله لخلاص من هذه الأزمات . ولقد أثارت هذه الأركان بعض المستمعين إليها فاحتجوا على إذاعتها لسوء أثرها الخلقى ، فهى إرشاد إلى التخلص من الجرائم أشبه ما يكون بتمرين اللصوص على الفرار من المسئوليات القانونية والأدبية ، وقد عدل عنها حينا ثم أعيدت دون ضرورات ماسة إليها فيما نعلم .

سيقول بعض أنصار الحرية الفكرية فى الدفاع عن معالجة مثل هذه الموضوعات : إننا لم نتجاوز حدنا فيما نكتب ، ولم تكن مصر بدعا بين الأمم فى هذا الشأن ، وفى معالجة مثل هذه الموضوعات التى ترجفون فى الخطر منها لون من الثقافة لا بد منه للشباب ، ويدعى بعض رجال التربية الحديثة ضرورة الإلمام به ليكونوا على بصيرة بمستقبلهم فيها ، إلى مغالطات أخرى لا يخفى على كثير من الناس وجه الخطأ فيها . فالحرية لها حدود لابد من الوقوف عندها ، فإذا جاوزتها كانت فوضى لا تؤمن عاقبتها ، وحد الحرية ألا تضر بمصلحة المجتمع ، ولا تؤذى شعور الناس ، ولا تخدش الآداب العامة والتقاليد الكريمة ، وما من شك فى أن هذه الكتب التى أشرنا إليها تجمع هذه المساوئ وفوق ذلك فإنها تغرى الشباب بالاستهتار والتحلل وتصرفهم عن الثقافة الراقية المفيدة التى تغذى أرواحهم وعقولهم ، إلى هذه الثقافة التافهة التى تثير غرائزهم وتلهب عواطفهم وتوقعهم فى الحيرة والحرج وقد تجنى على مستقبلهم بما تجلب من أمراض نفسية وعصبية نتيجة التعلق بها .

وليس الاحتجاج ببعض الشعوب بمبرر لنشرها ولا يخلى من المسئولية فيها ولا يدافع عنا ما نتوقعه من الخطر منها ، والاعتذار بالجريمة عن الجريمة لا يعفى من العقاب عليها ، وما آمن كثير من الناس بسلامة الأخلاق فى الشعوب التى سادتها الثقافة الجنسية المزعومة ، وإن كثيرا من عقلاء تلك الشعوب يألمون منها ويفزعون من نتائجها ويعزون إليها

الإخفاق فى المواقف الوطنية الحاسمة ، ولئن سلمنا بما يزعمه أولئك من سلامة الأخلاق فى هذه الشعوب ، إلا أنه ينبغى لنا ألا ننسى ما بيننا وبينها من فروق فى التقاليد ، وفى المستوى الاجتماعى والثقافى ، ومن فروق فى الأجواء الطبيعية ، وفى النظر إلى المسائل الجنسية . ودعوى تعميم الثقافة الجنسية بدعة أجنبية ، ينظر إليها العقلاء فى كثير من الشك والارتياب والاستنكار ، وستكشف التجارب عما فى هذه الفكرة من الخطأ والخطر [١] ، وقد أحاطت الأديان والأخلاق أمور الجنس بما ينبغى لها من حدود وأسوار ، وإن من الآداب الدينية أن نورى ولا نصرح ، ونشير ولا نوضح ، وأن نختار لها العبارات المهذبة ، والأساليب الراقية ، لأن ذلك مما يساير الفطر السليمة ، والأخلاق الكريمة ، ويحمى فضيلة الحياء فى أفراد المجتمع ، ويدعم بناءه الخلق .

إن من واجب المسئولين عن سلامة المجتمع وسلامة الشباب بوجه خاص ، أن يضعوا تحت أنظارهم هذه المطبوعات ، ويدرسوها بعناية تامة ليستبينوا مدى ما أشرنا إليه من أخطار تهدد مستقبل أبنائنا ، وكفى ما نعانيه من محن خلقية ، يستنفد علاجها كثيرا من مجهودات الهيئات المختصة بهذه الشئون ، وفى يقيننا أن دعوتنا هذه ستجد طريقها إلى أسماع المسئولين ، وستلق نصيبها من القبول ، فهى ناحية من النواحى جديرة بأن يكون لها حظ من الإصلاح فى هذا العهد الواعى الغيور »

أبو الوفا المراغى

مصر والقومية العربية

أعلن اللواء عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة ، وهو يدلى ببيانه فى مجلس الأمة من رحلته إلى روسيا ، أنه قال فى الكرملين مساء ٩ نوفمبر فى حضور قادة الاتحاد السوفييتى : « إن القومية العربية ليست رغبة فى بناء امبراطورية ، وإنما هى نداء عاطفى ، وتاريخى ، وطبيعى . وهى أمن مشترك ، وسلامة جماعية . بل هى ضرورة استراتيجية لشعوب متحدة الأمانى تنشد لها مكانا تحت الشمس (تصفيق) .

---

[١] الجلة ـ فى مقال الدكتور محمد محمد حسين المنشور فى هذا الجزء من مجلة الأزهر دراسة علمية وافية ببيان ما فى هذه الفكرة من الخطأ والخطر . ولعل أهل الحل والعقد فى الدولة والأمة يولون هذه الناحية ما تستحقه من تفكير حكيم وتدبير حازم يليق بعهد الثورة على الباطل والشر .

بين مادية العلم وروحانية الدين ...!

تنبهت البشرية الوسنانة على صوت العلم المجلجل ، وهو يعلن بداية الانتقال إلى مرحلة الدراسة العملية لعلاقة الأرض بالكواكب الأخرى ، بقصد الإفادة من هذه الدراسة فى محاولة الوصول إلى ما يمكن بلوغه من تلك الكواكب ، والتعرف على مدى صلاحيته لحياة الإنسان عليه .

وأثار هذا النبأ وساوس وأحاديث ، حتى ارتابت نفوس فيما قرّ لديها من مبادئ ، وما تعورف عليه بينها من معتقدات ، لحد أن دعا قوم إلى السير مع الركب المتقدم نحو المادة ، والتخفف مما ظن أنه سلاسل وأغلال تربط الإنسان ـ فى زعمهم الخاطئ ـ بوهم الروح ، وتمسكه عن اللحاق بعجلة التقدم . وفى الحق لم تكن النتائج التى وصل إليها العلم غريبة على سمع الخاصة ، المعنيين بمسائله ، وإن فوجئ بها غيرهم ـ شأنها فى ذلك ـ شأن ما سبقها من الاكتشافات التى اهتزت لها النفوس كتفجير الذرة ، والتحكم فى قوة الهيدروجين ، والكوبالت ، وتوجيه الصواريخ إلى غير ذلك .

والإنسانية ترحب بكل ما يفتحه العلم من آفاق جديدة ، شريطة أن يكون القصد من وراء ذلك خيرها ورفاهيتها ، كما أن الدين الحق لا يحد من النشاط العلمى إذا توافر الشرط السالف ، ولا يصد تياره المتدفق عن أن يبلغ نهايته . . . !

فقد مضى إلى ـ غير رجعة ـ ذلك الزمن الذى اصطدم فيه العلماء الباحثون برجال فى البلاد الأوربية نسبوا إلى الدين ، فلاقى العلماء منهم عنتا وعسفا بلغا حدّ تقديمهم لم كتبهين أمام محاكم التفتيش ، فقضت بسجنهم ، والتنكيل بهم ، وتوعدتهم بالتعذيب ، وفرضت عليهم الكفارة حتى يحظوا بالغفران . . . !

والدين الإسلامى خاصة ، قدس العلم ، ونعى على الجاهلين والغافلين جهلهم وغفلتهم فمن ذلك قول الله تعالى : «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ، وقوله تعالى : «أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها» ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

وبدهي أنه لولا البحث والدرس ، وحمل المشقات فى سبيلهما ، بل وسقوط بعض العلماء صرعى تجاربهم وأبحاثهم أحيانا ـ لولا ذلك ـ لما بلغ العالم هذا الحظ من المدنية والتقدم ، ولما نعمت الإنسانية بما تنعم به الآن من أسباب الرفاهية ، التى جعلت حياتها سهلة ميسرة ، فتقاربت الأصقاع المتراميه ، ومحيت المسافات حتى صار سكان المعمورة وكأنهم مجتمع واحد . . . ! وإذا كانت الإنسانية مدينة للعلم بهذا بل وبأكثر من هذا . . . ! فحاجتها إلى الدين أيضا ماسة وضرورية إذ هو النور الذى يهديها ، ويرسم لها القيم الروحية التى ترتفع بها عن حضيض البهيمية ودرك المادية ، إلى سماء الروحانية . . . ! كما أن طلب العلم فى ذاته كما يقول فقيد العلم والفلسفة الدكتور على مشرفة : مبنى على قيمة روحية هى : حب الحق .

فطالب العلم طالب حقيقة ، ومن هنا كان الدين داعيا إلى طلب العلم ودافعا إليه ، وكان العلماء أعرف الناس بالحق ، وأكثرهم إذعانا له ، وأشدهم إحساسا بقدرة الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وأذكر بهذه المناسبة قصة رواها لنا فى قاعة الدرس بالأزهر الشريف أحد أساتذتنا ، الذين درسوا لنا العلوم الحديثة ، وهى لا تزال عالقة بذهنى على طول العهد بها ، وتبين بجلاء مدى الارتباط الوثيق بين العلم والدين : والقصة عن مبعوث أوفدته مصر إلى بلاد الانجليز للتخصص فى دراسة علم الفلك ، فأقبل فى دراسته على النجوم والكواكب يراقبها بالمناظير المكبرة وهى تسير فى أفلاكها ، بنظام محكم ، ودقة متناهية ـ على كثرة عددها وتقاربها ـ فرأى فيها الدلالة الحقة ، على قدرة الله العلى المبدع ، وما زال يتأمل فيها ويتدبر حتى أفضى به التأمل والتدبر ، إلى الاتجاه كلية إلى الله الخالق الأعظم ، والتلهج بذكره تعالى والغفلة عما سواه ، وصدق جل وعلا حيث يقول : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب . . . ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » .

فلا يظن ظان أن العلم يسير فى طريق مواز لطريق الدين مما يستحيل معه أن يتلاقيا ، ولا يظن أيضا أن العلم يطبع قلوب العلماء بقسوة المادة ويجردها من رحمة الروح ، وإلا فكيف نفسر ما يذكره التاريخ بفخر لروبير كورى ومدام كورى من عزوف عن المآرب الفردية ، وبعد عن الأنانية ، ذلك البعد الذى دعاهما لأن يرفضا بإباء

الانتفاع ماديا من ثمرة كشفهما ، وبهباه خالصا لوجه الإنسانية ، كما يؤيد تلك الحقيقة الناصعة تطوع بعض العلماء الأمريكيين القائمين على شئون الذرة ، بنقل أسرارها للمعسكر الشرق - كما وضح ذلك من التحقيقات التى أجريت فى هـذا الشأن - إيمانا منهم بأن احتكار طرف واحـد لها يغريه بالتسلط والطغيان ، وقد يدفعه النزق إلى إشـعال نار الحرب فى محاولة لفرض الرأى ، والانفراد بالسلطان ، ولا يبقى كما قدروا سوى توجيه ما وصل إليه العلم إلى الأغراض السامية ، إذ يبدو أن هناك منهم من يعانى من تأنيب الضمير على التعذيب الوحشى الذى لاقته الإنسانية من أمريكا فى هيروشيما ونجازاكى ، ويظهر ذلك جليا فى كتاباتهم بين الحين والحين مما دعا الحكومة الأمريكية نفسها إلى محاولة إخفاء آثار الجريمة بإسدال الستار عليها وعدم التحدث عنها ، وما ظهر من آثارها حتى اليوم هو نتيجة مجهودات غيرها .

إذن فالعلم طريق من طرق الإيمان ، وإذن فالعلماء المخلصون قلوبهم عامرة بالخير نتيجة علمهم ومعرفتهم ، وهذا حق وإن لم يصل إليه بعض المرتابين .

على أن الأشواط الجبارة التى خطاها العلم المادى فى تقدمه ، تفرض علينا نحن أبناء الإسلام عامة والأزهر خاصة مضاعفة جهودنا فى رعاية تراثنا الإسلامى ، الذى حمل أمانته ردحا من الزمن معهدنا العتيد ، ويقع على أبنائه وحدهم اليوم عبء الدعوة إلى المثل الروحية العليا ، التى يزخر بها هذا التراث ، والتى هى سبيل الخلاص الحق للعالم الذى أبعده التصارع على المادة عن جنة الروح ، مع أنه لا غنى له عن كليهما ، ونحمد الله على أن هيأ لنا حكومة تؤمن بالمثل العليا ، وتطبقها عمليا فى سياستها ومن أجل هذا تحيط الأزهر الشريف بالرعاية ، ليتمكن من تحقيق رسالته السامية المنشودة .

وأخيرا : أدعوا قومى العرب والمسلمين إلى مسايرة ركب الحضارة العلمية ، وعدم التخلف عنها ، مكررا ألا تعارض مطلقا بين البحث العلمى الهادف لخير الإنسانية ؛ وبين مثلنا الدينية التى نحرص عليها ، حتى نعيد بذلك سيرة أجدادنا أعلام العلم ، أمثال الخوارزمى أول من وضع علم الجبر ، والرازى صاحب مؤلفات الطب القيمة ، وجابر بن حيان الكيميائى القدير ، والفرغانى والصوفى والبتانى علماء الفلك المبرزين ، والفارابى وابن سينا وابن خلدون وغيرهم كثيرون ، هؤلاء الذين نفخر بهم كمؤسسين للحركة العلمية ، والتى منهم انتقلت إلى أوربا فى منتصف القرن الثانى عشر ، ثم تابع الغربيون السير على أسسها حتى وصلوا إلى ما صلوا

إليه ، وتخلفنا نحن عنهم للموقات التي ابتلينا بها ، وها قد بدأت تزول هذه المعوقات عن وطننا العربي بفضل النهضة التحررية الداعية لاستقلال الشعب العربي ووحدته والتي حملت لواءها الشقيقتان مصر وسوريا ، فأطربت نغمتها الشعوب العربية التواقة للحرية والوحدة ، وبعثت فيها روح الكفاح الصادق الرامي إلى التخلص من المستعمر وأذنابه ... ! فالى غد قريب تشرق فيه شمس الحرية على بقية أجزاء الوطن العربي ، ومن بعده إن شاء الله يعم نورها الوطن الإسلامي الكبير ، وسبيلنا إلى تحقيق هذا الهدف الحبيب نهضة علمية مادية صاعدة ، تحوطها مثلنا الروحية الكريمة الماجدة ... ! ٠ ٥١

إبراهيم محمد الأصيل

من الرئيس إلى الأستاذ الأكبر

أبرق السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية ردا على برقية فضيلته المنشورة فى ص ٣٧٤ من الجزء الماضي بمناسبة الاعتداء الثلاثى الغاشم على مصر :

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر تلقيت بخالص التقدير برقيتكم الرقيقة التي بعثتم بها بمناسبة ذكرى الاعتداء الآثم على الوطن العزيز ، وإنى إذ أبعث إليكم بأخلص الشكر مزودا بأطيب الأماني ، أدعو الله تعالت قدرته أن يصون العروبة جمعاء ، من كيد الكائدين ، ويحقق لشعبها ما يصبو إليه من وحدة وعزة ومجد .

(جمال عبد الناصر)

لغويات

عريان . عرايا . عراة

يشيع على الألسنة جمع عريان على عرايا ، وهذا الجمع للعريان غير صحيح ، وإنما العرايا جمع العرية ، وهي النخلة يمنحها الغني الفقير لينتفع بثمرها ، ولها معان أخر تذكر في باب الربا في الفقه . فأما عريان فيجمع في التصحيح إذا كان للعقلاء على عريانين ، وفي التكسير على عراة ، وقد جاء الخطأ في جمع عريان على عرايا من قبل شبهه بخزيان وندمان ، وهما يجمعان على خزايا وندامى .

وإني أسوق إليك نصا لسيبويه . قال في الكتاب ٢ / ٢١٢ : « وإن شئت قلت في عريان : عريانون ، فصار بمنزلة قولك : ظريفون وظريفات ، لأن الهاء الحقت بناء التذكير حين أردت بناء التأنيث فلم يغيروا ، ولم يقولوا في عريان : عراء ولا عرايا ، استغنوا بعراة ، لأنهم مما يستغنون بالشيء عن الشيء حتى لا يدخلوه في كلامهم » ، وقوله : « ولم يقولوا : عراء » أي كما قالوا خمصان وخماص ، فكان هـذا سائغا لهم في القياس أن يقولوا : عراء ، ولكنهم اطرحوه استغناء عنه بعراة ، وقوله : « ولا عرايا » أي كما قالوا : خزيان وخزايا ، وسكران وسكارى ، لأن عريانا ليس من باب خزيان . وقد بان من كلام سيبويه أن عراة ليس في القياس جمعا لعريان ، وإنما هو قائم مقام جمعه ، وهو عراء كخماص . ذلك أن عراة جمع لعار كقضاة جمع لقاض ، غير أنه لما كان عريان في معنى عار جعل عراة جمعا لعريان في الاستعمال واستغنى به عن عراء ، وهذا كما استغنوا بكماة في جمع كمي عن أكماء لما كان كمي في معنى كام ، وفي اللسان ، « الكمي : الشجاع المتكمي في سلاحه ، لأنه كمى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة . والجمع الكماة ، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاضيا وقضاة » . ومن هـذا جمعهم شاعرا على شعراء لما كان في معنى شعير الذي كان حقه أن يكون وصفا من شعر بضم العين ، ولكنهم أهملوا هذا الوصف (وهو شعير) استغناء عنه بشاعر الوصف من شعر بفتح العين ، وهو باب أفاض فيه ابن جني في الخصائص ، ويعرف في فقه اللغة بتداخل اللغات .

شرار النـاس

هـذا استعمال مشهور بين الناس . وشرار جمع شرّ يقال : رجل شرّ أى ذو شرّ ، وقد وصف الرجل بالشر للمبالغة ، كما يقال : رجل عدل . غير أن الجمع الوارد فى المعاجم لشرّ أشرار . ففى المصباح : « ورجـل شرّ أى ذو شرّ وقوم أشرار » وفى اللسان : « وقوم أشرار : ضدّ الأخيار » وفيه : « وقوم أشرار وأشرّاء . وقال يونس : واحـد الأشرار رجل شر مثل زند وأزناد . قال الأخفش : واحدها شرير وهو الرجل ذو الشر ، مثل يتيم وأيتام » .

غير أنى وجدت فى البخارى فى كتاب الصلاة (باب الصلاة فى البيعة : « عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية . فذكرت ما فيها من الصور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجـل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » . وبورودها فى الحـديث يصحح الاستعمال المشهور بين النـاس .

السهوة : الطقيسى : الصندرة

يطلق أهل القاهرة الطقيسى على ما يعلو الحمام فى البيت إذا كان الحمام لا يبلغ سقفه سقف البيت . وقد يسميه بعضهم الصندرة . ويوضع فيه بعض المتاع وخرثىّ المنزل .

وقد وجدت فى العربية كلمة يقرب معناها من معنى الطقيسى وهى السهوة . فقد جاء فى شرح التبريزى للحماسة ٤ / ٨ (طبعة المكتبة التجارية) : « والسهوة : بيت صغـير فى البيت الكبير ، وقيل : هو الصفة بين يديه ، وقيل : حائط يبنى فيـه ، وقيل : هو أن يحفر بيت فى الأرض ، وقال قوم : يبنى حائط فى البيت لا يبلغ به أقصاه ، ثم يوضع عليه الخشب ، فـما كان بين الحائطين فهو سهوة ، وما كان تحت الخشب فهو المخـدع » . والذى يدخل فيما نحدث عنه هو التفسير الأخير .

جرصه ، رفصه

١ — يقول النـاس : جرّصه أى فضحه وأعلن فضيحته . وقد يقولون : جرّصه

بالسين، والاسم الجرسة . والأصل فى هذا الجرس الذى يضرب به ويقال له : الجلجل . فكأن تجريس المرء أن يضرب الجرس إيذانا بعيبه وما أتى من مأثم . ولم ترد هذه الصيغة صيغة التفعيل من الجرس فى اللغة ، والذى فيها : أجرس الجرس : ضرب به .

ونرى التجريس فى شعر لشرف الدين البوصيرى صاحب البردة والهمزية المتوفى بالإسكندرية فى سنة ٦٩٦ هـ . وهذا الشعر قاله على لسان حمارة له كان استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته وحبسها ، وبعث إليه بمال . ومنه قوله :

لــو جرصوه على من سفه   لقلت غيظا عليــه : يستاهل

وقد ورد هكذا فى مطالع البدور ٢ / ١٩٢ ، وورد بالسين فى فوات الوفيات . وورد التجريس فى حاشية الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ على شرح ابن قاسم الغزى فى فقه الشافعية فى كتاب الحدود . فقد كتب على قول المصنف (عزر) : « أى بما يراه الإمام من ضرب أو صفع ـ بالفاء والعين المهملة ، وهو الضربة بجمع الكف أو بسطها ـ أو حبس أو نفى أو تجريس أو تسويد وجه أو قيام من مجلس أو توبيخ بكلام »

٢ — ويقولون : رفصه ، وعربيتها : رفسه بالسين .

الشادوف : المنزفة

يطلق الشادوف فى مصر على أداة لرفع الماء من القناة ورى الزرع . وهو عند العراقيين الجادوف، ففى المعيار : « والجادوف ـ ككافور : شىء يرمى به الماء فى المزارع، عراقية » وهذا لا يعرف فى العربية ، وإنما يقال لهذه الأداة الداليـة أو المنزفة . جاء فى المصباح « الدالية : دلو ونحوها وخشب يصنع كهيئة الصليب ويشد برأس الدلو ثم يؤخذ حبـل يربط طرفه بذلك وطرفه بجذع قائم على رأس البئر ويسقى بها » . وفى اللسان : « والمنزفة ما ينزف به الماء . وقيل : هى دلية تشد فى رأس عود طويل وينصب عود ويعرض ذلك العود الذى فى طرفه الدلو على العود المنصوب ويستق به الماء » .

ويبدو لى أن الشادوف أو الجادوف أصله الغادوف وهو المجداف، وفى الدالية عودها وهو يشبه المجداف . ويقرب من هــذا الغادف وهو الملاح ، وهو بسبب من الدالية لاتصالها بالماء .

محمد على النجار

عاشق النـــــور

علمـوه فى صباه الغزلا ... ورموه لليالى مثقلا ...!
كلما فاض به الوجد مضى ... يخدع الشوق ويدنى الأملا
ويذيب الحب دمعا ناحلا ... طاهر النبع ـ حنينا مرسلا
رب فجـر راقبته عينه ... والدجى مازال سترا مسدلا
كلما ألمع نور ظنه . . ... من ربا نجد فغنى غزلا
عاشق النـور على آفاقه ... يهب الليـل هناك الحللا
وشيها فى كل ومض مشهد ... من خيالات حبيب يجتلى
إيه يا روح لمى واطمعى ... أوشك الشـوق يتيح الأملا

• • •

هذه « يثرب » ... هذا ريحها ... قد أثار الدمع حبا مجملا
فانطلق يا دمع ... خدى ظامئ ... ودموع القرب تشـفى الغللا
ودموع فى لقـاه أمل . . . ... فانهـل يا روح منهـا عللا
وانظرى حولك فى إشراقـة ... والمحى المجد جليلا مذهلا
واسمعى « يثرب » تحكى قصة ... كيف صارت للمعالى معقلا
أنصتى ياروح هـذا سجعها ... يشهـد الروح زمانا قـد خلا
ونجيا لم يزل فى أفقـه ... حين يزهى الناس أسماهم علا
هل ترين النور . . . هذا نوره ... غابت الشمس ولا ... لن يأفلا
فى جبين الأفق يبدو غرة ... تجـذب الروح وتهدى المقبلا
هـذه طيبة . . . هـذى داره ... فاخفضى الهام ... وأغضى خجلا
واسبحى كالطـير فى تطوافها ... خانها الدمع فخنت زجلا

• • •

ها هنا صلى وناجى وبكى ... وبنى مجدا وأحيا سبلا
هذه الأرض أحبت حلمه ... ولدى الحرب رأته مثلا
هذه الأنسام من أعطاره ... مست الركب فأمسى ثملا
هذه الروضة فى بهجتها ... وحبيب الله فيها يجتلى
كلما ثارت بقلبى نشوة ... تلهب الوجد وتنسى الوجلا
نهنهتنى رعدة لا تنثنى ... كلما كدت . . . تثنى خجلا
وأرانى فى جلال غامر ... يلجم الشوق ويجرى المقلا
لا أناجيه وإن ناجى دمى ... وحنينى فاض دمعا مسبلا
يعصف الشوق فؤادى ذاهلا ... كلما زرت مددت الأجلا
وودت العيش فى أكنافه ... لا أريد العمر عنه حولا

• • •

يا حبيبا كل روح ترتجى ... أن تلاقى فى لقاه الأملا
أنا لم أهجر ولكن راعنى ... دينك الحر يعانى العللا
فجعلت القرب أن لا أنثنى ... أرفع الحق وأحيى المثلا
وأهز الأرض فى ظلماتها ... بالذى أهديت منه الأولا

محمد بدر الدين

نظام مصر الاجتماعى

صفق النواب المصريون جميعا عند ما قال لهم القائد العام عبد الحكيم عامر وهو يلقى بيانه فى المجلس عن المهمة التى قام بها فى روسيا : إنه قال فى الكرملين ـ أمام قادة الاتحاد السوفيتى ـ : إن نظام مصر الاجتماعى يختلف عن نظام روسيا . كما صفق المجلس مرة أخرى عند ما شكر القائد العام روسيا لموقفها من الغزو على مصر والتهديد لسوريا .

سلطان العلم

علم الإنسان مالم يعلم بارئ الكون ورب النسم
أول التنزيل من آياته قوله « اقرأ » للرسول الملهم
دعوة للعلم ما أروعها من عليم مقسم بالقلم
يدرك المجد على قدر النهى قسمة الرزاق منذ القدم
آدم الجد بأسماء سما فوق أملاك بها لم تعلم
أذعنوا لله حيث اختاره ثم خروا سجدا للأعلم
ذاك فضل العلم يروى سره آدم من عهده لآدم

• • •

سرح الطرف تنقل هل ترى سلما يعلى سوى ذا السلم
كل ملك عز أو ينشده فالى العلم انتمى أو ينتمى
قوة خرساء ما أنطقها بلسان عربى أعجم
تسمع الصم إذا نادتهم ويرى مقذوفها كل عم
إن يكن للمال سحر فالعصا تلقف السحر بصنع العالم

• • •

مصر إنا قد جرينا قدما وصحونا بعد ليل مظلم
وذكرنا ماضيا مزدهرا فأردناه بعزم صارم
ثورة تبنى وتعلى إنها تنشد العلياء بين الأنجم
بوأت مصر مكانا عاليا ثم صانته بمبذول الدم
يا عرين الأسد لا ديس الحمى دونه كل فتى ضيغم
نحن أقسمنا بمن أجرى به نيله أعظم به من قسم
يا رجالا قد دعا العلم إلى منهج الفعل ونبذ الكلم
تدعم الأخلاق بالعلم ولا خير فى العلم إذا لم يدعم
قل لمن قاموا عليه أطلعوا أملا يرجى بجيل قادم
يفخر السلم بهم فى سلمهم وبهم فى الحرب مصر تحتمى

سيد عبد الرءوف سيد
المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

تعليقات

النشاط الجديد فى المحيط النسوى

---

(١) حينما نقرر أن رسالة الرجل فى الحياة غير رسالة المرأة فاننا لا ندعى للرجل انفراده بالمهام كلها ، بل نرى حقا أن للمرأة فراغا لا يسده غيرها ، ولا يكاد الرجل يغنى عنها شيئا فى سد هذا الفراغ . . . ذلك أن فى المحيط النسوى جوانب لا يسرى فيها صوت كصوت المرأة ، ولا تستجاب فيها دعوة كدعوتها فاذا اتجهت رغبات المصلحين يوما إلى تنظيم الأمومة ، أو نشر التعاليم الصحية بين الأسر المتواضعة ، أو بث روح التصنيع النسوى فى الأوساط الكادحة ، أو الترويج لمعونة الشتاء بين القادرين . فان نجاح الرجل فى هذا لا يبلغ نجاح المرأة .

ووجه ذلك فيما أرجح أن خطاب المرأة لأختها خطاب عاطفى أكثر مما هو منطقى ، وللعاطفة أثرها فى الاجتذاب إلى المطاوعة .

وقد عشنا زمنا لا نرى فى الميدان غير الرجل ، حتى علقت بالرجل تهمة الاستبداد بالمرأة وعلقت بالمرأة تهمة الضعف عن مجاراة الرجل ، والتخلف عن سد فراغها ، ثم كانت نهضة سياسية تمخضت عنها يقظة فى محيطنا النسوى ، وتطلعت فتاتنا إلى موقفها فى مشارف الحياة الجديدة .

غير أن نشاط النساء فى كثير من ضروبه تجاوز الصواب وانحرف عن مسالكه الرشيدة ، وأصبحت ملامحه مثارا للخاوف ، والنقد ، وغلب على الأفهام أن النساء مدفوعات بشئ من الغرور ــ لحداثة عهدهن بهذا النشاط ــ وبشىء من تشجيع المقهورين المتهمين بسوء القصد ، ولم نجد من واقع الحال ، ولا من مظاهر الوثبة النسائية ما يدفع عن النساء ذلك النقد .

ومازلنا فى سبيل التفاهم مع كثير من الجماعات النسوية التى برزت فى الميدان ، حتى نصادف ما يعرضها من المساس بجهودها .

(ب) وليس من الإنصاف أن نطلق هذا الحديث جزافا ونتغاضى عن جمعيات نسوية شبت من أول أمرها على صراط مستقيم ، إذ اعتدلت فى تحديد غايتها ، ونظمت جهودها ، فدرجت فى سبيلها محفوفة بالإعجاب ، وحسن التقدير ، وتعلق بها فى الإصلاح أمل يطرد مع اطراد نشاطها المحمود ، وإذا لم أستوعب ذكر السيدات الفضليات ، وما هنالك من جماعات تسير تحت إشرافهن إلى الغايات النبيلة . فما أنسى جمعية نساء الإسلام التى ترأسها السيدة إحسان القوصى ، تفرغت هذه السيدة من عملها فى رياسة المعهد العالى للخدمات الاجتماعية لا لتستريح ، ولا لتعكف على المتع التى يتلهى بها أهل البطالة ، بل لتبذل من راحتها ، ومالها ، وجهودها ما يضن به بل ببعضه أكثر الناس .

دعيت إلى كلمة فى مركز جمعية نساء الإسلام يوم ١١ ربيع الآخر (٣ / ١١ / ٥٧) بعمارة الأوقاف خلف مسجد عمر مكرم بجوار المجمع فى ميدان التحرير فأجبت ، وخرجت من دار الجمعية مقتنعا بأن المرأة إذا نشطت إلى واجبها ، وأدركت رسالتها ، وأخلصت نيتها فإنها لتجد ميدانا فسيحا ينتظرها ، كما وجدت السيدة إحسان فى عملها برياسة الجمعية التى أنشأتها ... والسيدة إحسان بعد أن بذلت ومع ما تبذل من جهد ومال تحاول أن يؤازرها كل مصلح من ذوى الرأى والجاه، وتدعو كل سيدة نبيلة ، وكل راغبة فى النشاط المجدى إلى الاتصال بجمعيتها ، وليس فى ذلك مزاحمة فى الوقت ، ولا تكليف بما يرهق من مال ، وأحسب أن الاشتراك الشهرى فى الجمعية لا يجاوز تذكرة سينما وهذا أمر تافه .

ويعجبنى كثيرا من جمعية نساء الإسلام أنها جمعت نخبة من البيوتات المتحضرة مع الاحتشام والتحفظ بأدب الإسلام مما ينبئ عن أصدق الآمال فى هذه الجماعة ... وإنى لأود أن تصادف هذه الجمعية مؤازرة مالية من وزارة الإرشاد أو الأوقاف أو غيرهما من جهات الخير ، لتستطيع أن تواصل رسالتها المشكورة ... كما أود أن تتصل بها كل سيدة تحب أن تظهر فى أكرم مجتمع يتمثل فيه نشاط المسلمة المصرية بجمعية نساء الإسلام ؟!

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



تفسير الطبرى

الجزء الحادى عشر – ٦٤٣ ص – دار المعارف بمصر (مؤسسة المطبوعات الحديثة)

انطوى هذا الجزء الحادى عشر من جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى على تفسير بقية سورة المائدة من الآية ٩٥ إلى الآية ١٢٠ وعلى تفسير ٩٩ آية من أول سورة الأنعام . وكنا أشرنا فى وصف الجزء العاشر فى جزء المجلة الماضى إلى ما ذكره الأستاذ محمود شاكر من أنه انفرد بتحقيق هذا التفسير والتعليق عليه وتخريج أحاديثه بعد أن كثرت أعمال أخيه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، ثم رأينا الآن كلمة نشرها الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى فاتحة هذا الجزء ذكر فيها سابق عمله الحميد فى هذا التفسير وقال : ثم تفضل أخى السيد محمود بمعاونتى فى التخريج ، فخرج الكثير من الأحاديث فى كثير من الأجزاء ، وهو أهل لذلك والحمد لله ، بما أوتيه من دقة النظر والدأب على البحث ، والثقة فيما ينقل عن الدواوين والمراجع ، وكنت ولا أزال مطمئنا إلى عمله واثقا به عن خبرة وبينة ، حتى إذا شغلتنى شواغل جمة من أول الجزء التاسع تفرد هو بالتخريج . وقد رأى ورأيت معه منذ هذا الجزء أن تكون مراجعتى الأحاديث فى أعقاب طبع كراريسه ، ثم أفرد ما بدا لى من زيادة فى التخريج وما أراه من رأى فى بعض الأحاديث – وخاصة المرفوع منها – فى قسم مستقل يطبع فى آخر كل جزء ليكون « تتمة التخريج » . وبالفعل ألحقت بهذا الجزء تتمة من ص ٥٨٧ إلى ص ٥٩١ فيها ١٤ تعليقا لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، وهذا الجزء كسائر أجزاء الكتاب توفرت فيه جميع أسباب الكمال والإتقان ، من تحقيقات وتعليقات وفهارس . أعان الله عز وجل على إتمامه .

ديوان العرجى

شرح خضر الطائى ورشيد العبيدى – ٢١٣ص + ٤٦ – الشركة الإسلامية للطباعة ببغداد

العرجى هو عبد الله بن عمرو – أو عبد الله بن عمر بن عمرو – الأموى ، حفيد أمير المؤمنين عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، وكان يسمى « المطرف » لجماله ، توفى سنة ١٢٠ ، والعرجى نسبة إلى ماء يقال له العرج فى جهة الطائف كان له فيه ضياع ومزارع . وله جهاد بأرض الروم تحت راية مسلمة بن عبد الملك ، وشارك بماله فأنفق الكثير منه فى أشد السنين جدبا . وكان شاعرا بليغا يأخذ مأخذ عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، وملأ الفراغ الذى خلفه ابن أبى ربيعة عند موته ، وهو قائل البيت المشهور :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلما لم يجد ميادين لفتوته فى يوم الكريهة والدفاع عن الثغور سلك مسالك عمر ابن أبى ربيعة ووصف ذلك من نفسه يوم قال :

بقيت أمشى على هول أجشمه تجشم المرء هولا فى الهوى كرم

على أنه يعد فى الأجواد الذين – كما قال ناشرا ديوانه – لا يعرفون فى الاقتصاد إلا معنى البخل ، ولا من البخل إلا معنى اللؤم ، ولا من اللؤم إلا ما لا ينفع معه مجد أو شرف . ودراسة شعر العرجى وبلاغته التى كان مطبوعا عليها قد وفاها الناشران حقها فى مقدمة بلغت قريبا من خمسين صفحة .

وديوان هذا الشاعر الأموى كان عزيزا نادرا ، وهو الآن يطبع للمرة الأولى فى عاصمة بنى العباس عن مخطوط ذكر فيه أنه منقول عن نسخة إمام اللغة أبى الفتح عثمان بن جنى ، وهنالك نص بأن أسعد بن عفيف قرأ ديوان العرجى على ابن جنى سنة ٣٨٠هـ . والمخطوط الذى اعتمد عليه فى الطبع فى مجموعة كانت للأب انستاس الكرملى وهى الآن فى مكتبة الآثار ببغداد برقم ١٣٤٢ وقد عثر الناشران على جملة من شعر العرجى فى المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية فذيلا بها آخر الديوان . ووضعا بين دراستهما لشعر العرجى وديوانه صورا شمسية من الأصل ومن نسختين منقولتين عنه ، وإن نشرهما لهذا الديوان وعنايتهما بضبطه وشرحه وتحقيقه وتذييله يستحقان عليه كل شكر وثناء .

المغرب العربي

في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي

للأستاذ يوسف صالح الحريثي — ١٨٣ ص — دار الأندلس للطباعة في بيروت

إنما طرأ الضعف على العالم الإسلامي بسبب ما طرأ من الضعف والانقسام في الأمة العربية ، ولا تعود إلى المسلمين قوتهم ونهضتهم إلا باستعادة الكيان العربي قوته ونهضته ولا ستعادة الكيان العربي قوته ونهضته أسباب كثيرة منها الجانب الاقتصادي وهو ما يعنى به مؤلف هذا الكتاب ، وقد سبق لنا التعريف بكتابين له في جزء ربيع الأول من هذه السنة أحدهما عن طريق الوحدة الاقتصادية في البلاد العربيـة والآخر عن تطور اقتصاديات الشرق العربي . وهـذا الكتاب الثالث الذي نحاول التعريف به اليوم مكمل لهما لأنه يتناول دراسة الاتحاد الاقتصادي في المغرب العربي أحد جناحي الكيان العربي ، ولا ينهض الكيان العربي إلا بنهوض جناحيه الاثنين . ولذلك تصدى هـذا المؤلف الاقتصادي العراقي لاستقصاء أسباب نهوض المغرب الاقتصادي بعـد دراسته موارده الطبيعية والبشرية وتعرفه على شمال إفريقية وقابليتها الإنتاجية وإمكانياتها الزراعية وما يتعلق بمعادنها وخاماتها وموارد الطاقة الكهربائية وغير ذلك من عناصر الحياة الاقتصادية . وفي الكتاب نظرة إلى امتيازات فرنسا في هذه الأوطان العربية المغربية وسوء معاملتها لها والوضع الاقتصادي الذي صارت إليه البلاد بما قيدت به من اتفاقيات اقتصادية ومالية . ثم تكلم المؤلف على إمكانيات التنمية الاقتصادية وإمكانيات الوحدة من هـذا الجانب مع الوطن العربي الأكبر . وهو بحث قيم جدير بالمشتغلين بالبحوث الاقتصادية عن الوطن العربي أن يطلعوا عليه .

الثائر الاسلامي جمال الدين الأفغاني

لفضيلة الأستاذ الشرباصي — ٤٨ ص — دار المعهد الجديد بالقاهرة

تقوم في المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة ندوات ثقافية في أيام الاثنين يسمونها « أحاديث الاثنين » ويشترك في كل ندوة منها رجال الفكر والثقافة الذين لهم اضطلاع بالموضوع الذي يدور حوله الحديث ، ويشرف على هذه الأحاديث في كل أسبوع فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر ورائد جمعيات الشبان المسلمين ، وله في ذلك

مواقف فى بيان فضله تضارع ما يقرأه له قراء هذه المجلة من بحوث نافعة . وأمامنا الآن رسالة سجلت فيها حلقة من حلقات سلسلة « أحاديث الاثنين » حول حياة الثائر الإسلامى جمال الدين الأفغانى ، جاء فيها بعد كلمة مستفيضة للأستاذ الشرباصى بحث قيم للسيد صلاح الدين سلجوقى سفير أفغانستان فى مصر ، ثم تحية كريمة لروح الثائر وجهها إليه السيد محمد البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، ثم كلمة عن تبتل جمال الدين لفضيلة الأستاذ عبد المعز عبد الستار الواعظ العام ، وكلمات أخرى منثورة ومنظومة جدير بمتتبعى تاريخ النهضة الإسلامية أن لا يفوتهم الإلمام بها .

مساهمة الهند

فى قضاء مآرب الإنسان الاقتصادية

بحث طريف كتبه الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسينى ، وتناول فيه فوائد ومعلومات عن الهند وما امتازت به وما ساهمت فيه من شئون الحياة ومبتكرات الصناعة وثمرات الأفكار وبدائع الطبيعة إلى غير ذلك من المكارم والمفاخر للهند مما لا يوجد مجتمعا بالعربية فى كتاب آخر . فنانت إليه الأنظار .

الدين والتعبئة القومية

لفضيلة شيخ معهد دمياط — ٣٩ ص — مطبعة السروري بالقاهرة

هذه محاضرة مستفيضة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال شيخ معهد دمياط الدينى بدعوة من الجامعة الشعبية تكلم فيها على تعاليم الدين الإسلامى وما تدعو إليه من التآلف ، وأن الدفاع عن الأوطان واجب دينى ، وبين حكم الجهاد وفضل المجاهد ، وجهاد المجاهد الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وشجاعة أصحابه رضوان الله عليهم . ثم تكلم على جهاد النساء المسلمات فى الصدر الأول ، وختم المحاضرة بكلمة عنوانها : « نصيحتى إلى قومى » وبقصيدة لامية تناسب المقام .

التأميم

يكشف عن المؤامرات الاستعمارية الصهيونية

هذا عنوان كتيب لطيف بقلم الأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله مدرس الآداب

بمعهد طنطا الثانوى تكلم فيه عن الاستعمار وخطط الصهيونية وتهديدهما للسلام العالمى ، وعن أهداف الصهيونية واتفاقها مع الاستعمار ، وخطط الاستعمار والصهيونية ضد العرب . وكيف أن مصر حطمت الأغلال بتحقيقها الواجب القومى فى تأميم قناة السويس ، وأساليب الضغط الاستعمارى على مصر بعد التأميم ، والهجوم الإسرائيلى المدبر ، والعدوان الوحشى على مصر ومعركة بور سعيد ، ونتائج ذلك بعد فشل ذلك العدوان ، وما كسبته مصر من المعركة .

مشروع السنوات الخمس فى الهند

كانت الحجة الكبرى للاستعمار فى تبرير إقحامه نفسه على بلاد الناس ، أنه جاء ليصلحها ويعمرها ! ومن هنا جاء عنوان « الاستعمار » الذى أطلقوه على هذا النظام الفضولى الجائر . فاللورد كرومر ، والذين كانوا مأجورين له ويرددون مزاعمه ، كان من أبرز حججه وحججهم على تبرير الاحتلال البريطانى فى مصر دعوى التعمير والإصلاح . وهو يتجاهل جريمة الاحتلال فى مناصرته للاقطاع ، وتجريده التعليم من روح التربية ، وتضييقه دائرته بشتى الأساليب .

وما كاد الاستعمار يتداعى إلى الانهيار فى آسيا وإفريقية ، وأخذت أيدى المخلصين من أبناء البلاد التى جلا عنها الاستعمار تتولى مهمة الإصلاح والتعمير ، حتى ظهر الفرق للناس بين الغش الذى كان يمثل الاستعمار أدواره فى التعمير والإصلاح المزعوم ، وبين الجد الذى ظهر للناس من مباشرة أبناء الوطن الحقيقيين لمهمة الإصلاح الصادق ، والتعمير الأصيل . وإن هذه المعانى هى التى كانت تتردد فى خاطرنا ونحن نقلب صفحات كراستين نشرتهما سفارة الهند بالقاهرة أولاهما عن معالم مشروع السنوات الخمس فى الهند ، والثانية عن مدارج التقدم فى تنفيذ هذا المشروع فى سنواته الثلاث الأولى . إن الإصلاح والتعمير اللذين تقوم بهما الهند فى بلادها ، وسائر الأمم الآسيوية والإفريقية فى أوطانها ، بعد جلاء الاستعمار ، إنما يراد بهما إغناء الوطنيين عن الحاجة إلى صناعات الغرب ، وما كان يفعله الاستعمار هو تكبيل الوطنيين بالقيود ، وتحويل المواد الخام من بلادهم إلى أوربا لتعود مصنوعة بعشرات أضعاف أثمانها فتبتز بها أموال الوطنيين ليبقوا فقراء وجهلاء .

الأدب والعلوم

سموم الاستعمار

فى ثقافات البلاد العربية

انعقد فى بغداد المؤتمر الثقافى العربى الثالث ، واشتركت فيه مع العراق مصر وسوريا والسعودية والسودان ولبنان وتونس والأردن والكويت . ومما أبرزته الوفود من أمانى الشعوب العربية عزم الشعوب العربية على تطهير ثقافاتها من « السموم الاستعمارية » . وقال الأستاذ مندور المهدى رئيس وفد السودان : « إن المؤتمر يرمى إلى توجيه الجيل العربى الصاعد وجهة عربية قومية » . وقال الأستاذ فليح مندوب سوريا : « علينا أن نعد أنفسنا والأجيال القادمة لثقافة عربية قومية خالصة ، ثقافة عربية لا شرقية ولا غربية » . وقال الدكتور عادل إسماعيل ممثل لبنان : « إن المؤتمر يهدف إلى تنمية الوعى القومى العربى والثقافة العربية الأصيلة » . واعترف الدكتور القوصى ممثل مصر بأن كتبنا ومناهجنا مليئة بالألغام والسموم الثقافية ، فضجت قاعة المؤتمر بالتصفيق .

الفساد فى حركة التأليف

لوحظ على دار الكتب المصرية أنها متخمة الآن بالمؤلفات المصرية التافهة ، فى حين أنها قلما تضاف إليها المؤلفات القيمة والمراجع النافعة . فقال الأستاذ محمد حسين مدير دار الكتب جوابا على ذلك : إنى أتهم دور النشر بافساد السوق العلمية والفكرية فى مصر . إن دور النشر تجرى وراء الربح ، وتفرض على المؤلفين ما تراه أكثر رواجا . بينما لا تشجع الكتب والمراجع المهمة إذ كانت أقل حظا فى الرواج . والفوضى الموجودة فى السوق تنعكس فى دار الكتب ، لأن القانون يلزم كل مؤلف بايداع خمس نسخ من كتابه ، وهكذا ينهال على الدار سيل من كتب الأدب الرخيص ، وقطرات من كتب الفكر العميق . وهذه المشكلة تبحث الآن مع إدارة الثقافة والمجمع اللغوى .

التربية العسكرية

فى الأزهر

أصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قرارا بأن

تكون التربية العسكرية مادة أساسية فى الكليات الأزهرية وأقسام الإجازات والأقسام الثانوية بالمعاهد الدينية ، ويخصص لها حصتان أسبوعيا داخل الجدول ، ويحرم من امتحان آخر العام كل طالب لا يحصل على ٧٥ ٪ على الأقل من مجموع الحصص المخصصة للتربية العسكرية . أما الطلبة غير اللائقين لتلقى التدريبات العسكرية فيحضرون حصصها ولا يؤدون حركاتها . وقد أرفق بهذا القرار نظام يوضح المشروع فى تنفيذ التربية العسكرية .

ميزانية دار الكتب

قال مدير دار الكتب المصرية إن ميزانية الدار ارتفعت من ٨٣ ألف جنيه مصرى فى السنة إلى ١٢١ ألف جنيه ، ويجرى البحث لتدريب إخصائيين فى شئون المكتبات ، وإدخال الدراسة العلمية فى قسم المكتبات بالجامعة . وتعمل على تنسيق التعاون مع الهيئات الأخرى فيما يتعلق بالمخطوطات .

جامعة الرياض

فى منتصف شهر ربيع الآخر (٧ نوفمبر) افتتح الملك سعود فى مدينة الرياض أول جامعة سعودية تقام فى قلب جزيرة العرب ، وفيها كلية للحقوق وأخرى للتجارة ، وقد تعين مديرا لها الدكتور عبد الوهاب عزام ، وتبرع الأمير منصور بن سعود بنصف نفقات هذه الجامعة العربية .

عيد العلم

تحدد يوم ٢١ ديسمبر للاحتفال بعيد العلم ، وقد تأجل من ١٢ نوفمبر إلى ١٢ ديسمبر ليتاح للطلبة العرب فى الأقطار الشقيقة فرصة الاشتراك فى هذا العيد .

الدراسات الاسلامية والمصرية

فى معهد ألمانى للآثار بالقاهرة

كان للألمان قبل الحرب العالمية الأولى معهد للآثار تعطل عن العمل بقيام الحربين الأولى والثانية بين الألمان والانجليز . وقد استأنف الالمان إنشاءه فى هذا الشهر وافتتحه وزير التربية والتعليم . وخطب والتربيكر سفير ألمانيا فى حفل الافتتاح فأعرب عن رجائه أن يكون هذا المعهد وقفا على الجهود التى تبذل للبحث عن كنوز الحضارات المصرية من قديم الزمان حتى عهدنا هذا .

وقد جهز المعهد بعشرة آلاف كتاب أكثرها عن مصر قديما وحديثا ، وبثلاثة آلاف صورة تمثل مراحل التاريخ المصرى القديم وعصور الإغريق والرومان والبطالسة فالعصور الإسلامية .

وقد خصص المعهد قسما للدراسات الإسلامية والبحوث الأثرية والثقافية

المصرية والتاريخ المصرى فى دول الإسلام وحضاراته .

بعثة الثقافة المصرية
إلى الصين

وصلت إلى بكين بعثة الثقافة المصرية التى يرأسها الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة الإسكندرية . وقد زارت البعثة أكاديمية العلوم الصينية ، ومعاهد العلوم والثقافة فى بكين وغيرها . وكانت البعثة موضع ترحيب من الهيئات الثقافية والعلمية فى الصين . وأقام لها (من . يان . بنج) وزير الثقافة حفلة استقبال دعا إليها عددا كبيرا من المشتغلين بالثقافة والعلوم والآداب والفنون .

القمر الصناعى الثانى

أطلقت روسيا يوم ٣ نوفبر قمرا صناعيا ثانيا مزودا بأجهزة علمية أدق وأكثر مما كان مزودا به القمر الأول ، وهى تذيع ما تسجله من معلومات على ذبذبة طولها ٤٠٠٠٢ كيلوسايكل و٥ر٢٠٠٠٥ كيلوسايكل وفيه محطة إرسال لاسلكية تذيع على موجتين طول الأولى ٥ر٧ مترا والثانية ١٥ مترا ، ويتم دورته حول الكرة الأرضية فى ساعة واحدة و ٤٢ دقيقة ، بينما القمر الأول يكمل هذه الدورة فى ساعة و٣٦ دقيقة لصغره وضيق منطقة دورانه . ومما يحمله القمر الثانى أجهزة خاصة بدراسة الإشعاع الشمسى والأشعة الكونية وأجهزة لقياس درجات الحرارة والضغط الجوى . وكان ارتفاع القمر الأول فى الجو ٥٦٠ ميلا بينما وصل الثانى إلى ١٠٥٦ ميلا ، وكان وزن القمر الأول ٨٢ كيلوجرام ، ووزن الثانى ٥٠٨ ، وسرعة انطلاق القمر الأول ١٨ ألف ميل فى الساعة والثانى ١٧٨٤٠ ميلا ، والقمر الأول كروى الشكل والثانى كشكل الصاروخ له مقدمة مدببة ، ويمتاز القمر الثانى بأنه يحمل كلبة وضعت فى غرفة مكيفة للهواء ومزودة بالطعام اللازم لها ، واسم هذه الكلبة « لايكا » أى النباحة ، وقد أريد من إطلاقها فى القمر الثانى تجربة مبلغ تحمل الأحياء للإشعاع الشمسى وغيره من الإشعاعات التى تخترق غلاف القمر ، فاذا كان مما يتحمله الأحياء أمكن قيام الإنسان بمثل هذه التجربة فيما بعد ، وفى القمر الثانى أجهزة لتسجيل نبض الكلبة وتنفسها وضغط دمها ، وهذه التسجيلات تنقل إلى الأرض عن طريق صمام من صمامات التليفزيون ، وبعد أسبوع من انطلاق القمر الثانى انقطعت الإشارات اللاسلكية عن الكلبة ، فعلم من ذلك أنها ماتت ، وبعد أسبوعين من انطلاق القمر الثانى أى فى صباح ١٧ نوفبر كان قد أتم ٢٠٨ دورات حول الأرض فقطع بذلك ٩ ملايين و٥٣٥ ألف كيلومتر ، بينما القمر الأول كان إلى ١٧ نوفبر قد أتم ٦٦٧ دورة حول الأرض .

أنباء العالم الإسلامي

سوريا ومصر في طريق الاتحاد

في صباح يوم السبت ٢٤ ربيع الآخر (١٦ نوفمبر) طار إلى سوريا وفد مؤلف من أربعين نائبا يمثلون مجلس الأمة المصرى برئاسة السيد أنور السادات ، فاستقبل فى دمشق وفى أمهات المدن السورية استقبالا رسميا وشعبيا منقطع النظير ، وأصدرت المقاومة الشعبية نداء إلى المتطوعين لاستقبال الوفد المصرى بكامل أسلحتهم ، وتصدر مديرية البريد مجموعة من الطوابع تذكارا لهذه الزيارة .

ووصف راديو دمشق استقبال النواب المصريين بأن ٢٤٠ سيارة نقلت المستقبلين إلى مطار دمشق منها ٩٠ سيارة كبيرة ، وأطلقت أسراب كثيرة من الحمام ، ولشدة الازدحام الشعبي فى المطار لم يتمكن النواب المصريون من مصافحة المستقبلين أو استعراض حرس الشرف . وقدر عدد المستقبلين بثلاثين ألفا .

وأقام لهم السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية مأدبة غداء قال فيها : « إنكم فى بيتكم ، وبين أهلكم وذويكم . وأنتم إذ تنتقلون من مجلس الأمة فى القاهرة إلى المجلس النيابى فى دمشق فإنما تنتقلون إلى مجلس هو مجلسكم وأعضاؤه هم إخوانكم ، لهم نفس المشاعر والأهداف التى تسمون من أجلها ، وهى الوحدة العربية التى سنحققها بإذن الله وبفضل سعى الأمة العربية كلها .

وقال النائب المصرى السيد كمال الحناوى : إننا سنعمل معا لتحطيم الحدود المصطنعة بين البلاد العربية وبذلك يستطيع كل عربى أن ينتقل من بلد عربى إلى أى بلد عربى كأنه ينتقل داخل قطر واحد .

وفى جلسة عقدها مجلس سوريا النيابى بعد ظهر يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر (١٨ نوفمبر) واشترك فيها نواب الأمتين ، أعلن نواب المجلسين النيابيين السورى والمصرى رغبة شعبى البلدين فى إقامة اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا ، ودعا المجلسان حكومتى البلدين للدخول فورا فى مباحثات مشتركة لاستكمال تنفيذ هذا الاتحاد ، وقد وافق النواب بالإجماع على القرار الآتى :

« إن نواب المجلسين المجتمعين فى جلسة مشتركة إذ يعلنون رغبة الشعب العربى فى مصر وسوريا فى إقامة اتحاد فيدرالى بين القطرين ، يباركون الخطوات العملية التى

اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية في سبيل تحقيق هذا الاتحاد، ويدعون حكومتي مصر وسوريا للدخول فورا في مباحثات مشتركة بغية استكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد ».

وتكلم السيد أنور السادات فيما المجلس باسم رئيس مصر ومجلس مصر وشعب مصر وقال: إن المعركة التي تخوضها سوريا اليوم ليست معركة سوريا وحدها إنما تخوضها سوريا باسم القومية العربية وباسم كل الشعوب العربية من أجل كل الشعوب ومن أجل القيم البشرية.

وقال: إن مصر وسوريا منذ قديم الأزل وطن واحد وشعب واحد، وما من فترة انعزلت فيها سوريا عن مصر أو انعزلت فيها مصر عن سوريا إلا وحاقت بالعرب الكوارث والنكبات، وما من مرة اجتمع فيها شمل الوطن الواحد لسوريا ومصر إلا وانتصر العرب وطردوا كل من جاء إلى ارضهم يفرض عليهم استعمارا أو سيطرة. فاذا مادعونا اليوم لاتحاد بين سوريا ومصر فانما نصحح الوقائع ونصل الماضي بالحاضر. إننا لا نريد اتحادا من أجل الاعتداء، ولا من أجل الاستيلاء على أرض غيرنا، ولكننا نبغى الاتحاد من أجل حرية العرب أجمعين.

وكان من مظاهر الاتحاد تناوب السيد أكرم الحوراني والسيد أنور السادات رياسة الجلسة، كما تناوب السكرتارية السيد فاروق غلاب عضو مجلس الأمة المصري والسيد راتب الحسامي النائب السوري، وكان العلمان السوري والمصري يرتفعان فوق منصة رئيس المجلس.

وحضر هذه الجلسة التاريخية جميع الدبلوماسيين العرب وبعض ممثلي الدول الأجنبية. وعلى أثر إعلان قرار الاتحاد قامت مظاهرة ضخمة تهتف بالوحدة بين البلدين وبحياة رئيسيهما.

مجلس الأمة المصري

يوافق بالإجماع على الاتحاد

لما كان مجلس سوريا النيابي يتخذ القرار التاريخي العظيم بالاتحاد بين مصر وسوريا، كان مجلس الأمة المصري مجتمعا ينتظر صدور ذلك القرار من دمشق، إلى أن تلقى هذا النبأ العظيم فعرض السيد عبد اللطيف البغدادي على المجلس اقتراحا مقدما من عشرين عضوا بتأييد قرار المجلس السوري. وتلى القرار فوافق عليه مجلس الأمة المصري بالإجماع وسط دوى التصفيق الشديد.

تعليق أنور السادات

قال السيد أنور السادات في مؤتمر صحفي

عقـده بدمشق مساء ٢١ نوفبر : إن اتحاد مصر وسوريا هو الخطوة الأساسية لتحقيق (الاتحاد العربى الشامل) ، وإن وفد مجلس الأمة المصرى وأعضاء البرلمـان السورى قد اتفقوا فى اجتماع عقد فى الليلة السابقة على إعلان قرار الاتحـاد ، وسيتولون متابعة هذا القرار أمام المجلسين السورى والمصرى لوضعه فى حيز التنفيذ ، على أن يتاح لخبراء الحكومتين المصرية والسورية فرصة دراسة التفاصيل القانونية لهـذا القرار ، لإعلانه بصفة رسمية ، إنكم تحسون أن هذا الاتحاد جاء وليد إرادة الشعبين السورى والمصرى ، وإننا نرحب بأى شعب عربى يريد أن يضم إرادته إلى الشعب السورى المصرى ، وإننا جميعا متفقون على أن أهـــدافنا كشعوب واحــدة ، ولكن بعض الظروف بالنسبة للبعض منا هى التى تؤخر هذا الاتحاد .

ولمناسبة ما أعلنه الحاج أمين الحسينى من أن فلسطين هى سوريا الجنوبية وجزء لا يتجزأ منها ولذلك هى عضو فى الاتحاد المنشود قال السيد أنور السادات تعليقا على ذلك : إننا مدينون لفلسطين بمـا تم من خطوات نحو جمع الكلمة ، فلو لم تكن إسرائيل قـد زرعت زرعا فى قلب وطننا العربى فى فلسطين لمـا استيقظنا من سباتنا العميق ، إن فلسطين طرف أصيل فى هذا الاتحاد .

نائب سورى
فى مجلس الأمة بمصر

فى جلسة مجلس الأمـة التى ألـقى فيهـا القائد العام عبد الحكيم عامر بيان عن مهمته فى روسيا ، لاحظ السيد عبد اللطيف البغدادى رئيس المجلس أن فى شرفـة الزائرين النائب السورى عبد الحميـد رستم ، فقال الرئيس والجلســة لا تزال فى مستهلها : يشرفنا أن يكون من بين الحاضرين فى شرفة الزائرين النائب السورى عبد الحميد رستم . وأظن أن المجلس يشاطرنى الرأى فى أن أدعوه لينضم إلينا ... وقوبلت هذه الكلمة بتصفيق شديد من أعضاء المجلس ، وانضم النائب السورى بعدها إلى زملائه بدعوة جماعية من أعضاء المجلس .

أقوى أمة فى العالم الاسلامى

علقت جريدة (ديلى ميرور) الأمريكية على الحالة فى الشرق الأوسط فقالت : إن فـكرة الاتحاد بين سوريا ومصر قد تؤدى إلى تـكوين أقوى أمة فى العـالم الإسلامى فى تلك المنطقة .

٦٢ مليون جنيه
قيمة مصانع من روسيا لمصر

وصل اللواء عبـــد الحـكيم عامر وزير الحربية المصرية فى خلال رحلة فى موسكو إلى اتفاق مع قادة الاتحاد السوفيتى يتضمن

أن يقدم الاتحاد السوفيتي لمصر مصانع قيمتها ٧٠٠ مليون روبل ، أي ما يساوي ٢٠٠ مليون دولار (٦٢ مليون جنيه) تقدم كلها على شكل تعاون اقتصادي تستعمله مصر في برنامج السنوات الخمس للتصنيع . على أن تبدأ مصر في سداد هذا المبلغ بعد خمس سنوات من تاريخ عقد الاتفاق ، ويكون تسديده على أقساط تمتد إلى ١٢ سنة بعد السنوات الخمس الأولى (فيتم التسديد من إنتاج هذه المصانع في سنة ١٩٧٤) .

برنامج السنوات الخمس لمصر

قال الدكتور القيسوني : هناك مشكلتان تواجهانا في سياسة التنمية الاقتصادية : أولاهما ضعف الجهاز الفني ، وهي تحتاج لعلاج يأتي عن طريق التربية والتعليم والتقاليد الصناعية . وثانيتهما زيادة السكان بمقدار ٢½ ٪ سنويا ، ولكي نستطيع المحافظة على مستوى المعيشة الحالي يجب أن يستثمر الدخل القومي الذي يبلغ ألف مليون جنيه على أساس ٨ ٪ ، أي يكون للدخل استثمار ٨٠ مليون جنيه سنويا ، كما أننا نحتاج المحافظة على المنشآت وصيانتها إلى ٥٠ مليون جنيه أخرى على أساس ٥ ٪ .

وهناك دخل قناة السويس ، فلو فرضنا أن الإيراد السنوي ٣٧ مليون جنيه ، والمصاريف الخارجية ما بين ٧ و ١٠ ملايين فسيظل حوالي ٢٧ مليون جنيه من النقد الأجنبي في مصر ، وهذا ما حققه تأميم قناة السويس من نتائج مالية ونقد أجنبي .

وبرنامج السنوات الخمس مقدر له مبلغ ٢٣٠ مليون جنيه ، منه ٧٠ أو ٨٠ مليونا نفقات داخلية والباقي نفقات خارجية ، فالمعدات التي سنتسلمها من الخارج وقيمتها ٦٢ مليون جنيه نتيجة القرض الروسي ستساعد على تنفيذ جزء كبير من برنامج التصنيع .

وقال عن تمصير البنوك : إنه موضوع كان ينبغي أن يتم من مدة طويلة ، ونحن الآن نفخر بالإدارة المصرية في البنك الأهلي وقد مصرت البنوك وهي الآن تقوم بمهمتها أحسن مما كان قبل التمصير .

وإن الخطة الشاملة للتخطيط ستكون لمدة سنتين وستعرض على مجلس الأمة ثم تنفذ بعد إقرارها من المجلس .

إكمال التحرر بأندونيسيا

إن الاستعمار الهولندي الذي أزاله الله من أندونيسيا بعد ثلاثمائة سنة من رسوخه واستقراره لا تزال له بقايا في إيريان الغربية (غينيا الجديدة) . وأندونيسيا مصممة على قطع الذنب بعد أن حطمت الرأس . وستجرب الاستعانة بالضمير العالمي في الأمم المتحدة ، فإن فشلت جهودها في هذا الميدان

فستوجه همتها نحو تنفيذ قرار المؤتمر الشعبي الذى اتخذه الأندونيسيون فى جاكرتا يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر (١٨ نوفمبر) وهو يقضي بتأميم المؤسسات الهولندية الكبرى فى جميع بلاد أندونيسيا .

سرطان إسرائيل

جاء فى الخطاب الذى أذاعه الملك سعود بمناسبة العام الخامس لارتقائه العرش : « إن الصهيونية حشدت الدول الاستعمارية كلها وتآمرت معها على العرب لتحقيق أطماعها التوسعية فى الدول العربية . فعلى المسلمين أن يضاعفوا جهودهم لمكافحة الصهيونية واستئصال سرطان إسرائيل ، وأن يتحدوا للدفاع عن حقوق اللاجئين العرب وإعادتهم إلى وطنهم وإعادة ممتلكاتهم إليهم . إننا نعتبر أنفسنا مع الدول العربية الشقيقة فى صد أى عدوان يقع على أية دولة عربية ، ونحن مصممون على المضى فى العمل وفقاً لميثاق الجامعة وقرارات مؤتمر باندونج . ولن يستقر لنا قرار حتى تعود واحة البريمى إلى أحضان الوطن السعودى » .

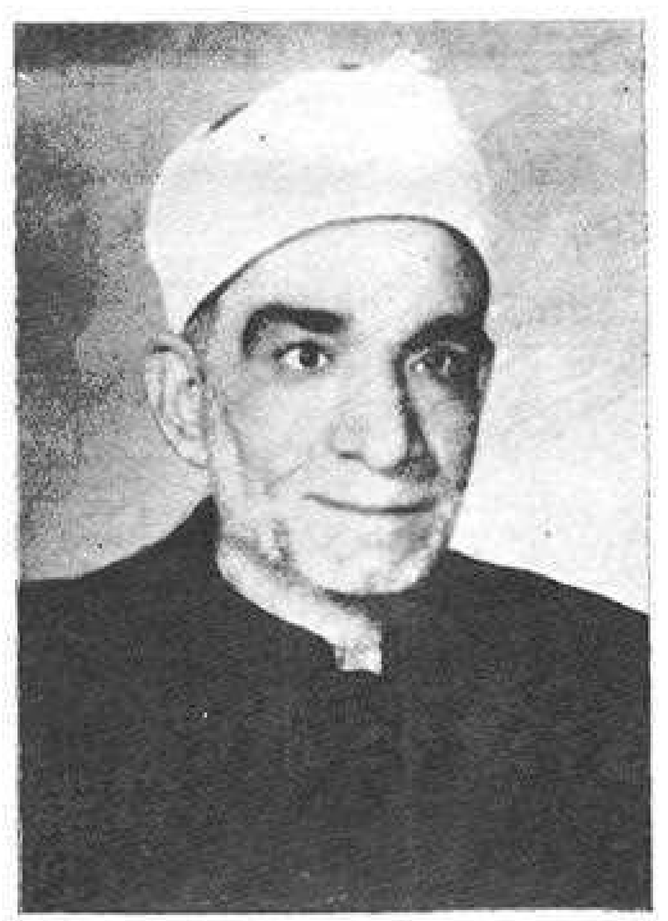
اللاجئون من فلسطين

ندبت جريدة (فرانس سوار) صحفيا اسمه (مارسيل نيدرجانج) ليزور البلاد العربية ويوافيها بسلسلة من الرسائل ، فكان مما زاره البيئات التى يعيش فيها اللاجئون الفلسطينيون العرب ، ودخل مدرسة متواضعة يديرها شيخ فى الخمسين من عمره وزوجته ، فسأل المراسل زوجة مدير المدرسة عن الإسرائيليين ، وسمعها تجيبه بعنف وهى تضرب المكتب بقبضتها : « إن الإسرائيليين فاشيون قذرون » . وكررت كلامها بغضب متزايد : « إن الإسرائيليين أسوأ من الجستابو ، إنهم سفاحون » . وسألها عن غارات الإرهابيين العرب على إسرائيل ، فانطلقت قائلة : « هذا بهتان ، وهم يكذبون . هم الذين يحضرون إلى هنا للنهب وهتك الأعراض » . ثم قالت : « يجب أن تزول دولة إسرائيل ، وليس هناك حل آخر » . قال المراسل الفرنسى : وكنت أقرأ على وجوه القوم هذه الكلمات : « هل ترون هذا السرطان ، هذا الجذام ؟ إنكم أنتم أيها الغربيون خلقتموه عندما خلقتم دولة إسرائيل » .

الاستعمار الاسبانى فى المغرب

كانت الحكومة الإسبانية قد وعدت رسميا برد المنطقة التى تسيطر عليها فى الجنوب إلى الحكومة المغربية فى خلال أيام من الاحتفال بعيد جلوس ملك المغرب ، ولما تأخرت فى الوفاء بما وعدت قامت ثورة على السلطات الإسبانية فى منطقة سيدى حفنى ، والمنتظر أن يتسع نطاق الثورة إذا لم تحسن اسبانيا تقدير الموقف .

الفهرس



فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الأزهر

قرار جمهوري

رقم ١٠٤٩ لسنة ١٩٥٧

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ باعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

قــرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ١٧ ربيع الثانى سنة ١٣٧٧ (٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧)

رئيس الجمهورية

جمال عبد الناصر

تحيـــة الازهر
لوكيل الازهر

تحية الأزهر لوكيل الأزهر

تؤديها مجلة الأزهر

عنى الأزهر بتربيتك طفلا إذ كانت مخايل ذكائك واضحة جلية ؛ ومنحك بسخاء مناهله العذبة حتى رويت منها نهلا وعللا وأنت فى بدء شبابك ، وما زال يرعاك حتى أنس فيك القدرة على أن تكون فى الصف الأول من صفوف رجال الدين ، فحملك الأمانة وأخذ منك العهد وخرجك ، لا أقول تحمل قبسا أو مشعلا ، ولكن تحمل منارة تهدى السالك فى أحلك المسالك ، ويستضىء بنورها القريب والبعيد ، فكنت عند حسن ظن الأزهر فيك ، ولم يقف علمك عند بابه بل ولج كل المجتمعات ، واهتدى بنوره كل الطبقات ، وبلغ صوتك بالهدى والرشاد السمع فى جميع الجهات ، حتى صار رأيك للناس فى الدين من أكبر عوامل اليقين .

والأزهر إذ يهنئك بمنصب وكيله يحيى فيك غزارة العلم ، والشجاعة فى الحق ، والقوة الجبارة فى الذود عن الدين .

يا فضيلة الوكيل :

شغلت هذا المنصب بعد أن جمد الأزهر ونضب معينه من دنيا ودين ، ونظمت كل الطوائف صفوفها للعمل فى كل الميادين ، ووضعت خطط النهضة لجميع مراحل التعليم ، ووقف الأزهر مذهولا وقد خفت صوته أو كاد ، وجلجل صوت الضلال والإلحاد ، ولم يتقدم لحمل راية الأزهر أحد ، فهيا تقدم يا فضيلة الوكيل بما عهدناه فيك من شجاعة واحمل الراية ، وضع يدك فى يد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وسيرا حثيثا فى سبيل إصلاح الأزهر فى جميع المراحل من كل نواحيه ، واعملا على أن يخرج الأزهر للناس رجلا للدنيا والدين ، ومثلا يحتذى فى الفضيلة والخلق المتين .

يا فضيلة الوكيل :

لقد جد للناس فى دنياهم التى فاضت أمور ، ونزلت بهم أحداث وظهرت لهم مشكلات ، وقد أكمل الله الدين فما من مستجد إلا له حكم ، ولكن الناس لا يدرون لذلك

حكمه من الدين ، بل ربما لا يدريه بعض الأزهريين ، إذ هو لا يزال يحتاج إلى البحث والاجتهاد ، فقد تعين عليكم أن تبينوه للناس ، إما بأنفسكم وإما بمن تختارون من ذوى العلم والقدرة على الاستنباط ، حتى يكون الناس على بينة من الأمر ويتبين الرشد من الغى .

يا فضيلة الوكيل :

لأبناء الأزهر حقوق مهضومة ، ودنيا ضاقت عليهم ووسعت غيرهم ، وعلى بعضهم وقعت مظالم ونزلت مساءات ، فاعملوا على أن تذودوا عن الحقوق المهضومة ، وتجلبوا السعة لمن ضيق عليهم ، وتدفعوا الظلم عمن ظلم منهم ، وتردوا إلى كل ذى حق حقه .

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، كتب الله لكم التوفيق ، ومنحكم المعونة »

مدير المجلة

عبد الرحمن عيسى

فجر جديد

كان الأحرار من علماء الأزهر ، والغيورون من شبابه ، والأيقاظ الهادفون ذوو الرسالة فيه ، يحسون بالحسرة على ماضيهم ، وبالحيرة فى حاضرهم ، وباللهفة على مستقبلهم ، ومصير هذه الجامعة كيف يكون ؟ .

خواطر تغمر هؤلاء ، وأمسى يغدون ويروحون بين صبحه ومسائه ، وهم ما بين يائس ارتاح بيأسه ، ومناضل لم يلق سيفا ، وبينما هم كذلك : فى ثورة نفس ، أو ظلمة يأس ، أو حيرة حس ، إذ وفد إليهم البشير بنبأ الرائد الجديد ليكون وكيلا للأزهر .

وأشهد أن الأعباء الملقاة على كاهل الوكيل الجديد أعباء جسام ، لا ينهض بها غير أولى العزم الذين أوتوا الإيمان الراسخ ، والعزم المصمم ، والعقل الواعى ، والغيرة اليقظى الساهرة على مجد الأزهر وصالح المسلمين .

وأشهد كذلك أن نفوس الأحرار من أبناء الأزهر قد استقبلت الأستاذ الوكيل، وهى غير حريصة على سوق ما عهد من أساليب التحية ، وإزجاء ما ألف من عاطر الثناء، فى مثل هذه المناسبات مترفعين بأنفسهم وبه أولا عن التحيات التى هى أقرب ما يكون إلى الشعر، وأبعد ما يكون عن الجد، فانما الأستاذ جاد هادف يتحسس مواطن الإصلاح ويتحرق على مجد الأزهر ، وينهض بأحاسيس وخواطر فى سبيل هذه الجامعة يجب أن يفضى إلى أبنائه بها ، وأن يستهدى رأيهم فيها ، وأن يستبين موقفهم منها، شأن صاحب الرسالة الذى يعول على سكب أهدافها ومثلها وغاياتها فى نفوس الناس .

لذلك رأيت إخواننا الذين سعوا إليه يقفون منه مواقف مقتضبة لا ديباجة لها ولا فضول فيها ، ورأيتهم ينثرون على عاتقه أعباء وتبعات غير مترفقين ولا متمهلين ، ورأيتهم تتسم أساليبهم بالصراحة والصرامة ، ورأيت الأستاذ فى ذلك عجبا ! !

رأيته « والله يعلم صدق ما أقول » : يطرب لهذا الأسلوب ويرتاح له، ورأيته يحدث بمثله قويا جريئا مستهدفا منى وغايات وأمجادا .

رأيت الشيخ قد اتجه فى لقائنا به إلى فكرة عبر عنها وهو مؤمن أشد الإيمان حين قال : « إنى لا أقنع بهـذا اللقاء الخاطف المفرق الذى يجيء من بعضكم وفى مناسبات ، لا بد أن نلتقى جميعا فى اجتماعات أسرية تقوم فى الأزهر أو فى الكليات أو فى قاعة المحاضرات ، لنتدارس شئوننا وشئون المسلمين ، ونتناول الرأى فيما يشغلنا ويشغل المسلمين »

هـذه كلمات جرت على لسانه ، ونبعت من جنـانه ، وأكدتها قسماته ، ونبراته ، وإشاراته ، وعلم الله أنى لم أسمعها بأذنى فحسب ، بل سمعتها بعقلى وبقلبى وبجوارحى .

الأحرار من أبناء الأزهر لايغتصون من صراحة القول ، بل يحشدون العبارات الحادة القاسية المفصحة عن الإصرار على نجدة الأزهر وتدارك مجده ، وتغيير وجه الأمر فيه ، والرائد الجديد يناديهم : أن تعالوا إلى اجتماعات أسرية نتشاور فيها ونتعاون ونتناصح ، فهو مؤمن بالشعب ، بالأزهر ، لايخشاه بل يأنس إليه ويطلب لقاءه ويعول على رأيه واتجاهه .

والشعب الأزهرى مؤمن بضرورة الإصلاح ، زاحف إلى العمل والحياة الماجدة ، معول على رأى الشيخ ويقظته وأفكاره واتجاهه .

إذن فهذه بوادر موفقة ، ومطـالع مشرقة تفترعن أمل حى وصفحة ناضرة فى تاريخ الأزهر إن شاء الله . .

ومتى كان فى ذرا الأزهر مثل هـذا الجرىء الحى الذى لا يقنع باجتماعنا بل يدعو إليه ، ويسعده تناصحنا ويحض عليه ، كان ذلك هو الفرصة السانحة لتعاضد أولى الأمر فى الأزهر على ما من شأنه أن يعز الأزهر ، ويفسح له مواضع السيادة ، ويرد عنه العاديات والأعداء .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » ما

محمد كامل الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

وكيل الجامع الأزهر

فى معسكر الأزهريين

توجه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر إلى معسكر التربية العسكرية بميدان الكليات الأزهرية، بدعوة من حضرات ضباط المعسكر الأزهرى.

وقد سره ما شاهده فى المعسكر من نظام ونظافة تامين أعجب بهما فضيلته كثيرا، فأثنى على القائمين بأمر هذا المعسكر، وذكر لهما أن النظافة طهر يجب أن تتوافر حول دور المعرفة، وأبنية التعليم، فذلك يدعو إلى الفهم ويدفع إلى حب المعرفة، ويكسب العقل حدته، والذهن نشاطه، ثم شاهد بعد ذلك أبناء الكليات والمعهد فى أرض الطابور، وهم فى غاية الدقة، وتمام الأهبة لتلبية أى نداء يصدر إليهم من قادتهم، وما هى إلا دقائق حتى صدرت إليهم الأوامر، فكانوا أسرع من البرق فى العدو واختراق الخنادق وتسلق المرتفعات وتخطى الحواجز، نارية كانت أو بنائية أو غير ذلك، بشكل يبعث على الدهشة، ويدعو إلى الغرابة. حتى فى طلقاتهم المصوبة التى أطاحت بالهدف، وأصابت الغرض بشكل جعل فضيلة الشيخ محمود شلتوت يسر كثيرا فدعاهم وتحدث إليهم بالآتى:

موجز كلمة فضيلته

أبنائى أبناء الأزهر: أبنائى أبناء الأزهر: وإذا قلت أبناء الأزهر فإنما أقصد ذلك الأزهر ذا المجد العتيد، والماضى الخالد، والشخصية الفذة، التى ينظر إليها العالم، وتعرفها الدنيا، ويحدها التاريخ. وأنتم أبناؤه تحملون رسالته، رسالة النور والمعرفة التى قام بها شيوخنا وشيوخكم فى الماضى، وتقومون أنتم بها الآن، وتزيدون عليها هذه الثقافة العسكرية. فبهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعملية. فأنتم أرباب سيف وقلم، ولقد كان يسعدنا أن نكون مثلكم نجمع بين الأمرين، ونحوز المجدين، ولكن مافات الآباء يعوضه الأبناء، ولو بعث شيوخنا من قبورهم، أو أعيدت أرواحهم إلى أجسادهم لكانوا معكم، وبين صفوفكم، يفخرون بذلك ويعتزون به.

وكيل الجامع الأزهر فى معسكر الأزهريين

وقد كان الأزهرى فى الماضى يعفى من الجندية، ويظن ذلك مزية، وحين حرمنا منها طالبنا بهـا مع أن الإعفاء شر ، وكنا نطالب به لأننا كنا مغرورين مخـدوعين بأساليب الاستعمار بالنسبة لنا ، حيث عرف العدو أن القوة أصلها الدين ومنبعها معرفة أسراره ، فحال بين رجاله وبين الخدمة العسكرية بحجة التـكريم لهم والرفع من شأنهم ، فما أهونه من تـكريم ! ! .

ولو رجعتم إلى الوراء، ونظرتم فى التاريخ الإسلامى، لأدركتم أن القرآن لم يؤمر بكتابته إلا حين استحر القتل بين حفاظه فى موقعة اليمامة ، وخيف على القرآن من الضياع بموت حفظته . . فمن هذا ترون أن حملة القرآن والقائمين عليه كانوا فى الصف الأول من صفوف المجاهدين فى سبيل الله ، وأكبر شاهد على ذلك رسولكم محمد « صلى الله عليه وسلم » فقـد كان يتقدم الصفوف ويقتدى به المسلمون، فضرب لهم المثل الأعلى فى الشجاعة والإقدام .

فسيروا على بركة الله فى طريق العلم تثقفون به نفوسكم وتحيون شعبكم، وفى طريق القوة تحفظون بها كيانكم ، وتردون بها قوى البغى عنكم وعن دينكم وعن أوطانكم .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنوه بأن ما أحرزتموه من تفوق فى هذه الفترة الوجيزة يرجع إلى إخلاص قادتكم وحسن توجيههم لكم، فلهم ولكم عظيم تقديرى وشكرى، وفقكم الله جميعا .

والسلام عليكم ورحمة الله »

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	للطلبة في وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء السادس ـ القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٧ ـ ٢٢ ديسمبر ١٩٥٧ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

ثورتنا الاجتماعية

لم يكن الغزو الاستعماري من الغرب لهذا الشرق الإسلامي والوطن العربي مقتصرا ـ في المائة السنة الماضية وماقبلها ـ على مظاهره العسكرية وأساليبه السياسية ، كما يلوح لمن ينظر إليه في أول وهلة ، وإنما كان غزوا فكريا وثقافيا ، واحتلالا اجتماعيا واقتصاديا ، ثم هو بعد ذلك غزو عسكري واحتلال سياسي ، لمواصلة الغزو الفكري والاحتلال الاجتماعي والاقتصادي .

ومن طبيعة الغزو العسكري والاحتلال السياسي لقطر من الأقطار أن تنفرد به دولة واحدة من دول الغرب الاستعمارية ، وتجاهله ـ أو ترضى به وتباركه ـ زميلاتها ومنافساتها من دول الاستعمار الأخرى . أما الغزو الفكري والاحتلال الثقافي والاجتماعي ـ وربما انضم اليها الغزو الاقتصادي أيضا ـ فتشترك في ذلك كله جهود أبناء الدول الأخرى وتتعاون عليه ، ويباح التنافس في ميادينه للغربيين جميعا ولصنائعهم وأعوانهم من كل ملة .

فالغزو الفكرى والثقافى ، والاحتلال الاجتماعى والاقتصادى ، هما الغرض الأول من الاستعمار . والغزو السياسى والعسكرى وسيلة لهما فى بعض الظروف ، أو نتيجة من نتائجهما فى ظروف أخرى .

كان غزو الانجليز العسكرى فى أيام الخديو توفيق (سنة ١٢٩٩ هـ ، ١٨٨٢ م) . أما الغزو الفكرى والثقافى ، والاحتلال الاقتصادى والاجتماعى ، فقدسبقه إلى مصر من أيام الخديو اسماعيل (١٢٧٩ هـ ، ١٨٦٣ م) ، أى قبل الاحتلال العسكرى بنحو عشرين سنة .

غزو الانجليز العسكرى لمصر انفرد به الانجليز ، وأما الغزو الفكرى والاجتماعى والاقتصادى ، من عهد إسماعيل إلى زمن ابنه توفيق ثم فى مدة اللورد كرومر ، فكان غارة شعواء ، وغنيمة سامها كل مفلس ، ومائدة تهافت عليها الجياع كلهم بلا استثناء ، حتى كادت تكون مصر وطنا عالميا ، بل كان النظام القائم فى زمن اللورد كروم يشجع الأجنبي على الوطنى ، واستغلوا ما يسمونه « الامتيازات الأجنبية » استغلالا معيبا . ومع أن نظام الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة والمحاكم القنصلية قد انتهى قبل نحو عشرين سنة ، إلا أن آثاره وسننه ورواسبه فى أذهان الناس جعلت هذا الشر الاجتماعى والاقتصادى هو المألوف ، وهو القاعدة ، وكل دعوة إلى عكسه هى المستغربة ، لأن الجيل كان ينشأ بعد الجيل فى عشرات السنين الماضية فلا تقع أبصار بنيه إلا على هذا الشر المألوف . والصحف بدعوتها إلى التفرنج ، والتنفير من مقوماتنا القومية الأصيلة واعتبارها ذلك رجعية وتخلفا ، قد عملت على ترسيخ هذا الإلف فى النفوس والعقول والقلوب حتى كدنا نشك أنفسنا ، وحتى انقلب معسكر الغزو الفكرى والاجتماعى فصار جنوده من صميم أبنائنا وبناتنا وفى داخل قلاعنا .

كنا من عهد الخديو إسماعيل - أى قبل أكثر من تسعين عاما - هدفا ثابتا لهذا الغزو الاجتماعى اللئيم الذى اجتاح كياننا القومى ، وقلاعنا الفكرية والاقتصادية ، وتغلغل فى أوضاعنا المالية والتجارية والمنزلية ، وما زال حتى استولى بيد من حديد على قيادتنا الثقافية والتوجيهية . ولقد أتيت على لمحة خاطفه من وصف بدايات هذا الغزو فى مقال بعنوان « درس » فى جزء جمادى الأولى من السنة الماضية ، وتحريت أن يكون مدعما بالوثائق الرسمية مقيدة بتواريخها ، وبالنصوص المحترمة معزوة إلى مصادرها ، مما لا يزال القراء على ذكر منه . ومن عهد الخديو إسماعيل توالى هذا الغزو بحملات

متواصلة ، وبأيد مختلفة ، حتى صرنا إلى كياننا الاجتماعى الغريب عنا والمفروض علينا ، وهو كيان تعقدت فيه المشاكل ، وسميت الأشياء بغير أسمائها ووصفت بعكس أوصافها .

لقد أقحموا الصبغة الاجتماعية الأجنبية على مصر منذ أو هموا إسماعيل ورجال حكومته بل أقنعوهم حتى آمنوا « بأن التقدم لا يأتى إلا من ناحية أوربا » كما اعترف بذلك نوبار وزير إسماعيل فى مذكرته التى رفعها إليه فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ ، فصارت حكومة إسماعيل « تتطلع إلى إشراك هذا العنصر المتمدن فى أعمالها » كما جاء فى تلك المذكرة التى اضطر فيها نوبار إلى إعلان أن هذه السياسة لم تنتج إلا مشروع قناة السويس المشئوم ، وأن كل ما وضع فيه الأوربيون أيديهم من مشروعات مصر الأخرى لم يتم ، وكان مدعاة للتعويضات ، فدفعت الحكومة المصرية فى السنوات الأربع الأولى من حكم إسماعيل سبعين مليونا من الجنيهات تعويضا للأوربيين عن مشروعات لم يتموها ولم تنتفع بها مصر ، وتكبدت مصر – مع ذلك – كل الخسائر التى كبلت ماليتها بأغلال من الديون والربا الحرام رسفت فيها دهرا طويلا ، وسقط إسماعيل بعد عشرين سنة من بداية حكمه وازاحته أثقال من الخداعه بالغرب ، وإيمانه بحضارته الكاذبة ونظامه المبير ، ثم مات مخلوعا ذليلا . وجاء ابنه توفيق فاستعان على أمته بالغزو العسكرى والاحتلال السياسى الذى واصل به الانجليز غزو أوربا الفكرى لمصر واحتلالها الاجتماعى والاقتصادى .

هذه نتيجة تعاون الحمل مع الذئب ، وقد اعترف نوبار بأن الحكومة التى كان يمثلها فى ظل إسماعيل تورطت فى اصطناع التقدم المجلوب من الخارج ، ومع أن هذا الاعتراف جاء فى السنة الرابعة من حكم إسماعيل – وكانوا لا يزالون فى بداية الشوط – فإنهم عجزوا عن تدارك الخطأ والعدول عن طريقهم المشئوم ، لأن الأغلال التى تمكن الغرب من تكبيل مصر بها حالت بين الحمل وبين الافتراق عن الذئب ، إلى أن جاء الاحتلال العسكرى والسياسى فى زمن توفيق فهذب حواشى الظلم ، وربى رجالا مؤمنين به ، ومكن للأجانب وأذنابهم من ناصية التجارة والحركة الاقتصادية وبيوت المال وكفل للاقطاعيين مصالحهم بابتزاز جهود الكادحين فى الزراعة ، وتم بذلك للانجليز ما أرادوه لإكمال الاحتلال المالى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

إن قصة الاحتلال البريطانى لمصر هى قصة إفساد المجتمع المصرى ، وتوجيه الأمة توجيها تؤمن معه بالغرب ، لتكون أداة لمصالحه وأغراضه القريبة والبعيدة فى السلم والحرب ، فتقطع كل أمل لها فى استرداد سيادتها الحقة ، والعود بوطنها إلى نظام الاستقلال .

قصة الاحتلال البريطانى لمصر هى قصة تجريد المصريين من ينابيع ثروتهم الأدبية والمادية ، ووضع مفاتيح هذه الثروة فى أيدى الأجانب ، أو فى أيدى وطنيين يؤمنون بالغرب وبضاعته كإيمان الغربيين .

قصة الاحتلال البريطانى لمصر هى قصة التواطؤ بين الاستعمار الأجنبى وبين الذين رباهم على عينه ، فآمنوا كإيمان إسماعيل ونوبار بأن التقدم والترقى والحضارة هى فى الانسلاخ عن سجايانا وفضائلنا وأحكامنا وأخلاقنا والكفر بها ، والاندماج بالغرب وسجاياه وما يعتبره فضائل وأخلاقا وتمدنا ، والإيمان بها ، بل بقشورها ...

هى قصة طويلة ألف فيها المؤرخون من مصريين وأجانب ، لكن هؤلاء المؤلفين وجهوا عنايتهم فى مؤلفاتهم إلى جانب الغزو العسكرى والاحتلال السياسى ، وتكلموا فيها بإيجاز أو تفصيل على الجانب الاقتصادى ، أما الجانب الاجتماعى والفكرى والثقافى ، وما يتنافى منه مع روح مصر ومصلحة مصر والنصح لمصر ، وما انطوى عليه من مكايد الاستعمار وخبثه ولؤمه ، فقد بقى الناس يجهلون الكثير من هذه الحقائق والدخائل ، وإن فى حملة الأقلام من تلاميذ الاستعمار الأجنبى من يغالط قراءه حتى يومنا هذا فيتبجح بتصوير هذا الغزو تصويرا خلابا مزينا بمختلف الألوان الزاهية ، زاعما أن انسلاخ مصر عن مقوماتها القومية هو انسلاخ عن الرجعية وعن التخلف ، وأن الخير كل الخير لمصر أن تتفرنج بأزيائها وثقافتها وعقليتها وعناصر إيمانها ، لأن حضارة الغرب بزعمهم كل لا يتجزأ ، وقد سبق لنا دراسة هذا الموضوع غير مرة ، وأقمنا الحجج على ما ينبغى لنا أن نأخذه عن غيرنا وما ندع .

وقامت ثورة جمال عبد الناصر والأمة معه

هى ثورة على كل ما تراكم فى المجتمع المصرى من شرور ألممنا إليها ووصفنا طغيانها على هذا البلد من أيام اسماعيل والذين جاءوا بعده .

إنها شرور معقدة ، ومهمة صعبة ، وكان فاروق ذكيا لما صرح فى ساعة إخراجه من مصر بصعوبتها ، لأنه يعرف ما أساء به هو وأبوه وجده ومن تولى مهمة التعاون مع الاحتلال من أسرتهم ، إلى أن تم على أيديهم جميع هذا الشر المتراكم ، وهذا الطغيان المعقد ، فانفجرت الثورة ، وكانت ثورة على هذه الشرور كلها .

وأول ما تناولته الثورة هذا الطاغوت الذى كان يمثل التعاون مع الغزو الأجنبى على كل ما وصفناه من سيئاته . فيسر الله خلاص مصر من طاغوتها ، وكان الناس يرون هذا الحادث التاريخى الكبير بأعينهم ويكادون لا يصدقون أعينهم .

وجاء دور إنقاذ مصر من الاحتلال العسكرى لقاعدة السويس الحربية ، مقرونا بإنقاذ السودان من قبضة الانجليز الحديدية . إن الخلاص من هذا الاحتلال العسكرى المزدوج فى وادى النيل من أعماق السودان إلى قناة السويس كان كرامة من الله لهذا العهد ، وأنا أعترف عن نفسى ـ وقد تجاوزت السبعين من عمرى ـ بأنى لم أكن أحدث نفسى ولا بالأحلام بأن ذلك سيتم وسأراه بعينى قبل أن أموت . إن نعم الله السابغة متوالية على الناس ، وعلىّ أكثر من كل الناس ، ولكن هذه النعمة كانت من أعظم النعم ، ومن يوم حدوثها إلى الآن وأنا أفكر كيف أستطيع أن أقوم بشكر الله عليها .

وكان من أكبر مصائب مصر أن فيها طبقتين : أقلية تملك أرض النيل ومجارى ريه وصرفه ، وأكثرية تكدح مع المواشى فى استنبات القطن والمحاصيل الزراعية بين مجارى الرى والصرف . الأقلية حائرة لا تعرف كيف تبدد الأموال المنهمرة عليها من آلاف الفدادين ومئات الفدادين ، والأكثرية لا تحصل من كدحها مع المواشى على اللقمة المغذية والماء النقى والكساء الساتر ، وتعيش هى والمواشى معا فى شبه القبور . الأقلية تنفق كنوز النيل على ما يسخط الله فى الليالى الحمراء بمصر ، وعلى موائد القمار والخمر وبؤر الفساد ومواخير الفجور فى أوربا ، والأقلية تنتحر بالشاى الأسود إن لم تسكن همومها وآلامها بما هو أفظع منه . ولوازم ذلك فى الأخلاق التحايل والكذب وغير ذلك مما ألجأهم إليه هذا المجتمع الفاسد إلجاء جيلا بعد جيل . وقد سبق لى الحديث عن الطبقات ، وأن الخير كل الخير فى الطبقة الوسطى ، بأكثر من مقال . فالثورة فى مرحلتها الثالثة ـ بعد الخلاص من الطاغوت المحل ، ومن الاحتلال العسكرى ـ كانت ثورة على هذا التفاوت الشاسع بين طبقة الأقلية الساهرين فى الليالى الحمراء ، وبين جمهور الأمة الأعظم الذين يحاولون تسكين همومهم بالشاى الأسود وبما هو أشد منه تخديرا . فالعمل على إيجاد الطبقة الوسطى هو العمل الإصلاحى العظيم الذى كلما ازداد نجاحا ، وكلما ارتفعت النسبة المئوية لعدد أهل هذه الطبقة ، كان ذلك تقدما لمصر فى سبيل الصلاح والسعادة ، ولو أن عمر بن الخطاب رضوان الله وسلامه عليه كان يلى أمورنا فى هذا العهد لرأى أن تكوين

الطبقة الوسطى فى مصر وتضخيم عـددها حتى تكون هى مصر ، لا شك أنه من أفضل أعمال الحاكم المنصف الساهر على خير أمته .

والثورة فى حلقتها الرابعة هى الثورة على سرقة إيراد قناة السويس ، وكف يد الشركة الأجنبية عن إدارة هذا المـرفق باعلان تأميمه . إن هذه الحلقة من ثورتنا كانت طعنة نجلاء فى قلوب العناصر الثلاثة التى كانت مشـتركة فى سرقة إيراد هـذا المرفق ، وهم الفرنسيون والانجليز وقوارين اليهود . وإن الشر الواقع من رد الفعل لتـأميم القناة قد حوله الله إلى خير بتمصير البنوك والمرافق المعادية التى كانت قلاعا باقية للاستعمار الاقتصادى والاحتلال المـالى فى مصر بعـد الاعتراف لها بالاستقلال ، وما كان هذا الاستقلال ليـكون كاملا حقا إلا بتمصير هـذه البنوك والمرافق ، ولا شك أن تمصيرها لا يقل فى أهميته عن الجلاء العسكرى .

وإن فى كيان العـالم الإسلامى عنصر القومية العربية الذى اختاره الله لحـمل رسالة الإسلام يوم ولدت هذه الرسالة قبل أربعة عشر قرنا . وهذا العنصر هو الذى أقام دولة الإسلام فى الأرض ، وهو الذى نشر دعوة الحق وأدخل شعوب العـالم الإسلامى فى الأخوة المحمدية . وقد كان هذا العنصر ولا يزال مظنة الخير الكثير كلما اجتمعت كلمته ، وعبدت له طرق السير إلى العـلى ، وتمـكن من حمل أعباء الحق مرة أخرى . وكانت الشعوبية قد تآمرت عليه وكفت يده عن سفينة الدولة قبل إثنى عشر قرنا ، أى منذ نسى ابراهيم الإمام عروبته وقرشيته وهاشميته فـكتب إلى أبى مسلم فى خراسان يقول له : « اتهم ربيعة فى أمرهم ، وأما مضر فهم العدو القريب ، واقتل من شـككت فيه ، وإن قدرت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل ، وأيمـا غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله » . من ذلك الحين واليـد العربية بعيدة عن إدارة الدفة فى السفينة الـكبرى ، وكان تاريخ العروبة والإسلام فى حاجة إلى من يثور على هذا الظلم التاريخى فيرد الأمور إلى قرارها ، إلى أن جاءت الثورة المصرية فأعلنت سياسة القومية العربية ، وامتدت اليد العربية من وادى النيل فتلقفتها أختها من وادى بردى ، أوامتدت من وادى بردى فتلقفتها أختها من وادى النيل ، وإذا صدق ظنى فنحن الآن فى بداية دور جـديد من أدوار التاريخ فى العـالم الإسلامى سيضع حدا لشعوبية طال عليها الأمد ، ولا سيما إذا رضى سادتنا أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية والمعاهد الأزهرية والمدارس الثانوية

فنظفوا مناهج التاريخ الإسلامى من الأكاذيب التقليدية على أبطال هذا التاريخ وعظمائه ، ليحسن ظن أبنائنا فى المدارس والجامعات بأسلافهم الذين نشروا دعوة الإسلام وكان تكوين كيان العالم الإسلامى من حسناتهم الخالدة إلى يوم الدين . إن الثورة المصرية التى نعيش فيها الآن ، والتى آمنت بقوميتها العربية ، تقتضينا إعادة النظر فى هذه الناحية من ثقافتنا الجوهرية ، ويوم يوضع ذلك على مائدة الدراسة والبحث سيكون لى فيه كلام أوسع وأعمق .

ومن حلقات الثورة التى نمدها ولا نحيط بها الأخذ بمبدأ التعاون ليخطو متقدما إلى أقصى مداه ، إن هذه الحلقة ستقدر بنتائجها ، وتحقيق هذه النتائج فى أعناق الناس ، فان قصروا وقصرت خطاهم فان المسئولية عظيمة وعواقب التقصير الاجتماعى تنطوى على عقوباتها .

وبعد فان ثورتنا الاجتماعية التى تحدث عنها جمال عبد الناصر فى افتتاح المؤتمر التعاونى الثالث تعد صيحة من صيحات الحق التى قلما يطرق مثلها آذان البشر إلا بين كل دهر ودهر ، وأعظم ما فيها إعلان جريمة الذين استوحوا التقدم الاجتماعى لمصر من الخارج ، وأن أول ما ينبغى لنا أن نستوحى هذا التقدم من ظروفنا ومن وحى طبيعتنا ، فهل لنا أن نتجاوب معه على هذا المبدأ ؟ إن المهمة عظيمة وثقيلة الأعباء ، إلا إذا عقدنا العزائم على أن يكون كل إنسان منا جمالا عبد الناصر إلى جانب جمال عبد الناصر ، والتاريخ واقف يراقبنا ، فأطلقوا ألسنة التاريخ ليتحدث عنا بالكلام الطيب .

محب الدين الخطيب

اعتراف الأمريكيين بتعصبهم

عقب نشوب الحرب العالمية الأولى كانت أمريكا لا تزال واقفة على الحياد المزعوم بين الفريقين المتحاربين ، فطمع الألمان فى أن تستمر أمريكا فى هذا الحياد ، وكتب ٩٣ عالما ألمانيا نشرة أذاعوها فى أمريكا سنة ١٩١٥ بعنوان «استغاثة بالعالم المتمدن» فأجابهم الدكتور صموئيل هاردن تشرتش رئيس جامعة كرنيجى فى بتسبرغ جوابا نقلته مجلة المقتطف إلى العربية ونشرته فى جزء يونية ١٩١٥ (م ٤٦ ص ٥٧٢) وقد جاء فيه الاعتراف الآتى من رئيس الجامعة الأمريكية :

« . . . وكذلك نميل إلى سائر العناصر البشرية ونكرمها ، عدا - يا للأسف - العناصر الاسيوية ، ولكن لا بد أن تنمو فينا العاطفة الروحية يوما ما فنرحب بهم أيضا كما نرحب بسواهم » .

نفحات القرآن

- ٥٦ -

الخيرون أولى بالدعوة إلى الخير

والأوفياء لله أهل للوفاء والرعاية من جانب الله

١ - « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » . ب - « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين » .

١ - علمنا القرآن الكريم أن النفوس البشرية ليست فى وضع واحد أمام دعوة القرآن لها ، بل منها نفوس خيرة تستقبل الدعوة باستعداد حسن كامن فيها ، فيثير القرآن ما فيها من معانى الخير ، ويزيدها صلاحية ، ويجعلها مصداقا لتربيته حتى يكون ممثلا فى كل ما يصدر عنها من قول حسن ، أو عمل محمود .

ومنها نفوس غير خيرة ، يتجه إليها القرآن فتأبى الإصغاء إليه ، وتتمادى فى تأبيها وجمودها فلا يفيدها شيئا من صلاحية ، ولا يغير ما بها من فساد .

وقد ضرب الله للنوعين مثلا بأرض طيبة ، وأرض خبيثة : يخرج من الأولى نباتها بإذن ربها فيعم نفعها من ثمار ، وأشجار ، وأزهار ، ولا يخرج من الثانية إلا نبات نكد : من أشواك مؤذية ، أو طفيليات عديمة الجدوى ، مع أن كلا من النوعين من الأرض يسقى بماء واحد : غير أن تربة خصبة بارك الله فيها ، وأودع فيها الخير ، وفضل ثمارها على ثمار غيرها فى الأكل ، فى حين أن تربة أخرى خبث معدنها ، فكانت جدبة : تأكل ما يلقى فيها من بذور ، والخير منها معدوم ، لأن الله لم يأذن لها أن تكون ذات نفع للناس ، لحكمة اقتضت هذا التمايز بين بقاع الأرض .

« والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذى خبث لا يخرج إلا نكدا » .

وتشبيه القرآن للنفوس بأرض طيبة وأرض خبيثة تمثيل بالواقع الذى نحسه ولا نمارى فيه ، وليس أصدق من الواقع المشاهد دلالة على صحة الدعوة ، وحسن التوجيه .

وكان من مقتضيات الحكمة إزاء هذا التباين الفطرى بين النفوس البشرية أن يؤثر الله أهل الخير بالدعوة دون الآخرين الذين لا تثمر فيهم الجهود ، وفى ذلك قوله سبحانه :

« وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع لعلهم يتقون » . فان هذا توجيه للرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يجعل إنذاره بالقرآن إلى من عرفوا بالاستجابة لا بالعتو ، وعرفوا بالخوف من الله يوم يحشرون إليه ، دون أن يكون لهم ولى يدفع عنهم سلطان الله ، أو شفيع من جانبهم يمقيهم من عذاب ربهم ، فهؤلاء المؤمنون بالحشر ، والمعروفون بالخوف وبالإيمان أن الله وحده هو صاحب الأمر فى خلقه ، وأن شفاعة الشفعاء لا تكون إلا بإذن منه فى شأن من رضى الله عنهم ، وترفق بهم فقبل الشفاعة فيهم : هؤلاء هم الذين تثمر فيهم الدعوة ، وتجديهم الموعظة فهم خيرون ، وهم أهل وأولى بالدعوة إلى الخير دون المستكبرين الأشرار ، وفى هذا أيضا قوله تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . « فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى — الآية » .

وليس فى هذا التوجيه صرف للنبى عن تبليغ رسالته إلى سواهم من الناس بل ، القصد من ذلك — أولا — تسلية الرسول على صبره فى شأن هؤلاء المتخلفين — وثانيا — التشنيع على هؤلاء الجامدين بأنهم انحرفوا عن سبيل الهداية انحرافا يبعدهم عن الأمل فى صلاح شأنهم ، حيث لم يوجد عندهم تصديق باليوم الآخر وبالحشر إلى ربهم فى هذا اليوم ، وإن كان فيهم من يقول باليوم الآخر فهو تصديق مشوب بالإنكار — وثالثا — الإشادة والتمجيد لأهل الطاعة المراقبين لله بأنهم على رجاء حق فى الله لأنهم الذين يعبدونه ، ويستغفرونه ، ويثابرون على الصلة به تعالى ، وفى توجيه الإنذار بالقرآن إلى المستجيبين رسم للسلك الدنيوى الذى ينبغى أن نسلكه ، فلا نبذل الجهود فى موضع اليأس ، بل نبذلها حيث يكون الأمل فى النجاح ، ولا نسرف على أنفسنا فى المحاولات الضائعة .

وإذا كان المنهج الدينى يتطلب بذل المجهود مع من يتوسم فيهم القبول والاهتداء ، فالمنهج الدنيوى يتابعه ويقاس عليه ، وإذا سارت الدنيا وراء الدين فهى فى أمن من العثار ، فلنكن فى دنيانا على هدى الدين إن كان للعقول حكم يطاع ، ولم تكن للأهواء والشهوات سيطرة غالبة ، أو لم تكن للأنانية استبداد بالنفس ، وتحكم فى الاتجاه كما ابتلى بذلك كثير من الناس .

هذا وقد بلغ من الأنانية عند من تمردوا على القرآن ، وتخلفوا عن مطاوعته أن زعموا أنفسهم أرفع منزلة ممن اهتدوا وآمنوا ، وزعموا أيضا أن انتظامهم فى الإسلام يحط من

شأنهم ، إذهم سراة القوم ، وأصحاب النفوذ ، فكيف يجتمعون مع أناس مقربين إلى الرسول ممن هم أرق حالا ، وأدنى منزلة منهم ؟ ؟

لذلك طلبوا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشارطهم على تخصيصهم بمجلس لا يكون فيه أولئك الفقراء ، فاذا أجيبوا إلى مطلبهم هذا فهم على استعداد للاسلام بعد ، وبدون هذا المطلب لا يتحقق منهم إسلام ، إذ لا يمكنهم أن يتساووا فى مجلس الرسول مع من دونهم عزة فى قومهم .

وفاتهم أن الإسلام يدعو أول ما يدعو إلى المساواة ، وإلى التخلص من حمية الجاهلية وما كادوا يعلنون هذا حتى صدعهم الوحى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله تعالى :

(ب) « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين » .

وفى هذه الآية كبت لنزعة الغرور عند أولئك المغرورين ، وقمع لجبروتهم ، وتحقير لشأنهم عند الله بجانب هؤلاء المسلمين الذين هم فى موضع الحب والرعاية من الله وإن كانت دنياهم أضيق من دنيا أولئك المتصلفين .

ينهى الله نبيه عن مطاوعة الكافرين فى طرد المسلمين عن مجلسه حين يوجد فيه هؤلاء المتكبرون ، ويشعرهم الله بهذا أنه غنى عن إسلامهم ، وأنه يفضل أولئك المتواضعين ، لأمور يرجح بها ميزانهم على كل ما يتمدح به المفتونون ، يفضل الله السابقين إلى الإسلام المتصلين بمجلس الرسول بما يأتى :

أولا : أنهم يدعون ربهم ، ويعبدونه غداة وعشيا ، وهذا عبارة عن حرصهم على صلتهم بالله دائما ، والتعبير بالغداة والعشى يراد منه المداومة بقدر ما يستطيعون على مراقبة الله فى كل ما يصدر منهم .

ثانيا : أنهم فى تدينهم مخلصون لله ، لا يريدون غير مرضاته ، فلا رياء ، ولا ملل ، ولا شائبة تنتقص من إخلاصهم . وهذا معنى : « يريدن وجهه » وواضح أن من يريد وجه الله هو من تمحضت سريرته لحب الله وإجلاله ، والطمع فى الفوز عنده ، وهذه خاصية لمن كانوا يجالسون الرسول ، ويزدريهم الكفار .

ثالثا : أن مرجع هؤلاء الجلساء فى عملهم وإخلاصهم ، وحسابهم إلى الله وحده فلن يكون الرسول مسئولا عن مآخذهم التى يحاسبهم عليها ربهم إن كانت لهم مآخذ ، ولن يكونوا مسئولين كذلك عما يعتبر من عمل الرسول والعلاقة التى تربطهم بالرسول

علاقة دعوة من جانبه ، وطاعة ومحبة وإخلاص من جانبهم ، وما داموا أولياء لله ولرسوله فهم أهل لرعاية الله ومحبته ، وهم الجديرون بأن يكونوا حزب الله ، فكيف يسمع فيهم قول الكافرين ؟ ؟ وكيف يطردون من مجلس الرسول وهم السابقون إليه فى لهفة ، وتضحية ، ودأب ؟ ؟

إن طردهم من أجل رغبة فئة خاطئة يعتبر ظلما ، وليس الظلم من نزعات الرسول .

وقد نبه الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن طاعية الكفار فى هذا تعتبر طاعية منهم فى اقتياد محمد إلى الظلم الذى يأباه محمد ، ويأباه الله ، وحرمه على عباده جميعا .

وإن سبق هؤلاء المستضعفين إلى الإسلام يعتبر ابتلاء واختبارا لمن زعموا أنفسهم خيرا منهم ، فلو كانت نظرتهم إلى دعوة محمد نظرة رشيدة لسارعوا إليها كما سارع إليها الآخرون ، ولكنها نظرة حمقاء ، هيأت لهم أن الإسلام ليس خيرا ، ولو كان خيرا حقا لما فاتهم شىء منه ، فاذا كانت لهم الثروة والسيادة فكذلك يكون لهم الإسلام دون أولئك الفقراء ، وكانوا يرددون قولهم : « لو كان خيرا ما سبقونا إليه » يريدون : لو كان الإسلام خيرا لاختاره الله لنا ، لتفضيلنا على الناس بما فضلنا به من متاع الدنيا .

والله تعالى يكشف عن خطئهم فيما يزعمون ، ويقول : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » . نعم فتنوا بهم ، وقالوا ما قالوا ، والله يرد عليهم بقوله سبحانه : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » . نعم هو أعلم بمن اهتدى ، وأعلم بمن شكر ربه ، وقد اهتدى أولئك الجلساء السابقون ، وشكروا ، فالله تعالى يعزهم بعزته ويرفع شأنهم على غيرهم ، ويسجل لهم مقاما محمودا بين خلقه ، ويعلم الرسول كيف يكرمهم ويكرم أمثالهم ، وكيف يستقبلهم حين يقدمون عليه فيقول له : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة : أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم » .

يا محمد ! ! تحية هؤلاء المسلمين وكل من جاءك مؤمنا بآيات القرآن ، وآيات الله فى الأنفس وفى آفاق الكون أن تبلغهم تحية الله لهم ، بقولك سلام عليكم ، وفى ضمن هذه التحية إخبار عن الله تعالى بسلامتهم وأمنهم من عقابه .

وبلغهم يا محمد مع التحية بشرى من الله ـ بأنه كتب على نفسه الرحمة بعباده ، وبأن من عمل سوءا ثم تاب من بعده وأصلح فان الله غفور رحيم .

وهـذا وعد كريم من جانب الله بأن التوبة ، عن عمل السوء الذى يرتكبه صاحبه وهو متلبس بالجهالة ، إذا كان جاهلا حقا ، أو متلبسا بها حكما لأن الشأن فى عمل السوء أن يكون من الجاهل تقديرا ، وإن كان فى نفسه غير جاهل .

فهذا وصف لبيان الحال فيمن يرتكب السوء ، وليس وصفا مشروطا فيمن تقبل توبته بل التوبة الخالصة مقبولة عند الله تفضلا منه على عباده ، فهى تجعل المذنب التائب حقا كمن لا ذنب له ، والله واسع المغفرة لمن أناب إليه .

وبعد ـ فإن انصراف أهل اليسار وأصحاب النفوذ ونحوهم ممن شغلتهم حياتهم عن جانب الدين نزعة غاشمـة ، نراها سارية حتى اليوم فيمن يرون أنفسهم أوسع حظا من سواهم ، فلا يرون الجنوح إلى الدين متمشيا مع شموخهم ، ولا يطيب لهم أن يساوى الدين بينهم وبين من هم أضيق عيشا منهم ، أو أقل جاها وصيتا بين الناس .

بل يرى أولئك المفتونون ـ حتى اليـوم ـ أن تدين الغير إنمـا هو للعجز عن بلوغهم مبلغ السادة ، وأنهم يتخذون من الدين ستارا لضآلة شأنهم .

وأنت ترى هذه النزعة فاشية حتى فى كثرة من الخاصة المثقفة الواعية ، والحق : أن هؤلاء فى غفلة عن الحق ، وأنهم مع امتيازهم بالثقافة والمدنية أشبه بالسوقة التى لا تدرك غير سعيها لتعيش فقد حجب هؤلاء عن المعرفة ، وعن جانب الدين إطلاقا نشأتهم فى أدنى الحرف ، وقصورهم عن التطلع إلى غير هـذا ، حتى كأن الدنيا عندهم ليس بهـا سوى ما يعملون ليعيشوا .

كذلك المترفون فى النعمة ، ومن صبغتهم التقاليد الزاحفة ، والثقافة المدنية الناقصة .

أولئك يطرحون الدين جانبا وينسون ما فى هـذه الغفلة من جفاء لله ، وإنكار لما استحقه عليهم من شكر ، وفى هذا غرس لروح التمرد عنـد أطفالهم ، وفى أسرهم ، ومهما غمرتهم النعمة ، وطال بهم الزمن ، فإن الله لا تضيره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم ، وإنما هم الفقراء إلى ربهم وقد حاربوه بنعمه ، وتمردوا عليه ، وهو القاهر فوق عباده ، والقـادر على هلاكهم وتجريدهم من نعمهم ، وستواجههم مواقف عسيرة حاسمة ، وقد سبق أمر الله فى أمم خلت ، وسيكون الوعيد لمن خلف ، « فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السُّنَّة

آخر الوصايا النبوية

الحرص النبوى ـ أعظم الوصايا ـ مصيبة هونت كل مصاب ـ كلام الأنبياء حق وصدق فى كل حال ـ اختلاف فى الحضرة النبوية ـ من الاختلاف يسر ورحمة ـ رأى سديد وقول أسد .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يوم الخميس ! وما يوم الخميس ؟ ! ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ! فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس ! فقال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ، فتنازعوا ـ ولا ينبغى عند نبى تنازع ـ فقالوا : هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : دعونى : فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه . وأوصى عندموته بثلاث : أخرجو المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . ونسيت الثالثة .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى [*])

(*) فى جوائز الوفد من كتاب الجهاد ، ورواه فى إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجهاد أيضا ، وفى باب كتابة العلم ... وفى مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته من كتاب المغازى ، وفى قول المريض : قوموا عنى من كتاب المرضى ، وفى كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام . وأما مسلم فرواه فى كتاب الوصية ... وقد أشرنا فى الجزء الماضى إلى هذا الحديث ورجونا أن نشرحه ، والله المستعان .

لم تبلغ أمة من الأمم، ما بلغته أمة النبي صلى الله عليه وسلم، من حرصه عليهم ، ورأفته ورحمته بهم ، وقد بلغ هذا الحرص البليغ أشده ، حينما اقتربت هجرته صلوات الله وسلامه عليه ، من هـذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى مع إخوانه النبيين ، وتابعيهم من الصديقين والشهداء والصالحين .

انتقل إلى الرفيق الأعلى فى يوم الاثنين ثانى يوم من ربيع الأول لتمام السنة العاشرة من هجرته ، حوالى اليوم الثمانين من حجة وداعه ، بعد أن مرض بضعة عشر يوما ، اشتد مرضه فى الأربعة الأخيرة منها !

* * *

وقد أحس صلوات الله وسلامه عليه دنو أجله فى حجة الوداع ، إذ أنزل الله عليه فى يوم عرفتها وكان يوم جمعة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » [١] ولذا قال فى خطبة هذه الحجة الجامعة : أيها الناس ، اسمعوا قولى فانى لا أدرى ، لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا ... ثم وصاهم أعظم وصية وصى بها نبي أمته ، ونصحهم أصدق نصيحة نصح بها رائد أهله ، وجعل للنساء وحقوقهن أوضح مكان فى خطبته . وربما كانت خطبه ووصاياه بعد ذلك تبيانا أو تفصيلا لهـذه الخطبة الشاملة .

* * *

وكان مبدأ اشتداد وجعه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس الأخير من صفر ! ذلك اليوم الذى ذكر ترجمان القرآن ، بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، فذكر المصيبة التى هونت كل مصاب بعدها ! ثم بكى حتى سالت دموعه على خديه ، فبلت ما بين يديه من الحصى ! وذكر إلى تلك المصيبة مصيبة أخرى فى ظنه ، هى الحيلولة بينه صلى الله عليه وسلم وبين كتابه الذى هم به ...

ذلك بأنه بدا له أن يملى على أصحابه كتابا هاديا لا يضلون بعده أبدا . . فاختلفوا وتنازعوا وكثر اللغط وانقسم الرأى : فريق يقول : قربوا له يكتب لكم كتابكم [٢] .

---

(١) شرحنا حديث نزول هذه الآية الكريمة بعنوان : « عيد الدستور » فى ج ٨ م ٢٢ وبينا ما نزل بعدها وأنه لا يعارض إكمال الدين وإتمام النعمة .

(٢) كانوا أكثر ما يكتبون على عظام الكتف ، ولذا جاء فى إحدى روايات مسلم : إيتونى بالكتف والدواة . . .

وفريق يقول ما قال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، وثالث يقول : أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! استفهموه ماذا يريد أن يكتب ؟ يرد بمقالته هذه على عمر ومن معه ، يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جادّ فى طلب الكتاب الهادى الرشيد لا يهزل ولا يهذى وحاشاه ، ومن حال بينه وبين كتابه فكأنه يظن به الهجر ، وهجر المريض هجرا (بضم الهاء) إذا هذى فقال كلاما غير متزن ولا منتظم ، وهذا محال على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ؛ لأن كلامهم حق وصدق ، وعدل وجد ، فى الصحة والمرض ، والرضا والغضب ، فما لكم تحولون بينه وبين ما يريد ؟ ! فالاستفهام بالهمز ـ ظاهرا أو مضمرا ـ إنكارى ولا ريب . .

وسائغ أن يكون مراد الفريق الثالث هجرته صلى الله عليه وسلم واستعداده للقاء ربه ، ويؤيده ما بعده . . .

فلما اختصموا دون أن يجتمعوا على رأى قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع . . . أى اتركونى وشأنى فما أنا فيه من فيض الله وإنعامه ، وتأهبى للقائه وإكرامه ، أفضل وأجل مما بدا لى .

وما كان لهم أن يختلفوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، لولا رحابة صدره وصدر الحنيفية السمحة التى بعث بها ، ولولا شدة وجعه وحاجته إلى السكون والطمأنينة لاحتمل اختلافهم ، ولم يأمرهم أن يقوموا عنه . . على أنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما علموا أن أمره الأول بأن يأتوا بكتاب يكتبه لم يكن على سبيل الفرض المحتم ، ولم يكن مما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم ، وإلا لم يكن ثمت مناص منه ، وإنما كان من قبيل الاجتهاد والإرشاد والمصلحة العارضة التى استبان بعد الاختلاف أن الخيرة فى تركها .

* * *

وربما كانت دعوته إلى الكتاب اختبارا لهم وامتحانا ؛ لينظر كيف يكون شأنهم بعده ، وكيف يكون اختلافهم فى شريعته التى تركها بيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فألفاهم يختلفون لحق ابتغاء الوصول إليه ، ولا يختلفون فى الحق بعد ما تبين ، والاختلاف ابتغاء الحق مع الاجتهاد فيه يسر ورحمة ، والاختلاف فى الحق بعد ما تبين هلاك ونقمة ، وقد حمى الله أهل السنة والجماعة أن يضلوا أو يزيغوا . . . ثم ألفى عمر وقد اجتهد فأصاب ، وهداه الله لحكمة وفصل الخطاب ، وكم له رضى الله عنه فى العهد النبوى وبعده من مواقف تنبئ عن قوة دينه ، وسلامة يقينه ، وعظم فقهه عن الله

ورسوله . . . فلينتقل إذا صلوات الله وسلامه عليه ، إلى الرفيق الأعلى راضيا مطمئنا ما دام فى أصحابه من جعل الله الحق فى قلبه وعلى لسانه ، يهتدى به ويهدى إليه .

• • •

بيد أن ترجمان القرآن رضى الله عنه غادر هـذه الدنيا مهموما حزينا ، موقنا أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وكتابه ! ! لأنه كان بلا ريب يكون نصا واضحا لا مجال فيه لخلاف ، لا سيما إذا تناول ما اختلف فيـه الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فكانت أمنيته رضى الله عنه أن يكتب هذا الـكتاب ليكون حكما فاصلا .

وكأنه غفل رضى الله عنه ــ على سعة علمه وبصره ــ عن أن الخلاف أمر لا محيص عنه ، وأن فيه خـيرا وسعة ورحمة ، ما كان له وجه صحيح من السنة الهـادية ، والمحجة الرشيدة وأنه صلى الله عليه وسلم قد وسع بهذا الخلاف على أمته ، فى حياته وبعد ممـاته ، وأنه لم يعنف أحدا ممن قال لهم : لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة فأدركهم العصر فى الطريق ، فصلى بعضهم وتأخر بعضهم حتى أتى بنى قريظة فصلى فيها (١)

لقد خاف الفاروق رضى الله عنه ــ إلى إشفاقه على النبى صلى الله عليـه وسلم ــ أن يكتب كتابا لا مجال للاجتهاد فيـه ، فيختلفوا فى الحق لا للحق ، أو يعجزوا عن إنفاذه فيستحقوا العقوبة ، ثم ذكر مع خوفه هذا كتابا أنزله الله تبيانا لـكل شىء ولم يفرط فيه من شىء ، فقال مقالته الـكافية الشافية : حسبنا كتاب الله .

ولعله خاف رضى الله عنه أن يفتح هذا الكتاب بابا لمن فى قلوبهم مرض ، يدخلون منه للطعن فى الدين ، فيزعمون فيه نقصا أو زيادة ، اتباعا لأهوائهم ، فيكون اختلاف لا اتفاق معه ، وشر لا خير فيه ، وهذه هى القاصمة ! !

ألا إن قول الفاروق أسدّ ، وإن رأيه أهدى وأرشد ، ولذا وافقه المعصوم صلى الله عليه وسلم ورضى عنه .

وإذ ضاق هذا الجزء عن إتمـام الشرح فلنرجئه للجزء الآتى ان شاء الله .

طه محمد الساكت

---

(١) شرحنا هذا الحديث بعنوان « مثل من اختلاف الصحابة » فى ج ٦ م ١٥

الوثيقة الدولية المظلومة

« حقوق الانسان »

ليست قيمة العقود والوثائق بحسن أسلوبها والتأنق فى ألفاظها ، وحسن صياغتها ، وتفصيل موضوعاتها ، ولكن قيمتها باخلاص المتعاقدين عليها ، وحسن نياتهم فيها وعزمهم الصادق على الوفاء بها وتنفيذها ، مهما تضمنت من أمور قد لا تتفق مع مصالح المتعاقدين ، وإذا أعوزها عنصر من هـذه العناصر كانت قصاصات من الأوراق أولى بهـا سلال المهملات لا أضابير الوزارات . ومن المؤسف أن نجد فى هذا العصر عصر النور والعرفان وعصر تقدير العدالة وحقوق الشعوب والأفراد وثائق أعوزتها العناصر المهمة فى تقييمها واحترامها ، فأصبحت قصاصات من الورق لا حظ لها من التقدير والاعتبار .

نعم : هنـاك وثيقة دولية هامة حشدت الكفايات السياسية والقـانونية لوضعها وصياغتها ، فوضعت وضعا دقيقـا محكما فى عبارات رصينة قوية ، وربمـا كانت أنموذجا فى الصياغة اللفظية وفى الناحية الموضوعية من حيث شمولها واستقصاؤها ، ولكن حالفهـا سوء الطالع فلم تؤد الغرض منها ولم تنفذ فى أى ناحية من نواحيها ، هى « وثيقة حقوق الإنسان » فقد وضعتها هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم بميلادها ، وأقيمت لهـا البنود والبيارق ، واستقبلت على أنغام الموسيقا ودقات الطبول ، وانتشت الشعوب الصغـيرة سرورا بميلادها ، وراودت المنى أحلامها ، وإذا هى منها كما قيل :

فأصبحت من ليل الغداة كقابض   على المـاء خانته فروج الأصابع

سمع العالم وقرأ نصوص هذه الوثيقة ، فسمع كلاما حلوا ، وقرأ كلاما جميلا ، وكان وقعه على أسماع الشعوب الصغيرة ألذ من رنات المثانى على آذان المشوقين ، قرأ فيها هذا النص الخطير : « يولد جميع الناس أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق ، وقـد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء ، وأن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الإعلان دون أى تمييز ، بسبب الجنس أو اللون أو اللغـة أو الدين أو الرأى السياسى أو أى رأى آخر أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو الميلاد أو أى وضع آخر دون أى تفرقة بين الرجال والنساء » . قرأ النـاس

ولا سيما الشعوب الصغيرة هذا الكلام الحلو البراق ، وانتظروا التنفيذ والتطبيق ويا بئس ما انتظروا ! انتظروا التطبيق فاذا هو يناقض النصوص مناقضة تامة !

فى ظلال هذه الوثيقة اعتدى على بعض الشعوب الصغيرة ، وبالتالى اعتدى على الأفراد لأجناسها وألوانها وآرائها السياسية والاجتماعية ، وانتهكت حرياتها واعتدى على استقلالها وعلى مواردها وعلى حقوق أفرادها فى التعلم والمساواة الاجتماعية .

فى ظلال هــــذه الوثيقة اعتدى على استقلال مصر وهاجمتها ثلاث دول اثنتان منها من كبريات الدول التى كان لها فى وضعها نصيب كبير : هما بريطانيا وفرنسا ، وقد هاجمتها فى وحشية لم يشهدها التاريخ من قبل ، هاجمتها من البر والبحر والجو ، واستعملت فى هجومها أشنع أساليب القتال ، فقذفتها من الجو بالقنابل ولم تفرق بين مدينة وقرية ، ولا بين موقع وآخر ، وقذفت بورسعيد بمدافع الأسطول من البحر ، فأحرقت وهدمت ، وتساقط الشهداء من سكانها تساقط ورق الخريف فى الصرصر العاتية ، ولولا لطف الله بمصر ومناصرة الرأى العالمى الحر ، ووقوف الدول العربية إلى جانبها مواسية ومعاونة لوقعت الكارثة وبلغت هذه الدول الآثمة أهدافها وعادة مصر مرة أخرى فريسة لاستعمار غاشم واحتلال بغيض .

وفى ظلال هذه الوثيقة تستعر فى الجزائر حرب زبون تذهب كل يوم بأرواح المئات من أهلها ، وتمارس فيها فنون من حروب وحشية لا ضابط لها ولا زمام ، وتنصب لمجاهديها المشانق بعد محاكمات صورية فى محاكم دونها محاكم التفتيش فى القرون الوسطى ، كل ذلك لتصبح الجزائر بالإكراه جزءا من الوطن الفرنسى ، وتتبجح فرنسا فى دعواها على مرأى ومسمع من شعوب العالم بأن الجزائر قطعة منها ، وكأن تطاول الزمن على الاغتصاب يحيل الباطل حقا ويجعل الجزائريين العرب أعلاجا من الفرنجة الفرنسيين ، ومن البلية أن تثار قضية الجزائر فى الأمم المتحدة ، وفى اليوم الذى يحتفل فيه العالم بالذكرى التاسعة لإعلان وثيقة حقوق الإنسان ، فتتضافر الدول الكبرى سرا ومجاهرة على اتخاذ قرار مائع لا يقر للجزائريين حقوقهم ولا يقف تلك المذابح المستمرة مجاملة لفرنسا وحرصا على رضاها ، حتى لا تنسحب من حلف الأطلنطى فينفرط عقده دون أن يحقق الأمل منه . وستظل الحرب بين فرنسا والجزائر حتى يفتح الله بينهما وينصر حق الجزائريين على باطل الفرنسيين ، ويبوء الاستعمار فى الجزائر بالخزى والعار كما باء بهما فى مصر والهند وغيرهما من الشعوب التى ناضلت دون حقوقها حتى استردت حرياتها رغم أنوف الغاصبين .

وفى ظلال هـذه الوثيقة يذاد السود فى أمريكا وجنوب إفريقيا عن معاهد تعليم البيض ، وعن مطاعمهم ومقاهيهم وملاهيهم ، حتى لا يختلطوا بالبيض فينالوا من مكانهم الرفيع ، ويعكروا أمزجتهم الرقيقة ، وكأنما السود وضرب دنس هـؤلاء السادة ويسمم أطعمتهم ، ويفسد أهواءهم وأجواءهم ، ويتحاكم السود إلى المحاكم فى قضية الاختلاط فتحكم بجوازه ، ويثور الشعب الأمريكى الراقى الحر المتحضر على هذه الأحكام وتقوم المظاهرات صاخبة ضدها ، وتحاصر المدارس حتى لا يدخلها أسود ، ويشتبك البوليس بالجماهير فتسقط بعض الضحايا نتيجة لهذه الاشتباكات ، ويعصى حاكم إحدى الولايات أمر رئيس جمهورية الولايات المتحدة بتنفيذ هذه الأحكام ، فيمنع دخول السود مدارس البيض ، وتسير الأمور على هذا النمط فى أمريكا ويحدث فى جنوب إفريقيا مثل ما يحدث فى الولايات المتحدة فى شأن الملونين مع فارق عجيب ، وهو أن الحكومة فى جنوب إفريقيا تقف إلى جانب الشعب فى اضطهادهم واحتقارهم .

وفى اليمن وما حولها تثير بريطانيا حربا شعواء لتحتكر منابع الزيت فى هذه المناطق ، بعد أن طاردتها بعض الدول فى المناطق الأخرى ، وترتكب فى سبيل ذلك ما لا يحله شرع ولا قانون ، دون مبالاة وتقدير ، ويحدث ذلك أو شبهه فى أنحاء متفرقة من العالم ، وعلى مرأى ومسمع من الدول الكبرى التى تزعم العالم وتتولى قيادته والإشراف عليه ، وتبتكر له الشرائع المثالية التى تحميه وتحمى حقوقه ، ولكن لا يسمع لهذه الدول صوت فى هذه الأحداث ، ولا تتداعى فى التطبيق كما تتداعى فى التشريع ، ولا نحس لها استنكارا لتلك الحادثات اللهم إلا إن كان لها فى الاستنكار مصلحة ، فهناك تستذكر الوثائق والقوانين ، ويتحاكم إليها وتخاصم بها ، لا غيرة عليها ، ولكن لتحقيق المصالح التى دعت إلى استذكارها والالتجاء إليها . وفى هذه الأجواء الاستعمارية القاتمة تحتفل الحكومات بذكرى هـذه الوثيقة ، وترفع الرايات والبنود ، ويتحدث الساسة والقادة عن مزاياها ، وما أفادته البشرية منها ، وتنظر الشعوب المضطهدة إلى هذا النفاق الدولى فى سخرية واستغراب ، ويعجبون لمسافة الخلف بين القول والعمل ، ويستذكر المسلمون ما جاء به الإسلام من هذه الحقوق ، فى معارض الأوامر الملزمة ، لا فى صور التوصيات المجيزة ، ويستعرضون صورا من التطبيقات العملية لهذه الحقوق ، بدأت من صدر الإسلام فى أعمال النبى صلى الله عليه وسلم وفى أعمال أصحابه وخلفائه ، وستظل يطبقها كل مسلم مخلص لدينه وإن تعارضت أحيانا مع مصلحته الخاصة ، فيقدرون الفرق بين الوثائق الصادقة التى وضعت بباعث الخير العام للبشرية كلها ،

والوثائق الزائفة التى أملتها ظروف سياسية خاصـــة ، مخادعة للشعوب الصغيرة وإضعافا لروحها التحررية ، وشيبت بنيات السوء من مقترحيها وواضعيها .

لقد مر على تلك الوثيقة تسعة أعوام فماذا كان أثرها الفعلى فى علاج مشكلات العالم ؟ وماذا أفادته الشعوب الصغيرة منها ؟ ...!

إن العالم ما يزال بعد تلك الأعوام حيث كان قبلها ، ولولا أنه يستذكرها حينما يحتفل بها لنسيها العالم وكأنها لم تكن .

لقد آن للساسة أن يكونوا صرحاء واقعيين ، يواجهون مشكلات العالم بروح الإنصاف والإخلاص وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم وأممهم ، فقد استفاقت الشعوب وأصبحت قادرة على أن تميز بين ما يقال وما يفعل .

أبو الوفا المراغى

الحياد الايجابى هو السياسة الحكيمة

كتب البروفسور برنارد لافرنى الأستاذ بكلية الحقوق فى جامعة باريس مقالا نبه فيه إلى من الخطر الذى يواجه أوربا ابتعادها عن الحياد الإيجابى فيما بين أمريكا وروسيا ، ومما قاله : « إن أمريكا تريد أن تجعل من دول أوربا الغربية (حاملات للطائرات الأمريكية) لتغير منها على الاتحاد السوفيتى . وقد تستطيع أمريكا أن تدمر بهذه الوسيلة بعض المدن الروسية ، وأن تلحق بالسوفييت أضرار جسيمة ، ولكن هذه الأضرار وهذا الدمار لن يبلغا عشر ما سوف يلحق بدول أوربا الغربية ـ فرنسا وبلجيكا وهولندة وألمانيا الغربية والنروج والدانيمرك وبريطانيا ـ هذه الدول ستمحى تماما من الوجود وسوف يقتل جميع سكانها فى فترة لا تزيد على ثلاثة أسابيع . فهل هذا هو ما يسميه الأمريكيون ووزراؤنا الأنجاس بالدفاع عن أوربا ؟ ! » .

المسئولية فى الاسلام

الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس كافة ، من حكم به عدل ، ومن استمسك به رشد، ومن اهتدى به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى فى غيره فقد ضل وغوى « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ولما كان الإسلام هو خاتم الشرائع التى أنزلها الله على أنبيائه ورسله فقد جاء وافيا متكفلا بحاجات البشر فى دينهم ودنياهم ، وقد تناول الإسلام كل أمور الدين والدنيا من عبادات ومعاملات وجنائيات وأخلاقيات وسياسيات ، ومن ادعى أن الإسلام دين عبادة فحسب فقد ظلم الإسلام واقتطع منه شطره الأكبر ، وليس أدل على أن الإسلام للدين والدنيا معا مما زخر به القرآن والسنة من شئون الدين وأحوال الناس وعلاقة بعضهم ببعض، وإن ما فيهما من العبادات لشىء قليل بالنسبة لما فيهما من غير العبادات ، ولئن جاز أن يقال بالفصل بين أمور الدين والدنيا فى بعض الأديان السماوية الأخرى التى جاءت جل تشريعاتها فى المواعظ والعفو والتسامح وما شابهها من أخلاق وأدعية ، فلن يجوز أن يقال ذلك فى حق الإسلام .

وقد ناط الإسلام بكل فرد من أفراده مسئولية وتبعة نحو نفسه وأهله وأمته ، وعلى قدر منزلة الشخص وما وكل إليه من ولاية تكون مسئوليته وتبعته ، وقد أفصح لنا مصلح البشرية ومعلم الإنسانية سيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه عن هذه المسئوليات فقال فيما رواه البخارى ومسلم رحمهما الله : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

وأعظم هذه المسئوليات وأحقها بالعناية والرعاية مسئولية الراعى عن الرعية ؛ لأنها تتعلق بأفراد الأمة كلها وبسياسة الدولة العامة وكيانها الدينى والخلقى والاجتماعى ، وبصلاح الراعى تصلح الرعية وبفساده تفسد ، وقديما قال بعض السلف الصالح : « صنفان إن

صلحا صلح الناس وإن فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء » فلا عجب أن كان الرسول لما شرع يفصل أنواع الرعاة بدأ بالإمام فقال : « فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » .

ولفظ الإمام الذى جاء به الحديث لا يقصد به الخلفاء والأمراء والرؤساء الكبار فحسب ، بل هو يشملهم وغيرهم من كل من ولى أمرا من أمور المسلمين ، فالرئيس راع والوزير راع وقواد الجيش رعاة ورجل الشرطة راع والعالم راع والقاضى راع ورئيس الإقليم أو البلدة أو القرية راع وهكذا ، فكل هؤلاء مسئولون عمن تحت أيديهم وسيحاسبون أحفظوا الأمانة أم ضيعوها ؟ وهل عملوا بدين الله ولصالح الناس أم حكموا بأهوائهم وعملوا لصالح أشخاصهم ؟ وأجل هؤلاء الرعاة وأجلهم خطرا هو الإمام الأعظم .

ورعاية الراعى للرعية ثابتة الأصول متشعبة الفروع فسيحة الجوانب ونجملها فيما يأتى :

(١) إقامة الحق والعدل وإعطاء كل ذى حق حقه من غير محاباة أو تحيف ، وأن يقيم نفسه من أموال الدولة مقام الخازن الأمين ، ويؤثر عن الفاروق عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « إنى أنزلت نفسى من أموال المسلمين منزلة ولى اليتيم ، إن استغنيت تعففت ، وإن احتجت أكلت بالمعروف ، فاذا أيسرت قضيت » .

للنبي صلى الله عليه وسلم ولخلفائه الراشدين المهديين – ومن سار على نهجهم من حكام المسلمين الصالحين – فى باب محاسبة النفس عن كل قطمير وفتيل من مال المسلمين تاريخ مضيء مشرق ينطق بالعفة والنزاهة وهضم النفس والشعور بعظم الأمانة الموكولة إليهم ، وتقديم مصلحة المسلمين العامة على مصالحهم الخاصة ومنافع ذوى قراباتهم والمقربين إليهم ، مما لا نجد له مثيلا فى تاريخ الدنيا .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن على رضى الله عنه أن فاطمة رضى الله عنها اشتكت ما تلق من الرحى مما تطحن ، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبي فأتته تسأله خادما ، فلم توافقه ، فذكرت لعائشة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك عائشة له ، قالت فاطمة : فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا ، فذهبنا لنقوم ، فقال : على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، فقال : ألا أدلكما على خير مما سألتمانى ؟ إذا أخذتما

مضاجعكما فكبرا الله أربعا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وسبحا ثلاثا وثلاثين ، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه » . . وفى رواية الإمام أحمد « والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم من أثمانهم » .

ومما يروى عن الصديق رضى الله تعالى عنه أن زوجته اشتهت حلوا ، فقال لها : ليس لنا ما نشترى به . فقالت : أنا أستفضل من نفقتنا فى عدة أيام ما نشترى به . قال افعلى . ففعلت ذلك ، فاجتمع لها فى أيام كثيرة شىء يسير فلما عرفته ذلك ليشترى به حلوا أخذه فرده إلى بيت المال ، وقال : هذا يفضل عن قوتنا ، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم ، وغرم ما حصل عليه لبيت المال من ملك كان له ، وقد ذكرت آنفا مقالة عمر فيما يحل للخلفاء والأمراء من أموال المسلمين ، وقد طبق هذا المبدأ على نفسه غاية التطبيق حتى صار مثلا نادرا لتقشف الخلفاء فى القديم والحديث .

(٢) ومن مسئولية الإمام أن يرفق برعيته ولا يشق عليهم ولا يكلفهم من الأمر شططا ويكون بهم رءوفا رحيما ، وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى هذا يقول : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به » ، وفى الحديث المتفق عليه عن عائذ بن عمرو رضى الله عنه أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أى بنى : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن شر الرعاء الحطمة [١] » فإياك أن تكون منهم .

(٣) السهر على مصالح الرعية وتأمينهم فى دمائهم وأعراضهم وأموالهم وأقواتهم بتوفير الغذاء والكساء لهم ومساكنهم بتوفير المسكن الصحى لهم ، وفى الحديث الصحيح أن أهل المدينة فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه سمعوا صوتا مفزعا فخرجوا يستطلعون الخبر فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إلى الصوت وقد عاد على فرس لأبى طلحة وفى عنقه السيف فقال لهم : « لن تراعوا » .

وفى عام الرمادة فى عهد الفاروق عمر رضى الله عنه آلى على نفسه أن لا يأكل سمنا

---

(١) الرعاء جمع راع ، والحطمة القاسى الذى يظلم ولا يرق ولا يرحم .

ولا عسلا حتى يخصب الناس ، وعكف على الائتدام بالزيت حتى قرقر بطنه وتغير لونه وأبى على نفسه أن يتنعم بلذيذ الطعام ، والناس مجدبون ، ولم يتناول السمن حتى أخصب الناس وامتلأت الأسواق بالسمن والأقط .

(٤) ومن حقوق الرعية على الراعى أن لا يحتجب دون حوائجهم ومصالحهم وأن يعين له أعوانا وعيونا يتعرفون أحوال الناس وحاجاتهم ويبلغونها إليه كى يكون على علم بأحوال الرعية ، وفى الحديث الشريف « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر » . وروى أبو داود والترمذى عن أبى مريم الأزدى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس ، ولم يكن لرسول الله ولا لخلفائه الراشدين بعده حجاب يحولون بينهم وبين الناس ومع هذا فقد روى الطبرى عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين . والله نعم الحول هذا » .

(٥) من مسئولية الحاكم تخير أعوانه ووزرائه والمقربين إليه من أهل الدين والخلق والصلاح الدينى والدنيوى ، فبقدر صلاح الأعوان والوزراء يكون صلاح أحوال العباد والبلاد ، وبقدر فسادهم وانحرافهم يكون الفساد والانحراف من الأفراد . وفى الحديث الذى رواه أبو داود عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه » . وفى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .

(٦) أن يسند الأمور إلى أربابها ومستحقيها وأهل العلم كى تتحقق للأمة السعادتان

الدينية والدنيوية وهذا يقتضى وضع الرجل الكفء فى المكان اللائق به و إقصاء غير الكفء من المهام التى ليس أهلا لها أما تقديم النكس الخب المداهن على الكفء القوى المصارح ، أو الأقرباء والأصدقاء على من هم أحق منهم وأولى، فتضييع للأمانة وخيانة للعهد . ومن الحكم النبوية فى هذا أن رجلا جاء يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فلما فرغ من حديثه قال : أين السائل ؟ ثم قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال الرجل : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

(٧) المحافظة على كيان الدولة والعمل على عزتها وقوتها وأن يبق سلطانها مرهوبا فى الأرض والعمل على صيانة حقوقها أن يغتصبها مغتصب أو يطمع فيها طامع ، وذلك يقتضى إعداد الجيوش وسد الثغور والمرابطة على الحدود و إعداد العدة والقوة وأخذ الأهبة ، وبذلك تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . وقد وضع رسول الإسلام الأساس الصالح لهذا . ففى السنة التاسعة من الهجرة ترامى إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن الروم سيغزونه فى عقر داره ، فندب المسلمين للخروج ، وكان الوقت وقت حر شديد وجهد جهيد، وكانو فى ضيق من المال وعوز فى الظهر ، ومع هذا فسرعان ما انتدبوا وخرجوا حتى وصلوا إلى تبوك بالقرب من مشارف الشام فلم يجدوا للروم أثرا فعادوا بعد أن ثبتوا سلطان دولتهم الناشئة وأمنوا حدودهم الشمالية ، فقد أسرع الأمراء المتاخمون لهم للقاء الرسول وعاهدوه وأذعنوا له بالخضوع .

وبعد : فهذه مسئوليات الحاكم والأئمة فى الإسلام ، وهى مسئوليات ضخام جسام وقد حرص على تطبيقها والعمل بها الخلفاء الأولون ، فلا عجب إن كانوا قد أقاموا أمة كانت مضرب الأمثال فى العدل والتراحم والتعاون والأمانة الفائقة والعفة النادرة والعزة القعساء والسلطان المرهوب ، ولا تزال هذه الأسس نبراسا يهتدى به ويسير على ضوئه من يريد الخير لأمته ويحرص على أن يكون فى عداد الرعيل الأول من حكام المسلمين الأخيار المقسطين .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حول مشكلة السينما :

مدرسة صارت للشيطان

الخير والشر فى صراع موصول خلال هذه الحياة ، ومن وراء هذا الصراع يتميز الطيب من الخبيث ، لأن لكل من الخير والشر أتباعه وأعوانه ، ومن واجب الأخيار أن يتمسكوا بخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وأن يدوموا عليه ولو وجدوا فى طريقه تعبا أو نصبا ، ولا يساوموا عليه أو يفرطوا فيه لعلة يمتلونها ، فان الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه ، ولذلك قال التنزيل المجيد : « والله مع الصابرين » وقال لرسول الدعوة : « فاصبر صبرا جميلا » .

وربما كان الشىء من الأشياء أمرا من أمور الخير فى أصله أو بحسن استعماله ، ولكنه بسوء الاستعمال أو باطل التحريف ينقلب إلى أمر من أمور الشر والفساد . . .

وكم من أشياء ظهرت للانسان فى هذه الحياة فاستخدمها على غير وجهها ، فأصبحت صابا وعلقا ، وقد كان وجه الصواب فيها أن تفيض عليه بالعذب السلسل النمير .

ومن بين تلك الأشياء « السينما » ! . . .

والسينما أداة خطيرة كبيرة الخطر ، مؤثرة عميقة الأثر ، ابتدعها عقل الإنسان ، وكان من الممكن — بل إنه لمن الواجب — أن تكون مدرسة للاهتداء بهدى الرحمن ، أو لتثبيت أركان العقيدة والإيمان ، أو لتدعيم قواعد الديار والأوطان ، ولكنها مع الأسف صارت بانحرافها وسوء استغلالها مدرسة للشيطان ! . . .

والسينما قد انتشرت فى كل مكان ، واجتذبت إليها الملايين بعد الملايين ، وزاد عدد دورها زيادة هائلة مرعبة ، وغلبت المساجد والمدارس والجمعيات ، واستبدت بالأموال والأوقات ، واستحوذت على قلوب الناس واهتمامهم ، وسببت الكثير من المتاعب والمشكلات للأفراد والجماعات . . .

ولقد تجد بعض نواحى القاهرة ـ مثلا ـ لا يوجد فيها مدرسة أو مسجد ، ولكنك قد تجد فيها أكثر من دار للسينما ، وفى القاهرة شوارع يوجد فى كل منها عدة دور للسينما ، بل يوجد مثلا فى ميدان السيدة زينب وحده أربع دور كبيرة للسينما ! ! . . .

والدراسة فى مدارسنا بضع ساعات من النهار ، وأكثر المدارس الآن تأخذ بنظام « نصف اليوم المدرسى » لقلة المدارس وضيقها بالتلاميذ الكثيرين ، وأما ساعات السينما فانها تبدأ من الساعة العاشرة صباحا وتمتد إلى منتصف الليل ، أى أنها تستمر أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، لأنها تعرض أفلامها فى كل يوم أربع مرات . . .

وناهيكم بالعرض الأول من هذه العروض ، وهو عرض الساعة العاشرة صباحا . . . إنه مكمن داء دوى ، فالتلاميذ الذين لا رقابة عليهم يهربون من المدارس ، ويتواعدون مع الفتيات أو مع غير الفتيات على الذهاب إلى السينما فى هذا الوقت ، كما يذهبون إليها فى غير هذه الأوقات ، وهم يفعلون هذا لأن السينما فى تقديرهم ونظرهم أكثر جاذبية من المدرسة ، ونجوم السينما وممثلاتها وراقصاتها أجمل فى عيون هؤلاء التلاميذ الشاردين من وجوه مدرسيهم ، وفى المدارس يتعلمون أشياء ثقيلة الظل عليهم ، ولكن السينما تعلمهم أشياء تلذهم وتشهيهم ، إنها تعلمهم الحب الرخيص ، والهوى الملوث ، والتفسخ فى الأخلاق ، والتحلل من الواجبات ! . . .

ولم لا يفعلون ذلك والرقابة ضعيفة ، والتسلية البريئة قليلة ، والتربية الروحية غير متمكنة ، والتوجيه الأخلاقى والدينى غير مسيطر ، والمحرضات على جذب الأحداث والتلاميذ إلى السينما كثيرة يتفنن فيها أهلوها تفنن الأبالسة ؟ ... حتى جعلوا هؤلاء التلاميذ يستهينون بكل حرمة فى سبيل الذهاب إلى السينما ، فهم يتركون دروسهم ويهربون من مدارسهم لأجلها ، وهم يسرقون النقود من بيوتهم أو من غير بيوتهم كى يحصلوا على تذاكرها ، وقد يسلكون أقذر الوسائل وأحطها لدخولها ، والمسئولون عنهم لايشعرون ، أو هم يشعرون ولكنهم يفرطون ويهملون ! .

هذا مثلا رجل سينمائى أراد أن يعلن عن فيلم من أفلامه ، فابتدع طريقة منكرة فى هذا الإعلان ، هى أنه طبع هذا الإعلان على جدول من جداول حصص الدروس ، وأخذ يوزع نسخه الكثيرة على طلاب المدارس وطالباتها ، وعلى هذا الجدول المطبوع ظهر بطل الفيلم وبطلته متعانقين متحاضنين ، فى قبلة عميقة فاجرة ! ...

وحول خانات الحصص المدرسية فى الجدول طبعوا أسماء الممثلين والممثلات ، وكأنهم يريدون أن يقولوا للتلاميذ والتلميذات : دعوكم من مدارسكم ودروسكم ومدرسيكم ، وتعالوا إلى مدرستنا فهى أجمل ، وإلى ممثلاتنا فهن أروع وأرشق !... وكتب الممثل على الجدول يقول : إنه « يهنئ الطالبات الفاتنات الناجحات بالسنة الدراسية الجديدة ، ويتمنى لهن أطيب التمنيات ، وتحقيق آمالهن بمشاهدة فيلم .... » وذكر اسم الفيلم !...

أرأيتم وسمعتم ؟... إنه يهنئ الطالبات « الفاتنات » ! ـ ومعنى الفتنة معروف ـ يهنئ الفاتنات فقط ، أما الطالبات غير الفاتنات فلا ، وأما المتوسطات فى الجمال فلا ، فالمقياس عنده فى الطالبات هو الفتنة ، لا الدين ولا العلم ولا الأخلاق !... وهو يحصر تحقيق آمال هؤلاء الطالبات فى مشاهدة فيلمه المعلن عنه !...

ونرى فى هذا الجدول المطبوع الموزع أن البطل يهنئ الطالبات ، وأن البطلة تهنئ الطلاب !... ولست أدرى السر فى أن البطل « الرجل » يهنئ الطالبات « الإناث » ، بينما نجد البطلة « المرأة » تهنئ الطلاب « الذكور » !... ألذلك حكمة أيها الحكماء ؟!..

وقد وضعوا اسم الفيلم فى هذا الجدول المدرسى المطبوع تحت عنوان « الحصة الثامنة » أى أن ختام الدروس عند هؤلاء يجب أن يكون فى السينما لتهدم بانحرافها وسوء استغلالها ما بنته المدرسة !...

وجاء فى الإعلان أيضا أن « يوم الجمعة مخصص لمشاهدة الفيلم ما عدا أيام الزوغان » ومعنى هذا أن « أيام الزوغان » من المدرسة لها ذكر واعتبار عند هؤلاء !... أفليس هذا تحريضا ملفوفا ـ بل مكشوفا ـ على الهروب من المدارس لأجل السينما ؟... أليس هذا تشجيعا على الإثم والانحراف ؟.. أليست هذه دعوة سافرة لإفساد الطلاب والشباب؟

هل درت بذلك وزارة التربية والتعليم ؟... وهلا ضربت على أيدى هؤلاء العابثين بكرامة المدارس وأخلاق التلاميذ ؟...

وهل بلغ هذا وزارة الإرشاد ؟... وهلا سارعت فعالجت هذه المأساة الخطيرة ؟ .

أهكذا نترك هؤلاء يوزعون على طلابنا وتلاميذنا وبناتنا وفلذات أكبادنا جداول حصص تكون تحت أبصارهم باستمرار ، وفيها هذه السموم الخطيرة المثيرة ؟... دون هذا ويذهب حلم الحليم !...

هأنذا أقرأ في صدر جريدة « الأهرام » بتاريخ ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م أن ثلاثين صبيا من الأحداث قد فروا هاربين من مؤسسة البنين في حي المجوزة ، وتشتتوا في أرجاء القاهرة الواسعة ، بعد أن سرقوا بعض الأشياء ، وقد تقرر تقديمهم للمحاكمة غيابيا ، لأن المسئولين عنهم لم يضبطوهم ! ... ومن يدري ، فلعلهم قد ذهبوا ليتلقوا الدروس هناك ، هناك في ظلام السينما وظلمات الأفلام ! ...

يا عالم ، يا ناس ، يا خلق ، يا بني آدم ! ... إن البلاء قد عم وطم على أيدي هذه السينما المنحرفة الضالة الشاردة عن الصواب ... فهذا والد يذكر أن زوجته قد ذهبت مع ابنته الطالبة لمشاهدة عرض سينمائي تقدمه مدرسة ثانوية للبنات ، ففوجئت الزوجة بأن الفيلم غرامي صارخ ممتلىء بالعناق والقبلات ومشاهد الخلاعة ، وأن العامل المشرف على عرض الفيلم كان يكرر عرض بعض المناظر المثيرة التي تعجب الفتيات وكلهن في سن المراهقة ، ويقول الوالد : إن المدرسة قد قررت عرض الأفلام فيها أسبوعيا ، وهو يطالب باختيار الأفلام الصالحة للعرض بدل الأفلام الخادشة للعرض ! ...

ألا تصدقني ؟ ... إذن فلأترك التلخيص والتمايق ، ولأذكر لك المأساة كما روتها جريدة « الأهرام » بتاريخ ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ، فقد جاء في باب البريد منها ما نصه :

« هذه شكوى والد طلب مني عدم ذكر اسمه حتى لا يسبب ذلك متاعب لابنته ... يقول الوالد : ذهبت زوجتي بصحبة ابنتي لمشاهدة أحد الأفلام التي تعرضها المدرسة — مدرسة شبرا الثانوية للبنات — وفوجئت زوجتي بأن الفيلم الذي تعرضه المدرسة فيلم غرامي صارخ مليء بالقبل والخلاعة ، ومن الغريب أن العامل الذي كان يشرف على عرض الفيلم كان يعيد عرض بعض لقطاته التي تنال استحسان البنات ، وجميعهن في سن المراهقة ... لقد قررت المدرسة عرض الأفلام السينمائية مرة كل أسبوع ، وحددت له يوم الاثنين ، فهل لنا نحن أولياء الأمور أن نطلب اختيار الأفلام الصالحة للعرض بدلا من الأفلام التي تعرضها المدرسة » ؟ ! ...

وقد علق المحرر المختص بقوله : « لست أفهم أن تمنع وزارة الإرشاد دور السينما من السماح للشبان والشابات بدخول بعض الأفلام ، ثم تقوم المدرسة بعرضها على الطالبات في المدارس . إن عرض الأفلام في المدارس تقليد جميل ، ولكن لابد من اختيار الأفلام الصالحة ، ولا أعني بالصالحة الخالية كلية من الحب ، ولكن لا بد من الفكرة ، والهدف ، والتعليم ، لا مجرد إثارة الغرائز » ! ..

وهذا هو البابا المسيحي قد جأر بالشكوى من طوفان الأفلام الدائرة حول الغرائز والتحلل الخلق ، والتي تثير أخطر ما في النفس البشرية من غرائز وأحاسيس ، وتنحرف بها عن سواء السبيل ، وقد طالب « البابا » بمنع هذه الأفلام القذرة لتسلم البشرية من التردى في هاوية الرذيلة ، وهذا الموقف من « البابا » يهمنا في هذا الموضوع ، لأن بعض من لا خلاق لهم يصفون محاربة الأفلام الخليعة بأنها رجعية شرقية ، وضآلة في التفكير ، وتخلف عن الحضارة ... فهاهو ذا زعيم المسيحية الروحى وكبيرها في الغرب المتمدن المتحضر ينذر بالويل والثبور من جراء هذه الأفلام ، وأحب مرة أخرى أن أورد ما ذكرته « الأهرام » بتاريخ ٣٠ ربيع الآخر ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ م حول هذا الموضوع حيث قالت :

« صح البابا حين غمرت موجة الأفلام الغريزية شعوب العالم ، واجتاحت المراهقين بوسائلها الماكرة ، فأقبلوا على هذه الأفلام التي خاطبت أخطر ما في أعماقهم ، وانحرف الكثيرون نتيجة طبيعية لمشاهدة هذه الأفلام ، والفيلم السينمائي له خطورته البالغة على النفوس ، وبخاصة الأحداث والشباب . . .

طالب البابا بضرورة الحد من هذه الأفلام الغريزية ، بل العمل على القضاء عليها ، خوفا على البشرية من التردى في هوى الرذائل ... أقول هذا بمناسبة عرض بعض الأفلام الأجنبية في مصر ، التي تعالج قصصها موضوع الغريزة الجنسية علاجا فيه متاجرة بها ، بإثارة الناس وخاصة الشباب ، ضمانا للحصول على دراهم الإقبال . . .

لو أن هذه الأفلام عالجت موضوع الغريزة علاجا قائما على العلم والتوجيه والتسامى لكان ذلك رائعا وجليلا ، ولكن وجه الخطورة في النتائج المترتبة على انتشار هذه الأفلام الغريزية الضارة ، فينتشر الشذوذ والانحراف ... مثال ذلك قصة فيلم أجنبي ... امرأة متزوجة عارية دائما بين عشيقها وزوجها ، يناقش العشيق الزوج ليتخلى عن زوجته له ، وتسير هكذا حوادث القصة ... إن هذا الاتجاه فيه تجارة رخيصة ، وفيه استغلال للناس ، وفيه خطر جسيم على البشرية ، فلنتنبه إلى هذه الخطورة ونحن الآن نبنى مصر الحديثة ، ولنعمل على حماية جيلنا من الانهيار ، ولنجنبه مثل هذه الأفلام الهدامة المتحللة » .

إن هذه السطور السابقة ليست كلامى ، وليست كلام واعظ في مسجد ، وليست كلام رجل دين يحذر وينذر ، وليست كلام شخص رجعى متزمت ، وإنما هو كلام يقوله

المحرر الفنى المصرى فى جريدة يومية معاصرة كبرى ، ومعنى هذا أنه قد شهد شاهـد من أهل السينما والفن بانحراف هذه السينما وبخطورتها على الأخـلاق والمجتمع ، فهلا يكفى ذلك لإشعار المسئولين من السينما بخطورة انحرافها وأضرار اعوجاجها ؟ . . .

وفوق هذا لدينا مزيد ، فهاهو ذا مدير مصلحة الفنون يصدر بيانا عن طريق المدير لمكتبه يتعرض فيه لهذا الانحراف الخطير الذى أصيبت به السينما ، ويقرر فيـه أمورا خطيرة جـــدا ، وقد نشرت جريدة « الشعب » هذا البيان بتاريخ غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م ، وقد جاء فيه ما نصه :

« كثر الحديث عن الأفلام الجنسية التى ظهرت فى هذا الموسم ، والمقارنة بينها وبين فيـلم (شباب امرأة) وقيل : إن هذا الفيلم الأخير يعرض فى جميع دور السينما على الـكبار والأحـداث معا ، بينما منعت الرقابة الأحداث من مشاهـد الأفلام الجديدة . وأفسر هذا الوضع فأقول : إن فيلم (شباب امرأة) ظهر فى عام ١٩٥٥ م ، وهو أول فيلم مصرى يعالج مشكلة الجنس ، وكانت مصلحة الفنون تهدف إلى ترك هذا الباب مفتوحا أمـام المنتجين ليتسع المجال أمامهم ! وليتمكنوا من منافسة الأفلام الأجنبيـة من نفس اللون التى تلق رواجا كبيرا !

ولـكن المسئولين فى وزاره الإرشاد لاحظوا أن التيار كله اتجه إلى هذا النوع ، وكان اتجاهه عنيفا ، وتدرج الأمر إلى أن أصبح إسفافا مخجلا ! ! ... وأمام هذا الانحدار ، وإزاء رد الفعل الذى لوحظ على الجماهير أثناء مشاهدة هذه الأفلام رأت الوزارة أن من واجبها حماية الشعب ، فأصدرت تعليمات مشـددة بوقف هذا الاتجاه الخطير نحو هــذا النوع من الأفلام » .

هـذا هو بيان مصلحة الفنون ، وفيــه اعتراف صريح مؤلم كل الإيلام بالإسفاف السينمائى المخجل ، وبالانحدار فى هذا الإسفاف ، فهل وراء ذلك برهان أو دليل ؟ ! ... ولقد نشر محرر « الشعب » الفنى هذا البيان ، ثم علق عليه بسؤال محرج ، إذ قال فى ذيله ما نصه : « والسؤال الموجه لوزارة الإرشاد الآن هو : وما العمل فى الأفلام المعروضة فعلا على الجماهير من هذا النوع ؟ » ! ...

والواقع أننا الآن مصابون بالأفلام الغريزية الفاضحة من الخارج ، ومصابون بالأفلام

الجنسية القذرة من الداخل ، وهناك ما يقرب من خمسين فيلما لا تخرج موضوعاتها - بل لا تكاد تخرج عناوينها - عن الحب واللذة الجسدية والاتصال الأثيم بين الرجل والمرأة ! !... والعجيب الغريب المضحك المبكى فى هذا الباب أن الفيلم إذا زادت وقاحته أو رقاعته منعوا دخوله ومشاهدته عن الذين لم يبلغوا ستة عشر عاما من أعمارهم ، أى الذين لم يبلغوا سن المراهقة والتأثر والانفعال ، وأما الذين بلغوا هذه السن وأصبحوا وقودا صالحا للاشتعال بلهب الإثارة الجنسية فهؤلاء يباح لهم أن يدخلوا هذه الأفلام الفاضحة !... فليعطنى أحد القراء عقله لأفهم به ، فهذا منطق تضيع معه العقول ! !...

مرة أخرى نقول : ياعالم ، ياناس ، ياخلق ، يابنى آدم ... إن البلاء قد عم وطم بسبب هذه السينما المنحرفة الضالة ... ولا بد لها من إصلاح ... لابد من إلغاء عرض الساعة العاشرة لأن أغلب مشاهديه من التلاميذ الهاربين من الدروس ، ولا بد من تطهير السينما من كل ما يصادم الدين ويخالف الأخلاق والفضيلة ، ولا بد من توجيه السينما إلى النواحى السامية كالمفاخر التاريخية ، والموضوعات الاجتماعية المفيدة ، والأمجاد القومية المختلفة ، والنواحى العلمية القيمة ، والعواطف الطاهرة النبيلة ، ولا بد من إشراف دقيق حازم على جميع الأفلام الأجنبية والمحلية ، وأن يشترك فى هذا الإشراف رجال العلم والتاريخ والدين والأخلاق والغيرة الوطنية اشتراكا إيجابيا فعالا ، حتى تصير السينما بعد تطهيرها وتصفيتها وسيلة من وسائل الإصلاح والتسامى ، لا معولا من معاول الهدم للفضائل والأخلاق ، والدولة التى تبنى هنا وهناك يجب عليها أن تتذكر دائما أن معاول التخريب إذا بقيت تهدم لا يتم معها البناء ، والأول يقول :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟!

فلتضرب الدولة بيد الحزم والعزم على أيدى هؤلاء الهادمين ، ليسلم لنا الوطن الأمين والمجتمع السليم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ! . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

الجنس الثالث

أحسن ما قرأته فى وصف النساء المترجلات، اللاتى يأبين إلا الخروج على فطرتهن، والزج بأنفسهن فى ميادين الرجال، تسمية أحد كتاب الانجليز لهن « الجنس الثالث ». فالواقع أن هذه التسمية وصف صادق كل الصدق لهذه الطبقة الجديدة من النساء، التى برزت مشكلتها فى المجتمع الأوروبى منذ أواخر القرن الميلادى الماضى، بعد أن تكاثر عددها وطغا سيلها. ذلك لأنهن قد فقدن أنوثتهن فلم يعدن نساء، وابتذلن أجسادهن وأرخصن مفاتنهن حتى عافها الرجال وانصرفوا عنها. ثم إن فطرتهن وخلقتهن تأبى عليهن من بعد أن يدخلن فى الرجال. من أجل ذلك سماهن ذلك الكاتب الانجليزى الحصيف « الجنس الثالث »، بعد أن أخرجن أنفسهن من عداد النساء واستحال عليهن أن يدخلن فى عداد الرجال. فهن يخالفن الرجال طبيعة وتركيبا، ويخالفن النساء وظائف وأعمالا. « وقد درس هذا الأستاذ أحوالهن درسا مدققا فوجد أنهن يتركن الزواج. وبانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالأمومة وما يتبعها قد تغيرت إحساساتهن عن إحساسات بنات جنسهن، وصرن فى حالة من الكآبة تشبه أعراض الماليخوليا » (١).

أساءت المرأة إلى نفسها وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم أنصارها. فقد كانت ريحانة تشم، فأصبحت مشكلا يتطلب الحل. وكانت عرضا يصان وأمانة تحفظ، فأصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب والأخ ويحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش. نشأ الجيل السابق على أن يكفلها ويكفيها حاجتها، وكان هـذا التقليد عقيدة مركوزة فى أعماق كل نفس، يحرسها الإجماع عليها، ولا يخطر لأب أو ابن أو أخ أو زوج أن يتخلى عنه ويخرج من عهدته. فلما عملت المرأة لنفسها وشاع ذلك فى المجتمع ماتت هـذه العادة، وماتت معها المروءة التى كانت تدفع إليها، والغيرة التى كانت سببا فى المحافظة عليها وأصبحت المرأة إذا لم تبحث عن العمل من نفسها دفعها وليها إليه دفعا وألزمها به إلزاما. بل لقـد أصبح القانون يلزمها بالعمل فى النظام الشيوعى، وأصبح الواقع يلزمها به فى النظام الرأسمالى. وأصبحت التى لا تعمل فى أيامنا لا تجـد اللقمة

(١) « تربية المرأة » للاقتصادى المشهور محمد طلعت حرب ص٢٨ ط مصر ١٣١٧ [١٨٩٩م].

ولا تجد الزوج ، لأن الرجال إن عدموا ذوات المال من الزوجات بحثوا عن الكادحات الكاسبات . وكاد ذلك يصبح قانونا من قوانين حياتنا يقضى على المستعففات بالبوار والهلاك . فهل هـذا هو ما يسميه الخادعون والمخدوعون والخادعات والمخدوعات « حقوق المرأة » ؟ .

وفى الوقت الذى يتجرع فيه الغرب آثار خروج المرأة على فطرتها ووظيفتها ، كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن نأخذ فى ذلك الطريق الذى انتهى بالغرب إلى ما هو فيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية هزت دعائم مجتمعه هزا عنيفا أفقده استقراره واتزانه وعرض سلامته وكيانه لأشد الأخطار . ولقد يبدو للدارس المتأمل أن المرأة لا توضع الآن حيث تدعو الحاجة ــ صحيحة كانت أو مزعومة ــ إلى أن توضع . ولكنها توضع لإثبات وجودها فى كل مكان ، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له . فليس المقصود بتوظيفها فى هـذه الأيام سد حاجة موجودة ، ولكن المقصود هو مخالفة عرف راسخ ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة ، وإقامة عرف جديد فى الدين وفى الأخلاق وفى الذوق ، وخلق المبررات والمقومات التى تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا أمرا واقعا ، كما تجعل دخولنا فى دين الغرب ومذاهب الغرب وفسق الغرب أمرا واقعا كذلك .

وأخطر ما فى هذه الدعوة وأمثالها مما يراد به حملنا على كل فاسد من مذاهب الغرب أن أصحابها يريدون إقحامها على إسلامنا زاعمين أنها لا تعارضه . وقد كان قاسم أمين هو أول من جرأ الناس على تحريف النصوص حين طلع علينا بطائفة من المزاعم التى تقوم على المجازفة ، ومن النصوص المحرفة عن مواضعها والمخلوعة من سياقها خلعا يخرجها عن مدلولها ، وحين تصيد من كتب التاريخ ورواياته ــ على اختلاف درجاتها ودرجات مؤلفيها ــ كل شاذ غريب لحشدها فى حيز واحد وضم بعض أشتاتها إلى بعض ، حتى خيل إلى قارئها أنها ــ على شذوذها وقلتها ــ شيء مألوف كثير الوقوع . ومع أن هذا الذى جمعه هو خلاصة ما فى الكتب ــ صحيحها وسقيمها ــ من غرائب الأخبار والآراء التى تصور حالات شاذة نادرة لا تنهض بها حجة ولا يبطل بها عرف ، ومع أن كثيرا من النصوص التاريخية أو الفقهية التى اقتطفها ناقصة الدلالة غامضة العبارة ، فقد استطاع أن يروج ذلك كله بين الناس بمرور الأيام ، بفضل قوة حزبه الذى كان ينوه به الورد

كرومر فى تقريره وكتبه [١] حتى أصبحت هذه النصوص من بعد – على فساد الاستدلال بها – هى البضاعة المشتركة لمتابعى دعوته ومطوريها . وذلك كله هو الذى دعا الشاعر شوقى – رحمه الله – إلى أن يتساءل عن حقيقة صنيع قاسم أمين : أهو غيرة المدافع عن النصوص الإسلامية ، أم هو إغارة المحرف لها عن مواضعها ؟ . وذلك من قصيدة له ألقاها سنة ١٩٢٨ م ، وعرض فيها للباقته فى الاستدلال ، وبراعته فى الجدال ، فقال :

ولك البيان الجزل فى أثنائه العلم الغزير
فى مطلب خشن كثير فى مزالقه العثور
ما بالكتاب ولا الحديث إذا ذكرتهما نكير
حتى لنسأل : هل تغار على العقائد أم تغير ؟

* * *

وقد لا تكون هناك نصوص صريحة فى القرآن أو فى الحديث تمنع المرأة من العمل فى خارج البيت لكسب عيشها حين تدعو إلى ذلك ضرورة . ولكن من المؤكد أن اتخاذ هذه السنة أصلا من أصول التنظيم الاجتماعى يخالف روح الشريعة ويناقض كثيرا من نصوصها ويتعارض مع كثير من شرائعها وحدودها تعارضا واضحا .

١ – قال تعالى فى كتابه العزيز : (الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم – النساء ٣٤) . تشير هذه الآية إلى ناموس من نواميس الله الثابتة وهى قوامة الرجال على النساء ، وقد ناط سبحانه وتعالى حكمته فى ذلك بسببين ظاهرين : أولهما أن فطرة الرجل تخالف فطرة المرأة . فهى تفضله فى تدبير شئون البيت وتربية الولد والقيام عليه ، بما جبلت عليه من الحنان والرقة ومن التركيب العضوى الذى يعينها على وظيفتها مثل ضعف جهازها العصبى الذى يقلل إحساسها بآلام الحمل والوضع ، وإن كان يجعلها فى الوقت نفسه أكثر استعدادا لأنواع الأمراض وأسرع

---

[١] راجع نص تقارير كرومر المرفوعة إلى البرلمان الانجليزى [ط لندن] فى تقرير سنة ١٩٠٥ [المقدم إلى البرلمان الانجليزى فى أبريل ١٩٠٦] الفقرة ٧ ص ١٥ – ١٦ . وراجع كذلك تقرير سنة ١٩٠٦ [المقدم إلى البرلمان فى أبريل ١٩٠٧] فى الفقرة ٣ – ٨ . وقد أوصى كرومر فى هذه التقارير وفى كتابه Modern Egypt بذلك الحزب خيرا وعلق على رجاله الآمال فى رعاية المصالح الانجليزية عن طريق إنشاء علاقات من الود والتفاهم بين الانجليز وبين المسلمين فى مصر .

Reports by His Majesty's Agent and Consul General on the Finances, Administration, and Condition of Egypt and the Sudan .

تهيجا وأقوى انفعالا ، مما يؤثر فى سلامة التقدير وصحة الإدراك ويجعلها أقل قدرة من الرجل على مجابهة الأزمات والتماسك أمام الشدائد والملمات . أما الرجل فهو يفضلها — لما سلف من الأسباب — فى القوة البدنية وفى قوة التفكير وصحة التقدير ورباطة الجأش ، مما يعده للكفاح ومعالجة المشاق ، والكدح وراء معاش الأسرة ، وفى سبيل الحفاظ على كيانها ودفع ما يتهدده من أخطار . والسبب الثانى الذى انبنت عليه هذه القوامة هو أن الرجل يتولى الإنفاق ، لأنه هو الذى يكسب المال حسب ما جبل عليه . فليس من العدل أن يكلف فرد بالإنفاق على هيئة أو جماعة ثم لا يكون له رأى فى الإشراف على مصارف هذه النفقة . وعلى ذلك تجرى الحكومات النيابية المعاصرة ، ويعتبر ذلك أصلا من أصول تشريعاتها .

فاذا جرينا على اعتبار عمل المرأة فى خارج المنزل وكدحها فى سبيل كسب المال إلى جانب الرجل أصلا من أصول تقنيننا الاجتماعى ، فقد أخرجناها عن وظيفتها من ناحية ، وقد أخللنا بما هو مقرر فى الآية الكريمة من قوامة الرجل عليها من ناحية أخرى . لأن هذه القوامة مبنية على أصلين : أحدهما فضل الرجل على المرأة فى الصلاحية للعمل خارج البيت ، وثانيهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الأول — وهو فضل الرجل على المرأة فى الصلاحية للعمل خارج البيت — أن شهادة المرأة لا تغنى عن شهادة الرجل . ولا بد من انضمام امرأتين اثنتين إلى الشاهد الأول لكى تكون شهادتهما معادلة لشهادة رجل واحد وذلك بنص كتاب الله الحكيم فى قوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى — البقرة ٢٨٢) . فالآية الكريمة تعلل ذلك بأن المرأة التى ليس من شأنها أن تخالط الرجال فى شئون العمل والحياة ، والتى تتحفظ فى هذا الاختلاط إذ دعتها إلى ذلك الحاجة أو ساقتها إليه المصادفة ، هى مظنة أن لا تعى تفاصيل الواقعة التى تدلى بشهادتها فيها كما يعيها الرجل . لذلك كانت فى حاجة إلى أن تظاهرها امرأة أخرى فى هذه الشهادة حتى يقوم اتفاقهما مقام شهادة رجل واحد . (١)

---

[١] المجلة — وقد اعترف بهذا التفاوت بين الرجال والنساء فى الشهادة وأمثالها كثير من حكماء الغرب ولا سيما فى إيطاليا ، كما بسطه الأستاذ كامل أحمد ثابت من رجال القانون والقضاء فى كتابه [علم النفس القضائى] ص ٢٢ ، ٢٤ ، ١٢٣ .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الثانى ـ وهو تكليف الرجل بالإنفاق على الأسرة ـ أن نصيبه المقرر فى الميراث ضعف نصيب المرأة . وذلك بنص قوله تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ـ النساء ١١) .

فاذا قررنا أن تعمل المرأة إلى جانب الرجل فى مختلف ميادين العمل والإنتاج والوظائف ، وجعلنا ذلك ـ اقتداء بالغرب ـ أصلا من أصول التنظيم الاجتماعى ، فقد أبطلنا كل هـذه التشريعات القرآنية ـ أصولها وفروعها ـ لمغايرتها عنـد ذلك لظروف الحالة الجديدة الطارئة .

ومع ذلك كله فقوامة الرجل على المرأة لا تقتضى تفضيله عليها فى الدين أو فى الدنيا . فالله سبحانه وتعالى يقول : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ـ آل عمران ١٩٥) ـ ولكن هذه القوامة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الأوضاع فى الحيـاة الدنيا ، ولا تسلم الحياة فى مجموعها إلا بالتزامها . فهى تشبه قوامة الرؤساء وأولى الأمر ، التى لا تستلزم أن يكون الرؤساء أفضل من كل المحكومين ، ولكنها مع ذلك ضرورة يستلزمها المجتمع الإنسانى ، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على ولى الأمر فى العلم أو فى الدين .

٢ ــ يقول تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ـ البقرة ٢٢٨) . ويقول سبحانه : (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ـ البقرة ٢٣٧) .

والآيتان كلتاهما تؤكدان ماقررته الآية الأولى من قوامة الرجال على النساء . ومن مظاهرها فى الآية الثانية جعل عقدة النكاح فى يد الرجل . وهى قوامـة تسقط من تلقاء نفسها وتصبح داحضة بوضع المرأة مع الرجل على قدم المساواة فى ميادين العمل والكسب .

٣ ــ انبنت قوامة الرجل ـ كما سبق ـ على أصلين، أحدهما أنه هو المكلف بالإنفاق على الأسرة . وفى الآية الأخيرة إشارة إلى هذا الواجب المقرر . فالرجل هو الذى يسوق المهر إلى زوجته . ـ على عكس ما هو مقرر عنـد الغربيين الذين يزعمون أنهم أكثر

إنصافا للمرأة ـ ويسقط نصف حقه فى هذا المهر إن طلق زوجته قبل أن يدخل بها .
وهناك آيات أخرى كثيرة تؤكد هذا الواجب الملقى على عاتق الرجل ، واجب الإنفاق على الأسرة وكفالتها فمن ذلك قوله تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ـ البقرة ٢٣٣) . ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن ، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ـ البقرة ٢٣٦) . ومنه قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج . . . وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ـ البقرة ٢٤٠ ، ٢٤١).

فى هذه الآيات تأكيد لما هو مقرر من تكليف الرجل بالإنفاق . وهو تكليف يقوم على أن المرأة لا تعمل لكسب المال لأنها مصروفة عنه إلى غيره من الأعمال التى أعدتها لها فطرة الله التى فطر الناس عليها . فاذا أخذ المجتمع بأن تعمل المرأة عمل الرجال لزم تغيير هذه التشريعات ، وتغيير هذه التشريعات يخرج المسلمين من إسلامهم ، لأنهم مكلفون بالرجوع إلى كتاب الله فى شئون دينهم ودنياهم والإذعان له والتسليم بما جاء فيه ؛ لا يحيدون عنه ولا يبدلونه ، ولأن ما قرره القرآن من القوانين وما وضعه من الحدود منسوب إلى الله سبحانه وتعالى ، محكوم على من يتجاوزه بالظلم والفسق بنص كتاب الله العزيز ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى أحد المنافقين ، وكان قد احتكم إلى النبى عليه الصلاة والسلام ثم لم يرض حكمه فأعاد الاحتكام إلى كعب بن الأشرف اليهودى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا . ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . . . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ـ النساء : ٥٩ ـ ٦٥) . ويقول تعالى بعد تبيين بعض أحكام الطلاق : (تلك حدود الله فلا تعتدوها . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون البقرة ـ ٢٢٩) ، (وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ـ الطلاق : ١) .
ويقول تعالى بعد تبيين أحكام الميراث : (تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ـ النساء : ١٣ ، ١٤) .

ومع ذلك كله فالله سبحانه وتعالى يقول : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ؛ إن الله كان بكل شيء عليما ـ النساء : ٣٢) . نزلت هذه الآية حين قالت أم سلمة ونسوة معها : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال ، فيكون لنا من الأجر مثل مالهم . فالآية تأمر الرجل والمرأة كليهما أن يلزم كل منهما وظيفته التي هيأه الله لها ، وتبين لهما أن الله سبحانه وتعالى يثيب المرأة على إخلاصها لوظيفتها مثل ثواب الرجل على إخلاصه لوظيفته .

ثم إني أحب أن أسأل الذين يحاولون أن يسوغوا باطلهم الذى يقحمونه على إسلامنا بمزاعم يتحايلون على إلصاقها بالدين ونصوصه . أحب أن أسأل هؤلاء سؤالا حاسما يفرق بين الحق والباطل : هل تعلمون أن أحدا من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم ؟ فاذا كان ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهاء المسلمين قد غفلوا جميعا عن فهم نصوص دينهم ، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الجن والإنس فى باريس من أمثال قاسم أمين فانتكس تفكيرهم بين معاهدها ومباذلها ، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين ، ولم يأووا بهديه إلى ركن شديد ، يذود عنهم كل شيطان مريد ؛ وذلك حين بعثوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها فضلوا الطريق ، وعادوا إلينا بغير الوجه الذى بعثوا به . جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن ليخرجوا للناس حقائق التنزيل التى غاب علمها عن الأولين والآخرين من الفقهاء والمفسرين ، ويضربوا بإجماع المسلمين فى الأجيال المتعاقبة والقرون المتطاولة عرض الحائط . أليس ابتداع هذه الدعوة فى ظل الاحتلال الانجليزى وتزعم فريق من المتفرنجين الذين عرفوا بموالاة ذلك الأجنبى المحتل لها ، هو وحده دليلا كافيا على أنها طارئة علينا من الغرب تقليدا لمذاهب أهله المبتدعين فى دينهم بأهوائهم وأهواء رؤسائهم ، والخارجين على نصرانيتهم وكتابها . ؟

* * *

ولو تدبر الناس الأمور وعقلوها ولم ينقادوا فى ذلك وراء شهواتهم ولم يسلموا زمامهم لما يزوره المضللون وأصحاب الأهواء من زخرف القول لأدركوا وجه الحق ، ولقادهم المنطق السليم النزيه إلى الانتفاع بشرع الله ، واكتشاف ما تنطوى عليه أقوال الذين يتصدون للدفاع عما يزعمونه (حقوق المرأة) من أخطاء .

وأول أخطاء هؤلاء أنهم يجعلون أكبر همهم مصروفا إلى إثبات أن المرأة تستطيع القيام بأعمال الرجل ، وأنها إنسان مثله لا فرق بين عقلها وعقله ، ويجهدون أنفسهم في حصر الأمثلة التى تؤيد زعمهم ممن نبغ من النساء فى مختلف العصور ، وليس هذا هو لب المشكل وصميمه ، ولا هو بالمقياس الصحيح فى تقدير المسألة ، ولكن لب المشكل وصميمه هو : هل يؤثر اشتغال المرأة بأعمال الرجال على إتقانها لعملها النسوى الأصيل ؟ ثم ، ماذا يحدث لو انصرف كل النساء إلى أعمال الرجال ؟ هل يحتم على الرجال عند ذاك أن يقوموا هم بأعمال النساء ؟ وإذا قبلوا ذلك فهل يصلحون له وهل يتقنونه ؟

من الواضح أن عمل الأنثى الأول الذى لا يصلح له غيرها هو النسل وحفظ النوع ، لأن تركيب الذكران العضوى لا يسمح لهم بحمل الجنين ولا بإرضاعه ، ومن الثابت أن إرهاق المرأة بالعمل يترك أثرا فى مزاجها وفى أعصابها ، ومن الثابت أيضا أن ذلك الأثر ينتقل إلى جنينها فى حالة الحمل ، كما ينتقل إلى طفلها فى حالة الرضاعة . بل إن بعض علماء الوراثة يتحدثون عن وراثة الصفات والأعراض الطارئة على الأب والأم كليهما فى أثناء العلوق والحمل . فالمرأة التى نيط بها حمل الجنين ، والسهر على أمنه وسلامته فى بطنها ومن بعد أن يخرج إلى الدنيا ، محتاجة لأن تكفى مئونة التعرض للهيجانات العصبية والإجهاد العضلى أو العقلى ، الذى تصل آثاره إلى ربيبها جنينا ورضيعا ، وتترك فيه أسوأ الآثار . وذلك شيء يقضى به أوجب الواجبات وأهمها ، وهو المحافظة على سلامة النوع البشرى . ثم إنها محتاجة بعد ذلك إلى أن توفر لها الفرصة الكاملة لملازمة طفلها ملازمة كاملة تسمح بأن يصنع على عينها جسما وعقلا وخلقا ، لكى تغرس فيه العادات الفاضلة ، وتجنبه ما قد يعرض له أو يطرأ عليه من عادات قبيحة . ومثل ذلك لا يتأتى بالأمر أو النهى مرة أو مرات . ولكن لا بد فيه من المراقبة الدائمة ، والإشراف على تكرار الفعل حتى يرسخ فى نفسه ، واليقظة على الزجر مرة بعد مرات عن بعض الأفعال الأخرى حتى يحال بينها وبين الرسوخ فى نفسه . وهذه المراقبة التى لا تغفل ، التى تتسم بالصبر الذى لا يمل ، هى وحدها التى تسمح باكتشاف أعراض الداء فى البنين والبنات قبل أن يستفحل ويتعذر علاجه . والقول بأن كل صلة الأم بولدها تنحصر فى الحمل والوضع هو نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان . فالإنسان يمتاز بطول حضانته لأطفاله . وهى حضانة ليست غذائية فحسب كما هى فى سائر الحيوان ، ولكنها خلقية وعقلية أيضا فى الإنسان ، وذلك من أهم الأسباب فى تقدم البشرية ، لأنه يورث الجيل التالى تجارب

الأجيال السابقة ، بما يمكنه من متابعة الشوط وتوفير الوقت والجهد الذى يضيع فى تكرار التجارب .

واعتماد المرأة العاملة على الخدم وعلى دور الحضانة فى رعاية وليدها لا يؤدى إلى كمال تنشئته ، لأن الإخلاص له والحرص على ابتغاء الكمال من كل وجه لا يتوافر فى أحد توافره فى الأم ، لأن من وراء إخلاصها وحرصها غريزة الأمومة . والحرص على الواجب ، فى الخدم وفى دور الحضانة لا يمكن أن يرتفع إلى مرتبة الغريزة مهما افترضنا فيه من السمو ، ومهما عملنا على ترقيته إلى أقصى درجات الكمال ، ومهما تجاهلنا جنايات الخيانة والإهمال والإفساد التى لا تحصى شواهدها فى واقع الحياة .

ولجوء الأم العاملة إلى الوسائل الصناعية فى إرضاع طفلها خيانة للأمانة وتفريط فيها وتعطيل لسنة الله ، لأن الله سبحانه لم يخلق ثدى الأنثى لتبرزه فى السهرات وتكشف عن جماله وتنصبه شركا فى الطرقات ، ولكنه أوجده أصلا للارضاع . والرضاعة مع ذلك ليست عملية عضوية آلية فحسب ، ولكنها حنان متبادل وميثاق غليظ . وليس لنا أن نتوقع بعد شيوع الرضاعة الصناعية إلا السعى لاختراع وسيلة للحمل الصناعى بعيدا عن بطن الأم - إن أمكن - توفيرا لجهدها وصيانة لجمالها !

وقد كان أنصار تعليم المرأة فى أول هذا القرن يحتجون لدعوتهم بأن تعليم المرأة أعون لها فى حسن القيام على تربية أولادها ، فلما تعلمت المرأة نسوا ما كانوا يدعون إليه أو تناسوه ، وراحوا يعملون على أن تكون المرأة صورة مكررة من الرجل . وصنيعهم هذا دليل على أنهم غير مخلصين فيما يدعون إليه ، وأن لهم من وراء دعواتهم أهدافا وغايات تخالف ظاهر أقوالهم .

ولو شئنا لقلنا بعد ذلك كله لأعداء المرأة وأعداء أنفسهم ممن جرى عرف الصحف والكتاب فى هذه الأيام على تسميتهم (أنصار المرأة) : إن المرأة لا تصلح للكد وممارسة الأعمال العامة صلاحية الرجل . لأنها بحكم تكوينها تحيض أسبوعا ، فى كل شهر ، وهى حالة تكاد تكون مرضا يخرجها عن مألوف عاداتها . وهى بعد ذلك إن حملت ظلت تعانى فى الشهور الأولى من حالات (الوحم) وما يلازمه من أسقام . ثم إنها تعانى فى الشهور الأخيرة من ثقل الحمل الذى يقيد حركاتها حتى يكاد يشلها . فإذا لم تكن المرأة العاملة متزوجة كانت مشغولة بالبحث عن الزوج ، معرضة للزلل والتفريط عند كل

بارقة من الأمل في الظفر به . وهي لاتعدل عن ذلك ولا تنصرف عنه إلا لعلة قد تكون شرا من البحث عن الزوج وأخطر .

وقد زعم أعداء المرأة المتسمين بأنصارها أن لزومها للمنزل انتقاص لحقوقها وقتل لشخصيتها واعتداء على كيانها . ومن قلب الأوضاع أن تسمى المصون المخدوم المكفى الحاجة سجينا حسب ما توهم صاحب (تحرير المرأة) كما يبدو من عنوان كتابه ، وقد عاشت المرأة ما عاشت مكرمة معززة مدللة حاكمة على زوجها من خلف ستار ، ولم تحس يوما أنها مهضـــومة الحق أو أنها مضطهدة أو سجينة أو مهددة الكرامة والشخصية ، حتى ظهر ذلك النفر من الكتاب فأحل الصراع والتنازع بين الجنسين محل التواد والتراحم ، ومن عجب أن الذين حملوا اللواء في الدعوة إلى ما يسمونه (حقوق المرأة) كانوا من الرجال ولم يكونوا من النساء ، ولم يكن من وراء صنيعهم إلا إفساد الحياة على المرأة والرجل كليهما ، ذلك لأن الحياة تحتاج إلى طمأنينة توفر للناس السعادة والاستقرار ، وثورة النساء والرجال كل منهما على الآخر تحل القلق والبغضاء محل الطمأنينة والحب ، بين الجنسـين اللذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل بينهما مودة ورحمـة يبنى عليهما عمران الكون وحفظ النوع البشرى ، والمجتمع السـليم يقوم على التواد والتراحم وعلى إخلاص كل عضو فيه لوظيفته وقيامه بها راضيا لا يمل ولا يتذمر ، فهو كالجسم الذى ينصرف كل عضو فيـه إلى أداء عمله ووظيفته ، لو توقف أحـد أعضائه عن أدائها أو تمرد عليها لاختل . فالله سبحانه وتعالى قد (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) . فهيأ كل فرد ، بل كل ذرة ، من نبات أو حيوان أو جماد ، لوظيفة معينة ، وركب فيه من الطبائع ما يناسبه ، وصرفه لأدائها ، وعلى ذلك تقوم حياتنا الحديثة فى كل شئونها وفى كل نواحى الصناعة والعلم فيها ، فهى تقوم على التخصص الدقيق الذى يتيح دقة المعرفة وحذق المرانة لكل عاكف على فرع بعينه ، والتربية الحديثة تحاول أن تكتشف مواهب الأطفال والصبية لتوجه كلا منهم فيما يلائم استعداده وتكوينه ، فلماذا نطبق هذين المبدأين ـ التخصص والعمل المناسب ـ فى كل شيء ، ونأبى أن نطبقهما فى الرجل والمرأة ؟

والرجل الذى يكد ويجهد نفسه ويرهقها فى العمل خارج البيت محتاج إلى زوجـة متزينة متعطرة ناعمة البال يأنس بها ويسكن إليها مما يجده من عناء ، وتسرى عنه بعض ما يعتريه من السأم والإجهاد ، وما يترك عنف التعامل مع النـاس فى نفسه من آثار

الضيق والملل ، وكدح المرأة فى ميادين الأعمال العامة يصرفها عن رعاية الزوج والولد كليهما لا شك فى ذلك ، لأنها تعود إلى البيت مكدودة مرهقة كالرجل ، فأيهما هو الذى يسرى عن الآخر ؟ وأيهما هو الذى سيتسع صدره لمداعبة البنين واحتمال ما لا بد أن يحتمل من تربيتهم وضجيج مرحهم ؟ وهل تصبح الحياة عند ذلك إلا عناء وشقاء للمرأة وللرجل كليهما ؟ وهل يصبح الفرد ــ رجلا كان أم امرأة أو طفلا ــ إلا ترسا من تروس آلة صماء فى حياة لا سكن فيها ولا قرار ؟

ويستطيع كل ذى لب وبصيرة أن يدرك آثار الفشل الذى حاق بتجارب المجتمع الأوربى والأمريكى فى هذه الناحية . مع أن هذه الآثار لم تبلغ بعد منتهى مداها ، ولا تزال سائرة بقاياها فى الطريق . فهذا الجيل الغربى من التائهين والضائعين المحطمى الأعصاب المبلبلى الأفكار القلقى النفوس ، وهذه النسبة الآخذة فى الارتفاع ــ حسب إحصاء الغربيين أنفسهم ــ للانحراف والشذوذ بكل ضروبه وألوانه ، هذه الظواهر والآثار كلها هى من آثار التجربة التى خاضها الغرب فى المرأة ؛ لأن هؤلاء جميعا هم أبناء العاملات والموظفات الذين عانوا من إرهاق أمهاتهم وهم فى بطونهن ، ثم تعرضوا لإهمالهن بعد أن وضعنهم . وماذا يبتغى الناس من تجربة فاشلة كهذه ؟ ألا يتدبرون ؟ !

وللمفسدين والمخدوعين ممن يسمون (أنصار المرأة) حجج ومزاعم أكثرها مبنى على المغالطة . وأشهر مغالطاتهم فى ذلك ما يزعمونه من أن عكوف المرأة على منزلها فيه تعطيل لنصف المجتمع . وقولهم هذا مبنى على أن المرأة ليس لها عمل فى المنزل . والواقع أن وظيفتها فى تدبير شئون البيت ورعاية الزوج والولد وقضاء حاجاتهم المتنوعة تستغرق كل وقتها لو أديت على وجهها . بل إن وقتها يضيق بها فى بعض الأحيان . والدليل الذى يخرس كل لسان على صدق ما نقول هو أن العاملات يحتجن دائما إلى توظيف الخدم من النساء والرجال لسد النقص الناشئ عن تخليهن عن وظيفتهن . فأى شىء تكسبه الدولة إذا كانت المرأة تخرج للعمل وتربط مكانها شخصا أو شخصين تعطلهما عن العمل ؟ أين هو المكسب الاقتصادى المزعوم ؟ وهل هذا إلا الخلل عينه ؟ تشتغل المرأة خارج البيت بأعمال الرجال ، ويسقط من حساب الأيدى العاملة رجل أو رجلان يقومان بأعمالها فى المنزل ، ويسقط من حساب الدارسين والمشرعين جيل مضيع لا يقام لضياعه وزن فى ميزان المكسب والخسارة ؟ ! ولو صح أن الاستفادة بنصف المجتمع المعطل هى الدافع الحقيق

إلى توظيف المرأة لوجب أن يستوعب العمل كل المتعطلين من الرجال قبل أن يسمح لامرأة واحدة بتولى عمل من الأعمال العامة .

ومن مغالطاتهم كذلك أنهم يتصيدون الأمثلة لمن نبغن من المسلمات فى بعض فروع العلم أو شاركن فى القتال ليقيموا بين الدليل على مطابقة دعوتهم للشرع ، والواقع أن المرأة حقا غير منكور فى طلب العلم إن كان فيها استعداد له ، ولم ينكر أحد أن هناك بعض الوظائف التى تلائمها كتدريس البنات وتطبيب النساء ، ولم ينكر أحد حق المرأة فى السعى الشريف للرزق ان دعتها إلى ذلك ضرورة ، والإسلام سمح ، قد أباح للضرورة أشياء كثيرة ، حتى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ؛ فرفع الإثم فيها عن المضطر فى أكثر من موضع من القرآن الكريم (البقرة ١٧٣ ، المائدة ٣ ، الأنعام ١٤٥ ، النحل ١١٥) . بل لقد رفع الإثم عمن أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل ١٠٦) . واشتراك المرأة فى القتال هو من باب الاستثناء الذى تدعو إليه الضرورة ، وهو فى حدود الأعمال التى تلائم المرأة كالتمريض خلف صفوف القتال ، ومصدر الخطأ والخلط فى ذلك كله ناشئ عن وضع الاستثناء والشذوذ موضع القاعدة والأصل ، واتخاذ أعمال الأفراد حجة على الشرع نفسه .

ومن مغالطاتهم التى ابتدعها قاسم أمين وتابعه فيها كثير من الناس أنهم يقولون : إن بين النساء نابغات و بينهن عانسات و بينهن من فقدت الزوج والعائل . فلماذا لا يشارك هؤلاء فى الأعمال العامة فى الحياة ؟ وليس كل ما يقولونه إلا أعذارا وحيلا تنتحل لفتح الباب تمهيدا للزحف . إن الذى يسمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحدة فى أول الطريق لا يدرى إلى أين تسوقه قدماه و إلى أين ينتهى به المسير . إن مدمن الخمر قد سمح لنفسه أولا بمجالسة الشاربين ، ثم سمح لنفسه بأن يشاركهم النقل ، ثم تدرج من ذلك إلى مشاركتهم فى قليل من الشراب لا يبلغ به حد الخلط وفقدان الإحساس ، ولم يزل يخطو فى كل مرة خطوة من بعد خطوة حتى أصبح مدمنا ، وكذلك الشأن فى المرأة وفى كل أمر ، ومنح صنف من النساء حق الاشتغال بالأعمال العامة هو الانزلاق فى أول الطريق الذى يجر إلى السماح لسائر النساء بهذا الحق كما أثبتت التجربة . لذلك كان علينا أن نضع للأشياء حدودا لا نسمح لأنفسنا بتخطيها . لأن المسألة فى لبها وفى صميمها هى : ما هى

وظيفة المرأة ؟ ولأن التشريع إنما يوضع دائما للأعم الأغلب ، ثم ينفذ على كل الناس بلا استثناء .

ومن مغالطتهم كذلك أنهم يعتقدون بأن نزول المرأة إلى ميدان الأعمال العامة قد أصبح أمرا واقعا وقاعدة مقررة . وينبغى لهم أن يعرفوا أن الحق واحد لا يتغير . ومهما يتقادم العهد على الباطل فسيظل باطلا . ومهما يجر العمل على غير الحق فسيظل الحق هو هو وإن حاد عنه كل الناس . ثم إنه لا يبقى على توالى الأزمان إلا الحق ، لأن الباطل زهوق لا تدوم له دولة . والحق هو الناموس ، هو قانون الله الذى لا يتبدل ، هو فطرة الله التى فطر عليها الخلق ، هو ما ركبه الله سبحانه فى طبائع الأشياء حين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وناموس الله ثابت لا يتبدل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » . ولكن الذى يحول ويزول هو المعاند لسنة الله وفطرته . والذى يعارض الناموس ويخرج على الفطرة كالوعل الأحمق الذى وصفه الأعشى قديما حين قال :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن الأرض لا تستطيع أن تخرج على ما رسم لها من مدار ، والليل لا يسبق النهار ، وكل كوكب يدور فى فلكه ، وكل كائن يسير فيما رسم له من منهج ومن طريق . والفطرة التى فطر الله عليها كل واحد من خلقه فأعطاه خلقا خاصا وأقامه فيما إراد ، هى جزء من الناموس ، وهى بعض إرادة الله سبحانه . والأمانة التى يحملها كل واحد من خلق الله هى أن يبذل قصارى جهده فى أداء الوظيفة التى أقامه الله فيها . وليس من شيء فى خلق الله إلا هو منقاد لإرادة الله سبحانه وتعالى مسلم لها ، يسبح خالقه بأداء الدور الذى رسم له فى استسلام لإرادته ، تجد ذلك فى النحل وفى النمل وفى الحيوان كله وفى النبات بضروبه والدواب بأنواعها ، وفى الكواكب والأجرام وفى مختلف الظواهر . ولا يشذ عن ذلك إلا الإنسان الذى ميزه الله عن سائر خلقه بالعقل ، فحمل بذلك أمانة لا يحملها أحد من سائر خلقه ، فهو إن استخدم هذا العقل فى طاعة الله بلغ به عمله حدا لا يبلغه شيء من خلق الله ، وإن شرد به عقله فى غير سبيل الله ضل وهوى إلى قرار سحيق . والله سبحانه هو المسئول أن يهدينا إلى أقوم طريق »

الدكتور محمد محمد حسين

التفرقة العنصرية

يقضى على الألفاظ بالاضطهاد والعبودية فتنتزع منها خواصها ومميزاتها كما يقضى على الأفراد والأمم ، فنحن نسمع فى هذه الأيام كلمة (التفرقة العنصرية) يقصد منها اختلاف الألوان من بياض وسواد وحمرة، وما هذه إلا أسماء مخترعة، ومدلولات مختلقة لاتمت إلى المدلولات اللغوية بنسب ولا سبب فيما نعلم فى بعض اللغات . فالعنصر فى حقيقته عند الفلاسفة هو المادة التى تتكون منها جواهر الأشياء، وقد أدرك الأقدمون بعضها ، وما زال العلم يكتشف المجهول من العناصر حتى قاربت اثنين وتسعين عنصرا وآخرها عنصر الراديوم الذى اكتشفته مدام كورى . فهل اختلاف اللون اختلاف فى عنصر وجوهر أم اختلاف فى عرض ولون ؟ وأى منطق نحتكم إليه وأى قانون نستمد منه الحكم وترجع إليه الأمم المغلوبة على أمرها فى فهم مدلول التفرقة العنصرية ؟ فلا قانون يرضى عن هذه التسمية ، ولا عرف يستسيغ هذا الوضع ، اللهم إلا قانون واحد هو قانون الاستعمار والاغتصاب والسلب والنهب ، فهو الذى يحكم بما يشاء ويقضى بما يريد ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، سلطانه نافذ واستبداده قائم ودائم ، فهو الذى يحرم على وزير دولة من الدول الملونة أن يأكل فى مطعم عام فى دولة من الدول البيضاء . فالمستعمرون يعطون للفوارق البسيطة مظهرا عظيما ليرتبوا عليه فوارق كبيرة جدا، ليصلوا عن هذا الطريق إلى حرمان الأفراد والأمم من أهم مميزاتها، حتى يمنعوا الملونين من انتهال مناهل العلم والعرفان ، تكبرا من السادة البيض أن يجلسوا فى معاهد العلم بجوار مسترقيهم من السود . وليت هذا قد حصل فى القرون المظلمة والقرون الوسطى ، كلا بل حصل فى النصف الثانى من القرن العشرين قرن ازدهار الحضارة والرقى ، فسياسة الاستعمار الغاشمة قادرة على أن تجعل اختلاف اللون مانعا من تمتع الإنسان بحريته بل وبانسانيته وكرامته وعزته ، وسياسة الاستعمار الجبارة الطاغية قادرة على قلب الحقائق والمغالطة وتسمية الاسترقاق والاستعباد للأمم والشعوب استصلاحا وتعميرا ورقيا وحضارة ، فهى تمتص دماء الشعوب وتسلب أرزاقها، وتزعم أنها ترفع مستوى معيشتها وتأخذ بيدها إلى طريق التقدم والنهوض ، تحرم عليها التعلم وتدعى أنها تقودها إلى الثقافة والمعرفة، وتجلب لها الأمراض والأوبئة الفتاكة ، وتزعم أنها ترفع مستواها الصحى وتهيء لها وسائل القوة

الجسمانية . فمنطق الاستعمار دائما منطق معكوس يقلب الأوضاع ويغير المعايير والمقاييس ويبدل قيم الأشياء . ولقد قضى لهذا المنطق أن تحكم به أمم متعددة ، وأمم كثيرة وبلاد شاسعة من العالم رزحت تحت نيره أحقابا طويلة ، فلقد كان فيما غبر من الزمان إمبراطورية ألمانيا ، استعمرت تنجانيقا والشمال الشرقي من غينيا الجديدة والجنوب الغربي من إفريقيا ، وكان هناك استعمار بريطاني بسط ذراعيه على المحيط الهندي وعلى كثير من بلاد الشاطئ الإفريقي ، وكان هناك استعمار هولندي جثم على جاوه وسومطرا وجميع أندونسيا ، بل كان يقال : إن أملاك بريطانيا لا تغيب الشمس عنها ، وكان هذا القول يذكر بخطاب أحد أمراء المؤمنين لسحابة رآها في السماء فقال لها : امطري حيث شئت فإن محصول غلاتك سيصل إلينا . ولكن أين ذهب هذا كله ؟ إنه تبدد وتناثر وأصبح هباء ، وصدق الله تعالى إذ يقول : «وتلك الأيام نداولها بين الناس » ويقول عز من قائل: « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير» ولا ينكر أحد أن قولة أمير المؤمنين قولة صدق وعدل لأن بلاده كانت تتمتع بحقوقها كاملة غير منقوصة لا ظلم فيها ولا بغي ولا عدوان ، وقولة بريطانيا قولة بجور وظلم وطغيان لأنها تستعمر البلاد كرها واغتصابا وسلبا وانتهابا ، فشتان ما بين المقالتين .

إن الوعي العالمي ومصارعة الشعوب في سبيل الحصول على حقوقها الطبيعية قد ضيقت الآن على الاستعمار الخانق ، وقصت أجنحة بغيه ، وقوضت أركان جبروته وهدمت دعائمه ، فلا يستطيع بعد الآن أن يعيد سيرته الأولى من طغيان وتجبر وغطرسة مهما اتخذ من وسائل المكر والخداع والمراوغة حتى في أروقة الأمم المتحدة - التي نصبت للمحافظة على حقوق الإنسان - تحاول بعض الدول فيها أن تقف حجر عثرة في طريق دعوة الحق وقولة الصدق .

فها هي مصر ومعها ثمان وخمسون دولة في اللجنة السياسية للأمم المتحدة تتخذ قرارا باستنكار سياسة جنوب إفريقيا في التفرقة العنصرية ، وإهمال تنفيذ القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة ، ورأت فيها تعديل السياسة المجافية للمساواة والحرية وللانسانية فيما يختص بالتفرقة العنصرية ، ولقد كانت المعارضة لهذا القرار من جانب الدول الضليعة في الاستعمار وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا واستراليا وبلجيكا والبرتغال ، وحجة هؤلاء أن مثل هذه

المواضيع لا تبحث فى الهيئات الدولية ، لأنها مسائل داخلية تحلها الدول بنفسها داخليا ولا سلطان عليها لأحد من الخارج ، فهم يريدون أن تقف هيئة الأمم موقف المتفرج على ما يجرى فى بعض الدول من انتهاك حقوق الإنسان التى أسموها الحقوق المقدسة والتى لم يمض على إعلانها غير عشر سنوات فقط ، وقد جاء فى ديباجة إعلانها ما يأتى : « بما أن الاعتراف بكرامة بنى الإنسان المتأصلة ، وبحقوقهم المتكافئة الثابتة هو أساس الحرية والعدالة والسلام فى العالم . وبما أنه قد نجم عن إغفال حقوق الإنسان وازدرائها أعمال وحشية أثارت سخط الضمير الإنسانى ، وأعلن الناس أن أسمى ما تصبو إليه نفوسهم هو إيجاد عالم يتمتعون فيه بحرية القول والعقيدة ، ويتحررون فيه من الخوف والعوز ، وبما أن حماية حقوق الإنسان بحكم القانون أمر ضرورى حتى لا يدفعه يأسه إلى الثورة على الظلم والطغيان ، وبما أن توثيق العلاقات الودية بين الشعوب قد أصبح أمرا بالغ الأهمية وبما أن شعوب الأمم المتحدة قد أكدت من جديد فى ميثاقها إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقيمته وبحقوق الرجال والنساء المتساوية ، واعتزمت العمل على زيادة التقدم الاجتماعى ، ورفع مستوى المعيشة فى ظل حرية شاملة ، وبما أن الدول الأعضاء قد أخذت على نفسها عهدا أن تتكفل بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية احتراما عالميا واقعيا ، وبما أنه من الأمور البالغة الأهمية أن يفهم الناس جميعا هذه الحقوق والحريات كى يتيسر الوفاء بهذا العهد وفاء كاملا ، لذلك تعلن الجمعية العامة هذا الإعلان العالمى بحقوق الإنسان ليكون مثلا أعلى للجميع تسعى شعوب الأرض وأممها نحو بلوغه . وعلى هدى هذا الإعلان وبوحى منه ينبغى لكل فرد ولكل عضو فى المجتمع أن يحصل — بوسائل التربية والتعليم — على زيادة احترام هذه الحقوق والحريات ، وأن يستعين بالتدابير التقدمية — القومية منها والدولية — ليكفل الاعتراف بهذه الحقوق والحريات والمحافظة عليها محافظة فعالة سواء بين شعوب الدول الأعضاء نفسها ، أو بين شعوب البلاد الواقعة تحت حكمها » .

ديباجة مشرقة واضحة تطمئن كل غيور على حقوق الإنسان ، وتدخل الثقة على النفوس المفزعة من طغيان الإنسان على أخيه الإنسان ، وتنزع الوحشية الضارية من نفوس من أحبوا السيطرة والتعالى ، ممن يدينون بالفروق الجنسية والإقليمية ، وتأليه بعض الشعوب لوجودها فى مكان معين على وجه الأرض ، أو مجاورتها لبعض البحار أو الأنهار أو غير ذلك من الاعتبارات الوهمية التى لا قيمة لها فى شرعة العدل والإنصاف .

فإلى متى هذا العدوان الصارخ على بنى البشر ياجمعية الأمم ويا مجلس الأمن، وإلى متى ترزح الإنسانية تحت هذه الأثقال من العذاب والهوان ، وأين توجد الحرية والإخاء والمساواة بلا تفاضل بين أفراد الإنسان وبلا تمييز لأحد على أحد ، اللهم إلا بمقدار ما يقدمه للبشرية من خير وما يسديه إليها من نفع فلا فضل لأحد على أحد بلون أو إقليم أو بجنسية من الجنسيات ... ! وإن من يطالع الثلاثين مادة التى صاغت فيها هيئة الأمم حقوق الإنسان ليعجب من حسن الصياغة وجودة السبك وتمام الاستقصاء لتلك الحقوق. ولكن وياللأسف والحسرة والندامة هو بيان بالمداد وعلى الورق فقط ، فان الواقع فى جميع أنحاء الأرض لا يشهد بوجود أثر لهـذه الحقوق ونحن لا نستطيع أن نذكر انتهاك حقوق الإنسان فى كل ناحية من نواحى الأرض ، بل نكتفى بذكر أمثلة صارخة من العدوان تقوم بها بعض الدول الاستعمارية العريقة فى العدوان وسفك دم الإنسان ، فقد حدث بعد صدور هذا الميثاق أن عرضت اقتراحات على بعض لجان هيئة الأمم تتصل بحقوق الإنسان وتدعيمها وتأكيدها ، فقال مندوب أمريكا : إننا نوقع على مثل هذه المواثيق ولا نلتزم تنفيذها لأن تنفيذها مستحيل علينا فى بعض الظروف والأحوال ! فهل هذه الإجابة تعد إجابة جدية صادقة من شخص يؤمن بحقوق الإنسان ويؤمن بالمساواة والحرية لبنى البشر ؟ وأدهى من ذلك وأمر ما تعامل به سيدة البحار بريطانيا مستعمراتها ، فهى ترفض رفضا باتا مناقشة شئون مستعمراتها فى داخل الأمم المتحدة ، وتعد ما يتصل بتلك المستعمرات من الأمور الداخلية التى يكون محل بحثها من اختصاص الحكومة البريطانية دون غيرها بالرغم من توقيعها على ميثاق حقوق الإنسان ! وإذا طلبت حقوق الإنسان فى الجزائر ومدى احترام فرنسا لدستور حقوق الإنسان ، أجابتك عن ذلك الدماء المسفوكة والأشلاء المبعثرة والطائرات المغيرة والدبابات والمصفحات الطاغية الباغية ، وكل ذلك وأمثاله وأشد منه فظاعة وجرما يحصل على مرأى ومسمع من هيئة الأمم الحارسة لهذا القانون والقائمة على تنفيذه . وفى أمريكا ما يقرب من أربعة آلاف مدرسة لا تزال تصر على التمييز العنصرى بين المتعلمين، وفى مقدمتها ولايات فيرجينيا وجورجيا وفلوريدا وآلاباما ، التى أنبأتنا عنها أخيرا بعض الصحف بأن النيران قد تبودلت بين الملونين والبيض ، وكادت أن تقع حرب بين الفريقين بسبب المغالاة من السادة البيض فيما يطلبون من تكبر واستعلاء على مواطنيهم الملونين ، وتصر هذه الولايات وغيرها من ولايات أمريكا على عزل الأطفال الزنوج وعدم اختلاطهم

بالأطفال البيض . ولو ذهبت تطالع الحال فى جنوب إفريقيا لهالك الأمر واستولى عليك الذعر والهلع حينما ترى الفوارق الشاسعة فى مستوى المعيشة بين أصحاب البلاد وأهلها وبين الدخلاء السادة المستعمرين . فأهل البلاد مسخرون لخدمة الغاصبين لا يتمتع الواحد منهم من العيش إلا بمقدار ما يجعله أهلا لخدمة سيده ، ليحقق الرفاهية ورغد العيش لمولاه . ومن فظائع ما يعامل به أهل جنوب إفريقيا أن المستعمر يخرجهم من البقاع الصالحة الخصبة ويطوح بهم فى الصحارى المجدبة الخاوية ، ليجعل مكانهم الغرباء الذين يجلبهم للمشاركة فى السلب والنهب وأخذ الغنائم . وكيف يسمع الناس بعد صدور حقوق الإنسان فى وثيقة عالمية أن فى كينيا مناطق سكنية للأوربيين لا يدخلها الوطنيون إلا خداما ، ويذكرنا هذا الوضع بما كانت تفعله الإمبراطورية الرومانية القديمة فقد كانت تقسم العالم إلى قسمين : روما نيين لهم كل الحقوق والامتيازات وليس عليهم واجب لأحد ، وبرابرة عليهم جميع الواجبات والالتزامات وليس لهم أى حق يتمتعون به أو يطالبون به ، فعليهم الفلاحة والزراعة والخدمة ليوفروا جميع أنواع المتع والملذات لأسيادهم ، حتى لقد كان الفلاحون يلحقون بالأرض عند بيعها وشرائها لا فرق بينهم وبين السوائم من الأنعام ، فأين كل هذه القوانين وأين مكانها من قانون السماء وتعاليم الشرائع ؟ أين هذا من قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأين هذا من قول خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « ليس لعربى على عجمى ، ولا أبيض على أسود فضل إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب » وقوله : « الناس سواسية كأسنان المشط » فليت حكام الأمم يرجعون إلى صوابهم ويحكمون عقولهم فيما يفصلون فيه من قضايا تتعلق بالشعوب المغلوبة على أمرها فلا يسيمونها سوء العذاب ، ولا يسلبونها حقها الطبيعى الذى تملكه بمقتضى الفطرة . ولقد نادى المنصفون بالتعايش السلمى بين الدول لتقوم كل منها بالواجب نحو غيرها كاملا غير منقوص بلا اشطط ولا وكس ولا تحيف ، ونطالب بحقوقها وافرة دون نقصان ولا زيغ . فهل لبت هذه الدعوة النفوس الشريرة المطبوعة على حب السيطرة والتى استولت عليها شهوات الجاه والنفوذ الاستعمارى ؟

حقا لقد راوغت فى ذلك أكثر دول الاستعمار فى تلبية هذا النداء ، وتلونت تلون الحرباء وكفت حينا من الزمن عن شرورها وآثامها وجرائمها ، ولكن لم يكن هذا الفعل منها إلا تحفزا واستعدادا لشر عظيم وبلاء كبير ، ينزل بالضعفاء فى كثير من بقاع الأرض ،

فتآمر بعض الدول الكبرى على الغدر والخيانة والعدوان كما حدث ذلك أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، وكما هو حاصل الآن من تآمر بعض الدول الكبرى على العدوان بسوريا .
ولقد كان الضمير العالمى ويقظة العالم الحر حاجزا قويا وصدا منيعا من وقوع الكارثة المدمرة للعالم وهى الحرب الثالثة التى لا تبقى ولا تذر لو وقعت ، فهى الفناء بعينه وهى القاقرة التى تقصم ظهر الإنسانية وتوردها موارد الهلكة العامة الشاملة .

فلو أن المبادئ القويمة لاقت ما تستحق من عناية وتحمس لأمنت البشرية عوامل الدمار والهلاك . وإن مما يجدد الأمل ويوجد الطمأنينة لداء العقلاء حينا بعد حين بمبادئ العدل والسلام البشرى ، وأن الحق لابد أن ينتصر والعاقبة للصالحين ما

عبد الله مصطفى المراغى

قواتنا الجوية فى ٢٥ سنة

ولدت القوة الجوية المصرية فى سنة ١٩٣٢ ، وكانت تتألف من ٣ طيارين و ٤٨ جنديا بضباطهم وكل ما تملكه خمس طائرات من طراز هيلاندوموث .

وفى أواخر سنة ١٩٥٢ وكانت ثورتنا فى الشهر السادس من حياتها ذهب صحفى إلى مطار الماظة وطلب من قائد المطار تصوير مجموعة من الطيارين أمام طائراتهم ، فقال له القائد: لا يمكننى أن أجمع لك أكثر من عشرة طيارين وخمس طائرات ماتيور ولايبر .

والآن لمناسبة مرور ٢٥ عاما على القوات الجوية المصرية ذهب الصحفى إلى نفس المطار وطلب من قائد القوات الجوية نفس الطلب ، فقال له : كم تريد ؟ مائة طيار ، مائتى طائرة ميج ؟ إن القاعدة أمامك ، صور كما تشاء ...

توحيد بدء الشهر القمرى الشرعى

فى جميع الحكومات الإسلامية

ورد إلى مشيخة الأزهر من مصلحة المساحة المصرية الرد على مذكرتى الخاصة بامكان هذا التوحيد فلكيا وشرعيا والمنشورة فى جزء ربيع الأول الماضى من مجلة الأزهر ما يأتى:

بالإشارة إلى كتاب سيادتكم المؤرخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٧ بخصوص المذكرة الفلكية المقدمة من الأستاذ محمد أبو العلا البنا « الخاصة باثبات الأهلة بالحساب » نتشرف بالإحاطة بأن الطريقة المتبعة فى حساب أوائل « الشهور العربية » فى النتائج والتقاويم الحكومية هى أن الشهر يبدأ فى الليلة التالية لاجتماع القمر والشمس ، بشرط أن يغرب القمر بعد غروب الشمس « نظرا » لأن رؤية الهلال تتوقف على أمور متغيرة « كمدة مكثه ومقدار نوره وحالة الجو » . . فانه يحدث أحيانا الا تتفق الرؤية والحساب . كما يترتب على حركة القمر حول الأرض الا تتفق أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى لاتساع رقعته . . .

كما أن الاقتراح المقدم من الأستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا لتوحيد أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى ، ولتهيئة الظروف التى تمكن من رؤية الهلال بأن يكون الحساب على أساس شروط معينة لمدة مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه . .

هذا الاقتراح يؤدى إلى أن لا يؤخذ بالرؤية استنادا إلى عدم بلوغ الهلال الشروط التى أوردها سيادته . والسلام عليكم ورحمة الله » ١ هـ

المدير العام

وأقول : إن رأى المساحة فى هـذه الإفادة يتضمن الرد على مشروع « توحيـد بدء الشهر الشرعى بأربع شبه بنيت كلها على أمور بدائية لا تمس ماعلايه المحققون من الفلكيين الشرعيين ومن فقهاء الشريعة الإسلامية من البحث السامى فى هذه المسئلة الشائكة . . .

ومع ذلك فلا بد من تعرضنا لبيان فساد هذه الشبه وكذا بعض تعبيرات جاءت مخالفة فى هذه الإفادة فى تنبيهات ستة :

« التنبيه الأول » فى الرد على وصف المذكرة الفلكية الشرعية المقدمة منى إلى الأزهر بأنها (خاصة باثبات الأهلة بالحساب) . . . أقول : إن هذا الوصف من المساحة تشويه لهذه المذكرة وتحويل لمقصدى منها الذى هو (إمكان توحيـد بدء الشهر القمرى شرعيا وفلكيا) مع أنه لم يرد فيها أصلا ما يدل على أن من رأيى « إثبات الشهر بالحساب كما أنى فى الحقيقة لست مع من يقول بأن الحساب يكون مناطا لاثبات الشهور الهلالية . وأن نص ما قلته فى المذكرة بشأن الحساب الفلكى ما يأتى : . (لا كلام فى أن الشارع إنما أناط إثبات الشهر بأحد أمرين لاثالث لها : (١) رؤية الهلال مساء يوم ٢٩ بالرؤية ، (٢) إكمال الشهر القديم ثلاثين يوما ــ عند عدم الرؤية مساء يوم ٢٩ ــ بالرؤية دون إناطته بالحساب . . . كما أنه لا كلام فى أن الشارع لم يمنع الحساب الفلكى فى ذاته بل حث على تعلمه وقد ثبت بالتجربة نفعه فى تنظيم الرؤية ومساندتها) . . . فهل بعد ذلك يقال إن هذه المذكرة (خاصة باثبات الأهلة بالحساب) . . ؟

الا تدرى المساحة أن معنى كلمة (إثبات الأهلة بالحساب) فى عرف الشرع بجعـل الحساب مناطا لإثبات الشهر بمعنى أن يكون للقاضى الشرعى أن يحكم بثبوت الشهر ويأمر بالصيام أو الإفطار بناء على الحساب دون احتياج إلى ترائى الهلال أو رؤيته ، وهـذا الرأى و إن شذ بالقول به بعض الفقهاء ولكنه رأى موصوف بالضعف والجرأة على النصوص ، ولا زال الدفاع عنه غير مقبول ولا يصح الإفتاء ولا العمل به عنـد المحققين من الفقهاء والنصوص الشرعية فى صفهم . . .

« التنبيه الثـانى » فى فساد جعل بدء الشهر فى الليلة التالية للاجتماع كما تلتزمه المساحة المصريه فى حساب النتيجة الحكومية . . .

إذ أن أصل هـذا الجعل اصطلاح عتيق قبل الإسلام كالاصطلاح الجـدولى ،

والاثنان يجعلان بدء الشهر « الوضع الاجتماعى التقريبي » ، ولذا قد يتقدمان أو يتأخران يوما عن « الاجتماع الحقيق » فضلا عن أنهما قد يقدمان الشهر عن « الوضع الهلالى » يوما فى الأكثر ويومين فى الأقل...

على أن تاريخ الحساب الفلكى يدل على أن بدء الشهر القمرى « بالوضع الاجتماعى » أصله معتقد اليهود من قبل الإسلام ولا زالوا يعملون به إلى الآن فى إثبات أشهرهم الدينية ، وقد نسخه الإسلام بالعدول إلى الوضع الهلالى : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ، « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه »...

« التنبيه الثالث » فى فساد قول المساحة : « فانه يحدث أحيانا ألا تتفق الرؤية والحساب »...

نعم قد لا تتفق الرؤية والحساب . ولكن أى حساب لا يتفق مع الرؤية ...؟ إنما هو الحساب الذى يجعل بدء الشهر الاجتماع الحقيق أو التقريبي . أما الحساب لإمكان الرؤية أو وجوبها طبقا للشروط المنقولة عن السلف من علماء الرصد والهيئة على ضوء الشريعة الإسلامية فتتفق مع الرؤية من غير كلام...

على أن تسمية الشهر المبدوء من الاجتماع « بالشهر العربى » موهمة بأنه « شهر إسلامى يجوز اعتباره فى الأمور الدينية » وكثيرا ما كان سببا فى تخطئة عامة المسلمين بل وقضاتهم وحكوماتهم فى تعيين أوائل صيامهم وفطرهم وأعيادهم ـ بند ٦ من المذكرة ـ .

وقد قلت مرارا : إن استمرار نتيجة الحكومة المصرية فى نشر الشهر المبدوء « بالاجتماع » وتسميتها له « بالشهر العربى » ومقارنته بالشهور الشمسية يوما بيوم ودفاعها عنه بأن رؤية الهلال متغيرة ومضطربة ولا يمكن اتفاقها مع الحساب وإجمال كلمة « الحساب » دون توضيح المراد منها بأنه الحساب للاجتماع دون الرؤية مع تقليد جميع أصحاب التقاويم والنتائج المصرية الأخرى لهذه النتيجة بصفتها الحكومية .

كل ذلك كاد يقضى على هذه الشعيرة الإسلامية الواجبة شرعا ونصا وهى بدء الشهر الدينى « بالوضع الهلالى » دون أى وضع آخر اجتماعى أو استقبالى للشمس والقمر...

« التنبيه الرابع » فى فساد دفاع المساحة عن متابعة حساب الاجتماع فى نتيجة الحكومة وغيرها « بصعوبة حساب الرؤية لتوقفها على أمور كثيرة متغيرة » ...

إن هذا الاعتذار بهذه العبارة مأثور أيضا عن القدماء فى الجاهلية وفى أول الإسلام ممن لا يهمهم أمر الدين الإسلامى ، إلى أن وضع علماء الفلك الشرعى أيام النهضة العلمية الإسلامية « قوانين فلكية حسابية وجبرية مبرهنة من علوم الهندسة وحساب المثلثات المستوية والكروية » لمعرفة أحوال الرؤية الثلاثة وأوقات هذه الأحوال فى جميع الآفاق واستنبطوا لهذه الأحوال بواسطة موالاتهم للرصد فى مراصدهم الخاصة أو العامة (شروطا لكل حالة) دون أن يمنعهم عن ذلك تغير الرؤية مستوعبين بهذه القوانين المبرهنة جميع أسباب التغير حتى صار الحساب للرؤية أضبط من الحساب للاجتماع ، ويشهد بذلك جميع كتب الحساب الفلكى التى بأيدينا ...

ولما حقق هؤلاء العلماء من فلكيى الإسلام بالرصد والحساب الفلكى على ضوء الشريعة الإسلامية الحالات الثلاث وشروطها لحدود الرؤية بحيث لا تتعداها كما قدمنا (استحالة الرؤية وجوازها ووجوبها) استنبط محققو الفقهاء فى ذلك العهد أيضا لكل حالة حكما شرعيا مناسبا ، وقد نشرنا ذلك تفصيلا فى مجلة الأزهر جزء رمضان سنة ١٣٧٦ .

« التنبيه الخامس » فى الرد على قول المساحة (إذ يترتب على حركة القمر حول الأرض ألا تتفق أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى لاتساع رقعته) . . .

وبيان هذا الرد من وجوه . « أولا » أن الشريعة الإسلامية لا تعترف بهذه الشهور المسماة « بالشهور العربية » وقد نبذ الإسلام من أول عهده بدء الشهور القمرية « بالاجتماع » سواء كان حقيقيا أو تقريبيا ولم يعتمد غير بدئها « بالهلال » ورؤيته .

ورأيى أن الرجوع إلى بدئها « بالاجتماع » وتسميتها « بالشهور العربية » دس على الدين الإسلامى وإعادة للمسلمين إلى العمل بأعمال الجاهلية بصفة أنها عربية .

« ثانيا » أن علماء الفقه الإسلامى لم يغب عنهم أن يتكلموا فى هذه المسئلة فنيا بأعمق ما يكون فى علم الفلك فاننا نجد فى كتب الفقه الإسلامى أبحاثا (لاختلاف مطالع القمر) بأوسع ما يكون منها فى كتب الفلك حتى لا تمس الفقهاء أو علماء الأزهر حاجة إلى

التنبيه إليها بمثل هذه العبارة البدائية (يترتب على حركة القمر حول الأرض ألا تتفق أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى لاتساع رقعته) .

وإنما كلام فقهاء الإسلام فى « اختلاف مطالع القمر » يعلو موقف المساحة البدائى هذا إلى بحث آخر هو : هل اختلاف مطالع القمر معتبر عند الشارع كاعتبار مطالع الشمس بحيث تترتب عليه أحكام شرعية كما ترتبت على اختلاف مطالع الشمس أو ليس بمعتبر . ؟

هذا محل الكلام وليس لرجال مصلحة المساحة مجال الكلام فى هذا المقام لتغايره جدا عن معلومات قسم المثلثات بالمساحـــة ولم يكن مقصد الأزهر أن يسأل عنه من مصلحة المساحة . . .

كما لا ينبغى لنا أن ندخل فى مناقشات معا لأن محل النقاش فى هذا الموضوع يتعلق بعلمى (الفقه وأصوله) وليس من اختصاص رجال المساحة .

« ثالثا » أن المراد من قولنا (توحيد بدء الشهر الشرعى) توحيد اليوم الأول من الشهر فى جميع الحكومات الإسلامية لا توحيد الجزء الأول من اليوم الأول من الشهر لأن الأحكام الشرعية المتعلقة بإثبات الشهور القمرية لم تتعلق بأجزاء الأيام الأسبوعية كتعلق وجوب الصلوات الخمس بأجزاء اليوم وهى حصصه الخمس ، وإنما تتعلق « باليوم الكامل » إذ يقال صام يوما أو يومين ، وأفطر يوما أو يومين ، ويوم عيد الفطر ، وأيام عيد النحر ، وأيام التشريق ، وأيام التلبية والتكبير والتهليل ، والحج يوم عرفة ، ولا يقال صام نهار اليوم أو عيد ليلة اليوم أو الحج نهار عرفة إلى غير ذلك .

« رابعا » أن من عنده أدنى دراية من علم الفلك أو الجغرافيا الفلكية لا يخفى عليه مشاركة جميع العالم فضلا عن العالم الإسلامى فى كل يوم أسبوعى كيوم السبت مثلا الذى هو مقدار دورة فلكية يومية (٢٤ ساعة) ومساكن العالم كله لا يفوتها أن تشارك فى هذه الدورة الفلكية، حتى أن البلاد القطبية لا يفوتها أن تشارك سائر بلاد العالم فى يوم السبت هذا لوجود هـذه الدورة الفلكية عندهم أيضا وإن تغيرت عندهم علامات الليل والنهار أو عدمت .

وبيان هذا الكلام يتجلى عند ما نتصور أنه إذا دخل مغرب يوم السبت هذا فى شرق آسيا مثلا أعنى فى أندونسيا والفلبين كانتا فى اللحظة الأولى من يوم السبت شرعا

بينما جميع العالم لازال فى يوم الجمعة ، فاذا زحف هذا المغرب إلى بلاد الهند كانت هى الأخرى فى اللحظة الأولى أو الساعة الأولى من يوم السبت بينما تصير أندونسيا والفلبيين فى الثالثة منه .

فاذا زحف هذا المغرب إلى مصر ابتدأت فى الساعة الأولى من السبت بينما صارت أندونسيا فى الساعة السادسة ، والهند فى الرابعة والباكستان فى الثالثة ، وإذا وصل هذا المغرب إلى مراكش كانت فى الساعة الأولى من السبت وصارت أندونسيا والفلبين فى الساعة التاسعة منه والهند فى السابعة ومصر فى أول الثالثة ، فاذا زحف إلى أمريكا صارت فى السبت هى الأخرى ومتى وصل إلى أندونسيا بالثانى ابتدأ بها يوم الأحد بينما سائر كل العالم لم ينته حينئذ من السبت ، وهكذا نجد مشاركة العالم كله فى كل يوم من أيام الأسبوع وفى كل دورة يومية فلكية لليوم الواحد . . .

وإلى هنا قد علم كيف تتفق أوائل الشهور القمرية الهلالية دون أى اختلاف فى الأيام الأسبوعية ، وأنه ليس للمسلمين اى حاجة إلى أعمال الجاهلية ببدء شهورهم بالاجتماع كما تفعله المساحة فى النتيجة الحكومية . . .

«التنبيه السادس» فى الرد على ما بقى من إفادة المساحة . وهو قولها : (كما أن الاقتراح المقدم من الأستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا لتوحيد أوائل الشهور العربية فى العالم الإسلامى ولتهيئة الظروف التى تمكن من رؤية الهلال بأن يكون الحساب على أساس شروط معينة لمدة مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه . هذا الاقتراح يؤدى إلى أن لا يؤخذ بالرؤية استنادا إلى عدم بلوغ الهلال الشروط التى أوردها سيادته) . . .

وأقول : إن هذه العبارة الطويلة تتلخص فى الجملة الآتية « إن مراعاة هذه الشروط فى نتيجة الحكومة تمنع من الأخذ بالرؤية » . . .

ومعناها أنه : « قد توجد رؤية الهلال قبل تحقق شروط الإمكان هذه فلا يؤخذ بها لعدم تحقق هذه الشروط » وتوضيحه : « أن الناس قد يرون الهلال ويتقدمون إلى القاضى للشهادة فيرفضها القاضى بحجة عدم تحقق شروط إمكان الرؤية » . . .

وأقول : من أين علمت المساحة أنه « قد يرى الهلال عند عدم تحقق هذه الشروط » مع أن القائل لها فلكيون شرعيون ثقات فى الحساب والرصد والهيئة . وهل يجوز لرجال

المساحة أن يفرضوا هذه المخالفة دون أن يكلفوا أنفسهم تجربة رصد الهلال للتحقق من حساب نتيجتهم وموافقته للرؤية ولو مرة واحدة ...

غالب ظنى أن منشأ هذا الاعتقاد لرجال المساحة ما كان يقع فى بعض السنين الماضية من الشهادة بالرؤية ، وإثبات الشهر بناء عليها حالة أن حساب النتيجة لم يصل إلى ماذكره المتقدمون الأولون بل كانت توجد شهادة فى بعض الأحيان والمكث فى الحساب لايصل خمس دقائق ...

ولا أنكر أنى كنت كذلك لا أعترض إلا على شهادة الشهود عندما يبين الحساب أن المكث أقل من (١٧ دقيقة) فى القاهرة استنادا على ما كنت أنقله عن الشيخ الزرقاوى وصاحبى كتاب الهداية العباسية وغيرهم من فلكى قرننا هذا ...

ولكنى لما اكتشفت وتحققت أن هؤلاء الشهود قد يشهدون متجوزين فى شهادتهم لا بناء على رؤيتهم الهلال حقيقة ، بل بناء على حساب نتيجة الحكومة وموافقة جميع النتائج المصرية لها وإجماعهم على أن أول الشهر غدا . . .

لذلك قمت بجملة رحلات مع طلبة تخصص القضاء الشرعى وبعض العلماء الثقات إلى مرصد حلوان فى ليالى الثلاثين من الشهر ، لنحضر عملية التماس الهلال وتتراءى مع المترائين المندوبين من المحكمة العليا أو دار الإفتاء ، وقد كان ولم نر الهلال عند عدم الشروط المأثورة عن المتقدمين ، بل وقد تنبه القضاة من حينها لهؤلاء الشهود الزور فلم يحصل بعد ذلك أن شهدت شهود حين انعدام هذه الشروط ...

وإذا أخطأ رجال المساحة فى اعتقاد أن الرؤية قد تحصل قبل تحقق هذه الشروط سببه إثبات القاضى للشهر بناء على الشهادة الخطأ ، وسبب خطأ الشهود فى شهادتهم قول رجال المساحة فى نتيجة الحكومة : إن أول الشهر غدا مثلا بناء على حسابهم الخطأ ، فسبب خطأ المساحة فى هذا الاعتقاد خطؤهم فى الحساب وعدم مراعاتهم الشروط المأثورة عن ثقات الفلكيين ، وكان خطؤهم المزدوج سببا فى خطأ الشهود والقضاة وعامة المسلمين .

ولجميع ما تقدم أقترح ما يأتى :

« أولا » إنشاء جهاز حسابى فلكى يعمل على ضوء الشريعة الإسلاميه ، أعنى إيجاد جماعة من الموظفين فى الدولة لحسابات الفلكية بحيث يؤمن تواطؤهم على الخطأ كشرط

محقق الفقهاء للوثوق بالحساب الفلكى ، وأن يعملوا تحت رعاية « هيئة شرعية » كادارة الأزهر أو إدارة المؤتمر الإسلامى ليكون عملهم دائما فى هذه الحسابات الشرعية مطابقا للقواعد الشرعية ...

بحيث تكون مهمة هذه الجماعة « حساب جداول عامة لجميع المسلمين فى بقاع الأرض لأوقات الصلوات الخمس وضبط أحوال رؤية الهلال فى جميع عواصم الدولة الإسلامية وكذا البلاد المهمة التى يمكن فيها رؤيته لمساعدة المواصم وعمل جداول أيضا لتعيين القبلة » .

« ثانيا » حظر نشر النتائج التى لم يؤخذ حسابها من هذه الجداول العامة والتى تجعل أول الشهر القمرى « الليلة التالية للاجتماع » دون تحرى الوضع الهلالى كما سنبينه ...

« ثالثا » أن يراعى فى حساب الجداول العامة لأحوال رؤية الهلال الشروط الواردة عند الفلكيين الشرعيين محقق الرصد والحساب والهيئة ، واجتناب ماورد عن الفلكيين المحدثين علماء الحساب الفلكى فقط دون أن يتثبتوا فيما يبدونه من الرأى فى هذه المسألة الشائكة بواسطة تكرار الرصد بأنفسهم . وخلاصة شروط المتقدمين كما يأتى :

(١) شروط إمكان الرؤية بمعنى جواز وقوعها وعدم وقوعها ـ أن يبلغ كل من أقواس (مكث الهلال ومقدار نوره وارتفاعه سبع درج) أو أن يبلغ المتوسط الحسابى لهذه الأقواس (٨ درج) بشرط ألا يقل الارتفاع عن (٦ درج) فاذا نقص أحد هذه الأقواس ولو درجة واحدة تكون الحالة حينئذ حالة استحالة الرؤية .

(٢) شروط وجوب الرؤية بمعنى أن يكون الهلال واضحا وضاء فيرى ولا بد أن يبلغ المكث (١٢ درج) والنور (١٠ درج) والارتفاع (٨ درج) وإذا نقص أحدها عن عدده المعين ولو درجة واحدة كانت حالة إمكان .

هذا ولما كانت الحكومات الإسلامية كلها واقعة فى قارتى آسيا وإفريقيا بحيث يمر عليها مبدأ اليوم الشرعى فى نحو تسع ساعات وهو مقدار لا يؤثر فى توحيد الصيام والفطر والأعياد وسائر المواسم الدينية كما تقدم .

لذلك أقترح أيضا أن تراعى هذه الشروط فى أبعد حكومة إسلامية نحو الغرب وهى مراكش فى النتائج التى تنشر لتكون هلالية عالمية هادية للمسلمين لا مضللة لهم .

بحيث إذا بين الحساب حالة وجوب الرؤية فى مراكش ليلة الاثنين مثلا يوضع فى النتيجة أن أول الشهر يوم الاثنين وإذا بين الحساب استحالة الرؤية فى مراكش ليلة الاثنين يجعل يوم الاثنين من الشهر القديم ويوضع أن يوم الثلاثاء هو أول الشهر الجديد ، وإذا بين الحساب حالة إمكان الرؤية بمعنى جواز وقوع الرؤية وعدم وقوعها يرجأ تعيين أول الشهر بيوم الاثنين أو الثلاثاء وترك الأمر لنفس الرؤية الفعلية وينبه على ذلك فى أول الصفحة الموافقة لأول الشهر من النتيجة .

وبذلك تكون النتيجة هادية إلى تحرى وقت التماس رؤية الهلال ومنظمة لها لأنه فى حالة تبين الوجوب فى مراكش تكون الرؤية فى غير مراكش من بلاد الحكومات الأخرى ممكنة ، بمعنى الجواز وقريبة من الوجوب فى هذه الليلة وصح للكل أن يلتمسوها فى بلادهم قبل وصول المغرب إلى مراكش ، ومن رأى من هذه البلاد وحكم قاضيها ـ أبرقت الحكومة إلى الجميع بحكم القضاء ...

وأما فى حالة مبدأ إمكان الرؤية فى مراكش فبالطبع تكون مستحيلة فى غيرها مما تختلف مطالعه عنها ويلحق بهذه الحالة ما يكون فى مراكش قريبا من الوجوب إذ فى هذه الحالة تتسع رقعة الإمكان وربما عمت جميع الحكومات فى بعض الأحيان وهذا كله سيبينه الحساب .

« الأمر الثالث مما أقترحه » .

أن يسمح لجماعة من هواة علم الفلك من خريجى الأزهر أن يتخصصوا فى مادتى الهيئة والميقات ضمن أقسام تخصص المادة فى الأزهر لينالوا شهادة فى هذه المادة ويكونوا بعد التخرج مرجع الفتوى فى الأمور الشرعية الفلكية وأساتذة التدريس فيها وليسدوا حاجة الدول الإسلامية فى الوظائف المناسبة لعلم الفلك ويا لها من حاجة فى هذا العهد . نسأل الله التوفيق لجميع المسلمين »

محمد أبو العلا البنا
أستاذ الفلك فى تخصص القضاء
بكلية الشريعة

(المجلة) جاءتنا هذه المقالة فى الشهر الماضى ، ولطولها وكثرة المواد المعدة للنشر فى الجزء الماضى اضطررنا إلى تأخيرها لهذا الشهر ، فنرجو المعذرة .

مصادر الشريعة الاسلامية

الاستصحاب

تعريفه : الاستصحاب فى اللغة استفعال من المصاحبة وهى الملازمة وعدم المفارقة، يقول صاحب المصباح ، وكل شيء لازم شيئا فقد استصحبه . قال ابن فارس وغيره ، واستصحبت الكتاب وغيره جعلته صحبتى ، ومن هنا قيل : استصحبت الحال إذا تمسكت بما كان ثابتا كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة ، وعند أهل الاصطلاح من الأصوليين : الحكم ببقاء أمر فى الزمن الحاضر بناء على ثبوته فى الزمن الماضى حتى يقوم الدليل على تغييره .

فكل أمر علم وجوده ، ثم حصل الشك فى عدمه فانه يحكم ببقائه بطريق الاستصحاب لذلك الوجود .

وكل أمر علم عدمه ، ثم حصل الشك فى وجوده فانه يحكم باستمرار عدمه بطريق الاستصحاب لذلك العدم .

فاذا تزوج شخص فتاة على أنها بكر ، ثم ادعى بعد الدخول بها أنه وجدها ثيبا لم تقبل دعواه إلا ببينة . لأن حال البكارة ثابت من حين نشأتها فيستصحب إلى حين الدخول حتى تقوم البينة على عدمه .

وإذا اشترى إنسان طائرا على أنه يحسن الصيادة ، ثم ادعى أنه وجده غير متعلم لها قبلت دعواه هذه إلا إذا قامت البينة على خلافها ، لأن الأصل فى الحيوان عدم معرفة الصيادة حتى يدرب عليها . فاذا حصل النزاع فيها استصحب الأصل حتى يقوم الدليل على ثبوتها .

جاء فى شرح مجلة الأحكام الشرعية لمحمد خالد الأتاسى ما يأتى : لو اشترى شيئا بشرط وصف مرغوب فيه ، فاختلفا فى وجود الوصف وعدمه فعلى التفصيل : إن كان

من الصفات العارضة كالخبز والكتابة . فقال المشترى ـ ليرده ـ ليس كاتبا، وقال البائع كاتب . فالقول قول المشترى بيمينه تمسكا بالأصل ، وعلى البائع الإثبات ، ولو اشتراه بشرط أنه سليم من العيب فجاء ليرده واختلفا فى وجود العيب وعدمه فالقول قول البائع تمسكا بالصفة الأصلية ، وهى السلامة ، وعلى المشترى الإثبات » [١] .

حجية الاستصحاب :

من يقرأ كتب الأصول المختلفة فى هذا الموضع يجد أكثر المؤلفين يحكى أقوالا كثيرة للعلماء فى حجية الاستصحاب بدون تفرقة بين نوع ونوع ، وأهمها ثلاثة أقوال وهى :

القول الأول : أن الاستصحاب حجة فى الدفع والإثبات ، وهو مذهب الحنابلة والمالكية وأكثر الشافعية وطائفة من الحنفية منهم الإمام أبو منصور الماتريدى .

القول الثانى : أنه ليس حجة فى الدفع والإثبات . وهو مذهب المتكلمين وكثير من الحنفية وبعض الشافعية . واختاره الكمال بن الهمام فى تحريره .

القول الثالث : أنه حجة فى الدفع وليس حجة فى الإثبات والاحتجاج به على الغير . وهو مذهب أبى زيد الدبوسى وشمس الأئمة السرخسى وفخر الإسلام من الحنفية .

ويذكرون الأدلة لهذه الأقوال ومناقشات المخالفين لها . وبعض الفروع الفقهية التى اختلف الفقهاء بناء على اختلافهم فى حجية الاستصحاب كمسألة المفقود التى سيأتى الكلام عليها [٢] .

ونجد القليل منهم يورد أولا ضروب الاستصحاب وأنواعه . ويحكى اتفاق العلماء على حجية بعضها واختلافهم فى حجية بعضها . [٣] وهذا المسلك فى نظرنا هو الصحيح

---

[١] شرح المجلة للأتاسى ج ١ ص ٣٨ . وانظر أيضا فتح القدير ج ٥ ص ١٣٦ . والبحر الرائق ج ٦ ص ٣٦ . والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٢٥ .

[٢] راجع أصول السرخسى ج ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٦ . والأحكام للآمدى ج ٣ ص ١٢٣ . ونهاية السول مع سلم الوصول ج ٤ ص ٣٥٨ وما بعدها وإرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٠٨ .

[٣] انظر المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٢١٧ ـ ٢٢٢ . وجمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية العطار وتقرير العلامة الشربينى ج ٢ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٧ . وإرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٠٩ . وأعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ ص ٢٧ ـ ٣٤ .

فى هذا الموضوع . لأن الاستصحاب من الأصول المتفق على حجيته والعمل به فى الجملة . والخلاف الحاصل بين العلماء فى ذلك إنما هو اختلاف فى بعض أنواعه . أو فى تسمية بعضها استصحابا وعدم تسميته . كما تدل على ذلك المبادئ الفقهية التى بناها الفقهاء فى المذاهب المختلفة على هذا الأصل والفروع الفقهية المأخوذة منها . والتى سيأتى الكلام على بعضها .

وسنسير هنا على طريقة هؤلاء العلماء فنورد أهم أنواع الاستصحاب . ونبين ما اتفق العلماء على العمل به منها . وما اختلفوا فيه فيما يأتى :

أنواع الاستصحاب :

الاستصحاب - كما يؤخذ من تعريفه - لا يكون إلا فى حكم قد دل على ثبوته فى الزمن الماضى دليل من الأدلة المعتبرة . ولم يوجد بعد البحث والاجتهاد ما يدل على تغييره عما كان ، وباعتبار هذا الحكم ودليله الذى دل على ثبوته يتنوع الاستصحاب إلى الأنواع الآتية :

النوع الأول : استصحاب الحكم الأصلى للأشياء . وهو الإباحة . عند عدم الدليل على خلافه .

وذلك لأن المقرر عند جمهور العلماء . أن الحكم الثابت للأشياء النافعة للإنسان التى لم يرد عن الشارع فيها حكم معين هو الإباحة والإذن . لقيام الأدلة العديدة على ذلك منها قوله تعالى: « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا [١] » وقوله جل شأنه « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه [٢] » فإن خلق ما فى الأرض وتسخير ما يوجد فيها وما يوجد فى السموات للناس لا يكون إلا إذا كان مباحا لهم . إذ لو كان محظورا عليهم لم يكن مخلوقا ولا مسخرا لهم . وقوله سبحانه : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق [٣] » فإنه سبحانه أنكر على من حرم ومنع زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به التى خلقها لمنفعة عباده ، من النبات : كالقطن والكتان ومن الحيوان : كالحرير والصوف والأوبار . ومن المعادن : كالخواتم والدروع . والطيبات من الرزق أى المستلذات من المآكل

---

[١] آية : ٢٩ من سورة البقرة .

[٢] آية : ١٣ من سوة الجاثية .

[٣] آية : ٣٢ من سورة الأعراف .

والمشارب ومن لحوم الحيوانات وشحومها وألبانها : وهو يدل دلالة واضحة على أن الأصل فى المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة والإذن [١] .

فاذا عرض أمر بحث المجتهد فى تصرف حكمه من الأدلة السمعية أو القياس أو المصلحة فان لم يظفر به هنالك حكم عليه بالحكم الأصلى الثابت للأشياء ، وهو الإباحة .

ومقتضى هذا الأصل أن كل ما يوجد فى الكون من حيوان أو جماد أو نبات ولم يرد فى الشرع ما يدل على المنع من تناوله واستعماله فانه يكون مأذونا فيه . فاذا سئل الفقيه عن حكم حيوان أو جماد أو نبات أو أى عمل من الأعمال ولم يجد دليلا شرعيا يدل على حكمه حكم باباحته . بناء على أن الأصل فى الأشياء الإباحة ، ولم يقم الدليل على خلافه .

وهذا النوع من الاستصحاب لم يخالف أحد من العلماء فى العمل به ، وإن خالف بعضهم فى تسميته استصحابا .

النوع الثانى : استصحاب العدم الأصلى أو البراءة الأصلية كالحكم ببراءة الذمة من التكاليف الشرعية ، والحقوق حتى يوجد الدليل على شغلها ، كإتلاف مال ، أو التزام . فاذا ادعى شخص دينا له على آخر ، ولم يقم دليلا على إثباته اعتبرت ذمة المدعى عليه بريئة من ذلك الدين ، لأن الأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك [٢] وإذا أتلف رجل مالا لغيره واختلفا فى مقداره أو قيمته كان المعتبر فى ذلك هو قول المتلف إلا إذا أقام صاحب المال البينة على ما يدعيه ، لأن الأصل هو البراءة عن الزيادة فيتوقف ثبوتها على قيام الدليل [٣] .

وإذا اختلف الشريك مع شريكه فى حصول الربح وعدمه . فادعى صاحب المال حصول الربح وأنكر الآخر حصول الربح كان القول له استصحابا للأصل الذى هو عدم الربح إلا أن يثبت الربح بالبينة (٤) .

---

[١] راجع هذا الموضوع فى نهاية السول مع سلم الوصول جـ ٤ ص ٣٥٢ – ٣٥٨ .

[٢] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٥٣ والمحاضرات الشرعية للشيخ يوسف راجى ص ٦٤ .

[٣] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٢٣ . ومجلة الأحكام بشرح محمد خالد الأتاسى جـ١ص٢٥و٢٦ .

[٤] المرجعين السابقين ص ٢٥ ، ٢٧ و ٢٨ والمحاضرات الشرعية ص ٦٨ .

وإذا اشترى العامل صنفا من البضائع فادعى صاحب المال أنه نهاه عن شراء هــذا الصنف والتجارة فيه . وأنكر العامل ذلك كان قوله هو المعتبر فى ذلك استصحابا للأصل الذى هو عدم النهى [١] .

وهذ النوع أيضا لم يخالف أحد من أهل العلم فى العمل به .

النوع الثالث : استصحاب مادل الشرع على ثبوته ودوامه . كثبوت الملك عند حصول السبب الذى يفيده ، وثبوت الحل بين الزوجين عند جريان العقد الذى يفيده ، وشغل الذمة عند حصول الإتلاف أو الالتزام [٢] .

فاذا ثبت الملك لشخص بسبب من أسباب الملك كالبيع أو الإرث اعتبر الملك قائما ــ مهما طال الزمن ــ حتى يقوم الدليل على زواله بسبب طارئ .

وإذا تزوج شخص حكمنا ببقاء الزوجية إلى أن يقوم الدليل على حصول الفرقة .

وإذا استدان شخص مالا حكمنا بشغل ذمته . واعتبرنا هذا الشغل ثابتا حتى يقـوم الدليل على براءتها .

وإذا توضأ شخص اعتبر وضوءه باقيا استصحابا للحكم الشرعى وهو الطهارة الثابتـة بفعل الوضوء بيقين . ويبقى هذا الحكم ثابتا حتى يوجد ما يدل على زواله بيقين .

وهكذا كل حكم دل الشرع على ثبوته عند وجود سببه الذى يترتب عليه فانه يعتبر باقيا حتى يقوم الدليل على زواله .

وهذا النوع أيضا لاخلاف بين العلماء فى العمل به . وعليه بنيت المادة (١٨٠) من من لائحة ترتيب المحاكم الشرعيـة السابقة ونصها « تكفى الشهادة بالدين ، وإن لم يصرح ببقائه فى ذمة المدين ، وكذا الشهادة بالعين » والمادة (١٨١) ونصها « تكفى الشهادة بالوصية أو الإيصاء ، وإن لم يصرح باصرار الموصى إلى وقت الوفاة » .

زكى الدين شعبان

الأستاذ المساعد بحقوق عين شمس

[١] الأشباه والنظائر ص ٢٥ .

[٢] شرح المجلة لمحمد خالد حـ ١ ص ٣١ .

عيد العلم

النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتعلم اللغة الاجنبية

استنت وزارة التربية والتعليم سنة حميدة باحتفائها بالعلم ، وإشادتها به ، وتقديرها له ، وتحديدها يوما جعلته له عيدا ، وهي بهذا تربط حاضرها المزهر بماضى الإسلام المجيد ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخير كله لأمته ، ويوجهها إلى ما ينفعها فى حاضرها ومستقبلها ، ويفيدها فى كل مناحى الحياة حتى تكون « خير أمة أخرجت للناس » .

كان من أهم الأمور التى رآها النبي صلى الله عليه وسلم محققة لغرضه ودعوته ، العلم والمعرفة ، فالعلم أثره الذى لا يجحد فى تهذيب النفوس ، وتثقيف العقول ؛ فلم يدخر وسعا فى أن تكون أمته أمة متعلمة مثقفة ، وأن تمسك بيدها مشعل النور والعرفان ليهتدى العالم بهديها ولتضىء له سبل الحياة المختلفة .

فلما كانت موقعة بدر ووقع كثير من الأسرى فى أيدى المسلمين ، سعى من كان منهم ذا مال أو كان أهله ذوى يسار إلى فك إساره بالمال والفداء ، ولكن كان هناك شىء لا يقل أهمية عند النبي صلى الله عليه وسلم عن المال على الرغم من حاجته الشديدة إليه ، كان هناك العلم ، كان هناك العرفان الذى يريده محمد صلوات الله عليه لأمته ، ويريده للناس أجمعين ، لما له من خير للبشرية كافة ، وفائدة للانسانية عامة ، فأعلن أن من يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة فك إساره وأصبح حرا طليقا ، فكان ذلك العمل الجليل والصنيع الفذ العظيم من محمد عليه الصلاة والسلام مبدأ لنشر التعليم فى أمته وأساسا لمحو الأمية فى جماعته .

وكان من بين أولئك الذين تعلموا القراءة والكتابة على يد أسرى بدر فتى ألمعى من أهل المدينة هو زيد بن ثابت الذى صار له فيما بعد شأن من الشأن [١] .

---

[١] صار كاتب الوحى للنبي صلى الله عليه وسلم ومن أفقه الصحابة وأعلمهم بعلم الفرائض ، وهو الذى تولى كتابة المصحف فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه ، ونرجو أن نوفق فى نشر مؤلفنا فى تاريخه .

حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على طلب العلم ، وحببه إليهم بما كان يتلوه عليهم من آي الذكر الحكيم التي كانت تحث على العلم وتظهر أثره ومنزلته من مثل قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقوله سبحانه : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب » . وقوله عز من قائل : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وقوله جل شأنه : « وقل رب زدنى علما » . وقوله جلت حكمته : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

كان يقول لهم : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (متفق عليه) . ويقول : ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . رواه مسلم .

رغبهم فى العلم وفى تحمل المشاق والمتاعب فى سبيله وفى سبيل الاستزادة منه بمثل قوله : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

أراد النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن تكون على بينة من معارف الحياة الدنيا ، وعلى علم من علوم الأمم الأخرى ، لما لذلك من أثر فى نشر دعوته وفى الدفاع عنها وإحباط ما يدبر لها من مكايد ومؤامرات وما إلى ذلك مما يفيده فى دعوته .

وكانت هجرته إلى المدينة داعية لاتصاله باليهود واختلاط أصحابه بهم ، وكانت علاقتهم به على غير ما كان ينتظر من أهل الديانات السماوية ، ومن قوم بينه وبينهم ميثاق وعهد بحسن الجوار ، فقد ساءهم أن يروا الإسلام ينتشر ويسمو وتعلو رايته ويدخل فيه الناس أفواجا ، فعملوا على الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم بالمكر والخديعة تارة وبالحرب ومناصرة خصومه أخرى .

وما وافت السنة الرابعة من الهجرة حتى ظهرت الحاجة واضحة لتعلم لغة اليهود حتى يأمن شرهم ويعرف كيدهم ، ولا يمكن أن يتم له ذلك إلا إذا كان من بين يديه ومن أصحابه من يجيد لغة الغير ويحسنها ، فندب لذلك رجلا من أصحابه عرف بالذكاء النادر وقوة الحافظة والذاكرة ، وهو إلى جانب ذلك شاب عرف عنه الجلد والرغبة الملحة فى طلب العلم وهو زيد بن ثابت الذى اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم كاتم السر وكاتب الوحى .

ندب النبي صلى الله عليه وسلم زيدا لتعلم اللغة العبرية ليسد حاجة الدولة الإسلامية

الناشئة ، ويكفى النبي مغبة الاعتماد على غير ثقة فى اتصالاته مع هؤلاء الذين صار لهم مخالطا ، وبينه وبينهم عهود ومواثيق ، وهم كما قلنا أهل كتاب سماوى وعلى أثارة من علم بديانات الأنبياء السابقين وشرائعهم ؛ فهم لذلك لهم شأن وخطر عظيمان بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوته .

بين النبي عليه السلام بعض جوانب المصلحة التى تعود عليه وعلى أمته من تعلم لغة الغير بقوله لزيد : « إنه يأتيني كتب من ناس لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ؟ فقلت نعم . فتعلمتها » .

وفى رواية ثانية لابن سعد فى طبقاته عن زيد بن ثابت قال : « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لى : تعلم كتاب اليهود فانى والله ما آمن اليهود على كتابى »[1] .

وهكذا أوضح لنا النبي صلى عليه وسلم أن من تعلم لغة قوم أمن من شرهم .

وقد روى هذه الحادثة كثير من المحدثين والمؤرخين بطرق كثيرة مما لا يدع مجالا للشك فيها ، وممن رواها البخارى فى الأحكام وأبو داود فى العلم والترمذى فى الاستئذان وابن عساكر وابن الأثير وابن عبد البر فى ترجمة زيد بن ثابت .

إن ندب زيد ليتعلم العبرية حادث قد يقرؤه بعض الناس فيمر عليه مر الكرام على اللغو ، ولا يعيره التفاتا ولكن الواقع أن له آثارا بعيدة المدى لا يكنه كنهها ولا يكشف سرها إلا بالتأمل والتدبر .

وقد كشف لنا الرسول صلوات الله عليه وهو صاحب دين ومؤسس دولة عن بعض السر فى ذلك وبين أنه لابد أن يكون من بين أصحابه من يعتمد عليه فى قراءة الكتب التى ترد عليه والتى لا يجوز أن يقرأها كل أحد .

وفى قراءة لغة الديانة السابقة وأخذها من مصادرها ، قطع السبل على أرباب هذه الديانات إن أرادوا تحريفا أو تغييرا فى ذلك الدين السماوى .

إذن فتعلم لغة أجنبية من الدين وللدين .

هذا بالنسبة لجانب الدين ، أما بالنسبة لجانب الدنيا فيكفى أن نذكر أن من تعلم لغة

---

[1] الطبقات ج ٢ ص ١١٥ ط ليدن .

قوم أمن من شرهم ، واستفاد من علمهم وثمرة أذهانهم وعرفانهم وثقافتهم ، فتعلم لغة أجنبية يضيف إلى ثقافة الإنسان ومعارفه ثقافة ثانية ، ومعارف قيمة تعينه على حياته وتفيده فى كشف أسرارها ومعالمها .

وها نحن نرى اليوم كيف يفيد علماء العالم بعضهم من بعض، ولولا تعلم اللغة الأجنبية لما أمكنهم ذلك .

وليس يضيرنا أن تكون هذه اللغة لغة قوم بيننا و بينهم مودة وسلم ، أو لغة قوم بيننا و بينهم حقد وحرب ، بل كان تعلم لغة العدو أجدى على الأمة وأكثر نفعا كما يوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزيد : « تعلم كتاب اليهود ، فانى والله ما آمن اليهود على كتابى » .

أبو زيد شلبي
المفتش بالأزهر

« تصويبات »

فى الجزء السابق

السطر الثالث من صفحة ٤١٦ (الصواب) : « وقوتها سبيل إلى تحسين النسل ، وداعية إلى إبراز أحسن خصائصه ، وأفضل صفاته ، كما أن فتور الشهوة و برودها داعية إلى ضعف النسل » ـ بدلا من : وقوتها سبيل إلى ضعف النسل .

فى هذا الجزء

السطر ١٣ من صفحة ٤٩٠ (الصواب) : دنيا أولئك المتصلفين ـ بدلا من : دبيا أولئك المتصلفين .

السطر ١٣ من صفحة ٤٩٨ (الصواب) : عادت مصر ـ بدلا من : عادة مصر .

السطر ١٢ من صفحة ٥٠٠ (الصواب) : نقل حرف الجر « من » لما قبل كلمة ابتعادها لتصير العبارة : إلى الخطر الذى يواجه أوربا من ابتعادها .

تحـــــديد النسل

فكرة صهيونية استعمارية

ضد مصر وشعوب الشرق الأوسط
وسيقضى عليها مشروع السنوات الخمس

كثر الكلام وخاصة فى هذه الأيام فى مشروع تحديد النسل وإزعاج الأمة من ارتفاع نسبة الزيادة سنويا فى تعداد المواليد، ويقولون: إن هذه الزيادة لا تتناسب مع إمكانيات الدولة ولا مع مواردها الطبيعية . ودخلت هذه الفكرة دخولا جديا فى أنفس الطبقات المثقفة وانتشر العمل على اتخاذ وسائل منع الحمل ، وانتشرت كلمة فلانة حايشة نفسها وفلان حايش نفسه أى أنهم ما نموا أنفسهم باتخاذهم ما يمنع الحمل حتى أدى ذلك إلى حوادث إجهاض ووفيات ترتبت عليها قضايا جنائية ، كل هذا من مفعول نشر هذه العقيدة السيئة بين الأوساط والنظر إلى كثرة التناسل على أنه حالة جاهلية وعمل رجعى ، وكم يستعملون كلمة « رجعى » هذا السلاح الفاسد بغير حساب كاستعمال الأسلحة الفاسدة التى كانوا يغشون الأمم العربية بها فى حرب فلسطين ، ونشروا تقريرا مفزعا للسيد المدير العام لصحة بلدية الإسكندرية قال فيه : « من الواجب الآن النظر جديا فى مسألة تحديد النسل ، لأن الزيادة فى المواليد بلغت ٢,٥ ٪ فى مصر » . أى وعلى ذلك سيزداد تعداد القطر المصرى بعد ثلاثين سنة ـ إن لاحظنا عملية الأرباح المركبة فى الحساب ـ إلى ضعف تعداده ، أى ستكون مصر أربعين مليونا أو خمسين مليونا .

يا للهول لكثرة تعداد مصر حينما تبلغ أربعين مليونا ... ! هذا أمر مفزع جدا يجب اتخاذ الوسائل الفعالة ضد الأمة المصرية أن تزداد ، سيأكل بعضهم بعضا . ستضيق بهم الرقعة الزراعية بمصر ، ستقع مجاعة ، ستسد فى وجوههم الهجرة إلى بلاد الله ، ستضيق بهم أرض الله على ما رحبت . واشتد التهويل حتى دخل مجلس الأمة ! حتى لقد وصى الدكتور أبو هيف مدير صحة البلدية بالإسكندرية الذى انهال من نسبة الزيادة فى تعداد القطر المصرى أن لا يذيعوا تقريره خوفا من « البعبع الموجود فى البلد » وهم رجال الدين . يا لهول الأفكار ... ! ويا لهول الأوهام ... ! ويا لهول النظر إلى رجال الدين فى مصر ... ! الذين هم صمام الأمن والآداب والأخلاق والذين لا تحسم الحروب العائلية فى قرى الصعيد

وغيره إلا بوعظهم وكلماتهم الرحيمة التي تبدل الخوف أمنا، والذين أمثالهم في الأمم الأخرى لا يقول فيهم قائل مثل ما قال الدكتور أبو هيف ...! على رسلكم أيها الكتاب الداهمون من هـذه الطنطنة التي لا أعرف لكم فيها عذرا إلا هـذه المقارنة التي تجدونها في نسبة الزيادة عندنا أكثر من نسبة الزيادة في البلاد الأخرى حينما تقررون الإحصائية . . . !

وأنتم تعلمون أن الشعوب الأوربية والأمريكية لا يكاد الرجل منهم يتزوج إلا عند سن الكهولة ، والمرأة كذلك ، والزواج الشرعي والنسل الحلال لا يوجد عندهم بمثل ما يوجد في البلاد الشرقية ، ونسبة العوانس عندهم هائلة ، وكما تقول تقاريرهم ٩٠ ٪ من نسائهم فيهم برود جنسي و ٤٠ ٪ من رجالهم عندهم عقم ، وهم عدا ذلك يتخذون أسباب منع الحمل بدرجة هائلة فلا يصح مقارنة الإحصائيات بيننا وبينهم مستندا لكم للفرق الكبير بين حالتهم الاجتماعية والأخلاقية وحالتنا ، وكما ينادي السيد رئيس الجمهورية دائما أنه يجب أن ينبثق الإصلاح عندنا من نفس بيئتنا ومن صميم أحوالنا ، لا نجعل الغرب إماما لنا في ذلك يجب أن تبطل هـذه الخرافة وأن ننظر من جديد إلى حالتنا الاجتماعية التي تخالف الغرب في الأخلاق والعادات والآداب ، ونبني عليها إصلاحنا الداخلي ونقضي على آثار الاستعمار الذي لا يريدنا أمة قوية كبيرة كثيرة .

ولو أن الأمة الانجليزية فكرت في تحديد النسل من أربعين سنة وهولت فيه هـذا التهويل الذي نجده الآن في مصر يملأ صحفها، ويثيرون به النقاش بينهم وبين رجال الدين ليوسعوا هوة الخلف بين أبناء الأمة الواحدة ، الأمر الذي لا نجده في أمة أخرى ، أقول لهؤلاء الشغوفين بتقليد الغرب : لو أن الانجليز فكروا هذا التفكير من أربعين سنة لما كان لهم الآن نسب وصهر في أمريكا، وأمة كبرى تناصرهم في الاستعمار وتناصرهم في العدوان على الشرق وعلى مصر ، فلماذا لا تكون مصر أمة كبرى وحينما تضيق بها بلادها يهاجر أبناؤها إلى البلاد الأخرى وتكون قوة لمصر في سائر بلاد الله .

إن القوة الدولية الآن إنما هي بالكثرة « وإنما العزة للكاثر » كما يقول الشاعر العربي ، وها هو الوعي انتشر والعلم ذاع ، وسيكون المستقبل للأمة الأكثر عددا لأنها ستكون أكثر عددا أيضا ، والغرب في انقراض لسوء الحالة الأخلاقية فيه وقلة الاهتمام بالزواج الشرعي والنسل الحلال ، فهم يفزعون من أمم الشرق الأوسط في تكاثرها عنهم فيبثون عندنا هذه الأفكار ويتلقفها الضعفاء من الصحفيين والكتاب في بلادنا باعتبارها أفكارا تقدمية .

فاذا باب الهجرة مفتوح على مصراعيه يا دعاة تحديد النسل ...! فهو الذى يمتص الفائض ممن لم تسعهم رقعة مصر ، ولا رقعة المزروع فيها ، كما وسع هذا الباب - باب الهجرة - الفائض من أمم أوروبا الضيقة الرقعة عنا فهاجروا حتى عمروا قارة أمريكا ، ولم تضق بهم أرض الله . وها هو مشروع السنوات الخمس يا دعاة تحديد النسل قد أقبل ، وسيحتاج لملايين الأيدى العاملة ، وسيعمر مشروع السد العالى ملايين الأفدنة ، فهل ستزرع نفسها هذه الملايين أم تزرعها أيد مصرية تريدون القضاء عليها الآن وهم فى أصلاب آبائهم .

إن العلم الآن يهيب بمصر أن تصلح صحاريها الغربية والشرقية ، وتستخرج مافيهما من كنوز ، هل تنتظر مصر أن تأتى البعثات من الغرب وتكتشف هذه الكنوز وتكتب التقارير لحكوماتها لتستعمر مصر مرة أخرى ، كما هو الحال فى الجزائر وتشبث فرنسا بها لأجل صحرائها وما فيها ؟ إن الغرب لا يطيق وجود الوعى ولا العلم فى الشرق ولا كثرة التناسل فيه وضخامة أممه ، لأن ذلك ليس من مصلحة الاستعمار ، لأن الاستعمار يريد أن يكون الشرق مستغلا له ، والأمم التى فيه على قدر مايحتاجه من عمال لهذا المستغل ، هذه حقيقة صارخة يعمل لها الاستعمار ، وأنتم يادعاة تحديد النسل فى مصر والأمم الشقيقة تساعدونه بكل قوتكم فيما يريد . فيجب أن تحولوا مجهودكم أيها الدعاة إلى تحديد النسل إلى تكثير النسل فى الأمة المصرية حتى تكون مائة مليون ، وتفتح مجاهيل إفريقيا كلها وتعير علماءها وعمالها لشقيقها السودان الذى تفتح فيه الوعى وأخذ طريقه إلى الحضارة وأرضه تسع أضعاف أهله ألف مرة ، فلماذا لا يكون مهجرا للأمة المصرية حينما تريد كما كانت أمريكا مهجرا للانجليز ؟

وها هى سيناء وقطر الحجاز وسائر جزيرة العرب تحتاج للاصلاح وتحتاج للأيدى العاملة ، ومصر ستصبح بلدا صناعيا أكثر منها بلدا زراعيا وستحتاج جميع البلاد حولها للاستعارة منها .

وسيكون ذلك قوة لمصر كما أن العنصر الانجليزى فى أمريكا هو قوة لها ، والدم له حنان كما يقولون ، فدعوا أيها الدعاة إلى تحديد النسل هذه الدسيسة التى لبست عليكم ، وهى فى الأصل فكرة صهيونية استعمارية ، لأجل بقاء مصر أمة صغيرة ضعيفة ، لأن فى قوة مصر قوة للشرق الأوسط جميعه ، وهذا هو القضاء على الاستعمار فى الشرق وحرمانه من ماء الحياة الذى يعيش عليه الغرب ، من بترول الشرق الذى ذاق البؤس والفقر لما انقطع عنه حين العدوان على مصر ، ففكرة تحديد النسل فى مصر فكرة استعمارية قبل كل شىء ؟!

محمد عبد السلام القبانى

حديث «تزوجوا تكثروا»

حديث نبوى صحيح

قرأت فى عـدد الجمهورية ٥٥٤ / بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ و ١٤ / ١٢ سنة ١٩٥٧ كلمة فى الدفاع عن تحديد النسل ، واسترعى نظرى فيها القول : بأن حديث « تزوجوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم » مطعون فيه أو مدسوس على النبى صلى الله عليه وسلم، ولم يرد فى الكلمة دليل علمى ولا نص شرعى مقبول فى رد هذا الحديث الثابت لدى أئمة الحديث والفقه الذين رووه فى كتبهم ومسانيدهم ومصنفاتهم الموثوقة ، والحقيقة أنه حديث مشهور ومعروف ورد فى عدة روايات ثابتة فى كتب الحديث النبوى الشريف ، بأسانيد صحيحة وحسنة فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ج ١٠ ص ١٣٧ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انكحوا أمهات الأولاد فانى أباهى بهم يوم القيامة » الحديث رقم ٦٥٩٨ قال شارح السند : إسناده صحيح وفى معناه حديث أنس مرفوعا « تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة قال : الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤ : ٢٥٨ رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن : وأخرجه بن تيمية فى المنتقى ٣٤١٦ .

ورواه أبو داود فى السنن ولفظه : « تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الأمم » اهـ ج ١ ص ٣٢٠ .

وعن معقل بن يسار الصحابى الجليل رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الأمم » قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٠ ـ ٧١ : رواه أبو داود والنسائى والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الإسناد .

وأخرجه ابن قدامة المقدسى فى كتاب المحرر فى أحاديث الأحكام ص ١٧٠ ولفظه

عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر » بالباءة « الزواج » وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول : « تزوجوا الودود الولود إنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة » رواه أحمد وسمويه وابن حبان اهـ .

ورواه البيهق فى السنن بلفظ : تزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهابنة النصارى » .

ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن معاوية بن حيدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وإنى مكاثر بكم الأمم » أخرجهما السيوطى فى الجامع الصغير ج ١ ص ٤٣٣ وج ٢ ص ٢٧ .

وروايته بلفظ «تناكحوا تكاثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة» أخرجها عبد الرازق والبيهق عن سعيد بن أبى هلال مرسلا . قال الحافظ ابن حجر فى بلوغ المرام ص ٢٠١ وله شاهد عند أبى داود والنسائى وابن حبان من حديث معقل اهـ .

وقد أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير رقم ٢٧٤٨ و ٢٧٥٠ وعزاه إلى ابن ماجه ومسند أحمد ورمز له بعلامة الحديث الحسن .

وأخرجه العجلونى فى كشف الخفاء ج ١ ص ٣١١ باللفظ المشهور على الألسنة .

ومما سبق يتضح أن هذا الحديث ثابت بالأسانيد الصحيحة والحسنة، وأن النبى صلى الله عليه وسلم ينصح رجال الأمة الإسلامية بالزواج، وترك التبتل والعزوبة، وأن يتزوجوا المرأة الودود الولود ليكثر أتباع دينه الحنيف فيباهى بهم الأنبياء والأمم يوم القيامة .

والله الهادى إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد صبرى عابدين

من علماء الأزهر الشريف

تحية وتهنئة وأمل ...!

« بمناسبة تعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت وكيلا للأزهر »

صادف اختيار فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت لمنصبه الجديد رضا من علماء الأزهر وطلابه ، وشاركهم فى ذلك عارفو فضله فى شتى أنحاء العالم الإسلامى .

وفضيلته غنى عن التقديم ، فقد طبقت شهرته الآفاق ، ووصل حديثه إلى كل بيت ، وانتفع بعلمه العديد من تلاميذه وأذاعوه بدورهم على الناس ، وانتفع أيضا بقلمه المسلمون عامة كما وجدوا لديه دائما ، الحل لما يعرض لهم من شئون دينهم ، يسوقه فى غير مواربة ، ولا التواء ، ولا مجاملة .

ومصر الناهضة لم يصلح من شأنها سوى السياسة الواضحة الحازمة ، التى اختطها لها الرئيس جمال عبد الناصر ، وعن طريقها تحررت سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وأصبحت ذات إيجابية فعالة فى المجال الدولى .

وبقى لها بعد ذلك ، أن تسلم ومن ورائها العالم الإسلامى من الشرر المتطاير ، الذى يقذف به قوم أفسدت ضمائرهم وخلقهم وأمزجتهم الثقافة المنحرفة ، فهم ينظرون إلى الإسلام بعيون أعدائه ، ويطلعون على الناس بين الحين والحين ، بما يثير شكوكهم فى مبادئه السمحة ، ويستغلون سذاجة المرأة وبراءتها ليخرجوها من كناسها العفيف ، لتكون لهم شيئا آخر غير الزوجة والأم لأولادهم ، باسم الحرية والحقوق المشروعة ... !

وتكلم منهم فى أحكام الشريعة ـ فى معرض الاستدلال السقيم ـ من لا يدرى عن أحكام الشريعة شيئا ، فشرع وخرج ، ونفى وأثبت ، واختار من الدين ما اختار ، ورفض ما رفض ، وفرق بين الشريعة وأقوال الفقهاء فى أمور متفق عليها ، الحق فيها ظاهر ، والحكمة واضحة ، وهم فى كل ذلك يضمنون أحاديثهم ـ حين يحلو لهم ، أو حين يرتفع صوت بمعارضتهم ـ تهجما على رجال الدين ، وتهكما على ما يقولون ، وبلغ السخف بأحدهم أن عقد ـ فى حديث نشر له ـ مقارنة بين رجال الدين والعلماء المخترعين ، وطالب الأزهريين بما لم يصل هو ومن على شاكلته إليه ، فى أسلوب ينبئ عن نفس أقفرت من القيم الروحية ، فبدت فارغة لا يصدر عنها إلا كل تافه ، وقد تصدى للرد عليه علم من أعلام الأزهر ، وضمن رده الحر المخلص قوله : «أيها الكتاب الدجالون ، أيها المؤلفون المضللون ، إن الأزهر لم يخترع الذرة ، ولا الصاروخ ، ولا القمر الصناعى ، فهل اخترعتموه أنتم ، أو اشتركتم فى اختراعه ، أو انتفعتم بنظريات المخترعين ، فاخترعتم

أشياء أخرى تخدم الإنسانية وتفيد العالم ؟ ... » إلى آخر ما جاء فى حديثه المفعم بحرارة الإيمان وقوة الدين ، وصدق اليقين ... !

وليست من رسالة الأزهريين مهاجمة أحد ، عملا بمثلهم الدينية ، وحرصا على اتحاد الصفوف ، ولكن ـ فى الوقت نفسه ـ من الخيانة للأمانة الموكولة إليهم ، أن يسكتوا على تلك السموم التى يريد لها بعض المارقين أن تسرى فى بدن الأمة لتقضى عليها ، عن جهل تارة ، وعن سوء قصد تارة أخرى ، وشأنهم فى حالتهم الأولى كمن يحطم المصابيح ، ويطفئ الأنوار ، من حيث يظن أنه ينير الطريق ، ويضع على جوانبه المشاعل ... !

أقول : لم يبق بعد تحرر مصر هذا التحرر التام ، سوى القضاء على ما يعتورها من أفكار هدامة ، تلك الافكار التى تهددها فى دينها ومثلها ، الأمر الذى يحتاج إلى حزم وعزم يصدران عن دين وخلق وعلم ، والذى قدرت حكومة الثورة خطورته وأثره على سلامة الجبهة الداخلية ، فأصدرت القرار الجمهورى بتعيين فضيلة الشيخ شلتوت وكيلا للجامع الأزهر ، فاذا استبشر الأزهريون وغير الأزهريين خيرا بهذا الاختيار الموفق فلأنه يعنى عندهم الكثير ... ! إذ هو إيذان بأن يحتل الأزهر مكانه اللائق به ، ويمكن من أداء رسالته الهادية الباعثة ، التى لا يجادل فيها إلا خاسر ، والتى يرقب نورها المسلمون فى الآفاق القريبة والبعيدة ... !

وباختيار فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ شلتوت ، لهذا المنصب الخطير ، يكون قد توافر على توجيه الأزهر وقيادته شخصيتان عظيمتان ، لكل منهما ثقافتها الدينية الشاملة ، واتصالها الحصيف بمختلف الآراء والنظريات والاتجاهات التى تنبعث من هنا أو تأتى من هناك ... !

وفى هذا الأمل كله فى تجلية الشريعة الإسلامية بالوسائل المختلفة ، لتجد القبول الحسن لدى الغرباء عنها ، فضلا عن أهلها ، مما يدفعهم إلى التمسك بآدابها والغيرة على أحكامها . وأحب ما نرجوه ويتمناه معنا كل مخلص أن يصبح الفقه الإسلامى بديلا لنا عما يذكرنا بالمستعمر من آثار قانونية ، لا تزال نحتكم إليها ـ رغم تحررنا من كافة قيوده الأخرى ـ وفى شريعتنا التى هى عنوان قوميتنا كل الغنى عنها ... !

وبعد : فأسرة مجلة الأزهر يسعدها أن تقدم التهنئة خالصة للأزهر بوكيله الجديد . كما يسعدها أن تعلن : أن الترتيبات الكفيلة بنهوضها قد وضعت على يد فضيلته ، لتواصل جهادها على الوجه الأكمل ، وبالطريقة التى ترضى كل مسلم ، فتصبح المنار الهادى إلى أقوم سبيل ، والمعوان الناصح لحكومتنا الرشيدة ، التى ترحب بالآراء الصائبة السديدة ، وتتبنى وتحقق المشاريع البناءة المجيدة ...

ابراهيم محمد الأصيل
سكرتير التحرير

الأزهر المنشود ...!

لم يزل يرن في سمعي من أصداء الماضي دوي العلم الذي كانت تجاوب به جوانب الأزهر الرحيبة، فلا ينقطع إلا حين تقف هذه الحشود خاشعة في صلاتها، ترتبط أرواحها ساعة من الزمن بالجلال الأكبر، وبصاحب الجلال الأكبر، فيطوى السكون هذا الرحاب الكبير وكأنما هذه الألوف المبتهلة قد تحللت إلى روحانية لا تسكن أجسادا، وكأنما هي معاني الإيمان والخشوع والتقوى تضمها تلك المحاريب . . . !

ولم تزل تعبر وتستعبر أمام خيالي صور الماضي، صور هذه الألوف المتباينة الألوان والألسنة واللهجات، الممتزجة الأرواح والعقول، المتحدة المنهل والهدف، التي طوت الأقطار والبحار، واستعذبت مرارة الأسفار، زاحفة بإيمانها لتتزود من معين الأزهر الصافي، ثم ليعود كل إلى أهله رسولا لمبادئ الإسلام السامية (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وهو لا يبغي من وراء ذلك أجرا ولا جزاء ولا شكورا . . . !

ولم تزل تتواثب أمام عيني تلك الثورات التي كانت تنفثها أبواب الأزهر، فتنبعث فيها الأفواج الصاخبة مقتحمة أسباب الموت ونذره، جارفة أمامها سلطان الغاصبين، ساخرة من نيران الطامعين، فلا تسكن حتى يستسلم عتو العتاة، وتخر أمامها جباه الطغاة . . . !

إنها صور وذكريات ...! إنها صور مشرقة يترجم إشراقها عن العزة الشامخة، والجلال السامق، وإنها ذكريات تفور معها المشاعر، وتضطرم الأحاسيس، وتدمى القلوب أو تكاد. فأين نحن اليوم من كل هذا؟ شغلتنا أموالنا وأهلونا، وألهانا التكاثر، وسخرتنا المادة عبيدا لها حتى سخرت منا دنيانا. اللهم إنا جنينا على أنفسنا وجنينا على أزهرنا، ولن تعود لنا إمجادنا أو نسترد في قلوب الناس مكانتنا حتى يعود إلى الوجود الأزهر ينتظره المسلمون والذي يريده الإسلام ... !

يريد الإسلام الأزهر الذي تنبعث مناهجه من صميم الدعوة إلى الله، ومما تحتاجه تلك الدعوة من ثقافات ومن لغات، تأخذ بها الدعوة طريقها إلى الأسماع، ومن قلوب مؤمنة

بهذه الثقافة ، ومؤمنة قبل كل هذا بالرسالة التى تحملها، و بخطر هذه الرسالة، وهذه القلوب أحوج ما تكون إلى تربية دينية صادقة، تخلقها خلقا جديدا ، وتجعلها تعيش لله وتعمل فى سبيل الله . . . !

ويؤسفنى أن أقول : إن ثقافة الأزهر اليوم فى أعظم صورها تتجه إلى تثقيف العقول، ولا أثر فيها لتهذيب الأرواح . فنحن ندرس كتاب الله ونلم بكل ما فيه ولا نتأثر بشىء مما فيه ، ندرسه لدنيا نصيبها لا لهدى ننشده ، ندرسه دون أن نتعمق فى آياته لتهذب نفوسنا بما تنطوى عليه من سمو وما تدعو إليه من خير . . . !

وندرس حديث رسول الله عليه السلام، فلا تخلق فينا هذه الدراسات الأثر الذى كانت تخلقه فى نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، ولا ولدت أرواحا مثل أرواحهم، تلك الأرواح التى جندت حياتها للدعوة ، وعاشت آمالها مع الدعوة ، وجعلت دنياها لسانا صادقا للدعوة ، وإيمانا خالصا بالدعوة . فثقافتنا علمية تنبعث من العقول فتثقفها العقول ولا تأخذ سبيلها إلى الأرواح لتصنع منها ما صنعت من أرواح السابقين الأولين . . . !

يريد الإسلام الأزهر الذى يؤمن علماؤه بخالقهم ثم بوجودهم و بكرامتهم و برسالتهم، و يؤمنون كذلك بأنهم مجندون : أرواحهم وعلمهم وألسنتهم وأقلامهم لخير الإسلام والأزهر، فلا تنحصر جهودهم فى زمان ولا فى مكان ، بل تنطلق من حدود الزمن المستأجر إلى غيره حتى تملأ زمنهم كله تهذيبا وتعليما وتثقيفا، كما يجب أن تنطلق هذه الجهود من مكان الرقابة الضيقة إلى رقابة الله والضمير . . . !

و يريد الإسلام الأزهر الذى يتنافس طلابه فى طلب العلم ، يبحثون مسائله ويناقشون مشاكله و يتعمقون فى دراستهم ، ثم يفتحون قلوبهم وأرواحهم لما وعته عقولهم من علوم الدين وسيرة سيد المرسلين وكفاح المجاهدين السابقين . ولعل الأزهر بعد ذلك كله يرى جيلا جديدا قد انبعث من هذه الإشعاعات كلها فينطلق فى الدنيا هدى لمن طوتهم ظلمات الشكوك ، ولمن احتبست عقولهم بين أسوار التقاليد ولمن عاشوا فى مجاهل الدنيا لم يصلهم نور الإسلام ، ولم تسطع بينهم شريعة الإسلام . . . !

ولعل الأزهر كذلك يرى فى المستقبل بعوثا جديدة، تتغلغل فى البلاد جميعها متحضرها وغير

متحضرها ، ولم يكن المال هدفها الأول الذى تطمح إليه ، ولم تكن وفرة الطعام والعيش والراح هى أمنيتها فى مهجرها ... !

وإن الأزهر يوم يلمس إيمان مبعوثيه برسالتهم ، ويرى تفانيهم فى أداء هذه الرسالة ، ويراهم مهاجرين من دنيا الخمول والجمود إلى الكفاح والجهاد ، ويراهم رسل سلام وإصلاح حينا حلوا ، ويراهم يتسابقون إلى رضوان الله ، ويتنافسون لخير الإسلام ، ويوم يراهم ينكرون أنفسهم ، ولا يمنون بعملهم ، ولا يراءون فى كفاحهم ولا تطغيهم دنيا المظاهر ، يوم يرى الأزهر مبعوثيه وعلماءه جميعا كما يجب أن يراهم سيكون يوم وجوده ويوم خلوده ... !

أيها الأزهريون :

لقد نكرتكم اليوم دنياكم مجاهدين ، وعرفتكم قاعدين موقنين . نكرتكم أرواحا ، وعرفتكم أشباحا ، نكرت فى نفوسكم ما تدعون إليه ، وعرفت فى قلوبكم ما تنم الكون عليه . فهلا هزت صيحة البعث متبلدى الإحساس لينظروا حولهم الدنيا الثائرة ، الدنيا التى لم يعد فيها عيش لخامل ولا مكان لهازل ... !

وهلا حركت إشراقة الفجر تلك النفوس الطامحة إلى البناء لتنطلق إلى بناء سلطانها قبل أن تغلب على مكانها ... !

إن الأزهر المنشود يريد بناء جديدا على أسس وطيدة من الإيمان .

ويريد أن يفسح المجال للكفايات لتعمل وتكافح وتبنى ، ويريد ألا يرى فى صفوفه الأولى هزيلا ولا ضئيلا ، ويريد ألا يرى فى طريقه تلك الأشواك التى تعوق انطلاقه .

ويريد أن يفتح علماؤه صفحات جديدة من الكفاح الحر والرأى الحر والعمل الحر ... !

ويوم يطل الأزهر المنشود على هذه الدنيا فيغمرها بنور دعوته سيعرفه من نكره ، ويؤمن به من أنكره !!

محمد محمد خليفة
المدرس فى معهد القاهرة

سلاح الطـــــيران

« فى عيده الفضى »

يا فتية من بروج الخير مطلعهم   قد حققوا المجد لم يبغوا على أحـد
شبوا عن الطوق عشاقا لموطنهم   كالعابدين طواهم خير معتقد
كانوا قليلا ورب العرش كثرهم   حتى غدوا كنجوم الليل فى العدد
جابوا الفضاء نسورا غير عابثة   بالخافيات وماق الكون من عقد
ودمروا الخصم جل الله ناصرهم   وأطعموا البحر من حادوا عن الرشد
ليسوا من الجن لكن فعلهم عجب   كلا بل السحر لم أنقص ولم أزد

* * *

يا ناشرين لواء العز أجنحة   تحمى حمى الأهل والأوطان والولد
هاتوا الكواكب تجلوها فقد خلقت   أنفاس غدر بصاق الضوء كاللبد

* * *

يا حاسب الغزو أسطولا تجهزه   لا تتعب النفس فالأفلاك من مددى
إنا بنو النور لا خوف ولا حزن   ولا طلاء يغر الناس كالزبد
نحيا على الحق تحدونا ملائكة   والغرب فى غيه أعمى بلا سند

* * *

يا فتية قدموا لله أنفسهم   ولم يبالوا بعيش ناعم رغد
سيروا إلى المجد فالدنيا لكم تبع   والله يمنحكم نصرا إلى الأبد

محمد كامل شلش
مراقب المعهد الدينى بشبين الكوم

عيد النصر
فى ذكرى العدوان الثلاثى

هو العيد عيد النصر هلت بشائره — وطابت مجانيه وعمت مآثره
ودانت له الأيام وهى قريرة — تزف به البشرى وقد فاح عاطره
وودت به الأعوام لو ظل ماثلا — فلا شمسه تنأى ولا الليل دائره
فترنو له الدنيا ويبقى مخلدا — وتسعى له الأزمان وهى تسامره
ويشدو به التاريخ من شرفاته — ويملى على الأكوان ما هو ذاكره
فما هو عيد بالثريات سحره — ولكنه بالنصر عزت مناظره

• • •

يذكرنا العيد السعيد بساعة — تنكر فيها الغرب واشتد ماكره
وسلم إنذارا وفرق صحبة — وأنكر معروفا تجلت أواصره
ولم يكفه عاما وسبعين حجة — قضاها على النعماء وهى تؤازره
فأعقبه بغى وغدر وخدعة — يريد احتلالا كى تطاع أوامره
ولكن هم الأحرار ردوا نذيرهم — وقالوا : لنا مجد هنا لا نقامره

• • •

فأصبح عدوان الثلاثة سافرا — على مصر كى ينقض فى الشرق سامره
أغاروا بآلاف من الأرض والسما — كأن نذير البعث دوت مزامره
وفى عابرات البحر ما ضاق بالملا — من الجند حتى قيل : بالشرق كاسره
هنا طائرات كالعصافير تغتدى — فتحجب نورا من سنا الشمس باهره

ومنها مظلات تدلت وأنزلت على مهج فاشتد بالحر ثائره
فنادى جمال الشرق إن بلادنا حرام على رجس وإنى لقاهره

• • •

وقاوم شعب فى اعتزاز وقوة من الحق والدنيا تطل تناصره
ونادى نداء الأسد تزأر للحمى وقام دفاعا لا تلين كواسره
وقال: هنا مصر، هنا الطهر والسنا هنا مصرع الباغى وفيه مقابره
فلا النيل يسقينا رحيقا ونضرة إذا لم ترد الغدر فيه خسائره
فهذى قناة فى الحياة فداؤها تريد جلاء الرجس فاضت كبائره
فقامت عليه «بور سعيد» وأطبقت فصار هشيما لحمه وأظافره
ومن يك ذا حق وقوتل عنده فلا شك أن الله بالحق ناصره

• • •

لقد لقن الأعداء درسا وما رعوا حقيقة درس طال بالشرح آخره
وغرتهم الآمال لكن غرورهم سراب به الظمآن تكوى سرائره
ألم يحسبوا أن العروبة أوقظت وأن بها شعبا من النور خاطره
ومن سيفه نار إذا الحرب أوقدت ومن كفه نبع إذا السلم عاطره
فلم يثنه وعد ومكر وخدعة ومن دأبه أن السلام منابره
رعى الله أحرارا بنوا مجد أمة كفاها «جمالا» قد تسامت مفاخره
أقام لنا فضلا تسامى على تقى وأهدى جميلا لا تحد أواخره
فإنى بحمد الله أذكر فضله وإنى عن الوطن العزيز لشاكره

حسنى مهدى هراهر
سكرتير معهد الزقازيق الدينى

لغويات

بلغ محمد العقد الثانى من حياته

ينطق الناس (العقد) بكسر العين . وهم يذهبون إلى تشبيه العشرة والعشرين وما بعدهما بالقلادة تنتظم حبات الجوهر ، إذ كانت العشرة تنتظم آحادها ، وهكذا أخواتها . وقد يرشح بعض الكتاب هذه الاستعارة فيقول : إن محمدا لم يستوف حبات العقد الثانى من حياته .

وكنت أرتاب فى هذا الشكل ، وأجنح إلى فتح العين فى هذا الحرف . وكنت أرى أن العشرة — مثلا — أطلق عليها العقد إذ كان العادّ يقف عندها ويعقد الحساب عليها ، وأيضا فان هذا أتى من قبل طريقة الحساب عند العرب ، وهى الحساب بضمّ الأصابع ووضعها ، وكانت العشرة وأخواتها بعقد الإبهام مع غيره فى أوضاع مختلفة . وورد فى البخارىّ فى قصة يأجوج ومأجوج فى كتاب بدء الخلق : « عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد بيده تسعين » . وعقد التسعين أن يجعل السبابة فى باطن الإبهام ثم يضمهما حتى لا يبقى بينهما إلا خلل يسير . والسبابة الإصبع التى تلى الإبهام ، والمراد أن الذى فتح من سدّ يأجوج ومأجوج فى وقت إخبار الصادق صلوات الله وسلامه عليه مثل هذا القدر اليسير . وجاء على هذه الطريقة قول الخليل [١] فى انقباض كف البخيل :

كفاك لم تخلقا للندى ... ولم يك بخلهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة ... كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها ... وتسع مئيها لها منعه

وقد عنانى أن أجد فى دواوين اللغة بيانا شافيا ، فلم أظفر بنص صريح .

ورجعت إلى المظانّ التى ترد فيها هذه الكلمة . وهاك ما وقفت عليه :

---

[١] أنظر أسرار البلاغة ص ١٢٣ . وانظر فى الحساب بعقد الأصابع رسائل ابن عابدين ١ / ١٢٩ وما بعدها .

جاء فى كتاب سيبويه ١ / ١٠٦ : « فإذا ضاعفت أدنى العقود كان له اسم من لفظه ، ولا يثنى العقد » . ويقول أيضا فى هذه الصفحة : « فاذا بلغت العقد الذى يليه تركت التنوين والنون » ، « وكذلك العقد الذى بعده ، واحدا كان أو مثنى » . وقد ضبط (العقد) فى هذه المواطن بفتح العين بضبط القلم .

وجاء فى اللسان (نوف) : « وكل ما زاد على العقد فهو نيف بالتشديد ، وقد يخفف حتى يبلغ العقد الثانى . . . ولا يقال : نيف إلا بعد عقد . قال : وإنما قيل : نيف لأنه زائد على العدد الذى حواه ذلك العقد . . . » وضبط أيضا العقد بفتح العين بضبط القلم .

وجاء فى القاموس فى مادة (نوف) أيضا : « وكل ما زاد على العقد فنيف إلى أن يبلغ العقد الثانى . . . » وقد ضبط (العقد) بكسر العين فى النسخة المطبوعة بالمطبعة الحسينية المصرية فى سنة ١٣٣٠ هـ ، وهذا بضبط القلم ، كما لا يخفى . وقد ارتبت فى هذا الشكل فرجعت إلى مطبوعة بولاق سنة ١٢٧٢ هـ التى قام على تصحيحها الشيخان قطة العدوى ونصر الهورينى ، فاذا (العقد) فيها بفتح العين ، وكذلك رجعت إلى مطبوعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ فوجدت الضبط بفتح العين ، كسابقتها . ورغبة فى زيادة التحرى رجعت إلى نسخة من القاموس مخطوطة سنة ٨٩٩ هـ مقروءة على نسخة المؤلف ، فوجدت الضبط بفتح العين وهذه النسخة محفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤ لغة) .

وفى المخصص ١٣ / ٦٦ : « والنيف : ما بين العقدين منه » وفى ص ١٢٦ من الجزء السابع عشر منه : « فاجتمع فى المائة ما افترق فى عشر وتسعين من حيث كان عشر عشرات ، وكان العقد الذى بعد التسعين » . وضبط فى الموضعين بفتح العين .

وبعد هذا أذكر أنه جاء فى محيط المحيط : « العقود من الأعداد أولها العشرة وآخرها التسعون ، واحدها عقد » ، وضبط (عقد) بفتح العين ، ونقل عنه هذه العبارة بحروفها صاحب أقرب الموارد .

المشاعر : الحواس

أنكر بعض الباحثين استعمال (المشاعر) فى الحواس الخمس ، وذكر أنها معالم العبادة ومواضع النسك فى الحج ، ومنه المشعر الحرام ، وقد اعتمد فى إنكاره على أن القاموس اقتصر على المعنى الثانى للمشاعر . فكان هذا حاديا لى على أن أنقل ما وقفت عليه .

جاء فى الأساس : « وهو ذكىّ المشاعر ، وهى الحواسّ » . وفى اللسان : « والمشاعر : الحواس ؛ قال بلعاء بن قيس :

والرأس مرتفع فيه مشاعره   يهدى السبيل له سمع وعينان »

وفى تفسير البيضاوى عند قوله تعالى فى سورة البقرة : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » : « والشعور الإحساس ، ومشاعر الإنسان حواسه ، وأصله الشعر ، ومنه الشعار » ، وفسر الشهاب الإحساس بالإدراك بالحواسّ الخمس الظـاهرة ، وذكر أن الشعور قد يأتى فى معنى العـلم ، وفسر الشعر الذى جعله البيضاوى أصل الشعور بالعلم الدقيق ، كما فى قولهم ليت شعرى . وفى حاشية الجمل على تفسير الجلالين فى هـذا الموضع : والشعور : إدراك الشىء من وجه يدق ويخفى ، مشتق من الشعر لدقتـه . وقيل : هو الإدراك بالحاسة ، مشتق من الشعار ، وهو ثوب يلى الجسد ، ومنه مشاعر الإنسان أى حواسه الخمس التى يشعر بها » .

ويؤخذ ممـا أوردته أن الشعور يرد للعلم وللاحساس ، وأن المشاعر : الحواس ، ولا يقال لوسائل العلم غير الحواس مشاعر .

وهنا يعن للباحث أن يعرف مفرد المشاعر . فهـل هو مشعر بفتح الميم ، أو مشعر بكسرها على لفظ اسم الآلة ؟ لم أقف على نص فى هـذا . والأقرب أن يكون بـكسر الميم ، إذ الحاسة وسيلة للشعور والإحساس .

ويسوقنى البحث فى المشاعر ـ والشىء بالشىء يذكر ـ إلى ذكر شىء يتعلق بالشعور فالشعور ـ وإن كان يطلق على العـلم ـ فهو أظهر ما يكون فى الإحساس ، والإحساس قد يـكون من غير العقلاء .

وأورد هنا نبذا من كلام لأبى علىّ الفارسى نقله بن سيده فى المخصص ٣٢/٣« فقولهم شعرت ضرب من العلم مخصوص . فكل مشعور به معلوم ، وليس كل معلوم مشعورا به ولهذا لم يجز فى وصف الله تعالى ، كما لم يجز فى وصفه درى ، وكان قول الله تعالى فى وصف الكفار : (ولكن لا يشعرون) أبلغ فى الذم (بالبعد) عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون فان البهيمة قد تشعر من حيث كانت تحس فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم . وعلى هذا قال الله تعالى : «ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون» فقال : ولـكن لا تشعرون) ولم يقل : (ولـكن لا تعلمون) لأن المؤمنين إذا أخـبرهم

الله تعالى أنهم أحياء علموا بأنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفى الله العلم عنهم بحياتهم ، إذ كانوا قد علموا ذلك بإخباره إياهم وتيقنوه . ولكن يجوز أن يقال : ولكن لا تشعرون ، لأنهم ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أنهم ليس كل ما علموه يحسونه فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياتهم - وإن كانوا قد علموا بإخبار الله تعالى إياهم - وجب أن يقال : لا تشعرون ولم يجز أن يقال : ولكن لا تعلمون ، على هذا الحد » .

استدراك على « التجريس »

ذكرت فى لغويات الجزء السابق أن التجريس لم يرد فى اللغة ، وهذا سهو ، ففى القاموس (جرس) : « والتجريس : التحكيم والتجربة ، وبالقوم : التسميع بهم » . وترى أن الوارد أن يقال : جرس بفلان (أى سمع به وندد) . وقد انحرف الناس فعدوا الفعل بنفسه ، فقالوا ، جرس فلانا .

محمد على النجار

« استدراك »

فى هذا الجزء

السطر ١١ من صفحة ٤٩٣ (الصواب) : الثالثة - بدلا من : الثلاثة .

السطر ٢٤ من صفحة ٤٩٥ (الصواب) : أو يزيغوا بدلا من : أو يزيفوا .

السطر ١٢ من صفحة ٥٥٣ (الصواب) : وأخرجه ابن تيمية فى المنتقى - بدلا من : وأخرجه بن تيمية فى المستق .

السطر ٩ من صفحة ٥٥٤ (الصواب) : أخرجها عبد الرزاق - بدلا من : أخرجها عبد الرازق .

السطر ٢ من صفحة ٥٦٠ (الصواب) : الطوق - بدلا من : الطرق .

مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية

عند مثول هذا الجزء من مجلة الأزهر للطبع التقت فى القاهرة وفود ٤٦ شعبا تمثل ١٥٠٠ مليون من سكان آسيا وإفريقية ، وقد جاءوا إلى مصر ليواصلوا - فى أعظم مؤتمر شعبي عرفه التاريخ - ما قام به مؤتمر باندونج قبل سنتين من تأييد حق الشعوب فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير . وقد خصص لاجتماعه قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ، واختير لرئاسته السيد أنور السادات ، وسننشر فى الجزء الآتى - إن شاء الله - أهم قراراته وتوصياته .

تعليقات

مسابقة الرقص

فى كلية الآداب بجامعة القاهرة

فى الصفحة الأخيرة من الأهرام ٣ / ١٢ / ١٩٥٧ نبأ عن مسابقة فى الرقص والغناء تقيمها كلية الآداب بجامعة القاهرة بين الشبان والفتيات من طلابها .... على أن تكون الجائزة للمتفوقين منحهم المجانية فى التعليم .

وهـذا النبأ يحمل فى طيه ما لا يحتاج إلى تعليق على خروج كلية الآداب عن رعايتها للآداب ، وأحسب أن الأمة حينما أنشأت جامعتها ، وأنشأت فيها كلية الآداب لم يكن يخطر ببالها أن تصبح الكلية حربا على الآداب ، ومهبطا للغواية ، وشرعة للاباحية فى ألوان متعددة .

كانت الأمة وثيقة الأمل فى أن الجامعة من أول أمرها ستغنى أبناءها عن جامعات الغرب ، وستحميهم من مفاتن الغرب ، وتحفظ عليهم شرقيتهم ، وتقاليدهم الكريمة ، وما قدرت الأمة لأبنائها فى الجامعة غير تثقيف يشد من عزائمهم نحو المجد ، ويخلق فيهم العزة القومية ويغرس فى قلوبهم الوطنية الجادة ، ويعلمهم وهم فى مرحلة التكوين كيف يكون الخلق الكريم وكيف تتوافر المبادئ الكفيلة بإنشاء مجتمع صالح تتمثل فيه الأمة المصرية فى أكرم وضع قومى .

وفى سبيل هـذه الأهداف رضيت الأمة عن طيب خاطرها بالإنفاق فى سخاء على الجامعة ، وإفساح المجال لها فى كل ناحية تتصل بالثقافة والإنتاج ، ومن بينها كلية الآداب .

وها نحن أولاء فى مرتقب عزتنا القومية ، وفى أعقاب ثورة رشيدة قامت فى وجه الفساد ، وأقامت نهضتها الحديثة على أنقاض العهد الماضى ، نرى مثالب التربية الاستعمارية ، ومفاتن الغرب التى سئمناها ونبذناها تعود فتستفحل بيننا فى غير حياء ،

وتبجح فى غير تريث ، ولا اكتراث بالمبادئ التى يفصح عنها الدستور ، وينادى بها فى مسامع الأفراد والهيئات ، ويخفق بها علم النهضة على مشارق الوطن .

نرى كلية الآداب من حين إلى حين تطالعنا بما لم نكن نرضاه يوم كان الفساد متغلغلا دون أن يكفها عن ذلك توجيه من ذوى السلطة ، ودون أن تقيم وزنا للأوضاع التى ترتضيها الأمة ، وتنأى عما لا ترتضيه .

فى العام الماضى جهر نفر من أساتذة الآداب بفكرة الوجودية ، وإنكار الإله والتنصل من الإيمان بوجوده ، وتبلبلت أفكار الشباب البسطاء فترة من الزمن ، ثم كانت مسابقة الجمال فى السيقان بين أساتذة الآداب مما أثار امتعاض الجمهور لهذه المهزلة ولهذا التخنث الذى يبدو بين الأساتذة ويذاع بين أبنائنا فى الجامعة .

وفى هذا العام بل فى هذا الشهر (ديسمبر سنة ١٩٥٧) تعلن كلية الآداب عن مسابقة فى الرقص والغناء بين أبنائنا وبناتنا فى الحرم الجامعى ، وهذه طامة لا تحتمل ، ويزيدها وبالا على وبال أن تكون الجائزة للفائزين فى هذه الميوعة منحهم المجانية على حساب الأمة .

وقد يكون فى الجامعة من هم أولى بالمجانية لنبوغهم فى العلم ، وحاجتهم إلى المال ومهما يكن ، فان إنفاق المال فى سبيل الغواية عمل لا تستسيغه مصلحة الشعب ، ولا يعد عملا جديا مسموحا به فى ربوع العلم ، ولا يجوز مطلقا أن تحول ربوع العلم إلى كابريهات للرقص

نكتب هذا ونحن فى لوعة من الأسى لذيوع الإباحية قديما وحديثا من كلية الآداب ، فما عسى أن يكون شأنها فى توجيه الجيل الجديد إذا ترك لها أن تجترح كل يوم ما تراه تجديدا ، وتزعمه ثقافة ، وهى تحارب به الآداب وتخرج به عن كل مسلك رشيد ؟ ؟

سيقولون عنا ما يرضيهم من سخرية ، وسيزعمون أننا فى عزلة عن الحياة ، وفى جهالة بمسالك التربية الحديثة .

ونحن لا نرى فى تحاملهم شيئا من الرشد ، ولا فى غوايتهم أمنا على الناشئة من أبنائنا ولا أمانة فى التربية والتعليم .

وجريرة هذا كله تقع على من يبتدعه ، وعلى من لا يكفه بسلطانه ، وعلى من لا ينكره بيده وقلبه ولسانه ، وقد فعلنا فهل من مجيب ؟ ؟ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق العلامة الشيخ أحمد شاكر - الجزء الرابع - ٢٧٥ ص - دار المعارف بمصر

تقدم لنا التعريف بثلاثة أجزاء من هذا الكتاب . وقد صدر فى هذا الشهر الجزء الرابع منه ، وأوله الآية ١٢٧ من سورة النساء « ويستفتونك فى النساء ، قل الله يفتيكم فيهن » وينتهى الجزء بالآية ١٢٠ من سورة المائدة « لله ملك السموات والأرض وما فيهن »

وفى هذا الجزء (ص ٢٢٥) من نفائس التعليقات تصحيح فقرة منسوبة لمالك فى قتل المحرم الغراب ومعارضتها بما صح عن مالك فى الموطأ . وفى ص ٢٣٨ - ٢٤٠ تفسير لثلاث آيات من سورة المائدة (٩٧ - ٩٩) سها الحافظ ابن كثير عن كتابة تفسيرها . وفى ص ٢٥٩ التنبيه على كلام دسه أحد أعداء الإسلام فوقع فى حبائله أبو الهذيل الأودى إذ زعم ذلك الدساس أن نبى الله عيسى بن مريم كان يقرأ سورة تبارك وسورة تنزيل السجدة ، ليوهم أن فى القرآن مالم ينزل ابتداء على خاتم النبيين صلوات الله عليه . وفى ص ٢٦٢ تحقيق فى خبر المائدة ونزولها على بنى إسرائيل وإن لم تذكر فى كتبهم ، وأن عدم ذكرها فى كتبهم لا يقتضى تأويلها كما فعل بعض المفسرين . وفى ص ٣١ تحقيق فى توهين قصة رواها المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى آية « وما قتلوه وما صلبوه » ويرى الشيخ أحمد شاكر أنها من أوهام المنهال لأنها ليس عليها ضوء كلام ذلك العصر الزاهر بل لا تكاد ترتفع إلى مرتبة الاسرائيليات . وفى ص ٨٦ بيان أن المنسوبين الآن للكتابيين من ملاحدة اليهود والنصارى فى أوربا وأمريكا قد خرجوا من كل دين فلا يجوز إن يسموا بأهل الكتاب . وفى ص ٨٧ كلام على الإحصان والمحصنات وما ينزع إليه أهل الفجور من حملة الأقلام بتسمية

الإحصان «كبتا» وتسمية الحض عليه تخلفا ورجعية . وفى ص ١٤٦ – ١٤٧ بيان أن أحكام الحدود هى من صميم العقيدة ، وأن تعطيل الاستعمار العمل بها قد أشاع الإجرام فى الأوطان الإسلامية حتى غصت السجون بالناس . ولو أعلن العمل بها لكانت الهيبة منها رادعة عن ارتكاب الجرائم كما هو واقع فى البلاد الإسلامية التى تقام فيها الحدود. وفى ص ١٥٥ – ١٥٨ مناظرة بين أبى مجلز السدوسى التابعى وبين جماعة من قومه يذهبون مذهب الإباضية عن بعض الحكام الذين كانوا يخالفون أحكام الشرع ولا يحكمون بها فذهب ابن مجلز إلى أنهم عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا ، ولا يعدون كافرين أو فاسقين . وقد احتج بعضهم بقول أبى مجلز للذين يبطلون العمل بالشرع ويعملون بشىء آخر يخالفه كشريعة الياسق التى سنها جنكزخان لخلفائه . وقد رد الأستاذ محمود شاكر على ذلك وقال إن هذا لا ينطبق على ما ذكره أبو مجلز . وفى ص ١٧٣ – ١٧٤ بيان لحكم العمل بنظام الياسق وما هو فى حكمه، وكلام على الياسق القديم والياسق العصرى. وفى ص١٦٥ – ١٦٨ كلام على آية «وأن احكم بينهم بما أنزل الله» وأنها قد رفعت التخيير فى آية «فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» وقد نقل النص بذلك عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله . والكتاب ملىء بأمثال هذه التحقيقات النفيسة .

آداب الزفاف فى السنة المطهرة

للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى – ٢٠٨ ص – مطبعة دار الفكر الإسلامى بدمشق

مؤلف هذا الكتاب من أفذاذ المشتغلين بعلم السنة فى العالم الإسلامى ، وله فيها مؤلفات هى فى موضع التقدير من علماء هذا الشأن . وقد سبق لنا التنويه بفضله ، والتعريف ببعض كتبه . ورسالة «آداب الزفاف فى السنة المطهرة» طبعت الآن للمرة الثانية بزيادات كثيرة عن الطبعة الأولى، وقد كتب مقدمتها رئيس تحرير هذه المجلة، وقد جمعت الرسالة أهم ما ورد فى السنة المحمدية عن الزفاف والزواج وآدابها وأحكامها والتنبيه على البدع التى وقع فيها المسلمون فى هذه الناحية من حياة مجتمعهم، وفيه من الوصايا للزوجين ما يحسن بجميع البيوت الإسلامية أن تنتفع به وترجع به إلى آداب دينها وسنة نبيها لتعود رحمة الله إلى بيوتنا ونتمتع برضاه عز وجل عنا فى الدنيا والآخرة .

العمل والعمال فى نظر الاسلام

للأستاذ عطية صقر بمراقبة الثقافة بالأزهر — الطبعة الثانية — ص ١٠٣

للعمل مكانة عظمى فى التشريع الإسلامى ، بل هو الطريق إلى مرضاة الله لمن حسن عمله ، وإلى سخط الله على من ساء عمله . والعمل الحسن مع النية السليمة لون من ألوان العبادة فى الإسلام ، والعمل السيء فى كل ما يتصل به صاحبه بالخلق والخالق هو مدرجة الانزلاق إلى النار ، وكما أن الإحسان فى العمل — فى أى نوع من أنواع العمل — مما يرفع من مستوى الأوطان ، فانه يرفع كذلك منزلة الإنسان عند الرب الديان . والإساءة فى العمل — أى نوع من أنواع العمل — يحط من قدر المجتمع فى الدنيا ويزيد فى عدد أهل النار فى الآخرة . وهذه الرسالة من أنفس ما كتب عن العمل والعمال فى نظر الإسلام ، وهى حافلة بالنصوص والشواهد والمثل من سيرة العاملين والعاملات فى تاريخ الإسلام . وحبذا لو اتخذ رجال الوعظ من هذه النصوص وسيلة للتوسع فى موضوعات الوعظ وإشاعتها فى طبقات العمال ، فان هذه الناحية إحدى نواحى الضعف فى حياتنا ويا حبذا لو تعاونا على معالجتها بما نستطيع .

قبس من الايمان

للأستاذ كمال أحمد عون — ٧٦ ص — مطبعة الشعراوى بطنطا

مؤلف هذه الرسالة من أفاضل العلماء المدرسين بمعهد طنطا الثانوى ، وقد سبق له التأليف فى موضوع المرأة فى الإسلام فأحسن فيه الإحسان كله . ورسالته هذه يحاسب فيها الملاحدة والوجوديين ، ويحاول فيها أن يزيل حيرة الشباب فيما هم معرضون له فى المحنة الفكرية الواقعة الآن بعد أن أفسد علينا الاستعمار مناهج التثقيف فى العالم الإسلامى وسنحتاج إلى كثير من جهاد أمثال المؤلف لإزالة الحيرة عمن يريد الله لهم الخير من شباب الأمة . وقد سلك لذلك فى رسالته مسلكين : أحدهما قبس من الإيمان ببيان ما تدل عليه الآية : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون » . ثم سلك المسلك الآخر بمناقشة علمية لآراء الخاطئين وشبهات الملحدين فى القديم والحديث . وكان موفقا فيهما ولله الحمد . فنرجو الله أن يحسن ثوابه ، وأن ينفع أبناءنا الشباب بما أراده لهم من خير .

الأدب والعلوم

عيد العلم

احتفل يوم ٢٠ جمادى الأولى (١٢ ديسمبر) بعيد العلم فى جميع أنحاء الجمهورية المصرية ، وانتهزت مصر هذه الفرصة لإحياء ذكرى العلامة على مبارك أول وزير مصرى للتربية والتعليم . ووزعت الجوائز على الفائزين بها من أصحاب الإنتاج العلمى والأدبى ، كما وزعت الجوائز على أوائل الشهادات العامة والمتفوقين فى الامتحانات . وفى المساء وزعت جوائز الفائزين فى برنامج أوائل الطلبة . وبلغ عدد الجوائز التى وزعت على الطلبة والأساتذة وأولياء الأمور ١١٢٥١ جائزة ، منها ٣٠٠٠ تشجيعية نقدية ، و ٧٠٠ من الميداليات ، و ٢٥٠٠ جائزة من الكتب الثقافية ، و ١٣٠٠ جائزة من الشارات ، وجوائز أخرى عينية .

فائزو الأقطار الشقيقة

فى عيد العلم

استقبل وزير التربية والتعليم ٣٣ طالبا من مختلف المراحل التعليمية فى مدارس غزة وفلسطين والمغرب وسوريا ولبنان والسودان والبحرين ، وقد حضروا إلى مصر لتسلم جوائز الامتياز فى عيد العلم وقد رحب بهم الوزير وقال لهم : إنكم فى بلدكم مصر ، وبين أهلكم وعشيرتكم ، وأهنئكم واحدا واحدا ، وأرجو لكم اطراد الفوز والتفوق وأن تكونوا قدوة لإخوانكم .

مؤتمر الأدباء الثالث

انعقد مؤتمر الأدباء الثالث فى القاهرة ، واشتركت فيه وفود الأوطان العربية ، واتخذ المؤتمر توصيات أهمها :

حماية الملكية الأدبية .

رعاية حركة الترجمة .

تعميم العربية الفصحى فى مراحل التدريس

العناية بالتراث الشعرى ، ونشر مجموعات ممتازة منه .

تأليف جمعيات أدبية فى كل وطن عربى

تخصيص جائزة للإنتاج الأدبى الذى يهدف إلى خدمة القومية العربية .

ومما يذكر أن بعض المبشرين نزعات غريبة مما يبثه الاستعمار فى مدارسه ومعاهده

تعرض للدين بما استنكره جميع العقلاء من أعضاء المؤتمر ، فانتهز الأستاذ السيد سعيد العريان الفرصة المناسبة وتكلم فى هذا الموضوع بكلام حكيم كان له أجمل الوقع فى نفوس الوفود الأدبية من مختلف الأقطار.

وقد دعا الأمير عبد الله سالم الصباح المؤتمر لعقد دورته الرابعة فى الكويت .

التدريب المهنى
فى التعليم الثانوى والإعدادى

تقرر تعديل مناهج التعليم الثانوى والإعدادى العام ابتداء من العام الدراسى القادم ، وستعد مناهج دراسية جديدة يدخل فيها التدريب المهنى لجميع الطلبة ، فيتدربون على الأعمال الفنية العملية : التجارية ، والزراعية ، والصناعية ، وعلى الأعمال النسوية فى مدارس البنات . وستعد هذه المواد أساسية فى تدريسها للطلبة فى المرحلتين ، وسيختار كل طالب المادة التى تناسبه للتدريب عليها حتى يمكن مواجهة الحياة العملية الفنية بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية العامة ، لئلا يعلق آماله بالالتحاق بوظائف الحكومة التى ضاق نطاقها بقدر ما اتسع نطاق التعليم العام .

كوكب شمسى جديد

اكتشف الفلكيون فى مرصد (تزوشين شان) القريب من نانكين كوكبا شمسيا صغيرا خارج نطاق مدار الأرض ، ويدور هذا الكوكب حول الشمس فى مدار يقل معدل نصف قطره عن ضعف المسافة بين الأرض والشمس .

متحف للقضايا الكبرى

يتجه التفكير إلى إنشاء متحف فى دار القضاء العالى يضم القضايا المهمة ، والقضايا السياسية القديمة التى كان لها تأثير كبير فى الرأى العام . لأن المتبع حتى الآن أن تتلف ملفات القضايا المنتهية بعد مرور خمس عشرة سنة عليها بالأكثر لتعذر حفظ مئات الألوف من الملفات التى تضيق بها الأمكنة ولا ينتفع بها فى شئ . أما القضايا ذات الشأن كقضية مقتل بطرس غالى ، والاعتداء على سعد زغلول ، وإسماعيل صدقى ، ومقتل أمين عثمان ، والنقراشى ، وأحمد ماهر ، وقضية الأسلحة الفاسدة ، وبعض القضايا الشيوعية ، فيجب أن تظل محفوظة للتاريخ وللرجوع إليها عند اللزوم .

ومما يذكر أنه لم يعثر على ملفات قضية دنشواى ، وقضية الاعتداء على السلطان حسين ، فلا بد أن تكون هنالك يد قوية أمرت بنقل هذه الملفات من مظان وجودها .

أنباء العالم الإسلامي

العيد الفضي
لقوات مصر الجوية

احتفلت مصر يوم ٢٨ جمادى الأولى (٢٠ ديسمبر) بمرور ٢٥ عاما على بداية إنشاء القوات الجوية المصرية ، وقد وصفنا فى ص ٥٣١ من هذا الجزء ما كانت عليه نواة القوة الجوية المصرية عند إنشائها ، وما صارت إليه عند قيام الثورة ، إلى أن أصبحت الآن فى الذروة العليا بين القوات الجوية فى الشرق الأوسط . وفى يوم الاحتفال بهذه الذكرى خرجت أسراب عديدة من طائرات القتال (الميج) وقاذفات القنابل (الأليوشن) من قواعدها وأخذت تحلق فى سماء مصر كلها .

كانت المجموعات تطير فى تشكيلات جميلة منتظمة ، ولا تكاد تمرق إحداها بسرعة خاطفة فى السماء حتى تعقبها مجموعة أخرى ، وظل أزيز الطائرات وهدير محركاتها النفاثة مسموعا ساعات طويلة من يوم الاحتفال ، وكانت تلق أعلاما تذكارية فى أمهات المدن : القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والاسماعيلية والسويس وبنها وطنطا والمحلة الكبرى والمنصورة وكفر الزيات ودمياط وميت غمر والزقازيق ودمنهور وكفر الدوار والواسطى وبنى سويف والمنيا وأسيوط .

الأزهر
يدعو إلى وقف التجارب الذرية

أصدرت مشيخة الأزهر بيانا باللغتين العربية والانجليزية حذرت فيه حكام الشعوب ، والهيئات العالمية ، والمنظمات الدولية ، من التسابق ـ فى الصراع القائم ـ إلى تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية وإطلاق الصواريخ وسفن الفضاء ، ودعت العلماء والباحثين إلى التنقيب والكشف عما خلق الله فى الآفاق وما أودعه باطن الأرض وأعماق البحار وتوجيهه لنفع الناس وإسعاد معيشتهم . وطالب بانقاذ البشرية مما يساورها فى هذه الأيام من قلق ، وما يحيط بها من ذعر وحيرة ، وتأمين الإنسانية من المهالك وتوفير الاستقرار والأمن والسلام للشعوب جميعا .

ملك المغرب
يتكلم فى الأمم المتحدة عن الجزائر

ألقى الملك محمد الخامس ملك المغرب

خطابا فى جلسة خاصة عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٧ جمادى الأولى (٩ ديسمبر) دعا فيها لإجراء مفاوضات بين فرنسا والجزائر لحسم النزاع القائم بينهما على أساس الاعتراف بحرية الجزائريين وحقهم فى تقرير المصير، وقال : إن الأهداف التى يتوخاها المغرب هى نفس الأهداف التى تعمل الأمم المتحدة لتحقيقها والتى تقوم على أساس الدعوة لإجراء المفاوضات بغية حل المشكلات بروح عصرية على قدم المساواة ، فان العالم يعيش فى عصر لا تستطيع فيه دولة أن تبقى بمعزل عن الدول الأخرى ، فينبغى للجميع أن يتعاونوا .

المؤتمر التعاونى الثالث

عقد المؤتمر التعاونى العام للجمهورية المصرية دورته الثالثة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، وبلغ عدد الحاضرين خمسة عشر ألف مواطن، وبعد أن ألقى السيد وزير الشئون الاجتماعية كلمة الافتتاح بصفته رئيسا للمؤتمر نهض الرئيس جمال عبد الناصر فارتجل خطابه التاريخى الذى نوهنا فى افتتاحية هذا الجزء من المجلة بكثير من نواحى التوجيه التى اشتمل عليها والتى كانت موضع اهتمام الأوطان العربية والبلاد الأجنبية .

الطلاق فى مجلس الأمة

تقدم النائب حسين الجعرانى إلى مجلس الأمة باقتراح مشروع قانون يقضى بتقييد الطلاق وتعويض المطلقة الفقيرة ، فرأت لجنة الاقتراحات والعرائض رفض هذا الاقتراح بالإجماع . ولما أخذ رأى المجلس فى ذلك وافق على الرفض برفع الأيدى ثم بالتصفيق .

والنائب الجعرانى هو صاحب الاقتراح بإعادة البغاء الرسمى ، الذى فتحت إحدى الصحف صدرها لتشجيعه قبل عرضه على مجلس الأمة ، فاستنكر المجلس ذلك . وقد سبق لنا الإشارة إلى الاقتراح الأول فى جزء صفر من هذه السنة ص ١٨٨ .

المعادن المصرية

يواصل الدكتور منـدور المدير السابق لمرصد حلوان عمله لإنجاز خرط توزيع الجاذبية الأرضية فى شتى أنحاء الجمهورية المصريه ، وبمعونة هذه الخرط التى تحدد الجاذبية الأرضية فى كل بقعة يتيسر الكشف عن مواطن الثروة المخبوءة فى جوف الأرض بواسطة الأجهزة الحديثة الشديدة الحساسية للمعادن والزيوت وغيرها . وعند إنجاز هذه الخرط ومقارنتها بالبحوث الفنية الخاصة بمسح الأراضى بأجهزة مخصوصة ينتظر أن نعرف الكثير مما تحويه أرض مصر من المعادن .

الفهرس



الرئيسان العظيمان بطلا الوحدة العربية السيد شكرى القوتلى والسيد جمال عبد الناصر وبجوارهما السيد صبرى العسلى وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر أثناء تأديتهم صلاة الجمعة بالجامع الأزهر .

(بمناسبة اعلان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة)

حكم الصور العارية

فى الشريعة الاسلامية

حكم الصور العارية
فى الشريعة الاسلامية

كثر الحديث فى هذه الأيام عن الصور العارية ، والشكايات الصارخة بسبب عرضها للبيع . وما قرره بعض الناس من عدم اعتبار بيعها مخلا بالآداب ، وأن فيها سموا بالذوق وتنمية للوعى الفنى الجميـل .

وهذه الحادثة ليست بنت اليوم فلها ماض سابق ، وليس أمر الصور الفاتنة مقصورا على ما يعرضه الباعة المتجولون ، فلذلك أشباه ونظائر فى الإعلانات ، واللوحات ، وفى الأفلام المليئة بالمواقف الغرامية ، والأوضاع المثيرة ، وفى الشوارع والحدائق العـامة والمصايف التى تغص فى كثير من فصول السنة بالطبيعة الحيـة التى ضج منها كل ذى غيرة على الشرف والفضيلة ، بل إن المراقص ودور اللهو فى سهراتها وحفلاتها ، والاستعراضات التى تقام لمناسبات متعددة ، تشهد ما هو أشد وأقبح وأشنع من مجرد عرض المفاتن أمام الأنظار ، من صور عارية وغير عارية .

وأمثال هـذه المخازى قال فيها الدين قوله ، وجهر العلماء والمصلحون برأيهم فيهـا ، بمـا يذيعون من خطب ومحاضرات ، وما ينشرون من كتب ومقالات . وحذروا الناس من مغبتها وأثرها السيئ فى الأخلاق ، وضررها على الفرد والأسرة والمجتمع كله ، وأهابوا بالجميع أن يتعاونوا على صد هذا التيار الجارف المخيف .

لقد بين الدين مايجب التزامه على كل من الرجل والمرأة حيال الآخر ، فيما يرجع إلى المعانى التى من شأنها إثارة الغرائز الجنسية بين الرجال والنساء غير الحلائل ، وأوجب كمال الاحتياط فى هذا الأمر بتجنب كل مايؤدى إلى إثارة هذه الغرائز ، صيانة للشرف وحماية للأخلاق ، حتى لا يتردى الناس فى مهاوى الفجور والفاحشة ، وحتى تحفظ الأعراض والأنساب .

أمر الإسلام بستر العورات والغض من الأبصار ، وحذر من الخلوة المريبة والخضوع بالقول اللين وعن كل مايثير الفتنة ، ويوقع فى شرك المعصية ، والنصوص والآثار فى ذلك

كثيرة يكفي منها قول الله سبحانه : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ،ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، أو آبائهن، أو آباء بعولتهن، أو أبنائهن، أو أبناء بعولتهن، أو إخوانهن، أو بني إخوانهن، أو بني أخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت أيمانهن، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ونقصد من هذه الآيات إلى قوله سبحانه : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » فانه نهى للمرأة أن تضرب برجلها في مشيتها مثلا حتى يسمع الرجال الأجانب صوت خلاخيلها ، وزين زينتها ولو كانت خلف ستار بحيث لا يراها أحد من الرجال ، فان ذلك يحرك في قلب الرجل دواعي الشر ويجره إلى الفتنة .

حرام على المرأة أن تصنع هذا الصنيع ، وحرام على من يلي أمرها من أب أو زوج أو غيرهما أن يغفل أمرها في ذلك ، وألا يوجهها فيه الوجهة الصالحة التي تطلبها الشريعة الحفيظة على الآداب وشرف الأخلاق .

وإذا كان حراما أن يضرب النساء بأرجلهن ليسمع صوت خلاخيلهن، وزين زينتهن ولو في غير مرأى من الرجال، لما في ذلك من إثارة أسباب الفتنة وتحريك دواعي الفجور، فكيف يكون الحال في نشر صور النساء العاريات، وبيعها علانية في الشوارع والأسواق.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عن محاسن المرأة إلى رجل أجنبي عنها ، حتى لا يفتن بها، وحتى لا يكون في ذلك إفشاء الأسرار، التي يحرص ذوو الشمم والمروءة على كتمانها ، وحتى يحافظ على مراعاة الذوق العام الذي يأبى التحدث في هـذه الأمور ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها». متفق عليه من حديث ابن مسعود، ويقول : «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي اليه ثم ينشر سرها»، « مسلم عن أبي سعيد الخدري» . فاذا كان مجرد التحدث عن صفات المرأة منهيا عنه، فما بالك بالصور العارية التي هي أقوى من القول ، وأشد تأثيرا وانتها كا للحرمات ، وامتهانا للمروءة وآداب الإسلام .

حكم الصور العارية فى الشريعة الإسلامية

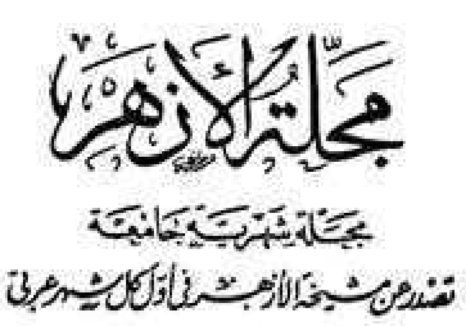
إن المصلحين يضجون بالشكوى، وينادون بالعمل والتكاتف على صد تيارات هذا الفساد والتحلل الخلقى، الذى جره علينا الاستعمار والتقليد الأعمى لعادات الغربيين، الذين يحرصون على هدم صرح الخلق والدين .

ومن المؤسف المخجل أن تعارض دعوة الإصلاح دعوة أخرى هدامة، يحمل لواءها من كان يظن فيهم أن يكونوا عونا للمصلحين على القضاء على هذا الوباء، هؤلاء يزعمون أن فى الصور العارية ترقية للوعى الفنى وتقوية لأحاسيس الجمال، وانطلاقا من القيود الثقيلة التى كان يفرضها علينا الماضى بعقليته وتقاليده الرجعية القديمة، ويقال لهؤلاء : إن الإسلام بتعاليمه وآدابه، يسمو بالذوق ويكبر أحاسيس الجمال، ويفسح المجال للفنون والآداب الرفيعة، كى تؤدى رسالتها فى خدمة المجتمع .

ولكن ليس معنى هذا أن تطلق الغرائز والشهوات، فتضرب فى كل واد وتتخطى كل حد، فان كل حرية فى العالم محدودة ومقيدة بما لايضر الغير، ويؤثر على المصلحة العامة، وإذا كانت هذه الصور تخدم الفن من ناحية، فان آثارها السيئة على الأخلاق لا تدع مجالا للشك فى خطورتها، ووجوب العمل على منعها، ومما اتفق عليه المفكرون والمصلحون، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن ما زاد ضرره على نفعه يجب منعه، سدا للذريعة وإبقاء على مصلحة المجموع .

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤





الجزء السابع ـ القاهرة فى غرة رجب ١٣٧٧ ـ ٢١ يناير ١٩٥٨ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

نقطة تحول فى تاريخنا

كنا ـ تحت النظام الذى عشنا فيه على عهد فاروق وأسلافه ـ نزعم لأنفسنا أننا أمة، وكنا فى الواقع أشتاتا ...

كنا نحاول أن نظهر للناس بمظهر الجماعة، ونحن فى الحقيقة أفراد ...

كان الواحد منا يعيش لنفسه ولو على حساب الجماعة، وينشد الكسب والمصلحة لكيانه الفردى، فى خلسة عن كيان الأمة التى هو منها ...

كنا مجموعة أفراد تعد فى جداول الإحصاء بالملايين، لكنها تتعامل فيما بينها مجردة من روح الجماعة، وتكافل الجماعة، وتعاون الجماعة، والتجاوب الخلق بين عواطف الجماعة ...

كان الفرد منا أمة وحده، وإنما يعيش فى الأمة ليأخذ منها، لا ليتعاون معها ...

كان الفرد منا يلقى الآخر فى الطريق، فيقف ليحييه، وكلاهما يتساءل فى نفسه: أى كسب يمكننى أن أصيبه من صاحبى هذا ؟ !.

بل كنا إذا رأينا القائمين ـ بمقتضى وظائفهم ـ على شىء من مصالح الجماعة يطاردون الخارج عليها ، أو يبحثون عن الهارب من الجندية ـ مثلا ـ نشعر بالعطف على هذا الخارج أو الهارب ونتمنى له السلامة رحمة به ، وإنما كنا ننحاز إلى الرفق بالفرد الخارج على الجماعة لفقدان روح الجماعة من بيننا ، ولأننا كنا نعيش أفرادا منفصلين عن كيان الجماعة ...

كان الموظف ينير المصابيح فى غرفة مكتبه نهارا وأشعة الشمس مالئة غرفته ، وكان عداد النور ماضيا يسجل ما تستهلكه تلك الغرفة من النور لحساب شركة ليبون الفرنسية يومئذ فتتقاضاه فى آخر الشهر من خزينة الدولة . ولولا فقدان روح الجماعة من مجتمعنا ما كان إيراد شركة ليبون يزيد فى كل شهر من مال الخزانة العامة بقدر ما كانت تسجله عدادات النور نهارا فى مئات المصالح التابعة لوزارات الدولة .

وكان القائمون على مصلحة الجماعة يزينون الشوارع والطرق بالأشجار اللطيفة ، عاملين بمقتضى وظائفهم ، فتمتد إليها أيدى الشباب الناشئ بالكسر والقلع والأذى !

وكانت المظاهرات تقوم باسم الوطنية ، ويكون من مظاهر نشاطها تحطيم مصابيح الشوارع ، والاعتداء على ما تصل إليه الأيدى من المرافق العامة ...

ومرد ذلك كله إلى أن النظام القائم فى ذلك الحين كان يمكن لأفراد من أهل الثروة والملك وذوى السلطان الأعلى أن يكون لهم كل شىء ، ويحول بين الملايين من الناس و بين أن يكون لهم أى شىء ... فكانت حياتنا الفردية فى جماهير الأمة رد فعل لحياة الأثرة الفردية التى كان يقوم عليها نظامنا الاجتماعى ـ بل الانفرادى ـ تحت سلطان أسرة محمد على .

وكان الأذكياء من المثقفين والأميين ، ومن الموظفين والتجار والمزارعين وأرباب الصناعات وسائر الناس ، يرون بأعينهم مظاهر الأثرة الفردية فى الكبراء وذوى السلطان ، فيكون لهم من ذلك أسوة سيئة فى يقظة روح الجشع وحب الاستئثار ، ويستعملون ذكاءهم فى أن يعيش الواحد منهم لنفسه ، وأن يكون أمة وحده . ولذلك كان فى تجار المحاصيل والأغذية والأكسية وسائر الحاجيات من يجتهد فى أن يكون محتكرا لما يستطيع أن يحتكره ، أو فى الأقل متعاونا مع المحتكرين . والذى لا يستطيع أن يصيب الثراء الفاحش من طريق الحلال لا يتورع عن أن ينشده من غير الحلال ، وهكذا كنا مجموعة ملايين من الأفراد الفاقدين روح الجماعة ، ونزعم لأنفسنا أننا أمة ، وكنا فى الواقع أشتاتا ...

ثم قامت الثورة . . .

وكانت ثورة على رواسب الشرور كلها ، ومن شر هـذه الرواسب أننا كنا كالجيش لا قيادة له ، فكل فرد فى الجيش يقاتل لحساب نفسه ، وكان روح الجماعة ، وهدف الجماعة ، ونظام الجماعة ، مفقودا من مجتمعنا . وكان ينبغى لنا أن نضع حدا لذلك لنستأنف جهادنا فى الحياة مجتمعين ، متعاونين ، نقيم لنا هدفا واحدا تحت قيادة موحدة ، لنكون أمة فى الواقع ، ولتكون جهود هذه الأمة منسجمة يعم خيرها كل من ينتظم فى سلكها . وهذا أول ما حاولته الثورة ، وكان عملا عظيما حقا .

ولأجل أن تعالج مرضا ينبغى لك أن تشخص أعراضه ، وأن تحصر أسبابه ، وأن تستأصل تلك الأسباب . وكان مما لا يختلف فيه طبيبان من أطباء المجتمع أن السبب الأول لحياتنا الفردية استئثار الأقوياء من ذوى السلطان بينابيع الثروة والرزق فى البلد ، وأول ما يعالج به مرض الفردية بتر جذور المستأثرين ، وإباحة أسباب الرزق الحلال لكل من يطلب الرزق الحلال ، فيكثر سواد العاملين منهم ، وتضمحل أسباب الحياة الفردية ولو بالتدريج ، ثم يذوق الناس لذة التعاون ، ويرتد إليهم روح الجماعة ونظام حياتها .

هذا هو معنى الإصلاح الزراعى .

هذا هو معنى المادة السادسة عشرة من الدستور : « تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » .

هـذا هو معنى سياسة التصنيع ، والعزم على إنشاء الصناعات الكبرى لتستوعب الأيدى العاملة وتجندها فى ميادين العمل والكسب لأفرادها وللكيان الاجتماعى .

ولتحقيق هـذا المعنى تعمل الدولة فى مجال العمل الوطنى والدولى لإقامة السد العالى بين يدى النيل الأعظم ، فتعود لمصر مكانتها تحت الشمس .

هذه أعمال اقتصادية فى الظاهر ، وأنا أراها أعمالا للأخلاق والفضائل فى الحقيقة . والأخلاق والفضائل من روح الدين .

الغنى من طريق الأثرة طغيان ، وكاد الفقر أن يكون كفرا .

فاذا تكافأت الفرص للكسب الحلال ، وكانت الطرق إليه معبدة ومباحة لكل عامل على قدر جهوده وإخلاصه وكفايته ، شعر الناس حينئذ بلذة الحلال ، وشعروا

كذلك بثمرات التعاون ، وعلموا أن لكل عمل ثمنا على قدره ، وأن للاخلاص فى العمل وتحرى الإحسان فيه ثمنا على قدر هذا الإخلاص وهذا الإحسان ، وتحولوا بذلك - ولو بالتدريج - من الحياة الفردية إلى الحياة الاجتماعية .

بذلك يكون الناس فى نشاطهم الاقتصادى كالجيش له هدف وقيادة موحدة ، وكل فرد فيه يعمل متضامنا مع المجموع لغرض مشترك فى نظام محترم من الجميع .

إن الأنظمة الاقتصادية التى تفيد منها الطبقات كلها هى التى يتحول بها أفراد الأمة عن حياة الذئاب إلى حياة الجماعة الإنسانية المتعاونة . وهى - فى الوقت نفسه - مدرجة إلى التخلق بفضيلة التعاون ، وفضيلة التعاون درة متألقة فى نظام الإسلام .

هذه النتيجة الخلقية لهذا التحول الاقتصادى ستأتى بالتدريج ، وسيكون تحقيقها أسرع وأنجع بقدر ما يتعاون على ذلك إخواننا الهداة من وعاظ الأزهر ، مع المصلحين من رجال الاجتماع والاقتصاد ، والمربين فى فصول المدارس ، وولاة أمور الجيل الجديد فى المنازل من آباء وأمهات .

إن أبناء الجيل القائم ينبغى لهم أن يعلموا أن الزمان قد استدار ، وأن الطغاة الذين كانوا قدوة سيئة لغيرهم فى الأنانية والحياة الفردية قد زالوا إلى غير رجعة ، وأننا يجب علينا لأبنائنا من رجال الغد ونسائه أن نكون قدوة حسنة لهم فى بث روح الجماعة والتعامل بفضائل التعاون ، لينشأ النشء الجديد مؤمنا بأمته ، منسجما معها ، متعاونا مع كل من يتصل به ويتعامل معه على كل ما ييسر للجميع أسباب الحياة الهنيئة .

سنكون إن شاء الله أمة عاملة صالحة فى وقت قريب أو بعيد ، شئنا أو أبينا ، وسيكون موعد ذلك أقرب كلما كثر فينا مشخصو مرضنا الوبيل ، مرض الأنانية والحياة الفردية ، وكلما كثر الدعاة إلى معالجته والشفاء منه ، والمؤمنون بأن روح الجماعة أعون للفرد على السلامة والفوز والغنيمة من الأنانية التى يقاتل صاحبها فى ميدان الحياة منفردا بلا معين .

سنكون أمة عاملة صالحة شئنا أو أبينا ، لأن الزمان استدار ، ونحن فى نقطة تحول من تاريخنا ، وكان ذلك رأس مقاصد الثورة منذ قامت ، فلنتعاون على التعجيل بتحقيق هذا المقصد لننتقل منه إلى مقاصدنا النبيلة الأخرى .

ومن أعظم مقاصدنا النبيلة الأخرى بعث قوميتنا العربية فى المجتمع الإنسانى ، لتستأنف رسالتها العظمى فى التاريخ .

إن للقومية العربية رسالة عظمى ما زالت معطلة منذ أكثر من ألف عام ، ورسالة القومية العربية أقدم من تاريخها المكتوب . إن أكثر هذه الكتب المؤلفة فى التاريخ العربى والإسلامى ألفت بعد تعطيل رسالة القومية العربية ، وبعد أن كفت يد العروبة عن مواصلة القيام برسالتها . لقد قامت القومية العربية برسالتها مدة قرن وبعض قرن ، فأوجدت هذا العالم الإسلامى الذى نعتز به والذى يملأ أنحاء الأرض ، ونشرت لغة الضاد والآداب العربية والفضائل الإسلامية تحت كل نجم ، ويعترف لها أعداؤها بأنها قامت فى التاريخ بمعجزة عجزت عن مثلها دولة الرومان وكل دولة أخرى عرفها الناس ، والذين كتبوا التاريخ الإسلامى بعد أن كفت يد العروبة عن مواصلة القيام برسالتها كان بعضهم مخلصا فبث فى تضاعيف ما ألفه فقرات ونصوصا عن سر تلك المعجزة وعظمة أبطالها ، وكان بعضهم الآخر شعوبيا خبيثا فصور لنا أبطال تلك المعجزة بغير صورهم الحقيقية ، ودس فى سيرهم ما لم يكن منها ، فنشأنا مقصرين فى معرفة أقدار أولئك الأبطال ، ولم نعرف لهم فضل إدخالهم أسلافنا فى الإسلام ، وفضل تكوينهم كيان العروبة فى أوطانها الحاضرة . ومن حسن الحظ أن الفقرات والنصوص التى نجدها فى كتب المؤرخين المخلصين منسجمة مع سيرة أولئك الأبطال وباهر أعمالهم ، بل النصوص التى دونها عنهم الصادقون من رجال الحديث كالبخارى ومسلم ومن فى منزلتهما ، ستصحح تلك الأخطاء فى تاريخنا ، وستعين على تجريده مما دسه فيه الشعوبيون والمغرضون .

يجب علينا — لإقامة كيان القومية العربية — أن نعيد النظر فى كتب التاريخ العربى والإسلامى التى نعلمها لأبنائنا ، فان الأخطاء المدسوسة فيها حالت بين أبنائنا وبين اعتزازهم بالذين خاطبهم الله سبحانه قائلا لهم وهو أصدق القائلين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، ومن بواكير الإصلاح الواجب علينا أن نبادر إلى تجريد التاريخ العربى والإسلامى مما يعارض هذا الخطاب الإلهى ، ولا ينسجم مع المعجزة التى قام بها المخاطبون به ، وأن نعرف أبناءنا بأقدار أسلافهم العظام الذين كونوا هذا الكيان العربى وأوجدوا هذا العالم الإسلامى .

والآن فان القومية العربية تستأنف كيانها من جديد ، إنها فى أيام مولدها الثانى . إن السنة التى نحن فيها سيتم فيها إن شاء الله اتحاد مصر وسوريا تحت لواء العروبة توطئة لاتساع دائرة هذا الاتحاد، حتى يحتضن بذراعيه القويتين كل ناطق بالضاد . إنها خطوة مباركة سيكون لها ما بعدها ، وكلما خطونا خطواتنا الأخرى بعدها بسداد وحكمة وبصيرة نيرة فسيكون ذلك لخير الإنسانية كلها بحول الله وقوته . غير أن هذا العبء جسيم ، وأول ما يجب علينا لتحقيقه أن نكون من أهل العزائم السامية الذين يربأون بكيانهم القومى أن يختنق بهذه الخطوط التى أقامها الاستعمار لحدود مصطنعة فى داخل الوطن العربى الأكبر لم يصنعها الله ولم يصنعها عباده من أبناء لغة القرآن ، وإنما صنعها لهم أعداؤهم لتكون اللقمة الكبيرة مجزأة إلى أجزاء صغيرة فيسهل على العدو ازدرادها . إن دعوة الحق هذه موجهة إلى شباب العروبة فى كل مكان ليعلموا أنهم على مفترق الطرق، وفى نقطة التحول من تاريخهم . إن تاريخ العروبة يواجه الآن حادثا عظيما نصحح فيه خطأ وقعت فيه الإنسانية قبل أكثر من ألف سنة ، يوم كفت يد العروبة عن إكمال الرسالة التى هيأها الله لها . ويوم كانت للعروبة رايات ظافرة تخفق فى آفاق الدنيا البعيدة لم يكن للوطن العربى الأكبر حدود مصطنعة فى داخل أوطانه . كان العرب أمة واحدة يوم كانت ترفرف عليهم روح الجماعة، ويوم كانوا يزحفون من جميع أنحاء أوطانهم لحماية حدود وطنهم الأكبر ، وللتعاون مع دولتهم على البر والتقوى . ثم فقدت الشعوب العربية روح الجماعة بين أوطانها كما فقدت مصر روح الجماعة بين أفرادها ، فكان ذلك فرصة للشعوبية ثم للاستعمار فى أن يبيض فساد أهلهما ويفرخ فى خير البلاد وأسعدها .

وكما قامت الثورة المصرية أول ما قامت لإنقاذ مصر من رواسب الحياة الفردية بما يشاهده الناس وبما أتينا على وصف لمحات منه ، فان ثورة العروبة قائمة الآن كذلك لإنقاذ الكيان العربى من رواسب الحياة الفردية بين الأوطان العربية التى مزقها الاستعمار بالحدود المصطنعة لئلا تتجاوب قلوب العرب النابضة بالشوق الشديد إلى استئناف كيان العروبة من جديد . ومن سعادتنا نحن أبناء هذا الجيل أن يكون مولدها الثانى بمشهد منا ، وأن يتم الاتحاد بين مصر وسوريا فى عامنا هذا ، إرغاما لشيطان التفريق وحزبه ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا .

وبعد فاننا لسنا وحدنا، إن الله معنا، وما تم لنا حتى الآن من خير فانه من صنع الله، وكلما توخينا الإصلاح، وبذلنا ما في وسعنا لنكون أقوياء، فان الله يقيض لنا من عباده من يؤيدنا ويعيننا وييسر لنا مهمتنا.

أنا أراقب هذا الكيان العربي منذ كنت يافعا أيام دراستي الثانوية، وأترقب يقظته وبعثه للقيام برسالة الإسلام التي أعده الله لها من الأزل. إن نهضة العالم الإسلامي كله في انتظار يقظة العروبة لتقوده إلى المهمة الإنسانية الكبرى التي قاده إليها أبو بكر وعمر وأعوانهما على الحق والخير. ومسئولية انحراف العالم الإسلامي سيسألنا الله عنها معاشر الناطقين بالضاد قبل أن يسأل عنها أي شعب آخر من شعوب المسلمين. وسيستقيم العالم الإسلامي كله في طريق الحق يوم يعرف العرب طريقهم إلى الحق وتسير قافلتهم إلى أهدافه. وأغلب ظني أن أعداءنا يعرفون ذلك، وهم يقيمون في طريقنا من العوائق ما لم يقيموه للذين تنكروا للاسلام من قادة الحكم في بلاد إسلامية أخرى. ولكنهم إذا تنكروا لنا ليمنعونا من حمل رسالاتنا إلى الإنسانية فان الله أرحم وأكرم من أن يخذلنا في مواقف الحق والخير.

وأنا أكتب هذا بعد انتهاء مؤتمر عظيم عقد في القاهرة، واشتركت فيه ست وأربعون دولة، وكانت الوفود إليه تمثل ألفا وخمسمائة مليون من سكان آسيا وإفريقية، وهم أكثر من نصف سكان الأرض. إن اجتماع كلمة هذا العدد من البشر على ما يخالف الظلم وأهله، وإعلانهم التعاون على وضع حد لطغيان الاستعمار في فلسطين، وفي الجزائر، وفي كل مكان، يعد حادثا عظيما في تاريخ الإنسانية، وكلما ازداد تنظيم التعاون بين البشر على مثل ما قرره مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي، فانه سيسر لنا ولقوميتنا العربية المهمة التي نحن ماضون في سبيلها. ولن يحول بيننا وبين القيام برسالتنا إلا التقصير في الاستعداد لها بما يتناسب مع خطورتها من أخلاق وعزائم واضطلاع بأسباب القوة، فان القوة لتأييد الحق رأس الفضائل، وقوة السلاح لا تعد قوة كاملة مالم يكن لها عون من قوة الأخلاق والروح العالية، وهذا ما يجب على رجال الدين ورجال التعليم ورجال الإصلاح أن يوجهوا إليه كل عنايتهم، لنتخلص سريعا من جميع أسباب الضعف الخلقي والمادي، ولنعلم جميعا أن الضعف جريمة لا يغتفرها التاريخ لأصحابها.

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٧ —

الناس فى دينهم طبقات متفاوتة
والقرآن يخاطب كل طبقة بما يلائمها

« وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة : أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .

١ — سياسة القرآن تتجه إلى الناس اتجاها واحدا فى دعوتهم جميعا إلى الخير ، وصرفهم جميعا عن ملابسة الشر ، وتتجه إليهم اتجاها متفاوتا فى تقدير منازلهم ، وتخاطب كل طبقة بما يلائمها ... فأهل الإيمان والامتثال لهم حظوة عند الله ، ولهم من القرآن خطاب كريم ، وأسلوب رحيم ... وأهل العصيان عليهم سخط من الله ، ولهم من القرآن خطاب غير كريم ، وأسلوب غير رحيم .

٢ — وإذ كانت غاية الإسلام تهذيب أخلاق الناس ، وإصلاح شأنهم عامة : وجب فى حكمة الله أن تكون دعوتهم إلى الخير على غرار واحد .

وإذ كان الناس فى إقبالهم على دعوة الإسلام أتباعا لميولهم ، وشيعا فى اختيارهم وجب كذلك فى حكمة الله أن يتلطف القرآن فى قصصه وبيانه عن الفريق الإيجابى ، وأن يقسو فى هجوه وزرايته بشأن الفريق السلبى .

وهذا وضع حكيم ، وتمييز عادل بين من جنحوا إلى اليمين ، ومن انحازوا إلى الشمال .

٣ — وإنها لسنة الله لنا فى المجتمع ، نقتدى بها فى معاملة من يسالمنا فى صفاء ، ويصادقنا على الحق ، ومع من يخاصمنا فى عنت ، ويناهض الحق بالباطل ، فما ينبغى أن يسوى بين المحسن والمسىء .

٤ — هذا قبس نستمده من حديث القرآن مع محمد - صلى الله عليه وسلم - مرة فى جانب المستجيبين للدعوة ، ومرة أخرى فى شأن المناوئين لها .

ففى جانب الأولين يعلم الله نبيه كيف يتلقاهم إذا وفدوا عليه ، وكيف يشعرهم بما أحرزوا عند ربهم ، ويقول له فى ذلك : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » .

فهؤلاء نخبة من القوم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، فتحامل عليهم كفار قومهم وحاولوا أن يبعدهم النبى عن مجلسه ، ولكن الله انتصر لهم ، وعلم نبيه أن يستقبلهم بتبليغهم سلام الله إليهم ، وأن يبشرهم بأن الله كتب على نفسه الرحمة ، وأن يفسر لهم هذه الرحمة بأن من عمل منهم سوءا - بجهالة - ثم تاب من بعد عمله ، وأصلح فيما بقى من حياته « فان الله غفور رحيم » وبهذه البشرى يطمئنون على أنفسهم مما كانوا يخافونه ، ويتهللون بالوعد الكريم ، ويفرحون بأن لهم عند ربهم تلك المكانة المرضية التى لم يظفر بها من يعاديهم .

وهذا وعد الله لكل تائب من ذنبه إذا أصلح عمله بعد توبته ولم يكن متلاعبا فيها .

وعمل الذنب تمحوه التوبة مطلقا : سواء أكان عن جهالة بالحكم ، أم عن علم به ، ما دام المذنب لا يأتيه مستحلا له ، ومستبيحا لمحارم الله ودائبا على ذلك ، فان هذا كفر لا يمحوه غير الإيمان من جديد .

وذكر الجهالة - فى قوله تعالى : « من عمل منكم سوءا بجهالة » - ليس شرطا فى قبول التوبة بل ذكر لبيان الشأن فى المذنب ، أعنى أن القصد من ذكر التنبيه على أن عمل السوء من شأنه الا يكون إلا عن جهالة ثابتة ، أو جهالة اعتبارية ممن لا يذوده علمه عن مقارفة الذنب ، فيكون جاهلا حكما ، والعلم الذى لا يكف صاحبه عن التورط فى عمل السوء هو والجهل سواء .

وهذا توجيه حميد إلى أنه لا ينبغى لعالم بالحكم الدينى أن يتشبه بالجاهل فى عمل السوء ، فان ذلك التشبه نزول عن مكانة كريمة يستحقها ذو العلم : إلى مكانة وضيعة يهبط إليها الجاهل بسبب جهله .

وإلى هنا يتضح تكريم الله سبحانه للمستجيبين ، ورعايته لهم بتمييزهم على من عداهم .

ه — أما الفريق السلبي فإن القرآن يقسو عليهم ، ويحط من شأنهم ، ويلقن النبي — صلى الله عليه وسلم — كيف يشعرهم بهوان منزلتهم ، ويسخر من تمثيلهم ، وينفر من مطاوعتهم فيما يقترحون عليه .

وهنا أربعة أوامر صريحة ، يتلقاها النبي — صلى الله عليه وسلم — في نسق واحد ، وفي كل أمر منها تقريع ، وتهكم ، ومهانة لأولئك الراغبين عن هداية الله .

الأمر الأول : « قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله » ، وهذا قطع لآمالهم في مطاوعة النبي لهم وعبادته لآلهتهم التي أشركوا بها مع الله .

الأمر الثاني : « قل لا أتبع أهواءكم » وفي هذا ترفع من النبي عليه السلام عن متابعته هداهم ، وفيه تسجيل عليهم أنهم على غير بصيرة ، وإنما هم يخوضون في باطل .

ثم يزيدهم تجريحا بقوله : « قد ضللت إذا ، وما أنا من المهتدين » يعني أن مطاوعتكم ضلال ، فلا آخذ بمأخذكم حتى لا أكون مثلكم من غير المهتدين .

الأمر الثالث : « قل إني على بينة من ربي ، وكذبتم به » يعني قل يا محمد : لست صاحب فكرة أدعوكم إليها كما تدعونني ، ولست مخترع دين كما تخترعون ، بل أنا على حجة بينة من عند ربي ، وهي القرآن الذي أنزله الله ولم يجعل له عوجا وأنتم تكذبون به .

وما دمت أنا وأنتم على طرفي نقيض من الأمر فلكم دينكم ولي ديني .

الأمر الرابع : « قل : لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم » يعني : تطلبون مني أن آتيكم بعذاب عاجل ، أثبت به صدق دعوتي ، وتستعجلون الوعيد الذي أهددكم به من عند الله كما تحقق وعيد الرسل من قبل لأمم سابقة ، ولكن الله الذي أخذ كلا منهم بذنبه لم يشأ أن يعاجلهم بالهلاك ، ولم يجعل الأمر إلى اختياري ، ولا من تصرفي ، ولو كان في مقدوري لأنفذته فيكم تصديقا لوعيد الله ، وتخلصا من معارضتكم لدينه ، وبهذا كان ينتهي الأمر بيني وبينكم ، ولكن الإمهال لا يغركم ، ولا يخلف الوعيد فيكم ، فإن هذا إلى أجل مسمى عند الله « والله أعلم بالظالمين » فلن يفلت واحد من وعيده ، وإن هذا لقول فصل ، وما هو بالهزل ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

وبعد : فهذا موطن من مواطن العبرة، يساق فيه القصص الحق ، ويتناول جانب العقيدة ، والعمل ، والخلق ، وهو منهج القرآن فى تهذيب البشر ، والاتجاه بهم إلى أكرم وضع إنسانى يحمل الناس على مودة مع ربهم ، وعلى إخاء فيما بينهم ، ويكفل لكل فرد أن يكون فى نفسه راضيا ، وأن يكون آخذا بنصيبه فى حدود العدل ، وقائما بواجبه فى ظل الوفاء والإخلاص .

ولو أن الناس أرهفوا أسماعهم للقرآن كما ينبغى لطربت له نفوسهم ، ووجدوا الخير كله فى آياته ، ولأدركوا أن القرآن خير تحفة يتهيج لها القلوب، ولأصبحت دعوة النصحاء محببة إلى كل ذى وعى .

ولكن الناس استسلموا للهو الحياة ، وتهافتوا على مباهجها فى غير اتزان ، فثقلت عليهم كلمة التقوى ، ونبذوا كل موعظة ، حتى أصبح من العسير على ذوى الألباب أن يميزوا بين المسلم وغير المسلم من رجال ونساء ، إذ أصبحت المجاهرة بالتبجح شعارا سائدا ، ولم تعد الغيرة ذات سلطان على الرجل ، ولا الاحتشام حلية للمرأة فى أوساط كالذئاب ، وخيل إلى كثير من الغافلين وذوى الميوعة أن الدين والتدين من خصائص قوم دون آخرين وهؤلاء يعيشون فى جو عابث ، ولا صلة لهم بدين ينتسبون إليه ، وهذا وهن عقلى، ووباء خلق تفشى فى موجة التقاليد الزائفة التى ابتلينا بها، وروجت لها الدعاية اللادينية من أناس حملوا الأقلام الطائشة ، واستخدمتهم بالنقود جهات معادية للإسلام .

ومهما يكن من تصدع الجانب الدينى عند أناس ، أو فى هيئات : فستظل دعوة القرآن فى قوتها ، ومثابرتها على قرع الأسماع ، ومقاومة الباطل ، وهداية الناس إلى باب التوبة ، وباب التوبة مفتوح أمام ابن آدم ما دامت فيه روح . . . والله يهدينا ويجعلنا من التوابين "

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

آخر الوصايا النبوية

– ٢ –

من الأدب النبوى – باب أبى بكر – مدى الطاعة لأولى الأمر – حماية ووقاية – باب عظيم من أبواب الفضل – أجمع الوصايا – آخر الكلام النبوى .

عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : يوم الخميس ! وما يوم الخميس ؟ ! ثم بكى حتى بل دمعه الحصى ! فقلت : يابن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : ائتونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى ، فتنازعوا – وما ينبغى عند نبى تنازع – وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه ؟ قال : دعونى فالذى أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . قال : وسكت عن الثالثة ، أو قالها فأنسيتها .

(رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم [*])

(*) فى كتاب الوصية كما قدمنا فى الجزء الماضى ، وقدمنا فيه أيضا مواطن رواياته فى صحيح البخارى حيث اخترنا روايته فى جوائز الوفد من كتاب الجهاد . وآخرها « ونسيت الثالثة » من غير شك .

لما قفل النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أخـذ يضاعف اهتمامه بشئون أمته ، علاوة على شغله الشاغل بلقاء ربه : وقد أراد أن يشعرهم بقرب هذا اللقاء تمهيداً له ، وتأدباً بأدب الله عز وجل لعباده ، في إعلامهم بالبلاء قبل نزوله ، رأفة بهم ورحمة ، فجلس على المنبر يوماً فقال : إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، فبكى أبو بكر رضي الله عنه ! وكان أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد ! فقال يا أبا بكر لا تبك ! إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولـكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سـد إلا باب أبي بكر .

• • •

لم تـكن هذه الخطبة النبوية الحـكيمة مهاداً للمصاب الأعظم فحسب ، بل كانت إلى ذلك عماداً لاختيار أبي بكر ، كي يضطلع بالأمر من بعده ! فانه بما جمع الله له من المزايا التي لم يهبها لغيره ـ أقدر أصحابه على احتمال هذا العبء الجسيم وأولاهم به .

ولقـد همّ ذات يوم صلوات الله وسلامه عليه ، أن يعهد للصديق عهداً صريحاً لا مجال للجدال فيه ، ولـكنه عدل عما همّ به اكتفاء بالإشارة الواضحة في خطبته ، ولئلا يكون العهد أو الاستخلاف سنة متبعة ، تغلق باب الاجتهاد والشورى والنصح للأمة ، وتفتح عليها من أبواب الهوى والشر ما لا طاقة لها به .

• • •

فهل كان يريد صلوات الله وسلامه عليه ، أن يسجل في الـكتاب الذي دعا إليه ، ما هم به قبل ثم عدل عنه ، من خلافة أبي بكر ليس غير ، أو يضم إليه من بعده من الخلفاء على الترتيب ، إلى عهـد بعيد أو قريب ، أو يجمع إلى ذلك من مهمات الدين وأصـول السياسة ما لا يقبل اختلافاً ولا تأويلا ؟ ! فقد كان يخاف على أمته شر الاختلاف وضلال التأويل ، كما كان يخـاف عليهم أشـد الخوف فساد ذات البين ، فان فساد ذات البين هي الحالقة ! !

ومن هنا كان لا يفتأ يأمرهم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن يتولى أمرهم ويقودهم بكتاب الله تعـالى ، ولو كان عبداً حبشياً كأن رأسـه زبيبة ، ما أقام الصلاة ولم يأمر بمعصية ، فان ترك الصلاة أو أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، كما كان يوصي الولاة بالعدل

والرفق ، ويبشر من وفق منهم بأمته أن يرفق الله به ، وينذر من شق منهم على أمته أن يشق الله عليه ، ومن غش أمته ولم يتب أن يحرم الله عليه الجنة ! ! !

• • •

وأياما كان الذى يريد كتابته صلوات الله عليه ، فقد كفانا مئونته بما ترك فينا ، مما لو تمسكنا به لن نضل أبدا : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

على أنه استبدل بالكتاب الذى عدل عنه ، ثلاث وصايا تعتمد عليهن الأمة فى سلامة بنائها ، وحفظ كيانها ، ودعم قوتها ، واجتماع كلمتها :

إخراج المشركين من جزيرة العرب :

والمراد بالمشركين كل من لم يرتض الإسلام دينا ، والمراد من جزيرة العرب الحجاز خاصة ، مكة والمدينة واليمامة وما إليها .

لا جرم أن الفتنة مع المشركين أينما حلوا ، فبقاؤهم فى مهد الإسلام ، وموطنه الأول ، مما يثير عواصف الفتن ، ويهيج كوامن الإحن ، ويرجع بالوبال على المشركين أنفسهم ؛ فإخراجهم من الحجاز إذا حماية لهم ورحمة بهم ، ذلك إلى الوقاية من شر فتنتهم ، وسوء طويتهم .

ولقد شغل الصديق عن إنفاذ هذه الوصية بقتال المرتدين ومانعى الزكاة حتى أنفذها الفاروق رضى الله عنه كما أشرنا إلى ذلك فى حديث جلاء اليهود أوائل العام السابق .

وإجازة الوفد :

والإجازة العطية . وكانت جائزة الفرد على عهده صلى الله عليه وسلم أوقية من فضة ، وهى أربعون درهما . والمقصود إكرام الوافدين على البلاد الإسلامية ، وإعانتهم من بيت المال ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، كل على حسب مكانته ومنزلته ، فى غير إسراف ولا معصية . وذلك باب عظيم من أبواب الفضل والبر الذى يدعو إليه الإسلام ويحض عليه ؛ وفيه من تأليف القلوب وبشاشة النفوس ورعاية المصالح العامة ما الإسلام أحق به وأهله .

• • •

قال راوى الحديث : وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها .

وقد روى الحديث سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بجائز أن يكون كل من هؤلاء الرواة هو القائل ، والذى روى عنه هو الساكت ، وفى سنن أبى داود : قال ابن عباس : « وسكت عن الثالثة » إلخ ... إلا أن صاحب الفتح لم يذكر هـذا الوجه ، ورجح أن القائل هو سليمان ، فالساكت إذا هو سعيد ... ولا يعنينا من هذا الخلاف إلا صيغة الشك التى تنبئ بتحرى الرواة وبلوغهم الغاية القصوى فى أمانة النقل .

• • •

وبعد فماذا عسى أن تكون هذه الوصية الثالثة ؟ .

أهى إنفاذ جيش أسامة بن زيد لغزو الروم ؟ .

ويؤيده أن الصحابة لما اختلفوا فى إنفاذه على أبى بكر رضى الله عنه ، أخبرهم بأنه صلى الله عليه وسلم عهد إليه بانفاذه عند موته [١] ! .

أم هى وصاته بكتاب الله عز وجل ؟ .

ولا ريب أنها أجمع الوصايا وأعظمها ، ويدل لذلك ما قدمناه قريبا فى الجزأين : الرابع والخامس .

أم هى قوله : لا تتخذوا قبرى وثنا ؟

ويؤيده أن هذا النهى جاء فى موطأ مالك مقرونا بالنهى عن بقاء دينين بأرض العرب .

أم هى الصلاة وما ملكت أيمانكم ؟

ويؤيدها أنها آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم ، كما فى سنن أبى داود والنسائى ومسند الإمام أحمد .

• • •

لقد ثبت أن هذه الوصايا كلها كانت أواخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه وهو يودع هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، لكن خاتمتها الحقيقية لا « النسبية » هى الصلاة وما ملكت أيمانكم ، لاجرم أن فى هـذه الخاتمة من الحكم النبوية واللمحات الربانية ، ما نرجو قريبا أن نقبس بتوفيق الله ومشيئته قبسا مشرقا منه .

طه محمد الساكت

---

(١) شرحنا حديثه فى ج ٤ م ٢٤ .

الأجيال الحديثة

مسئولية المربين عنها

مساكين هذه الأجيال . استقبلوا الدنيا فى ظروف غريبة ، أكثرها فيها مزعج مقلق يزهد فيها ويرغب عنها ، استقبلوها لا على أغانى الحب ، وأناشيد السلام ، ولكن على أصوات القنابل ، وزئير المدافع ، وصليل السيوف ، وفى نار العلم التى تحرق ، لا فى نوره الذى يضىء . فقد انحرف العلم إلى المخترعات الحربية يضاعف من قواها فى الفتك والتدمير ، وجد فى ذلك حتى قطع أشواطا أشبه ما تكون بالأحلام والمعجزات ، وأصبح لا وقاية للبشرية من أخطارها وإن استعصمت ببطون الكهوف أو ذرى الجبال أو أعماق البحار ، وصار اسم الحرب معناه الفناء الشامل والخراب العام ، كما استقبل الأجيال دنياهم فى ظروف معاشية قاسية تظاهرت على قسوتها جملة من العوامل المحلية والعالمية ، وأصبحوا يعانون من ضروراتهم المعاشية ما يرهق ويضنى ، وحرم أكثرهم لذائذ العيش ولم ينعموا بما كان ينعم به السابقون من آبائهم وأجدادهم رغم مظاهر الحضارة البراقة ، وصار الحديث عن الماضى المعاشى غريبا لديهم يكادون يعدونه ضروبا من الأخيلة ، أو أنواعا من الأساطير ، ولم تستطع وسائل الترفيه الحضارى تعويضهم ما حرموا منه من رخاء وأمن واستقرار .

واستقبلوا الدنيا كذلك فى جو اجتماعى خانق سادته روح المادة وأوجد التنافس عليها نوعا من القطيعة بين الناس ، وساءت علاقات بعضهم ببعض ، وفقدت الثقة بينهم وضعفت صلات التواد والتعاطف ، وانصرف كل إلى نفسه لا يعنيه من شئون غيره شىء ولو كان ذا قربى ، وصار للرذيلة فلسفة وفلاسفة يخالونها ويعللونها ليدفعوا عن أنفسهم تهمة العيب والتقصير ، وليفروا من المسئوليات الدينية والخلقية التى تفرضها عليهم الأخوة الإنسانية ، وشاع فى الجو الاجتماعى روح التحلل الخلقى وتغيرت نظرة الناس إلى العلاقات الجنسية ، وهانت لديهم الحرمات ، وصار للشرف والمروءة معان غير ما تعنيها الأديان وترضى عنها الأوضاع الخلقية الصحيحة . وخلق التطور المفاجىء فى بعض الأمم هوة عميقة بين هذا الجيل والأجيال السابقة واختلفت نظرات كل منهم

إلى العادات والتقاليد ، فبينما تؤمن الأجيال السابقة بجدواها إذا بهـذا الجيل ينظر إليها في كثير من الشك والارتياب ، وبين تشبث كل منهما برأيه تنشأ المشكلات ، وتشتد الأزمات .

في هذا الجو العالمي الصاخب ، وفي هذه الأجواء المحلية المضطربة تنشأ الاجيال الحديثة حائرة قلقة تحوطها عوامل الخوف والانزعاج وتجرى بها سفينة الحياة في بحر لجى مصطخب الأمواج ، ينشدون الأمن والاستقرار ليذوقوا طعم الحياة حلوا لذيذا كما ذاقها آباؤهم من قبل ولـكن يخيب واقع الحياة آمالهم ويردهم أشد ما يكونون قلقا وحسرة ، فيسيرون في طرق مشتبهة المعالم لا تؤمن غايتها ولا تحمد مغبتها ، وزاد في قلق الأجيال وبلبلة خواطرهم أن تظاهرت أقلام السوء على النيل من تقاليدنا الدينية والقومية وزلزلت إيمان الشباب بها وبفائدتها في استقرار النفوس وتـكوين الشخصيات ودعم الأخلاق ، ولم تستطع تلك الاقلام الهدامة أن ترشد هؤلاء إلى ما يقوم مقام هـذه المقررات في نفوسهم ، فظل الشباب يقاسي من الحيرة والقلق وتصدر تصرفاتهم صورة لنفوسهم غير مرضية ولا مستقيمة، ويحاولون أن يجدوا من ظروفهم السابقة مايبرر تصرفاتهم ويدفع عنهم اللوم والمؤاخذة .

ولقـد أحس عقلاء العالم بمشكلة الأجيال الحاضرة من نواحيها المختلفة وبضرورة التفـكير السريع في علاجها ليردوا إليهم إيمـانهم بالحياة وبالقيم الخلقيـة التي تنظمهم بانسجام في سلك المجتمع الذي يعيشون فيه ويعملون له ، واختلفت الأنظار في علاج تلك المشكلات باختلاف أحوال الأمم وبنسـبة تفاقمها في كل شعب ، إلا أن هناك علاجا مشـتركا تقع مسئوليته على رجال الدين وعلماء الاجتماع لأن هؤلاء هم المختصون فيما نعلم بالطب لهذه المشكلات ، وإن كان ذلك لا يعني أنه ليس على غيرهم من رجال المـال والاقتصاد شيئا من المسئولية فيه فتأمين الشباب على مستقبلهم الاقتصادي له حظه في اطمئنانهم النفسي ، وفي انصرافهم إلى العمل ونشاطهم فيـه ، وتشجعهم الإمكانيات الاقتصادية على تـكوين الأسر والعيش في ظـلالها إعفاء أطهارا بمنـأى عن حياة التحلل والاستهتار .

على رجال الأخلاق في العـالم أن يتدارسوا مشاكل الشباب في الأمم المختلفة وهي متشابهة متشاكلة ، وعلى ضوء هذه الدراسات الفاحصة النافذة يصفون العلاج ويوصون الشعوب والحكومات بأخذ الشباب به والسير على نهجه، وعلى رجال الاجتماع مثل ما على

رجال الأخلاق ، وفى الدراسات الاجتماعية مجال واسع للدرس والتمحيص ، ورجال الاجتماع أشد أحساسا بهذه المشاكل وأقدر على تقصى الأسباب والملل، وقد يكونون لهذا أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء. ورجال الأديان أعظم مسئولية من أولئك جميعا وأوفر حظا من القدرة على الأخذ بيد الشباب إلى النهج السديد والطريق الرشيد ، بيدهم أن يعتمدوا على مكان الدين فى نفوس الشباب واحترامهم الفطرى لتعاليمه وخشيتهم من عواقب التفريط فيه ، وأن يستغلوا هذه المعانى فيهم ، ويبنوا على هذه الأسس ، وإنها لصالحة للبناء والتكوين ، والدين عصمة من الزلل ، ومعاذ من الخطل ، وسكن النفوس الحائرة ، ومصحح العقائد الزائفة ، والمنهج الواضح للعمل فى الحياة فى هدوء واستقرار .

وسيجد رجال الدين فى محاولاتهم عناء وعنتا وسيقطعون أشواطا طويلة قبل أن يبلغوا القصد ويصيبوا الهدف ، فقد جفا الناس الدين وصار غريبا لديهم ، وصار المتكلمون به غرباء، وأصبحوا فى حاجة إلى كثير من الصبر وسعة الصدر ، وإلى شيء من اللباقة وحسن العرض وبراعة الأسلوب ليأنس بهم الشباب ويستجيبوا لهم ويؤمنوا بهم. وعلى الحكومات قبل ذلك كله أن تضرب على أيدى السفهاء من أرباب الأقلام الضالة التى تزين إلى الشباب حياة الفوضى وتدعوهم باسم الحرية الكاذبة إلى اختبار المقررات الدينية بأنظارهم القصيرة وعقولهم الكليلة وتسوقهم إلى مهاوى الضلال ودركات الانحلال .

وإن أخذ النشء بتعاليم الدين أنجع علاج لهذه المشاكل وهى فى نفوس الصغار أشد توقيرا ، وأبقى أثرا ، وأثبت جذورا ، وتظل مدى الحياة مهيمنة على تصرفاتهم وميزانا لأعمالهم . وما اختلفت أحوال الشباب إلا من بعدما غلبت الثقافات المدنية فى الشعوب ثقافاتهم الدينية وضعف وازع الدين فى نفوسهم ، وصارت أهواؤهم وعواطفهم بواعث أعمالهم ودوافع نشاطهم .

إن مشاكل الشباب هى مشاكل الأمم فى مستقبلها القريب، فشباب اليوم رجال الغد. وسيكون بأيديهم زمام الأمور فى الشعوب ، فإن صلحوا صلحت واستقرت ونهضت ، وإن زلوا هبطت بهم إلى دركات الفوضى ومهاوى الشقاء . وليس بكثير على الحكومات أن تعبىء جهودها لتقوم من أخلاق الشباب وتصلح من شئونهم ، وكل جهد يبذل فى هذا الميدان فهو جهد محمود القصد ، نبيل الغاية ، طيب الثمرات .

أبو الوفا المراغى

حول تعـــــدد الزوجات

ثارت فى هذه الأيام زوبعـة هوجاء حول تعدد الزوجات والطلاق تهدف إلى منع التعدد وتقييد الطلاق ، وطرقت هذه الزوبعة باب مجلس الأمة ، ولكن لجنة الاقتراحات رفضت الاقتراح . وكان المنطق يقضى بأن تقف الزوبعـة عند هذا الحد ولـكن سيدة عضوا بمجلس الأمة ابت إلا أن تتزعم الحركة وتدافع عن الاقتراح دفاعها عن حق للمرأة مهضوم طال أمد استبداد الرجال به وقد كانت بعيدة عن الميدان فأما وقد صالت وجالت فى ميدان مجلس الأمة فقد مكن لها الزمان أن تسترد حقها المهضوم وتستخلصه من أيدى الظالمين . ثم حدث بعد ذلك أن تقدم مندوب تونس إلى لجنة شئون المرأة والطفل أحدى لجـان المؤتمر الأسيوى الأفريقى باقتراح يقضى بألا يجوز الزواج والطلاق إلا بأمر من القاضى ، ولا ندرى أيقدر هؤلاء خطورة موقفهم بالنسبة لموضوع يحسمه الدين السماوى الذى أنزل على محمد بن عبد الله من جميع أطرافه وبينه أوفى بيان واهتدى بهديه المسلمون من وقت نزول هذا الدين وعلى مشهد من الرسول الأمين إلى يومنا هذا وأحاطه رجال الدين بمـا يصونه وبينوا للناس أن هذا سبيل المؤمنين : « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ونريد أن نبين أن دين الإسلام الذى شرعه الله لـكافة البشر ما كان ليهـدر مصلحة المرأة فى تشريع تعـدد الزوجات وفى تشريع الطلاق وهو الذى عنى بتـكوين الأسرة الصالحة وتحديد واجبات كل فرد منها فى حال الخطبة وفى حال الزواج والمعـاشرة وفى الرضاع والفطام وفى المراهقة والشيخوخة وبعـد الموت للذكر والأنثى ، وهو الذى منح المرأة حرية الرأى والملكية والمعاملات المـالية ، وقد نادى رسول هذا الدين فى خطبته يوم عرفة فى حجة الوداع على مشهد من المسلمين من جميع بقاع الأرض « اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله » والحق أن التشريع الإسلامى قد انتشل النساء مما كن يرزحن تحته وحفظ لهن إنسانيتهن وأخذ لهن على الرجال المواثيق ، فلهن عليهم حقوق كما لهم عليهن حقوق وتساوت رءوسهن ورءوس الرجال حين قال : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

تلك إشارات ورموز لما منح الله المرأة من العناية فى التشريع الإسلامى حتى فى تشريع تعدد الزوجات وسيتبين ذلك . أما أصل الزواج فقد شرعه الله ورغب فيه رسوله لأن به يحفظ النسل وتتكون الأسر ومنها تتألف الشعوب والأمم وبذلك يتم نظام الكون ويحصل العمران ، وكل من عنده مثقال ذرة من عقل يعرف ذلك وأظن أن السيدة أمينة شكرى لا تعارض فى أصل الزواج وإنما تعارض فى تعدد الزوجات ولنا معها وقفة ، أما السيد مندوب تونس المسلمة ، فماذا يريد بقوله أن عقد الزواج لا يجوز إلا بأمر القاضى ؟ أيريد أن عقد الزواج المستوفى شروطه الشرعية إذا حصل بدون أمر القاضى يكون باطلا ؟ إن كان يريد ذلك فهذا بأخف تعبير خطأ فاحش لا يقره عليه الدين وبتعبير آخر هو خروج على الدين أو خروج من الدين . أم يريد بذلك الاستيثاق للزواج والاطمئنان على الزوجيه والأنساب وحقوق الأولاد وهذا ما يظن بمثله فليطمئن سيادته إلى أن الحكومة المصرية بارشاد رجال الدين قد احتاطت لذلك بتشريع المأذون المكلف بأن يشهد العقد ويطمئن على استيفائه شروط صحته ويحرر له ثلاث وثائق وثيقة للزوجة ووثيقة للزوج والوثيقة الثالثة للحكومة تسجل وتحفظ . فعلى مؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية أن يأخذ هذا النظام الدينى الصحيح عن حكومة مصر المسلمة .

وأما تعدد الزوجات فنريد أن نبين للناس وفى مقدمتهم السيدة عضو مجلس الأمة سرا عظيما من أسراره ربما يكون قد خفى على بعض الناس . نحن مؤمنون بأن دين الإسلام الذى هو دين الفطرة دين عام لجميع البشر كما قدمنا قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) ولقد عمر الأرض عنصر الرجال والنساء ولكن عنصر النساء أكثر أفرادا فى أقطار الأرض وإذا لاحظنا أنه يزداد كثرة بالحروب التى تفنى الكثير من الرجال وتطرد الزيادة أيضا بما ينوء به الرجال من الصناعات الثقيلة والأعمال القاسية فى المناجم والمحاجر ومنابع البترول وما يتعرضون له من مخاطر فوق متون المحيطات والبحار وتحت متونها فى الغواصات إلى غير ذلك من أهوال قد تودى بحياة كثير من الرجال كان من حكمة الحكيم العليم إن صان عنصر النساء بتشريع تعدد الزوجات ليحمى كل رجل بالزواج من يستطيع حمايته من النساء مثنى وثلاث ورباع كل على قدر استعداده فالدين كما رغب فى الزواج لحفظ النسل وتكوين الأسرة رغب فى تعدد الزوجات صيانة لعنصر النساء الذى تطرد زيادة أفراده على عنصر الرجال . والمخاطب بهذا التشريع المؤمنون ، وشأنهم إن يتقوا الله فى أنفسهم ،

وفى نسائهم ويؤدوا لكل ذى حق حقه . ولعلك قد أدركت من ذلك أن أصل التشريع يدعو إلى تعدد الزوجات عند الوثوق بالعدالة بينهن وبهذا نقول وإن المتتبع لتاريخ أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم يعرف إن كبارهم وفى مقدمتهم الخلفاء الراشدون قد عددوا الزوجات إذ أن التعدد هو الأصل فى تشريع الزواج المرغب فيه ، وقد كانوا حريصين على أفضل الحالات ، ولنتكلم على الآية التى تفيد ذلك وهى قول الله تعالى : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ــ المعنى ان خفتم الا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منهن فخافوا الله فى النساء فانكحوا منهن العدد الذى يمكنكم الوفاء بحقه مثنى وثلاث ورباع ، وهذا هو الأصل فى تشريع الزواج المرغب فيه مع توفر العدالة بين الزوجات إذ أن قلب المؤمن مطمئن بالإيمان وممتلىء بخشية الله فله ضمير حى يحاسبه إذا زلت قدمه ، وقدم فى الآية هذا الحكم لأنه كما قلنا الأصل وقوله (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) بمثابة الرخصة للعدول عن الأصل وهو التعدد أى ان خفتم عدم العدل بين الزوجات لأى سبب من الأسباب فتزوجوا واحدة (ذلك أدنى ألا تعولوا) أى الاقتصار فى الزواج على واحدة أقل درجات عدم العول والقيام بمؤن الأسرة وشئونها وقد قرئ ذلك أدنى ألا تعيلوا من أعال ويرجع ذلك للمعنى الذى ذكرناه ، والدين يدعو كل رجل أن يعول أسرة أو أسرا وأن أقل أسرة يجب أن يكون فيها زوجة وذلك أدنى الحدود فى التخلى عن إعالة غيره أو المعنى الاقتصار على زوجة واحدة أقرب من عدم الإعالة فهو أيضا أقل درجات الأعالة التى يدعو إليها الدين إذ ليس بعده إلا عدمها وذلك يشعر بأن الأفضل ما كان فيه إعالة أكثر وظهر أن الدين رغب فى تعدد الزوجات وقدمه فى الآية وجعله كالأصل وأخر عدم التعدد وجعله كالفرع وشرط فيه خوف عدم العدل بين الزوجات وفى كلتا الحالتين جعل الله القول فى توفر العدل والخوف من عدمه للمؤمن نفسه فرجع ذلك إلى قلبه العامر بالإيمان والله مطلع عليه وذلك قوله تعالى : (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) أى تزوجوا مثنى وثلاث ورباع عند اطمئنانكم إلى العدل بين الزوجات فان خفتم ألا تعدلوا ولم تطمئنوا من هذه الناحية فتزوجوا واحدة وهذا الأسلوب يشعر بأن الحكم بتعدد الزوجات عند الثقة بالعدل بينهن هو الأصل والحكم بزواج الواحدة عند خوف عدم العدل هو الفرع ، ونظير ذلك قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا أو ركبانا . فالصلاة مطلوب أداؤها تامة العدد والأركان والهيئات عند عدم الخوف

وهذا هو الأصل، فإن حصل الخوف جاز أداؤها حسبما تسمح الحال رجالا أو ركبانا وبأى كيفية من كيفيات صلاة الخوف وهذا هو الفرع والرخصة ، وقد أردنا من ذلك أن نبين أن الدين قد اهتم بالترغيب فى تعدد الزوجات ومنع ذلك عناية لا تقل عن عنايته بالترغيب فى أصل الزواج وترك تقدير ما يلائم كل شخص لضميره الخاضع لدينه وبينا أن تشريع تعدد الزوجات إنما هو لمصلحة النساء أنفسهن بحماية الرجال إياهن بالقدر الممكن كل رجل على قدر استطاعته وحسبما يأنس فى نفسه من العدل والحرص على حقوق الزوجات ويلاحظ أننا كررنا القول فى المعنى الواحد مرارا ولكن ذلك عن قصد لمزيد الإيضاح .

بقى ما قد يعرض لبعض الناس ويحتج به لمنع التعدد إذ يقول إن تعدد الزوجات حرام وممنوع عند خوف عدم العدل بنص قوله فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، وقد قال الله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء » فتأبد الحكم بمنع تعدد الزوجات وهذا خطأ يكفى لكشفه أن يكلف الشخص نفسه قراءة بقية الآية ليعلم أن الآية نزلت للتيسير على من يريد تعدد الزوجات لا لمنعه ونص الآية : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » فهذه الآية جاءت لبيان العدل الذى يجب توفره عند تعدد الزوجات وكأنه يقول إن العدل التام فى كل شىء بين الزوجات فى المعاملة والمعاشرة والقسم فى المبيت وفى المحبة والميول القلبية غير مستطاع ولا يدخل تحت قدرتكم والله تعالى لا يكلف العبد إلا بما يدخل تحت قدرته ، فالعدل بهذا المعنى لا يشترط توفره عند تعدد الزوجات وإنما المطلوب توفره عند التعدد هو العدل فى المعاملة والمعاشرة والمبيت والنفقة والكسوة وغير ذلك من مطالب الزوجية ، أما الميل القلبى فالمطلوب منه ما يتحقق به حسن الصلة مع الزوجة بحيث تشعر منه بالميل الذى يتلاءم مع نسبتها إليه وحمايته إياها بوصفها زوجه وعرضا له فلا يميل عنها كل الميل فيذرها كالمعلقة التى ليست بذات زوج ولا مطلقة ، فالآية تيسر على الزوج الراغب فى تعدد الزوجات بأنه لا يلزمه التسوية بين الزوجات فى الحب والميل القلبى ويلزمه التسوية فى النفقة والكسوة والقسم فى المبيت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته فى النفقة والقسم ويقول (اللهم إن هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى بما تملك ولا أملك) .

هذا وإن أعباء الحياة ولا سيما الحياة الزوجية قد صارت فى هذا الزمان حملا عسيرا يئن منه الرجال فصرفتهم إلا قليلا جدا عن تعدد الزوجات فلا يكاد يوجد فى المدن إلا

نادرا وقد يوجد فى الريف قليلا لتيسر أعباء الحياة هناك نوعا ما مع توفر الحاجة إلى تعدد الزوجات لتكثر الأيدى العاملة فى الحقل ، ويتعاون الأبناء مع الآباء ولكن نسبته لا تزال فى هبوط مستمر فليطمئن من كان عنده انزعاج من هـــذه الناحية إلى أن الأمر يسير بطبعه إلى ما يريد من غير تشريع يعارض تشريع الحكيم العليم . وكيف يظن عاقل أن الخير فى غيره ويبغى له قيودا تبطله مغترا بأنه إنما يأخذ من تشريع الأقوياء الناابهين ، مع أن القوة وحدها هى التى سترت مفاسده فى الظاهر ، ولكن أدنى حركة تكشف ستره وتظهر عيوبه ، فكم بيوت للزوجية استبدلت ببيوت للاخدان والخليلات ، وكم زوجات هناك تتمنى أن تشملها وزوجة أخرى معاشرة زوجية عادلة كما شرع الإسلام ، ولقد ذهب جماعة من النساء المسلمات إلى لجنة الاقتراحات بمجلس الأمة وقلن لها : لا نرضى من الرجل أن يمتنع عن تعدد الزوجات ويجمع مع زوجته الخليلات . فسمعت لقولهن اللجنة ورفضت الاقتراح مشكورة .

وإنا لنرجو مخلصين لمجلس الأمة التوفيق والنجاح ، ولذا ننصح لهم بأن يرجعوا فى كل تشريع يتصل بالدين إلى رجال الدين إذ هم أهل المعرفة والبصيرة به ، وقد أخذ الله عليهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وسيجدون عندهم من دين الله ما يزيل الإشكال ويضئ لهم طريق التشريع القويم ويهديهم الصراط المستقيم ونسأل الله لهم دوام التوفيق والسداد .

عبد الرحمن عيسى
مدير مجلة الأزهر

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعـد حجاب سفرت	أبهذا يأمر المجـــد الشرف
أســـفورا والحيا يحظره	وتقى الله وآداب السلف
ليـســت المرأة إلا درة	أيكون الدر إلا فى الصدف

أمين ناصر الدين

نحو مجتمع إسلامي :

خذوا الطريق على الرذيلة

طالعتنا الصحف أخيرا بأنباء أذاعتها أكبر شركات الأخبار في العالم ، تشير إلى تحقيقات تجرى في « انجلترا » بسبب انتشار الرذيلة فيها ، وشيوع الانحراف الجنسي في نواحيها ، وتخبرنا بأن كثيرا من الفتيات والممرضات ينتشرن في « لندن » عاصمة انجلترا ليقترفن الفاحشة ، وإن أغلب النساء قد وقعن في هذه الرذيلة ! ... يحدث هذا في « انجلترا » المتعلمة المثقفة المتحضرة ، ذات الجامعات والمعاهد ، والتي يختلط فيها الرجال بالنساء ، والتي تقول إن تثقيف الجنسين واختلاطهما أثناء التعليم وأثناء العمل مما يؤدي إلى تهذيب الغرائز ، وتلطيف المشاعر ، ويقضي على الشهوات الجنسية والرغبات الجسدية ! !

وها قد تثقفت انجلترا ما تثقفت ، وتعلمت ما تعلمت ، وأخذت بنظام الاختلاط ما أخذت ، ومع ذلك انتشرت فيها الرذيلة ، وضجت بالشكوى من ذيوع الفاحشة بين نسائها ورجالها ، وتألفت اللجان لبحث المشكلة ، وجرت التحقيقات والبحوث هنا وهناك ، والناس في انتظار النتيجة التي يصل إليها هؤلاء من وراء ذلك التحقيق .

ولو استقام تفكير هؤلاء وشعورهم لوصلوا إلى النتيجة القديمة الباقية الدائمة ، وهي أن الرجل رجل والمرأة امرأة ، وأنهما قطبان يتجاذبان حين يقتربان ، وما بالذات لا يتخلف كما يقول العلماء ، وقد أكدت الطبائع وقررت الشرائع أن شهوة الجنس والفرج هي أغلب الشهوات على الإنسان ، وأطغاها على سلطان العقل حينما يحرف طريقها أو حينما تهيج وتثور ، ولذلك نفر الدين من دواعيها ومثيراتها ومهيجاتها كالنظر الدائم أو العارم ، والاختلاط الواسع ، والتبرج الفاحش ، والخلوة ، وكشف العورة ، وما إلى ذلك ، وقد أشار الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ في الحديث المتفق عليه ـ إلى خطر هذه الناحية فقال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » ! ! . .

والمحير للعقول والألباب أننا نسمع هذا من قديم ، ونفهمه المرة بعد المرة ، ثم نخالفه فى أعمالنا وتصرفاتنا ، فهـذه بعض صحفنا تطالعنا بمثل هـذا العنوان : « لا جريمة ولا مؤاخذة إذا لف شاب ذراعه حول فتاة وسار معها فى الطريق العام » ! وجاء تحت هذا العنوان أن العمل المذكور لم يعتبر جريمة لأن « الجمهور اعتـاد مشاهدة هـذه المناظر ، وأصبحت مألوفة لديه ، وليس فيها ما يخدش الحياء » !!..

يا عجبا كل العجب !.. إنهم يتحدثون عن الحياء عليه رحمة الله !. وأين هو الحيـاء فى دنيا التحلل والانحلال يا بنى آدم ؟ . لقد صار الحياء بضاعة قـديمة كاسدة ، يعتبرها هؤلاء المتحللون المنحلون من مخلفات الآباء والأجداد ، وصاروا يستحيون من الحياء ، ويخجلون من كلمة الحياء ، ويلومون من كان عنده حياء ، ويعيبون من يدعو إلى الحياء ، وأصبح الشخص المتمدن يغضب ويحتج إذا وصفه آخر بأنه ذو حياء ! ! ...

وما دام الحياء قد ذهب وودّع فسيرتكب الأشرار كل رذيلة وكل موبقة وهم آمنون أن سيئاتهم لن تخدش الحياء ، ولن تخل بالحياء ، لأنه غير موجود ! ! . . وقد قال سيد الوجود محمد صلوات الله عليه : « إن مما أدرك النـاس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ! . أى إنه إذا لم يكن فى الشخص حياء رادع وازع فإنه يقدم على كل فاحشة ، ويأتى كل مصيبة بلا تردد ، لأنه كما يقول الناس قد خلع برقع الحياء ! .

ولو كان فى الناس حياء من حياء الإسلام والمسلمين لتحرزوا من القبائح والمنكرات ، ولتباعدوا عن حمـاها ، ولغضبوا حين يرون منكرا ولو كان فاعله ممن لا يستحون ولا يخجلون ، لأن الحيـاة الطيبة الطـاهرة ليست ملكا للأفراد وحدهم ، بل هى من حق المجتمع الإسلامى القويم ، عليه أن يحرسها ويصونها ويذود عنها ، وهذا رسول الله يقول لصحابته : استحيوا من الله حق الحياء . قالوا : يا رسول الله ، إنا نستحي والحمد لله . قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحيـاء أن تحفظ الرأس وما وعى ، (كالسمع والبصر واللسان) ، والبطن وما حوى (كالطعام والفرج) ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحيـاء » .

وهم يقولون : إن تطويق شاب لفتاة فى الطريق العام ليس فيه مؤاخذة ، لأنه صار من المناظر المألوفة عند الناس . وليت شعرى عند من صار هذا مألوفا ؟ . أعند المسلمين المتقين العقلاء أم عند المتحللين المتفسخين الرقعاء ؟ . وليت شعرى ، من هذا المسلم الذى

يقبل لنفسه أن يفعل هذا فى وسط إسلامى له كرامة ؟ . أيقبل مسلم عنده بقية من دين أو حياء أن يطوق أمه أو أخته أو زوجته أو بنته على أنظار الناس ، ويسير بها فى الطريق العام ؟ . إنما يفعل ذلك شخص لا يراعى شعور الناس ، ولا يحرص على كرامته ولا على كرامة الفتاة التى معه ، وهى فى الغالب إما خليلة أو رفيقة ! .

وهل ألفة الشىء القذر أو المنكر تعتبر من أسباب إباحته أو السكوت عليه ؟ . هل نبيح النفاق مثلا لأنه صار مألوفا ؟ هل نبيح الكذب لأنه صار مألوفا ؟ هل نبيح شرب الخمر لأنه صار مألوفا ؟ هل نبيح الخيانة الزوجية لأنها صارت مألوفة ؟ . . أفتونا أيها الناس فقد ضاعت معالم الطريق ! ! .

ألم يأتكم أن هذا العذر الغريب كان حجة الضالين من القدماء فى تفحشهم وإتيانهم السيئات ؟ . يقول القرآن : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » ؟ . فهم قد احتجوا على جواز الفاحشة بأنها كانت معروفة ومألوفة لآبائهم ، وافتروا على الله فادعوا أنه أمرهم بها ، وهذا كذب صراح ، ولذلك رد عليهم فقال : « قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » ثم إن الله تعالى يقول فى الآية التالية : « قل أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون » . . .

والإسلام يحارب الفاحشة فى أى مكان وبأى لون ، والفاحشة هى كل شىء جاوز قدره ، ولا تكون إلا فى القبيح ، وقيل إن الفاحشة هى كل ما ينفر منه الطبع السليم ويستنكره العقل المستقيم ، وقد حمل القرآن الكريم حملة قوية على الفاحشة والفحشاء فى عدة مواضع منه ، وحسبنا قوله : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، وقوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، وقوله : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ! .

وقصة هذا الفتى الذى طوق الفتاة بذراعه فى الشارع العام تذكرنا بقصة موضوعها أن بعض الشبان الماجنين تعرضوا لفتاة فى الطريق العام بألفاظ قذرة وعبارات جارحة وحركات ماجنة ، ولما عرض الموضوع قيل إنه لا جريمة ولا عقوبة ، ونشرت الصحف ذلك . . . لماذا ؟ . قالوا : لأن الفتاة لم تشتك ولم تطالب بالعقوبة . مع أنها لم تشتك

فى الغالب خوفا على سمعتها ، أو تخلصا من متاعب الشكوى والتحقيق والمقاضاة ، والحمد لله فقد تدارك بعض ولاة الأمور الموقف ، وأعيد النظر فى الموضوع ، لأن مكافحة الجريمة من واجبات المجتمع ، وفى الحديث : « إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » ! .

فلنذكر هنا أن بعض الباحثين الأمريكيين يقررون أن نسبة الإقبال على الزواج فى أمريكا قد انخفضت بشكل مخيف ، لأن الرجل غير مرتاح إلى حرية المرأة الواسعة وتحللها الفظيع ، ولنذكر أن أحد الذين اشتركوا مع قاسم أمين فى دعوته للسفور قد كتب يلعن كل امرأة متبرجة لا تحتشم ولا تتفرغ لبيت الزوجية ، ويقول : إن قاسم أمين لو عاد ورأى هذا التحلل لنادى بالعودة إلى الحجاب ، ولنذكر أن أخلاقنا وأخلاق ذرياتنا ودعائم مجتمعنا مهددة بالويل والثبور إذا لم تأخذ الأيدى القادرة على هذه الفواحش طرقها وسبلها ، وإذا لم يحاول كل منا — قدر استطاعته — ألا يكون شريكا فى إشاعة الفاحشة بين المسلمين : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

إلى بنت الشرق

أجدك هل حسبت من الرقىّ	طوافك بالغداة وبالعشىّ
برمت بكسر بيتك وهو زيغ	نكبت به عن النهج السوىّ
وأهب فيك عاطفة التمادى	ضلال الزوج أو جهل الولى
أقال لك الغواة : البيت سجن	فجاز عليك تضليل الغوىّ
بجون إن تمادى الشرق فيه	فقد وجد الوسيلة للهوى
إذا كان التمدن فى التعرى	فما فضل الحصان على البغى

محمد النجمى

المسئولية فى الاسلام

— ٢ —

فى المقال السابق تكلمت عن المسئولية فى الإسلام والتبعات التى جعلها الله سبحانه على الرعاة فى رعيتهم حسبما جاء بها الحديث المتفق عليه « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وقد تكلمت فيما مضى عن الراعى الأكبر ، وهو الإمام ، وفى هذا المقال سأتكلم عن المسئولية الثانية ، وهى مسئولية الرجل عن أهل بيته من زوجة وولد ، وإذا كان الأئمة والولاة يسوسون المملكة الكبرى وهم مسئولون عنها ، فالرجل هو الذى يسوس المملكة الصغرى وهى الأسرة وهو مسئول عنها . ولا ريب أنه إذا صلحت الأسرة صلحت الأمة فما الأمة إلا مجموعة من خليات هى الأسرة ، وما الأسرة إلا لبنات وهى الأفراد » .

ويمكننا إجمال مسئولية الرجل فى هذه المسئوليات الثلاث :

١ — مسئولية الرجل عن والديه وذوى قرابته بأن يحسن إليهم وينفق على من تجب عليه نفقته منهم ، ويعاملهم بالرفق ويأخذهم بالحسنى ويتعهدهم بالتعليم والتهذيب إن كانوا فى حاجة إليه ، ويرشدهم إلى الطريق الأقوم فى دينهم ودنياهم . وأعظم الحقوق الواجبة على الرجال حقوق الوالدين ولا سيما الأم ثم الأقرب فالأقرب ، وقد استفاض القرآن الكريم بالوصاة بالوالدين والاحسان إليهما وإلى ذوى القربى ، قال تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى الآية [١] » وقال « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا [٢] » وفى السنة النبوية الأحاديث المتكاثرة فى البر بالوالدين والاحسان إلى ذوى القربى وأن ذلك منسأة فى العمر مثراة فى المال والولد . وفيها الحث على مقابلة أذاهم بالصبر وإساءتهم بالإحسان وقطيعتهم بالوصل والإغضاء

---

[١] سورة النساء الآية ٣٦ [٢] سورة الاسراء ٢٣

عن هفواتهم ، وما ذلك إلا للابقاء على عروة من عرى الأسرة الوثيقة والمحافظة عليها من أن تنفصم ، ولقد كان من هدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا نزل عليه أمر أو نهى أن يبدأ بذى قرباه فيبلغهم ويعظهم ويذكرهم ويبين لهم أن الناس ينظرون إليهم كما ينظر الطير إلى العلم ، فأهل الرجل هم أولى الرجل بنصحه وإرشاده . وفى الكتاب الكريم « وأنذر عشيرك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فأن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون » ولما أثنى الله سبحانه على نبيه إسماعيل كان فيما أثنى عليه به قوله « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » [١]

٢ — مسئولية الرجل عن زوجه فالرجال مسئولون عن أزواجهم مسئولية كبرى إذ الزوجة هى محور البيت وعماد الأسرة ، وصلاح الأسرة أو فسادها يتوقف إلى حد كبير على صلاحها أو فسادها . وقد جعل هذا الحديث الشريف للرجل حق الولاية والقوامة على زوجته ، وفى الكتاب الكريم « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم [٢] »

وهذه القوامة والولاية التى خولها الإسلام للرجال قوامة إرشاد وحسن توجيه ونصح إلى ما هو الأقوم والأعدل ، لا قوامة إذلال أو إيذاء أو إنقاص للحقوق ، وهذه القوامة تحتم على الرجل أن يعلم زوجته فرائض الدين وآدابه إن كانت جاهلة ، ويرشدها إلى الطريق المستقيم إن كانت غاوية ، ويقوم اعوجاجها إن كان فى لسانها أو طباعها سلاطة أو جفاء وغلظة ، على أن يكون الرجل فى ذلك حكيما رفيقا لينا ، وبهذا يلين الصلب ويستقيم المعوج . وقد أشار إلى الرفق بالزوجات فى التأديب والتهذيب رسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال فيما رواه البخارى ومسلم « استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا » .

وطلب الكمال فى الزوجات أمر قليل التحقق ، والحياة الزوجية تتطلب من الرجل الحكيم شيئا من التغاضى والتسامح فيما لا يخل بدين أو مروءة حتى تدوم العشرة الزوجية ، وفى الحديث الذى يرويه مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفرك مؤمن

---

[١] سورة مريم الآية ٥٥ [٢] سورة النساء الآية ٣٤

مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر » والله سبحانه يقول حاثا على حسن العشرة والتغاضى عن بعض ما يكره منها وعدم الانسياق مع الهوى والرغبة « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » [١] .

نعم إن فعلت المرأة ما يخل بدين أو مروءة أو حق للزوج فقد شرع الإسلام للرجل طريق الإصلاح ، قال تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » [٢] والضرب فى الآية الكريمة إنما يلجأ إليه عند الضرورة ، فهو كما يقال « آخر الدواء الكى » ، وإنما جعله الله لمن لا يفيد معها وعظ ولا هجر فى المضجع ، ومثل هذه طبيعتها لا تستقيم إلا بالضرب ، على أن المراد بالضرب الإخافة والزجر أكثر من أن يراد به الإهانة والإذلال والإيلام ، وليس أدل على هذا مما جاءت به السنة شرحا للآية أن يكون ضربا غير مبرح فلا يكسر عظما ولا يقصد وجها ولا يقبح شيئا من محاسن المرأة .

ومن مسئولية الرجل عن امرأته أن يطعمها ويكسوها ويسكنها السكنى الحسنة ، وأن لا يضيق عليها حيث يكون هو فى سعة من رزقه ، وقد سأل معاوية بن حيدة رضى الله عنه رسول الله فقال : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال « أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت » أى المضاجعة ، ويسمو الإسلام فى باب معاملة الزوجة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « خياركم خياركم لنسائكم » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح، وفى باب الإنفاق عليها فيقول الرسول أيضا « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك رواه مسلم ، وفى مقدمة الأهل تكون الزوجة والأولاد .

ومن مسئولية الرجل إذا كان له أكثر من زوجة أن يقسم بينهن بالسوية ويعدل فى النفقة والبيتوتة بل وفى بسط الوجه والبشاشة والمؤانسة . أما فى الميل القلبى والحب النفسى فلا ، إذ لا دخل لاختيار الإنسان فيه فلا مسئولية عليه ، وقد توعد النبى صلوات الله وسلامه عليه من لا يعدل بين نسائه بأن يأتى يوم القيامة وشقه مائل ، فتكون سمة مميزة له فى هذا المشهد العظيم ، والجزاء من جنس العمل .

---

[١] النساء الآية ١٩ [٢] النساء ٣٤

وقصارى القول أن على الرجال تبعات نحو أزواجهم ، وأن الله سائلهم عن هذه التبعات أحفظوها أم ضيعوها . وإن الإسلام لا يعفى الرجل من المسئولية إذا كان صالحا وأهله صالحون ، وصدق الله حيث يقول : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [١] » . ويقول : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة [٢] » .

٣ — مسئولية الآباء عن الأبناء : وأعظم مسئوليات الرجل نحو أهله مسئوليته عن ولده ، والأبناء أشد قبولا للتطبع والتعلم من الأهل والزوجة ، وهم أمل الأسرة المرجى وعدة الوطن فى المستقبل .

ومن حق الأبناء على الآباء الإنفاق عليهم وتعهدهم من الصغر وحسن اختيار المرضعات والمربيات لهم إن لم تقم الأمهات بالإرضاع والتربية ، وأن يحوطهم بالرعاية ويشمرهم بالرحمة والشفقة ويحاول قدر استطاعته أن يسوى بينهم فى البر والحفاوة والرأفة والرحمة ، ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقبل الحسن والحسين ويجلسهما على فخذه ويقول هما ريحانتاى من الدنيا . وقد رآه أحد الأعراب وهو يقبل الحسن فقال : إن لى أولادا عشرة ما قبلت واحدا منهم ، فقال الرءوف الرحيم : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ من لا يرحم لا يرحم » .

ومن حق الأبناء على الآباء تعليمهم وتثقيفهم ، ويجئ فى مقدمة ما يتعلمون علم الدين والشريعة ، إذ لا إصلاح للحياة الإنسانية إلا بهذا العلم . ثم يأتى بعد علم الدين العلوم الدنيوية النافعة ، والآباء مسئولون عن تعليم أبنائهم أمام الله والله سبحانه حين قال : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » إنما أراد أول ما أراد تعليمهم أمور دينهم من الحلال والحرام والعبادات وغيرها إذ لا نجاة من وقود الناس مع الجهل بالدين وأحكامه .

ومما يؤسف له غاية الأسف أن معظم المسلمين شغلوا عن علوم الدين بعلوم الدنيا ، واستهوتهم زخارف الحياة الدنيا ومناصبها فنأوا بأولادهم عن علوم الدين إلى غيرها

---

[١] سورة طه الآية ١٣٢ . [٢] سورة التحريم الآية ٦ .

مما ترتب عليه نشوء جيل لا يفقه من تعاليم دينه إلا قشورا لا تغنى ولا تسمن ، بل كثير من الشبيبة المتعلمة تعليما مدنيا لا يعلم عن دينه لا كثيرا ولا قليلا ، فنشأت بين المسلمين أمية دينية هى أخطر على الأمة من الأمية الكتابية ، والإسلام لا يعرف الفصل بين علوم الدين والدنيا ويرى أن كلا منهما مكمل للآخر ، ويحتم على كل مسلم أيا كانت حرفته ومهنته أن يفقه أمور دينه .

ومن مسئوليات الرجال عن الأبناء أن ينشئوهم على عقائد الإسلام وآدابه وفضائله من الصغر وأن يكونوا هم أنفسهم قدوة حسنة فى التدين والأخلاق لأبنائهم والمعاملة الكريمة ، وأن يحرصوا فان الحرص أن لا تقع أعينهم على ما يكره ويستقبح ، وبذلك ينشأ الفتيان والفتيات فى هذا البيت الإسلامى الكريم نشأة دينية أخلاقية ويشبون على تقوى من الله ورضوان فيكونون صورة صادقة للسلم الصحيح ، ويمثلون بسلوكهم الإسلام الصحيح ، ويعصمون أنفسهم عن مزالق الفتن والشبهات . ومن الحقائق المرة المؤلمة أن الكثرة الكاثرة من بيوتنا لا تتسم بطابع الإسلام ولم تألف فيها البنون والبنات الجو الإسلامى ، فاذا ما كبروا ووعظوا وذكروا بالإسلام وتعاليمه لا تجد الدعوة من نفوسهم قبولا ، بل تجد تباعدا ونفورا .

ومن مسئوليات الآباء العدل بين الأولاد والمساواة بينهم ، فلا يميز بينهم فى معاملة أو عطية أو هبة حتى لا يكون هذا التصرف زارعا فى قلوبهم الحقد والعداوة والبغضاء والشعور بالنقص ، وإن بعض الآباء يسيئون إلى أنفسهم وأولادهم وإلى المجتمع بمثل هذا التصرف ، وبحسب المفضلين بعض أولادهم على بعض ما رواه الشيخان فى صحيحيهما عن النعمان بن بشير قال : « أعطانى أبى عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة – يعنى أمه – لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله . قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال فرجع فرد عطيته » وفى بعض الروايات عند أحمد « إن لبنيك عليك أن تعدل بينهم فلا تشهدنى على جور . أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء ؟ قال : بلى . قال : فلا إذا » وإلى ظاهر هذا الحديث الصحيح ذهب بعض العلماء وقالوا بحرمة هذا التصرف

بل وبطلانه . وبعضهم منع ذلك إلا إن كان له غرض صحيح كزمانة أو عمى أو طلب علم أو نحو ذلك . وبعضهم أجاز ذلك وجعله مكروها [١] .

ومن التصرفات التى يؤاخذ عليها الآباء ما يفعله بعضهم من حرمان البنات من الأموال وقصرها على البنين ، أو تفضيل الذكور على الإناث فى العطية ونحوها مما يمت إلى عادات الجاهلية ولا يمت إلى الإسلام ، والإسلام دين تراحم وتحاب وتواصل ، فكل ما يخل بشىء منها فلا يقره الإسلام .

والواجب على المسلم أن يقف عند حدود الله فيحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم الله، وحينئذ تستقيم أحوال الناس وتصفو لهم الحياة من المكدرات ، ويعيشون إخوة متحابين متحدين ، لا أعداء متنافرين متفرقين .

* * *

وبعد : فهذه هى مسئولية الرجال عن الأهل والزوجة والأبناء كما أرادها الإسلام ، وهى مسئولية تقتضى من الآباء أن يكونوا فى مكان القدوة، وأن يأخذوا أنفسهم أولا بما يحبون أن يأخذوا به أهليهم وأبناءهم، وإلا كان كنافخ فى رماد، ولم يسمع له قول أو يسترشد له برأى ، فالرجل راع ومسئول عن نفسه أولا ثم عن أهله ثانيا .

ترى - أيها القارئ الكريم - لو أن كل رجل قام نحو نفسه ونحو أهله بهذه الرعاية، فهل كانت المجتمعات الإسلامية تعانى ما تعانيه اليوم من ضعف فى التدين ، وانحراف فى السلوك، وإسفاف فى الأخلاق، وإغراق فى التحلل من المقومات الإسلامية والأخلاقية ؟؟ وهل كنت تجد فى بيئاتنا الإسلامية من يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا ؟ ؟ وهل كانت تقع عينك على هذه المناظر المؤذية فى بيوتنا وفى طرقنا وأنديتنا ؟ ؟ اللهم لا !!

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] انظر تفصيل القول فى هذا فى فتح البارى شرح صحيح البخارى جزء ٥ ص ١٦٣ وما بعدها.

الملايو والاســـــلام

> « إلى القـائمين على شئون الدعوة في الأزهر والمؤتمر الإسلامي : أهدى هذا المقـال .
> (شريبة)

تاريخ الإسلام في الملايو :

لا يزال تاريخ دخول الإسلام إلى الملايو غامضا . فالأتقياء من أهل الملايو يردونه إلى دعاة عرب قدموا من مـكة ، ولـكن ذلك لا يعدو أن يكون التمـاس أصل قـديم لأمر جديد .

والمؤرخـون من الغربيين ليس أمامهم إلا أن يعتمدوا على بقايا المنقول وعلى النزر اليسير من الآثار ، وإذا فالرأى السائد ـ وهو قائم على نظريات المستشرقين الهولنديين ـ ليس البتة رأيا صحيحا . ويبدو أن الوضع الصحيح لهذا الأمر هو أنه كان التجار العرب ـ منذ عهد مبكر ـ يجوبون المحيط الهندى . وحين كانت الصين قوية ، مستقرة أمورها ، منعت التجارة التي تمر من ملقا وأفنت ، في تلك الأوقات أنشئت المراكز التجارية العربية .

ولـما ظهر الإسلام كانت أسرة (تانج) تحكم الصين ، وقامت العلاقات التجارية عبر المضيق بين الجزيرة العربية والصين . وفى عهد (آل سونج) زار التجار العرب (كده) وغيرها من أجزاء الهند الشرقية .

ولـكن هذه الصلات الباكرة لم تؤد إلى نشاط سياسى أو اجتماعى دينى بين أهـل البلاد . ولـما جاء المغوليون كثرت هجرة المسلمين إلى الصين . وبازدياد التجارة عبر البحر مع الشرق الأوسط والهند قامت صلات بين المسلمين وسومطرة كان وسيطها بعثات من مسلمى الصين . وفى ذات الوقت كان النفوذ الإسلامى فى جنوبى الهند يزداد ازديادا كبيرا ، واستطاع الدعاة التجار من أهل هذه المنطقة أن يجذبوا إلى دعوتهم أهل شمالى سومطرة .

وحوالى سنة ١٢٨٠ م قامت ولاية صغيرة هى ولاية (سامودرا ـ باساى) وكانت أول قطر يتخذ الإسلام دينا رسميا فى الملايو ، وهذا السبق فى اعتناق الإسلام قد هيأ لشمالى سومطرة مركزا ممتازا بين المسلمين فى الملايو لا تزال تتمتع به حتى اليوم ، وإذا كانت سامودرا باساى قد ذهبت فقد ذهبت خلفها (آچيه) التى اضطلعت بمهامها واشتهرت بشيوخ الصوفية كما اشتهرت بالتعليم الدينى وبتعصب أهلها لدينهم .

وقد فتح المسلمون إقليم (كوجرات) فى غربى الهند فى سنة ١٢٩٧ م وأصبح جزءا من إمارة دهلى حتى سنة ١٤٠١ م وبدأ هذا الإقليم ـ فى القرن الرابع عشر ـ يقوم بدور هام فى التجارة مع الهند الشرقية عن طريق ميناء (كامباى) .

ومنذ سنة ١٤٠١ م حتى سنة ١٥٧٢ م صار هذا الإقليم إمارة مستقلة يعمل على أن يكون صاحب النصيب الأوفر فى تجارة الهند الشرقية وخاصة مع سوق ملقا العظيم .

ويذهب المؤرخون الهولنديون إلى أن جذور الإسلام الملايوى مجلوبة من كوجرات . وذلك يجانب الحقيقة ، لأن التجار الكوجراتيين أكثرهم من طائفة البهرة الإسماعيلية ، وليسوا سنيين شافعية كما هو حال أهل الملايو ، ثم إنه حين دخل أهل سامودرا باساى الإسلام كان إقليم كوجرات لا يزال يحكمه الهندوس ، وكان أغلب أهله من البهرة الشيعة والخوجات وقليل من أهل السنة العرب ، فكان التأثير الكوجراتى على التجارة والثقافة لا على الدين فى هذا الوقت ، وبرغم ذلك فان سفنهم هى التى حملت إلى الملايو التجار والمغامرين والدعاة ورجال العلم والصوفية من الهند وفارس ومختلف بقاع الشرق الأوسط .

والإسلام ـ فيما يبدو ـ قد وضع قدميه فى الملايو قرب نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، كما يدل على ذلك نقش ملايوى ، هو أقدم سجل كتب بالحروف العربية بقى لنا إذ يرجع تاريخه إلى سنة ١٣٨٩ م بل لعله أقدم من ذلك ، وهو يسجل إصدار بعض القوانين فى (ترنجانو) .

على أن الانتشار الحقيق للاسلام قد ارتبط بقيام ولاية ملقا التجارية العظيمة سنة ١٤٠٠ م تقريبا ، وكان أوج قوة ملقا (١٤٠٠ ـ ١٥١١ م) مع أوج القوة الكوجراتية وكلتاهما تعتمد على تجارة الشرق الأقصى شأنهما فى ذلك شأن سنغافورة اليوم .

وقد اطرد نجاح ملقا وكوجرات باعتمادهما على سياسة الاحتكار الإسلامية فى تجارة المحيط ، بل إن ملقا كانت أكثر حظا فى ذلك نتيجة للسياسة الخارجية المستنيرة التى

وضعتها أسرة منج الحاكمة فى الصين ، فقد شجعت التجارة الخارجية مع الأقاليم الجنوبية تحت ستار حماية هذه الولايات مقابل جزية تدفعها .

وكانت ملقا فى أول نشأتها ولاية هندوسية خلفت سنغافورة الهندوسية . وهذه الأخيرة كانت بدورها فرعا من امبراطورية (سرى فيجايا) فى سومطرة . وقد قامت رابطة بين (بارا مسواوا) - أول حاكم لولاية ملقا حوالى سنة ١٤١٠م - وبين البيت الحاكم فى سامودرا باساى ختمت بزواجه أميرة باساوية واعتناقه لدينها .

ويبدو أنه كان هناك رد فعل ظهر أثره فى أيام من خلفوه مباشرة ، ولكن الإسلام كان قد ثبت أقدامه نهائيا فى سنة ١٤٤٠ م حين استطاع السلطان مظفر شاه أن يسترد عرشه بعد صراع وأن يبدأ سياسة التوسع باسم الإسلام .

واستطاع هو ومن أتوا بعده أن يبسطوا سلطانهم على الجزء الأعظم من شبه جزيرة الملايو كما استطاعوا أن يبسطوه على الولايات النهرية شرق سومطرة . وقد مكن ذلك لملقا من أن تسيطر على المضايق ، وأن تحتكر تجارة الهند الشرقية مما جلب لها الثراء العريض والنفوذ على الأقاليم المجاورة .

أما الاتصال بين الجاويين والملايويين فى ملقا ، وما يقوم به أهل الملايو وأهل كوجرات من نشاط فى مختلف النواحى فى الأجزاء الشمالية الشرقية من جاوا ، فقد كان له أثر فى نشر الإسلام فى هذه المنطقة . وقد استمرت هذه الطريقة - فى الملايو ذاتها وفى جزر الهند الشرقية - حتى بعد أن سقطت ملقا فى أيدى البرتغاليين سنة ١٥١١م .

على أن ملقا ، وإن كانت المركز الأساسى للقوة الملايوية ، إلا أنها لم تستطع فيما يبدو أن تكون منبع التعليم والثقافة الإسلامية ، فقد اعتنق أهل الملايو الإسلام ولكنهم ظلوا فترة طويلة ينتظرون من باساى الإرشاد فى أمور دينهم ، ويرسلون فى بعض الأحيان إلى شيوخها يستفتونهم فى مشاكلهم الدينية . وكان لشيوخ المسلمين من الهنود تأثير صوفى عليهم ، وميلهم إلى القول بوحدة الوجود كان عنصرا هاما من عناصر الإسلام فى الملايو . وقد حظى هؤلاء الشيوخ برعاية الملوك كما حظوا برعاية العامة .

على أن فارس فى هذا الوقت كانت قد نالت أعظم شهرة فى أنها منبع العلم والثقافة الإسلامية ، وكان أهل الملايو شافعية وحكام الامبراطورية الفارسية من آل تيمور

(١٣٨٠ — ١٥٠٢م) شافعية كذلك بل إن تيمور نفسه كان أعظم سند للشافعية ، ولذلك كان لشيوخ هذا المذهب من الفرس أثر واضح فى بلاد الملايو من حيث أنهم من شيوخ أهل السنة .

وقد حدث كثير من التغيرات خلال القرن السادس عشر فسيادة ملقا انتهت بفتح البرتغاليين لها سنة ١٥١١م ، وانتقلت إلى حد ما قيادة الملايو إلى (آخيه) فى سومطرة ، وإلى (جوهور) فى شبه الجزيرة . وقد صاحب ذلك زوال ملك آل تيمور المغوليين من فارس وقيام نهضة وطنية تحت زعامة الأسرة الصوفية ، وكان هؤلاء الحكام الجدد شيعة وبذلك لم يعد ينظر أهل الملايو السنيين إلى فارس على أنها مصدر للتعليم الدينى . وقد سد هذا النقص السادة الأشراف من أهل حضرموت على الشاطئ الجنوبى لشبه جزيرة العرب ، وقد جاءوا إلى الملايو تجارا وعلماء وحظوا بمنزلة عظيمة .

وكانت الصلات مع الهند لا تزال قائمة وخاصة الآن مع إمارة هضبة الدكن ، وهذا التأثير الهندى يظهر أتم ما يظهر فى الأدب الملايوى الذى بقى لنا من هذه الأيام .

وبمضى الأيام قامت صلات قوية بين الملايو وبين شبه جزيرة العرب ومنها مكة ، وكذلك بينها وبين مصر ، وقد جاءت الصلات مع شبه الجزيرة العربية فى صور مختلفة فهناك حركة صوفية هامة هى الطريقة الشطارية ، نشأت أول ما نشأت فى الهند ثم رحب بها فى جزيرة العرب وبخاصة فى المدينة ، ومن المدينة انتقلت إلى سومطرة والملايو وجاوا وإن ازدياد تأثير الأساتذة العرب وكثرة عدد الحجاج قوى روابط الملايو بجزيرة العرب ، وبمرور الأيام بدأ الإسلام يفقد صبغته الهندية التى تربطه إلى القائلين بوحدة الوجود [١] ، وأخذ يقترب رويدا رويدا من الصبغة السنية ، وذلك ملاحظ فى اضمحلال شأن طريقة الشطارية الصوفية ، وانتشار أمر القادرية فى جزء من بلاد الملايو ، وعلى كل فان النصيب الذى تناله الطرق الصوفية فى تلك النواحى نصيب هزيل .

أما تعليم رجال الدين فقد اتبع الأنموذج الشائع فى العالم الإسلامى ، فهو قائم على دراسة اللغة العربية ، والعلوم الدينية باللغة العربية ، ولكن إجادة العربية كان أمرا بعيد المنال ، ولذلك فانه ابتداء من القرن الثامن عشر ترجم إلى الملايوية واختصر عدد من المؤلفات العربية الهامة .

---

[١] المجلة — أى عدم التمييز بين واجب الوجود وجائز الوجود ، واعتبارهما موجودا واحدا ، ومعنى ذلك القول بأن الكائنات هى الله ، وهذا إنكار لوجود الله ، وهى عقيدة برهمية جاءت من الهند .

خصائص الإسلام فى الملايو :

استمر نشر الإسلام فى الملايو بعد فتح البرتغاليين لها ، وأهل الملايو يربطون الجنس بالدين ، والدين والعرف بالحاكم . فاعتناق الأمراء الإسلام فى الملايو إيذان بأن الجنس كله صائر للإسلام .

ولكن انتشار الإسلام كان فى بعض الأحيان ظاهريا فقط ، فقد ظلت الآراء الهندوسية والقائلين بوجود الحياة فى كل موجود . وسر ذلك أن الملايوى تنقصه العصبية الدينية ، ولكنه مستمسك بإسلامه لأنه يرى فيه حصنا يدفع عنه مظالم الأجناس الأخرى ، والعناصر الخارجة عن النطاق الإسلامى مردها إما إلى أفكار ملايوية قديمة بعثت ، وإما إلى شواذ فكرية اجتلبت من الهند . فالصوفية القائلة بوحدة الوجود ـ وهى تتعارض أصالة مع الإسلام الصحيح ـ جاءت من الهند وانتشرت بين الناس وبخاصة فى شمالى سومطرة وجاوا .

والعناصر الشيعية تظهر فى أدب الملايو القديم ، أو تبعث فى بعض التقاليد من مثل مواكب عاشوراء فى بعض الأماكن . أما مراسم الزواج وكثير من التقاليد الملكية فانها تحتفظ بعدد من الشعائر الهندوسية التى لم يدخلها تحوير تقريبا .

وأهل الملايو يتبعون مذهب الشافعى ، شأنهم فى ذلك شأن أهل جنوبى الهند وعرب حضرموت ، ولكن الشريعة الإسلامية فى كل مكان من الملايو يعدلها العرف والعادة ، ففى (نجرى سمبيلان) لا تزال بعض التقاليد القديمة الخاصة بالأمومة تجد لها مجالا ، ولا تجد المرأة فى أى مكان متحجبة أو ملتزمة دارها .

ومنزلة السلطان عند الملايوى ـ وإن تكن دون ريب متفقة مع الآراء الإسلامية ـ إلا أنها منتزعة من الفكرة الهندوسية عن الملك الإله ، ولا يزال تقديس الملايوى لحاكمه عاملا ذا أهمية سياسية .

وإذا كان الإسلام قد انتشر فى بلاد الملايو فى سلم ودون بذل أموال ضخمة ، وإذا كان الإسلام غير قادر ـ فى الملايو ـ على أن ينشىء امبراطورية فان ذلك يعنى أن الثقافة الإسلامية تعوزها الشخصية المحلية القوية ، فالمنشئات المعمارية ضعيفة ، والمسجد بسقفه المنحدرة المربعة يشبه إلى حد كبير مساجد (ساحل ملابار) .

وكذلك الحال فى الأدب الملايوى فهو أدب اقتباس وتقليد وليس أدبا يمثل فى قوة تجربة الملايوى فى الحياة ، إذا استثنينا كاتبا أو اثنين .

وكذلك آثارهم فى الفنون ضئيلة الأهمية ، على أن هناك ما يبعث على السرور ، ولكنه قاصر تقريبا على التطريز والنساجة وصباغة الذهب وصنع أوانى الفضة والخناجر الملايوية .

التطور الإسلامى الحديث فى الملايو :

يمكن أن نقول : إن العصر الحديث قد بدأ فى الملايو مع استخدام البخار فى تسيير السفن ، فذلك لم يقتصر أثره على نقل مؤثرات الحضارة من الغرب ، بل هو كذلك قد أتاح الفرص لعدد أكبر من الحجاج إلى مكة . فقد زاد عدد الحجاج من الملايو ومن أندونسيا وخاصة حين كانت أسعار المطاط مرتفعة تمد الحاج بنفقات الرحلة .

وفى مكة تقيم جالية أندونيسية كبيرة جعلت عملها نقل الحجاج والقيام على شئونهم ، مع اشتغالها بدراسة العلوم الإسلامية ونقلها إلى لغتهم ونشرها فى الملايو ، وإن أكثر الحركات الدينية المجددة فى الملايو إنما قام بها حجاج عائدون .

والطلاب الذين يدرسون علوم الدين يدرسونها إما فى مكة وإما فى جامعة الأزهر فى القاهرة ـ وقد شهدت سنة ١٩٥٥م افتتاح أول كلية لعلوم الدين الإسلامى فى (كلانج) وبعض أساتذة هذه الكلية من رجال الأزهر .

وقد اختصت المحاكم الشرعية بالنظر فى مسائل الأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وميراث ، كما اختصت بالنظر فى إلزام الناس أداء الشعائر الدينية ، وإدارة الأوقاف ، وقد مد القضاة سلطانهم إلى النظر فى قضايا الميراث التى تصل إلى ثلثمائة جنيه ، بعد أن كانوا لا ينظرون إلا القضايا التى تقل قيمتها عن مائة جنيه ، وهذه المحاكم من سلطتها أن تلزم الناس الصوم ومن لم يصم غرم ، وهى لا تقصر سلطتها على المسلمين من أهل البلاد وحدهم بل تمدها كذلك إلى المسلمين الأجانب الذين يقيمون بها وإن كان من المشكوك فيه أن يقع ذلك .

ومشكلة الطلاق قد أدت إلى رأيين مختلفين ، رأى المصلحين وهم يرون أن الإسلام قد ألمع إلى التزام الزواج بواحدة على أساس أن الزواج بأربع إنما أبيح بشرط التسوية والعدل بينهن، وهو شرط لا تقوى الطبيعة البشرية على تحقيقه [١] ، ولكن هذا التفسير للنص القرآنى لا يرتضيه المحافظون المقلدون الذين يرون أن مفارقة القدامى فى تفسيرهم للقرآن أو العرف المأثور ليست إلا هجوما مقنعا على الدين ، ومع ذلك فإن الحركة النسائية تستجمع أمرها وتطالب بقسط من الطمأنينة والأمان للمسلمة أكثر مما كان لها من قبل .

والتحضر فى أندونيسيا قد قطع شوطا أكثر مما قطعه فى الملايو . فقد اطرحت أندونيسيا الحروف العربية حتى فى الكتب الدينية ، بل إن الأدب الحديث يستلهم مثلا أخرى من الثقافة الهندوكية الأصل التى استقرت فى جاوا ، ومن آثار رابندرانات تاجور ، وما خلفته الحركة العقلية الفلسفية فى فرنسا ، بل فى كتابات (ماركس) .

ولكن الكتابة فى الملايو لا تزال تستخدم الحروف العربية ، والأدب لا يزال يتمسك بإسلاميته ، ومن هنا نجد أن أندونسيا والملايو قد اختطت كل منهما اتجاهها ، وأن امتزاج الوعى القومى فى الملايو باللغة والكتابة قد حال بينها وبين أن تكون وسيلة لوحدة قائمة على أصول سلالية .

المسلمون الأجانب فى الملايو :

جاء الإسلام إلى الملايو من الهند وقد ظلت الصلة قائمة بينهما منذ دخل الإسلام ، ولكن الجمهور الأعظم إنما هو من المهاجرين الذين وفدوا حديثا إلى الملايو والجمهور الأعظم إنما هو من المهاجرين الذين جاءوا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، والهنود يكونون أكبر جالية مسلمة فى الملايو ، وهم يشملون :

١ — المسلمين من أهل التاميل ، وأكثرهم من (تاجور) فى مقاطعة (تانجور) ويشتغل معظمهم بتجارة الثياب أو الكتب أو البقالة .... إلخ .

---

[١] فى هذا الجزء مقال مبسوط فى بيان حكم الاسلام وحكمته فى هذا الموضوع .

٢ — المسلمين الملاباريون ، وهم من (بونانى) وغيرها من ساحل ملابار ، وكثير من هؤلاء أصحاب مطاعم ، والتامليون والملاباريون شافعية كأهل الملايو .

٣ — المسلمين من كوجرات وأكثر هؤلاء بهرة (شيعة إسماعيليون) من بومباى ، ويشتغل معظمهم بالاتجار فى الثياب .

٤ — المسلمين من البنجاب ، وأكثرهم من صغار العمال ، أو ممن يقومون بإصلاح الساعات ، وقليل منهم من رجال الأعمال .

وفى سنغافورة وغيرها من البلاد قريب من أربعة آلاف من سادة حضرموت وعدن وهم كذلك شافعيو المذهب يشتغلون بالتجارة فى موانئ البحار الجنوبية .

وفى هذه الأيام نجد قلة من الصينيين فى الملايو مسلمين ، وأكثرهم أسلموا بسبب زواجهم مسلمات ملايويات ، وأبناء هؤلاء يندمجون فى المجتمع الملايوى .

والهنود المسلمون أكثر إثارة للشغب والصخب من مسلمى الملايو « إن نال الإسلام شىء » . والاضطرابات التى وقعت سنة ١٩٥٠ م . كان الهنود هم الذين حرضوا الملايويون فيها . إن مسألة الفتاة الهولندية الكاثوليكية التى ربتها على الإسلام سيدة ملايوية ثم انتزعت منها وزوجت قد فسرت على أنها هجوم من حكومة مسيحية على قوانين الإسلام فى الزواج .

نور الدين شريبة

كاتب هذا البحث الأستاذ ماريسورن يقيم إلى اليوم فى سنغافورة وهذا جزء من البحث وأرجو أن أقدم الجزء الباقى منه قريبا .

الاسلام وسماحة الفكر

الحرية أحد الأصول الرئيسية التى تتحقق بها سلامة الأفراد والجماعات ، بل الشعوب والحكومات ، وعليها تعتمد الأمم ذات الرسالة الإنسانية فى أداء رسالتها ، وهى حق طبيعى للانسان ، بل هى من فطرة الله التى فطر الله الناس عليها . والاسلام ـ وهو التشريع العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان والدستور الجامع المنظم لشئون الأمة الدينية والدنيوية ، المحقق لصالح الفرد والجماعة والأمة على السواء ـ قد عالج الموضوعات الحيوية الهامة ـ وفى طليعتها موضوع الحريات ـ معالجة حكيمة ناجحة .

فقرر الحرية للأفراد والجماعات ، ضمن نطاق الحكمة والمصلحة العامة ، وشرع من النظم والأحكام ما يكفل تحقيق ذلك وبصونه ، سابقا وبازا جميع النظم الدستورية الأخرى التى عرفها الإنسان .

هذا وسأقتصر فى بحثى على حرية الرأى والفكر ، مع بيان ما قرره الإسلام فى شأنها .

جاء الإسلام والناس فى كل مكان أسرى التقاليد وعبيد الوراثات ، قد حرم عليهم رؤساء مللهم أن ينظروا فى عقيدتهم مستقلين ، وأن يجروا فى شىء على غير ما رسمه لهم أئمة الدين ، فتعطلت مهمة العقل ، وشلت حركة التفكير واختلفت الأمم فى نحلها بقدر ما اختلفت فى جماعاتها ، ووقر فى نفوسها بأن الدين لا يتناول بالنظر ، ولكن بالوراثة ، ولا يؤخذ بالدليل ولكن بالتسليم ، فكانت نتيجة ذلك كله أن استشرت الوثنية فى الأمم ، وفسدت القلوب بفساد التقاليد التى اقتضتها ، واختلت أداة الحكم بنشوء الطبقات التى تتنازع السلطان على الجماعة ، ونضب معين العلم وضاعت الحرية الإنسانية ، وكثرت الفتن الأهلية والدسائس السياسية ، وفقدت الحياة معناها السامى فى حرية الفرد والجماعة .

جاء الإسلام والأمم على هذا الحال .

أما الذى حدث فقد أطلق الإسلام حرية الرأى والفكر ، وأحاطها بسياج منيع من

القوة والمنعة ، وأشاد بشأن العقل وأحله المنزلة الرفيعة ، ومدح عباده الذين يتبعون أحسن ما يستمعون من القول بعد بحثه وفحصه وتمحيصه ـ قال تعالى : (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

أراد الله بذلك إيقاظ العقل والحث على تربية القوى الفكرية ، مع الاعتداد بالنفس والعمل على استقلال الرأى وحرية التفكير .

حث الإسلام أهله على أن يتمثلوا الشجاعة لاستعمال عقولهم وإبداء آرائهم فى كل ما يحقق مصالحهم ، ويدفع مفاسدهم ، فدعا إلى الاجتهاد ، وجعل القياس ـ وهو الرأى السديد فى إلحاق الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر فى الأمور التى لم يرد فيها نص صريح من كتاب أو سنة ـ أحد مصادر التشريع الأربعة وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس . وفى هذا مجال فسيح للرأى وتقرير لحرية التفكير .

جاء الإسلام داعيا إلى البحث والتنقيب وتصيد الحكمة والمعرفة : (الحكمة ضالة المؤمن) . (خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت) .

وقد أجمع المؤرخون على أن المسلمين بدأوا يطلبون العلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بست سنين ولم يتحرجوا عن أخذ الحق والخير حيث وجدوهما ، حتى إذا ما جاء العصر العباسى اشتد النهم عند المسلمين إلى المعارف الإنسانية يدرسونها فى تحقيق واستقصاء ويستوعبونها ، حتى أصبح هذا اللون من الثقافة الواسعة الشاملة . فلا غرو أن يوجد عند المسلمين كبار الأئمة الثقات فى الدراسات التاريخية واللغوية والفلسفية . فى هذا الجو المشبع بالعلم ، وهذا الأفق المفتوح للسعى والعمل ، تغير الواقع من حولهم فكان من الطبيعى أن يتغير ما بأنفسهم . وإن الدنيا بعد أن كانت تبدو لهم عقيما وباطلا تحولت فى نظرهم إلى الجهاد العملى والتأمل النظرى المجرد .

استوعب العقل العربى بدافع قوى من الإسلام كل ما كان لدى الأمم السابقة فى الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والعلوم الزراعية والبيطرية . حتى نظروا فيما ألفوه فى السحريات والطلسميات . فكان لهم من كل ذلك حظ وفير . والعقل الذى يستطيع استيعاب كافة نواحى التقدم العلمى السائدة فى زمانه . لا شك أنه عقل موفق خصيب . ويستدعى هذا العقل من أمثالنا الذين يريدون إظهار ما كان وراءه من نفس وثابة وهمة غلابة أن يطيل التأمل فى آثاره للوصول إلى سر عبقريته ونبوغه .

ويظهر لنا من تحليل الشخصيات الإسلامية الكبيرة ، أمثال ابن رشد والفارابي والكندي والغزالي وغيرهم من العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة في عهد ازدهار الأمم الإسلامية ، أنها مظهر رائع من دراسات عميقة وتحقيقات دقيقة . صادفتها أدوار من الاضطهادات كما حدث مثله في كل عهد من عهود التطورات الأدبية في الأمم . وقد ساعد هؤلاء الأفراد الممتازين على النبوغ أن الإسلام لم يحجر على العقول أن تخوض أي مجال من مجالات البحوث أيا كان نوعها ومن أي بيئة صدرت . ومما لا مشاحة فيه أن العلوم التي اقتبسوها عن اليونانيين والفرس والكلدانيين والهنود قد ساعدتهم على توسيع دائرة سلطانهم العقلي . ولم يكتفوا بما وجدوه من التراث العلمي بين يدي أهله . فعملوا على ترجمة ما كان مختزنا من المؤلفات في ثنايا المكتبات وقضى على أصحابها التعصب للدين أن لا ينظروا فيها .

وعلى الرغم من الكثافة الذهنية التي طغت على الناس في أوروبا في القرون الوسطى ، وما كان لنفوذ رجال الدين هنالك من القوة في الحد من سلطان حرية العقل ، على الرغم من هذه العوامل تجلت بواسطة المسلمين حرية البحث والتنقيب بأجلى صورها في غضون هذه العصور ، وكان لأهل أوروبا منها نصيب وافر ، فقد كانوا يرسلون شبانهم إلى بلاد المسلمين لتلقى العلوم في جامعاتها .

نعم إن نفرا من الذين كانوا يمثلون الفلسفة اليونانية في قسمها النظري ، قد مرت بهم أوقات حرجة من الاضطهادات ، ولكنها كانت أدوارا عابرة لم تلبث أن انقشعت ، وتمكن رجالات كثيرون من ممثلي تلك الفلسفة أن يعيشوا بسلام بين ظهراني إخوانهم المسلمين ، وأن يحظى كثير منهم بتعظيمهم وتبجيلهم .

ولسنا ممن يقولون بأن اختفاء مؤلفي كتاب « إخوان الصفا » عن الأبصار وتأليف كتابهم في طي السر والكتمان دلالة على سوء منقلب من كانت تحدثه نفسه بالاشتغال بالفلسفة الهلينية [١] . فقد كانوا يعيشون على أكمل حالات الحرية بين الناس ، ومنهم من

---

[١] المجلة — بل هم الذين آثروا التكتم لما كانوا ينطوون عليه من مقاصد الاسماعيلية الباطنيين . والاسماعيلية بنيت من أساسها على العمل في الخفاء ، وقديما قيل :

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

حظى بالألقاب الضخمة . منهم الفارابى الذى لقبه المسلمون بالمعلم الثانى باعتبار أن أرسطو كان المعلم الأول ، وأبو على بن سينا وقد لقبه الناس بالشيخ الرئيس ، والقاضى ابن رشد ، وقد سمح له أن يرد على حجة الإسلام الغزالى .

نعم إننا لا نقول : إن هؤلاء الرجال وغيرهم لم يصادفوا اضطهادا ما ، ولكننا نقول : إن اضطهادهم كان لا يعتبر شيئا يذكر بجانب اضطهاد أمثالهم فى أوروبا وقد أحرقوا بالنار وصلبوا على الأعواد ، وإنه ليجب على المسلمين أن يدركوا هذا الفارق وأن لا ينساقوا مع المبالغين الذين يهولون بذكر الاضطهادات ضعفا منهم عن تقدير الحقائق ، وغفلة عن أنهم بعملهم هذا يطعنون فى أسلافهم عن جهل وقلة مبالاة .

وعلى الجملة ، ففى كل ما تقدم دليل واضح على أن الإسلام أطلق حرية الرأى ، وأن عقائده وتعاليمه وأحكامه تتفق مع العقل السليم والنظر الصحيح ، وأنه دعا إلى الاجتهاد واعتبر القياس . فلا يمكن أن يتطرق إليه الجمود أو أن يضيق عن حاجات الاجتماع ، أو يصادم الحقائق العلمية ، أو يعارض النظريات الكونية ، أو أنواع العلوم التى تحقق مصلحة الأمة ونواميس الحياة .

عبد الحميد سامى بيومى

أول مدرسة للطب
فى أوروبا

أول مدرسة أنشئت فى أوروبا للطب هى التى أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر فى قرطبة . وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم على عهد العرب ، بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية فى جنوب فرنسا كان الفضل فى تأسيسها للعرب .

سلسلة الفقه الاسلامى

الفقه الإسلامى قد وجد فى جزيرة العرب وعماده كتاب الله الكريم الذى نزل منجما على وفق الحوادث والتدرج فى التشريع ، وقد كان ينزل به الوحى الصادق على النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والقرآن أول مصدر من مصادر التشريع الإسلامى لا يستطيع عاقل أن ينكر علينا قدسيته ، وعدم انتسابه لأحد إلا لله رب العالمين وقد حوى هذا الكتاب الكريم جميع نواحى التشريع : من عادات ومعاملات وأحوال شخصية وعقوبات وتشريعات للسلم والحرب والمواريث ، وتلك التشريعات كانت تارة واضحة مفصلة عرفت أحكامها بيسر وسهولة ، والبعض الآخر قام الرسول الأكرم بتفصيله وتوضيحه ، فالمسلمون فى فجر الإسلام ماعرفوا فقها رومانيا ولا غير رومانى ، بل كانوا محصورين فى الجزيرة العربية وما جاورها لا يفزعون عند وقوع الحوادث التى تتطلب أحكاما إلا إلى رسولهم وكتابهم. وقد كانت للرسول أقضية كثيرة جمعت فى كتب متعددة فيما بعد ، فقد كان منبع الفقه الإسلامى فى ذلك العهد من كتاب الله وسنة رسوله ، وإذا نظرنا إلى الطريقة التى نزل بها القرآن والتى جمع بها والتى وصل بها إلينا وجدناها أقوى طريق عرفه البشر فى ثبوت الحقائق العلمية ، فلا تعدلها نظرية الثبوت التى ابتكرها ديكارت أو غيره من فلاسفة الغرب والشرق ، فقد تحقق فى طريق نقل القرآن التواتر الذى يحيل العقل كذب إخباراته وأنبائه .

ذلك هو حال التشريع زمن النبى عليه السلام ، وقد كان يرسل به هداته ودعاته إلى الجهات التى أذعن أهلها للاسلام ، ولا يطلب من مبعوثه أن يتلمس تشريعه واستنباط الأحكام إلا من الكتاب والسنة ، فان لم يجد فيهما ما يريد أمره بأن يجتهد ويستنبط ، فلم يكن الفقية الإسلامى يعتمد على مدد أجنبى أو مصدر غير إسلامى ، يرشد لذلك أن الرسول عليه السلام لما أراد أن يرسل معاذا إلى اليمن استدعاه قبل إرساله ليرى صلاحيته واستعداده للقيام بأعباء وظيفته والاطلاع بمهامها ، فقال له : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ فقال : أقضى بكتاب الله . فقال عليه السلام ؟ فان لم تجد فى كتاب الله تعالى ؟ فقال معاذ : أقضى بسنة رسوله . فقال عليه السلام : فان لم تجد فى سنة رسوله ؟ فقال معاذ : أجتهد رأيى ولا أقصر فقال عليه السلام : (الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله) .

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى عصر الخلفاء الراشدين نجدهم قد ساروا فى التشريع على النهج الذى وضعه الرسول لهم ، فنرى كبار الصحابة قد أشربت نفوسهم تعاليم الإسلام ، واستمدت عقولهم وقويت ملكاتهم على التشريع ، فقاموا به خير قيام ، بل قد تخصص بعضهم فى بعض المباحث الفقهية كما جاء ذلك فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ قام خطيبا فقال : أيها الناس من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبى بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فان الله جعلنى له قاسما وخازنا .

ونرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يرسل أبا موسى الأشعرى إلى البصرة يضع له دستورا عاما ولائحة للقضاء ويحدد له مصادر التشريع ، فاذا هى كتاب الله وسنة رسوله واجتهاده واستنباطه الأحكام لحوادث التى تجد وقياسها على الحوادث الماضية المعروفة لديه ، وقد عرف عدد كبير من الصحابة والتابعين بالفقه والقدرة على التشريع كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهرى والحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز وجابر بن زيد وغيرهم . هذا ما كانت عليه الحال فى عهد الصحابة والتابعين إلى منتهى القرن الأول الهجرى ثم لما جاء القرن الثانى وجدت فيه ظاهرة جديدة وروح وثابة إلى وضع القواعد التشريعية التى تبنى عليها المسائل الجزئية ، فقد ظهر أبو حنيفة بالكوفة وتلاميذه أبو يوسف ومحمد وغيرهما وأخذوا يؤسسون المذهب الحنفى ، وفى ذلك الوقت وجد الإمام مالك بالمدينة ، وكان له أتباع وتلاميذ ، وبعد ذلك ظهر الإمام محمد بن إدريس الشافعى المولود بغزة من أعمال عسقلان سنة خمسين ومائة هجرية ، ثم أعقبه الإمام الرابع أحمد بن حنبل ، وقد أسس هؤلاء الأئمة مذاهبهم على الكتاب والسنة ، وظهر فى ذلك العهد مصدر آخر من مصادر التشريع وهو الإجماع الذى أثبتوا صحته كدليل من أدلة الشرع بقوله تعالى: «ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » حيث قالوا : إن اتباع غير سبيل المؤمنين هو مخالفة الإجماع ، وبأحاديث متعددة تحرم الخروج على الجماعة .

وقد اشتد الجدل وكثر حول القياس وكيفية إثبات الأحكام به ، وقد أراد كل إمام أن يضع لمذهبه الضوابط والمقاييس حتى يجمع جزئيات المسائل تحت أصل من الأصول

الثابتة ، وبذلك نشأ عند الفقهاء علم جديد سمى بعلم أصول الفقه وهو الذى جعل أساسا لاستنباط الأحكام الشرعية ، وقد دون هؤلاء الأئمة وتلاميذهم الكتب التى جمعت أحكام كل مذهب : فدون أبو يوسف ومحمد مذهب أبى حنيفة فى كتب مدونة لا تزال مطبوعة إلى اليوم ككتاب الخراج وكتاب الآثار لأبى يوسف ، وكتاب السير الكبير وغيره من الكتب التى ألفها الإمام محمد، وقد قام بعض الفقهاء باختصار بعض مؤلفات الإمام محمد وجمعها فى كتاب واحد كما فعل ذلك الحاكم الشهيد فى كتابه المسمى بالكافى، وقد صنع الإمام مالك وتلاميذه مثل ما صنع أبو حنيفة فقد ألف الإمام مالك كتاب الموطأ وجمع فيه كثيرا من الأحاديث المؤيدة لأحكام مذهبه وألف بعده عبدالله بن الحكم المصرى كتاب المختصر الكبير وألف محمد بن سحنون كتابه المشهور بالجامع وغير هؤلاء ألفوا كتبا كثيرة فى مذهب الإمام مالك .

وسار الإمام الشافعى فى جميع مذهبه على هذا المنوال فقد ألف كتاب الأم الجامع لأغلب أحكام المذهب ، وألف كتاب الرسالة فى أدلة الأحكام ، وللبويطى تلميذ الشافعى كتاب المختصر الكبير والمختصر الصغير وكتاب الفرائض ، ولا زالت هذه الكتب معروفة فى العصور الإسلامية يرجع إليها فقهاء المسلمين ولا يعرفون غيرها ، ولو تتبعنا نشأة الأئمة وكيف تعلموا العلم ومن أين أخذوه لوجدناهم نشأوا فى بلاد لا علاقة لها ببلاد الرومان أو غيرهم ، فالسلسلة التشريعية الإسلامية ابتدأت أولى حلقاتها بالكتاب والسنة وما فيهما من الأحكام ، ثم امتدت الحلقات بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، ثم ظهر الأئمة المجتهدون بعد ذلك وما استنبطوه من الأحكام المبثوثة فى كتبهم وكتب تلاميذهم ، وقد ظلت هذه الأحكام متناقلة إلى عصرنا الحاضر لا يستطيع أحد مهما كان شأنه أن يدعى أنها تأثرت بأى مؤثر خارجى من أى نوع من أنواع التشريعات غير الإسلامية .

عبد الله مصطفى المراغى

(يتبع)

فقيد الأزهر :

الشيخ محمد عبد الله دراز

انتقل إلى رحمة الله عز وجل فى مدينة لاهور بباكستان يوم الاثنين ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٦ من يناير سنة ١٩٥٨ م علم من أعلام الأزهر الأستاذ الكبير الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ، وصلى عليه فى الجامع الأزهر المعمور ، وقد ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد حسن وكيل كلية اللغة العربية كلمة الرثاء الآتية فى مشهد تشييع الجنازة بعد الصلاة عليها ، قال :

بسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ، ولكن يقبضه بموت أهله » - بموت العلماء العاملين - وأى عالم فقدناه اليوم فى ميدان العلم وخدمة المجتمع الإسلامى ؟ ! إنه المثل الكامل ، للعالم العامل ، الذى أمده الله بالعلم النافع ، وتوجه بالخلق الكريم ، وجمله بالأدب الوفير .

إنه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد الله دراز ، كان نفاعاً للعالم بأحاديثه الممتعة القيمة ، كان جماعا للقلوب ، بعيدا عن مواطن العيوب ، جاهد فى سبيل ربه ، وأخلص لله فى عمله ، فعرف الناس قدره ، وشهدوا جميعا بفضله .

ارتقب الناس زمانه بعد أن بلغ الله به ، وتطلع المصلحون إليه بعد أن أنهض الله الخير له ، ولكن حوادث المنون ، التى تشيب وتريب ، كانت وراء آماله ماثلة ، وسهامها الغادرة كانت تنفذ إلى قلبه الطاهر مسرعة وعاجلة ، ولو أن موت هذا العالم العظيم يفتدى ، لرخص والله الفداء بأموالنا وأنفسنا ، ولكنها المنايا إذا نزلت ، لا يدفعها مال ولا نشب ، وقضاء الله بالموت محتوم ، وأجل الله إذا جاء لا يؤخر .

وفى الحق إننا فى موقف رهيب ، لا يترك للانسان لبا ، ولا يستبق منه قلبا ، وما أصعب الكلام على المرء وقلبه مثقل بالأحزان ، ونفسه مأخوذة بتصاريف الزمان .

ولو كان هما واحدا لاحتملته ولكنه هم وثان وثالث

هم أصاب العالم الإسلامى بفقد عظيم دينى ، وعالم اجتماعى ، قضى نحبه وهو مشغول بخدمة المجتمع الإسلامى ، فى لاهور ، فى الآفاق البعيدة النائية ، فى مصر وفى غير مصر يخدم الإسلام والمسلمين . . . !

وهم أصاب العلماء بفقد علم من أعلامهم ، وكان العلم المرفوع الخفاق . . . !

وهم ثالث أعظم ! أصاب أهل الأزهر عامة ، وأبناء كلية اللغة العربية خاصة ، بانقطاع ذلك المدد العلمى الروحى الفياض ، الذى كانت تستمد منه قلوبهم ، وتحيا به نفوسهم ، فقد كان لهم الأستاذ الراحل كالماء يسوقه الله إلى الأرض الجرز فتحيا به الأرض بعد موتها ، وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها . . . !

إن الله الذى بيده ملكوت كل شىء هو الذى عجل بخيارنا إلى لقائه ، وهو وحده الذى يلهمنا جميل الصبر على قضائه ، فاليك يا الله وحدك نتوجه ، وأنت علام الغيوب ، المطلع على هذه القلوب الحزينة ، الخاشعة الذليلة الكسيرة ، ونسألك أن تشمل راحلنا الكريم بعفوك ورضاك ، اللهم اجعله فى ولايتك وأنت ولى المؤمنين ، واشمله بواسع فضلك ورحمتك وأنت أرحم الراحمين ، وألهم آله وأنجاله وأسرته الأزهرية والعالم الإسلامى جميل الصبر على ما أصابهم . . . !

أيها الراحل الكريم . . . ! إننا فى هذا الموقف الرهيب نذكر قول الإمام على كرم الله وجهه ، حين وقف على قبر زوجه فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، يرثيها بقوله :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الممات قليل

وإن افتقادى فاطما بعد أحمد دليل على ألا يدوم خليل

فسلام الله عليك حيا وميتا ، وسبحانك ربنا ، إليك أنبنا ، وإليك المصير ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . . . !

كامل محمد حسن

وكيل كلية اللغة العربية

رثاء المرحوم
الدكتور محمد عبد الله دراز

طيب الله ثراه

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان بدير الأستاذ بكلية أصول الدين وهى قصيدة فى نحو مائة بيت ونـكتفى منها بنشر ثلاثين بيتا .

الله باق والورى لفنـــاء ... كيف الممات لسائر الأحياء
كل يسير إلى التراب وإنما ... يبقى الإله مقلب الآناء
فى قبضة الله الوجود بجميعه ... يجرى الأمور بحـكمة وقضاء
وله المشيئة فى الخلائق ، حكمها ... جار على العظماء والحقراء
ما أنت يا دنيا سوى حلم حلت ... فيـــه الأمانى ساعة الإغفاء
فاذا أفاق المرء من إغفائه ... كنت السراب يلوح فى البيداء

* * *

اليوم مات « محمد » علم الهدى ... فى عصرنا ، ومنارة العلماء
رجل يفيض كما يفيض البحر من ... علم العليم ، وحكمة الحـكماء
يلقـاك فى بشر الـكريم ولطفه ... مستقبلا بسماحـة السمحاء
خلق أرق من النسيم لطـافة ... وتواضـــع فى عزة وإباء
ما كان فى يوم يذل العلم بالـ ... ـزلفى لذى جاه ولا برياء
يفتى على هدى الـكتاب وسنة الـ ... هادى ونهج أئمـة الفقهاء
خدم الحنيفة خدمة مشـكورة ... فى المشرقين فحـاز خير ثناء
ولـكل مؤتمر يقوم ممثلا ... للأزهر المعمور فى الأنحاء
بالأمس فى (لاهور) أدى واجبا ... لله ، والإسلام خـــير أداء

وهناك غالته المنون كأنه | شمس الضحى خرت من الزرقاء
لك حكمة يارب فيا حل بالـ | إسلام من محن ومن أرزاء

• • •

يا رافعا للدين راية مجده | خفاقة فى سائر الأجواء
إن الحنيفة عند موتك نكست | يوم الحداد عليك كل لواء
والمسلمون وقد رأوك مشيعا | للقبر ما ظفروا بحسن عزاء
يبكون فيك شمائلا ومواهبا | جعلتك فخر الملة الغراء
لو كنت تمنع يا محمد بالفدا | لوجدت عند الموت كل فداء
ماذا أقول من الرثاء لصاحبي | والموت يخرس ألسن الشعراء
لو يملك المحزون غير دموعه | صاغ الرثاء اليوم كالخنساء
الدمع أفصح من لسانى منطقا | عند الفجيعة إن أردت رثائى
لا شئ بعدك فى الحياة يسرنى | عظم المصاب فقل فيه عزائى
ومشى الأسى فى عارفيك كأنه | وهج السعير يدب فى الأحشاء
نم فى جوار الله يرعاك الذى | يضفى عليك سوابغ الآلاء
فلقد دفعت عن الحنيف خصومه | وقرعتهم بالحجة الغراء
سيخلد التاريخ ذكرك عاطرا | مثل الأريج يفوح فى الأرجاء

صديقك المحزون

محمد سليمان بدير

الأستاذ بكلية أصول الدين

فقيد الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء

صدعت لأمر الله إذ كان داعيا   وكذبت في منعاك من قام ناعيا

تعلة مصدوع تغشاه فاجئ   يرد أساه ذاكر القوم ناسيا

إذا جن ليل الخطب أو طم هوله   رأى حلماً من كان بالعين رائيا

وما كان خطبا تألف الأذن وقعه   ولكنه خطب يهز الرواسيا

ولم تفدح الجلى شجي نذيرها   كما فدحته بالفجاءة خاليا

نروح على الدنيا ونغدو لموعد   تساوى به من راح أو ظل باقيا

تشابه أهلوها دفينا ودافنا   ومن كان مرثيا ومن كان راثيا

وكيف يرى حيا رهين بيومه   إذا كان هذا اليوم لاشك آتيا

ومن وسد الأحباب في الترب ميت   وإن عاش دهرا بعدهم ولياليا

يقسم فيهم كل يوم فؤاده   ويحسب في الأحياء من كان فانيا

نحث الخطا والموت يحدو ركابنا   ونبني المنى قبرا لمن كان بانيا

ونوغل في الدنيا احترابا وكلنا   على مورد للموت يسقى الصواديا

وبين حياة المرء والموت زفرة   فعشها كريما شامخ الرأس عاليا

وكيف تسيغ الهون والعمر واحد   إذا لم تكن يوما سوى الله راجيا

(وإن ابن عبد الله خلى مكانه)   وما كان خوارا ولا كان وانيا

سل الأزهر المعمور ما باله اغتدى   من الهول مغشيا عليه وغاشيا

تلاطم فيه الدمع حتى كأنما   مآذنه أيد تصفق الأواذيا

تلقاه محمولا مسجى وكم غدا   إلى ساحه بالأمس جذلان ساعيا

مضى باسمه من راح يرفع رأسه   وينفح (باكستان) منه غواليا

وكنا نرجى فيه أوبة سالم   على الطائر الميمون يقظان شاديا

أقلته فتخاء الجناحين بارح   تئز أزيزا نائح الجرس باكيا

كساها جلال العلم والموت هيبة   فيالك من نعش طوى الجو ساريا

تسير المويتى والملائك حولها   تشيع مرضىّ الشمائل صافيا
وكم هزّ أطباق الأثير بصوته   فهذا الأثير اليوم يحدوه حانيا
وكم قد غزا الآفاق حيا بهديه   فما زال بعد الموت للأفق غازيا
هو الأزهر المعمور نكس حظه   وأثغر جرح فيه أعيا المداويا
يمجل بالسباق فيه مظفراً   وبالبحر فياضا وبالنجم هاديا
وبالفذّ لماحا وبالندب عزّة   وبالورد منضورا وبالغصن حاليا
لقد كنت تأسو يا محمد جرحه   فأمسى وما يلقى لفقدك آسيا
فأين أمان كنّ أحلام خاطر   طموح المعالى لا يرى النجم نائيا
تعجلك المقدور عنها وغالها   وأقسى المنايا ما يميت الأمانيا
ففى ذمة الرحمن ساع لربه   ليلقاه مرضياً عليه وراضيا

حسن جاد
الأستاذ بكلية اللغة العربية

« اعتذار »

ورد للمجلة فى رثاء فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء ، عدا ما نشر كلمات نثرية وأخرى شعرية — تنم كلها عن روح التقدير والإجلال والتأثر — وقد ضاق النطاق عن نشرها ، فنعتذر للسادة ذويها ، ونخص بالذكر أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمد كامل الفقى والشيخ أحمد شفيع والشيخ محمود جميلة ، الأساتذة بكلية اللغة العربية ، والمجلة إذ تقدر لجميع صادق شعورهم ، تتوجه إلى المولى جل وعلا أن ينزل الفقيد منازل الأبرار ، ويعوض الأزهر والمسلمين فيه خيرا .

الحكمة فى تعدد الزوجات

— ١ —

« قل هـذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » سبيل وسبيل الأزهريين كلهم واضحة مستقيمة ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، سهل عبورها يسير السير فيها ، « وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . سبيلنا أن ندفع بكل ما أوتينا من حول وقوة « ولا حول ولا قوة إلا بالله » تلك الأستار الكثيفة والحجب المتراكمة التى وضعتها يد الأغراض ، وأسدلتها نزعة الشهوات على وجه ديننا الحنيف ، وهو الدين الخالص السليم من كل عيب ، البعيد من كل جور وحيف حتى تطاول عليه الملحدون بحجة الفلسفة العلمية وهم منها براء ، ومن أنوارها خلاء .

معاذ الله : أن تحجب نور الدين حجب وأستار ، أو تحول دونه شبه وأوهام . ولكن المتحللين شاءوا أن يحملوها عليه فكانت لأعينهم هم غشاء ، ولقلوبهم أكنة وغطاء ، فما أبصروا الدين ولا وعوه ، وهو الهابط من سموات الجلال ، ومهابط التعاليم الربانية ، والحكم الإلهية . انتشر نوره فى جميع الأرجاء ، وملأت حكمته القلوب التى لم تعمها الأغراض والأهواء . سبيلنا « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

سأتكلم هنا فى موضوع من أهم الموضوعات الدينية الاجتماعية وألزمها للمرء فى أيام حياته ، وعليه وضع أساس العمران ومبدأ الحياة الاجتماعية ، وإنه ليؤلمنى جد الألم أننا أصبحنا فى زمن نسمع فيه ممن ينتسبون إلى الدين — بزعمهم — مالم نكن نسمعه من قبل إلا من المبشرين الأمريكيين وغيرهم من الدعاة إلى غير دين الإسلام ، فكانوا يعيبون على دين الإسلام قصورا منهم عن تعرف أسراره ، وتبين حكمه ما توخاه فى تعاليمه كلها من خير المجتمع ونفعه ، فقلدهم أولئك جاهلين أو متجاهلين ، لغاية سيئة ظالمة اختمرت فى رءوسهم « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

سأحاول ما استطعت شرح آية من آيات الذكر الحكيم أثبت الله بها أصلا من أصول الحياة العمرانية التى جاء بها الدين الحنيف ، وأسأل الله من فضله أن يمدنى بروح منه ،

أستعين بها فى شرحها وبيان ما انطوت عليه من حكم وأسرار ، وبيان الحكمة العظيمة فى تعدد الزوجات .

تلك الآية هى قول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

سأشرحها إن شاء الله وأبين متى يجوز تعدد الزوجات ، ومتى لا يجوز ، وأبين حكمة التعدد فى ذاته .

ظاهر إلى حد البداهة أن القوانين كلها ـ ومنها الدين الحنيف ـ قامت ضد الشهوات ، ووقفت حائلة بين المرء والسير فى طريق شهوته ، واتباع هواه ، وعفوا إذا سميت الدين قانونا ، فان الدين معتبر فيه أن يكون منسوبا لله سبحانه وتعالى حيث يعرفونه : بأنه وضع إلهى سائق لذوى العقول إلى اختيار ما هو خير لهم الخ . . . ، وليست كذلك القوانين ، فانها مجموعة مواد تحدد بها المصالح فعلا أو تركا ، بقدر ما تصل إليه عقول واضعيها ، من تعرف أماكن المنافع والسبيل المؤدية إليها ، غير أن الدين والقوانين تشترك جميعا فى أن الغرض منها جميعها بيان طرق المنافع ، والحيلولة بين الناس وبين الشرور والمضار ، وغير خاف أن مثانة القانون ورفعته إنما تكون بقدر ما حدد من مصلحة ، وبين من حكمة وهدى إلى سبيل ، وأرشد إلى خير وسعادة ، وإنما يكون ذلك فى القانون بمقدار سعة علم واضعه ، وإحاطته بمصالح الناس فى حالهم ومستقبلهم ، دنياهم وأخراهم ، وبمقدار حكمته ووضعه الأشياء فيما يصلح لها من مكان ، ويليق بها من زمان ، وخبرته بما تتغير إليه أحوال الناس ، وما يحتاجون إليه بحسب هذا التغير والتطور ، فان لهم فى كل حالة أحكاما تلتئم معهم ، ونصائح إن اتبعوها نفعتهم ، وأعتقد أننا لا نجد فى الدنيا من يخالف فى أن الله سبحانه أوسع علما وأحكم إرشادا وأهدى سبيلا ، إذا فالأديان أو القوانين الإلهية هى خير القوانين وأحسنها وأجمعها لمصالح العباد ومنافعهم « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

قوى الخير والشر فى الانسان

خلق الله الإنسان وركب فيه قوى مختلفة ، وجعل له منازع ينزع إليها بحسب ما فيه

من بواعث وشهوات وصفات فطر عليها ، قال علماء الأخلاق : إن الله جلت قدرته جعل فى الإنسان النفس والعقل ، أما النفس فتدعوه إلى الشرور والقبائح « إن النفس لأمارة بالسوء » ، وأما العقل فيدعوه إلى الخير ومحاسن الأشياء ، وما سمى عقلا إلا لعقله صاحبه ومنعه عما يضره ويؤذيه . وتمد النفس الشهوات ، ويمد العقل العلم والعرفان ، فكان عدلا وإنصافا وحكمة ، أن يقف الدين أمام الشهوة ولا يرخى لأربابها العنان ، وإلا لهلكوا وفسدت أحوالهم ، وليس من الحكمة فى شىء أن يصدها صدا تاما ويمنعها عما تصبو إليه وتتوق له ، وهو فطرة من الفطر التى فطر الله الناس عليها ، فشرع لها ما تأخذ منه حاجتها على قصد وعدم إفراط . ولا أتكلم عن جميع قوى المرء الشهوية وغير الشهوية فان ذلك يحتاج إلى بحوث كثيرة طويلة ، ولكننى سأقصر الكلام على شهوة النكاح ، فانه هو الذى تتكلم عنه الآية الكريمة ، وتشرع للناس حاجتهم منه وكفايتهم فيه .

ذكر الأطباء والشرعيون أيضا أن الشهوة أو النطفة تتولد فى الشخص من أنواع الغذاء ، وأن بقاءها بالجسم باستمرار ضار به إلى حد ما ، على أنها مع هذا هى أصل التناسل وأساس الذرية . وكما أن الله سبحانه جعل شهوة الطعام وسيلة إلى بقاء الأشخاص إلى غاية ، فانه جعل النكاح كذلك وسيلة لبقاء الأنواع إلى غاية ، مع ما فيه من التناسل وكثرة الأولاد التى يباهى بها النبى صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة ، كما يفيده قوله صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ، تلك حكمة من حكم النكاح وسره الذى أبيح لأجله ، ومن حكمه أيضا كسر الشهوة التى يضر بقاؤها فى الجسم ، وقد تحمل صاحبها على العنت والفجور إن لم يجد حلالا ، كذلك فيه الإعانة على تدبير المنزل وتنظيمه وكثرة العشيرة .

بيان الآية الكريمة

يقول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

لما نزلت الآية قبل فى أمر اليتامى وما فى أكل أموالهم من الحوب الكبير والإثم العظيم ، تحرج الناس من ولايتهم وخافوا أن يلحقهم ذلك العصيان الكبير بترك الإقساط

وهو العدل والإنصاف فى أموال اليتامى وحقوقهم ، وكانوا مع هذا لا يتحرجون من ترك العدل بين النساء اللاتى فى العصمة ؛ بما جبلت عليه النفوس من الظلم وارتكز فى الطباع من حب التغلب ونفوذ الرأى .

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من النساء أو الست أو السبع - قبل تحريم الزائد على الأربع - وكان لا يبالى عدل بينهن أو جار ، قام بحقوقهن أو قصر ، فأراد الله وهو الناصح الحكيم لعباده اللطيف بهم أن ينبههم إلى أن النساء لسن أمتعة فى أيديكم تفعلون بهن ما تشاءون من حيف وجور ، بل هن أناسى مثلكم لهن عليكم حقوق كما لكم عليهن حقوق « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

وفى الحديث الشريف : « الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم (أى أسراء) أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » ، وكما أنكم تكرهون أن يجار عليكم وأن ينزل بكم ظلم ، فكذلك النساء لا يردن ذلك ولا يريده الله لهن ، وإذا كنتم تتحرجون من ولاية اليتيم خشية الإثم والمعصية فلتتحرجوا أيضا من ذنب يساويه فى الخطورة ، فان من خشى ذنبا وخافه وهو مرتكب مثله فليس بخاش ولا خائف ، فانما تخاف الذنوب وتحذر لأنها يحرمها علم قبحها وسوء مغبتها والقبح قائم فى كل ذنب ، فليس من الحكمة والرشد ترك ذنب والإقامة على مثله ، فان خشيتم عدم العدل فى اليتامى فخافوا مثله فى النساء اللاتى فى ولايتكم ؛ فان الظلم أنى وجد شىء قبيح ، فقللوا من النساء وانكحوا ما طاب لكم منهن لتستطيعوا العدل بينهن ، ولا تميلوا كل الميل فان القلة أقرب إلى العدل وأيسر إلى المحافظة ، وفى الحديث : « من كان له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » .

وقيل : كان القوم يتحرجون من ولاية اليتيم ، ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم : إن كنتم تخشون الجور فى حق اليتامى لقبحه وسوئه ، فاخشوا الزنا فانه أضر منه وأسوأ مآلا ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء ، وقد جرت عادة الله سبحانه فى تعليمه لعباده أن يقرن لهم النظير بالنظير ؛ ليبين لهم ما فيه صلاحهم وحسن حالهم .

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير الوعظ بالجمهورية المصرية

البعثة المحمدية

وحاجة العالم اليها وعموم الرسالة

(١) حاجة العالم إلى البعثة المحمدية :

اتفقت كلمة الباحثين فى تاريخ الشعوب والأمم ، على أن العالم قبل البعثة المحمدية ، كان مغمورا بموجة عاتية من الفساد الاعتقادى والعملى ، أشاعت فى آفاقه الأحداث والفتن ، وقوضت فى أنحائه دعائم الأمن والاستقرار ، وبعثت فى حكامه روح الظلم والطغيان ، وأفسدت فى شعوبه أوضاع السلوك والتدين ، فاضطربت فى أممه أنظمة الإدارة والحكم ، وتقطعت بينها روابط الصلات والجوار ، واختلت فى أعمالها موازين الحق والعدل .

فقامت فيها الحياة الاجتماعية على كبت الحريات ، واعتقال الألسنة والعقول فى محابس الاضطهاد والاستبداد ، وسفك الدماء المعصومة على مذابح القسوة والاستعباد ، وقامت الحياة السياسية على سلطان القوة الغاشمة ، التى لا تعرف حقا ولا عدلا ، ورهبة الجبروت الحربى الذى لا يرعى ذمة ولا عهدا ، وقامت الحياة الدينية فى أوضاعها وصورها ، على تحكم الأهواء والشهوات ، واختراع الشرائع والأديان ، والعكوف على عبادة الأصنام والأوثان ، هكذا كان حال الحكام فى طغيانهم واستبدادهم ، وحال المحكومين فى شقائهم واستعبادهم ، وهكذا كانت مظاهر الحياة فى نواحيها السياسية والاجتماعية والدينية ، فان شعوب العالم فى هذه الحقبة من الزمان ، كانت تتمثل فى دولة الفرس فى الشرق ، ودولة الروم فى الغرب ، والأمة العربية فى جزيرة العرب .

أما الفرس والرومان : فان التاريخ وإن سجل لهم ما سجل من حضارات ومدنيات ، ونقل عنهم ما نقل من أنظمة وتشريعات ، إلا أنه سجل عليهم بجانب ذلك كله ، أنهم أقاموا هذه الحضارة بكل مقوماتها وأهدافها ، على نزغات الأهواء والشهوات ، ونزعات الظلم والطغيان ، ونزوات القسوة والاستبداد ، واغتصاب الحقوق وإهدار الكرامات فكانت شقاء للشعوب والأمم ، وبلاء للأفراد والجماعات ، لأن الحضارة التى لا تقوم على هدى الشرائع السماوية ، تدفع أهلها إلى التحلل من القوانين الأخلاقية والقيم الروحية ،

والتشريع الذى لا يقوم على قواعد العدل الإلهى، يكون من أقوى البواعث على ظلم العباد واستعباد الرقاب ، وويل للأفراد والجماعات ، من ظلم تقرره التشريعات الجائرة ، وطغيان تحميه القوانين الظالمة .

وأما الأمة العربية فى بدواتها ، فإنها على رغم ما كانت تمتاز به من حياة الحرية والاستقلال ، كانت غارقة فى جاهلية جهلاء، فقد كانوا فى فترة من إرسال الرسل وتشريع الشرائع ، قضوا فيها زمنا طويلا وهم أبناء الطبيعة البحتة ، تسيرهم فى مناحى الحياة وألوانها ، على النهج الذى توحى به أهواؤهم وشهواتهم ، فانحرفت أخلاقهم وطباعهم ، وضلت عقائدهم وأعمالهم ، ونمت فيهم نزعات العصبية الجاهلية ، فاستحوذت على قلوبهم وعقولهم ، وتحكمت فى تفكيرهم وسلوكهم ، وحببت إليهم العتو والنزوع إلى الشر وفرقتهم شعوبا وقبائل متعادية .

وهكذا تحكمت الأهواء والشهوات فى سلوك الشعوب والجماعات ، واستشرى الفساد فى كل جانب من جوانب الحياة ، واختفت معالم الشرائع السماوية فى كل ناحية .

هذه صورة إجمالية لما كان عليه العالم قبيل البعث المحمدى ، وهى كما ترى تدل دلالة قاطعة ، على أنه كان فى حاجة شديدة إلى صيحة من صيحات الحق الإلهى ، تقوض عروش الطغاة الجبابرة، وتزلزل قواعد القوة الغاشمة ، وتنقذ الإنسانية من محنها وويلاتها، وتملأ جوانب الأرض حقا وعدلا ، وتنشر فى أرجائها الأمن والسلام والاستقرار، وهذا هو الذى أراد الله كونه فكان ، فقد تداركته رحمة الله ببعثة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم ، استجابة لدعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ، كما قال الله تعالى حكاية عنه فى دعائه : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ٢ : ١٢٩ » وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى بن مريم ، كما قال عز شأنه : « وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، ٦١ : ٦ » ورحمة عامة للعالمين ، كما قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ٢١ : ١٠٧ » ومنة كبرى على المؤمنين ، كما قال جل جلاله : « لقد من الله على

المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ٣ : ١٦٤ » .

وببعثته صلى الله عليه وسلم ، اكتمل عقد النبيين والمرسلين ، وتكاملت لبنات البناء الذى أقامه النبيون السابقون ، كما قال الله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ٣٣ : ٤٠ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » ، وبها تمت مراحل التشريع السماوى ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فرسالته صلى الله عليه وسلم خاتمة النبوات والرسالات ، ومتمة للمراحل التشريعية السماوية ، ومكملة لبناء الإصلاح الذى أقامه النبيون من قبله ، فلا نبوة ولا شريعة بعد نبوته وشريعته ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وخلاصة القول فى هذا المطلب ، أن البعثة المحمدية كانت ضرورة لإصلاح حال المجتمع الإنسانى ، وقضت بها سنة التدرج فى التشريع السماوى ، والسير بركب الحياة الإنسانية إلى الكمال المقدر لها ، إذ لو كانت الدعوة المحمدية غير ضرورية لإصلاح العالم فى مرحلته الأخيرة ، أو كانت مقتطعة من مرحلة تشريعية لا تحتاج إلى تشريع جديد ، أو كانت آتية فى تشريعها على خلاف سنة التطور فى الإصلاح الدينى ، أو كانت من مبتكرات العقل البشرى ، أو كانت مستمدة من الوحى الباطنى كما يزعم الجاهلون والمضللون ، لكانت شريعتها أضيق الشرائع أفقا وأسرعها عفاء ، ولما استطاعت الصمود أمام الأحداث العنيفة التى لاحقتها فى بدايتها ، واستمرت معها فى صراع عنيف وكفاح رهيب ، والتى لاتزال معها فى هذا الصراع والكفاح إلى الآن ، ولكن اقتضاء حاجة العالم لمرحلتها التشريعية ، وجريانها على سنة التطور التشريعى ، ووضوح دلائل صدقها وحقيتها ، وروعة تشريعها وإصلاحها ، وصلاحية هذا التشريع لكل زمان ومكان ، ومسايرته لمطالب الحياة الإنسانية فى أكمل صورها وأشكالها ، كل ذلك هو الذى جعلها تثبت أمام هجمات هذه الأحداث العنيفة ، وتنتصر عليها انتصارا رائعا ، وجعل صوتها يدوى فى الأمصار والأقطار ، ونورها يتألق فى الجواء والآفاق ، رغم ماقام فى طريقها من عقبات وأحداث ، فقد حاربتها الأعداء فى ماضيها وفى حاضرها ، بأموالها ورجالها

وعلومها ، وسلط عليها جهلة المبشرين والمستشرقين ألسنتهم وأقلامهم ، فلم ينالوا من قوتها منالا ، ولا استطاعوا الوقوف فى طريقها ، ولا صرف القلوب عن دلائل صدقها ، ولا صد الشعوب عن الانضواء تحت لوائها « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ٩ : ٣٢ – ٣٣ » .

(٢) عموم الرسالة المحمدية :

وكما أكمل الله مراحل التشريع السماوى ، ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله خاتم النبيين والمرسلين ، جعل رسالته عامة باقية ، لا تختص بأمة دون أمة ، ولا بزمان دون زمان ، كما قال جل جلاله : « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ، ٧ : ١٥٨ » « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ٢١ : ١٠٧ » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، ٢٥ : ١ » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ٣٤ : ٢٨ » فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما فى معناها ، تقرر فى وضوح وجلاء ، أن الله تعالى – وهو صاحب السلطان المطلق – أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وبشيرا ونذيرا للناس أجمعين ، لا فرق بين بدوى وحضرى ، ولا بين عربى وعجمى ، ولا بين زمان وزمان ، وقد نفذ الرسول ذلك التعميم تنفيذا عمليا ، حيث بعث برسله وكتبه إلى الشعوب والأمم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها وأوطانها ، فقد أرسل رسله بكتبه ، إلى هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، والنجاشى ملك الحبشة ، والحارث الغسانى ملك الحيرة ، والحارث الحميرى ملك اليمن ، يعلمهم فيها ببعثته ويدعوهم إلى الإسلام ، وعلل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة » ، وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده .

وإنما كانت رسالة الإسلام رسالة عامة دون غيرها من الرسالات ؛ لأنها الرسالة التى نزلت من السماء ، وقد مر على النوع الإنسانى أزمان وأجيال ، كان فيها بين علو وسقوط ، وارتفاع وهبوط ، وتقلب فى كثير من أطوار التشريع السماوى ، فألهبت عقله وفكره أطوار الحياة وأحداثها ، وبلغت به سنة الترقى طور النضوج والرشد ، وتركت أكثر شعوبه فى أخلاقها وعاداتها ، وأفكارها واتجاهاتها ، وتقاربت بينها طرائق الحياة والمعاملات والصلات ، وأعدته الشرائع السابقة لمرحلة التشريع العام ، فاستعد لإدراك

أدق دلائل التوحيد والتنزيه ، وإحكام النظر فى ملكوت السموات والأرض، واستجلاء آيات الله الكونية والتشريعية ، وفهم أصول التشريع العام وفروعه ، وتطبيق قواعده على ما يعرض له من أحداث وأقضية ، وبذلك أصبح العالم صالحا للانضواء تحت قيادة دينية واحدة ، فى ظل نظام تشريعى واحد ، يقوم بتبليغه وتنفيذه رسول واحد ، هو رسول السلام ونبى الإسلام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وبذلك توحدت القيادة الدينية السماوية فى مرحلتها الأخيرة ، وتجمعت عناصرها فى يد قائد واحد بأمر إلهى ، أخذ الله به العهد والميثاق على الناس أجمعين ، وأشهد على ذلك النبيين وكان معهم من الشاهدين ، كما قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، ٣ : ٨١ – ٨٢ » ولا يخفى أن أمم النبيين تابعون لهم ، فى أخذ هذا الميثاق ووجوب الوفاء به عليهم .

وخلاصة القول فى هذا المطلب ، أن التشريع الإسلامى تشريع عام خالد ، لا يختص بأمة دون أمة ، ولا بزمان دون زمان ، ولا يعرض له نسخ ولا تبديل ، ولا يحتاج إلى تعديل أو تغيير فى أصوله وقواعده . وأقصى ما يحتاج إليه فى العمل به ورد الأعمال إلى أحكامه ، إنما هو الاجتهاد فى الوقوف على مصادره والإحاطة بها ، وفهم نصوصها على مقتضى قوانين اللغة العربية فى أوضاعها ودلالاتها ، وكيفية تطبيق هذه النصوص على أقوال الناس وأعمالهم ، وما يعرض لهم من الأحداث والأقضية ، التى يقتضيها تطور الحياة فى حضارتها ومدنيتها ، إذ ليس من شأن التشريع العام الخالد أن يبين على سبيل النص والتفصيل، أحكام كل ما يمكن أن يحدث على مر الأيام وتجدد الزمان، وإلا لعجزت العقول والأفهام عن إدراكها والإحاطة بها ، وإنما شأنه أنه يبين على سبيل النص والتفصيل ، الجوانب التشريعية التى لا مجال للعقل فيها كالعبادات ، وهذه الجوانب لانحصارها واتحاد صورها ، يمكن الإحاطة بجزئياتها وتفاصيلها .

وأما الجوانب التشريعية التى للعقل فيها مجال ونظر ، والتى لا يمكن الإحاطة بجزئياتها وتفاصيلها ، لتجدد صورها بتجدد ألوان الحياة والمعاملات ، فانه يكتفى فيها بوضع الأصول العامة والقواعد الكلية ، التى يمكن البناء عليها والاستنباط منها ، مع النص على بعض الجزئيات التى توضح هذه القواعد الكلية ، والتى تصلح لإلحاق نظائرها بها ، فى

أحكامها التى ثبتت لها بطريق النص الشرعى ، فان كل ما يمكن أن يحدث فى مرحلة التشريع الإسلامى ، من شئون الحياة وأحداثها وأقضيتها ، لايخرج عن كونه جزئيا من جزئيات قاعدة كلية فيأخذ حكمها ، أو صورة مكررة لما حدث فى عهد التشريع وتقرر له حكم شرعى ، أو نظيرا له فيكون لا حقا به فى حكمه الذى تقرر له ، ولهذا كان إلحاق الأشباه والنظائر المسكوت عنها ، بأشباهها ونظائرها المنصوص عليها ، أصلا من أصول التشريع الإسلامى ، وهذا الأصل هو المعروف بالقياس الشرعى .

ومما تقدم يتضح لنا جليا ، أن ما يتقوله الجاهلون والمضللون ، من أن الرسالة المحمدية خاصة بالعرب وحدهم ، أو خاصة بمن كانوا فى عهدها وخوطبوا بها شفاها ، أو أنها ليست خاتمة النبوات والرسالات ، أو أن تشريعها لا يساير الحضارة الإنسانية فى عصور رقيها وتقدمها ، إنما هو كذب وافتراء ، وتضليل وتدليس ، وإبعاد فى ظلمة الجهل القاتل ، وانقياد أعمى للعصبية الغاشمة ، وتمرد على قدسية الميثاق الإلهى ، الذى شهد به النبيون على أنفسهم وأممهم ، وشهد الله به على هؤلاء وهؤلاء، وكفى بالله شهيدا .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

« استدراك »

فى الجزء السابق

السطر ١٦ من كلمة فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر فى معسكر الأزهريين ، المنشورة بصدر الجزء السابق (الصواب) : « فبهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعملية » ـ بدلا من : « فبهذا تجمعون بين الناحيتين النظرية والعلمية » .

السطر ٢ من هامش ص ٥٤٦ (الصواب) : « أبو بكر » ـ بدلا من : « عثمان » .

الاسلام والمسلمون فى صحف العالم :

شىء من تاريخ الاسلام

فى يوغوسلافيا

نقلت وكالات الأنباء من سراى بوسنة فى يوغوسلافيا أن احتفالا كبيرا أقيم بمناسبة تسلم الحاج سليمان كيميورا مهام منصبه الدينى رئيسا لمجلس علماء المسلمين ، وقد حضر هذا الاحتفال الحاج سيلمو بيجوفيتش سكرتير المجلس التنفيذى للشئون الدينية ، وأعضاء المجلس التنفيذى لجمهوريتى البوسنة والهرسك ورجال الدين من الأرثوذكس والكاثوليك واليهود وأعضاء مجلس الأديان الأعلى .

وقالت الأنباء : إن الحاج سليمان ألقى خطابا فى الاحتفال قال فيه : إن من واجباته إقامة علاقة الصداقة مع زعماء الأديان الأخرى فى يوغوسلافيا ، فعقيدة الإسلام ووطنية المسلمين تدعو لنشر مبادئ الأخوة بين الشعب باعتبارها أساسا لسعادتنا ورخائنا وتقدم بلدنا ، ثم قال : إن الإسلام يدعو للسلام ففيه رخاء الجنس البشرى وسلامته .

وأعلن باسم مسلمى يوغوسلافيا معارضته لإنتاج الأسلحة الذرية وتأييد قادة يوغوسلافيا فى مطالبهم بوقف التجارب الذرية ، ثم أعلن فى ختام خطابه تأييد مسلمى يوغوسلافيا لكفاح الشعوب المستعمرة من أجل الحصول على استقلالها القومى والاقتصادى .

وإنما عنيت بنقل هذا الكلام لعله أن يكون تذكرة بمجد غابر وتاريخ حافل وأيام سالفة للاسلام فى تلك البلاد ، ثم طوت الأحداث صفحتها ، فليس فينا من يذكرها ، أو يدرى شيئا عنها ، وكأن ما ذهب من مجد أيامنا قد ذهبت بحقيقته الأيام .

فمن منا يذكر أن مدينة سراى بوسنة هذه إنما أسسها المسلمون عند دخولهم تلك البلاد .

ويقول الرحالة التركى « أوليا شلبى » فى رحلته : إنه كان فيها على زمنه فى أواسط القرن الحادى عشر مائة وسبعون مسجدا ، منها سبعون جامعا تصلى فيها الجمعات ، كما كان فيها مدارس أهلية ومدارس للمسلمين خاصة ، يتعلم فيها الأولاد الحروف العربية وقراءة القرآن والعقائد وأحكام الصلاة والصيام ، وكانت هناك مدرسة خاصة يتخرج فيها قضاة نواب الشرع ، بل لقد ذكر «أوليا شلبى» وهو يتحدث عن مدينة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا أنه كان بها مائتان وسبعة عشر مسجدا وثمان مدارس وتسع دور للحديث وسبع عشرة تكية للذكر ومائتان وسبعون مكتبا لتعليم الصبيان .

وكان فى مدينة سراى مجلس من أربعة من العلماء يسمى مجلس « الرئاسة العلمية » ، وعليهم شخص يسمى « رئيس العلماء » ، وكانت رئاسته فى أول الأمر خاصة بمسلمى البوسنة والهرسك ، ثم أصبحت شاملة لجميع المسلمين فى يوغوسلافيا ، وهذا المجلس هو الذى يسمى الآن بمجلس علماء المسلمين ، وهو الذى تولى رئاسته الحاج سليمان كيميورا كما نقلت لنا الأنباء .

ترى من منا يذكر ذلك التاريخ ، أو يعنى بشىء مما كان للمسلمين من أمجاد فى تلك البلاد ، وما بذلوه لخدمة الحضارة والإنسانية والعلم والأدب ، وما خلفوا وراءهم من ثروة ثقافية ضخمة استبدت بها الأحداث ، وطوتها الأيام فى مطاوى النسيان ، بل من منا يعرف شيئا عن حال المسلمين فى تلك البلاد اليوم ومدى ما هم عليه من صلة بالمسلمين والإسلام ؟ ! . .

إننا والله لا ندرى ، وإنى لأعود على صفحات هذه المجلة فأدعو الأزهر وأدعو المؤتمر الإسلامى وأدعو جمعية الشبان المسلمين إلى أن أول واجب عليهم هو عقد أواصر الصلة والتعارف بين المسلمين فى أطراف الأرض ، فإنه لن تكون للمسلمين وحدة ونهضة إلا على أساس من التآخى والتعارف ، أليس من العار أن يكون لشراذم اليهود فى أنحاء العالم رابطة واحدة تربطهم وتوجههم وترسم سياستهم ، والمسلمون فى مناطقهم مفترقون متدابرون ؟ ! .

لعن الله السياسة :

تركيا تحدث فى هذه الأيام عن الرابطة الإسلامية ، وهى عاتبة على دول العالم

الإسلامي ودول الجامعة العربية بصفة خاصة ، لأنها لا ترعى حقوق هذه الرابطة ، ولا تعنى في اتجاهاتها السياسية الدولية بحق الأخوة التي تفرضها هذه الرابطة .

فقد أذاعت إذاعة أنقرة تعليقا تناقلته الصحف الغربية قالت فيه : إن العالم الإسلامي بدأ يشعر بضرورة تبني جميع القضايا التي تهم المسلمين أينما كانوا ، لأن المؤمنين إخوة مهما تخالفوا أو تباعدوا ، ثم قالت : والرأي العام التركي يهتم كثيرا بالقضايا الإسلامية ، كقضايا الجزائر وفلسطين وكشمير ويعتبرها قضاياه ، وضربت مثالا لذلك بالحفاوة التي قوبل بها ممثلو هيئة تحرير الجزائر ، عند وصولهم للاتصال بالهيئات التركية في موضوع نظر القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ثم خلصت الإذاعة التركية من هذا إلى ما تريد فقالت : ولهذا استغربنا صدور قرار من جامعة الدول العربية يقضي بتأييد اليونان ضد تركيا المسلمة في قضية قبرص ، كما استغربنا سلوك بعض الدول طريقا خاطئا ، بتأييدها الهند التي اعترفت بإسرائيل في قضية كشمير ضد باكستان المسلمة ، التي كانت دائما في صفوف العرب ضد إسرائيل ، بل إن مما يحز في النفوس أن لا تجد الدول الإسلامية تهتم بما يعانيه مسلمو روسيا من إهدار للحريات الدينية واضطهاد لدينهم الإسلامي الحنيف .

وناشدت إذاعة تركيا العالم الإسلامي أن لا يهمل واجب الدفاع عن مسلمي روسيا ، وقالت : إننا نود ألا تؤثر العواطف السياسية على توجيه التعاون بين المسلمين ، ونرجو أن يكون هذا التعاون خالصا لله وفي سبيله .

وهذا كلام حسن في ذاته ، وكنا نود أن يكون خالصا لله وفي سبيله ، ولكننا في مقام الكتابة نستطيع أن نذكر لتركيا عشرات الأمثلة التي بدرت من جانبها نحو الدول الإسلامية ولا تقرها الأخوة ولا يرضاها الإسلام .

فتركيا التي تذيع هذا الكلام هي التي تنكرت في سياستها للاسلام والمسلمين أكثر من ربع قرن ، حتى نشأ الناشئون من أبنائها في مدارسها على ذلك ، وآخر ذلك أنها حشدت قواتها على حدود سوريا المسلمة ، وأخذت تتحرش بها في عناد عجيب ، استجابة لرغبة أمريكا ، لا لشيء إلا لأن سوريا حصلت على صفقة من الأسلحة لتتقي بها اعتداءات إسرائيل ، ولتحمي نفسها من المؤامرات الاستعمارية والصهيونية ، فهل هذا مما يرضي الأخوة الإسلامية ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ !

وتركيا التي تذيع هذا الكلام هي التي تؤيد إسرائيل ضد العرب والمسلمين ، وتتعامل معها اقتصاديا على أوسع نطاق ، وتبادلها التعاون فى شتى الميادين ، فهل هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ، ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ .

وإذا كانت تركيا قد نسيت ، فنحن فى مصر لا يمكن أن ننسى أبدا يوم أن خرج سفيرها فى القاهرة مع سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، ليوجهوا إنذارا إلى مصر لأنها ألغت معاهدتها مع بريطانيا ، وأرادت أن تتخلص من ربقة ذلك الاستعمار البغيض الذى قيدها أكثر من سبعين عاما عن الحركة والنهوض ، فهل كان هذا مما يرضى الأخوة الإسلامية ويتفق مع رابطة الإسلام ؟ !

إننا كنا نتمنى صادقين أن يكون حديث تركيا عن واجبات الأخوة الإسلامية عن عقيدة ويقين ، وكنا نرجو لو أنها هى ارتفعت بحقوق هذه الرابطة فوق العواطف السياسية ، والاتجاهات الغربية الأشعبية ... وأن تجعل تعاونها مع العالم الإسلامى كما تقول خالصا لله وفى سبيله ... !

إننا كنا نرجو هذا ، وكنا نرجو أن تراجع تركيا موقفها ، وأن تعى هذا الدرس قبل أن تلقيه علينا ، وأن تراجع صفحتها قبل أن تنشر صفحة غيرها ، ولكن لعنة الله على السياسة فانها كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده : ما دخلت فى شىء إلا أفسدته ، وما أفسد المسلمين إلا تلك الملعونة التى اسمها السياسة ، وما دخل على المسلمين الشر إلا من يوم أن جعلوا هذه السياسة شيئا غير الدين ، واتجاها غير اتجاه الإسلام » .

محمد فهمى عبد اللطيف

مكيدة تحديد النسل

نشرت (الجمهورية) يوم ٢٢ يناير الحالى ، تلخيصا للنشرة الأمريكية الرسمية للشئون الخارجية ، من ص ٢٩١ يتبين منه أن الدعوة فى مصر وسوريا لتحديد النسل فى مصلحة التوسع اليهودى فى دولة إسرائيل .

العالم الأزهرى المتدين المتحرر الكريم

الشيخ حسونة النواوى

١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) — ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)

كان هذا الشيخ متدينا يكرم نفسه و يرتفع بالعلم الذى منحه الله عن كل دنية ، وكان - إلى ذلك - متحررا من كل قيد ، ومجافيا لكل تقليد يحول دون مسايرة الحياة ، ويقف حجر عثرة فى سبيل التقدم والمدنية ، إلا أن يكون ذلك القيد من قيود الدين التى لا مخرج منها ، فانه كان أشد الناس تمسكا بها وأحرصهم عليها ، لا يحول دون تمسكه بها إغراء بمنصب أو مادة ، ولا إرهاب بما يخاف منه الخائفون ، أو يتوهم الشر فيه المتوهمون ، لا يرى مع تحرره وانطلاقه خيرا إلا فى الإسلام وتعاليمه ، وهو دين التحرر والانطلاق فيما لا يسىء إلى الآخرين ، ولا يبق على حقوق المخلوقين ، فهو دين الميزان السليم الذى يجمع الإنسانية تحت لواء الحب وتبادل المنافع والتعاون على الخير حيثما كان !

رحم الله الشيخ وأجزل مثوبته ، فوالله ما ذكرته على ما كان يمثل لى إلا ذكرت مجدا من أمجاد الأزهر والإسلام ، جديرا بكل ازهرى و بكل مسلم أن يحتذيه ، على أنى رأيته فى حياتى مرة واحدة فى جنازة أخ لى مات صغيرا ، وكان الشيخ فى أخريات عهده بالدنيا ، فشغلنى النظر إليه على ضآلة جسمه ، عن كل ما يخف بى من ألم ، وما أصابنى من مصيبة ، وقد كانت فرصة تتيح لى أن أرى ذلك العلم الشامخ الذى كان من مفاخر الأزهر وأمجاده ، وكان ذلك فى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) وأنا طالب بالسنة الثانية الابتدائية بالأزهر .

كان الشيخ يمثل فى عزته و إبائه ورفعة نفسه مجد السلف الأولين من علماء الإسلام ، الذين كانوا يدلون على الأمراء و يعتزون على الخلفاء ، فما يبالون أسخطوا أم رضوا ، إذا كان الله هو الذى يأمرهم ودينه هو الذى يوجههم ، فهم يتجهون صوب توجيهه ، ولو كره ذلك الناس جميعا .

وكان يرى العز كل العز في الإيمان بالله واللجوء إلى كنفه واللياذ به ، والاعتداد بالعلم الذي فضله به على غيره من عباده ، والانقياد للحق وتلبية داعيه !

ولقد طالما اختلف مع الخديوي (عباس الثاني) في كثير من المسائل كما حدثنا من عاصروه ، فكان يأبى إلا أن يعتد بما يراه الحق ولو أدى إلى خروجه من مشيخة الأزهر ، كما سترى تفصيل شيء من ذلك .

ولقد قامت الدعوة إلى الإصلاح وصاح بها الأستاذ الإمام محمد عبده ، ليخرج الأزهر من ركوده وليجمع له خيري الدين والدنيا ، فكان الشيخ حسونة النواوي أكبر مناصر لهذه الدعوة وعامل على تحقيقها مع الشيخ عبد الكريم سلمان ، الذي كان أبرز صديق للأستاذ الإمام ، على كثرة ما اختلف الأزهريون – إلا قليلا منهم – على الأستاذ الإمام ، وكتبوا في شأنه لهم ، كما كتبوا في الشيخ حسونة النواوي ، وحاولوا أن يحولوا دون ترشيح الخديوي إياه لمشيخة الأزهر فما أفلحوا ، فقد كان عباس يريد ألا يتخلف الأزهر عن مسايرة شعبه يوم ذاك ، وإن كان عاث فسادا في أوقافه وحقوقه . ومهما يكن من شيء فقد كان الشيخ حسونة النواوي بسعة أفقه من خير من يعملون على تنظيم الأزهر في إدارته وفي مناهج دراسته وفي تنظيم إجازته ، وكان شديد الحرص على أن تكون له الكلمة العليا في كل ما يتصل بشئون الدين ، وألا ينازع الأزهر وشيخه في ذلك أحد ولو كان ملكا تحف به الجنود وتخفق من فوقه البنود .

وكان والدي – رحمه الله – ممن عاصروا الشيخ وعاشروه وتفاهموا معه وأعجبوا بشهامته ومروءته وحرصه على كرامة العلم والدين ، فكان ينتهز فرصة وجودنا في مجلسه فيحدثنا بالكثير من أخبار الشيخ وتاريخه ، ويروي لنا الكثير من ذلك ، ليكون فيه المعلم لنا والموجه في الأخلاق والولاية للحق والاستماتة فيه .

* * *

وقد ولد الشيخ – رحمه الله – في قرية نواي في أسرة كان هو بدء مجدها ، وموجه أهلها ، بما كتب الله سبحانه له أن يكون ممن يسعدهم القرآن والعلم ، وإنما يسعد القرآن والعلم كل نفس طاب محتدها ، وكرمت أرومتها ، فكانت كأرض نقية قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ ، وجادت على الإنسانية بالخير العزيز : « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

كذلك كان الشيخ ممن باركهم الله بالعلم ورفعهم به درجات .

* * *

لم يكن الشيخ من أبناء الأغنياء المترفين الذين ربوا فى التعليم يأكلون من الطعام ألوانا ، ويتشدقون فى الكلام ـ وما أكثر ما يصرف الكبر والترف هؤلاء عن السمو الصحيح والعلم النافع والمجد المنشود ـ وإنما كان الشيخ من أبناء الفقراء الذين تضافر على تربيتهم وتكوينهم هذا الفقر الذى يعرف الإنسان قدر نفسه ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، ثم هذا الفقر الذى يعلم النفس التواضع لله ولعباده ، وخفض الجناح لهم والعطف عليهم وتكريم إنسانيتهم ، إلى العلم النافع الذى يزيد الإنسان بصرا بربه ، وتقربا إليه بكل ما هو رفعة للإنسان وإحسان لخلافة الآدمية فى الأرض ، حتى يصير صاحبه من ملائكة الإنسان فى الأرض ، ومن مفاتيح الخير ومغاليق الشر ، هذا كله إلى كرم العنصر الذى عرف لهذه الأسرة وتجلى فى شهامة أفرادها ، ونصرتهم للمظلوم وجبرهم لعثرات الكرام وتعففهم وترفعهم ، وقد تجلى ذلك فى الشيخ فى مواقف الصلابة فى الحق ، والاستهانة بكل ما يخاف منه الناس إلا الله وكفى بالله حسيبا .

الفقر والعلم والأصالة هن ثلاث ما جمعن لمخلوق إلا كون له شخصية مجيدة ، تحسن إلى الناس وتتخذ الأيادى عند الفقراء قبل الأغنياء ، وتعرف قدر العلماء وترى فى عملهم الرحمة العامة والقرابة القريبة ، وتنكر الأغنياء إلا إذا تأدبوا بأدب الإسلام ، وعرفوا الحق وتواضعوا له . ثم تكون تلك الشخصية لا ترضى الدنية أبدا ولو كانت ممن يقصدهم الناس بالقرب وابتغاء مرضاتهم .

وهن ثلاث ما جمعن لمخلوق إلا حصنه من مآثم العمل ، وباعدن بينه وبين بطر الغنى وطغيانه ، وذل الجهل وخذلانه ، وضعف اللؤم وامتهانه ، واللؤم والخسة معنى يأبى على صاحبه إلا أن يكون ذنبا فى ذنب . أو بوقا فاسدا مختلا لذوى المناصب والرتب .

رحم الله الشيخ حسونة ذلك العالم الأزهرى الذى كان مفخرة لقومه ، وكان مفخرة لمعهده .

كان مفخرة لقومه لأنه رفع شأنهم بالعلم والخلق ، ونفوذ الكلمة وذيوع الصيت ، ولأنه يتمثل فيه قول القائل :

أبى الله أن أسمو بغير فضائلى إذا ما سما فى الناس كل مسود
وإن كرمت قبلى أوائل أسرتى فإنى بحمد الله مبدئ مؤدد

لقد رفع العلم بيته وشجعه على تربية أبنائه وأحفاده، فكانوا أمجادا للوطنية وشرفا لأمتهم . فمن أبنائه الأستاذ عبد الوهاب عزت المستشار الذى خدم العدل والقانون حينا من الدهر مثالا للنزاهة والشرف، ومن أحفاده الأستاذ السيد عبد الخالق محمد حسونة النواوى ، أمين الجامعة العربية وممثلها فى كل البلاد ، مخلصا صادقا مضحيا براحته فى أسفاره التى لا تنقطع لمجد الوطن الإسلامى ، والشرق العربى لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا ، ومنهم السيد الطبيب النطاسى المخلص الصادق ابراهيم محمد حسونة الذى عرفته أوساط الطب، فقدمته ممثلا لها فى أكرم المناسبات، مثلا لخلق الفاضل والإخلاص والصدق والمروءة .

وكان الشيخ مجدا لمعهده ، لأنه ولى مشيخة الأزهر فتألق به نجمه ووجد الإصلاح مجاله فى أرجائه، بعد ما حال جمود الأزهريين دون مسايرة الأزهر لحاجات الناس وتمشيه مع روح العصر ومقتضياته . وكان الشيخ حسونة كما رأيته رجلا كريما أصيلا ثابتا على الحق ، لا يبالى أن يخالف أحدا مهما كانت منزلته ما دام يعتقد أن ما رآه حق ورشد .

الشيخ حسونة وإصلاح الأزهر :

جرى الإصلاح إلى غايته الممكنة فى عهد الشيخ حسونة النواوى، فتخلص من كثير من الفوضى الاقتصادية ، ومن فوضى المناهج ودراسة الحواشى والتقارير، ومن فوضى إهمال العلوم الكونية والرياضية والأدبية ، التى لا بد منها لكل كائن مثقف يريد أن يعيش فى كرامة الثقافة والعلم، والتى لابد منها لعلماء الدين معوانا لهم على فهم دينهم وربطه بالحياة ،ونقله إلى الناس فى مختلف ثقافاتهم واتجاهاتهم، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، حدثوا الناس بما يفهمون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

ومهما يكن فقد فسح مجال التحرر لكل باحث، وكل ذى فكر : قلب وعقل سليم ، وحمى الأستاذ الإمام محمد عبده ،ومدرسة الإصلاح التى بذرها السيد جمال الدين الأفغانى، ولم تجد الحكومة من يعمل المصلحون فى الأزهر تحت رايته سوى الشيخ حسونة النواوى، وإلى القارئ الكريم تفصيل بعض الأطوار التى تتصل بالشيخ النواوى من إصلاح الأزهر الشريف، فى إيجاز يتناسب مع ما هو الشأن فى هذا المقام لهذا المقال :

أتى على الأزهريين حين من الدهر - ولاسيما منذ عهد الظلم والظلمات ، عهد الأتراك العثمانيين - كانوا على غاية ما يكون الجمود الذى يأباه دينهم وهو أوسع الأديان أفقا ، وأكثرها تمشيا مع مقتضيات الحضارة ، لا يسبقه فى ذلك شىء .

كانوا جامدين فى التزام فنون معينة من العلم لا يقبلون غيرها ، وهى مقاصد الشريعة ووسائلها أو آلتها فيما كانوا يقولون ، وكانوا جامدين بالتزام كتب معينة فى تلك الفنون ، أكثرها قائم - مع الأسف الشديد - إلى اليوم يدرس بالأزهر ، فى لغة عقيمة بعيدة عما وصلت إليه اللغة اليوم من التهذيب والأدب العظيم ، وبعيدة أيضا عما تتطلبه حاجات العصر من أحكام الشريعة ، ومقاومة العقائد الجديدة الفاسدة وتيارات الإلحاد الجارفة ، وما إلى ذلك مما هو ملموس محسوس .

وكانوا جامدين بالتزام طريقة معينة فى دراسة تلك الكتب فى أسلوب الشروح والحواشى والتقارير والمماحكات التى تخلط علما بعلم ، وتضييع مطلوب (المتون) من فقه المسائل بين خلافات فى إعراب العبارات ، وصياغة الأقيسة والاعتراضات ، وما إلى ذلك مما يعيا به الحكيم ، ويأسف له كل كريم ، ولا يزال بعض ذلك متجددا فى عهدنا الذى قفز فيه كل شىء ، وتحرك فلم يبق جمود حتى ولا فى الجماد نفسه .

وكانوا جامدين حتى فى علاقاتهم بالناس ينقبضون عنهم ، ويرون الأنس فى الوحشة منهم . وقد أسرفوا فى ذلك إسرافا لايحتمل ، فإن الغاية من دراسة الأزهرى أن يقوم على حفظ الشريعة ، وفهمها على وجهها ، وتعليمها للناس علما يتفق مع مداركهم ، ومستويات عقولهم ، وكثيرا ما تنبه لذلك بعض النابهين فيهم كالشيخ العطار ، والشيخ رفاعة الطهطاوى وغيرهما ، وبعض الأجانب ، حتى من الأتراك يوم حكمهم ، ولا غرو فهو شىء يلفت النظر ويقتضى العجب .

فلما قدم الشيخ جمال الدين الأفغانى إلى مصر - وكانت مهمته تكوين شعب إسلامى يحرر بلاده بقوة الدين وثقافته الدافقة ، التى لاتدع مجالا لاستعمار ولا رفعة لغير كلمة الله وصوت الحق - عز عليه أن يكون الأزهر معقل آمال المسلمين هكذا ، كالرحى التى تدور حول نفسها ، ولا يمكن أن يمتد أمدها إلى غير محورها ، ورأى أن خسارة كبرى أن يكون الأزهر كذلك ، وأن تضيع أعمار الناس هكذا هباء ، دون جدوى يظهر أثرها للاسلام وكرامته ولعلوم الدين وثمراتها ، التى أعزت العرب الأولين ورفعت شأنهم فى العالمين ،

فغرس نواة إصلاحه بتلك المدرسة التى أنشأها فى بيته نموذجا للعلم الصحيح ، ودرس لهم علوم الدين والحكمة ، والأدب العربى والإنشاء على وجه فتح أعينهم على الطريق ، ودلهم على تقويم الاتجاه بالتعليم والتعلم ، وهؤلاء قاموا بثورتهم على نظم الأزهر وتقاليده المتخلفة عن عهود الظلم والاستبداد ، والتى يعمل المستعمر جاهدا على تنويم الأزهر بها ، حتى لا تقوم فيه روعة الإسلام الذى ينفى كل خبث ، ويأبى إلا أن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن أكثر المنافقين لا يعلمون .

ومنذ ذلك الحين عرف الناس ما يقضون فيه أعمارهم الضائعة ، وأخذ الأذكياء منهم ينضمون إلى حزب الشيخ محمد عبده وأنصاره ، وكان من خير من احتضنوا هذا الإصلاح الشيخ حسونة النواوى ، الذى ظل عهدا طويلا مدرسا فى خارج الأزهر بين جامع القلعة ومدرسة الحقوق ودار العلوم ، وألف لهؤلاء بما رأى أنه يتفق مع لغة التعليم المثمر ، وقارن بين ذلك وبين كتابات الكتب العقيمة التى نجا من عنتها وشقائها بما فتح الله له من الأبواب العملية خارج الأزهر .

وقد سبق عهد الشيخ المهدى العباسى الذى تولى مشيخة الأزهر حوالى سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) بشىء من الإصلاح الشكلى يرجع إلى تشكيل لجان فى منزله لمن يريد أن يكون من العلماء بالتعيين فى أحد عشر علما ، وجلوس اللجنة حول الطالب بعد تحضير المواد ومناقشته ثم تقديمه ، ثم ثار الأزهريون على الشيخ فلزم داره ، ولم يحدث شىء يذكر بعد ذلك فى الإصلاح حتى كان عهد الشيخ الإنبابى ، وكان خصما عنيدا لكل من يدعو إلى إصلاح الأزهر .

وقد جرى فى آخر عهده أن ضعف عن القيام بادارة الأزهر وشكا الأزهريون منه ومن ضعفه ، وتطلعت نفوسهم إلى أن يخرج الأزهريون من سباتهم العميق ، وودوا لو ظفر الأزهر برئيس مصلح مجود ، فرأت الحكومة أن تمهد بوكالة الأزهر إلى رجل يمكنه أن يحتضن الإصلاح ويرعاه ويتعهده بالتدريج حتى لا تكون الطفرة ، التى قد تسىء إلى كثير من النفوس سنة الله فى خلقه ، ولم تشأ أن تقيل الشيخ الإنبابى من منصبه رعاية لتقاليد التكريم للعلماء ورؤسائهم ، فعينت الشيخ حسونة النواوى وكيلا للأزهر لأنه أصلح العلماء لهذه المهمة ، بما عرف فيه من علو الهمة والشجاعة والإباء والتحرر ، وأطلقت يده فى الإصلاح ومكنت للشيخ محمد عبده ومدرسة جمال الدين أن تقوم بالدعاية وأن تعمل ماتراه صالحا فى

ظل الشيخ النواوى، الذى كان ينعى على الأزهريين جمودهم، ويتحدث فى مجالسه ومع ولاة الأمور بانكار ماهم فيه من قبوع وتكبل فى القيود . ثم لم تكتف الحكومة بتوكيل الشيخ النواوى ، بل أوعزت إلى الشيخ تحمله على الاستقالة ، وألحت عليه برغم ما كان يكتب من الجامدين فى مناصرته وطلب إبقائه ، فاستقال سنة ١٣١٣هـ وعين الشيخ حسونة بدله فى مشيخة الأزهر .

وقد شكلت الحكومة مجلسا لإدارة الأزهر منذ عهد وكالة الشيخ حسونة ، وكونته من خمسة أعضاء: اثنان من خارج الأزهر وهما: الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان زميل الشيخ محمد عبده وصديقه ، وكان الشيخ حسونة رئيس المجلس .

وقد انعقد المجلس وقرر ماراى أن يبدأ الإصلاح به ، وهو ضبط مرتبات الأزهريين وتحديدها بحسب الدرجات العلمية ، وكانت قبل ذلك لاضابط لها لعدم الميزانية التى تنظم ذلك .

ثم نظر المجلس فى توسيع دائرة التعليم بجملة فى طنطا ودسوق ودمياط . ثم اتجه إلى مقصد الإصلاح وهدفه الصحيح ، وكان ذلك بعد أن أسندت مشيخة الأزهر إلى الشيخ الوكيل حسونة النواوى، الذى ظل فى المشيخة من سنة ١٣١٣هـ إلى سنة ١٣١٧هـ، وهى السنة التى اعتزل فيها منصبه، لأنه عارض الحكومة فيما أرادته من منع الحج بسبب وباء كان فى بلاد الحجاز . هذا مايرويه بعض المؤرخين، ويخيل إلى أنه كانت هناك خلافات أخرى، ترجع إلى صلابة الشيخ وتمسكه بحقوق الأزهر ، وأما مسألة منع الحج للوباء فلا تستدعى خلافا ولا توجب أزمة ، وقد سمعت من مصادر عدة ومنها والدى ـ رحمه الله ـ أن الشيخ قد اشتدت وطأة الخلاف بينه وبين بطرس غالى، الذى كان رئيسا للوزارة، وكان يتدخل فى الشئون الإسلامية، حتى أراد أن يعين قاضيين من المستشارين بوزارة الحقانية ، ليكونا عضوين فى المحاكم الشرعية ، فلما تفوه بطرس بذلك فى مجلس الشيخ حسونة، قال له هذه العبارة المأثورة: « اخرس يا بطرس لكم دينكم ولى دين » . وكان ذلك من مواقف الشيخ الكريمة وما أكثرها ! وكان ذلك هو السبب فى إقالته من منصبه مكرما ، يعتز به الأزهر ويبارك جهاده العظيم .

ومهما يكن فقد أفاد الأزهر من عهد الشيخ مالم يفده من قبل، بفضل تضافره مع أنصار الإصلاح، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام محمد عبده، وما كان يعمله مجلس الإدارة للأزهر وتقدمه وقد استطاع أن يستصدر قانونا يشتمل على ستة أبواب تحوى ٦٢ مادة :

١ — البـاب الأول يختص بمجلس الإدارة وتشكيله — كما رأيت من قبل — ليضع القواعد التي يسير التدريس عليها ، وكان من قبل بلا قاعدة .
٢ — الثاني في شروط الانتساب إلى الأزهر من السن وحفظ القرآن أو نصفه .
٣ — والثالث في التدريس ، ومنع قراءة الحواشي والتقارير .
٤ — والرابع في الامتحان ، ووضع نظام شهادتين أهلية وعالمية بدرجاتها الثلاث .
٥ — الخامس في أمور الضبط والعقوبات .
٦ — والسادس في أحكام عامة .

ومهما يكن أيضا فقد قسم هـذا النظام العلوم إلى قسمين : مقاصـد ، ووسائل . وأدخل في الوسائل الحساب والجبر . وجعل هناك علوما اختيارية يفضل من يعرفها على غيره في الوظائف والدرجات ، وهي الإنشاء وتاريخ الإسلام ومتن اللغة وآدابها وتقويم البلدان ومبادئ الهندسة . وعلى الجملة كان عهده حركة دائبة ممـا يطول شرحـه ولا يتسع له هـذا المجال . وكان هذا كل ما يمكن عمله إذ ذاك ، وبعد ذلك العهد أخـذ الأزهر يتراجع ، حتى كان العهد الأخير ، الذي طفر بالأزهر طفرة كادت تسبق الزمن لو اطرد لها النجاح ، وخلت من المعوقات والمنغصات ثم كان مارأى الناس ممـا سيحكم فيه التاريخ حكمه . ونحن اليوم في عهد نتفاءل فيه للأزهر بالخير ، لمـا نجد فيه من عنصر كريم مرموق في العـالم الإسلامي كله ، وقد دبت فيه حياة طيبة كريمة نرجو أن تدوم وتطرد بفضل الله وإحسانه . فأما الشيخ حسونة النواوي فإنه خلفه ابن عمه الشيخ عبـد الرحمن الخطيب ولكن المنية عاجلته في العام نفسه .

وفي سنة ١٣٢٦ هـ بعد استقالة الشيخ الشربيني ، الذي حاول أن يعود بالأزهر إلى عهود الجمود والفوضى ، رؤي أن يعود الشيخ حسونة النواوي ، ولـكنه عاد وقـد فقد الأزهر والدين عناصر الحياة والنشاط ، واستأثرت رحمة الله بالشيخ محمد عبده وأعوان الإصلاح ، وتمكنت روح الجمود في الأزهر ، فرأى الشيخ نفسه غريبا لانصير له ، وأنه لايستطيع أن يقوم بأعباء الأمر وحده ، فآثر في العام نفسه أن يعود إلى عرينه مكرما معززا ، وعكف على قراءة الكتاب الكريم ودرسه ، قاصرا مجهوده وإصلاحه على كل من يعشو إلى ضوئه ، وعلى أسرته وأحفاده وعارفي فضله ، فكان بيته كعبة القاصدين ، وموردا عذبا للمتدينين والمقدرين ، حتى استأثرت به رحمة الله في سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤) م بعد أن ترك المثل العليا من صفاته ، في إباء الضيم والعزة والكرامة وسعة الأفق ، والسير مع الحق حيث صار ، رحمه الله وعطر ذكراه ؟

محمود الدواخلي

لغويات

أيما أحب إليك ، آلعلم أم المال ؟

المألوف المستساغ أن يقال : أىّ الأمرين أحبّ إليك ؟ وذلك أن أيا الاستفهامية كسائر أضرب أىّ تلزم الإضافة . وجاء فى الأمالى للقالى ٥٨/٢ : « ذكروا عند عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ : أيتهما أطيب ، آلعنب أم الرطب ؟ فقال عمر : أرسلوا إلى أبى حثمة . فقال : يا أبا حثمة أيتهما أطيب ، آلرطب أم العنب ؟ ... » .

ويصادف القارئ الاستعمال الذى هو موضوع البحث فى عدة مواطن .

ففى البيان والتبيين ٢٢٠/٢ (تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون) : « حدثنى صديق لى قال : قلت لعيناوة : أيما أجنّ ، أنت أو طاق البصل ؟ فقال : أنا شىء وطاق البصل شىء آخر » .

وفى الأمالى ١٨٢/٢ : « قيل لأعرابىّ : أيما أحبّ إليك ، الخبز أو التمر ؟ فقال : التمر حلو وما عن الخبز مصبر » .

وفى الموشح للمرزبانى ١٣١ : « قيل لجرير : أيما أشعر ، أنت فى قولك :

حىّ الغداة برامة الأطلالا   رسما تحمل أهله فأحالا

أم الأخطل فى جوابها : « كذبتك عينك » ؟ قال : هو أشعر منى ... » .

وفى طبقات الزبيدىّ ٢٢٣ فى الكلام على وفاة يعقوب بن السكيت : « كان سبب ذلك أنه حضر مجلس الندام للمتوكل ، فدخل عليه ابناه : المعتز والمؤيد . فقال له : يا يعقوب ، أيما خير الحسن والحسين أم هذان ؟ فقال له يعقوب : قنبر خير منهما ، فأمر به المتوكل فديس بطنه » وقنبر مولى لعلىّ رضى الله عنه ، وكان ابن السكيت يتشيع .

ويعنّ لى فى تخريج هذا الأسلوب وجهان .

١ ــ أن تكون (ما) فى (أيما) نكرة تامة واقعة على مبهم ، وتفسر على حسب المقام والسياق . ففى قولك : أيما أحبّ إليك ، آلعلم أم المال معناه : أى شىء ...

وفى قولك : أيما أفضل ، عاص أم عمرو معناه : أىّ رجل ... وهكذا . وقد يقول قائل : ألم يكن الواجب فى المثال الأخير أن يقال : أى من أفضل إذا كان السؤال عن العاقل ؟ والجواب أن (ما) قد تستعمل فى موضع (من) من غير تنكير ، والخطب فى هذا يسير . و (أىّ) على هذا الوجه مضافة إلى (ما) التى هى فى موضع الجر .

٢ — وأن تكون (ما) زائدة كافة لأىّ عن الإضافة ، وهى فى هذا مثل بين ، فهى ملازمة للاضافة وتلحقها (ما) فى قولك : بينا أنا جالس أقبل علىّ صديق ، فتكفها عن الإضافة ، ومثل بعد فى قول الشاعر :

أعلاقة أم الوليد بعـــد ما أفنان رأسك كالثغام المخلس

والنحويون لم يذكروا هذا الضرب فى أقسام ما الكافة ، والأمر فيها ليس ببعيد .

وحاصل هذين الوجهين أن أيا اكتفت بما عن المضاف إليه ، ويستوى فى هـذا أن تكون (ما) هى المضاف إليه أو تكون كافة عن الإضافة .

ويجرى هـذا فى أىّ الشرطية . فلك أن تقول : أيما تقرأ أقرأه ، أى أىّ كتاب تقرأ أقرأه ، وإذا قلت : أيما كتاب تقرأ أقرأه بجرّ كتاب فما زائدة وأىّ مضافة إلى كتاب ، وهذا على حدّ قوله تعالى : « أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علىّ » ، ولك أن تقول : أيما كتابا تقرأ أقرأه ، ويكون (كتابا) بدلا من أىّ ، وقد اكتفت أىّ فى الإضافة بما على أحد الوجهين السابقين ، وإذا قلت : أيما طالب علم اجتهد فاز ، فلك جرّ (طالب علم) بالإضافة وهو الكثير المألوف ، ولك رفعه على أن يكون بدلا من أىّ الشرطية ، وقد استشكل الإبدال من الشرط مع عدم اقتران البدل بأداة الشرط وتعرض العلماء للجواب عنه ، ويقول الصبان فى حاشيته على الأشمونى فى مبحث البدل : « اجتمعت مع جماعة كثيرة من أهل العلم فى بعض المحافل ، فأورد بعضهم سؤالا فى قوله صلى الله عليه وسلم : أيما أمة ولدت من سيدها فهى حرّة عن دبر منه ، حاصله أنهم جوّزوا أن يكون أمة بالرفع على البدلية من أىّ مع أن بدل المضمن معنى الشرط يجب أن يلى حرف الشرط ، كما أن بدل المضمن حرف الاستفهام يجب أن يلى حرف الاستفهام ، فسكت جميع الحاضرين . فعند ذلك أجبت بأن محلّ وجوب إيلاء بدل المضمن معنى الشرط حرف الشرط إذا وقع البدل بعد فعل الشرط . . . » ، وهـذا الحديث رواه

ابن ماجه والحاكم ، ويورده الفقهاء فى باب أمهات الأولاد فى كتاب العتق ، وقد أوسع الكلام عليه البجيرمى فى حاشيته على المنهج فى فقه الشافعية ، ومن قـوله : و (ما) من (أيمـا) زائدة ، و (أمة) مضاف إليه . . . . ويحتمل أن تـكون (أمة) مرفوعة ، و (ما) اسم موصول حذف صدر صلته وإن كان قليلا لأن الصلة لم تطل ، ويحتمل أن تـكون (أمة) بدلا من (أى) . لـكن يرد عليه أن بدل المضمن معنى الشرط يلى شرطا ، كما ذكره الأشمونى عند قول ابن مالك : وبدل المضمن الهمز يلى همزا الخ ، نحو من يقم إن زيد وإن عمرو أقم معه ، وأجيب بأن محل ذلك إذا كان البـدل بعد فعل الشرط وهو هنا قبله ، وأجيب أيضا بأن هذا أغلبى بدليل قوله تعـالى : يومئذ تحدث أخبارها ، فإن (يومئذ) بدل من (إذا) فى قوله تعـالى : (إذا زلزلت الأرض) ولم يل شرطا و (تحدث أخبارها) هو جواب الشرط ، و (إذا) و (يومئذ) معمولان له » .

خمسة شهور

المعروف أن تمييز العدد من ثلاثة إلى تسعة يكون جمع قلة ، ولا يعدل إلى جمع الـكثرة إلا فى أحوال معدودة ، كألا يكون للمعدود جمع قلة ، نحو ثلاثة رجال وخمسة قلوب . وعلى هـذا يجب أن يقال : خمسة أشهر ، كما قال عز وجل : « والذين يتوفون منـكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » . فأما خمسة شهـور فهو خروج على القاعدة وخـلاف عليها . ولا يسوغ الإتيان بجمع الـكثرة هنا إلا مع المجرمين ، كما تقول : ثلاثة من الـكلاب وخمسة من الشهور .

وقد جاء قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فجـاء فيه جمع الـكثرة وهو قروء ، وواحدة قَرْء وقُرْء بفتح القاف وضمها ، وهذا مع ورود جمعى القلة لها ، وهما أقرؤ ، وأقراء .

وقد عنى النحويون بالجواب عن خروج قاعدتهم عما فى الآية الكريمة . فيقول الحريرى فى الدرة : « المعنى : لتتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة أقراء ، فلمـا أسند إلى جماعتهن أتى بلفظ قروء على الـكثرة المرادة والمعنى الملموح » يريد أن جمع القرء تجـاوز حـد القلة إذا كان المراد جميع المطلقات ، ولـكل مطلقة ثلاثة أقراء ، وهـذا فيه من تضاعيف القرء مالا نهاية له ، فلذلك أتى بجمع الـكثرة فى موضع جمع القلة إشارة إلى هذه

اللطيفة . ويرى بعضهم أن القروء اشتهر فى الجمع بخلاف أقرؤ وأقراء . ويرى آخرون أن هذا على تقدير من داخلة على قروء أى ثلاثة من قروء .

وملاحظة جمع القلة عسيرة على كثير من المعاصرين . فيندر أن يقول أحدهم : خمسة أحمرة وستة أكلب ، وإنما يقال فى هذا حمير وكلاب .

وقد قدمت أن جمع الكثرة سائغ إذا سبقته من ؛ نحو خمسة من الكلاب وأربعة من الحمير . وجاء فى كتاب سيبويه ٢ / ١٧٦ : « وقد تجىء خمسة كلاب يراد به : خمسة من الكلاب » . وقد أطلق سيبويه هذا التأويل ، ولم يبن عن أنه يوقف به عندما جاء عن العرب ـ وهذا هو الظاهر ـ أو يطرد فى القياس . والمبرّد يقيسه ؛ ففى شرح الرضى على الكافية فى باب العدد : « وقال المبرد : يجوز قياسا ثلاثة كلاب بتأويل ثلاثة من كلاب . وليس بمشهور » . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٢ / ١٨٧ فى الكلام على القروء فى الآية : « وأجاز المبرد ثلاثة حمير وثلاثة كلاب على إرادة : من كلاب ومن حمير » .

وجاء فى المصباح فى مادة (قرأ) : « ذهب بعضهم إلى أن مميز الثلاثة إلى العشرة يجوز أن يكون جمع كثرة من غير تأويل ، فيقال فيه : خمسة كلاب وستة عبيد ، ولا يجب عند هذا القائل أن يقال : خمسة أكلب ولا ستة أعبد » .

ويرى القارئ فيما أوردته سعة فى قول الناس : خمسة شهور .

محمد على النجار

أعظم عمل حققته الثورة

من الأسئلة التى وجهت إلى الرئيس جمال عبد الناصر من بعثة الصحافة الأمريكية المؤلفة من ٣٠ صحافيا :

ـ ما هو أعظم عمل حققته الثورة المصرية حتى الآن ؟

فأجاب الرئيس : أعتقد أن أهم ما حققته الثورة حتى الآن هو بث الشعور بكرامتنا كشعب ، وإعادة ثقتنا بأنفسنا ، وهذه أشياء معنوية وليست مادية .

كلمة تاريخية

عن تحرر العرب فى الجزائر

لم يسجل التاريخ صفحة من صفحات الكفاح أنصع ولا أقوى من كفاح شعوب المغرب العربى فى سبيل الدفاع عن حريتها واستقلالها، ومقاومة الاعتداءات الاستعمارية التى دبرتها ضدها أمم لاتينية ، مدفوعة بتعصبها الدينى وشرهها لاستعباد الغير.

وإذا كان تغلغل الاستعمار الفرنسى فى الجزائر هو الذى مهد السبيل لتحقيق المطامع الاجنبية فى الشرق العربى، فلا يمكن أن يطمئن عرب الشرق على ديارهم وأمنهم ، مادامت أمم المغرب العربى خاضعة للستعمرين، وما دامت ديارهم مجازا يمكن أن يجتازه الأجانب المستغلون ليصلوا إلى أهدافهم فى هذا السد الإسلامى المتيد ، الذى حكم أسلافنا العرب فى مصير العالم كله .

من أجل ذلك تعتبر الحركات الاستقلالية المغربية ذات أثر بالغ، لا للمغاربة وحدهم بل للعرب أجمعين ، الذين ينشدون الاستقرار والطمأنينة والعدل والحرية . وخليق بالعرب أن يعنوا بهذه الحركات ، خصوصا وأن القائمين بها معرضون أكثر من غيرهم لدسائس الأجنبى ومكره وحيله .

اعتدت فرنسا على الجزائر فى وقت كانت السيادة فيه للدولة العثمانية فى آخر عهدها بالحكم فى هذه البلاد ، وما هى إلا فترة قصيرة حتى بدأت المقاومة العربية العنيفة ، وقد افتتحها الجيش المراكشى فى أكتوبر سنة ١٨٣٠ م بمدينة تلمسان ، ولم تخمد هذه الثورة إلا بعد أن أطلق بسمارك سراح الجيش الفرنسى الذى كان معتقلا فى ألمانيا «بعد حرب السبعين ، وقد كان أثر هذه البربرية المتوحشة عظيما فى تقوية الوعى القومى فى نفوس الجزائريين، ولم تلبث إلا قليلا حتى أعقبتها ثورة استقلالية جارفة فى عمالة وهران، وتأسست لذلك لجنة وطنية غايتها العمل على تحقيق الجامعة الإسلامية ، ولذلك ارتبطت بالحركات التحريرية القائمة فى البلاد التابعة للدولة العثمانية إذ ذاك ، وقامت أثناء الحرب

الكبرى حركة ترمى إلى منع الجيش الجزائرى من الوقوف إلى جانب فرنسا ، ففر من الجندية آلاف ، والتجأ الكثير من الشباب القادر على القتال إلى الجبال ، وكانوا زهاء المائة والعشرين ألفا ، ولقد أعلن الشعب الجزائرى أكثر من مرة ، رفضه للسياسة التى ترمى إلى تجنيس الجزائر بالجنسية الفرنسية كشرط لاستقلالها ، وقاوم هـذه الدعوة بشتى الوسائل .

واستمرت الحركات التحريرية بالجزائر ، فلم تضعف ولم تهن ، ووجـدت أن خير وسيلة لتحرير الجزائر ، هى توحيد صفوفها مع أخواتها من الدول العربية .

ولا غرو أن حركة الجزائر القائمة اليوم ، إنما هى امتداد لحركة الجهاد السابق الذى قام به إخواننا الجزائريون من أيام الأمير عبد القادر إلى الآن ، وأبلوا فيه بلاء حسنا أكثر من مائة سنة ما

عباس طه
المحامى

كلمات للإمام أحمد بن حنبل

- لا تزال بخير ما نويت الخير .
- كل شىء من الخير تهتم به فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه .
- لو أن الدنيا اجتمعت حتى تكون فى مقدار لقمة ، ثم أخـذها امرؤ مسلم فوضعها فى فم أخيه المسلم لما كان مسرفا .
- الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى .
- ما قل من الدنيا كان أقل للحساب .
- ما شبهت الشباب إلا بشىء كان فى كمى فسقط .

الأزهر

وطرق التدريس قديمها وحديثها

العناصر :

(١) طريقة التعيينات . (٢) النهج الحوارى . (٣) مراعاة الفروق الفردية .

يزعم المربون المحدثون أنهم قد وقعوا على طرق لتدريس المواد المختلفة ، فى جو تربوى حديث مشبع بروح علم النفس الحديث ، ولكن نظرة سريعة إلى ما كان عليه الأزهر فى طرقه القديمة ، تقنع الباحث الناقد إلى أسبقية الأزهر فى هذه الطرق التى يتشدقون بها ، وأنهم لم يأتوا بجديد . وهاك بعض الأدلة :

١ — درج الأزهر منذ عهده القديم على طرق التعيينات ، وهى المعروفة فى عالم التربية الحديثة بما يسمى « التحصيل الذاتى وأثره وخطره الخ » .

وهـذا التحصيل الذاتى هو بعينه طريقة التعيينات التى أخذ بها الأزهر طلابه ، فى تكليفهم إعداد دروسهم معتمدين فى ذلك على أنفسهم ، مستقلين بتحصيلها على ضوء ما درسوا وما وجهوا إلى مراجع يهتدون بهديها ، ويستعينون بها فى حرية تامة ومطلقة من كل القيود ، وبهذا يكون الأزهر قد سار فى قديمه على نهج تربوى ، مؤيد ومعزز بعلم النفس فى أحدث قواعده وأحكامه ونظرياته ، وفى رياضة عقلية مترامية الأطراف ، تفتق الذهن وتربى الملكات وتنمى القدرات ، مما جعل الأزهر وحده موئل هذه الكفايات العقلية والجدلية . ولعلنا نلمس هـذا بوضوح عندما احتاجت الدولة فى أول عهدها بالإصلاح إلى عقول مفكرة أو ذات اقتدار خاص ، ولم تجد مصر طلبتها فى غير الأزهر ، واختارت البعثة الأولى من طلابه واستعانت برفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وغيرهما من رجالات الأزهر الذين عادوا إلى أوطانهم ، ونهضوا نهوضا ملحوظا .

٢ — وكان النهج الحوارى وصيلة الفهم والتفهم والعلم والتعلم ، وهل نسيت تلك القالة المشهورة والكلمة المأثورة « إذا اعترض بكذا أجيب بكذا » ، يرددونها عند ما كانوا يعالجون نصا أيا كان لونه فقهيا أو عربيا ؟ .

إى وربى ... ! تلك طريقتهم التحليلية وهذا مذهبهم الجدلى : الفرض ، ثم الاعتراض ثم النقاش الفلسفى الأزهرى ، يحللون به المنطوق ، والمفهوم ، والظاهر والباطن ، والمدلول والمحتمل والمنتظر ، وما عساه يكون فى زوايا البحث من معنى خفى ، ويظلون هكذا حتى

يقتل النص بحثا كما يقال، وفى هذا ما فيه من مزايا التركيز، واستقرار المعرفة فى الأذهان، وترويض العقل، واتساع الأفق، واكتساب قوة التصوير وملكات المهارة فى التعبير، ومران على اللسن والفصاحة والبلاغة، والفهم المركز والتعمق فى البحوث المختلفة؛ مما جعل الأزهر وحده الملجأ والملاذ للقضاء إبان نشأة وتأسيس المحاكم، واحتياج البلاد إلى لسن مقاول، واختيار المحامين من صفوة الأزهريين أمثال سعد زغلول، وأبو شادى والهلباوى وغيرهم وغيرهم.

٣ — ومراعاة الفروق الفردية التى يباهى بها المربون من المحدثين، تلك هى الأخرى من طرق الأزهر فى قديمه، هم الآن يقولون منادين بجعل التلميذ الفعال فى تعليم نفسه بنفسه، وأن عليه أن يكتشف الحقائق بنفسه إلى آخر ما يقولون فى هذا الباب من كتب التربية الحديثة.

ونرى أن الأزهر قد سبقهم فى هذه أيضا، حتى لقد سبقهم فى منح التلميذ حرية اختيار الأستاذ، واختيار الدرس، وتحديد الوقت، وما أشبه حلقات الدرس بقاعات البحث فى كل شىء، وبفارق واحد هو الفرق بين النظرى والعملى على الرغم مما بينهما من صعوبات.

نقول: إن الأزهر القديم قد سبق المربين المحدثين، فأباح لطالب الأزهر أن يدرس ماشاء وأنى شاء، حتى إذا آنس فى نفسه القدرة على نيل العالمية تقدم إليها بدون ما شرط، ومن غير أى قيد.

ولعلك لا تنسى أولئك الأعلام من العلماء الفطاحل الفحول، الذين نشأهم الأزهر بطريقته الخاصة، هذه التنشئة التى ملأت بمؤلفاتهم المكتبات النفيسة فى مختلف العلوم وشتى البحوث دينية وعربية وغيرها، عدا ما ذاع لهم من صيت وما اكتسبوا من سمعة.

ولعلك أيضا لاتنسى طريقتهم التقليدية، وقولهم: «ظاهر يامولانا»، وإن دلت هذه على شىء فلن تدل إلا على التعمق فى الفهم، واستساغة الدرس حتى يهضم وحتى يجرى فى الأفهام مجرى الماء فى الأغصان، وحتى لاينسى، وهو — والحمد لله — ما كان ينسى أبد الدهر؛ لأنه أسس على قواعد ثابتة من البحث التأملى، والتفكير العقلى والتعقل الواعى إلى غير ذلك، مما لا يستطيع رواد التربية أن يبلغوه، فهيهات هيهات بين اللب والقشور، وشتان ما بين الطريقتين فى دنيا التدريس وعالم التربية.

عبد الحكيم الجوهرى

مدرس التربية بإجازة التدريس بالأزهر

والمفتش السابق بوزارة التربية والتعليم

تعليقات

الندوة الأولى لعلاج انحراف الشباب

أصبح انحراف الشباب مشكلة من مشاكل المجتمع ، وأصبح علاج هذا الانحراف ضرورة من ضرورات الإصلاح، ووزير التربية أجدر بالنهوض إلى ذلك ، وأعرف بالقيم الأخلاقية ، وأحرص على دعمها في الجيل الناشئ، فما شباب اليوم إلا أمة الغد القريب، وإذا تصدع بناء الشبيبة، وغفلت عيون المصلحين عن تدارك هذا التصدع فى الأخلاق، والتفكير، والاتجاه ، كان هذا تقويضا مبكرا لبناء الأمة فى مستقبلها العاجل .

وإنه لعمل مبرور ، وخير مشكور أن ينهض وزير التربية والتعليم إلى بحث هذه المشكلة فى جد ، وعناية ، ومحاولة موصولة لتعرف أسبابها ، ونواحيها ، ووسائل التخلص منها ، والرجوع بالشباب إلى الأوضاع المستقيمة ، والبعد بهم عما يشينهم ، أو يقصيهم عن رجاء الأمة فيهم .

كانت الندوة الأولى بدعوة الأستاذ سعيد العريان مدير الشئون العامة بوزارة التربية، وتحت إشراف السيد الوزير .

تحدث فيها السيد الوزير عن الوجهة فى عقد هذه الندوات : من تحديد المسئولية فى هذا الانحراف ، وتعرف آراء المجتمع فى وسائل الإصلاح ، والاستقامة ، بما يتلقاه من مشورات مجدية .

وكان الوزير صريحا فى الحق ، غيورا على الشبيبة المصرية مما ألم بها ، وواضح العزم على إصلاح ما فسد ، وتقوية ما وهن ، وتعزيز ما تهدم فى نفوس الشباب ، وهم عماد الأمة ، وملتقى آمالها ، وهم الحصن المنيع للقومية المصرية بل للقومية العربية .

قوبلت كلمات السيد الوزير بالإعجاب ، والشكر ، والدعاء بالتوفيق .

ثم تحدث الدكتور حسين فوزى ، وهو فوق مركزه الرسمى كبير المشرفين على رعاية الشباب ، فكان فى حديثه لسانا صادقا يفيض عن قلب عامر بالوطنية ، وعن إيمان بأن الشباب فى عهدة المسئولين ، وأن تقويم الشباب وصيانته من عوامل إفساده أمانة يسأل عنها كل ذى نصيب من السلطة ، وكل ذى صلة بالتوجيه .

ثم أبان فى صراحة مسئولية الفن عن انحراف الشباب ، ثم ضرب الأمثال للفن المسئول بالصور الخليعة، والأحداث الماجنة التى تتسابق إليها الصحف والمجلات، وتعنى بنشرها، ومع أنه ترك الإسهاب عن مسئولية الصحافة إلى الدكتورة سهير القلماوى ، فقد أفاض فى بيان إحساسه بما يحسه الجمهور الواعى ، وفى عزمهم على وضع الشباب موضع العناية بما يكفل إنقاذه من الورطة التى انحدر إليها ، ويكفل توجيهه إلى الأهداف التى يتجلى فيها طابع الثورة ، وطابع النهضة التى ينشدها المجتمع من طريق الخلق الرفيع .

غير أن الدكتور حسين فوزى تحدث فى شبه اعتقاد بأن رجال الدين يعارضون الفن ، وأن هذه المعارضة تصدهم أو تقلل من نشاطهم فى إصلاح الفن واستخدامه فى الثقافة والنهوض بالذوق ، واستشهد على مقاومة رجال الدين بموقف أخير وقفه الشيخ عبد اللطيف السبكى من ذيوع الخلاعة والرقص فى كلية الآداب ، ولم يكن الدكتور حسين فوزى واعيا لهذا الموقف وعى المنصت . فكانت لهجته بعيدة عن الواقع ، ولكن الله انتصر للحق على لسان الدكتور منصور فهمى ، إذ نهض وصحح الموضوع ، وأبان فى لهجة صادقة سمعها الوزير وكل من فى مجلس الندوة : أن رجال الدين يعارضون الفن الفاسد، وينكرون كل محاولة تنافى الخلق الكريم، وتنتزع الحياء من وجوه الناشئة، وحينما يحتشم دعاة الفتنة فى عملهم، ويثوب أهل الفن إلى رشدهم ، ويتجنبون الصور المتفحشة ، والأغانى المبتذلة، والرقص الفاتن، وخاصة المختلط من ذكور وإناث : حينما تصلح الوسيلة، وتتنزه الغاية، ويحسن اختيار الفن للإصلاح ، يكون ذلك جزءا من رسالة رجال الدين، لا شيئا مباينا لمنهجهم فى تهذيب النفس وإصلاح الخلق .

وهذا موقف لا نجحده للدكتور منصور فهمى ، فهو رجل الحقائق ، ورجل التوجيه الرشيد ، ورجل العلم الصحيح والرأى البرىء ، وحسبه منا شكر وعرفان ، وحسبه من الله جزاء وإحسان .

ولما جاء دور الدكتورة سهير القلماوى لم نجـد فى حديثها ما كنا نطمع فيه ، فلها أسـلوب منسق ، ولـكنها تعمدت إغفـال الحق ، أو خانتها الذاكرة ، فقررت رغم الإجماع الذى شهدته وسمعته ، أن شباب الجامعة ليس فيهم انحراف .

وكأن الوزير ورجال الوزارة يحثون الانحراف فى رجال الغيط ، أو رجال الورشة ، لا فى شباب الجامعة ، والمدارس . وكأنها تجامل بعض أناس ، وإن خالفت ما يحسه الوزير ، ويحسه المجتمع ، وتشهد به الأعين وتسمع به الآذان .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

التناهى عن المنكر

جاءنا بيان موقع عليه من فضيلة رئيس جماعة التربية الإسلامية بشبرا ، وممثلى اثنتى عشرة جمعية إسلامية أخرى ، عن اجتماع لهم عقدوه للنظر فيما نشر فى العددين ٣١٦ و ٣١٧ من مجلة الجيل الجديد ، من نقاش دار بين صاحب الفضيلة الشيخ عبـد اللطيف السبكى عضو هيئة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر ، والدكتور عز الدين فريد عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ، حول أمور تمس الخلق والدين نشرتها الصحف عن الكلية ، فأنكرها فضيلة الأستاذ السبكى عملا بالحديث النبوى : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ... » وترى هذه الجمعيات أنه كان من الواجب على العميد أن يصدر بيانا يكذب فيـه ما نسبته الصحف إلى كليته من المآخذ ، وإلا فليتحمل النقد ولجب عليه برحابة صدر ، والشكر للناقدين ، لا بالإسفاف فى التعبير ، ولا سيما لعـالم من أعلام الدين يجب احترامه لدينه ومنصبه وسنه ، وليكن رائدنا جميعا التواصى بالحق والتواصى بالصبر .



الإغراب فى جدل الإعراب - ولمع الأدلة - لابن الأنبارى

رسالتان بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى - ١٦٠ ص - مطبعة الجامعة السورية بدمشق.

الأستاذ سعيد الأفغانى من ألمع أساتذة كلية الآداب بالجامعة السورية بدمشق، وقد قام فى العام الماضى برحلة علمية إلى معاهد العلم ودور الكتب العامة فى عواصم أوربا وأمهات مدنها وشمال إفريقية ومصر، وعاد إلى كلية الآداب فى الجامعة السورية بمعلومات قيمة عن تراث السلف ولاسيما فى اللغة والأدب. وقد سبق له نشر مخطوطات قام بتحقيقها من مؤلفات الزركشى وابن حزم والحافظ الذهبى، وكتب أخرى من مؤلفاته لها مكانة محترمة عند رجال العلم.

والآن يقدم إلى المكتبة العربية كتابين من مؤلفات أبى البركات بن الأنبارى، (٥١٣ - ٥٧٧) أحدهما (الإغراب فى جدل الإعراب) تكلم فيه على السؤال ووصف السائل والمسئول به والمسئول منه والمسئول عنه، والجواب والاستدلال والاعتراض على الاستدلال بالنقل، والاعتراض عليه بالقياس، والاعتراض عليه باستصحاب الحال. وختمه فى ترتيب الأسئلة وترجيح الأدلة، وهى فصول تدور حول قوانين الجدل فى علم العربية. ويقول الأنبارى فى خطبته إنه أول ماصنف لهذه الصناعة، وإنه ألفه بعد كتابه (الإنصاف). وقد اعتمد الأستاذ الأفغانى فى تحقيقه على ثلاث مخطوطات: إحداهن بخط ابن الشحنة فى المكتبة الوطنية بباريس وهى خيرهن، والثانية بمكتبة عاطف بالقسطنطينية، والثالثة بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا، وقدم له مقدمات فيها ترجمة المؤلف ووصف النسخ وصور نماذج منها وبيان خطة النشر، وختمه بفهارس للأعلام والكتب والأبيات والموضوعات.

والرسالة الثانية للأنبارى (لمع الأدلة) فى أصول النحو اعتمد أولا فى نشرها على مخطوطة فى مكتبة عاطف بالقسطنطينية بخط ابن الشيرازى، وابن الشيرازى هذا هو الذى كتب مخطوطة كتاب (الميسر والقداح) لابن قتيبة الذى نشره رئيس تحرير هذه

المجلة قبل نحو ثلاثين سنة . ومما أحزن الأستاذ الأفغانى أن مخطوطة (لمع الأدلة) التى بخط ابن الشيرازى ناقصة من أولها أربعة فصول وبعض الخامس ، فلما زار القاهرة فى العام الماضى وزار صديقه رئيس تحرير هذه المجلة وجد فى مكتبته الخاصة مخطوطة بخط مغربى جميل دقيق تحتوى على كتاب (الاقتراح) للسيوطى و (لمع الأدلة) لابن الأنبارى و (الإغراب فى جدل الإعراب) ، ومع أن كاتب المجموعة كان يلخص العبارات فى بعض الأحيان ، فان الأستاذ الأفغانى استطاع أن يكمل من هذه المجموعة الفصول الناقصة من كتاب (لمع الأدلة) وتمكن من نشر هاتين الرسالتين بتحقيقاته النفيسة وقد قامت مطبعة الجامعة السورية بطبعهما لأنهما من متعلقات المنهج فى شهادة علوم اللغة العربية بكلية الآداب .

البيان فى الخطابة وتصحيح الايمان

لفضيلة الشيخ ابراهيم عبد الباقى – ٣٣٦ ص – المكتبة التجارية الكبرى

فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم عبدالباقى مدرس وخطيب مسجد أولاد عنان بالقاهرة من أفاضل الوعاظ والمرشدين الذين يقاومون البدع ويعملون على الرجوع بالمسلمين إلى فطرة الإسلام كما كان عليه فى صدره الأول ، مجردا من الطوارئ عليه ، وطريقته فى ذلك طريقة فقيد الوعظ والإرشاد بمصر الشيخ على محفوظ رحمه الله ، وكتابه هذا حافل بهذه المعانى الطيبة وبيان المشروع وغير المشروع مما يراه العوام دينا ، فهو ينبههم على المشروع من عقائد الإسلام وعباداته وشعائره ، وينبههم إلى غير المشروع من ذلك وما لم يكن للمسلمين الأولين عهد به ، وقد عقد فصلا نافعا مفيدا عن الابتداع فى الدين والتحذير منه ، وعن الأعياد الدينية ومشروعيتها وحكم الشريعة الإسلامية فى الموالد وعن شبهة المتبدعين فى العبادات .

وفى الكتاب نماذج من خطب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب الخلفاء الراشدين وعظات كبار التابعين .

وفيه بحوث عن الحياة البيتية والزوجية ، وعن الضمان الاجتماعى فى دستور الإسلام وعن الحلف المشروع وغير المشروع ، وعن التاجر الصدوق ومكانته العالية عند الله . فشكرا لفضيلة الأستاذ المؤلف ونرجو المزيد من هذا الخير .

مشاعل على الطريق

للأستاذ عبد الرحيم فوده — ٢٢٨ ص — مطبعة وزارة الأوقاف

هذا كتاب يدل عليه عنوانه ، قدمه فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، وطبعته مطبعة الأوقاف ، وهو كما قال الأستاذ الباقورى : « كلمات يقرؤها القارئ فيجد بينه وبين كاتبها قرابة قريبة ، ونسبا جامعا . فالكلمات التى اشتمل عليها هذا الكتاب إنما هى فلذات كبد الكاتب وذوب نفسه . إنهن نصيح أفكاره ، وعصارة مشاعره ، وخفقات قلبه ، وخلجات ضميره » .

ومن عناوين هذه الكلمات : فى جو المعركة ، أضواء على أخطاء ، فى التعليم والتربية ، نحو أدب هادف ، لكل سيدة وفتاة ، فى ذكرى مولد الرسول ، ظلال رجال ، الشورى والديمقراطية ، فى معركة فلسطين الأولى ، مشروعات حققتها الثورة ، فتلفت إلى هذه المشاعل أنظار القراء .

نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر

للأستاذ أنور الجندى — ٢٧٦ — مكتبة الإنجلو المصرية

هذا كتاب جديد للأستاذ أنور الجندى ، يأتى فى القمة من مظهر نشاطه الأدبى والصحفى ، تكلم فيه على نزعات التجديد فى الأدب المعاصر من ثورة سنة ١٩١٩ إلى ثورة سنة ١٩٥٢ وهو الجزء الموضوعى من دراسة لتاريخ الأدب العربى المعاصر فى مصر بالقرن العشرين ، ووعـــد بأن يصدر بعده قسما آخر يتضمن رأيه فى الأدب المعاصر له .

وفى هذا الجزء فصل عن شخصية الأدب المصرى الحديث ، وآخر عن مدارس الأدب فى مصر ، وفصل عن قضايا الأدب العربى المعاصر ، وفصل عن النزعات والاتجاهات ، ثم فصل عن تيارات النثر ، وآخر عن نزعات الشعر ، وفصل عن تطور القصة ، وبعده مساجلات أدبية وفصول تكميلية ، نخاتمة عن الاحياء الإسلامى والاحياء العربى .

ومواضع الكتاب أوسع مما تدل عليه عناوين فصوله ، ولعل من أهمها استعراض المعارك بين العامية والفصحى وأمثال ذلك مما يهم كل متأدب الوقوف عليه ، فنحث المشتغلين بالأدب والثقافة على الإفادة منه .

الأدب والعلوم

تحرير اللغة العربية

من المصطلحات الأجنبية الدخيلة

اتجهت مصر أخيرا إلى رسم خطة لتنظيم اشتراك الصحافة والإذاعة وسائر أجهزة الإرشاد فى تخليص اللغة القومية وتحريرها من الكلمات والاصطلاحات والعبارات الدخيلة .

وتشترك جامعة الدول العربية وكلية اللغة العربية بالأزهر وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكلية آداب عين شمس مع لجنة فنية من ممثلى وزارات التربية والتعليم والشئون الاجتماعية والعمل والإرشاد القومى فى وضع الخطط المثلى للوصول إلى هذا التحرير المطلوب فى اللغة العربية من كل دخيل أجنبى .

دراسات المشاكل الاجتماعية

فى كليات الأزهر

تقرر أن تكون دراسة المشاكل الاجتماعية إحدى مواد الدراسة فى كليات الجامعة الأزهرية .

تعاون الأسرة والمدرسة

على تكوين الجيل

عقد فى القاهرة مؤتمر للتعاون بين الأسرة والمدرسة على تربية رجال الغد وأمهاته التربية اللائقة بالمجتمع الذى نعمل على إنشائه وتكوينه . وافتتح هذا المؤتمر وزير التربية والتعليم بخطبة نوه فيها بقيمة التعاون وأثره فى تحقيق الأهداف ، وأن من واجبنا رسم الطريق لمستقبل بلادنا بالتعاون ، وخاصة بين الأسرة والمدرسة ، وذلك بتكوين مجالس الآباء والمدرسين لرعاية مصالح طلابها وتأليف المجالس الاستشارية الإقليمية فى كل منطقة من الصفوة العاملة .

وتكلم الأستاذ محمد على حافظ وكيل الوزارة عن تحويل الدراسات إلى مشروعات يعمل فيها الطلاب بأنفسهم ، واجتذاب الآباء والأمهات للنهوض بالمدرسة .

القمر الروسى الأول

قالت اللجنة المركزية القومية للسنة الجغرافية الطبيعية فى الاتحاد السوفيتى : إن القمر الصناعى الأول اخترق الطبقة الجوية الكثيفة وتبخر يوم ٤ يناير بعد ٩٢ يوما دار خلالها ١٤٠٠ مرة حول الكرة الأرضية قاطعا مسافة ستة ملايين من الكيلومترات .

أنباء العالم الإسلامي

قيام الوحدة العربية

حلم قديم يتحقق اليوم . إن البلدين الناهضين مصر وسوريا يضعان حجر الأساس فى البناء الذى سيكون له شأنه العظيم فى تاريخ الإنسانية . نكتب هذا ونتوقع مجىء الرئيس شكرى القوتلى إلى القاهرة ومعه كبار المسئولين فى الدولة السورية ليعلنوا مع مصر اندماج الدولتين فى جمهورية واحدة تكون القاهرة عاصمتها . وسيكون التمثيل السياسى واحدا ، والجيش واحدا ، وعلم الدولة المتحدة واحدا ، وإن بقى العلم المصرى لإقليم مصر والعلم السورى لإقليم سوريا . وسيكون للدولة الموحدة مجلس نيابى مركزى ، وستكون من ورائه مجالس نيابية إقليمية لحكومة إقليمية . وستكون للدولة الجديدة نقود موحدة ومجلس دائم للاتحاد مقره القاهرة . وإن أسس هذه الوحدة ستعرض فى استفتاء شعبى .

إن هذا الحادث التاريخى العظيم فاتحة لما يرجى بعده من التوسع فيه تحقيقا لأمانى أمة مزقتها الشعوبية منذ أكثر من ألف سنة ، وأفاد الاستعمار من ذلك فزادها فرقة وتمزيقا . إلى أن أراد الله لها اليقظة فى جميع أوطانها ، فالقلوب العربية تتطلع الآن إلى هذا الحادث التاريخى من كل مكان : من ضفاف الرافدين ، ومن جانبى الأردن ، ومن ربوع لبنان ، ومن كل مكان ينطق أهله بالضاد . يلتفتون إلى الماضى يوم خرجت العروبة من جزيرتها لتقيم الوطن الأكبر ولتبنى العالم الإسلامى كله ، ويتطلعون إلى المستقبل الذى سيتم فيه البعث وستستأنف فيه العروبة رسالتها فى العالم الإسلامى والمجتمع الإنسانى . إن هذا لخير البشر كلهم ، ولخير الأمم التى عاشت على الاستعمار ، وسيكون ذلك نقطة تحول سعيد فى التاريخ العالمى .

زيارة سوكارنو لمصر

وتعاون مصر وأندونيسيا

زار السيد أحمد سوكارنو رئيس الدولة الإسلامية (أندونيسيا) واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر مرارا وبحثا القضايا التى تهم الدولتين ، كما بحثا الموقف الدولى الراهن بصفة عامة ، وقد أكد الرئيس جمال عبد الناصر التأييد الكامل من الحكومة المصرية والشعب المصرى للحكومة الأندونيسية والشعب الأندونيسى لتحرير إيريان الغربية من الاستعمار الهولندى

وأكد الرئيسان إيمانهما بالمبادئ المتفق عليها فى مؤتمر باندونج للدول الآسيوية والإفريقية، وبالمبادئ التى يقوم عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وكان الرئيسان على اتفاق تام بأن سياسة عدم الانحياز هى خير مساهمة يمكن أن يقدماها لتحقيق السلام والرفاهية والاستقرار فى العالم .

واتفق الرئيسان أثناء استعراضهما للتعاون بين مصر وأندونيسيا فى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية على ضرورة توسيع نطاق هذا التعاون وتنميته ، كما أعربا عن عزمهما على أن يبذلا كل الجهود الممكنة لبلوغ هذه الأهداف ، زيادة فى تدعيم الروابط بين الأمتين ، وقد قبل الرئيس عبد الناصر الدعوة التى وجهها الرئيس أحمد سوكارنو لزيارة أندونيسيا عندما تسمح الظروف بذلك ، وقد شعر الرئيس سوكارنو بأن زيارته لمصر قد هيأت له فرصة كبيرة لاستعادة صحته الطبيعية ، ويرجع ذلك إلى الاستقبال الأخوى الحار الذى لقيه فى مصر ، وأعرب الرئيس جمال عبد الناصر لضيفه العظيم عن الأمانى القلبية التى يكنها الشعب المصرى للرئيس الأندونيسى كما تمنى للشعب الأندونيسى السعادة والازدهار .

البدع فى الموالد

منعت وزارة الداخلية البدع والمعاصى والسخافات التى كانت تجرى فى الموالد ، من ضرب الدفوف ودق الطبول والنفخ فى الناى وظهور النساء فى حلقات الذكر بساحات الموالد أو فى مواكب أهل الطرق ، كما منعت بدع ضرب الأجسام بالسلاح وأكل الحشرات وارتداء الأزياء الغريبة ، وكذلك عرض ألعاب الميسر والخلاعة وما إلى ذلك .

وقد كلف وزير الداخلية مشيخة الطرق بأن تندب أشخاصا من المنتمين إليها بمراقبة تنفيذ هذا القرار .

مقاطعة العرب لاسرائيل

يقدر الخبراء الاقتصاديون ما يلحق إسرائيل من خسائر بسبب مقاطعة العرب لها بخمسة وعشرين مليونا من الدولارات سنويا ، وهو ما يستجديه الصهيونيون من حكومة أمريكا إعانة لهذه الدولة المصنوعة بالخيانة والبغى ، فدافع الضرائب الأمريكى يتحمل عن إسرائيل ثمن البغى الذى رضيت حكومته أن تلطخ به سمعتها وتاريخها .

الاتجار بالصور العارية

جريمة

حكمت محكمة جنح الأزبكية برياسة الأستاذ محمود الزبدى القاضى بالحبس شهرا مع الشغل على بائع للصور العارية ، وذكرت

المحكمة فى أسباب حكمها أن الدين الإسلامى الذى شبت فى ظله تقاليد المجتمع المصرى يأبى كل الإباء الاطلاع على مثل هذه الصور فالدين الإسلامى الذى يمنع التبرج ويعتبر جسم المرأة عورة لا يسمح بحال بنشر صور عارية تكشف عن المفاتن والعورات .

ودافع المتهم عن نفسه بأن الصور هى صور فنية ولا تعد منافية للآداب فضلا عن أنها انتشرت فى كل مكان ، فقالت محكمة جنح الأزبكية أن الصور العارية ليس لها صلة بالفن ، فضلا عن أنها طبعت فى طبعات بخسة الثمن وتعرض على جمهور لا يدرك إلا معنى واحدا هو معنى الإثارة للغرائز الجنسية .

صوت المرأة المسلمة

فى الدفاع عن النظام الإسلامى للأسرة

تقدمت نائبة من أعضاء مجلس الأمة بمشروع غير مشروع إلى المجلس طالبة فيه الحد من تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ، فقامت (جمعية نساء الدولة) بمعارضة هذا المشروع غير المشروع ، وذهب وفد منها برياسة السيدة منيرة حسنى فقابلن رئيس مجلس الأمة وقدمن له مذكرة قلن فيها :

« إن الطلاق والزواج من اختصاص رجال الدين ، ولكن النائبة أمينة شكرى تريد أن تجعله حقا مدنيا . وإن مشكلة الطلاق مشكلة أخلاقية فقط ، وعلاجها بتقويم الأخلاق ، لا بعمل « الرتوش » فى نصوص الشريعة ، وإن تقييد الزواج والطلاق يجعل الحياة بين الزوجين بالإكراه ، وينشر الزواج العرفى بدرجة كبيرة فى المجتمع ، وسيضرب الشبان عن الزواج تفاديا للمحاكم والمتاعب وستزداد أزمة الزواج ويترتب على ذلك انهيار خلقى فى المجتمع » .

اليابانيون والبترول السعودى

وقعت المملكة العربية السعودية اتفاقا مع شركة البترول اليابانية يقضى بمنح الشركة اليابانية امتيازا باستنباط البترول من المنطقة المغمورة فى النصف المشاع بين المملكة العربية والكويت .

إسرائيل دولة لصوص

أعدت جامعة الدول العربية إحصاء دقيقا عن المخالفات القانونية التى ارتكبتها دولة اللصوص التى أنشأتها دول الغرب فى الوطن العربى (فلسطين) باسم (إسرائيل) ، فتبين أنها ارتكبت فى العام الماضى ٨٥ ألف جريمة ، وبلغت قيمة المسروقات فى جرائم السطو ١١٤ مليون جنيه ، وتناول التحقيق ٢٤٣٦٧١ شخصا أى ١٢ فى المائة من مجموع

السكان ، وقد وزعت المخالفات على الوقت فتبين أن إسرائيل ارتكبت مخالفة قانونية فى كل ست دقائق .

مباحثات مياه النيل

دارت المباحثات بين مصر والسودان حول التفصيلات الفنية التى تتولاها لجان فنية مشتركة بشأن أسس مباحثات مياه النيل . وقد تم الاتفاق حول الخطوط العريضة التى تدور حولها هذه التفصيلات ، وفى مقدمة ذلك موافقة السودان على إنشاء السد العالى ، والموافقة على مبدأ الحق المكتسب فى مياه النيل بالنسبة لاتفاق سنة ١٩٢٩ ، وتقسيم المياه الزائدة المترتبة على إنشاء السد العالى أو أية مشروعات مستقبلة بالنسب التى تواجه حاجة البلدين . وقد اتفق مبدئيا على أن يكون هذا التقسيم بنسبة ٥٠ ٪ أى مناصفة . وتعوض مصر السودان عن الأراضى التى سوف يغرقها المشروع فى بلاد النوبة ، وتدفع نفقات ترحيل أهليها وإسكانهم فى منطقة تقع جنوبى كسلا ، وتقدر هذه التعويضات مبدئيا بمبلغ يتفاوت بين ١٠ و١٢ مليون جنيه فاذا لم يتمكن الطرفان من الاتفاق على قيمة التعويضات ، فان السودان يقترح أن تقوم مصر بعملية نقل أهالى النوبة السودانيين وإسكانهم على نفقتها الخاصة بدلا من دفع تعويضات فردية لهم .

وستكون مصر والسودان طرفا واحدا فى أى مباحثات تجرى فى المستقبل مع أثيوبيا أو غيرها بشأن الكميات الزائدة التى تتدفق من النيلين الأزرق والأبيض فى مجرى النيل بالبلدين .

أمانة

سيتم إعلان الوحدة فى اجتماع يعقده الرئيسان شكرى القوتلى وجمال عبد الناصر .

سيعلن القرار فى مجلس الأمة بالقاهرة ومجلس النواب السورى بدمشق فى وقت واحد .

قال شكرى القوتلى وهو فى دمشق قبل أن يأتى إلى القاهرة لإعلان الوحدة : لقد كافحت فى سبيل الوحدة مع إخوان أعزاء علق بعضهم على أعواد المشانق ، ونال الشهادة عدد منهم فى ثورات الاستقلال ، وحكم على أنا بالإعدام ثلاث مرات . ولم نكن نعمل لتستقل الأوطان العربية استقلالا محليا ، بل كنا نجاهد جميعا لأجل الوحدة . وقد عقدنا الآمال على كثير من الرجال لتحقيق وحدة الأمة العربية ، فشاءت إرادة الله أن يتأخر تحقيق نتائج جهادنا إلى اليوم لأكون أنا رئيسا للجمهورية ، وأسلم (الأمانة) يدا بيد للرئيس جمال عبد الناصر الشاب الممتلىء عروبة وحماسة وإخلاصا للأمة العربية .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	للطلبة في وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثامن ـ القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٧ ـ ٢٠ فبراير ١٩٥٨ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

العروبة

من جذورها ـ إلى أغصانها، وثمراتها

هي كلمة الله الطيبة، من الأزل إلى الأبد ...

قد يحجبها إبليس ورهطه بأجنحتهم عن مدارك أهلها حينا، وعن أسماع الإنسانية وأبصارها حيناً آخر، ثم يظهرها الله لأهلها لعلهم يفيئون إلى أمره، ويظهرها أهلها للناس لعلهم يهتدون طريق السعادة.

هي: «كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء.. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون».

إنها شجرة طيبة فيما بين الأزل والأبد، توغلت جذورها في أعماق الأودية، وبين طبقات الأرض، لتتجدد أغصانها بتجدد الأدهار، ودورات الفلك، وازدهار الأزمان.

لقد كان من ثمراتها الشهية الناضجة في الأمس القريب إبراهيم أبو الأنبياء والصالحون من أبنائه، إلى خاتمهم وأكملهم حامل أسمى رسالات الله، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلى يوم البعث الأكبر.

إن الأمة التى كان منها إبراهيم ، كانت غصناً من دوحة أصيلة أنبتها الله فى جزيرة العرب مهد الساميين الأول ، ووطن العروبة وحصنها المنيع . قال المؤرخ الأمريكى باتون [١] : إن أول مهاجرة سامية ذكرت فى التاريخ هى مجىء جماعة من الساميين من أرض العرب إلى البقعة التى بين مصبى دجلة والفرات . ولم يذكر باتون زمن هجرتهم هذه من أوطانهم الأولى إلى العراق ، لأنها موغلة فى القدم ، ولكنه أثبت لهم حضارة زاهرة فى ذلك القطر فى القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ...

والذى أبقته لنا يد الدهر من بقايا آثار هذه الحضارة من نحو ستة آلاف عام ، يتسلمه الدكتور ناجى الأصيل أمين الآثار العراقية فى بغداد ، ويتعاون رجاله على حفظه فى المتحف العراقى ، ويقومون على وصفه فى مجلة سومر باللغتين العربية والانجليزية عاما بعد عام .

وذهب العلامة المحقق الانجليزى أرشيبلد هنرى سايس A . H . Sayce – وهو من أعلام جامعة أوكسفورد فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين – إلى أن قبيلة من الساميين يقال لها (كلدة) كانت نازلة عند مصب النهرين فى الخليج العربى ، أى فى مقاطعة البصرة والكوفة ، وأنها طليعة الآراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابلى وخيموا على ضفاف الفرات .

وقال الأب أنستاس مارى الكرملى (فى مجلته لغة العرب ٢ : ٥٧٨) : كلدة شيخ عربى ، هو مؤسس دولة الكلدان .

هذا هو الغصن المبارك الذى كان من أطيب ثمراته إبراهيم وبنوه ، وإن جذور الدوحة الكبرى التى منها هذا الغصن هى من جذور العروبة فى وطنها الحصين المنيع مهبط وحى الله ، ومنه ظهرت أقدس رسالات الله .

قال باتون الأمريكى : « ثم إن بلاد العرب عادت فغصت بأبنائها بعد ألف سنة ، فكانت الهجرة الأمورية الكنعانية (أى الفينيقية) حوالى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد » .

ويؤيد قول باتون – من أن أصل الفينيقيين من صميم بلاد العرب – ما ذكره الأب

[ ] مجلة الباحث [٢ : ٢٢٨] ، ورسالة اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب [ص ٧] .

مرتين اليسوعى (فى تاريخ لبنان طبعـة الآباء اليسوعيين فى بيروت ص ٢٤١) وهو أن (أرنو) وجد فى الكتابات الأثرية فى اليمن بخط المسند اسم (عشتروت) إلاهة الفينيقيين . وكان اليمنيون يسمونها (عثتر) .

ويزيد هـذه الحقيقة تأييدا وتأكيدا ما رواه الرحالة اليونانى سترابون المعاصر للسيد المسيح سلام الله عليـه (فى الفصل ١٦ من كتابه فى الجغرافيا رقم ٣ و ٤) حيث قال : « إذا سرت فى الخليج العربى رأيت جزيرتى صور وأرواد وفيهمـا هياكل تشبه هياكل الفينيقيين » . بل إن فى الخليج العربى ثغرا اسمه جبيل ، وعنـد انتقال الفينيقيين من وطنهم العربى على ساحل الخليج إلى سواحل الشام أنشأوا بلادا على اسم بـلادهم التى هاجروا منها : صور ، أرواد ، جبيل . . .

ولمـا زار هيرودوتس أبو التـاريخ البـلاد الفينيقية ، واجتمع بكهنتهم فى هيكل (بعل ملك قرت) سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ، وتحدث إليهم عن ماضيهم وأوليتهم ، كتب عنهم (فى العدد ٨٩ من الكتاب السابع) يقول : « إن الفينيقيين كما يخبرون هم بأنفسهم أقاموا أولا فى البحر الأريترى (أى الخليج العربى) ثم رحلوا من هنـاك ، وجاءوا فسكنوا فى سواحل الشام » .

وفى كتاب تروغ بمبى (١٨ : ٣) وهو من مصادر التاريخ القديمة : « إن الفينيقيين لمـا آذتهم الزلازل فى أوطانهم (وهى نجد من قلب جزيرة العرب كما سيأتى) هجروها وأقاموا أولا بالقرب من البحيرة الأشورية (الخليج العربى) ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر الأبيض ، وهناك بنوا مدينة سموها صيداء لكثرة الأسماك فى ساحلها » .

وقال المؤرخ الفرنسى فرنسيس لنورمان F. Lenormand : « إن تقليـد الفينيقيين الذى جمعه فى نفس مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع فى تحرى منابع الأخبار ، وقبله تروغ بمبى المعروف بالرأى الصائب ، وتقليد سكان العربية الجنوبية الذى نقله سترابون ، ثم التقليد الذى كان جاريا ببابل فى أوائل النصرانية أيام أنشئ الـكتاب السريانى الـكلدانى فى الفـلاحة النبطية ، جميع هـــذه التقاليد الثلاثة متفق على أن الـكنعانيين (أى الفينيقيين) سكنوا فى بادئ الأمر بالقرب من الـكوشيين إخوتهم الأصليين عند أرياف الخليج العربى ، أى فى الجهة التى تسمى اليوم فى المصورات الحديثة (القطيف) . وإن طريق القوافل ممتدة الآن من ناحية القطيف ومتصلة ببلاد الأحساء وكامل وادى فلفان إلى حد جبل طويق . وفيا وراء ذلك بقليل تميل إلى جهة الشمال الغربى فى ناحية

الوشم إلى أن تتصل بمدينة عنيزة ، ومن هناك تأخذ نحو الغرب مارة بجميع جهة القصيم لتتصل بطريق الحاج على مساواة الحنيكية . هذه هي الطريق التي سلكها الفينيقيون عند هجرتهم من قلب بلاد العرب إلى الشام ، وذلك أمر لا يستطاع الارتياب فيه ... ولما وصل الكنعانيون إلى الحنيكية تخلفت منهم قبيلة ، وأتم الباقون سيرهم نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط . وفي تقاليد العرب القديمة أن ثمود أقامت بتلك الجهة ونحتت من الجبال بيوتا لها » .

وقال مؤرخ فرنسي آخر وهو مسيو رنه دوسو René Dussaud (في كتابه العرب في سوريا قبل الإسلام ص ١٨) اعتمادا على تحقيق العلامة وينكلر Winckler : « إن المستعمرات والمصارف الفينيقية في شمال إفريقية ليست نتيجة استعمار ، وإنما هي نتيجة حركة اكتساح عن طريق البر كتلك الحركة التي قام بها الفينيقيون يوم خروجهم من بلاد العرب وانتشارهم في سوريا . ويعتبر وينكلر أن بلاد العرب كانت الموطن الأصل للساميين ، وأن البابليين (الكلدانيين) والكنعانيين (الفينيقيين) والآراميين (السريان) خرجوا من بلاد العرب فوجا بعد فوج كما خرج المجاهدون المسلمون في القرن السابع الميلادي » .

وقبل أن أقطع الكلام عن الفينيقيين وثمود الذين يرى لنورمان أنهم انخزعوا عنهم في هجرتهما معا قبل الميلاد بستة وعشرين قرنا ، أريد أن أشير إلى أداة المعارف الإنسانية الأولى وهي الكتابة ، في الدور الذي انتقلت فيه من الكتابة بالصور (كالخط الهيروغليفي) إلى الكتابة بحروف الهجاء التي يرى مؤرخو الثقافة الإنسانية العامة أن الفينيقيين هم الذين اخترعوها لأول مرة ، وأن اليونانيين ثم الرومان أخذوها عنهم . ولكن الباحثين في تاريخ الموجات السامية والذين توصلوا إلى أن جزيرة العرب هي مهد الساميين الأول ومنها خرج الكلدانيون والفينيقيون وغيرهم ، أخذوا يتساءلون عن الأبجدية الفينيقية هل هي أصل الأبجديات ، أم أنها من تراث أوطانهم الأولى في الجزيرة العربية ؟ وهنالك من يرى أن الكنعانيين وثمود وعرب الصفا وكذلك الحبشة وسائر الساميين لا يبعد أن يكونوا أخذوا أبجدياتهم من اليمن عن خط المسند الذي كتبت به أجيال عريقة في القدم من اليمنيين ، وإن آثار اليمن القديمة لا تزال بكرا ، وأمام رجال العلم من العرب واجبات عظيمة في التنقيب عن تلك الآثار والعناية بدراستها . ويقول

العلامة أرشيبلد هنرى سايس : إذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف الهجائية كان فى بلاد العرب يكون أحسن حل لمعضلة التاريخ الأول لحروف الهجاء . لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى انطباق فى كثير من الأحوال للرموز والإشارات التى تدل عليها ، من ذلك حرف ثور (أى الألف) فان رسمه فى كتابة المسند الذى كان يكتب به المعينيون من أهل اليمن أكثر شبها برأس الحيوان (الثور) الذى سمى حرف الألف باسمه . قال : وإن المكتشفات المقبلة فى بلاد العرب ستدلنا على أنباء الشعوب التى سكنت تلك الأصقاع قبل عصر التاريخ وأسست فيها الحضارة .

وتلفت الأنظار إلى الأحقاف (الربع الخالى) الذى دلت الدلائل على أنه كان حافلا بالخصب فى أزمان عريقة فى القدم قبل التاريخ ، وكانت تسيل إليه أودية الدامر وتثليث منحدرة من جبال عسير فتنصب فى الربع الخالى وتملأه عمرانا وخصبا وخيرا ، ثم اضمحل عمرانه بزلازل وآفات سماوية تحول بها إلى بلقع ومفازات لا يجرؤ أحد الآن على اقتحامها .

وهنالك دولة الحثيين الكبرى Hittites التى ملأت آثار عظمتها وسطوتها شمال الديار الشامية وسكنت بلاد الأنضول كلها قبل البزنطيين بعهد طويل ، إن هذه الدولة التى ألف عنها الأستاذ أرشيبلد هنرى سايس كتابا فى ١٥٠ صفحة (وعندى طبعته الثانية سنة ١٨٩٢) يسمى دولة الحثيين (الإمبراطورية المنسية Forgotten Empire) وإن التوراة فى كل ما تحدثت به عن الحثيين تتهمهم بأنهم إخوة الكنعانيين — أى الفينيقيين — وقد أوردنا الأدلة والنصوص على أن الفينيقيين من جزيرة العرب ، فالمعقول أن يكون إخوتهم الحثيون موجة من الموجات التى هاجرت من جزيرة العرب ، ولكن فى عهد أقدم من الزمن الذى هاجر فيه الفينيقيون إلى سواحل الشام ؛ بل هى موجة أعظم وأقوى وأعز شأنا . ولست أدرى لماذا لا تقوم وزارة التربية والتعليم بترجمة كتب أمثال باتون ووينكلر وسايس وخليفته فى البحوث السامية ث . و . ثاكر أستاذ اللغات السامية بجامعة درهام باسكتلندا ، وكتاب الغصن الذهبى عن معتقدات العالم القديم للسرجيمس فريزر . نعم إن أكثر هؤلاء الباحثين ينظرون إلى هذه البحوث من زاوية التوراة ووجهات النظر اليهودية ، لكن اطلاع المشتغلين بالتاريخ العريق للأوطان السامية على كل ما يتصل بالماضى العربى والسامى أمر ضرورى جدا لفتح أبواب البحث فى جامعاتنا لهذه الأمور . بل ينبغى لنا أن نطلع على دراسات اليهود من علماء الفيلولوجيا فى جامعة القدس العبرية عن مقارنة أصول الكلمات العبرية بما يوافقها فى العربية وسائر اللغات

السامية ، فإنهم يقومون بمقارنة هـذه اللغات من جذورها على حد تعبيرهم ، والاطلاع على ذلك من أهم واجبات الجامعات العربية . ومن العجيب أن يعنى اليهود بذلك ولغتهم أحدث اللغات السامية وتكاد تكون من أفقرها ، بينما العرب ـ ولغتهم هى البنت البكر للغة السامية المنقرضة ، وهى أكملها وأوسعها ، لأنها وارثتها الأولى والأعرق فى القدم ـ لا يزالون فى غفلة مخجلة عن هذا الواجب القومى والعلمى الذى ينبغى لطائفة منا أن تتفرغ له وتنقطع لدراسته ؛ حتى تكون مرجعا للأجانب عنه ممن مضى على اشتغال أسلافهم به مائة سنة أو أكثر .

ولما بدأت بكتابة هـذا المقال كنت أنوى التحدث عن الموجات السامية الأخرى من جزيرة العرب ، كقوم حمورابى الذين أسسوا الدولة الكلدية الخامسة قبل الميلاد بألف وستمائة سنة ، والنصوص فى هجرتها عن باروز الآرامى كاهن معبد بعل فى بلاد أشور أيام الإسكندر المقدونى ، وعن أبى دان الكاهن المصرى فى هيكل أزوريس على عهد خلفاء الإسكندر ، وبوليستور المتوفى فى القرن الأول قبل الميلاد ، وأبولو وورس المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام . وقد نقل عن الأخيرين جورج سينالوس وأوسابيوس قول كاهن بعل : «إن العرب استولوا على كلديا ، وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك فى مدة ٢٤٥ سنة» وقد اعتمد المؤرخ رولنسن رواية باروز الآرامى وحسب أن المدة التى خلت فيها الأريكة الكلدية للأسرة العربية المالكة امتدت من سنة ١٥٤٦ إلى سنة ١٣٠١ قبل الميلاد .

ومن الموجات العربية نحو الشمال هجرات بنى إسماعيل قبل الميلاد بحوالى ٦٠٠ سنة ، منهم بنو يطور بن إسماعيل الذين أسسوا مملكة فى جنوب دمشق ، وفى التوراة ذكرهم (فى سفر التكوين ٢٥ : ١٥ و١٦ ، وفى أخبار الأيام الأول ١ : ٣١) . وإخوتهم بنو قيدار وبنو نابت الذين انتقلوا من مكة إلى يثرب ومدائن صالح لخليج أيلة (العقبة) ووادى موسى . ولبنى نابت آثار منقوشة على الأحجار بين وادى موسى والسويس ، وبين العقبة والطور . ويقول المؤرخ القديم ديودور الصقلى : إن لهم عشرة آلاف مقاتل من أشجع الرجال ، وقد بطشوا بحملة أنتيغونس سنة ٣١٢ ق م بطشة أفنتها عن آخرها ومنعت أنتيغونس من غزو مصر . وقد امتدت مملكة نابت من وادى القرى على حدود يثرب إلى دمشق فى الشمال ، واتخذوا حصن (سلع) فى وادى موسى أحد فروع العربة عاصمة لهم . والرومانيون يسمون حصن سلع (بترا) أى الصخر ، وهو من أعاجيب الآثار . ومن

ملوكهم الحارث وزيد ايل وعبادة ورئبال ومالك . وانقرضت دولتهم على يد الإمبراطور تراجان الرومانى سنة ١٠٦ م . وقـد أخطأ الذين نقلوا عن الرومانيين اسم عاصمتهم بترا وكان ينبغى لهم أن يسموها باسمها العربى (سلع) ، كما أخطأوا فى تسمية هذا الشعب العـربى النبط ومملـكتهم مملـكة النبط ، وهـذا الاسم جاءهم من اسم جدهم (نابت بن اسماعيل) وكان ينبغى أن يسموا (الأنبات) . أما النبط فجيل آخر بالبطائح بين العراقين سموا بذلك لاشتغالهم باستنباط ما يخرج من الأرض .

وكان بعد هجرة بنى اسماعيل إلى الشمال افتراق بنى معد فى الحجاز وتهامة ، وهجرة سيل العرم من اليمن ، ولافتراق بنى معد تفصيل دقيق فى مقدمة معجم ما استعجم للبـكرى ، وقد أوغلوا فى سواد العراق والموصل وتـكريت والأنضول وحولوا فيها مقاطعة قهستان إلى مستعمرة عربية اشتهرت إلى هذا اليوم باسم (ديار بكر) أى ديار بكر بن وائل وهى الآن ولاية تركية فى صميم الأنضول ، كما استقرت جماهير منهم فى سنجار ونصيبين والخابور فصارت تسمى (ديار ربيعة) .

أما الموجة القحطانية التى اندفعت إلى الشمال بانهيار سد العرم فمنها الأوس والخزرج وهم الأنصار الذين نزلوا مدينـة يثرب ، وخزاعة الذين توطنوا فى مكة ، ولخم الذين ملأوا العراق ، وغسان الذين كانت لهم مملكة فى الشام ، وعاملة الذين انتشروا فى جنوب الساحل اللبنانى فخلفوا أسلافهم الفينيقيين . وبلغت تنوخ أعماق سوريا الشمالية ومن سلالتها حكيم شعراء العرب أبو العلاء ومواطنوه من أهل معرة النعمان وشـيزر وما وراء ذلك فى الشمال .

وكان ينبغى لى أن أتعرض لما كان بين مصر وجزيرة العرب من وشائج وأواصر متصلة من أقدم تاريخ عرفناه لمصر حتى اليوم ، لولا أنى ألممت بشىء من ذلك فى مقال (الشعب المصرى جزء من الأمة العربية) المنشور فى جزء رجب سنة ١٣٧٥ من هذه المجلة لمناسبة صدور دستور الشعب المصرى ممثلا هذه الحقيقة فى مادته الأولى .

تلك هى جـذور العروبة ، لدوحة مباركة امتدت أغصانها فى آفاق لا عهد للتاريخ بمثلها فى أمة من أمم الأرض . أما ثمراتها فسوف نحاول إحصاءها كلما رجعنا إلى أنفسنا ، وعرفنا من نحن ، وما هو تراثنا ، من أعرق الدهور فى القدم إلى أن تقوم الساعة .

ولا ريب أن أعظم هـذه الثمرات هي التي جنيناها ونجنيها من فيض الموجة الإسلامية الكبرى التي أعادت إلى البلاد السامية وحدتها القومية بألحان العربية الفصحى، وشملت بهدايتها ربوع الهند وجزائر أندونيسيا ومدائن الصين شرقا، كما غمرت شمال إفريقية إلى أقصى جبال الأطلس ولجج المحيط الأعظم في الغرب، وجاست ربوع أوربا حتى وطئت خيول عبد الرحمن الغافقي جنوب فرنسا، ورحم الله حسان العروبة فؤادا الخطيب يوم كان يترنم على مسامعنا بقوله:

تلك الحياة التي كانت عجيبـة ... في الغيب لا سأما تخشى ولا سقما
صارت مع الدهر من بدو إلى حضر ... حتى استتبت فكانت نهضـة عمما
من ذلك البيت، من تلك البقاع، على ... تلك الطريق مشت أجـدادكم قدما
من كل أروع وثاب إذا انتدبت ... بيض الصوارم كان الصارم الخذما
وانقض من عدواء الدار منصلتا ... وانغل في غمرات الموت مقتحما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم ... إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
إلى الشآم، إلى أرض العراق، إلى ... أرض الجزيرة سيروا واحملوا العلما

وبعـد فإننا ننعى على الاستعمار الغربي ما أنزله بالعروبة في حروب الصليبيين الأولى وفي أختها في الأزمان الأخيرة. وينبغي لنا أن نعلم أن الذي نزل بالعروبة والإسلام من كيد الشعوبية شر من الذي لقيناه من الاستعمار. فالذي كادت لنا به الشعوبية في ألف سنة قد أنسانا أنفسنا، وجملنا سيء الظن بمدنيتنا، وشوه فينا سمعة خيارنا من الصحابة إلى التابعين والفاتحين والمصلحين. وجعل مدلول الدين في نفوس الدهماء منا غير المدلول الذي كان له في صدر الإسلام. ولا بد أن نسارع في الحال إلى تنقية قمحنا من الأعشاب السامة الضارة التي دست فيـه. أليس من العجيب أن يفتخر مسلمو الهند وباكستان بالفتى العبقري محمد بن القاسم الثقفي ويتبركون بذكراه لأنه كان سبب دخولهم في الإسلام، ونحن لا نعرف أين قبر صاحب رسول الله عمرو بن العاص رائد العروبة إلى مصر وحامل لواء الهداية المحمدية فيها وسبب إسلام أهلها من زمانه إلى الآن، نزوره الزيارة الشرعية، وندعو له برحمـة الله ورضوانه جزاء تكوينه لكياننا، وإلغائه بشريعة الإسلام نظـام الطبقات الذي كانت تنتقل به ملكية الأرض وما عليها من العمال والمواشي والأشجار من البائع إلى المشتري ومن المورث إلى الوارث، فكان النظـام الجديد الذي جاء به عمرو

إلى مصر أول مبطل لهذا الباطل ، ونحن لا نعرف له هذا الجميل كما ينبغي ، لأن تاريخنا قد اختلط فيه القمح بالأعشاب السامة ، وقد آن أوان إنقاذنا منها .

إن الشعــوبية أفسدت علينا عقيدتنا بعروبتنا ، وأفسدت علينا حسن ظننا بسلفنا الذي كان ــ بشهادة الله له ــ خير أمة أخرجت للناس . ومن أعظم ما يكفر به الدهر عن ذنوبه للعروبة في هذه الأيام السعيدة رجوعنا إلى أنفسنا ، واطمئناننا إلى هــذا الأصل النبيل الذي سيجتمع به شملنا بمشيئة الله وتوفيقه . ومتى استأصلنا من مجتمعنا جذور الشعوبية ، وأقمنا بنيان التربية والتعليم في مدارسنا وجامعاتنا على هــذا الأساس المتين ، فسيكون منا للإنسانية القوة الثالثة المهيبة التي تعمل للحق والخير ، وتدعو إلى العــدل والرفق والتعايش السعيد فيما بين الأفراد وفيما بين الأمم ، وإن ذلك له ما بعده في تاريخ الإنسانية إن شاء الله ٠

محب الدين الخطيب

مصر والشام

وطن واحــــد لأبناء سام	عربي في خطوه ومجاله
ليس عمرو وخالد غير قطبــــين أطلا منــــه على آماله	
وطن العرب خافه كل عات	أغرق الفاتحين بحر رماله
كفانه الصحراء شرقا وغربا	حين فت الأعداء في أوصاله
مصر والشام مطلعان لفجر	عربي غطى على آصــاله
نهضا يبعثان عصرا قديمـا	في جديد حاكا على منواله
مصر والشام دوحتان لشعب	صانه الله ، مد في أظلاله

محمد الشريقي
وزير خارجية الأردن سابقا



— ٥٨ —

عبرة منسية

الحياة الدنيا بين وفاة كل ليلة وبعث كل يوم

« وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ماجرحتم بالنهار » .

حياتنا قضية زمنية تتشابه معالمها ، ويتكرر عرضها ، ويحسها الآدمى ، وتجرى على كل كائن حى .. وهى ناطقة بالعبرة ، وزاخرة بالتوجيهات ، والإنسان أقدر على فهمها ، وأعرف بمفهومها ، ولكنه سادر فى الغفلة ، وتائه فى أفق ضيق من حياته الشخصية ، ولا يفيق من غفلته إلا بعد الفصل فى القضية ، ولا يتبصر فى موقفه إلا بعد انتهاء العرض وانطواء الصفحة ... فماذا هو مدرك بعد ذلك غيرما وعى من مشاهد القضية ؟ وماذا هو مستحق سوى ما أحرز لنفسه من مغانم روحية يهتدى بها ، ويعيش فى ضوئها إنسانا عاقلا ، وساعيا خيرا ، وعاملا ناجحا : يخطى دنياه التى تنطوى به بين ليل ونهار ، ووفاة وبعث متجددين ، إلى بعث دائم ، وحياة خالدة ؟ .

هذه حياتنا الدنيا نبدؤها نهارا فى جهاد ودأب ، وذهاب وجيئة ، ومنافسة وتزاحم ، وكسب وخسران ، وتنتهى بنا إلى ليل ، نقضيه فى استجمام ، وننفض على جوانبه متاعب اليوم ثم ننهض صباحا إلى ما بدأنا وننتهى مساءا إلى مثل ما انتهينا .

وقد تمر بنا الذكريات ، وتطوف بأخيلتنا العبر ، ولكنه تنبه مؤقت أشبه بالخاطر السانح ، لا يكاد يعرض حتى ينقشع ويزول .

والله تعالى يحدثنا فى هذا الشأن حديثا واقعيا ، لا تلاحقه الريبة ، وينبهنا إلى أمر نحسه ولا يتسع بجدل ، فيقول سبحانه : (أ) « وهو الذى يتوفاكم بالليل » (ب) « ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه » .

ومعنى هذا أن الله يتوفى خلقه بالليل ، ثم يبعثهم فى النهار ، وهو عالم بما يعملون من خير وشر ... ولكن عبارة القرآن ذكرت البعث فى النهار بعد ذكر العلم بما تعمله نهارا ،

على خلاف ترتيب المعنى الذى بينته ، وليس فى ذلك مخالفة ، وإنما هو سياق فى التقديم والتأخير ، تأذن به لغة العرب ، ويختاره القرآن كثيرا لحكمة ربط الكلام بما بعده مثلا كما هنا .

وذكر الوفاة بالليل مقصود به النوم ، إذ الوفاة عند العرب كما تطلق على الموت تطلق على النوم ، والله تعالى يتوفى أرواح الناس بالنوم يعنى بقبضها قبضا يمنعها من التصرف فى الأجسام ، وإذا كان النوم يحصل نهارا كما يحصل فى الليل ، فالمقصود عموم الوفاة ليلا أو نهارا ، وفى تخصيص الليل به مراعاة لشأن الليل ، وما هو غالب وشائع فيه ، كما أن الشائع والغالب فى النهار أن يكون للعمل واكتساب الخير والشر ، وإن كان ذلك يحصل ليلا أيضا .

ويذكر الله تعالى : أنه يعلم ما تأتى جوارحنا من أعمال أثناء النهار ، وذلك أيضا متابعة للغالب فى أحواله ، والله سبحانه عليم بما نجترحه ليلا كما يعلم ما فى النهار .

وكثير من الناس يظن أن التعبير بالوفاة لا يكون إلا فى الموت ، وأن البعث لا يكون إلا بعد الموت ، ولكن لغة العرب أوسع من ذلك فهم يذكرون الوفاة فى النوم وفى الموت ، ويذكرون البعث فى اليقظة بعد النوم وفى الحياة الآخرة بعد الوفاة .

وخلاصة هذا أن الله يتوفى الأنفس حين النوم ويتوفاها أخيرا بالموت .

وأنه يرسل الأنفس النائمة من وفاتها هذه ، لتستأنف جهادها فى الحياة ليالى وأياما بين وفاة ويقظة ، حتى ينتهى ما قدر لها من زمن تعيشه ، ثم يمسكها بالوفاة الأخيرة بعد الأجل المسمى — « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

ويبدو من ذكر القرآن للوفاة ليلا والبعث نهارا ، أن القصد تنبيه الناس من غفلتهم ، وإقناعهم بأن الوفاة والبعث واقعان دائما ، بنومهم ويقظتهم ، وأن ما وراء الوفاة والبعث أخيرا حساب لاشك فيه ، وجزاء لا مفر منه ، فإما نعيم ، وإما عذاب أليم ، فليس للناس أن يغفلوا ما هو جار عليهم ، أو يتجاهلوا ما هو على مقربة منهم ، وهم — مهما عاشوا — فى سبيلهم إلى تلك النهاية ، بعد غدوات معدودة ، وعشيات محدودة .

وأمر خطير كهذا ، بل هو أخطر الأمور المقدورة على الناس يقتضى فى حكمة الله أن يكون التذكير به دائما للناس فى نومهم ويقظتهم . ومصداق هذا قوله سبحانه : « ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » .

وتأتى الآية الثانية ، فتشعر الناس أن الله قاهر لهم ، وقادر عليهم ، وأن سلطانه فوق سلطانهم المزعوم « وهو القاهر فوق عباده » ومن مظاهر قهره وغلبته ، ومن أمارات رحمته أنه يرسل عليهم حفظة من ملائكته يراقبونهم ، ويحصون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحف ينشرونها يوم القيامة ، كما أن فيهم من يتولون المحافظة على الناس من أحداث مقدرة على غيرهم ، ففلان من الناس يصادفه شيء مقدور عليه دون فلان ، فالملائكة يحفظون الآخر مما جرى على غيره ، كما يحافظون على الناس من أضرار الجن والشياطين إلى آخر ما يعلمه الله ، وعلى الوجه الذى تجرى به حكمته فى خلقه ، ولم يكلفنا باستيمابه أو فحصه فحسبنا الإيمان بما أخبرنا .

وواضح أن علم الإنسان بوجود الملائكة ، وأن لهم هيمنة على أعماله ، وتوجيها له نحو الخير ، يشجعه على الترفق بنفسه ، والاعتدال فى مسلكه ، ترضية لله ولملائكته ، كما يستفاد ذلك من قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

بخلاف ما إذا كان العبد متروكا لشأنه دون مراقبة من الملائكة ، فانه يكون مهملا ومتروكا لهواه ، وشيطانه ، وتكون حياته سدى ، أشبه بحياة الحيوان الضال يسير على غير هدى ، ولا يدرك لعيشه مغزى ولا غاية .

ولكن الله تعالى كرم الإنسان فرفعه فوق هذه المنزلة ، ووصل حياته بنظامه الحكيم ، فجعلنا تحت مراقبة الملائكة ، وأعد لنا حسابا على ما قدمنا ، وسيجد الناس صحائفهم منشرة بين أيديهم فى موقف الحساب أمام ربهم ، وسيبدو لهم أن الله أحاط بكل شىء علما ، وأنه سيقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ، وصدق الله فيما ختم به الآية « ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

وبعد — فما أجدر العقول أن تتنبه ، والقلوب أن تتعظ ، وما أجدر المسلم أن يبصر أخاه بما ينبهه من غفلته ، وأن يعاونه على كل خير ، إذ المسلم أمانة فى عهدة أخيه ، ينصحه بما ينصح به نفسه ، ويحجزه عن الغواية — وإن لم يفعل ذلك امرؤ وهو قادر عليه فليس حفيظا على أمانة الأخوة ، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : « ولا دين لمن لا أمانة له » والله يعصمنا من الزلل ويرشدنا إلى صالح العمل ،،

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



كيف يقبض العلم ؟ ! (*)

ميراث الأنبياء ـ حياة العلم ـ رب جهل خير من علم ـ ليس العلم بكثرة الرواية ـ ورثة الأنبياء حقا ـ جهال فى ثياب العلماء ـ شرف الفتوى ـ وصاة خليفة راشد .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ؛ حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا !

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

• • •

العلماء ورثة الأنبياء ، ما فى ذلك ريب .

والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم :

ورثوا العلم بأسماء الله وصفاته ، وسننه فى خلقه وآياته .

وورثوا العلم بكتاب الله وحدوده ، والحكم بما أنزل الله فيه .

(*) هذه ترجمة الإمام أبى عبد الله البخارى فى كتاب العلم ، وهذا لفظه فيه ، ورواه بلفظ آخر فى كتاب الاعتصام وترجمته فيه : باب ما يذكر من ذم الرأى وتكلف القياس . ورواه مسلم فى كتاب العلم كذلك ، وترجمته هناك : باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ! والحديث علم من أعلام النبوة كما ترى .

وورثوا العلم بشريعة الله ودينه الذى رضيه لعباده ، وتعبدهم به ، ووصاهم أن يقيموه ويهتدوا بهديه ؛ لأنه النور المبين ، والصراط المستقيم ، إلى الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، والجزاء الأوفى ، فى الآخرة والأولى .

ومصداق ذلك كله قول الله جلت آلاؤه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

* * *

ويتصل بهــذا الميراث النبوى كل علم يهدى إليه ، وكل وسيلة توصل له ، متى خلصت النية ، وسلم القلب من الأمراض والعلل ، وطهر من الآفات والدسائس ؛ لا جرم أن للوسائل حكم المقاصد ، وأن للمقدمات حكم النتائج ، فى الخير والشر ، والنفع والضر ، فإنما الأعمال بالنيات ، وإنمـا لـكل امرئ ما نوى .

* * *

وغنى عن البيان أن هــذا العلم النبوى ، لن يتجرد ـ ولا ينبغى له أن يتجرد ـ عن لبه وجوهره ، وحياته ونوره ، وهو العمل به والاهتداء بهديه ؛ فمن أبعد المحال أن يرفع الله الذين أوتوا العــلم درجات وهم فى واد وما أوتوه فى واد ، بل يهبط بهؤلاء علمهم دركات ، لأنه حجة عليهم وفتنة لهم . والجهل خير من العلم إذا كان فتنة ، والعياذ بالله ! !

على أن العلم لو تجرد عن العمل به لن يكون ميراثا نبويا بحال ؛ فإن الأنبياء لم يورثوا من شاء الله أن يورثوه ـ كلاما وجدلا ، وإنمـا ورثوا حجـة وبيانا ، وهداية ونورا ، وفقها فى دين الله عز وجل .

* * *

وغنى عن البيان كذلك أن هذا العلم ليس بكثرة الرواية ، ولا بقوة الجدل فى المناظرة ، وإنمـا هو ـ بالتلقى والتعلم ـ نور يهدى الله به ، ويهدى الله له من اصطفاه من عباده ، وعلامة هذا الاصطفاء أن يفقهه فى دينه ، ويلهمه الرشاد والسداد ، فإن منّ عليه بجعله قدوة للعباد ، فذلك الذى يدعى فى ملكوت السماء عظيما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

إن العلماء العاملين ، النـاصحين المخلصين ، مصابيح الظلام ، وهداة الأنام ، يبنون الأمم ، ويحيون الهمم « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

هؤلاء هم ورثة الأنبياء حقا، يهتدون بهديهم، ويجددون للناس أمر دينهم، ويستغنون بالغني الحميد عما في أيديهم، ولولا بقية منهم لهلك العالم أجمع .

* * *

ولقد من الله على المؤمنين بهذه البقية، كما من عليهم بالنبيين وخاتمهم وأصحابه من قبل، إلا أنها تقل وتتضاءل - تدريجا - بقبض أرواحها، لا برفع العلم ومحوه من صدورها، فإن الكريم إذا وهب لا يسترد، فما بالك بأكرم الأكرمين سبحانه ؟ ! لا نحصى ثناء عليه .

وقد بشرنا الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، بهذه البقية، وبين لنا علامتها إذ يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » رواه الشيخان [١] .

* * *

وقد يبدو بين الحديثين خلاف أول النظر، ولكنه يذهب عند التأمل، فإن الحديثين لا يختلفان في ذهاب العلم بموت العلماء من حملة الشريعة وفقهاء الأمة، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا يستفتونهم في أمر دينهم، فيستنكف أحدهم أن يقول : لا أدري، ويتعاظم أن يرجع إلى أحد من هذه البقية التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم، أو يشق عليه الرجوع إليها، لقلتها وتفرقها حتى باتت في حكم العدم !

وحينذاك تفشو الجهالة، وتعم الضلالة، ويوسد الأمر إلى غير أهله، تمهيدا لقيام الساعة على كل لكع وابن لكع من شرار الخلق ! !

* * *

وها نحن أولاء نرى جهالا في ثياب العلماء، يتصدرون للفتوى والقول على الله بغير علم، ولا يعدمون من أتباع كل ناعق من يصدقهم ويدافع عنهم، وهو يجهل الضروري مما افترض الله عليه، وإذا كان هذا وفي الأمة الإسلامية بقية من أولي العلم والفضل، فما بالك إذا اضمحلت هذه البقية إلى معشارها أو أقل ؟ !

* * *

---

(١) وشرحه الأستاذ حسن منصور في م ١ ج ٥ ص ٢٦٨ - ٢٧٤ .

وإذا كان فى الحديث تنويه بشأن العلم والعلماء عامة ، ففيه تنويه أعظم وأجل بشأن الفتوى والمفتين خاصة ، وحسب الفتوى شرفا وفضلا أن الله ـ تعالى جده ـ تولاها بنفسه ثم ولاها خاتم أنبيائه ورسله ، ثم تولاها سادة الأمة وقادتها ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فليعد المفتون لهذا المنصب عدته ، وليعرفوا له خطره وجلالته [١] .

* * *

ورواية الإمام أحمد لهذا الحديث ـ بمعناه ـ عن أبى أمامة رضى الله عنه ، فى حجة الوداع ، تدل على مكان التحديث به ، كما تدل على مبلغ اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بالعلم وأخذه وروايته ، وتوكيد وصاته به فى آخر حياته ، وتحذير أمته ـ ولا سيما الآخرين منهم ـ أن يتهاونوا فى طلب العلم والحرص عليه حتى يقبض بقبض العلماء ! ! فيفشو الجهل ، ويستفحل الداء ، وتكون الآزفة ! ! .

وقد توجس خيفة من هذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فى رأس المائة الأولى ، إذ كتب إلى أبى بكر بن حزم نائبه على المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فا كتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

والله المستعان على العلم والعمل به ، والفقه فى دينه والنصح له .

طه محمد الساكت

من وحى الوحدة

كنت حلما فى خيالى	نازع الدهر البقاء
ما طلت فيه الليالى	وأجابته السماء
طوف المجد وجال	واصطفى خير الرجال
ثم آخى فى الكمال	بين شكرى وجمال

« من قصيدة للأستاذ محمد كامل شلش »

---

(٢) انظر تفصيل هذا الإجمال فى « اعلام الموقعين عن رب العالمين » .

الفقــــــه

الطلاق فى الاسلام

منح الله الحكيم العليم الأسرة الإسلامية مزيدا من العناية فى تكوينها، ورسم خطوط السير لكل فرد منها، وحث الزوجين على حسن العشرة وكريم المعاملة، حتى ترفرف على بيت الزوجية أجنحة السعادة، ويتعاون كل من الزوجين على جلب ما يسعدهما ويسعد ما منحهما الله من ثمرة الزوجية الموفقة من بنين وبنات، وذلك هدف عظيم لتشريع الزواج فى الإسلام.

ولكن الأمور قد تسير فى غير هذا الطريق، وينزغ الشيطان بين الزوجين فيقلب سعادتهما شقاء، ويجعل البيت الهانئ جحيما حتى يضيق كل منهما بصاحبه، ويتمنى أن لو تقطعت الأسباب بينهما، ويبعد كل عن الآخر بعد المشرقين.

لهذه الحال القاسية التى تأزمت فيها الأمور، واستعصى العلاج شرع الله الطلاق ــ وهو أبغض الحلال إليه ــ إذ لاعلاج غيره، وقد لوحظ فى تشريعه الترفق بالزوجين، وعدم نسيان الماضى الجميل دفعة واحدة «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان». فللزوج أن يلجأ إلى هذا العلاج أول مرة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، فتنحسر السحب السوداء، ويرجع الزوج إلى زوجته وقد أدرك كل منهما خطأه وقدر موقفه، فترفرف أجنحة السعادة من جديد على بيتهما، وينعم كل منهما بصاحبه، وإن دامت الأمور على هذا كان ذلك من فضل الله وتوفيقه، وإن ساءت وتعقدت ثانيا كان لهما أن يتجرعا كأس الطلاق مرة ثانية، لعل البرء يكمن فيها ويحصل بتكرار العلاج، فإن آنس الزوج من نفسه ومن صاحبته الشفاء من مرض الانحلال الزوجى، والاستعداد الطيب لحياة زوجية هادئة، كان له أن يراجع زوجته المرة الثانية، ويستأنفا حياة زوجية مستقرة بعد ماعصفت بها الأعاصير مرة بعد أخرى، ولعل كلا منهما يقدر هذه المرة خطورة الحال فيحرص على حسن العشرة لينعما بالهدوء ويظفرا بالسعادة، أما إذا ركب كل منهما رأسه واستأنفا النزاع والشقاق ولم يجع الدواء، وانقطع حبل الأمل فى الحياة السعيدة، وصار كل من الزوجين قذى فى عين صاحبه، فلا مناص من قطع الصلة بينهما، ويبتر كل منهما عن الآخر بالطلاق الثالث الذى تبين به الزوجة، ولا يملك بعده الزوج مراجعتها، بل يصبح كل منهما أجنبيا من الآخر، لا ينسى له الإساءة ويوشك أن ينسى له الفضل الذى حث الله على عدم نسيانه

إذ يقول : « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » ولعل السعادة التى لم يذوقا لها طعما فى اتصالهما يتمتع بها كلاهما فى انفصالهما : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

هذا هو الطلاق الذى شرعه الله لحل عقدة النكاح عندما تتأزم الأمور ، وتدفع المصلحة إلى الفراق ، وبعد كل من الزوجين عن صاحبه ، وقد أعطى الله الرجل الحق فى هذا التصرف ؛ إذ هو الرأس المكون للأسرة وبانى عش الزوجية ـ وشأنه ـ وهو المسلم المتدين ، أن يقدر المصلحة فى بقاء الزوجية أو انتهائها أكثر من غيره ، ولم يعطه الله الحق فى هذا التصرف مطلقا ؛ ليستعمله كيفما شاء من عدل أو جور ، بل أوجب عليه العدل فى المعاشرة كما أوجب عليه الإحسان فى المفارقة ، وكرر عليه الأمر والنهى فى هذا الشأن « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » ، « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » .

فتشريع الطلاق إنما هو لمصلحة الأسرة فقد يكون لمصلحة الرجل ، وقد تكون المرأة أحرص عليه من الرجل ، وقد يكون لكل منهما فيه مصلحة ، وهذا هو الأغلب حتى لو كان سبب النزاع من طرف واحد ؛ إذ لابد حينئذ من فساد حال الزوجية وتدهورها إلى الحضيض ، الذى يتعين معه الانفصال واتجاه كل من الزوجين إلى حال يطمئن إليها و يستقر معها .

وربما يخيل إلى بعض الناس ، لماذا لا تكون المرأة صاحبة حق فى التصرف بالطلاق ؟ ولكن الحوادث أثبتت أن المرأة لا تحسن التصرف فى الطلاق ، وأنها فى هذا الموضوع على الأخص تغلب عليها عاطفتها ، وتتحكم فيها ويغلق أمامها باب التفكير الصحيح ، وكم من امرأة ألحت على زوجها فى طلب الطلاق ، وبعد رفضه وكثرة إلحاحها أجابها إلى ما طلبت من الطلاق ، فلطمت الخدود وشقت الجيوب وندمت حيث لا ينفع الندم ، بل قد تغلب على المرأة عاطفتها فى طلاق غيرها ، فكم من أم ألحت على زوجها فى طلب طلاق ابنتها ، وربما أنبته بأن ابنته ستكون فى البيت بلقمتها كالخادمة ، فلما أجابها وحقق لها طلاق ابنته من زوجها لطمت ، وقالت : كأنك كنت تنتهز الفرصة لطلاق ابنتك فاذا أجابها بأنها هى التى ألحت فى طلب طلاق ابنته ، وأنبته على عدم إجابته ، قالت : كنت تنتظر بعض الوقت لعلنا نتدبر ، وما نحن إلا نساء لا يحصى خطؤهن ، والحوادث فى تحكم عاطفة المرأة فى موضوع الطلاق أكثر من أن تحصر ، فلهذا ولما قدمنا من أن الرجل هو رأس الأسرة وبانى عش الزوجية ، جعل الله حق التصرف فى الطلاق للرجال ،

وأخذ للنساء عليهم ميثاقا غليظا بحسن العشرة ، وإيتائهن جميع حقوقهن فى الزوجية وفى الطلاق ، وذلك تشريع الحكيم العليم .

على أن هناك أحوالا تكون المرأة فيها المرجع فى انفصال الزوجية إما بالطلاق وإما بفسخ العقد : فاذا ساءت حالة الزوجية ؛ لقسوة الزوج وسوء معاملته وإمعانه فى الإضرار بزوجته ، فالزوجة فى هذه الحال أن ترفع الأمر إلى القاضى وتطلب الطلاق للاضرار ، فاذا ثبت عند القاضى ما ادعته الزوجة طلق القاضى على الزوج زوجته ، وكذلك إذا كان الزوج معسرا بحيث لايستطيع القيام بشئون الزوجية ومطالبها ، فللزوجة الحق فى أن ترفع الأمر إلى القاضى ، وتطلب الطلاق لإعسار الزوج بنفقات الزوجية ، ومتى ثبت عند القاضى إعسار الزوج طلق الزوجة بنظام خاص يتبع فى ذلك ، ففى هذه الأحوال كان الطلاق بناء على طلب الزوجة وكذلك أيضا إذا ظهر بعد عقد الزوجية أن بالزوج عيبا لا تصلح معه الزوجية ، إما بمرض بدنى كالجذام والبرص والسل والسرطان ، أو بمرض عقلى وهو الجنون ، أو بمرض يمتنع معه التمتع الزوجى كالعنة ، فللزوجة فى هذه الأحوال أن ترفع الأمر إلى القاضى وتثبت هذا العيب وتطلب فسخ النكاح ، ومتى ثبت عند القاضى العيب الذى تدعيه فى الزوج ، فسخ القاضى النكاح بالنظام المقرر لكل عيب ، وفى هذه الأحوال كان فسخ النكاح بناء على طلب الزوجة .

وربما يخيل إلى بعض الناس أيضا ، لماذا لا يقيد الطلاق بأنه لا يجوز إلا بأمر القاضى ؟ فاذا رفع إليه الأمر تدخل فى موضوع النزاع بين الزوجين ، وربما تكون النتيجة الصلح بينهما وعودتهما إلى بيت الزوجية ، ونناقش ذلك فنقول : إن أريد بأنه لا يجوز الطلاق إلا بأمر القاضى أن الطلاق الذى يصدر من الزوج بدون إذن القاضى ، يكون باطلا ولو كانت صيغته مستوفية لشروطها الشرعية ، فهذا غير دين الإسلام ، وقد انعقد إجماع المسلمين على أنه إذا صدرت صيغة الطلاق من الزوج المكلف باختياره ، كأن قال : زوجتى طالق ، فان الطلاق يقع ، سواء حضره قاض أم لا ، وسواء أذن القاضى أم لا ، بل وسواء حضرته الزوجة أم لا ، باجماع المسلمين . فهذا سبيلهم ؛ ومن « يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وإن أريد بذلك أن يرفع الأمر إلى القاضى ؛ ليتدخل ويحسم النزاع ويتم الصلح فى كثير من الأحوال ، فنقول : إن ماذكرناه من وقوع الطلاق متى صدرت صيغته الشرعية من الزوج المكلف باختياره هو ما شرعه الدين ، أما ما يراد من المصلحة بالصلح إذا تدخل القاضى ،

فيمكن تحقيقه بتدخل المأذون، فلا مانع من تكليف المأذون بالتدخل للصلح بين الزوجين، ومراجعة الزوج الذى يريد طلاق زوجته ؛ فلعل الله يوفق بينهما وتبقى الحياة الزوجية . وإن كثيرا من المأذونين ليتطوعون بالتدخل للصلح بين الزوجين بدافع حب الخير، وإصلاح ذات البين ، وإذا كان المأذون مكلفا بذلك كان أثره أعظم ، وهذا كله فى طلاق لم يقع بعد، ويراد إيقاعه عند المأذون، أما إذا كانت صيغة الطلاق قد صدرت من الزوج مستوفية لشروط الطلاق الشرعى، فقد وقع الطلاق، وحسب من الطلقات الثلاث التى يملكها الزوج ، ولو كان ذلك فى غيبة المأذون ، بل ولو كان فى غيبة الزوجة ، ويجب على المأذون إذا حضر لديه هذا الزوج لإثبات ذلك الطلاق ، أن يثبته حرصا على الذمم والأعراض .

والذى يهمنا أن نبين أن الدين قد شرع الطلاق لمصلحة الأسرة، وحرص على أن تنال المرأة جميع حقوقها فى الزوجية وفى الفرقة ، فليس هناك إهمال لأى شأن من شئون الأسرة، لا فى حال الاجتماع ولا فى حال الانفصال، ثم إن بعض الناس قد أسرف فى استعمال الطلاق، حتى جعل منه يمينا يريد به الحث على حصول فعل، أو المنع من حصوله ، أو تحقيق خبر ، إما بقوله على الطلاق، أو بصيغة التعليق ، ولكن العلماء قد قرروا أن ذلك لا يعتبر طلاقا ، وحكم بذلك القضاة الشرعيون فى محاكمهم ، وليس من الدين أن يكثر الرجل من استعمال صيغ الطلاق هذا الاستعمال بل ذلك دليل على الطيش والسفه .

هذا الذى بينا من أن الله قد شرع الطلاق للصالح العام ، وحل الأزمات المعقدة التى لا تصلح معها الزوجية ، وأنه قد جعل لكل حالة ما يناسبها، هو نموذج لتشريع الطلاق فى الإسلام .

ونريد أن نقارنه بما عند غيرنا من علاج لحل أزمات الزوجية المعقدة، فلا نجد عند أى دين علاجا لحل هذه الأزمات ، بل الواجب عندهم ترك الأمر للزمن، ولو أدى ذلك إلى استفحال الخطب وازدياد سوء الحال، وفى مقدمة هذه الأديان : المسيحية فهى لا تعترف بصحة الطلاق مهما تأزمت الأمور ، ولو صار كل من الزوجين يرى فى صاحبه مثال الشقاء والتعاسة فيصبح ويمسى وهو ينشد :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

فكل من الزوجين يعاشر صاحبه على دخل ودغل ، ويتمنى فراقه ولو بالموت .

وكثيرا ما كانت هذه الحال سببا لأن يخرج المسيحى من دينه وينبذ مسيحيته ، وقد دعا ذلك بعض المفكرين منهم إلى وضع تشريع للطلاق ، ولكنه يعتبر تشريعا مدنيا

لأن الكنيسة مصرة على منع الطلاق وتحريمه ، ويرى رجالها أن كل من طلق ثم تزوج زان ، وأن كل من طلقت ثم تزوجت زانية ، وأن المسيحى لا يصح منه الطلاق مهما بلغت حال الزوجية من سوء ، فالزوج يعيش مع من يشاء من الخليلات ، والزوجة تعيش مع من تشاء من الأخلاء مع علم كل منهما بحال صاحبه ، وربما اجتمع الخليل بخليلته فى بيت الزوجية ، مع إغضاء كل من الزوجين عما يكون من صاحبه ، وذلك عملهم حيث عجز دينهم عن حل الأزمة .

أما المتحللون عندهم من الدين فيلجئون إلى الطلاق وإن كان تشريعا مدنيا لم تقره الكنيسة ، ولعلنا لم ننس بعد حادثة الدوق وندسور ملك الانجليز ، الذى أولع بحب امرأة مطلقة طلاقا مدنيا ، ولما أظهر أنه يريد زواجها وقف فى وجهه رجال الكنيسة ، معلنين أن طلاق هذه المرأة باطل لا يقره الدين ، وأنها لا تزال فى عصمة زوجها فلا يصح أن تتزوج غيره ، وأن الدوق وندسور وهو ملك على عرش مسيحى يجب أن يختار بين هذه المرأة التى يحبها ، وبين العرش الذى لا تغيب عنه الشمس ، ولكنه خضع لسلطان الحب واختار المرأة ، ورفض العرش الذى تحكم فيه مسيحية لا تقر الطلاق ، ولا تعرف حلا لهذه الأزمات ، وقد كان الدوق صريحا فى تصرفه ، إذ أنه كان فى استطاعته أن يقنع باتخاذ المرأة خليلة عظيمة ، وتقنع هى بذلك كما فعل من قبله أمير البحر اللورد نلسون الانجليزى ، وكما يفعل أبناء جنسه الخاضعون لحكم الكنيسة عند ما تتأزم أمور الزوجية .

فبربك أيها المسلم ألا تزهو بالإسلام الذى شرع الطلاق لعلاج هذه الأزمات ، وأبغضه وهو الحلال ، وجعل لكل حال متأزمة ما يناسبها ، وقرر مبدأ عاما خاطب به الرجال إذ يقول : « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . لينتبه الرجل إلى أنه يجب أن يكون حذرا فى تصرفه بالطلاق ، وأنه قد يضيع به خيرا أكثر مما يدرؤه من شر ، فلا يقدم عليه إلا إذا سدت فى وجهه جميع طرق الحياة الزوجية السعيدة ، وأن لا مناص من الفراق .

على أننا إذا نظرنا إلى ما يحصل من الطلاق المدنى نجده قد صار مهزلة ، وأنه وإن كان بأمر القاضى إلا أنهم قد تهافتوا عليه وأكثروا منه لأوهى الأسباب ، فمرة نسمع عن طلاق امرأة لأن زوجها يعطيها ظهره وهو نائم معها فى السرير ، وتارة نسمع أنها طلقت لأن زوجها لا يقبلها عند عودته من السفر ، ومرة يبلغنا أنها طلقت لأن زوجها أهانها بضرب كلبها ، وسمعنا أخيرا أنها طلقت لأن زوجها يصر على تربية الكتاكيت فى المنزل إلى

غير ذلك من مهازل الطلاق التي انتقلوا بها من الضد إلى الضد ، بقى ما يقترحه بعض الناس من منح المرأة عند طلاقها تعويضا عما لحقها بالطلاق من ضرر أدبي ومادى ، ونرى أنه لا مانع من ذلك والدين يدعو إليه وهـذا التعويض هو ما يسمى فى التشريع الإسلامى متعة ، ولنبين الآيات الدالة على ذلك .

قال الله تعالى : فى سورة البقرة . « لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » وقال أيضا فى سورة البقرة : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » وقال فى سورة الأحزاب « ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » فهذه الآيات تدل على وجوب تمتيع الزوج مطلقته أى إعطائها متعة غير مقدرة على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، أى على من يكون ذا سعة وغنى ما يطيقه ، وعلى من يكون ذا ضيق وقلة مال ما يطيقه ، ويرجع فى تقدير ذلك للعروف عند الناس مع مراعاة حال الزوج من يسار وإعسار .

وذكر العلماء أن المتعة مال غير مقدر يعطيه المطلق مطلقته جبرا لما لحقها بالطلاق من إيحاش وضرر ، وبعض العلماء يوجبها لجميع المطلقات ، وبعضهم يستثنى المطلقة قبل الدخول التي يجب لها نصف المهر ، وبعضهم يرى استحبابها ، ولكن الآيات ظاهرة فى الدلالة على الوجوب وهو الراجح إلا أنهم قالوا : إن تقديرها متروك للرجل فضميره هو الذى يحكم عليه بمقدارها المناسب لحاله من يسار وإعسار .

ونرى أنه حيث جعلنا المتعة واجبة ، ويختلف مقدارها تبعا لحال الزوج من يسار وإعسار فيمكن أن نسلك بها مسلك النفقة ، فاذا قدرها المطلق وقبلت منه مطلقته هذا المقدار فبها ، وإلا كان لها أن ترفع الأمر إلى القاضى ليفصل فى مقدارها ، كما يفصل فى مقدار النفقة تبعا ليسار الزوج وإعساره .

وبجميع ما قدمنا ظهر أن تشريع الطلاق فى الإسلام قد حقق المحافظة على حقوق المرأة وصيانة الأسرة ، ورعاية مصلحة كل من الزوج والزوجة ، فى حال العشرة والفرقة ، وظهرت عظمة هذا التشريع ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

عبد الرحمن عيسى
مدير مجلة الأزهر

حصوننا مهددة من داخلها

« فى جامعة الدول العربية »

جامعة الدول العربية حصن من أكبر الحصون التى تسهر على حراسة حقيقة من أخطر حقائق وطنيتنا وهى « العروبة » ، ومن المفيد ـ رغم تغير الظروف الآن ـ أن نتذكر أن هذه الجامعة قد أنشئت أول ما أنشئت بتشجيع دولة من أكبر دول الاستعباد الغربى ـ وهى انجلترا ـ لأنها كانت تطمع وقتذاك فى أن تجعل هذه المؤسسة تحت رقابتها ووصايتها ، فتكون وسيلتها إلى السيطرة على العرب جملة ، وبذلك تتحكم فى التيار الجديد فترسم له المصارف والمجارى وتوجهه إلى حيث تريد ، قبل أن يطغى سيله فيحطم السدود ويجرفها ويجرف معها كل دول الاستعباد الغربى ويمحو كل أثر من آثاره ، وقدر الانجليز ودبروا ورسموا وخططوا ، ولكن التيار كان أقوى من كل ما يدبرون . وأخذ سيل هذه القومية الجارى يشق لنفسه الطريق بعيدا عن الطرق التى رسمت له من قبل بأيد غير أيدى أبنائه ، وأصبحت القومية العربية اليوم حقيقة واقعة ، ولم تعد حلما ولا أملا . أصبحت حقيقة تعترف بها حكومتا مصر وسوريا فى دستور كل من البلدين ، وها هو ذا تيارها يجرى إلى مستقره بأسرع مما كان يحلم أكثر الناس تفاؤلا ، وهى بعد ذلك حقيقة واقعة مقررة عند الشعوب العربية كلها على اختلافها وعلى اختلاف ميول حكامها ، وهذا التطور الجديد يزيد جامعة الدول العربية أهمية ، ويجعلها الآن أهم مما كانت فى أى وقت مضى منذ ظهرت للمرة الأولى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . لذلك كان من المهم أن نستوثق من أن هذه المؤسسة قد تخلصت من كل آثار ماضيها ، وأصبحت تعمل بتفكير العقل الذى كانت تعمل به يوم كان الاستعباد الغربى من ورائها ، ومن وراء أصدقائه فيها .

وليس من شأنى الآن ، وليس من شأن هذه المجلة التى أكتب لها ، أن أتناول الجانب السياسى من جامعة الدول العربية ، ولكن الذى يعنينى الآن هو الجانب الثقافى ، وهو جانب شديد الاتصال بالسياسة على غير ما قد يبدو للخاطر الأول ، بل هو أخطر أثر

فى التوجيه السياسى ؛ لأن آثاره أعلق بالنفس ، وهى لذلك أدوم فى الجيل المعاصر وأبقى فى الأجيال التالية ، ولأنه يعمل فى خفاء قد يبعده عن أعين الرقباء من رجال السياسة الذين قد لا يولونه من الاهتمام القدر الذى يستحقه ، وقد لا يتنبهون إلى أن من الممكن دائما تمييز سماسرة الاستعباد على اختلاف ألوانهم ونزعاتهم من لون الثقافات التى يروجونها والتى يدعون إليها ، فهى العملة التى يمكن أن يستدل منها على الممول ، والخاتم الذى يحمل اسم المصنع .

وسوف أتناول فى حديثى هذا اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية كما تبدو من مطبوعاتها الوافرة الغزيرة ، وهى اللجنة التى كان يشرف عليها أحمد أمين ، ثم ورثها طه حسين بعد وفاته ، وسأقسم منشوراتها إلى ثلاثة أقسام :

(١) البحوث والمحاضرات . (٢) الكتب المترجمة . (٣) المؤتمرات .

وأنا أعجل بتقديم النتيجة التى انتهيت إليها من بحث أعمال هذه اللجنة الثقافية ليضعها القارئ نصب عينيه على طول هذا المقال . هذه اللجنة كانت ـ ولا تزال ـ تنظر بغير عين العرب ، وتعمل بغير عقل العرب ، وتهدف إلى غير أهداف العرب . إنها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يحرصون على أن يكون العرب ذيلا لدول الاستعباد الغربى ، لا يرون الأشياء إلا كما يراها الغربى ، ولا يتذوقونها إلا كما يتذوقها ، ولا يقدرونها إلا كما يقدرها ، إنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهاقنة الاستعباد الغربى Westernisation أى (التغريب) . ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية ، مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه ، وهى روابط تفيد الراكب دائما ولا تفيد الحمار ! وذلك هو ما تهدف إليه كل الجماعات التى من نوع (أصدقاء الشرق الأوسط) الآن ، أو (الصداقة الانجليزية المصرية) و (الصداقة الفرنسية) سابقا ، وهذا الذى يسميه الاستعباد الغربى (تغريبا) هو ما يسميه سماسرة ذلك الاستعباد وصنائعه (تطويرا) . وهو ما يعنونه حين يتكلمون عن (بناء المجتمع من جديد) ، فالذين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد ، أو بناء المجتمع الجديد ، يعرفون أن مشروعهم هذا يشتمل على خطوتين : الخطوة الأولى هى هدم (القديم) ، والخطوة الثانية هى بناء ما يتوهمونه من (الجديد) . وهم ماضون فى الهدم ، لا يرضيهم إلا أن يأتوا على بنياننا من القواعد ، بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب . ولكنهم سوف يعجزون عن البناء ، سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط أنقاض نظامه

القديم فى فوضى لا سكن فيها ولا قرار . وبوادر هذه الفوضى وأعراضها ظاهرة لكل ذى عينين ؛ ذلك لأن المجتمعات لا تبنى فى يوم وليلة ، ولكنها تبنى فى مئات السنين ، ولا تبنى فى صحف منشرة أو قاعات مغلقة ، ولكنها عملية معقدة أشد التعقيد تتفاعل فيها قوى المجتمع كله ، ويستمر هذا التفاعل أجيالا تتمخض عن هذه القواعد وهذه الأشكال ، بما تتضمنه من التقاليد والقوانين وأساليب الذوق والتفكير .

ولأكتف بهذا القدر الآن ؛ لأشرك القارئ معى فى استعراض نماذج من نشاط هذه اللجنة الثقافية ، ولنبدأ بالقسم الأول ، الذى يتمثل فى البحوث والمحاضرات . وليس من المستطاع فى هذا المقال المحدود أن استعرض هنا هذا النشاط فى كل مطبوعاته ، ولذلك سأكتفى بتقديم نموذج منه فى واحد من كتبه ، وليكن هذا الكتاب هو الجزء الثانى من (العالم العربى — مقالات وبحوث) الذى نشرته الإدارة الثقافية سنة ١٩٥٣ مصدرا بمقدمة لأحمد أمين رئيس هذه الإدارة وقتذاك . وسأكتفى — على سبيل المثال ، ورغبة فى الاختصار — من هذا الكتاب باستعراض مقالين طويلين ، أحدهما للدكتور كامل عياد عن (مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى ص ١٤٣ — ١٦٧) والآخر للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى عن (القانون المدنى العربى ص ٥ — ٢٩) .

أما المقال الأول (مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى) — وهو مقال طويل يشغل خمسا وعشرين صفحة — فيبدو من عنوانه أن صاحبه يعارض كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) لطه حسين . والواقع أنه لا يعارض الكتاب فى عنوانه فحسب ، ولكنه يعارضه — كما سنرى — فى أسلوبه التفكيرى أيضا ، ويتفوق عليه فى جرأته على الدين وإسرافه فى إنكار ما وراء المادة المحسوسة الملموسة من عالم الغيب ، ومحاربة كل مواريثنا الدينية والأدبية والاجتماعية على الإطلاق . وهو يبنى تفكيره على وهم خاطئ جعله أساسا لكل ما بناه عليه من الأباطيل ، فقد زعم — أو توهم — أن (الروحانية) التى يصف بها كتاب الغرب وباحثوه ثقافتنا الشرقية إنما يقصد بها صرفنا عن اللحاق بهم ، لأن هذه الروحانية (تستند إلى العاطفة والوجدان ، وتتعارض مع التفكير العقلى القائم على المشاهدة الحسية والتجربة العلمية والنظرة الموضوعية . وعلى كل حال فإنما القصد هو إظهار الفرق بين الغربيين والشعوب الأخرى ، ثم دفع هذه الشعوب إلى التمسك بعاداتها وتقاليدها وطرائق تفكيرها القديمة ؛ لئلا تقتبس الحضارة الحديثة وتسعى للتحرر من سيطرة الغربيين — ص ١٤٩) . وقد بنى زعمه هذا على واقعة شهد فيها مندوبا

من مؤسسة روكفلر الأمريكية يزور الجامعة السورية بدمشق ، وقد تلكأ هذا المندوب ولاذ بمختلف المعاذير حين أعربت له الجامعة عن حاجتها إلى بعض المخابر والأجهزة العلمية ، ولكنه لم يلبث أن أظهر البشاشة ولم يتردد في قطع الوعود بالمساعدة حين انتقل الحديث إلى إنشاء معهد لدراسة التصوف الإسلامي . والواقع أن كاتب المقال لم يحسن فهم دلالة هذه الواقعة ، ولم يكن على صواب في استنباط ما استنبطه منها ، فليس صحيحا ما زعمه وما استنبطه من أن دول الاستعباد الغربي تريد أن تصرف الناس في مستعبداتها عن اقتباس الحضارة الغربية . ليس ذلك صحيحا على إطلاقه ! فن الثابت المؤكد أنهم عملوا على نشر مساوئ حضارتهم التي تتضمن جانب الترف والتفنن في المتع والملذات ، وفي وسائل التسلية وتزجية الفراغ . ومن الثابت المؤكد أنهم بذلوا جهودا شاقة لتحويل المسلمين عن إسلامهم إلى ثقافة الغرب ، وجرهم إلى هذا التيه من الآراء المختلطة المتناقضة باسم العلم وحرية التفكير . ومجهوداتهم في هذا السبيل مشهورة معروفة في شمال إفريقيا وفي الهند وفي كل مكان حلوه — ولا أستثني من ذلك مصر ، وذلك هو ما يسميه كتابهم بالـ Westernisation . ولا يزال ما ثلا في الأذهان ، أن من أول ما اشترطته فرنسا لإعادة علاقاتها مع مصر في المفاوضات الدائرة الآن إعادة مدارسها ومعاهدها ، فهل يفهم الناس معنى ذلك ؟ إذا لم يفهموه فها هو ذا نص واضح لا يحتاج إلى تأويل ، هو ترجمة لما جاء في تقرير اللورد كرومر واضع أسس الاستعباد الانجليزي في مصر ، بمناسبة تعيين سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ .

يقول كرومر ، بعد كلام طويل عن الوطنية المصرية وصف في ختامه المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها سعد زغلول بأن برنامجها يقوم على (التعاون مع الأوربيين — لا على معارضتهم — في إدخال المدنية الأوربية إلى بلادهم) ، ونصح بأن يمنحوا كل تشجيع ممكن ، يقول كرومر بعد ذلك : إن اختيار سعد زغلول لمنصب وزير المعارف ليس إلا تنفيذا لسياسة ترمي إلى تأييد هذه المدرسة ، ووضع مقاليد السلطة في يدها ، ثم يقول عقب ذلك ما نصه : (وسوف نراقب ما تتمخض عنه هذه التجربة من آثار في عناية وانتباه . فإذا نجحت التجربة ، وذلك ما آمله وما أعتقده ، فسوف نمنح قدرا أكبر من التشجيع للسير في الاتجاه نفسه إلى مدى أبعد . أما إذا فشلت التجربة ، فستكون النتيجة الحتمية لذلك هي الاعتماد في شئون الإصلاح على الأوروبيين — وعلى الانجليز خاصة — إلى مدى أكبر مما جرى عليه العمل سابقا . وأية ما كانت الحال

فلن يكون هناك سبيل إلى التراجع . إن العمل يسير بجد ونشاط فى إدخال المدنية الغربية إلى مصر ، وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح فى كل إدارة من إدارات البلد ، حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف ، تقـوم على التطور والتدرج ، لا على الانقـلاب العنيف والتغيير المفاجئ ـ الفقرة الثالثة من تقرير سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الانجليزية) . ولو شئت لقدمت كثيرا من الأمثلة التى تدعم هذا النص الذى قدمته ، ولـكن أظن أن فيه الـكفاية لإثبات ما بذله الاستعباد الغربى فى سبيل نشر أسوأ ما فى حضارته وإحـلاله محل الإسلام فى كل مستعبداته ، يسمون صنيعهم هـذا « نشر الحضارة » ويزعمونه « رسالة الرجل الأبيض » التى لا يملون من الحديث عنها ، ولـكن الذى حالوا بين الناس فى مستعبداتهم وبين الوصول إليه هو الأخذ بأسباب القوة ، أو بعبارة أخرى الجانب المثمر المفيد من هذه الحضارة .

أما الروحانية التى يحاربها الكاتب عن جهل ، لأنه يزعم أن الاستعباد الغربى يشجعها فهى شىء آخر غير الصوفية التى جاء ذكرها فى قصة مندوب روكفلر مع الجامعة السورية . فالصوفية مذهب غير إسلامى فى كثير من تفاصيله وشطحاته وتقاليده ونظمه الدخيلة ، أو هو يبدو كذلك فيما هو مشهور عن كثير من فرقه التى تدعو إلى سلبية يائسة مستسلمة تعارض روح الإسلام معارضة صريحة ، وهو شىء آخر غير الزهد الذى عرف عن بعض الصادقين من الصالحين فى صدر الإسلام خاصة وفيما تلا ذلك من العصور .

أما الروحانية فإذا قصد بها نقيض المـادية التى يدعو إليها الكاتب فى مقاله ، فلا شك أن كل الأديان روحانية ، لأنها تؤمن بالروح وبالغيب وبالثواب والعقاب وبمـا وراء المحسوس الملموس .

وكاتب المقـال لا يفرق بين الثقافة التى تتصل بالجـانب الروحى والخلق والدينى من الإنسان ، وبين العلم الذى يتصل بالجـانب العقلى والمـادى منه . ولذلك فهو يقـول : (لابد لنا من الاعتراف بأن تقاليدنا لا تتعارض مع الاقتباس من الثقافة الحديثة السائدة فى الغرب . وفى الحقيقة ، إذا تركنا المحـافظين فى بعض الأقطار العربية ـ وهى فئة قد أصبحت لحسن الحظ قليلة العدد ـ فإننا لا نجد اليوم بيننا من ينكر ضرورة هذا الاقتباس . وإنمـا هناك فئة تسمى نفسها بالمعتدلة تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن الحضـارة الغربية وعلى تلك النواحى من ثقافتها التى تتلاءم مع خصائصنا وتقاليدنا وعاداتنا . ونقطة

الضعف فى هذا الرأى هى الصعوبة فى تحديد الصفات والتقاليد والعادات التى تختص بها ويجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف حول المعيار الذى يميز المحاسن من المساوئ ـ ص١٥١) . فالكاتب هنا ساخط أشد السخط على المحافظين ، ويسره جدا أن عددهم يتناقص بيننا اليوم ، بل هو ساخط على المعتدلين الذين يدعون إلى التمييز بين الضار والنافع ، وما يلائمنا وما لا يلائمنا ، حين ننقل عن حضارة الغرب ، لأنه يريد فيما يبدو أن ننقل الحضارة الغربية (خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب) كما يقول صنوه طه حسين فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) فى الفقرة ٩ ص ٤١ . ومن الواضح أن هذا التصور الخطر لاقتباس حضارة الغرب ناشئ من عدم التفريق بين العلم والثقافة .

فالعلم ـ والمقصود به فى الاصطلاح الأوروبى Science هو الرياضة والعلوم التجريبية ـ يتصل بالملموس المحسوس الذى أثبتته التجربة وتستطيع أن تعيد إثباته فى كل زمان ومكان ، أو هو يتصل بالمنطق العقلى الذى تشترك كل العقول البشرية فى إدراكه على وجه القطع واليقين مثل علوم الرياضة وكلها مما يشترك فى إدراك حقائقه كل الناس بقدر واحد لا خلاف فيه ، ويمكن إعادة تجاربه ومراجعتها والاستيثاق من صحتها والانتفاع بنتائج تطبيقها على اختلاف الأزمنة والأمكنة . أما الثقافة فهى تختلف باختلاف الأجناس والبيئات والأديان حسب حكمة الله سبحانه ، الذى جعل لكل قوم منسكاهم ناسكوه ، والذى جعل لكل قوم شرعة ومنهاجا ، والذى جعل الناس شعوبا وقبائل ليتنافسوا فى الخير وليتبادلوا العلوم والمعارف ، والذى جعلهم أمما ولو شاء لجعلهم أمة واحدة . والثقافة لا تتصل بالمحسوس الملموس أو المعقول المشترك كما هو الشأن فى العلم ؛ لأن بعض عناصرها يتصل بقيم الخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل ، وهى جميعا تعتمد على ما وراء المادة من الغيب الذى لا تتفق عليه العقول ولا تدركه الأفهام ولا تشمله التجربة ولا يتطاول إليه الفكر . فهناك خلاف واسع فى تقدير الخير والشر بين الكافر الذى يقول : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وبين المؤمن الذى يراقب فى أعماله ثواب الله سبحانه وعقابه فى الدار الآخرة . فبينما يرى الأول أن حرمان النفس مما تشتهيه ـ كل ما تشتهيه ـ ضرب من الحماقة ليس له ما يبرره ، يرى الآخر أن الإدمان على الشهوات هو عين الحماقة وقصر النظر . والمتدين يرى التفريط فى العرض والعفاف شرا ، بينما يراه الوجودى مثلا حماقة . والمتدين يرى ضبط النفس فضيلة ، بينما يراه الفرويدى شرا يسبب الكبت الذى يورث فى زعمه أمراض النفس .

والمسلم يرى اللص والقاتل مجرما تجب عقوبته والاقتصاص منه ، والمتفرنج الذى يعقل بأذنيه ويقلد تقليد القرود يراه مريضا خليقا بالعطف . والمتدين يرى صورة المرأة العارية قبيحة ، لأنه يرى معها قبح نفس صانعها ودنس شهوته التى تخالط صنعته فتتقذر منها نفسه ، وقد يراها غير المتدين جميلة ؛ لأنه لا يرى إلا مفاتنها ، ولأنها تخاطب شهواته وحواسه وحدها ولا تخاطب ضميره وخلقه ، أو هى تخاطب منه ضميرا وخلقا يخالف ضمير المتدين وخلقه على الأصح . وقل مثل ذلك فى كل ما يتصل بالخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل . فهذا الذى يدعو إليه الكاتب ، ويدعو إليه طه حسين وأضرابهما من المتفرنجين ، الذين يدعون إلى انتحال ثقافة الغرب بغير نقد أو تمييز ، لا شك أنه كما وصفه مصطفى صادق الرافعى رحمه الله : (نوع من المشاكلة بيننا وبينهم ، ووجه من التقريب بين جنسين يعين على اندماج أضعفهما فى أقواهما . ويضيق دائرة الخلاف بينهما . ثم هو من أين اعتبرته وجدت فائدته للأوروبيين أشبه بتليين اللقمة الصلبة تحت الأسنان القاطعة . وهل نسى الشرقيون أنه لا حجة للغرب فى استعبادهم إلا أنه يريد تمدينهم - وحى القلم ٣ : ٢٠٥) .

فى حضارة الغرب مواضع للقوة كانت سبب مجده وسيادته وتفوقه . ولكن فيها مواطن للضعف تحمل جراثيم موته ، وقد كانت سببا فيما اعتراه أخيرا من مظاهر الانحلال التى تصور أنه يسير فى طريقه إلى الدمار والانهيار . فإذا كان مفهوما أن ننقل النافع الذى كان سببا فى مجد الغرب ، فكيف نفهم الدعوة إلى نقل الضار وقد كان سببا فى الخراب ، الذى تبدو طلائعه لكل ذى بصيرة ؟ .

يزعم الكاتب أن من غير الممكن اقتباس صناعات الغرب الآلية دون ثقافته . ويدعى أننا (لايمكننا أن نتقدم فى الصناعة الآلية . . . دون نشر هذه الثقافة بين الشعب على أكبر مقياس ممكن) وأنه (لا فائدة فى أن يصبح العامل قادرا على استخدام آلة تعادل قوتها ٢٤٠ من العبيد ، إذا ظل هو نفسه خاملا بليدا عاجزا عن التفكير الذاتى وعن النقد ، لا يستطيع تمييز الأخبار الصحيحة من الكاذبة ، وينقاد إلى الإيحاء والتضليل ولا يسيطر على أهوائه ونزعاته البدائية - ص١٦٥) والدين هو المقصود بكل هذه الإشارات الأخيرة ، ولست أدرى إلى أى شىء قد استند الكاتب فيما يزعمه من أننا لا نستطيع الاستفادة من تجارب الغرب فى التفوق الصناعى الآلى إلا إذا نقلنا ثقافته ، أى أننا لا نستطيع - فى زعمه ووهمه - أن ننقل الصناعة وحدها دون الإلحاد والمادية والدعارة والانحلال التى تنطوى عليها ثقافة الغرب اليوم ، والتى يضج منها عقلاؤه ومصلحوه ، والتى ستنتهى حتما إلى زوال

أصحاب هذه الحضارة فى القريب العاجل . هذا زعم عجيب ، هو مجرد ادعاء لا يقوم عليه دليل ، بل إن ألف دليل ودليل من الواقع ومن التاريخ ومن العقل يقوم على عكسه . وإذا كان هـذا الكاتب الذى ينطق بلسان ببغاء لا يدرك أن ثقافة الغرب ومدنيته التى يطالبنا بنقلها، قد دخلها من الفساد ما هو خليق أن يجر الغرب كله إلى كارثة تقضى عليه، وتلحقه بالبائدين ممن حق عليهم القول فدمروا تدميرا، وإذا كان هو وأضرابه لا يصدقون إلا ما يجىء من الغرب، ولا يرون صوابا إلا ما رآه كتاب الغرب، فليقرأ ما كتبه المؤرخ الانجليزى المعاصر آرنولد توينبى Arnold Toynbee فى كتابه (الحضارة فى الميزان Civilisation on Trial) وفى كتابه (الحضارة والغرب Civilisation and the West) ليرى حكمه على حضارة قومه بأنها فى النزع الأخير ، وأنها تمر بمثل المرحلة التى سبقت سقوط الدولة الرومانية .

وكاتب المقال لا يعترف بأن لنا عادات خاصة ومقومات تميزنا عن غيرنا بوصفنا أمة من الأمم، لأنه يتساءل (هل يكفى أن تستمر بعض التقاليد والعادات مدة عصر أو عشرة عصور حتى تصبح جزءا لا ينفصل من تراثنا ينبغى التمسك به ؟ ص ١٥٢) . والواقع أن هذه التقاليد التى يدعو الكاتب وشيعته إلى نبذها وهدمها هى التى تمسك المجتمع وتشده ، لأن سلطانها فوق سلطان القانون . والدليل على ذلك أن كثيرا من الناس يرتكبون جرائم القتل التى تعرض رقابهم لحبل المشنقة، ولا يبالون سلطان القانون، وذلك تحت ضغط التقاليد وسلطانها القاهر، فهم يرون عقوبة القانون التى تهدد حياتهم أهون من العار الذى يلحقهم من خرق التقاليد . هذا السلطان القاهر للتقاليد هو الذى يمسك المجتمع ويشد بعضه إلى بعض، لأنه يكون أشكالا ثابتة من الصلات والروابط، يلتقى عندها الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وأنواعهم . ومن المسلم به عند كل الباحثين ــ حتى الماديين منهم ــ أن أعمق التقاليد جذورا وأعظمها سلطانا هو ما كان مستمدا من الدين . فاذا هدمنا هذه التقاليد على ما يريد الكاتب وأمثاله ، فأى شىء يغنى غناءها ويقوم مقامها ؟ وأية سلطة تمسك المجتمع عند ذلك وتمنعه أن يتفتت ثم يزول وينهار ؟ .

لا يعترف كاتب المقال بغير الجانب المادى من الحياة ، فنظرته مادية خالصة ، واقتباساته كلها من مفكرى الغرب المعروفين بنزعتهم المادية . وبعض هؤلاء الذين يقتبس منهم ــ مثل نيتشه ــ قد اعترف اليهود فى خططهم المشهورة ببروتوكولات صهيون ، بأنهم هم الذين نشروا آراءهم وروجوها بين الناس لإفساد عقائد غير اليهود ومجتمعاتهم .

لايرى كاتب المقال الأديان إلا أوهاما وخرافات وأساطير . ولا يجد شيئا إلا العلم المادى الحديث الذى أوجد عصر الآلة الذى نعيش فيه . فإليه يرجع الفضل ــ حسب مايتوهم ــ (فى تحرير البشرية من الضلال والأوهام والخوف . . . ولا شك فى أن أبرز آثاره هو تغييره لتفكير الإنسان . فان طريقة البحث العلمى جعلتنا نؤمن بالعقل ، ولا نتقيد إلا بالواقع الذى تدركه الحواس ولا نتقبل شيئا (كذا !) لا تؤيده التجربة . وتقتضى هذه الطريقة التحرر من العقائد الغيبية السحرية ، ومن الأوهام والأحكام السابقة . وهى تفرض علينا المشاهدة الموضوعية ، والملاحظة المضبوطة والقياس الدقيق والتجرد من العواطف والتمسك بالحياد ــ ص ١٦٤) . وواضح من كلامه هذا أنه لا يعتد بالدين كله ؛ لأنه يقوم على الإيمان بالغيب ، وهو لا يؤمن إلا بالمشاهد الملموس ، ويرى أن ذلك من مزايا العلم التجريبى الحديث الذى حررنا ــ حسب زعمه ــ من الضلال والأوهام والخوف .

فالأديان كلها عنده ضلالات وأوهام ، كان الناس يخضعون لما تخوفهم به من العذاب ، ثم تحرروا من هذا الخوف ، ولم يعودوا يخافون العذاب الموهوم الذى زعمته هذه الأديان . هل هناك هدم أصرح من هذا ؟ ! وهل لا يعرف المسكين أن العلم التجريبى محدود الميدان والمدى لا يتناول إلا المدرك المحسوس . والمدرك المحسوس أقل بكثير مما لا يخضع لحسنا وإدراكنا ، بل هو لا يقاس إليه ويعتبر كأنه ليس شيئا مذكورا إلى جانبه . وقد أدرك العلم الحديث نفسه ــ الذى يتمسح به الكاتب ــ ذلك ، فعرف أن الموجات التى تدخل فى مدى إدراكنا الحسى ليست إلا شيئا ضئيلا تافها بالقياس إلى المعروف منها فضلا عن المجهول . ومن المعروف أن الكلاب والخيل وكثيرا من الحيوان ــ الأليف منه والوحشى ــ تدرك مالا ندركه . ولا نزال نعتمد على الكلاب خاصة ونستعين بها مستغلين اتساع مدى هذا الإدراك فيها .

ولا يزال علماء الفلك يقفون مشدوهين أمام ذلك الفضاء الجبار الذى لا يعرفون مقاييسه وأبعاده إلا ظنا ورجما بالغيب ، كلما زادوه تأملا انقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير . بل إن بعض ما يستنتجونه فى هذا أدعى إلى الحيرة من الجهل به . فهم يقدرون مثلا أن بعض النجوم ــ أركتورس مثلا ــ تبعد عنا ثلاثين سنة ضوئية . ومعنى هذا أن ذلك النجم الذى نراه الآن لا نراه كما هو الآن ، ولكننا نراه كما كان منذ ثلاثين سنة ، لأن الشعاع الضوئى الذى يصل إلى أبصارنا منه الآن هو الذى انبعث منه منذ ثلاثين سنة . ومعنى هذا أيضا أن من الجائز أن يكون ذلك النجم الذى يبدو لأنظارنا الآن غير

موجود الآن فى حقيقة الأمر ، لأن رؤيتنا له لا تثبت إلا أنه كان موجودا عندما انبعثت منه الأشعة الضوئية التى وصلت إلى عيوننا . وهـذه لم تنبعث إلا منذ ثلاثين سنة . وما ينبعث منه الآن لايصل إلى أبصارنا إلا بعد ثلاثين سنة ، أى أنه لا يمكن التأكد من أن ذلك النجم موجود الآن إلا بعد ثلاثين سنة . ويقدر الفلكيون أن بعض المجرات يبعد عنا ملايين من السنين الضوئية ، ومئات الملايين [١] أليس هذا العلم أدعى إلى الحيرة من الجهل ، وأدنى إلى أن يكون تعبيرا عن جهلنا وقصورنا ؟ ثم أليس يدل هذا ومثله – وهو كثير فى علم الفلك خاصة – على ضآلة مدى العلوم التجريبية من ناحية ، وعلى صعوبة إدراك حقيقة الأشياء الأصيلة من ناحية أخرى ؟ إن العقل يستطيع أن يوصلنا إلى تسخير بعض الظواهر والطاقات وتطويعها لمصلحتنا ، ولكنه لا يوصلنا إلى حقائق هـذه الظواهر والطاقات ، أليس الكفر بالله وبالأديان ، نتيجة لهذا القليل الذى أتيح لنا الوصول إليه ، من آثار الكشوف الأخيرة ، لونا من البطر ومن الغرور الذى يدرك ضعاف النفوس حين يصيبون حظا قليلا من النعمة أو القوة ، فيظنون أنفسهم أربابا ويظنون أنهم يستطيعون كل شىء ؟ .

حقيقة الأمر فى هـذه العلوم التجريبية أنها مقيدة فى ميادينها المادية فحسب ، ولكنها غير صالحة لأن تعالج عالم المجردات الذى لا يخضع للحس لأنه لا يخضع لتجاربها . وذلك هو ما يسميه الإسلام عالم (الغيب) أى ما غاب عن الحس . ونحن مكلفون فيه بأن نؤمن بما جاء به الدين ، لأنه هو السبيل الوحيد إلى معرفة وإلى تحديد موقفنا منه وما فيه فائدتنا بالقياس إليه . فميدان الدين إذن غير ميدان العلم التجريبى . فالأول يستأثر بعالم الغيب ، ويدبر شئون حياتنا على أساس الصلاحية لما بعد هذه الحياة ، بما لا يتعارض مع مصالحنا فى هـذه الدنيا . والثانى لا يتعدى عالم الشهادة – أى ما يخضع للمشاهدة والحس – والمفروض مع ذلك أن الإدراك الصحيح لحقائق المشاهد الملموس يهدينا إلى ما ينطوى عليه من نظام دقيق معجز ، كما يقودنا إلى إدراك عجزنا أمام كثير جدا من المعضلات ، وهو عجز لا مفر معه من اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى . وليت كاتب هذا المقال وأمثاله يقرءون قول كبير من رجال العلم المظلوم ، الذى يحملونه أوزار كفرهم

---

[١] العالم وأينشتين تأليف لنكولن بارنت وترجمة البرقوق ص ٥٢ ، مع الله فى السماء تأليف الدكتور أحمد زكى ص ٢٥٢ .

وضلالاتهم . ليته يقرأ قول أينشتين : (إن أجمل الأحاسيس وأعمق العواطف هى تلك التى تتعرض لها عند بحث الخفايا ، لأنها تؤدى إلى العلم الحقيق . وكل من ينكر هذه الأحاسيس ، ولا يتعرض للدهشة أو للرهبة ، فإنه يعتبر فى عداد الأموات . والمؤمنون هم الذين يعلمون أن هناك أشياء تخفى على علمهم . وهذا هو غاية الحكمة ، وأقصى درجات الجمال المشع التى تستطيع حواسنا القاصرة إدراكها ـ العالم وأينشتين ص ١١٥) . وليته يقرأ قول نيلز بوهر : (إن الناس إما ممثلون أو متفرجون فى تمثيلية وجودهم . فالإنسان هو نفسه أكبر أعجوبة غامضة فى الحياة ، فهو لا يدرك الكون الغامض الذى يعيش فيه ؛ لأنه لا يدرك كنه نفسه . فهو لا يعلم إلا القليل من أمر العمليات العضوية فى جسمه . ويعلم الأقل من ذلك فى شئون عقله وقدرته على فهم الدنيا التى تحيط به . بل إن قدرته محدودة فى التعليل وفى التخيل . بل إنه يكاد يكون عاجزا عن فهم أنبل وأعجب خصائصه ، ألا وهى قدرته على السمو بنفسه وإدراك كنهها فى عملية التصور والتخيل ـ الكتاب السابق ص ١٢٧) . ليته يقرأ ذلك ـ وغيره كثير ـ ليعلم أن الكفر بالغيب ليس ثمرة المعرفة ولا ثمرة العلم ، ولكنه من آفات القليل من المعرفة والقشور من العلم .

هـذا هو أحد النموذجين اللذين أردت تقديمهما لتصوير ما تنشره الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية من بحوث ومقالات . أما النموذج الآخر فهو بحث الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى أو مقاله عن « القانون المدنى العربى ـ ص ٥ ـ ٢٩ » وسنتحدث عنه فى المقال الآتى إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث
بجامعة الإسكندرية

من كلام الأحنف بن قيس

- ليس لكذوب مروءة ، ولا لحسود راحة ، ولا لسيئ الخلق سؤدد .
- المروءة أن لا تعمل فى السر شيئا تستحى منه فى العلانية .
- فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، وفضل المنطق ينتفع به من سمعه .
- لأفعى تحكك فى جوانب بيتى أحب إلىّ من أيم ردت عنها كفوا .

سلسلة الفقه الاسلامى

— ٢ —

وحيث انتهى بنا المطاف إلى هذه النتائج القاطعة نستطيع ، أن نقول : إن مصادر التشريع الإسلامى هى الكتاب والسنة والإجماع، ونستطيع أن نقول فى غير شك : إن فقهاء المسلمين ما جلسوا إلى معلم رومانى ، وما قرأوا كتبا رومانية ؛ لأن التاريخ القاطع الذى يعترف به الرومان أنفسهم، يدلنا على أن الوقت الذى وجدت فيه النهضة التشريعية الإسلامية حتى وصلت إلى أرقى درجاتها، لم تكن معاصرة لرقى الدولة الرومانية بل على العكس من ذلك ، فقد كانت الدولة الرومانية فى ذلك الوقت فى عهد الانحطاط والتقهقر فى جميع نواحيها ، إذ أن الفقه الرومانى قد ضعف بموت الإمبراطور جستنيان سنة خمس وستين وخمسمائة ميلادية ، والإسلام قد بدأ بعد ذلك بنصف قرن . ولا يستطيع أحد أن يدعى انتقال الفقه الرومانى بعد هذا التاريخ إلى جزيرة العرب ، التى نشأ فيها الفقه الإسلامى ، بل يجمع المؤرخون على أن الفقه الرومانى ظل مجهولا عن جميع الناس حتى من أهل أوربا أنفسهم ؛ لأنه فى ذلك التاريخ لم تكن الطباعة معروفة ، فظلت جميع المعارف محبوسة فى دائرة ضيقة جدا ، فى أيدى مؤلفيها أو ورثتهم أو فى الكنائس وما شابهها ، والمقطوع به أنها لم تتجاوز محيط الدائرة التى وجدت فيها ، وبذلك كله تنهار الشبهة التى نشأت عند بعض الباحثين من اعتقادهم بتأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى ، بحجة أن الفقه الرومانى سابق فى الوجود على الفقه الإسلامى ، وهذا منشأ خاطئ لا سند له ، سببه عدم التعمق فى البحث والاستقصاء والتنقيب والسير على الطريق المنطق الصحيح ، فإن السبق فى الوجود الزمنى ليس وحده دليلا على أخذ اللاحق ولا سيما إذا كان للاحق ينابيع ومصادر خاصة ليست للسابق ، ولا دليل ، فكم من لاحق يأتى بالعجائب والمبتكرات التى لم تخطر على بال من سبقه من أهل فنه أو علمه ، وأقوى دليل لذلك وجود المخترعات الكثيرة العظيمة التى جدت فى أواخر القرن الماضى والقرن الحالى مما أصبحنا فى دهشة منه ، فإن القمر الصناعى والصاروخ عابر القارات والتلفزيون والمناطيد وغير ذلك من المخترعات لا يمكن لأحد أن يدعى تأثر مخترعيها بمن سبقهم من أهل هذا الفن ، وكل ما يمكن أن يقال لدفع شبهة المماثلة فى بعض الأحيان ، بين الفقه الإسلامى والفقه الرومانى ، أن بعض العقول الراجحة قد تدرك المصلحة فى طريق علاج بعض تصرفات الإنسان ، فتضع لها أحكاما مناسبة ،

وقد كان لقدماء المصريين تشريعات فى الأحوال الشخصية والعقوبات والمواريث، كما كان عنـد الإغريقيين والكلدانيين وغيرهم من الأمم التى سبقت الرومان بأزمان طويلة ، فوجود شبه الرومانية فى الفقه الإسلامى لا يدل بأى وجه من الوجوه على التأثر . ويوضح ما ذهبنا إليه من أن الشبه بين التشريعين لا يدل على التأثر بحال من الأحوال للقطع بعدم الصلة بين التشريعين ، وهـذا بعينه ما صرح به مترجم مدونة جوستنيان عنـد ترجمته للملحق الثانى منها ، وهو الأصول الفقهية العامة إذ قال : « بعض هذه القواعد مكرر العبارة فى المعنى الواحـد ، والسبب اختلاف أشخاص واضعيها أو اختلاف عبارات الناقلين عنهم ، كما أن الأثر الواحد منها بعينه ، أحيانا ما نقلته إلى العربية بعبارات مختلفة كل منها دال على ذات المعنى تماما ، فالمطلع أن يختار منها ما يريد . وما كان من قواعد الأصول له مقابل عند فقهائنا ، قد وضعت ما قابله مأخوذا بنصه من مجلة الأحكام العدليـة أو من كتاب الأشباه والنظائر ، ووضعت تحته خطا إعلاما بهذا » . وبذلك يظهر جليا وجه الصحة فيما ذهبنا إليه من القول بأن بعض العقول الراجحـة قد تتلاقى آراؤها وأقوالها ، ومثل هـذا التلاقى يوجد عند الشعراء والحكماء والأدباء من غير أن يكون هناك تأثر من أحد القائلين بغيره .

وإتماما للفائدة وتوضيحا للنظرية بطريقة عملية نذكر بعض الأمثلة التى ذكرها مترجم مدونة جوستنيان ، فقد قال فى القاعدة الثامنة : « الأولى تفسير العقود وفهمها على ما يقتضى إعمالها دون ما يقتضى إهمالها » وأتى بمقابلها من الفقه الإسـلامى « إعمال الكلام أولى من إهماله » . وقال فى القاعدة السادسة عشرة : « العادة شرع محكم » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « العادة محكمة » وقال فى القاعدة الرابعة والعشرين : « الشىء الواحد لا يحتمل مالـكين » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « المملوك لا يملك ، أو إجتماع الملكين فى محل واحد محال » وقد أفاض المترجم بذكر كثير من قواعد الأشباه والنظائر ومجلة الأحكام العدلية ، فلمن وجدت عندهم شبهة تأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى بعض العذر لعدم تعمقهم فى دراسـة تاريخ القـانون الرومانى ، وفى دراسة تاريخ الفقه الإسلامى ، ومن أجل ذلك ، كانت دراسة تاريخ التشريع علما هاما عند الجـامعات التى تدرس فى بعض كلياتها القوانين المختلفة ، كما اهتمت بعض الجـامعات بدراسة القانون المقارن لتقف على أوفق النظريات وأشدها ملاءمة للأخذ بها فى التشريعات ، وللوقوف على التراث القانونى لجميع الأمم الحية لينير الطريق أمام المشرع الحديث، فان خير الأعمال ما كان له سند

وأسس يبنى عليها ، لتثبت خطاه ويأمن من الزلل ، ولا زالت شبهة تأثر الفقه الإسلامى بالقانون الرومانى فى حاجة شديدة إلى من يقوم بادحاضها وردها ، إذ أنها لا تزال باقية حتى عند بعض الأوساط العلمية إلى الآن ، حتى إن السؤال الذى وجه إلى العضو الإسلامى من لجنة تحضير الموضوعات لمؤتمر مقارنة القوانين منذ عهد قريب ، كانت صيغته على الوجه الآتى : « هل تأثرت الشريعة الإسلامية بالقانون الرومانى ؟ » . فالأزهر فى أشد الحاجة إلى إعداد طائفة تجمع بين ثقافة قانونية وضعية ، إلى جانب ثقافتها الدينية التشريعية ، وعند ذلك يمكن رد كل شبهة تثار حول الشريعة الغراء .

والله يهدى العاملين إلى سواء السبيل ؟

عبد الله مصطفى المراغى

حكمة عاد وجرهم

قال أبو بكر بن دريد :

ألم تر ما أدت إلينا وسيرت ... على قدم الأيام عاد وجرهم

هم اقتضبوا الأمثال صعبا قيادها ... فذل لهم منها الشريس الغشمشم

وقالوا « الهوى يقظان والعقل راقد » ... و « ذو العقل مذكور وذو الصمت أسلم »

ومما جرى كالوسم فى الدهر قولهم ... « على نفسه يجنى الجهول ويجرم »

وكالنار فى يبس الهشيم مقالهم ... « ألا إن أصل العود من حيث يقضم »

فقد سيروا مالا يسير مثله ... فصيح على وجه الزمان وأعجم

نحو مجتمع إسلامى :

بين الوقاية والتقوى

يقرر الأطباء العقلاء فى قواعدهم ومبادئهم أن « الوقاية خير من العلاج » ، والوقاية هى حفظ النفس مما يؤذيها ، وإبعادها عما يضرها ، وإنما كانت الوقاية خيرا من العلاج لأن الحيلولة دون وقوع الداء توفر الكثير من الجهود والمتاعب ، ولأن سد الباب على العلة أسهل بكثير من معالجتها بعد أن تتمكن وتتحكم . ونحن نستطيع بيسر أن نصد الكثير من الآفات إذا جاءت تريد الدخول ، ولكننا قد نفشل فى القضاء عليها إذا فتحنا أمامها الباب وسمحنا لها بالدخول . والقرآن الكريم يشير إلى مكانة الوقاية وأهميتها حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة » ، وحيث يقول على لسان حملة العرش فى دعائهم للمؤمنين : « وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » . والله سبحانه يجعل وقايته للمؤمنين من الشر والسوء ، منة كبرى عليهم فيقول : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

والوقاية قريبة فى معناها من « التقوى » ، لأن التقوى اتقاء واجتناب وسد للذرائع وحذر من الشبهات ، وهى ترك للمعصية وصبر على الطاعة وإخلاص فيها ، وهى جعل النفس فى وقاية من كل مخوف ، فهى إذن وقاية وابتعاد عن أسباب الشر والفساد ، وتمسك بأسباب الهدى والرشاد ، ولو أردنا أن نصف دين الإسلام بوصف وجيز مركز لقلنا : إنه « دين التقوى » . وحسبنا أن مادة « التقوى » قد ذكرت فى القرآن الكريم ما يقرب من مائتين وخمسين مرة ، والله قد وعد من وقى نفسه السيئات وحرص على الصالحات بالأمن والسعادة : « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » . والقرآن يحدثنا بأن المتقين قوم حذرون متنبهون ، فإذا لحقهم شىء لا يليق بهم من وسوسة الشيطان سارعوا بسد الطريق فى وجهه ، لأنهم أهل بصيرة وإيمان : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذاهم مبصرون » .

ومن النـاس من يفهم أن التقوى مقصورة على أداء ألوان من العبادات أو القيـام بطائفة من القربات ، وأنها لا تخرج عن ذلك ، وهـذا فهم قاصر ، لأن التقوى تشمل عمل الخير واجتناب الشر ، ويتسع معناها حتى يشمل الجانب الإيجابي بأداء ما فرضه الله وحرض عليه ، ويشمل الجانب السلبي بالابتعاد عما حذر الله منه ونهى عنه ، وقد تحدث أسلافنا عن التقوى بمـا يفيد هـذا الاتساع ، فقال ابن عبـاس : « التقوى كرم الخلق وطيب المطعم » وقال شقيق البلخي : « تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء : فى أخـذه ومنعه وكلامه » وقال شاه الـكرمانى : « علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات » . وقال أبو الحسين النيسابورى : « أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى ، فإن منه تتشعب جميع الخيرات » . وهؤلاء وغيرهم ينهلون فى أقوالهم من رحيق القرآن الذى يقول : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » ! .

وهنـا نسأل : هل نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى فى حياتنا الفردية والجماعية ؟ . . .

لقد لقينى أناس فرحوا بالقرار الحكيم الذى اعتبر بيع الصور النسائية العارية جريمة ، وألغى القرار العجيب القائل : إنها فن وتنمية للذوق وليس فيها مايخل بالآداب ، وقد نشرت صحيفة (الأهرام) بتاريخ ٢ رجب ١٣٧٧هـ - ٢٢ يناير ١٩٥٨م خبر هذا القرار الذى قال : إن قرار حفظ التحقيق السابق (لايتفق مع نصوص قانون العقوبات الذى اهتدى بأحكام الشريعة فى بلد نص دستورها على أن الإسلام دين الدولة ، والدين الإسلامى - بل جميع الأديان السماوية - لا تبيح تصوير النساء العـاريات ، ولا تميل إلى جعلها سلعـة للبيع والشراء ، كما أن القانون يعاقب على حيـازة الصور المنافية للآداب بقصد الاتجار ، ولا يمكن القول إن حيازة هذه الصور إحياء للفن والعلم) . . وجعل هؤلاء يقولون لى : لقد أفلحت الحملة الدينية على هذا الفجور ، فكنت أبادلهم تهنئة بتهنئة ، ولكنى فى الوقت نفسه كنت أسبح بخاطرى فى أفق واسع ومجال فسيح . . . كنت أتساءل : فيم كان هـذا العناء واللف والدوران والجهود الضائعة والأصوات الثائرة ؟ ولمـاذا لا تمنع الشر إلا بضجة وبعـد زوبعة ؟ . . . لمـاذا لا نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى لنريح ونستريح ؟ ! . . .

لقد طالت - مثلا - قصة هذه الصور حتى سخفت القصة وسمجت ، وضج الناس منها ، وكان من السهل الميسور أن نتقيها فنسد عليها الباب من أول الطريق ومنذ البداية . . . إن المجرمين من المتحللين قد استباحوا لحوم النساء ، وصوروا منها هذه الصور العارية ،

ثم طبعوا منها آلاف النسخ ، ثم باعوها ووزعوها ، ثم ضج الناس بالشكوى ، ثم قبض على بعض البائعين للتحقيق ، ثم أفرج عنهم وحفظ التحقيق ، ثم ثارت ثائرة الذين يغارون ، وأخيرا أعيد التحقيق ، ونحن الآن فى انتظار النتائج !!...

لماذا كل هذا يا قوم ! . . . لماذا نلف وندور ونتعب ، وفى النهاية نعود إلى البداية ، وهى أن الأخلاق لا بد لها من قوامين ، وأن الدين لا بد له من حراس ، وأن التحلل داء خبيث ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وأن الحق لا بد له من قوة تحميه وتدافع عنه ، وأن كثيرا من الناس كعبيد العصا لا يسمعون ولا يطيعون إلا بخوف ورهبة ! !...

ولقد استشهد القرار ـ زاد الله مصدره توفيقا وغيرة على الدين والأخلاق ، وهو رئيس النيابة فى شمال القاهرة ـ بالنص الوارد فى الدستور وهو أن « الإسلام دين الدولة » ، والواقع أننى تطلعت إلى هذه الجملة مرات لأتأكد من وجودها ، ولأتأكد من أن معناها الذى أفهمه هو نفس المعنى الذى يفهمه واضع القرار . . . إذن الإسلام دين الدولة ... إذن قانوننا يهتدى بأحكام الشريعة ... إذن مخالفة الإسلام مخالفة للقانون ... إذن كل من يعمل على هدم ركن من أركان الإسلام ، أو مبدأ من مبادئه يكون خارجا على هذا القانون ويستحق الجزاء والعقاب ؟ ! هذا مبدأ جليل ومغنم عظيم حين نؤمن به ونحرص عليه ونخلص فى تطبيقه ... وهذا يقتضينا هنا أن نقول : إن محاكمة بائعى هذه الصور ليست هى كل شىء ... إن على الدولة هنا واجبا أكبر وأوسع ... إن من واجبها أن تعرف صاحبات هذه الصور ومصوريها وطابعيها وبائعيها ورؤساء توزيعها ثم تؤدب هؤلاء أو تهذبهم ... إن الدولة تستطيع أن تتعقب المجرم وتذيقه وبال أمره ، والذين يشيعون الفواحش والرذائل فى الأمة مجرمون ... مجرمون بشهادة القانون وبشهادة حراس القانون ، لأن هؤلاء المجرمين يحاولون هدم الكيان الاجتماعى والأخلاق والدين ، ويحطمون مقومات الأفراد ومعنوياتهم ، ويضعفون روح الأمة وأخلاقها ...

وليست هذه الصور المباحة فى الشوارع هى كل ما يشكو منه الأخيار فى هذا الباب ... فهناك غيرها ـ ومن قبيلها ـ كثير ... هناك صور عارية وشبه عارية ، وفاضحة وشبه فاضحة ، وجارحة وشبه جارحة ، ووقحة وشبه وقحة ، ومجرمة وشبه مجرمة ، تنشر هنا وهناك فى لوحات الإعلانات ، وفى النشرات ، وفى المجلات المتحللة ... ومن هذه الصور

ما هو أشنع وأفظع ، فهذه هى مجلات التحلل والانحلال تنشر علينا فاجر الصور بالآلاف ، وفى أوسع نطاق ، فأين عين الرقيب التى تحاسب على الفتيل والقطمير ؟ ... ولم لا يأخذ بالعقاب كل محرض على الإخلال بالآداب ، وكل هادم للأخلاق ، وكل متطاول على الدين والعقائد ؟ ! ...

إننا فى فترة جليلة حاسمة من فترات البناء والتعمير ، والإصلاح والتطهير ، وأساس البناء فى الأمم هو سلامة عقيدتها ، وصفاء طبيعتها ، ومناعة أخلاقها ، وحصانة أعراضها ، وصيانة حرماتها ، ولن يعمر بنيان قوم — مهما شيدوا وجددوا — إذا كانت أخلاقهم خرابا ، أو كانت صدورهم يبابا ، وإنما يسمو البنيان ويسمق ، ويعلو ويشهق ، على قواعد أمينة رصينة ، وأسس متينة ركينة ، من العقائد السليمة ، والأخلاق القويمة ، والأعراض الكريمة ، وصدق الله العلى الكبير حين يرشدنا إلى صراط الهدى والرشاد ، فيقول : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » . ويقول : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

ديانة الغرب

اعتقادى الجازم أن أوربا لم تعد اليوم تمثل روح الله أو المسيحية ، ولكنها تمثل روح الشيطان .

وأكثر ما يكون الشيطان موفقا حين يبدو واسم الله على شفتيه .

غاندى

القراءات الشــــــاذة

آراء علماء الاسلام فيها

— ١ —

ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة، وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة .

وهذه القاعدة هي : كل قراءة وافقت اللغة العربية ، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ، وثبتت بطريق التواتر . نقول : كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة ، موافقة اللغة ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ، وثبوتها بطريق التواتر ، هي القراءة التي يجب قبولها ، ولا يحل جحدها وإنكارها . وهي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم .

ومتى لم تحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي قراءة شاذة مردودة .

وينبغي أن يعلم أن أهم هـذه الأركان هو الركن الثالث ، وأما الركنان الأولان فهما لازمان له ، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العـرب . ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر ، وهو الجزء الأهم في الحد . فلا تتصور ماهية القرآن إلا به .

والتواتر نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الـكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد جنح الشيخ مكي بن أبي طالب وتبعه المحقق ابن الجزري — مع الركنين الأولين — إلى الاكتفاء بصحة السند . وجعلاه مكان التواتر .

قال صاحب (غيث النفع) : وهذا قول محدث لايعول عليه ، ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن . ثم قال : ومذهب الأصوليين . وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين ، والقراء أن التواتر شرط في صحـة القراءة ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر . ولو وافقت العربية ، ورسم المصاحف العثمانية .

وقال النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة : منهم الغزالى ، وصدر الشريعة ، وموفق الدين المقدسى وغيرهم ، هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا . اﻫ

ولذلك عرفوا القرآن بأنه اللفظ العربى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواترا ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة من سوره .

قال الإمام النويرى : وعلى هذا لا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف أحد منهم فيما علمت بعد الفحص الزائد ، وصرح به جماعة لا يحصون : منهم ابن عبد البر ، وابن عطية ، وابن تيمية ، والنووى ، والأذرعى ، وابن السبكى ، والزركشى وابن الحاجب وغيرهم . وأما القراء فقد أجمعوا على ذلك أول الزمان ، وكذلك آخره . ولم يخالف من المتأخرين إلا مكى وتبعه بعض المتأخرين اﻫ .

ومن كلام علماء القراءات الدال على اشتراط التواتر ما صرح به الإمام الجعبرى فى شرح الشاطبية حيث يقول : ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقا ، ورسم المصاحف ولو تقديرا ، فهى من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ اﻫ .

والذى توفرت فيه الأركان الثلاثة إنما هى القراءات العشر . قال فى غيث النفع : فالشاذ ما ليس بمتواتر ، وكل ما زاد الآن على القراءات العشر فهو غير متواتر اﻫ .

وقال النويرى : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شىء مما زاد على القراءات العشر ، وكذلك أجمع عليه القراء إلا من لا يعتد بخلافه .

وقال الإمام ابن الجزرى فى « منجد المقرئين » والذى جمع فى زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول .

وقال أيضا فى الكتاب المذكور « وقول من قال : إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد فى زماننا ، فغير صحيح إذ لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة ، وإن أراد فى الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله تعالى » .

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، وأن التواتر لم يتحقق إلا فى القراءات العشر وعلى هذا فكل قراءة وراء القراءات العشر لا يحكم بقرآنيتها ، بل هى قراءة شاذة لا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارج الصلاة .

قال الإمام النووى ، ولا تجوز القراءة فى الصلاة ، ولا فى غيرها بالقراءات الشاذة ، وليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأما الشاذة فليست متواترة ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه ، سواء قرأ بها فى الصلاة أو غيرها ، هــذا هو الصواب الذى لا معدل عنه . ومن قال غيره فهو غالط أو جاهل .

وقد نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجــوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلى خلف من قرأ بها .

وقال ابن السبكى فى جمع الجوامع ، وتحرم القراءة بالشاذ ، والصحيح أنه ما وراء العشرة انتهى ، ومثل ذلك عن ابن الحاجب .

وقال ابن الصلاح ، وهــو ممنوع من القراءة بمــا زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة ، فى الصلاة وخارجها ، ويجب على كل أحد إنكارها ، ومن أصر عليه وجب منعه وتأثيمه وتعزيره بالحبس وغيره ، وعلى المتمكن من ذلك ألا يهمله .

واستفتى الإمام ابن حجر العسقلانى عن حكم القراءة بالشاذ فقــال : تحرم القراءة بالشاذ وفى الصلاة أشد ، ولا نعرف خلافا بين أئمة الشافعية فى تفسير الشاذ أنه ما زاد على العشر : بل منهم من ضيق فقال ما زاد على السبع اهـ .

وقال السخاوى : لا تجوز القراءة بشىء ممــا خرج عن الإجمــاع ولو كان موافقا للعربية وخط المصحف ولو نقله الثقات لأنه جاء من طريق الآحاد ، وتلك الطريق لا يثبت بها القرآن اهـ .

ونقل النويرى عن شمس الدين الديرى أنه قال : لا يجوز اعتقاد القرآنية فى الشواذ التى لم تنقل بالشهرة والتواتر ، ولا يجوز إيهام السامعين قرآنيتها ، لا سيما إذا كان فى الصلاة ، وما زاد عن السبع فهو فى حكم الشاذ وإن تفاوتت طرق نقله ، وإذا نهى عن ذلك فلم ينته ، وجب الإنــكار عليه ، ومقابلته بمــا يزجره اهـ .

ونقل النويرى عن أبى عمرو بن العلاء أنه رد قراءة « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد » بفتح الذال والثاء ، فقال له رجل : كيف وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم هــذه القراءة ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال سمعت النبى

صلى الله عليه وسلم ما أخذته عنه ، أتدرى لم ذلك ؟ لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به الأمة ، وإنما أنكر أبو عمرو هذه القراءة لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ، وقد يتواتر الخبر عن قوم دون قوم .

وورد عن أبي حاتم السجستانى أنه قال : أول من تتبع بالبصرة وجوه القرآن وتتبع الشاذ منها هرون بن موسى الأعور ، فكره الناس ذلك منه وقالوا : قد أساء حين ألفها ؛ لأن القراءة إنما يأخذها قرن عن قرن ، وأمة عن أفواه أمة ، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء وراء اهـ .

وهذه النصوص التى نقلناها عن أئمة الإسلام وعلماء القراءات تدل فى صراحة وجلاء على أمور :

أولا : أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، ولا يكتفى فى ثبوته بصحة السند .

ثانيا : أن القول بالاكتفاء بالسند الصحيح غير المتواتر قول حادث ، مخالف لإجماع الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعلماء القراءات ، سلفهم وخلفهم إلا من لا يعتد بقوله ، ولا يعبأ بخلافه .

ثالثا : أن التواتر منحصر فى القراءات العشر التى نقرؤها الآن بل قيل فى السبع فقط .

رابعا : أن ما وراءها من القراءات فهو قراءات شاذة ، وإن وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقات واشتهرت واستفاضت ؛ فان ذلك لا يخرجها عن شذوذها فلا تسمى قرآنا ، وتحرم القراءة بها فى الصلاة وخارجها ، بل يحرم على المسلم اعتقاد قرآنيتها وإيهام السامعين أنها من القرآن ، ويجب على كل مسلم يحترم القرآن ويؤمن به أن ينكر على من يقرأ بهذه القراءات ، ويمنعه من القراءة بها منعا باتا ، ويعزره بالحبس وغيره إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

هذا رأى جماهير العلماء من الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعامة علماء القراءات ، ولم يشذ عن هذا الرأى إلا أفراد قلائل لا يحفل بهم ولا يلتفت لآرائهم ، منهم مكى ابن أبي طالب والشيخ ابن الجزرى ذهبا إلى الاكتفاء فى ثبوت القراءة بصحة السند ، وإن لم تكن متواترة ، فالقراءة التى نقلها الثقات بطريق الآحاد ووافقت الرسم والعربية فهى قراءة مقبولة عندهما ، ويصح القراءة بها فى الصلاة وخارجها ، ولكن بشرط أن تظفر هذه القراءة بالشهرة والاستفاضة والتلقى بالقبول ، أما القراءة التى نقلها غير الثقات ولو

وافقت العربية والرسم، أو نقلها الثقات وخالفت الرسم أو العربية ، أو نقلها الثقات ووافقت الرسم والعربية ولكن لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة ، فهى بأقسامها الثلاثة قراءة شاذة مردودة .

وبنا على هذا نستطيع أن نحكم - فى اطمئنان وتثبت - على القراءة التى انفرد بنقلها المشايخ الأربعة ابن محيصن ويحيى اليزيدى والحسن البصرى والأعمش أو أحد هؤلاء أو راو من رواتهم بأنها قراءة شاذة مردودة لا تسمى قرآنا ، ويحرم اعتقاد قرآنيتها ، وإيهام السامعين أنها من القرآن ، وتحرم القراءة بها مطلقا ويعزر من يقرؤها ، وهذا كله بإجماع العلماء حتى ابن الجزرى ومكى بن أبى طالب .

أما عند جماهير العلماء فلأن هذه القراءة لم تنقل إلينا بطريق التواتر ، إذ التواتر منحصر فى القراءات العشر كما تقدم .

وأما عند ابن الجزرى ومكى فلأن بعضها مخالف لسواد المصحف مثل « اهدنا صراطا مستقيما » فى سورة الفاتحة فى قراءة الحسن ، وبعضها مخالف للغة العرب كما سيأتى :

وهى كلها على فرض صحة سندها وموافقتها للرسم واللغة لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة . وهما يشترطان فى صحة القراءة التى لم تثبت بالتواتر أن تكون صحيحة السند ، موافقة للرسم والعربية ، وأن تظفر بالاستفاضة والشهرة .

إذا قراءة هؤلاء الأربعة شاذة بإجماع علماء المسلمين ؟

يتبع

عبد الفتاح القاضى
المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية

تفاوت الأفهام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا ، حتى إن الأدمغة لتعد من أكبر العلل فى أمراض التاريخ الإنسانى ، وربما كانت العلة الكبرى فى طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها .

مصطفى صادق الرافعى

الأزهر يكافح سموم المخدرات

وجه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنيخي مدير الوعظ والإرشاد إلى كل من أصحاب الفضيلة الوعاظ الكتاب الآتي :

أيها الزميل : .....

السلام عليكم ورحمة الله ـ أما بعد ـ فانك تعلم ـ أعزك الله ـ أن العقل والصحة من أجل نعم الله التي أنعم بها على عباده ، بل هما أغلى وأكبر النعم ، فالعقل السليم يهدى إلى البر ، ويميز بين الخبيث والطيب ، ويعرف الهدى من الضلال والرشد من الغي ، والصحة تعين صاحبها على القيام بالواجب : نحو ربه ونحو نفسه ونحو وطنه على أكمل الوجوه وأحسنها (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) . ولذلك وجبت المحافظة عليهما وصيانتهما مما يؤذيهما ويضر بهما ، ولقد راعنا أيها الزميل انتشار المخدرات فى أمتنا العزيزة بشكل مروع ، يخاف منه أن يذهب بعقول الكثير من أفرادها وصحتهم ، وينهك قواهم ويضعف عزيمتهم ويضيع أموالهم ، فلا يلبثوا أن يكونوا عالة على الأمة ، وتنتشر البطالة بين بنيها ، وإن حكومتنا الرشيدة تعمل جاهدة لمنع دخول هذه السموم إلى بلادنا العزيزة محافظة على كيان الأمة ومعنوياتها ، ولكن أعداء بلادنا ـ قاتلهم الله ـ يحتالون بشتى الحيل لتسرب هذه المهلكات الفاتكات إلى بلادنا بغية إذلالها وذهاب النخوة والقوة من نفوس أهليها وتمثر الأمة فى نشاطها وحركتها الصناعية والتجارية والزراعية .

فنأمل أيها الزميل أن تجد فى تبصير الناس بمغبة تعاطى تلك المخدرات ، وبيان حكم دينهم : فى استعمالها أو الاتجار فيها أو تهريبها أو إحرازها ، فان للدين سلطانه على النفوس ، ويحل من القلوب المحل الأرفع ، ووازع الدين أقوى وازع ، وأحسن هاد إلى الصراط المستقيم .

أيها الزميل : إن الله سبحانه يقول : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) . وقد آتاك ربك الكتاب فضلا منه ونعمة ، فبينه للناس وعلمهم أحكامه صافية نقية ، وأرشدهم به إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، والله يتولى هدانا وهداك ، ويسدد خطانا وخطاك ، ويهدينا صراطا سويا (من يهد الله فهو المهتدى) م ا

محمد الطنيخي

مدير الوعظ والإرشاد

المسئولية فى الاسلام

— ٣ —

فى هـذا المقال سأتحدث عن المسئولية الثالثة ، وهى مسئولية النساء حسبما جاء بها الحديث المتفق عليه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، الحديث ... » .

وبعد أن كانت المرأة قبل الإسلام تسام كما يسام الحيوان ، ولا يقام لها وزن ولا تناط بها تبعة ، جاء الإسلام فرفع من شأنها ، وجعل عليها مسئوليات جساما نحو نفسها وزوجها وأولادها ، وجعل لها ولاية تتفق وفطرتها وطبيعتها وهى ولايتها على شئون بيتها ، والله الذى خلق الزوجين الذكر والأنثى ناط بكل منهما مسئوليات ، فالرجل يكد ويعمل وينفق ويوجه إلى خير الطرق وأقومها ، والمرأة تهيئ له ولأهله وولده الغذاء الشهى والشراب الهنى والمسكن النظيف الهادئ ، وتتقبل إرشادات الرجل الحصيف وقوامته عليها بقبول حسن ونفس راضية مطمئنة .

وهذا الحديث الشريف نص صريح فى تحديد مكان المرأة فى الحياة ومنزلتها فى المجتمع ، وهو قيامها على المملكة الصغرى وهو البيت ، وإذا علمنا أن البيت هو البيئة الأولى التى تكون الأولاد ، وتعدهم للدرسة والمجتمع ، وأن لهذا الإعداد آثارا بعيدة المدى فى حياة الأولاد ومستقبلهم ، أدركنا عظم هذه المسئولية الملقاة على كاهل النساء ، وبقدر قيام المرأة على شئون بيتها ورعاية زوجها وولده وأهله يكون تقدم الأمة ورقيها ، وبقدر تفريطها فى هذه المسئولية تكون الخسارة على بيتها وأمتها .

إن مكان المرأة فى المجتمع هو البيت والقيام على شئونه ، أما المصنع ، أما المعمل ، أما الديوان ، فكل ذلك لا يوائم فطرتها وضرره أكثر من نفعه إن كان فيه نفع ، وقد جارينا فى الخروج بالمرأة عن طبيعتها أمما أخرى لا توافقنا فى بيئة ، ولا فى دين ، ولا فى تقاليد كريمة ، وها هى اليوم تئن وتتوجع مما جره عليها اشتغال المرأة بغير شئون بيتها من مآس أخلاقية ،

وغير أخلاقية ومسئولية المرأة عن بيت زوجها وأهله تشمل مسئوليتها عن : (١) زوجها (٢) وعن أولادها (٣) وعن أهل زوجها .

مسئولية المرأة عن زوجها :

وإذا كان الإسلام قد جعل للنساء على الرجال حقوقا فقـد جعل للرجال على النساء حقوقا ، وزاد للرجال على النساء درجة وهو حق القوامة عليها بحسن الإرشاد والتوجيه بهذا صدع القرآن الكريم قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » [١] وقد جعل الإسلام حق الزوج على زوجته أعظم الحقوق وأجلها وذلك لما له عليها من أياد وآلاء ، ففى الحديث الذى رواه الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت آمرا أحـدا أن يسجد لأحـد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها » حديث حسن صحيح .

وقد سما الإسلام فى باب بناء الأسر وإقامتها على أساس من التعاون ورعاية الحقوق ، فجعل رعاية الزوجة لزوجها وإحسانها إليه فى المعشرة جهادا ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « جهاد المرأة حسن التبعل » ـ أى حسن القيام بحقوق البعل ـ أى الزوج . ويسمو الإسلام أيضا فى الإيحاء إلى المرأة بالحرص على كسب ود زوجها ورضاه ، حيث جعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إرضاء الزوج فى حدود المشروع سبيلا إلى دخول الجنـة فيقول : « أيمـا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، وأعظم بدين يجعل رعاية حق الزوج جهادا وسبيلا إلى الجنة ! ويمكننا إجمال رعاية الزوجة لزوجها فيما يأتى :ـ

١ ـ رعاية حق الزوج فى نفسها بأن تكون حصانا عفيفة ، فلا تمد طرفها إلى غير زوجها ، ولا تمكن أحدا من أن يطأ فراشه ، ولا تدخل البيت أحدا يكره الزوج دخوله وأن تـكون رعايتها لحقوق زوجها فى غيبته كرعايتها له فى حضرته بل أشد ، وعلى هـذه الرعاية تتوقف الحياة الزوجية وسعادتها ، وبقاء هـذه العلاقة الوثقى إلى الأبد ، وقد أثنى الله سبحانه فى كتـابه الكريم على هـذا الصنف العفيف الأمين الحفيظ للأمانة والعهود بقوله : « الرجال قوامون على النساء بمـا فضل الله بعضهم على بعض ، وبمـا أنفقوا من

---

[١] البقرة الآية ٢٢٨

أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » [١] . وقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا الحق فقال فى خطبته فى حجة الوداع : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » رواه مسلم . وفى حديث آخر : « ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

فأين من هذا الأدب الإسلامى العظيم فى رعاية حرمة الزوج ما تفعله بعض النساء من طموح العيون إلى غير الأزواج، و إلانة الكلام ثم تكون المواعدة واللقاء، وما تفعله بعض الزوجات من لقاء أصحاب الأزواج والأصدقاء و إدخالهم البيوت فى غير حضرة الأزواج، بل جاوزن الحد حتى عم السيل وطفح الكيل، فأقمن الحفلات الصاخبة الماجنة للصديقات والأصدقاء على غير رضا من الزوج بل على كره منه، ولا يملك الزوج الضعيف المسكين إلا السكوت والإذعان، و إلا كان ما لا تحمد عقباه .

٢ — من رعاية المرأة لزوجها أن تكون مثالا للطهر والنظافة وعفة القول والتنزه عن القبيح قولا وعملا، وأن تحرص على أن لا تقع عين زوجها منها على ما يكره، وأن تكون له سميعة طائعة ما دام لم يأمرها بمنكر ولم ينهها عن معروف ، وأن تؤثر رضاه على هواها وشهوتها ومتعتها ، وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء دينا ودنيا فقال فيما رواه ابن جرير عنه : « خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، و إذا أمرتها أطاعتك ، و إذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » . فلتحرص أيتها النساء المسلمات الحريصات على رضاء الأزواج أن تكن كما وصف رسول الله ، فان ذلك أحرى أن يديم بين الأزواج المحبة والمودة ويوثق عرى الزوجية . إن الزوجة العاقلة المؤمنة يمكنها بحسن منطقها وطهارة خلقها وخلقها ولطف عشرتها أن تحول بين زوجها و بين الهروب من البيت وقضاء السهرات التى قد تكون بريئة فى مبدأ أمرها ، ثم لا تلبث أن تسير سهرات صاخبة وغير بريئة .

٣ — من حق الزوج على زوجته أن تعفه وأن تعينه على أن يغض بصره ويحصن فرجه بأن تملأ عينيه رواء وحسنا ونفسه سرورا وأنسا ، وأن لا تتأبى عليه إذا ما دعاها إلى فراشه ، و إلا عرضت نفسها لغضب الله ولعنة الملائكة وباعدت بين نفسها و بين

---

[١] النساء الآية ٣٤ .

الجنة ، وفى الحديث الذى رواه الشيخان مرفوعا « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفى رواية أخرى « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » . وهذا أمر قد يظنه بعض الناس هينا ، ولكننا إذا علمنا أن كثيرا من الشرور والآثام ، تنجم عن التأبى على الزوج وعدم إرضاء داعى فطرته أدركنا بعد نظر الإسلام فى تشريعاته وتنبيهاته وإرشاداته ، وأن كثيرا من الانحرافات الزوجية ترجع إلى التفريط فى هذا الحق من جانب الزوج أو الزوجة وعدم إعفاف كل منهما الآخر ، ولحرص الإسلام على هذا الإعفاف قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد ـ أى حاضر ـ إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » متفق عليه .

٤ — ومن المسئوليات التى ستحاسب عليها المرأة رعايتها لمال زوجها وما تحت يدها من معاش أو متاع ، والزوجة العاقلة المدبرة هى التى تراعى حال زوجها إعسارا ويسارا ، فلا ترهقه بألا يدخل تحت طاقته ، وتراعى القصد فى معيشتها وفى ثيابها ومتاعها وزينتها ، وتجتنب قدر استطاعتها التبذير وإنفاق المال فى غير وجوهه المشروعة ، قصد التباهى والتفاخر بغالى الثياب وفاخر الأثاث والرياش ، وفى هذا غفلة عن إرشاد القرآن الكريم حيث يقول : « ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا [١] » ويقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما [٢] » .

إن الزوجة العاقلة المؤمنة هى التى تنظر إلى من دونها فتشكر الله على ما أنعم عليها ، ولا تنظر إلى من فوقها فتزدرى نعمة الله عليها . ومن توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم السديدة فى هذا « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » متفق عليه .

والمرأة مؤتمنة على مال زوجها ، وليس لها منه إلا ما يكفيها وبنيها بالمعروف ، من غير تقتير ولا إسراف ، وليس لها أن تنتهز فرصة كثرة ماله ، أو اتيانها عليه فتذروه ذات اليمين وذات الشمال على ملاذها وإرضاء نزعة الغرور والتفاخر المتسلطة عليها ، وإلا كانت آثمة فى حق زوجها ، وبحسبنا هذا اليوم وتتمة الحديث عن مسئوليات المرأة فى مقال آت إن شاء الله ما

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] الاسراء الآية ٢٦ ـ ٢٧ . [٢] الفرقان الآية ٦٧ .

عقائد الألوهية والربوبية

كما قررها الاسلام

كانت شعوب العالم قبيل البعث الإسلامى ، قد ضلت فى عقائد الألوهية والربوبية ضلالا بعيدا ، ولم يقف هذا الضلال عند حدود الأمم التى طغت عليها الوثنية بأضاليلها وأباطيلها ، بل جاوزها إلى الأمم التى كانت على صلة بشرائع النبيين والمرسلين ، فقد امتدت أيدى قادتها الدينيين إلى كتب أنبيائهم ورسلهم، فحرفوا و بدلوا فيها بجهلهم وسوء طوياتهم ، وافتروا على الله الكذب فى صفاته تعالى وأفعاله وشرائعه ، فشوهوا بذلك توحيد أنبيائهم وشرائع رسلهم ، وبقى هذا الضلال مسيطرا على الشعوب فى عقائدها وأعمالها ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحه ، فأصلح ما فسد من العقائد وما ضل من الأعمال ، وحرر الأفكار من أوهام الوثنية وخرافاتها ، ورد العقول الضالة إلى رشدها ، وأعاد توحيد النبيين إلى أصوله الحقة الخالصة ، وأرشد الضالين والمنحرفين إلى ينابيعه العذبة الصافية .

ولقد عنى القرآن بتقرير عقائد التوحيد والتنزيه عناية كبرى ، وجلاها للعقول فى أساليب رائعة محكمة ، جمعت بين الإقناع العقلى والتأثير القلبى ، بما اشتملت عليه من القضايا العقلية والحقائق الوجدانية ، وما أودع الله فيها من الروعة البلاغية والقوة الروحية، والإبداع فى تجلية الحقائق وتصوير المعانى، فاستمع إلى القرآن بعقلك ووجدانك، وهو يقرر عقائد الألوهية والربوبية .

تارة بتوجيه العقول إلى مسارح الفكر فى عوالم السموات والأرض ، وما فيها من الآيات الواضحة والدلائل القاطعة ، على أن لهذه العوالم صانعا خلقها بعد أن لم تكن ، إذ كان الله فى الأزل موجودا ولا موجود معه ، فأحدث العوالم إظهارا لقدرته وحكمته ، وتعريفا بجلاله وعظمته ، وتنويها بسلطانه وقهره ، كما فى قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » . « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ » . « وفى الأرض آيات للموقنين،

وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » . « ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون » .
وهكذا خاطب القرآن العقول والأفهام ، وأيقظ الحواس والمشاعر ، وعرض عليها روائع النظم الكونية وبدائع السنن الإلهية ، لتتخذ منها كتابا تشاهد فيه عجائب الملك والملكوت ، وتقرأ فى صحائفه سنن الله فى الخلق والتدبير ، وتطالع فى سطوره آثار قدرته ودلائل وحدانيته .

فوجود الكون على هذا النظام البديع المحكم ، دليل قاطع على وجود خالقه ومبدعه ؛ لأنه إذا كان المشاهد فى مصنوعاتنا وأنظمتنا ، أنه لا يمكن أن يخرج منها شىء إلى ساحة الوجود ، ولا أن يكون فى وجوده بديع الإتقان والإحكام ، مستكملا لعناصر الوجود ووسائل البقاء ، إلا إذا كان صادرا عن صانع ماهر صنعه وأحسن صنعه ، ومنظم خبير نظمه وأحكم تنظيمه ، فكيف يستقيم فى حكم العقل ومنطق الحق ، أن يوجد هـذا الكون على اختلاف عوالمه وأنظمته الهائلة ، بغير صانع قادر صنعه بقدرته ، ومبدع حكيم أبدعه بحكمته وإرادته ، وحى قيوم يقوم بحفظه وتدبير أمره ، اللهم إن الحق واضح جلى ، ووجودك يا ربنا ماثل فى كل شىء أمام العقول ، والإحساس بعظمتك كامن فى أعماق النفوس ، والشعور بجلالك منبث فى شغاف القلوب وحنايا الضلوع ، ولكن أكثر الناس ضلوا طريق الهدى وهو على كثب منهم ، وإلف العادة أنساهم دلائل الآيات وهى محيطة بهم ، يشاهدونها فى كل لحظة وهم عنها غافلون ، وتطالعهم بدلائلها فى كل آونة وهم عنها معرضون ، كما قال تعالى : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

والنظر فى عالم الكون وبدائعه ، هو أقرب طريق لمعرفة جلال خالقه وعظمة مبدعه ، فإن الإنسان إذا ما نظر لنفسه ، وهى أقرب مجال إلى فكره كيف خلقه الله من نطفة أخرجها من بين الصلب والترائب ، وجعلها فى قرار مكين إلى وقت معلوم ، وأجرى عليها أطوارا مختلفة من الخلق والتكوين ، ثم أنشأه خلقا ناميا وإنسانا ناطقا ، وإلى الأرض التى يمشى فى مناكبها ، كيف جعلها الله فراشا ومهادا ، وسلك فيها سبلا فجاجا ، وأحكم جوانبها بالجبال الرواسى ، وأجرى فيها العيون والأنهار ، وأنبت فيها الزروع والأشجار ، وقدر فيها الأقوات والأرزاق ، وإلى السماء كيف أحكم الله بناءها ، ورفعها بغير عمد تراها ، وإلى الشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل

إذا يغشاها ، وإلى الكواكب فى تألقها وإشراقها ، وهى تسبح فى أفلاكها ومداراتها ، وتسبح بحمد خالقها ومبدعها ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » ٣٦ : ٤٠ » أو تدبر قول الله جل جلاله «فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » وأخذ يسائل نفسه عن مدى عظم هذه المواقع ، التى أقسم الله بها وأعظم شأن القسم بها ، ويناجيها بجلال خالقها وعظمة صانعها ، إذا هدى الإنسان إلى كل هذه الأنظار أو إلى بعضها ، فحدث بما شئت عما يثمره هذا النظر الروحى ، من نور لعقله وحياة لقلبه ، وتجاوب مع أحاسيسه ومشاعره ، ومعرفة يقينية بجلال الله وعظمته ، وإحاطة علمه وكمال قدرته ، وإيمان راسخ بوحدانية الله فى ألوهيته وربوبيته وكل ذلك ممكن بل واجب أن يكون ، متى حسنت النيات وصلحت القلوب ، وسلمت النفوس من غلبة الجهل وطغيان الهوى ، وتحررت العقول من رق التقليد الأعمى ، واتجهت فى تفكيرها وأحكامها ، الاتجاه الذى يطلب الحق وينشد الكمال ، ويستجيب لوحى الفطرة والوجدان ، ويخضع لسلطان الحجة والبرهان ، ولكن القلوب العليلة ، والبصائر المدخولة ، والأهواء المتحكمة ، هى التى تحجب نور الحقائق الفطرية ، وتكدر صفو المعارف الوجدانية ، وتعكس الحقائق والأوضاع ، وتطمس معالم الحق ، وتوجب اختلال قوانين الفكر وموازين الحكم ، وهى التى اجتالت كثيرا ممن عنوا بدراسة العوالم الكونية وخواصها ، ووقفوا على كثير من نواميسها وأسرارها ، وغفلوا عن عظمة خالقها ومبدعها ، فتنكروا للأديان السماوية والعوالم الغيبية ، بل كلما توسعوا فى الدراسات الكونية والعلوم الطبيعية ، كلما أوغلوا فى مجاهل الإلحاد وإنكار الألوهية والربوبية ، وهم لغرورهم وافتتانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، كما قال تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا » .

وتارة يلفت العقول إلى تفرده تعالى بصفات الألوهية وشئون الربوبية ، وما فى ذلك التفرد من الدلائل القاطعة ، على أنه تعالى هو الله الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، وقد قرر القرآن هذه الحقائق فى آيات كثيرة ، وعرضها على العقول فى معرض القضايا التى لا تحتاج إلى أدلة تقام عليها ، لأن لها من دلالة الحس وشهادة الفطرة والوجدان ، ما يقوم فى مواقف الحجاج والإلزام مقام الحجة والبرهان ، كقوله تعالى فى بيان تفرده

بالخلق والإيجاد، والتقدير والتدبير: « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » . « ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » .

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض » فالله جل جلاله ، هو الذى خلق كل شيء فقدره تقديرا معلوما ، ودبر أمره تدبيرا محكما ، وبيده مقاليد السموات والأرض ، بجميع العوامل الكونية قائمة على سنن معينة ، وأنظمة إلهية محكمة ، وكلها سائرة بتدبيره وتصريفه ، وجارية على أحسن الوجوه وأكملها ، وأبدع النظم وأعدلها ، ومشمولة بعين العناية الإلهية التى تلحظ كل شيء فى الوجود ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون» «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين » .

وكقوله تعالى فى بيان تفرده بالملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، والسلطان والقهر ، وعموم الإرادة ونفوذ المشيئة ، « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

فالله جل جلاله ، هو مالك الملك وحده ، وله الخلق والأمر ، وإليه المرجع والمآب يقدر الأمور بعلمه وحكمته ، ويصدرها بإرادته وقدرته ، ويصرفها بتدبيره ومشيئته ، لا يعارضه معارض ، ولا يمانعه ممانع ، إذ ليس معه سبحانه إله يعارضه أو يمانعه كما قال عز شأنه « قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » فكل الكائنات فى قبضة قدرته ، وخاضعة لسلطانه وقهره ، وجارية بقضائه وقدره ، ومحكومة بتدبيره ومشيئته ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا يند عن إرادته لمحة خاطر ، أراد فى الأزل وجود هذه المخلوقات ، وقدر لوجودها الحدود والأوقات ، فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى أزله ، وجاءت

فى حدودها كما سبق فى علمه ، فيامن فتنتم بعلومكم وفلسفتكم ، ويامن خدعكم التقليد الأعمى فى عقائدكم ، حكموا عقولكم وأفهامكم ، وراجعوا ضمائركم وسرائركم ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون ، ١٠ : ٣٢ » .

هذا ولم تقف عناية الإسلام بأمر التوحيد عند تقرير أصوله وعقائده ، بل حاطه بسياج من الاحتياط فى الاعتقاد ، والتحفظ والاعتدال فى البحث والنظر ، وسد على الوهم والخيال منافذ التشبيه ومسالك الزلل ، فبين أنه تعالى قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وتعالت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، وتنزهت صفاته القدسية عن المشابهة والمماثلة ، كما فى قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » . « تفكروا فى مخلوقاته ولا تتفكروا فى ذاته » . فأقصى ما تستطيع العقول إدراكه هو صفاته تعالى وأسماؤه الحسنى ، وغاية ما تدركه الأبصار هو مظاهر هذه الأسماء والصفات ، التى تتجلى فى بدائع الموجودات وروعة الكائنات .

بهذه الحقائق الصادعة بالحق ، والقضايا الناطقة بالصدق ، والدلائل التى تكشف عن القلوب ظلمة الجهل وغمة الشك ، وتبلغ بها النفوس فى المعرفة درجة الرسوخ العلمى والذوق الوجدانى ، وتصعد بها فى الإيمان إلى مرتبة الإذعان النفسى واليقين القلبى ، وبهذا المنهج الاستدلالى القرآنى ، الذى يجعل مجال النظر والفكر سهلا ميسرا ، وطريق الوصول إلى معرفة الله قريبا معبدا ، قرر الإسلام عقائد التوحيد والتنزيه ، وجلاها للعقول فى روعة الحق وجلال الصدق ، وطهر القلوب من أوضار الوثنية والشرك . وحرر الإنسان من رق الأوهام والخرافات ، ورفع شأنه وأعلى مكانته ، وجعله عزيزا كريما فى نفسه ، وعبدا خالصا لربه ، لايظهر بمظهر العبودية إلا لخالقه ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لله الواحد القهار ؟!

يسى سر بلهم طه

المفتش بالأزهر

سابق الفرس الى الاسلام

سلمان الفارسي

الفطر السليمة تهتدى إلى الحق بهداية الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فكل من تجرد عن تأثير البيئات وتلويث ما انحرف من النحل أو الديانات اهتدى إلى الحق وعرف الله صانع هذا الخلق ، وقد كانت الكتب السماوية ولا سيما التوراة والإنجيل قبل أن يحرفهما الذين كفروا من بنى إسرائيل ، تدل على نبينا أصدق دلالة وتنص على الإسلام نصا لا يحتمل خلافا ولا مكابرة ، وكان الذين أوتوا الكتاب كما وصف الله سبحانه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

كان هذان العاملان إذن : (سلامة الفطرة ودلالة الكتب السماوية) مما جمع الله لرجل فارسى ، تتضافر كتب السير والأخبار على ذكر قصته ؛ بما يبين للناس أن الدين إذا قوى داعيه فى النفوس ، وأن الهداية إذا حلت فى بعض القلوب ، فما وراء ذلك من أهل ومال ووطن إن هو إلا متاع تافه حقير ، لا يملأ فراغ النفس ، ولا يحل عندها محل الإيمان بالرب ، والتعلق به فى كبريائه ومجده ، هاتفة بدعاء الفطرة الخالد وضراعة القدسية الماجدة : « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين » .

كان سلمان الفارسى عبدا من أهل فارس ، أنعم الله عليه وجعله مثلا للترفين من أبناء الأغنياء ، الذين ربوا فى أحضان النعيم حتى لا يبطرهم الغنى ، ولا يصدهم الترف عن سبيل الحق ، كان أبوه يحبسه فى داره كما تحبس الجوارى ، وعلمه المجوسية فأوغل فيها حتى بلغ مبلغ السادن على النار ، لكنه تلجلج بالفطرة والتمس لنفسه ماهو أولى بالاتباع ، مما اختلف الناس فيه « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . فاذا قيل إن الغنى مطغاة ومسيل مفسدة ، فمعنى ذلك أن النفوس السقيمة تزداد به فسادا ، فأما النفوس السليمة فمحال أن يصدها عن سبيل الله شىء مهما كان فيه من إغراء . إن فى قصة سلمان لعبرة لكل عاقل

وتبصرة لكل باحث ، فهو مهموم فى طلب الحق ، زاهد منصرف عما يتنافس فيه الأشقياء من مال أو جاه ، مشفق على نفسه أن يزيغ فى طريق الضلال ، ويتنكب بها عن صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض .

نسب سلمان :

سلمان كما قلنا رجل فارسى سماه الإسلام كذلك (سلمان) وكان اسمه قبل الإسلام (مابه) ابن بودخشان بن مورسلان بن يهبوذان من نسل آب الملك الفارسى ، وكان كما قلنا مجوسيا سادنا للنار ولما أسلم وقيل له انتسب قال : (أنا سلمان ابن الإسلام) ومن شاء أن يقف عند ذلك الجواب وقفة ، فان له أن يجد العبرة من قوة هذه النفس السلمانية الرفيعة ، وعظمتها الخالدة ، وكذلك النفوس الكريمة تسخر بكل اعتبار عرق ماعدا الحق والحكمة ، وتهزأ بكل معنى دنيوى تتنافس عليه صغار النفوس ، وما كان ضر سلمان لو أنه انتسب حتى انتهى إلى (آب الملك) الفارسى ، وقد كان للملوك من الفرس فى نفوس العرب روعة يجدونها منذ حكمهم على بلادهم وتصريفهم لشئونهم ، ولكن الإسلام الذى محا ضياؤه كل اعتبار ، أشرب نفس سلمان ، وخالط اللحم والدم والعصب فرآه المجد الحقيق ، والشرف الإنسانى ، ولهذا هجر به كل ما عداه من معانى هذه الحياة فهو ابن الإسلام يتأدب بأدبه ، ويأخذ نفسه بمآخذه ويتربى فى أحضانه ، ولا يعرف حياة مع غيره مهما تكن تلك الحياة .

كيف أسلم سلمان :

قصة عجيبة يرويها رجال الأثر ، وينقلها ابن الأثير ، وغيره من نقلة التراجم ورجال السير بالأسانيد المختلفة تلتقى عند عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى سلمان أنه كان رجلا من أهل فارس من أصبهان ، من قرية بها تسمى (جى) وكان أبوه دهقان [١] أرضه ، وأنه كان أحب الخلق إليه وأنه أجلسه فى البيت كالجوارى ، فاجتهد فى المجوسية حتى كان فى النار التى توقد فلا تخبو [٢] ، وأن أباه كان صاحب ضيعة ، وكان له بناء يعالجه فقال له يوما : (يا سلمان قد شغلنى ما ترى فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلنى بهمى بك) قال سلمان : (فخرجت لذلك فمررت بكنيسة للنصارى وهم يصلون

---

[١] رئيس المزارعين أو رئيس الاقليم . [٢] صرحت بعض الروايات أنه كان سادنا لها .

فلت إليهم، وأعجبنى أمرهم وقلت هذا والله خير من دينى، ثم أقمت عندهم حتى غابت الشمس لا آتى الضيعة ، ولا أرجع إلى أبى، فاستبطأنى و بعث الرسل فى طلبى) ولما عاد سلمان إلى أبيه قص عليه أمره وقال له : إن دين هؤلاء خير من ديننا . فقال : يا بنى : دينك ودين آبائك خير من دينهم ، وهنا وقفة مع القارئ الكريم نبين فيها كيف سجل أحد هذين الرجلين (الأب وابنه) على نفسه الخيبة والخسران، والويل والحرمان، على حين أبى الثانى منهما إلى أن ينجو من ظلمة الكفر، و يسلم من براثن الطغيان والإثم ، ولو شاء الثانى لكان كالأول ، ولو شاء الأول لكان كالثانى ، ولكنه التقليد وأشكاله ، والتحرر واستقلاله ، فأبو سلمان مكبل فى أشكال التقليد، جامد على ما ترك الآباء من دين، فهو يأبى أن يفاتح فى أمره أو النظر فيه ، وأما سلمان فإنه رجل يأبى إلا الالتماس للحق وطلبه ، و إلا النظر ونشدان الهدى حيثما كان ، وكذلك الحق والباطل من قديم الزمان ! وهل فرق بين المسلم والكافر ، وميز الحق من الباطل إلا التحرر من القيود ، ولين الجانب لكلمة الحق أينما كانت ، ومع من كانت أو الخروج على ذلك ، وفى القرآن الكريم دراسات سامية، توضح هذا المعنى وتجليه لمن صفت نفسه، وفسح أفقه وليس المجال اليوم مجالها فليطلبها من شاء هنالك .

ثم يطرد سلمان فى قصته فيقول : إنه رد على أبيه ما يقول ، نخافه أبوه وقيده حتى لا يتصل بهؤلاء النصارى فيفتنوه عن دينه ، لكنه احتال فاتصل بهم ، وسألهم أن يعلموه إذا أراد أحد أن يسافر إلى الشام التى هى أصل هذا الدين حتى يسافر معه إلى هناك ، فلما أخبروه بالركب المسافرين فك القيد الذى قيده به أبوه وألقاه ، ثم سافر على بركة الله ، وفى بلاد الشام سأل عن عالمها فدل على الأسقف، فصحبه وأخذ عنه حتى مات ، ثم صحب خليفته وأخذ عنه حتى مات ، ثم سافر إلى الموصل بوصية من الأسقف الثانى ، فقد كان أوصاه أن يذهب إلى أسقف هناك يعلم ذلك الدين ، وهذا الموصلى أوصاه قبل موته برجل من عمورية فبقى معه واتخذ غنيمة وبقرات، ولما حضرت منيته قال له سلمان أوصنى فقال له : « لا أعلم اليوم أحدا على ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبى يبعث بدين إبراهيم مهاجره (مكان هجرته) بأرض ذات نخل و به آيات وعلامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فان استطعت فتخلص إليه » .

ولنا هنا أيضا تعليقة نلفت بها نظر القارئ إلى ما عرف من أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الكتابين ومعهم الكهان ، فقد كثر الحديث عنه ولا سيما حين أظل زمنه

ولا غرو فهو شيء كانوا (يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) . « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ذلك حكم الله سبحانه فى قوم من حسدة العلماء اليهود ، يسجل به عليهم بغيهم وحسدهم ، وينعى عليهم تناقضهم واضطراب أخبارهم .

فأما المنصفون منهم ، وأما المنصفون من النصارى ، فقد آمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين ، ومن شاء فليطالع كتب السير ، ليرى كيف اطرد التبشير به من الأحبار والرهبان والكهان .

فأما سلمان فقد حرص على أن يظفر به ، وأن يلزم غرزه ، فما هو إلا أن مر به ركب من العرب فى طريقهم إليه فأغراهم باستصحابه ، بذل لهم ما يملك من غنم وبقر إن حملوه . فأخذوه معهم وباعوه من يهودى بالقرب من المدينة ، وما أظلم الإنسان ! أهذا جزاء الإحسان استرقوه بغير حق ، وباعوه وكانوا ظالمين ! ولكن حسن عند سلمان كل ما يقرب من هذا النبي ويصل بأسبابه ، ثم كان أن بقى سلمان عند اليهودى فجاء يهودى آخر من بنى قريظة فاشتراه وقدم به المدينة فعرفها بصفتها وفرح برؤية نخيلها ، وقوى أمله فى أن يهديه الله إلى النبي المبعوث ! بق إذا سلمان مع ذلك اليهودى بالمدينة يعمل فى نخل له حتى كان ذات يوم فى رأس نخلة فسمع يهوديا آخر يقول لصاحبه : أى فلان : قاتل الله بنى قيلة (الأوس والخزرج) ! مررت بهم آنفا وهم مجتمعون على رجل منهم من مكة يزعم أنه نبي ! قال سلمان : فما هو إلا أن سمعته حتى أخذ منى القر ، ورجفت بى النخلة حتى كدت أسقط ، ثم نزلت أسأل صاحبى عن الخبر فلكمنى لكمة ، وقال : ما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك ! وقاتل الله الاغتراب والمهانة ، ولكنه صبر المؤمن الذى يجرى وراء أنفس غاية قدرها قدرها واحتمل كل ما يلق فى سبيلها ، والعاقبة للتقوى . . . قال سلمان : فلما أمسيت جمعت شيئا فأتيته به وهو بقباء بين أصحابه ، فقلت هذا شيء اجتمع عندى ، أردت أن أتصدق به فبلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحابك ذوو حاجة ، فرأيتكم

أحق به ووضعته بين يديه، فكف يده وقال لأصحابه : كلوا ، فأكلوا ، فقلت هذه واحدة ، وأراد سلمان أنه لم يأكل من الصدقة فكان مصداقا لواحدة مما قال الأسقف. قال سلمان : ثم تحول من قباء إلى المدينة، فجمعت له شيئا فأتيته به، فقلت أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة ، فأكل وأكل أصحابه فقلت هاتان اثنتان . ثم أتيته وقد تبع جنازة وحوله أصحابه فسلمت وتحولت أنظر الخاتم فى ظهره فعلم ما أردت فألق رداءه فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت ! فأجلسنى بين يديه فحدثته بشأنى كله كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه، ثم فاتنى معه بدر وأحد بسبب الرق، فقال لى : كاتب ياسلمان عن نفسك [١] قال سلمان فلم أزل بصاحبى (اليهودى) حتى كاتبته على أن أغرس له ثلثمائة ودية[٢] وعلى أربعين أوقية من الذهب ـ وهنا ننبهك إلى أدب الإسلام فى معاملة الناس ، وإيثار الحسنى وحفظ الحقوق للآخرين ولو كانوا أعداء الإسلام ، فلو شاء النبى صلى الله عليه وسلم لحرر سلمان ولم يبال بهذا اليهودى ولا احترم استرقاقه ، ولاسيما أنه على غير أساس صادق، لأن سلمان لم يكن رقيقا بموجب شرعى، ولكنها مسالمة الإسلام والأسوة الحسنة فى رسوله صلوات الله عليه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك مع سلمان مسلك التعاون الإسلامى واكتتب له من (ودى) إخوانه من الصحابة ، فكان منهم من يعين بالخمس ، ومنهم من يعين بالعشر ، ومنهم غير ذلك، فلما اجتمع له ما طلب صاحبه من النخل قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « فقرلها يا سلمان ولا تضع منها شيئا حتى أضعه بيدى » . فوضعها النبى صلى الله عليه وسلم كلها فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها واحدة . وانظر أيها القارئ إلى ذلك السمو فى التواضع النبوى والنفس الرضية الزكية نفعنى الله وإياك باتباعها ، ولكن بقى الذهب على سلمان فهل يتركه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ؟.

كلا : لم يتركه صلوات الله وسلامه عليه، ولكنه انتظر فرصة لإتمام مهمة سلمان . فبينما هو قاعد إذ أتاه أحد أصحابه بمثل البيضة من ذهب ؛ فقال ادع سلمان المسكين الفارسى

---

[١] المكاتبة فى الاسلام أن يشترى العبد نفسه من سيده بمال حال أو منجم ، وهى مندوبة فى الاسلام، ويرى بعض الأئمة وجوبها وذلك لشدة حرص الاسلام على حرية الناس، وقد جعل الله للمكاتب نصيبا مفروضا من مال الصدقة فى قوله سبحانه « إنما الصدقات للفقراء . . . وفى الرقاب الآية » .
وراجع كتاب الوحى المحمدى للسيد رشيد رضا ص ١٦٤ .
[٢] هى النخلة الصغيرة تنقل من مكانها لتغرس فى غيره .

المكاتب فقال : أدهذه فقلت : يارسول الله : وأية تقع هذه مما على ؟ ولكن الله باركها فأدت عن سلمان ونجا من الرق ، وخلص لله وحده ولدعوة الحق ، فكان أول مشاهده غزوة الخندق وقطع علاقته بما سوى الله ورسوله ، واندمج في خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله . أفهذا أم ضباع بوذ خشان وعقاره ؟ وما يغنى عنه ماله إذا تردى ؟ .

منزلة سلمان وأثره فى الإسلام :

أسلم سلمان فى السنة الأولى من الهجرة، وهو فى سن كبيرة حتى قيل إنه من المعمرين قد حنكته الأيام وأحكمته التجارب ، وتعاقبت عليه الدول فأخذ الإسلام بقوة عجيبة ، وأخلص له إخلاصا يعادل قوة رغبته ، وتهالكه عليه وتضحياته التى مرت بك ، فعض عليه بالنواجذ وضم معارفه إلى ما أخذ من قبل ، وكان أول موقف له مشهود فى أول غزوة شهدها وهى غزوة الأحزاب التى حزب فيها اليهود قبائل العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما غاظهم أمرهم واستحكم بينهم دين المسلمين ، وقويت شوكتهم ، وصادف ذلك هوى من العرب ولا سيا قريش، فأجمعوا أمرهم على أن يفتنوهم وينقضوا عليهم من داخل المدينة وخارجها ، وكان الخطر الداهم والبلاء اللازم . لولا فكرة هذا الفارسى ومكيدته لدعوة الحق، نعم إنها هى التى أنقذت الإسلام ضمن الأسباب الكونية والجنود الخفية التى ينصر الله بها عباده المرسلين ليبلغ أمره . قد جعل الله لكل شىء قدرا .

أشار سلمان بحفر الخندق فى شمال المدينة ، وكانت الجهات الأخرى محصنة بالجبال والنخيل والأبنية . وكان موقفا أعجب به المسلمون جميعا فتنازع كل من الأنصار والمهاجرين سلمان كل يقول : « سلمان منا » فتوجه النبى صلى الله عليه وسلم بهذا التاج الذى يكافئ ما قدم للاسلام من تضحيات ، وما حفظ للمدينة فى أهلها وما تضم من عصابة الإسلام ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » وهى قضية جديرة أن تكون عامة لكل من تمسك بهذا الدين ، فآل النبى كل تقى ، من أطاع الله فهو من النبى ، ومن عصاه فليس منه ، ولو كان منه « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ولكن مزية سلمان ما تجلى لشخصه بالنص عليه ، ولا سيا بعد أن تنازعه طائفتان من المسلمين كل تدعيه لنفسها ، وقد كان من آثار ذلك الخندق الجليلة أن طول أمد الحصار على

القوم المعتدين ، وهم فى اغتراب عن أوطانهم ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وكان ما فصله سبحانه فى سورة الأحزاب . ورجع الكفار بخيبة الأمل وقد خسروا ما خسروا من مال وعتاد ورجال ، ثم لم يفكروا فى غزو المدينة بعد ذلك الخندق الذى منع المدينة وحصنها تحصينا جعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اليوم نغزوهم ولا يغزوننا » .

ثم لم يتخلف سلمان عن مشهد بعد الخندق ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى الدرداء [١] ، وقد أقاما بالمدينة فى مدرسة النبوة يأخذان العلم والحكمة ، ثم تقلبت بهما الأحوال بعد ذلك بما لا يفصله التاريخ ، ولكنهم يقولون : إن سلمان كان أميرا على المدائن فى عهد عمر بن الخطاب فلعله اتصل هنالك بموطنه الأول فقضى حقه بالدعوة إلى الله التى أخذت عليه كل شىء وزهدته فى كل شىء ، وقالوا إنه كان يرى هنالك (بالمدائن) وهو فى أشد مظاهر التقشف والزهد فى الدنيا ، وأنه كان يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير ويركب الحمار بلا إكاف .

رحم الله سلمان : لقد كان من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كان من زهادهم وفضلائهم كما كان أخوه أبو الدرداء . وكان من الصف الأول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى عن عائشة رضى الله عنها كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يغلبنا عليه ، فما ظنك برجل يريد أن يغلب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ما ظنك برجل يشهد له علىّ بن أبى طالب فيقول فيما يرويه ابن الأثير فى أسد الغابة قال : سئل علىّ عن سلمان فقال : علم العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر زاخر ، وهو منا أهل البيت .

ونقل ابن الأثير أنه سكن العراق وأن أخاه أبا الدرداء سكن الشام فكتب أبو الدرداء إلى سلمان يقول :

سلام عليك : أما بعد ، فقد رزقنى الله بعدك مالا وولدا ، وسكنت الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان يقول :

---

[١] عويمر بن عامر الأنصارى الخزرجى كان من أفاضل الصحابة وعلمائهم وحكمائهم ، روى عنه أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين تأخر إسلامه فلم يشهد بدرا ، وشهد أحدا وغيرها من المشاهد ، توفى بدمشق سنة ٣٢ هـ .

سلام عليكم . أما بعد : فإنك كتبت إلى أن الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك ، وكتبت إلى أنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض لا تعمل لأحد . إعمل كأنك ترى . واعدد نفسك من الموتى :

وكان عطاؤه خمسة آلاف فإذا خرج عطاؤه فرقه وأكل من كسب يده ، وكان عمله سف الخوص (سف الخوص نسجه) هكذا كان مذهب سلمان ، وهكذا انتهى علم سلمان وحكمته إلى احتقار الدنيا وتهذيب النفس ، وإتقان العمل ، وتقصير الأمل ، وهكذا يكون المؤمن العارف المتحقق .

وتوفى سلمان فى خلافة عمر وزعموا أنه عمر إلى ثلثمائة وخمسين سنة ، قال العباس ابن يزيد : قال أهل العلم : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه . ولكن ليت شعرى ، هل كان أبوه من المعمرين فقد رأيت أنه فارقه وقد أظله زمن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

ثم ذكروا أنه خلف ثلاث بنات واحدة بأصبهان ، واثنتين بمصر ، ولم يذكروا لنا ما أقامهما بمصر ، أذهب سلمان بهما إلى هنالك ؟ أم لعلهما تزوجتا فكان زوجاهما بمصر !

هذا ما استطعنا أن نظفر به من أمر سلمان فى مراجعه مما يعنى القارئ وينفعه ، رحم الله سلمان وجعل لنا فى ذكرى الصالحين خير عبرة .

محمود النواوى

« استدراك »

فى الجزء الماضى

السطر ١٢ من صفحة ٥٩٥ (الصواب) : « ويتبع غير سبيل المؤمنين ... الخ الآية الكريمة » .

السطر ٢٢ من نفس الصفحة (الصواب) : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ... الخ الآية الكريمة » .

[ما عدا هاتين الآيتين الكريمتين ، نترك تصويبه لفطنة القارىء الكريم] .

شيخ الأزهر السابق :

السيد محمد الخضر حسين

١٢٩٣ — ١٣ رجب ١٣٧٧

هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

إن الاستقامة على طريق الله بعلم وحزم وحكمة ويقين هى الولاية ، فإذا تعارضت مصلحة الدين ومصلحة الدنيا أمام الرجل المسلم ، فآثر مصلحة الدين على مصلحة الدنيا ، ومضى على ذلك فى تصرفاته كلها مدى الحياة ، فهو من أولياء الله ، أى من أنصاره . والولاية هى النصرة ، وقد جرت سنة الله أن يأخذ بأيدى أوليائه وينصرهم ما نصروا دعوته وسنته فى الأرض . وهذه المرتبة فى متناول يد كل من رامها من شبابنا وكهولنا وشيوخنا إذا آلى أن يجعلها وجهته فى مراحل الحياة . وسأتحدث فى هذه الصفحات إلى إخوانى من شباب المسلمين وكهولهم وشيوخهم عن مراحل حياة هذا الرجل المؤمن بالإسلام كما راقبتها فيه أو علمتها منه من سنة ١٣٣٠ إلى أن اختاره الله إليه .

ولد السيد محمد الخضر حسين عام ١٢٩٣ فى بلدة نفطة من بلاد الجريد فى الوطن التونسى . وأبوه من أسرة شريفة أصلها من الجزائر ، وقد حدثنى قبل ولايته مشيخة الأزهر عن ظهير من أحد ملوك المغرب الأدارسة إلى جد من جدود الشيخ يتعلق بنسبهم . وأرجو ممن صارت إليهم أوراقه أن يعنوا بما فيها من أمثال ذلك ليستعان بها فى تدوين سيرته ، وإرسال شعاع من نور على الأزمان التى عاشها فى مراحل حياته .

وكانت أمه من صالحات النساء ، وله فيها قصيدة (بكاء على قبر) لما بلغه خبر وفاتها سنة ١٣٣٥ . وكان أبوها الشيخ مصطفى بن عزوز من أهل العلم والفضل ، له ترجمة

فى تاريخ الوزير أحمد بن أبى الضياف ، وأبو جده لأمه محمد بن عزوز من الأفاضل أيضا وله ترجمة فى كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للشيخ الحفناوى بن عروس . وخاله السيد محمد المكى بن عزوز من كبار العلماء الصالحين ، وكان موضع الإجلال والاحترام من رجال الدولة العثمانية فى العهد الحميدى ، وقضى الشطر الأخير من حياته فى الآستانة برغبة من السلطان ، وله مؤلفات معروفة . ولفقيدنا قصيدة فى تأبينه ووصفه لمناصبه وفاته سنة ١٣٣٤ أثبتها فى ص ١٨٠ من ديوانه فى طبعته الثانية .

وفى سنة ١٣٠٥ انتقلت أسرتهم من نفطة إلى العاصمة التونسية ، وكان فقيدنا فى الثانية عشرة من حياته ، وقد تأدب قبل ذلك بأدب الإسلام ، وتلقى كتاب الله ومبادئ العلوم الشرعية والعربية . فلما نزلوا تونس التحق بجامعها الأعظم (جامع الزيتونة) ، وأخذ يتنقل فى مراحل التعليم ، وكان من أبرز شيوخه العلامة الكبير الشيخ سالم بو حاجب المتوفى سنة ١٣٣٩ رحمه الله . ولفقيدنا أبيات فى وصفه ورثائه هى فى ديوانه (ص ١٠١).

وحوالى سنة ١٣٢١ حصل على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ، وما لبث أن أصدر مجلة (السعادة العظمى) ، وأخذ يساهم فى النهضة العلمية والأدبية ، ويبارى رجالها لإحراز قصبات السبق طمعا فى مرضاة الله . وفى ديوانه (ص ٧٣) قصيدة نظمها فى هذه الحقبة انطوت على روح الدعوة التى أنشأ هذه المجلة للقيام بها .

وفى سنة ١٣٢٤ تولى قضاء بلدة بنزرت ومنطقتها .

وفى مساء ١٧ ربيع الآخر من تلك السنة ألقى محاضرة عنوانها (الحرية فى الإسلام) فى نادى قدماء خريجى المدرسة الصادقية بلغت ٦٤ صفحة ، ودلت على نزعته المبكرة إلى الحرية ، وفهمه السليم لرسالة الإسلام من هذه الناحية .

ولم تطل مدة ولايته القضاء ، لأن الجمع بينه وبين انطلاقه الفكرى فى بلد محتل بالاستعمار الملعون كان محاولة للجمع بين الضدين ، لذلك رأيناه فى سنة ١٣٣٧ عاد مدرسا فى جامع الزيتونة ، ولعله فارق القضاء قبل تدريسه فى الزيتونة فتولى التدريس قبل ذلك فى المدرسة الصادقية ، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة فى الوطن التونسى كله .

وفى مساء السبت ١١ شوال سنة ١٣٢٧ ألقى فى نادى الجمعية الخلدونية بتونس محاضرة عنوانها (حياة اللغة العربية) تحدث فيها عن أطوار هذه اللغة ، وفصاحة مفرداتها ،

وحكمة تراكيبها ، وتعدد أساليبها ، وما تفردت به من إعجاز الإيجاز ، وبدائع التشبيه ، وارتقاء مستوى اللغة بارتقاء التمدن العربي . وتحدث عن العامية والعربية والفصحى .

وفى ديوانه (ص ٢٣) قصيدة نظمها سنة ١٣٢٨ بعد ولايته القضاء والتدريس يوجه بها أنظار القائمين على جامع الزيتونة إلى ضرورة العناية بتدريس الإنشاء وتمرين الزيتونيين عليه ليكون للوطن من علماء هذا المعهد الإسلامى كتاب بارعون يؤدون مهمة الدعوة ويقودون الأمة إلى أهدافها .

وفى تلك السنة مرت بتونس بعثة الهلال الأحمر العثمانى قاصدة طرابلس الغرب بعد حملة البغى الإيطالى عليها ، فنظم قصيدة يدعو فيها إلى معونة هذه البعثة وإعانتها (وهى فى الديوان ص ٣٣) .

وفى السنة التالية (١٣٢٩) وجهت إليه التهمة ببث روح العداء للغرب ولا سيما سلطة الحماية الفرنسية ، فسافر إلى الآستانة متذرعا بزيارة خاله السيد محمد المكى ابن عزوز ، ولما ظن أن الزوبعة هدأت عاد إلى تونس بطريق نابولى (انظر ديوانه ص ١١٥ و ١٦٤) ، ولما استقر به المقام رأى أنه لن يطيق البقاء فى ذلك الجو الخانق ، فأزمع الهجرة منه نهائيا ، ووقع اختياره على دمشق ليتخذها وطنا ثانيا له ، وقد مر بنا فى مصر فى هذه المرة (سنة ١٣٣٠) وسعدت بالتعرف به ، واجتمع عندى بشيخنا الشيخ طاهر الجزائرى وأحمد تيمور باشا والسيد رشيد رضا وأضرابهم ، وكنت وقتئذ أعمل فى قلم تحرير المؤيد .

ولما وصل إلى دمشق كانت الحركة العربية فى بدايتها ، وكانت الأمة تطالب الحكومة العثمانية بأعطاء اللغة العربية حقها من التعليم فى المدارس الرسمية ، فعين السيد محمد الخضر حسين مدرسا للعربية فى المدرسة السلطانية بدمشق ، وكانت سكة الحجاز الحديدية متصلة فيا بين دمشق والمدينة المنورة فزار المسجد النبوى سنة ١٣٣١ ، وله فى هذه الزيارة قصيدة فى الديوان (ص ١٠٦) .

وفى هذه الفترة زار تونس ، وفى ديوانه من ذكريات هذه الزيارة أبيات فى ص ١٢٦ و ١٣٤ .

وذهب فى هذه المدة إلى الآستانة ولقى وزير حربيتها أنور باشا ، واختير الشيخ محررا عربيا فى وزارة الحربية .

وكان فى هذه الحقبة قد عرف دخيلة الحال فى الدولة ، وأصيب بخيبة أمل بين ما كان يتصوره بعين الخيال وبين ما رآه بعين الحقيقة ، فنظم فى سنة ١٣٣٢ أبياتا بعنوان « بكاء على مجد ضائع » تجدها فى ديوانه ص ٦١ ومنها :

أدمى فؤادى أن أرى الـ ... أقلام ترسف فى قيود
فهجرت قوما كنت فى ... أنظارهم بيت القصيد
وحسبت هذا الشرق لم ... يبرح على عهد الرشيد
فاذا المجال كأنه ... من ضيقه خاتم الوليد

وفى سنة ١٣٣٣ أرسله أنور باشا إلى برلين بمهمة رسمية فقضى فى ألمانيا تسعة أشهر اجتهد فى خلالها أن يتعلم الألمانية . وفى ديوانه قطع كثيرة مما نظمه هناك . ومن ذلك أنه كان فى قطار بضواحى برلين يرافقه مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية الألمانية ، وكان يتحدث مع شاب ألمانى باللغة الألمانية ، ثم أقبل مدير الأمور الشرقية على الشيخ وقال له : أليس هكذا يقول ابن خلدون إن العرب أبعد الناس عن السياسة ؟ فنظم الشيخ فى هذه الحادثة أبياتا يقول فيها :

عذيرى من فتى أزرى بقومى ... وفى الأهواء ما يلد العداء
سلوا التاريخ عن حكم تملت ... رعاياه العدالة والرخاء
هو الفاروق لم يدرك مداه ... أمير هز فى الدنيا لواء

وأدركه عيد الفطر فى برلين ، فقال :

يوم عيد وما تفتق كم ... عن أنيس ولا كمم الخياط
أين جيراننا وأين المصلى ... وخطيب يهدى لخير صراط
لو تقاضيت فى اغترابى أمرا ... نهضت همتى له ونشاطى
لأدرت العنان نحو دمشق ... وحدت السرى على الأشواط

وعاد إلى الآستانة ، فوجد أن خاله الشيخ المكى بن عزوز قد توفى بها قبل قدومه بنحو شهرين ، فرثاه بما فى الديوان (ص ١٨٠) ؛ ثم ضاقت به العاصمة العثمانية على سعتها ، وصرفه عنها وعن عظمتها يومئذ ما كان يشعر به من الشوق إلى دمشق ، حتى تمكن من الوصول إليها والاستقرار فيها . غير أنه ما لبث أن ناله شواظ من شرور

السفاح الجنكيزي أحمد جمال باشا الذي لم يسلم فاضل من شره ، فاعتقل في رمضان سنة ١٣٣٤ وكان في زنزانة واحدة هو والأستاذ سعدي بك الملا ، الذي تولى رياسة الوزراء اللبنانية بين الحربين العالميتين ، وكانت جريرة سعدي بك الملا أنه كان سكرتيرا لشكري باشا الأيوبي من كبار رجال الجيش العثماني الذين أنجبتهم الشام ، أما شكري باشا فكان تحت التعذيب الأليم الذي يذكر الناس بديوان التفتيش الكاثوليكي في إسبانيا ، ومن شعر السيد محمد الخضر حسين في هذا الاعتقال :

جرى سمر يوم اعتقلنا بفندق ... فخانا به ليل ، وساهرنا رمس
فقال رفيق في شقا الحبس : إن في الـــحضارة أنسا لايقاس به أنس
فقلت له : فضل البداوة راجح ... وحسبك أن البدو ليس به حبس

وأكبر ظني أنه كان لأنور باشا دخل في إنقاذ شيخنا من قبضة جمال باشا ، فما كاد يفرج عنه ويخرج حتى أزمع السفر إلى الآستانة ، وما كاد القطار يسير به حتى قال (وهي في الديوان ص ١٢٦) :

أردد أنفاسا كذات الوقود إذ ... رمتني من البين المشت رواشق
وما أنت مثلي يا قطار وإن نأى ... بك السير تغشى بلدة وتفارق
فما لك تلق زفرة بعد زفرة ... وشملك إذ تطوى الفلا متناسق

ولما بلغ الآستانة أوفده أنور باشا سنة ١٣٣٥ للمرة الثانية إلى ألمانيا ، فقضى فيها زمنا طويلا ، وعاد إلى الآستانة ، ثم إلى دمشق ، فتولى التدريس بالمدرسة السلطانية مرة أخرى بقية سنة ١٣٣٥ ثم في سنة ١٣٣٦ ، وفي هذه المدة شرع في دراسة كتاب (مغني اللبيب) في علم العربية لجمال الدين ابن هشام (٧٠٦ — ٧٦١) بحضور جماعة من أذكياء طلاب العلم بدمشق ، وكان يرجع في تقرير المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى تلك الأصول المقررة والمستنبطة ، فاقترح عليه أولو الجد من الطلبة جمع هذه الأصول المتفرقة ليكونوا على بينة منها ساعة المطالعة ، فألف مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتدل على مواقعه وأحكامه ، ومن هذه المقالات تألفت رسالة (القياس في اللغة العربية) التي أعاد عليها نظره بمصر ، ونال بها عضوية جماعة كبار العلماء ، وقمنا بطبعها سنة ١٣٥٣ .

وفى سنة ١٣٣٧ ذهب إلى الآستانة ، وكانت الحرب العالمية الأولى فى نهاياتها ، والحالة فى دولة الاتحاد والترق مؤذنة بالزوال ، فتوجه إلى ألمانيا ، وقضى هناك سبعة أشهر ، وكانت عودته منها فى هذه المرة إلى دمشق رأسا وهو يقول (الديوان ص ٢٠٠) :

سئمت ، وما سئمت سوى مقامى بدار لا يروج بها بيانى

فأزمعت الرحيل ، وفرط شوق إلى بردى تحكم فى عنانى

هلم حقيبتى لأحط رحلى فتفح زهور جلق فى تدانى

ووافقت عودة الشيخ إلى دمشق دخول الجيش العربى وولاية فيصل بن الحسين على سوريا ، وفيها اجتمعت بالشيخ مرة أخرى بعد عودتى من الحجاز لأتولى الجريدة الرسمية للحكومة السورية ، وكنت أقوم بتأسيس المعهد العلمى ، وأدير اللجنة الوطنية العليا مع المجاهد الكبير العلامة الشيخ كامل القصاب رحمه الله ، فكنت ألقى الشيخ الفقيد مرارا ، ومن شعره يومئذ متضجرا من كثرة أسفاره السابقة ، ومتمنيا الاستقرار فى دمشق المدينة التى أحبها ، والأبيات فى الديوان (ص ٤١) :

أنا كأس الكريم والأرض ناد والمطايا تطوف بى كالسقاة

كم كئوس هوت إلى الأرض صرعى بين كف تديرها واللهاة

فاسمحى يا حياة بى لبخيل جفن ساقيه طافح بسبات

وأراد الله أن يقع الاحتلال الفرنسى ، فعدت أنا إلى مصر على الإبل بزى أعرابى ، وبقى الشيخ فى دمشق على أمل أن يعود إلى تونس فيكمل حياته فيها ، ولكن الله أراد له اللحاق بنا إلى مصر فى العام التالى (١٣٣٩) . وله فى ذلك موشحة لطيفة فى الديوان (ص ١٤٥) وقال عند سفره من دمشق (الديوان ص ١٦٠) :

كأنى دينار وجلق راحة تنافس فى الإنفاق راحة حاتم

فكم سمحت بى للرحيل ، وليتنى ضربت بها الأوتاد ضربة لازم

وفى مصر أخذ يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس . وفى سنة ١٣٤٠ ألف رسالته (الخيال فى الشعر العربى) . وبعدئذ كسبته دار الكتب المصرية فالتحق بقسمها الأدبى عدة سنين ، ثم تجنس بالجنسية المصرية ، وتقدم للامتحان فى الأزهر فقام على

امتحانه بلجنة برآسة العلامة الشيخ عبد المجيد اللبان ، وكانت اللجنة كلما اكتشفت آفاق علمه زادت فى التعمق بمناقشته واستخراج كنوز فضله ، وأصبح بعدئذ من أكمل أساتذة هذا الصرح العلمى العظيم فى عصور الإسلام الطويلة ، وإن تلاميذ الشيخ صاروا لفحول العلماء وأطواد التحقيق فى الشريعة وعلوم العربية . وإن كثيرين منهم كانوا يرغبون فى القيام بواجب الكتابة عن فضله وأياديه الكريمة فى التحقيق وتخريج الرجال ، فلما علموا أنى سأكتب عنه تخلوا لى - حفظهم الله - عن هذه المهمة لما يعلمونه من طول خلطتى به وقديم صداقتنا التى أعتز بها وطالما أفدت منها .

وفى سنة ١٣٤٢ أسس (جمعية تعاون جاليات إفريقية الشمالية) وسن لها قانونا قمت أنا بطبعه .

وفى سنة ١٣٤٣ مرض مرضا شديدا ردد صداه فى شعره (الديوان ٢٦) ومنه :

أطل على الموت من خلل القنا	فآنست وجه الموت غير كئيب
ولو جس أحشائى لخلت بنانه	وإن هال أقواما بنان طبيب
فلا كان من عيش أرى فيه أمتى	تساس بكفى غاشم وغريب

وفى سنة ١٣٤٤ ظهر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ، وكان السيد محمد الخضر صديقا حميا لآل عبد الرازق ويزورهم ويسمر بلفائهم ، فلما كاد الكتاب ينتهى طبعه ، وكان لا يعرف مذهب مؤلفه فيه ، طلبوا منه أن يمدهم بعناوين كبار العالم العربى والإسلامى ليهدوا الكتاب إليهم ، فطلب الشيخ هذه العناوين منى ، وكتبت له بها قائمة طويلة ، ثم صدر الكتاب وأهدوا نسخة منه إلى الشيخ ونسخة أخرى لمجلة الزهراء التى كنت أصدرها ، فراعنا من الكتاب أنه ينكر كون الإسلام دين حكم ، فانتقدته أنا فى مجلة الزهراء ، وكتب الشيخ على مقالة افتتاحية فى جريدة السياسة يجيب بها على نقدى ، وتفرغ فقيدنا لنقض الكتاب فقرة فقرة ، وفى أقرب وقت صدر كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفى شهر واحد نفدت طبعته لشدة الإقبال عليها .

وفى السنة التالية (١٣٤٥) افتضحت رسالة (فى الشعر الجاهلى) فعكف الشيخ على نقض كل ما فيها من باطل ، وصدر كتاب (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) وبقيت بقية من آخر أقلام استعملها فى تأليفه ، فأهداها إلى خزانة العلامة أحمد تيمور باشا ، وكتب أبياتا فى بطاقة ربطها ببقية القلم (وهى فى الديوان ص ٨١) وهى :

سفكت دمى فى الطرس أنمل كاتب ... وطوتنى المبراة إلا ما ترى
ناضلت عن حق يحاول ذو هوى ... تصويره للناس شيئا منكرا
لا تضربوا وجه الثرى ببقية ... منى كما ترمى النواة وتزدرى
فخزانة الأستاذ تيمور ازدهت ... بحلى من العرفان تبهر منظرا
فأنا الشهيد وتلك جنات الهدى ... لا أبتغى بسوى ذراها مظهرا

وفى سنة ١٣٤٦ أسسنا المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان الفقيد مع تيمور باشا رحمهما الله ركنين ركينين فى تأسيسه ، وقد هبت لذلك يومئذ كل شخصيات المناصرة للاسلام من شباب وكهول ، فكان تأسيس تلك الجمعية نقطة تحول بين تيار العداء للاسلام باسم التجديد ، وبين قيام كيان مرموق للاسلام فى وادى النيل .

ولما تم النجاح فى هذا العمل الحميد ، تفرغ فقيدنا لتأسيس جمعية الهداية الإسلامية فضمت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه ، ومن نهج منهجهم من المثقفين ثقافة مدنية . وكما صدرت لجمعية الشبان مجلة صدرت لجمعية الهداية مجلة . وكما قامت لجمعية الشبان فروع فى الأقطار قامت للهداية فروع مثلها .

وفى محرم سنة ١٣٤٩ صدرت مجلتنا هذه (الأزهر) وكان عنوانها يومئذ (نور الإسلام) فتولى فقيدنا رياسة تحريرها من جزئها الأول إلى ربيع الآخر سنة ١٢٥٢ ، وفى سنة ١٣٥٠ عاوده مرض مزعج أثار فيه خواطر شعرية تراها فى ص ٤٢ من ديوانه .

وواصل ـ رحمه الله ـ السنين المباركة فى حياته بعد ذلك فى التدريس بكلية أصول الدين على طريقة العلماء الأقدمين فى التحقيق ، والرجوع بقضايا العلم إلى أصولها ، والغوص فى أعماقها . ويقضى الليالى فى محاضرة جماهير الشباب وأهل الفضل بدار جمعية الهداية الإسلامية داعيا إلى تجديد حيوية الإسلام فى نفوس أهله ، وتقرير حقائقه بأساليب بليغة كانت موضع الحرمة والتقدير من جميع الطبقات ، وقد نشر بعضها مستقلا أو على صفحات مجلة الهداية الإسلامية ، ثم جمع الكثير منه فى كتابه (رسائل الإصلاح) الذى طبع فى ثلاثة أجزاء .

وعند ما أسس المجمع اللغوى كان من أقدم أعضائه ، وله فيه بحوث وقصائد ودفاع عن الفصحى ، وتبيان لأسرارها وعرض لجواهرها .

وما زال مستمرا فى التأليف والخطابة والوعظ فى الهداية الإسلامية والتدريس فى الحلقات العليا بالأزهر . وفى سنة ١٣٦٦ صدرت مجلة لواء الإسلام ، وعهد إليه برياسة تحريرها ، وظل يواصلها بحوثه إلى آخر حياته المباركة .

وفى سنة ١٣٧٠ نال عضوية هيئة كبار العلماء برسالة (القياس فى اللغة العربية) التى ألف أصلها وهو فى دمشق أيام الحرب العالمية الأولى .

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة ١٣٧١ (١٦ سبتمبر ١٩٥٢) خرج من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ثلاثة من أعضاء ذلك المجلس فتوجهوا إلى المنزل الذى كان يسكنه الشيخ فى شارع خيرت ، وعرضوا عليه مشيخة الجامع الأزهر باسم حكومة الثورة ، وجاء الشيخ إلى مشيخة الأزهر وللأزهر فى ذهنه رسالة يتمنى لو اضطلع بها الأزهر ليتم له بها حمل أمانة الإسلام .

وكان هذا الاختيار تحقيقا للأخوة الإسلامية فى الدستور الإسلامى ، وبرهانا من الله عز وجل على أن من كان مع الله كان الله معه ، وعلى أن من عاش يؤثر الآجلة على العاجلة عند اختلافهما فان الله يكافئه بخير مما يطمع فيه الذين يؤثرون العاجلة على الآجلة .

ولما أضعفته الشيخوخة عن مواصلة الاضطلاع بحمل هذه الأمانة عاد إلى منزله يواصل العكوف على الكتب والكتابة والتفكير ، حتى لقد نظم ديوانا آخر كله مقطعات فى الحكمة والخواطر التى تحوم حول الحق والخير .

وفى يوم ١٣ رجب مساء اختاره الله إليه وهو لا يزال على عهده الأول من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فكان جديرا بما وعد الله به أمثاله أن تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . وفى ظهر اليوم التالى صلى عليه بعد الفريضة فى الجامع الأزهر ، ومشى فى موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة والمنتسبون إلى العلم حتى بلغ النعش باب الخلق والموكب متصل فيما بينه وبين الأزهر ، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه ، رحمهما الله وصالحى المسلمين وتغمدهم برحمته .

محب الدين الخطيب

رجـــــل عظيم

ويزيده عظما وقدرا أنه يعرف قدر العظيم

ما كنت أحسب وأنا أنعى إليه شيخنا وإمامنا الراحل ، وقد أسلم الروح إلى بارئها ، إلا أنه يجاملني بكلمة عزاء تمر كما يمر غيرها من الكلم . . ولكن ما كان أعظم دهشتي حينما فزع واسترجع ! ثم أخذ يلقى علىّ درسا فى تقدير العظماء الراحلين : درسا خليقا بأن يسجل ويروى فى تاريخ الخالدين .

كانت بين الشيخين خصومة فى بعض مسائل العلم ، ولكنها كانت خصومة نبيلة كريمة ، من قبيل « الخصومة بين الأكابر » تلك التى سجلنا نماذج من طرازها الأول فى المجلد الخامس والعشرين .

وكان من أدب فقيدنا الراحل ـ تغمده الله برحمته ـ أن يسجل مسائل الخلاف بينه وبين خصمه فى مقال أو رسالة ، ثم يأتى عليها بالحجة الساطعة والبيان الناصع ، فى أمانة من النقل ، وعفة من القول ، هما المثل الأعلى لمن يبتغى الإنصاف والحق ، من أعدل طريق وأمثله .

• • •

ويقرأ خصمه الرد عليهم فى مقالاته وكتبه ، وكلهم أو جلهم من علية القوم وأكابر الكتاب ، فيعجبون للأدب الرشيد والقول السديد ، والحجة البالغة ، والعلم المصفى ، والحكم البصير النافذ ، الذى يتقدمه الإخلاص والإيمان ، ويصحبه العدل والإحسان ، فيخشع له كل عالم وأريب ، ويهابه كل دفع أو تعقيب !

• • •

لكن النبلاء من خصمه ، يفيدون من ذلك النبع الفياض ، والأدب العالى

الرفيع ، ثم ينوهون به فى حياته ، ويدعون إلى التخلق به بعد وفاته ، وكذلك فعل « الرجل العظيم » .

كانا عضوين بالمجمع اللغوى إلا أن « إمامنا » كان أسبق ، إذ كان وكنا من أركان المجمع منذ أنشئ ، وكانا عضوين فى جماعة كبار العلماء ، إلا أن « عظيمنا » كان أسبق منذ بضع سنين . . .

فلما تقدم إمامنا إلى عضوية الجماعة ، ظن من لا يعرفون « الرجل » أن الفرصة قد هيئت للوقوف فى طريق خصمه . . . لكنها كانت مفاجأة كريمة حاسمة ، أن زكاه الخصم النبيل وهو يقول : إن من لا يزكى السيد الخضر فى عضوية الجماعة ، فإنما يلغى عقله ، أو يسقط نفسه ، أو قال كلمة نحوها ! !

فلما قضى الله قضاءه ، واستأثر شيخنا برحمته ، حزن « الرجل » بكدانه حزنا وهو يدعو إلى التأسى به ، حتى كأن المسرة كانت ترتجف من هول ما أصابه ، أو من عظمة ما يقول ! !

* * *

أما بعد ، فإن أهمك أن تعرف « الرجل » فحسبك أنه يشغل مركزا اجتماعيا خطيرا ما خلا منصبا أزهريا كبيرا ، فإن لم تعرفه بعد ذلك ، فحسبك درس عظيم ، من رجل عظيم ، فى إمام كريم ، عاش فى الله ، وجاهد فى الله ، ثم مات فى الله ، ورحل — بإذن الله — إلى الرفيق الأعلى « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

طه محمد الساكت

الجمهورية العربية المتحدة

وليدة إرادة الشعب العربى

ن الجمهورية العربية المتحدة وليدة إرادة الشعب فى كل من مصر وسوريا ، ولذلك فإن من الطبيعى أن تعم الفرحة ، ويسود الابتهاج أرجاء البلاد العربية عامة ، لأن الجميع يشعرون ويؤمنون بأن هذه الجمهورية تمثل رغباتهم وأمانيهم ، وتحقق حلمهم الذى طالما حنوا إليه .

رشيد كرامى

رئيس وزراء لبنان الأسبق

قيام الجمهورية العربية المتحدة

وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس لها

فضيلة الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر برئاسة الجمهورية العربية المتحدة

يطيب لى اليوم أن أهنئ سيادتكم بإجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى اختياركم أول رئيس للجمهورية المتحدة .

والأزهريون وهم جند العروبة المخلصون يفاخرون بتحقيق هذه الأمنية العزيزة ، ويعتزون بقائدهم الذى اجتمعت له القلوب بالمحبة والتأييد، لما له من أصالة الرأى وصدق الوطنية وكمال الإخلاص للواجب ، والتفانى فى خدمة العروبة .

سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولى التوفيق .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

ويهنئ فخامة السيد شكرى القوتلى بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

كما أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى فخامة السيد شكرى القوتلى البرقية الآتية :

فخامة الرئيس شكرى القوتلى   قصر القبة القاهرة

يسرنى أن أبعث إلى فخامتكم بالتهنئة الخالصة ، بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التى كانت ثمرة جهودكم المتواصلة وتضحياتكم الرائعة ، راجيا لفخامتكم دوام التوفيق وللشعوب العربية الرفعة والعزة .

شيخ الجامع الأزهر

رد السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة على برقية فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية :

تلقيت ببالغ السرور برقيتكم بمناسبة إعلان الجمهورية العربية المتحدة التى ستكون حصنا منيعا للعروبة وسبيلا لنهضة العرب . والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للأمة العربية .

وذلك ردا على برقية فضيلته السابقة :

الأزهر ووحدة مصر وسوريا

أرسل علماء الجامع الأموى الكبير بدمشق تهنئة إلى الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بوحدة مصر وسوريا ، وأشادوا فيها بدور الأزهر فى دعم هذه الوحدة ، وقد رد عليهم فضيلته بخطاب شكر جاء فيه : إن أولى الناس بالاعتزاز بهذا العمل المجيد هم أولو العلم ، الذين يقدرون هذه الخطوة المباركة حق قدرها ، ويحرصون كل الحرص على أن ينضوى تحت لوائها كل عربى مؤمن بعروبته ، مخلص لوطنه ، وإن أجدر العرب بالمبادرة إلى دعم هذه الوحدة هم إخواننا السوريون الذين رفعوا ألوية الوحدة على أطراف الدولة الإسلامية آمادا طويلة .

وبين فضيلته أن الأزهر الشريف ظل دائما حصنا منيعا لدعوة الحق ، ومنارا عاليا يشع نوره فى جنبات الأرض ، ويضم فى ساحته الرحبة كل محب للثقافة الدينية من أبناء العروبة والإسلام ، فى مساواة تامة ، وأخوة صادقة ، ويهيئهم تهيئة صحيحة للاضطلاع بمهمتهم النبيلة فى ميادين العلم والثقافة الوطنية .

كما تلقت مشيخة الأزهر من الكليات والمعاهد الدينية والهيئات المختلفة ، سيلا من البرقيات وخطابات التهنئة بوحدة مصر وسوريا ، والآمال الكبيرة التى يعلقها العرب

والمسلمون على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، كما وردت من الخارج بهذا الخصوص برقيات ورسائل من جهات متعددة ، كان من أبرزها تهنئة من علماء الجامع الأموى الكبير بدمشق التى سبقت الإشارة إليها ، وأخرى من الاتحاد الدولى للطلاب فى براغ .

وقد رد فضيلة الأستاذ الأكبر على هذه التهانى مشيدا بالروح الطيبة التى تحس بجلال هذا العمل المجيد ، ناصحا بالعمل المتواصل لدعم هذه الوحدة ومساندتها للوصول إلى الغاية المرجوة من وراء أكبر حدث فى تاريخ الأمة العربية الحديث .

بيان من مشيخة الأزهر

بمناسبة الاستفتاء على قرار الوحدة بين مصر وسوريا

وانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

شيخ الأزهر وعلماؤه : يهيبون بجميع المواطنين فى سوريا ومصر أن يتوجهوا إلى لجان الاستفتاء عن قرار الوحدة بين القطرين العربيين الشقيقين ، وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة .

وهم على ثقة تامة بأن إيمان الشعب بهذا العمل الجليل ، وحاجته الأكيدة إلى وحدة تجمع الشمل ، وتضم الجهود ، تحت قيادة رشيدة حكيمة ، كفيلان بحرص المواطنين جميعا على أداء هذا الواجب الوطنى نحو أكبر حدث فى تاريخ العرب الحديث ، ذلك الحدث الذى توج كفاح الشعبين الكريمين ، بقيادة زعمائهما المخلصين الذين جعلوا مجد العرب نصب أعينهم ، وبذلوا فى الوصول إليه كل ما يملكون من جهود وتضحيات ، جديرة بالتقدير والالتفاف حولهم ، ومساندتهم للوصول بالوطن الواحد ، إلى ما يريدون له من عز ومجد وسؤدد .

حيا الله الأمة العربية وحيا زعماءها الأحرار ، ووفقنا جميعا إلى ما فيه خير الوطن وعزة العروبة .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة

إن قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التى تضم مصر وسوريا ، وتجعل من دولتيهما دولة واحدة عظيمة ، ومن شعبيهما أمة واحدة قوية لهو من أجل النعم التى يجب أن تعطى حقها من الشكر ، بحسن رعايتها ، والاحتفاظ بقوتها .

هو أكبر حدث فى تاريخ الأمة العربية الحديث ، قد توج به كفاح الشعبين العظيمين تحت قيادة زعمائهما الأحرار ، الذين آمنوا أصدق الإيمان بحقهم ، وأخلصوا أعظم الإخلاص لقضية عروبتهم ، وجاهدوا أشق الجهاد وأمره ، للوصول إلى ماهو جدير بهذه الأمة من عزة وسيادة ، ومجد وكرامة .

وإن هذا العمل السياسى الخطير ، لهو بشير أمل كبير ، فى مستقبل سعيد باهر ، ينتظر الأمة العربية كلها ، وسيتحقق به هذا الأمل المنشود بحول الله وقوته . ذلك لأنه عمل نابع من قرارة الإيمان ، منبعث عن صدق إخلاص وصحة وجدان ، فهو ترجمة للفكرة الأصيلة ، والعقيدة الراسخة ، التى يعمر بها قلب كل عربى ، عليم بما تقاسيه الشعوب العربية وتعانيه ، من جراء تدابير الفتنة ، ووسائل التفرقة ، التى كان يحيكها ويحبك أطرافها الاستعمار البغيض .

إن هذه الوحدة المباركة التى جمعت بين سوريا ومصر ، ليست عنصرا غريبا طارئا على كيان الشرق العربى ، فان جامعة الدين والدم واللغة والتاريخ قد ربطت بين أهل هذا الشرق من قديم الزمان برباط قوى متين ، وجعلت منهم فى دهور طويلة دولة قوية ، كان يهتز لها العالم كله رغبا أو رهبا . ولم يضعف شأن هذه الدولة إلا عند ما وقفت تدابير السوء ضدها ، وبرزت أفاعى الشر وأفاعيل الحقد والحسد فى طريقها ، وعمل الاستعمار جاهدا على تفريقها أحزابا وشيعا ، وتمزيقها دويلات وإمارات .

نعم ولكنها لم تفقد حيويتها ولم تمت فيها روح المقاومة ، بل ظلت تكافح وتقاوم بما كان يتهيأ لها من وسائل المقاومة والكفاح .

وكان أهم ما يعوزها فى هذا الكفاح الطويل لتستعيد حريتها ، وتسترد مكانتها هو القائد البطل الخبير الذى يحسن التوجيه ويعرف كيف تكون القيادة الحازمة الحكيمة التى تسلك بالأمة إلى مستقر الأمن والعزة والحرية .

وقد أراد الله الخير لشعبى سوريا ومصر ، فقيض لسوريا البطل الشيخ شكرى القوتلى وقيض لمصر البطل الشاب جمال عبد الناصر . تآلفت روحهما وتوافق إيمانهما وإخلاصهما واجتمعا على قلب رجل واحد ، وذلك حيث كان قد اكتمل فى الشعبين العظيمين تفاعل قوى الإيمان بالوحدة ، واليقين بالعزة فى اجتماع الكلمة ، والشعور بضرورة العمل فى صف واحد ، لإحياء تراث العرب ، واستعادة مجد العروبة وعزتها وقوتها .

وقد انبثق بفعل هذه العوامل القوية الشريفة فجر الوحدة ، وتكونت الجمهورية العربية من الشعبين الكريمين . أمة واحدة تؤمن بالخير وتدعو إليه ، وتبغض الشر وتعمل للقضاء عليه ، أمة غايتها من اتحادها بعد طول جهادها وكفاحها ن تعيش عزيزة كريمة ، وأن تؤيد كل من يعمل لعزة الشعوب وكرامتها ، والله ولى التوفيق يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »

تحية وتقدير

إلى الشيخ الوقور ، والبطل المجاهد ، المواطن الأول فى الجمهورية العربية المتحدة ، فخامة السيد شكرى القوتلى :

بعثت المجد للعرب اتحادا	وخلدت العروبة والجهادا
بنيت لهم وأعليت العمادا	بعزم يصنع العرب الشدادا
فوحد جمعهم ، وثق عراهم	فذئب الغاب يأكلنا فرادى

عبد الحكيم الجوهرى

وليد ميمون

الجمهورية العربية المتحدة

فى اليوم الثانى عشر من رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق الأول من فبراير سنة ١٩٥٨م، تمخض الزمن عن أكرم وليد فى تاريخ العرب ، وهو الجمهورية العربية المتحدة ، تلك الجمهورية التى امتزج فيها الشعبان العربيان الكريمان ، الشعب السورى والشعب المصرى ، وأصبح القطران قطرا واحدا ودولة واحدة ، وقد قرت بذلك أعين المحبين وتميزت غيظا قلوب الحاقدين الشانئين .

ولقد تظاهرت على تكوين ذلك الوليد عوامل حاول الكاتبون أن يتقصوها ويتعرفوا قريبها وبعيدها ، وذكروا أن الاتفاق فى الأهداف بين الشعبين كان من العوامل القوية فى وحدتهما وتكوين الجمهورية المتحدة، وأن اشتراكهما فى الآلام التى مرت بهما على أيدى المستعمرين والمسيطرين كان من تلك العوامل ، وكذلك وحدة الجنس واللغة والدين والماضى التاريخى ، وقال بعض ممن يزعم استبطان الحقائق : إن استهداف القطرين لخطر المستعمرين والمتآمرين هو العامل الأهم فى ميلادها ، ومهما تكن هذه الأفهام من الواقع فإن الحقيقة التى نؤمن بها ولا يخامرنا فيها ظل من الشك أن فى مقدمة العوامل وأهمها ، وأغربها فيما ترى أعيننا ، تضحية الزعيم السورى شكرى القوتلى ، فقد فدى برياسته وزعامته وجاهه ومظاهره مصلحة العرب وشعوب العرب والقومية العربية ، وما قرأنا فى تاريخ الزعامات والرجال مثل هذه التضحية والإيثار ونكران الذات . والذى قرأناه أن أكثر الزعماء كانوا يفدون أمجادهم الشخصية بمصالح الشعوب وأمجادها ، ولا غرابة ، أن تحقق بتلك التضحية أحلام الشعوب العربية ، وأن تقوم الوحدة بين الشعبين السورى والمصرى بمثل هذه السرعة التى لم تعهد فى تاريخ الدول .

لقد استقبل الشعبان المصرى والسورى مولد الجمهورية العربية المتحدة فى احتفالات قل نظيرها من قبل ، ولم تكن تلك الاحتفالات مظاهر اصطنعها الشعبان فى الأغانى والأناشيد والأعلام والبنود ، ولكنها كانت مسرات وابتهاجات انبعثت من القلوب

والوجدانات فانطلقت بها الألسنة هتافات مصورة معبرة ، شاملة لا تقف عند حد ، ولا تقصر دون غاية .

لقد هلل المصريون وكبروا ، وفرحوا وابتهجوا كما يفرح الكهل بوحيده ، يدخره للهام والأحداث الجسام ، ويعتز به عضدا وعونا على الأيام ، وكذلك المصريون والسوريون ينتظرون من هذه الوحدة تعاونا وتبادلا وتكافلا فى المصالح الداخلية ، وينتظرون منها حماية واطمئنانا وأمنا وسلاما من الأحداث الأجنبية .

لقد سارت خطوات تلك الوحدة موفقة سريعة لم تتعثر ولم تتعوق : فقد كان حاديها الإخلاص للعرب وللقومية العربية ، ولم تشبها الأغراض ولا الغايات الشخصية ، وكان حاديها أيضا رغبة الشعبين فى حياة حرة كريمة ، لا تحقق إلا بتكافل القوى وتضافر الجهود واجتماع القلوب ، وسارت موفقة أيضا إذ لم تقف دونها مكايد المستعمرين ، ولأنها كانت ثمرة جهاد طويل بذل الشعبان فيه من الدماء والأرواح ما وعاه التاريخ .

لقد قال شكرى القوتلى إثر توقيع ميثاق الوحدة : « إننا بإعلاننا وحدة الجزأين العربيين الغاليين ، والقطرين المجاهدين المناضلين ، وطنا واحدا فى جميع مرافقه وشئونه بلا تفريق ولا تمييز ، وبلا تحديد وبلا تحفظ ، إننا لم نأت بجديد ، بل إننا نصحح أوضاعا ونعيدها إلى أصولها ، ونتجه بذلك كل الاتجاه مع حقيقة الأمة العربية ، وحقيقتها كانت وما زالت وستبقى إلى الأبد حرية ووحدة .

وإنى لعلى إيمان راسخ بأن الأجزاء العربية إذا وعت وتحررت ، تعارفت وائتلفت وتجمعت فتلاقت ، فالألفة هى الأصل ، والحرية للعرب أمر محتوم لن تستطيع أكف الإنسان العاتى مهما اصطنعت لنفسها من قوى الشر أن تغير قليلا أو كثيرا من أقدار الأمة العربية ، من أجل هذا أرانى واثقا كل الوثوق أن وحدتنا القومية هذه نواة ستكبر وتنمو ، وخطوة فى صميم الواقع العربى ستتلوها خطوات ، ولقد فتحنا نوافذنا للشمس ، وصنعنا صفحات للأجيال القادمة فى أفضل طريق للتحرر والوحدة » .

لقد كان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة حدثا تاريخيا فذا ، معناه أن العرب أمة واحدة ، وأن العربى فى أقصى المشرق أخو العربى فى أقصى المغرب ، يتجاوبان ويتعاطفان : مشاعرهم واحدة ، وإحساساتهم واحدة ، وأنهم إن تفرقوا فعلى غير رضا وعلى غير هوى ، وبعوامل ليست من صنعهم ، ولكنها من صنع أعدائهم الذين يتربصون بهم الفرص ، ويعملون

على تمزيقهم ليسهل التهامهم واهتضامهم ، واستعبادهم واستغلالهم ، وإذا زالت عوامل الفرقة عادوا مؤتلفين مشوقين ، عودة النازح إلى داره والغريب إلى وطنه .

سيقيس قصار النظر الوحدة السورية المصرية بالمقياس المادى التافة فيقولون : سيكون من وراء ذلك مجال للزراعة والصناعة وللعمل وللرواج إلى غير ذلك ، أما ذوو العقول الكبيرة والتقدير الصحيح فيقيسونها بفوائدها المعنوية والأدبية ، وبمقدار ما تحققه للشعبين وللعرب عامة من عزة وكرامة ، وما تضفيه عليهم من مهابة وتقدير من الشعوب الناهضة الواعية ، وبمقدار ما تدفعه تلك الوحدة من أطماع فى الشعوب العربية وفى حرياتها واستقلالها .

لقد كانت تلك الوحدة برضا الشعبين ، وتحقيقا لإرادتهما الواضحة الخالصة من كل ضغط أو إكراه أو نفوذ أجنبي ، فهى وحدة نابعة من ضمير الشعبين ومستندة إليه ، وكانت أمنية من أمانى الشعبين تهفو إليها قلوبهم ، وحلما يراود خواطرهم ، ودعاء تردده ألسنتهم ، فأصبحت حقيقة واقعة ترمقها العيون وتحوطها القلوب ، وما أحلى الأمانى أن تحقق ، وأعذب الأحلام أن تصدق والدعوات أن تستجاب ! ! .

وما تم بإرادة الشعوب فإن الله سيباركه ويحقق الثمرات المرجوة منه ، وسيحرص عليه كل فرد منها ، ويحافظ عليه حفاظه على مصدر عزه ومبعث كرامته ، وإن واجب كل فرد فى مصر وسوريا أن يعمل على تثبيت أركان الدولة الموحدة ، وتمكين دعائمها لتحقق أهدافها ، وتؤدى الغرض منها ، ولتكون مثلا صالحا تحتذيه الأجيال القادمة فى خدمة القومية العربية والوطن العربى .

وسيذكر التاريخ فى إعزاز وفخار بطلين عربيين مجاهدين ، عملا على تحقيق الوحدة فى عزم وتضحية وإخلاص ، ولم يهدفا إلى مجد شخصى أو مغنم مادى ، ولكنهما استهدفا مجد العرب وخير العرب ، وحسبهما شهادة التاريخ وتقدير العرب .

أبو الوفا المراغى

الشعوب تؤيد الجمهورية العربية المتحدة

ولا تؤيد اتحاد الملكين

أبرق ريموندهير سفير الولايات المتحدة فى القاهرة إلى حكومته يقول :

إن الجمهورية العربية المتحدة تتمتع بتأييد الشعوب العربية لها ، فى حين أن اتحاد ملكى العراق والأردن لا يحظى بمثل هذا التأييد ، فقد أنشأه الملكان دون استفتاء شعبيهما فى أمر إقامته .

وثبـا .... نحو وحدة العرب

وكأنمـا كان عمرو بن العاص وهو يلـكز جواده بشدة لينهب الأرض نهبا حتى يجتاز (الحـدود) بين الشام ومصر ، يدفع الحواجز حتى تتطاير مع الغبار الذى أثارته سنابك الخيل » . . . .

وما كان مسير عمرو من الشام إلى مصر جديدا ، فالجمع بينهما كان هدف القوى السياسية قبل عمرو و بعد عمرو : تحتمس والإسكندر وقيصر ، ثم دول الإسلام المتعاقبة حتى بعد قيام (حكم ذاتى) فى مصر ، وأخيرا بونابرت فالاستعمار الإنجلو فرنسى للشرق العربى . .

ولـكن عمرو بن العاص وحده هو الذى حقق المعجزة . . . .

إنه لم يرفع خطوطا من الورق تمثل الحـدود فحسب ، بل أدمج الدم وأدمج اللسان حين أدمج الأرض .... إنه أجرى تحولا حضاريا وانقلابا اجتماعيا .... إنه أحال مصر قطعة من جسد العروبة الحى ، وجعل أبناءها ـ حتى غـير المسلمين ـ لا يتفاهمون بغير العربية ، ولو فى شئون الدين والمعتقدات التى كانت ـ من قبـل ـ فى كتبها المقدسة وتراتيلها وعظاتها لا تعرف الطريق للعربية ! !

لقد أراد إخناتون أن يبتـكر ديانة توحد الإقليمين فـكريا بعد أن توحدا سياسيا . . فـكانت ديانة الشمس المشرقة ، ولـكن الديانة الموحدة هزت عرشه هو فى الداخـل فتهاوى ، وانهارت معه ديانة (آتون) ... وبقيت الانقسامات التقليدية وزالت الدولة الموحدة القوية ! !

لـكن عمرو كان يحمل رسالة الذى يعلم ما تخفى الصدور ، وهو الذى سوى الأنفس وبرأ الناس .... تخالطت فطرة الرسالة فطرة القلوب (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون) !

كان عمرو يرتـكز إلى ركن الوحدة الركين : كان معه الرباط الجامع والعروة الوثق التى لا انفصام لها ، وكتب للوحدة الخلود يوم دعم قاعدتها (الفكرية الروحية) دين الخلود .

وبقى الإسلام مهوى الأفئدة هنا وهناك .... وبقى لقاء السورى والمصرى على مائدة القرآن إن عز اللقاء بالأجسام ، وتلاقى وجهاهما على قبلة البيت الحرام إن تعذرت المقابلة بأرض مصر أو بأرض الشام ، إثر الحدود التى فرقت بين الأشقاء ! !

وجاء وضع مصر الخاص فى ظل حكم محمد على وخلفائه ، ثم الاحتلال الانجليزى ، وأخيرا الاتجاه نحو الاستقلال السياسى فى حدود النزعة الإقليمية..... كل هذه كانت عوامل تفريق ، فى حين كانت اللغة لا تفتأ تحتفظ بالمجارى العميقة الغائرة التى تجمع مصر والشام تحت مظهر الانفصال السطحى ، وكان الإسلام تيارا فكريا مشتركا يتحدى الحوازات والجمارك قصاصات التمزيق الدولية : قرارات لندن ، وسايكس - بيكو ووعد بلفور ومعاهدات الصلح النهائية !

• • •

وظن المستعمر أنه يسخر من العرب ، حين أوحى بتكوين (جامعة دول) فى نهاية الحرب الماضية .... ثم ظن أنه يمعن فى السخرية حين يعرض جامعة الدول لمحك المحنة فى فلسطين .... فيخرج العرب وقد ذاقوا مرارة الهزيمة ، وأوغرت صدورهم العداوة فلا يفتأون يتراشقون بالاتهامات : من المسئول ؟؟ .

وكانت النتيجة غير ما أمل العدو ... ولو كان يخفى ما حدث لما رضى (بتمنى إسرائيل) ...

نعم ... فقد بلورت الكارثة مشاعر العرب ، وجعلت الوحدة ليست (صكا) ممنوحا لهم من عل ، ولكن تجاوبا حقيقيا وإدراكا واعيا لمصالحهم المشتركة ، وآمالهم وآلامهم القائمة ، والخطر العام المتحفز - الرابض فى قلب ديارهم .

وصار اللاجئون الذين تشتتوا بين ديار العرب ليجعل منهم الاستعمار عنوان الهوان والعار - صاروا على غير ما قدر - حافز الهمة ووقاء الزيغ ، تخص آلامهم كل من ينزع إلى دعة أو يخلد إلى دون ... وكانت المعركة كلها تعريفا بالطريق الصحيح إلى الوحدة ، وكشفا للعيوب والثغرات ، وبيانا للعراقيل والعقبات ... فالوحدة لا تتحقق خلف المكاتب الفاخرة ، وفى الأحفال الباهرة بين أهواء متنازعة متصارعة ، وإنما تتحقق

الوحدة يوم تمثل رغبات الشعوب حقيقة واقعة فى اتجـاه الدول ، ويوم تختبر هـذه الرغبات فى المحن والنكبات فتثبت فى الامتحان ...

كانت معركة فلسطين مدرسة ... وكان تشتت اللاجئون تذكارا ... وكان قيام إسرائيل نذيرا ... فانظر كيف قدر العدو نخاب التقدير !

• • •

وطوت معركة فلسطين آثار عزلة فكرية ونفسية قامت أثر تباعد العرب السياسى ردحا من الزمن ... لقد قامت الدول العربية المعاصرة تنفخ فيها روح القومية المحلية ، وغفل نفر ممن يعيشون فى القرن العشرين عن اتجاه العالم نحو التكتل ...

سمعنا عن فرعونية وأشورية وفينيقية ... رغم أن المتنقل بين العرب فى كل أرجاء عالمهم لا يسمع غير لسان العرب ، ولا يرى إلا أمة العرب ! !

أين أشور وبابل فى بغداد والبصرة والموصل ؟ أين فينيقيا فى دمشق وحمص وحلب والقدس وبيروت ؟.

أين قرطاجنة فى تونس والجزائر والرباط ؟ ؟ أين الفراعنة فى القاهرة ؟؟.

إنى لا أجد هذه (الأثريات) إلا فى المتاحف وحفريات القبور وبين الذكريات ... يرشدنى إليها ويعرفنى بها دليل عربى ، وكتاب عربى ، فى أمة عربية ! !

وسمعنا عن وحدة عالمية مرتقبة تغنى عما عداها من وحدات ... وكأن وحدة العرب نشاز فى وحدة العالم ، مع أن اندماج الوحدات الإقليمية الصغرى فى وحدة ، أكبر تقريب لتحقيق الحلم الإنسانى المنشود !

وسمعنا عن خلافات اللهجات ، وتعدد الطوائف ، ومشكلات الاقتصاد والتشريع ونسوا أن الأمة حين توجد بكيانها الأصيل ، فكل مظاهر التباين فى أجزائها سطحية غير عميقة الجذور ... كيف وعندنا العربية السليمة تجمع كل شتات ، والإسلام الحنيف ييسر حل المشكلات ! !

• • •

وكانت سوريا طليعة الرواد إلى الخير والمعروف ...

« وذلك لأن سوريا — كما هو معلوم لدى الجميع — أعرق الأقطار العربية فى الشعور بالقومية العربية ، وأكثرها تجردا عن النزعات الإقليمية ، وأشدها توقا إلى الوحدة العربية . وكانت قد أعلنت — خلال مشاورات الوحدة العربية (١٩٤٤) — على لسان ممثليها بصورة رسمية استعدادها التام للتنازل عن سيادتها فى تكوين (دولة عربية) تجمع تحت رايتها جميع شعوب الأمة العربية . . .

ولم تكتف فى دستور ١٩٥٠ بالنص على (عروبة سوريا) بل أشارت إلى (وحدة الأقطار العربية) .

(. . . ونعلن أن شعبنا الذى هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع إلى اليوم الذى تجتمع فيه أمتنا العزيزة فى دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة فى ظل الاستقلال والحرية) . وجاء فى قسم رئيس الجمهورية والنواب : (وأن أعمل على تحقيق وحدة الأقطار العربية) ... وفى شأن الجنسية : (... ويكون تسهيل خاص للمغتربين وأبنائهم وأبناء الأقطار العربية) » .

تلك شهادة الأستاذ ساطع الحصرى لموقف سوريا فى موكب وحدة العرب . . . فلا غرو أن رأينا — هذه المرة — سوريا تتبع الطلائع بالطلائع ، والبشائر بالبشائر ، من قرارات الأحزاب ثم المجلس النيابى ومجلس الوزراء ، إلى إرسال الوفود والمشاركة فى الجلسات ، إلى إهداء العلم السورى — وهو الرمز المكرم الحبيب — ليرفع على منصة الرياسة فى مجلس مصر ! .

• • •

ولسنا — ونحن فى زهو الأفراح — عن تبعات الوحدة بغافلين ...

نحن نقرأ فى التاريخ الماضى كيف قابلت ألمانيا وإيطاليا المتاعب ، ونعرف أن تبلور الوحدة واعتياد التكافل فى المغارم والمغانم ، وتقاسم الأعباء والمزايا يحتاج لعزمات الرجال . . .

ونحن نقرأ فى التاريخ المعاصر كيف طاف طائف (وحدة أوربا) بالذهن ، ثم استعمال جهودا متتابعة : منظمة سياسية تضم مجلسا وزاريا وآخر برلمانيا للاتحاد الأوربى ، فاتحاد الصناعات الأساسية التى تناثرت مراكزها ، ثم سوق مشتركة ، ومشاورات متصلة حتى لا تظهر ثلمة من جراء فرقة ، وما زالوا فى الطريق .

فنحن نعلم أن الاقتصاد السورى لا يحوى مناجم الذهب السعيدة التى سيغترف منها المصريون بالأكوام ، كما أن الاقتصاد المصرى لا يضم الكنوز التى سيبسط السوريون حجورهم ليحملوا منها بالأطنان ! ونحن نعلم أن العدو يتربص بمصر الدوائر من أجل (استراتيجيات القناة) وظروف مصر الجغرافية والمعنوية ، كما نعلم أن العدو يتربص بسوريا الدوائر وراء (استراتيجيات البترول) ! ! ونحن نعلم أن الصراع بين الكتلتين يدور ولا ينتهى ، وأن الشرق الأوسط صار من ميادينه ، ونحن اليوم بين الشد والجذب نريد عدم الانحياز . . .

فوقفنا دقيق . . . ينبغى أن نكون بنيانا مرصوصا يصمد لضغط الأخطار من الخارج ، ويتغلب على ضغط الأهواء فى الداخل ، ينبغى أن نجح فى أن (نضبط) أنفسنا ، ونضبط قوانا الاقتصادية والتنظيمية والدفاعية على السواء . . . ينبغى ألا نتجه لغير العمل والواجب ، وحينئذ نسلم من عدونا ونضاعف إنتاجنا .

• • •

ثم وافتنا الأنباء عن اتحاد جديد بين الأردن والعراق . . .

وللرئيس بورقيبة أمنية فى اتحاد عربى لشمال إفريقيا يضم تونس والجزائر ومراكش وليبيا أيضا إذا أمكن ، وليس فى هذا الاتحاد أوذاك إلا بادرة الخير ، فإن تزحزح الحواجز المصطنعة لن يقف فلندعها تنحسر ولو بالتدريج !

ولن يغطى الخلاف السياسى الطارئ لبعض الوقت فى جيل من الأجيال ، على تقدير خطوة تؤكد مستقبلا أفضل لأمة العرب على مدى الأجيال !

إن اتحاد الملايو خطوة نحو خير المسلمين لو أحسنوا الإفادة منها ، وإن نشأ هذا الاتحاد فى كنف (الكومنولث) ، وكذلك اتحاد (محميات الخليج) لو نشأ ـ أو أريد له أن ينشأ ـ كلها خطوات نحو الأمل المرموق ، مهما كانت الأيدى التى تصنع والأهداف التى تقصد ! !

وراء الأيدى يد القدر ، وأمام الهدف المصنوع هدف مطبوع على صفحات القلوب . . .

ولنذكر جميعا أن (كندا) التى استبقتها بريطانيا فى إطار روابطها ، ما فتئت تتحرر تدريجيا من هذه الروابط ، وهى اليوم أقرب إلى (الولايات المتحدة) جارتها وشقيقتها

منها إلى بريطانيا التى يضمها وإياها (الكومنولث)! ومركزها السياسى والاقتصادى قد يفوق مركز بريطانيا نفسها فى كثير من الجوانب والأطراف.

* * *

هكذا يعود التاريخ إلى مجراه...

وتضم دولة واحدة (المسجد العتيق: مسجد عمرو) بالقاهرة والمسجد الأموى فى دمشق... بعد أن جمعتهما قبلة واحدة ويتعاون (الأزهر) مع (الكلية الشرعية)...

تحية من مصر إلى دعاة الحركة العربية من العرب الأحياء الذين يشهدون معنا عيد العرب:

تحية إلى الرئيسين جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى، وإلى السادة صبرى العسلى وصلاح البيطار وإحسان الجابرى، والسيدين اللذين يعملان فى جد وصمت محمود فوزى وعلى صبرى، وتحية إلى محب الدين الخطيب وساطع الحصرى، وما أكثر ما دافعا عن العروبة وبصرا العرب فهما مثال (لمفكرى) القومية العربية الرواد، الذين ما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا...

ثم تحية إلى ربوع الأرض المقدسة التى بارك الله حولها... تحية إلى شهداء فلسطين وإلى أحياء فلسطين...

وأخيرا: تحية لكل خطوة نحو الوحدة فى كل ديار العرب.

وإلى الإسلام جميعا: نعمق به وحدتنا، ونوثق عروتنا، ونؤكد قبلتنا، ونقيم شرعتنا، ونذيع فى العالم رسالتنا، لننهض بالأمانة الملقاة على عاتقنا:

«وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون».

فتحى عثمان

«تهنئة»

نجح المواطن العربى الحر عبد الحميد السراج، فى امتحان القومية العربية، بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وسقط الممتحنون، فنهنئه.

عن المجلة

ابراهيم محمد الأصيل

وحدة مصر وسوريا

أمل تحقق بعد طول كفاح ... فى وحدة كانت منى الأرواح
صار البشير بها لأمة يعرب ... مستبشرا فى نشوة المفراح
متهلل القسمات يشرق وجهه ... مثل الغزالة فى النهار الضاحى
وبصوته الرنان أعلن وحدة ... سر الصديق بها وغص اللاحى
نبأ سرى بين الربوع كما سرى ... نفح الشذى بأريجه الفواح
طربت له أبناء يعرب كلها ... واستقبلته ببهجة الأفراح
واستبشر القدس الشريف وكبر الـ ... ـبيت العتيق مهللا (بصلاح)[١]
وشدت بلابل فى الرياض تهز أعـ ... ـطاف الغصون الزهر فى الأدواح
فكأنما أغصان كل نخيلة ... تصغى لصوت الطائر الصيداح [٢]
وتردد الإنشاد خلف طيورها ... فى هزة وتمايل وصياح
إن الطيور شدت لفرحة يعرب ... طربا بكل عشية وصباح
المطربون بصوتهم وبنايهم ... وبعودهم فاقوا على الصداح
ما أعذب الأنغام إن هى رددت ... فى السمع صوت المطرب المصداح
يتلو نشيد الظافرين مرجعا ... لحن الورق بغدوة ورواح
لحن يروى الظامئين بسلسل ... متدفق حلو المذاق قراح

• • •

قل للزمان اليوم سجل وحدة ... للعرب تم قيامها بنجاح
الله رائدها إلى غاياتها ... والروح ظللها بظل جناح
و(محمد) والصحب فى طرب بما ... قد حقق الرحمن من إنجاح
والعرب تهتف فى البلاد بفرحة ... قد بددت ما كان من أتراح
والنيل صفق كالطروب مهنئا ... (بردى) بفيض بيانه الوضاح

---

[١] صلاح بفتح الصاد وكسر الحاء اسم لمكة المكرمة .
[٢] الصيداح والصداح بمعنى .

وتبسمت فى الشام أزهار الربا ... وافتر فى الوادى ثغور أقاح
لم لا تشاطرنا الطبيعة حبرة ... هى من أجل منائح المناح ؟

• • •

مصر وسوريا وحدتهم دولة ... كبرى بناها فالق الإصباح
جمعتهمو لغة الكتاب وشرعة ... تدعو إلى التوحيد والإصلاح
وأرومة لفت كريم عروقهم ... فى سادة شم الأنوف صباح
لما دعا داعى الوفاق لوحدة ... لبوا وما سمعوا مقالة لاح
وسعوا لتطهير القلوب وأخلصوا ... لله ، قبل تصافح بالراح
وتعاونوا فى صل كل سخيمة ... وذهاب أضغان ، ورم جراح
وبنوا على الإخلاص أعظم دولة ... قامت بأيدى مصلحين سماح
كفل الإله لها البقاء على مدى الـ ... أيام خالدة بغير براح
ما كان بدعا وحدة عربية ... أوحى بها لصلاح يعرب واح
هى وحدة الأهداف والغايات والـ ... لغة التى زانت بيان فصاح
إن الثقافة والمصالح لم تزل ... تهفو بأرواح إلى أرواح

• • •

لله وحدة إخوة لبوا بها ... صوت الضمير الناصح الملحاح
ستعيد للعرب الكرام مكانة ... فوق المجرة فى مدار براح [١]
وتعز أوطان العروبة بالظبا ... وأسنة مسنونة ، ورماح
من نال الاستقلال كان عليه أن ... يحمى حماه بهمة الطحطاح [٢]
الحق فى هذا الزمان مضعضع ... إن لم يعز بقوة وسلاح
إن التجارب كلها قد أثبتت ... ألا بقاء لنا بغير كفاح
والعرب ما ظفروا ببعض حقوقهم ... إلا بحد صوارم وصفاح
صمدوا ففازوا بالتحرر بعد ما ... طردوا الغزاة بقوة المجتاح

---

[١] براح بفتح الباء وكسر الحاء اسم الشمس .

[٢] الطحطاح من أسماء الأسد .

قد حققوا استقلال بعض بلادهم بنضـال حر باسل نضـاح

• • •

يأيهـا العرب الأباة توثبوا في البر ، والأجواء ، والفياح [١]
فعلى الدماء ضريبة قد أوجبت تقديم أنفسكم لأشرف ساح [٢]
بيعوا الحيـاة إذا دعا داعى الفدا والبذل للأوطان بيع سمـاح
لا ترهبوا الأعداء إن هم هددوا ما يرهب الآساد صوت نبـاح
لا تخشوا الموت الزؤام فإنما الـــأعمار قد حددن فى الألواح
لا تتركوا حمل السلاح وأرهبوا جيش العدو بصـارم جراح
أجنـاد الاستعمار ما زالت على أوطاننـا فى عاص وبراح
هذى الجزائر ما تزال تحارب الـــأعـداء فوق أريضة وقراح
و (عمان) فى حرب عوان دوخت فيهـا العدا ببـاسـب وبطـاح
لو أنصف العرب الأباة لوحدوا كل القوى ، وتفاهموا بصراح
وقضوا على أعـدائهم فى وثبة تجتاحهم بالجحفــل الطواح
إن التخاذل والتقاطع بينهم ترك العروبة فى مهب رياح
والله لا يرضى التفرق بعد ما جاء الحنيف بنـوره الوضاح

• • •

قل للذين تخلفوا عن وحـدة والله ما هــذا لـكم بمباح
الله يأمركم بجمع شتاتـكم والدين يطلب ذاك فى إلحاح
وكتابكم يدعو لترك تنـازع ويهيب بالتوحيد فى إفصـاح
عودوا إلى هدى الكتاب فانه ما جاءكم بتقاطع وشبـاح [٣]
أبنى العروبة تلك أسعد فرصة سنحت بضم صفوفكم وصفاح [٤]

---

[١] الفياح : البحر الواسع .
[٢] الساح جمع ساحة .
[٣] الشباح بكسر الشين الاعراض .
[٤] الصفاح بكسر الصاد مصدر صافح .

من لى بأن تصغوا لنصحى مخلصا ... فى وحدة تدعو إلى الإصلاح
بالله لا تهنوا ولا تتنازعوا ... يوما نتذهب ريحكم كرياح
لا تتركوا وطن العروبة نهبة ... للشاهبين له ، وللنزاح
ولكم (بأندلس) مواعظ لم تزل ... تبكى العيون لرزئها الفداح
كانت بها للمسلمين ممالك ... قد ضيعت بتفرق وتلاح
لم يبق للاسلام فيها غير ما ... تركته من حزن لنا ونواح
وخذوا تجارب من (فلسطين) التى ... قد أثخنت أبناؤها بجراح
وطن العروبة فى فلسطين غدا ... بنى (يهود) مجللا بقباح
عاثوا به مثل الذئاب فصيروا الـ ... ـأجمات مفسقة لكل إباحى
فمتى أرى تلك العصابة شردت ... وعماهمو بسيوف يعرب ماح ؟ !

• • •

أبنى العروبة فتحوا آذانكم ... لسماح نصح الحاذق النصاح
مصر وسوريا قد دعتكم دعوة ... للحق ، فاستبقوا بغير جماح
ذكرا مجادتكم وملك (أمية) ... بالشام فوق ممالك ونواح
وضع الأساس له (معاوية) الذى ... ساس الشعوب بحكمة وسماح
قد مد سلطان العروبة واسعا ... فى المشرقين على قرى وضواح
وتذكرا (بغداد) وهى مدينة ... شمت بنور العلم كالمصباح
نشرت بأيام (الرشيد) وشبله (الـ ... ـمأمون) للاسلام خير وشاح
وبنت حضارتها على أسس غدت ... لحضارة الأجيال كالمفتاح
وبجيشها الجرار كالآساد قد ... غلبت على دول عظمن فساح
وتدارسا عصر الفواطم زاهرا ... فى (مصر) بين توثب وطماح
بيد (المعز) بنو لمصر دولة ... عظمى بهمة قائد فتاح
وبنوا لها (المعمور) فيه أئمة ... بالعلم والعرفان غير شحاح
فاضت على الآفاق منه مناهل ... فياضة كالصيب السحاح
وحمى الحنيف لمن يعز بدينه ... وكتابه ، والضاد للفصاح
واليوم ناداكم بصوت ناصح ... لله ، فاستمعوا نداء الواحى
لا تخذلوا إخوانكم فى مصر أو ... فى الشام إن دعيا إلى إصلاح

فيهم (صلاح الدين) قام يذود عن ... قـدس الحمى بعرمرم مجتاح
وفدت عليه جيوش الاستعمار فى ... زى الهـداة عن الصليب تلاحى
زعمـا وما كان الصليب مهاجما ... بل فيه دين محبة وسماح
وأخو الحنيفة لا يروع آمنا ... فى سربه ، بأمنة وصلاح
لـكنهم جعلوه دين تعصب ... أعمى يسوق الناس بالمطواح [1]
لم يبق فى قوس التصبر منزع ... عند ابن (أيوب) الفتى الصفاح
فأعد جيشا للدفاع تخاله ... جند الإله يذود جيش (سجاح)
يحمى شريعته ويدفع خصمه ... بكتيبة مثل الأسود رداح
طرد الغـزاة عن البلاد كأنهم ... خبث الغثاء أمام سيل جلاح [2]
خرجوا جميعا والصغار يحفهم ... والخزى عند هزيمة الجماح
والغرب أصبح بعدها فى مأتم ... والقبط والإسـلام فى أفراح

* * *

اليوم والتاريخ يرجع نفسه ... سترى (جمالا) فى مكان (صلاح)
سيعيد عز المسلمين ومجدهم ... بجنوده الأبطال ، يوم فياح [3]
فهو الذى أجلى الغزاة عن الحمى ... وبنى لمصر قواعد الإصلاح
وأشاع فى كل المرافق نهضة ... عظمى تبشر مصر بالأرباح
بعثت عزيمته الكنانة بعدما ... دفنت وراء الترب والصفاح [4]
فكأنما أحيا المسيح رفاتها ... فسرت به الأرواح فى الأشباح
والخير مقرون بيمن الـبطل الرئيس ووجهه الوضاح [5]
أقسمت ما امتعضت بمصر أزمة ... إلا رأت حلا من الفتاح
فاستبشروا يا عرب بالـمقدام ، والهمام ، والنفاع ، والنفاح

---

[١] المطواح : العصا .
[٢] سيل جلاح هو الذى لا يبقى أمامه شيئا .
[٣] فياح بفتح الفاء وكسر الحاء اسم للغارة .
[٤] الصفاح الحجارة العريضة .
[٥] الوضاح : البسام .

إن الذى اختارت عناية ربكم سيكون للظلماء نور لياح [١]
ليل الخطوب قد انجلى وبدا لنا الـ ـفجر الوليد بسيد جحجاح [٢]
عرف الذى قد ضاع من أمجادنا فرنا بطرف للعلى طماح
بطل رأى (القوتلى) فيه قوة فى عزمه، وذكائه اللماح [٣]
وأ ح مولاه له ما لم يكن يوما لأعظم قائد بمتاح
يمضى إلى غاياته فى عزمة تحكى عزيمة بيهس [٤] نضاح
ثبت الجنان محنك مستيقظ فطن لبيب، للمكايد ماح
اختاره (شكرى) لأنبل غاية ووجا (ليعرب) فيه كل فلاح
أديت يا (شكرى) الأمانة حينما بيد الأمين وضعتها يا صاح
سيظل ما أديت مقروءا على سمع الزمان بألسن الإفصاح
ويدوم ذكرك فى العروبة هاديا كالنيرات الزهر فى الإيضاح

* * *

لله تضحية (لشكرى) ذكرت (بابن الوليد) القائد الفتاح
فى وقعة (اليرموك) ضحى مؤثرا لله، لم يركب هوى الجماح [٥]
ترك القيادة (خالد) متنازلا لأبى عبيدة عامر الجراح
وأطاع أمر ضميره وأميره وعلى المحيا فرحة المرتاح
وانضم جنديا يعاون قائدا بحسامه، ونصيحة النصاح
والمؤمن الأواب ينكر ذاته إن عاد ذاك لقومه برباح [٦]
هـذا هو الإسلام فى تعليمه لا يبتغى فى الحكم غير صلاح

محمد مختار سليمان بربر
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] اللياح: الصبح.
[٢] الجحجاح: الصبح.
[٣] اللماح: اللماع.
[٤] البيهس من أسماء الأسد.
[٥] الجماح: صيغة مبالغة من جمح.
[٦] الرباح: الربح.

كلمـــــة

عن تاريخ اليمن وأطوارها

لمناسبة مولد الجمهورية العربية المتحدة وما تبع ذلك من اتجاه كريم للدول العربية المتحررة للانضمام إلى هذه الجمهورية المتحدة، إما بالوحدة أو اتحاد فيدرالى، وفى مقدمة الدول العربية التى أعلنت عن هـذه الرغبة مملكة اليمن ؛ لذلك نعرض ولو بقدر لقراء مجلة الأزهر لتاريخ اليمن القديم وأدوار حياتها وأطوار وجودها التى مرت بها من أقدم العصور إلى يومنا الراهن . حين يعرض للناس الكلام عن الحضارة العربية أو أثر جزيرة العرب فى التقدم الإنسانى ، تنصرف بداءة الناس فى الأعم الأغلب إلى العصر الذى انبلج فيه نور الإسـلام ، فطهر قلوب العرب وآخى بين عقائدهم . فخرجوا يفتحون الأمصار وأنشأوا دولتهم العظيمة .

ولكن قبل مولد النبى العربى بأكثر من ١٥٠٠ عام ، كانت هناك فى بلاد العرب حضارة عتيدة لا تقل عن الحضارات الأخرى فى بلاد الشرق، وما زالت بقايا هذه الحضارة قائمة فى بعض جهات اليمن ، فمعابد المعينيين وآثارهم الأخرى التى بنيت فى القرن الثامن قبل الميلاد، ما زالت تطاول السماء فى أسوارها الضخمة، وأعمدتها المرتفعة، كما نقش سكان اليمن القدماء على جدران بعض معابدهم، وعلى لوحات من الحجر والنحاس بعض أخبارهم، فأصبحنا نعرف الكثير عنهم . وليس القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو مبدأ ظهور الحضارة فى اليمن ، ولكنه تاريخ محـدد معروف ، ولا شك فى أن بدء ازدهار الحضارة فى تلك البلاد يعود إلى عصر أقدم من هـذا العصر ببضع مئات من السنين أو أكثر من ذلك . كما أن صلة اليمن بالبلاد المجاورة لها يرجع إلى آلاف السنين ، ولا يخالجنا شك فى أن دراسة آثار اليمن بعد حفر مناطقها الأثرية . سيلقى كثيرا من الضوء ليس على تاريخ هذه الجزيرة فحسب ، بل سيوضح لنا الكثير عن صلة الحضارات القديمة بعضها ببعض ، والدور الذى لعبه قدماء اليمنيين فى تاريخ حضارة الشرق .

أقدم الصلات بين اليمن وغيرها من البلاد :

نعرف من الآثار المصرية أن المصريين القدماء كانوا يقومون منذ فجر تاريخهم برحلات بحرية فى البحر الأحمر لإحضار البخور المشهور فى بلاد اليمن ، وأشياء أخرى من بلاد بونت ، وهى البلاد الواقعة حول بوغاز باب المندب على الشاطئين الآسيوى والإفريقى أى بلاد الصومال ، وجنوب اليمن وحضرموت .

وقد كثرت هذه الرحلات منذ ألف عام قبل الميلاد ، واستمرت حتى آخر أيام الحضارة المصرية ، وأشهر هذه الرحلات هى الأسطول الكبير الذى أرسلته الملكة المصرية الفرعونية « حتشبسوت » فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وعاد محملا بخيرات تلك البلاد كما عاد أيضا ومعه أشجار البخور لغرسها فى معبد الإله آمون . وقد نقش النقاشون المصريون على جدران معبد هذه الملكة فى البر الغربى بالأقصر « وهو المعروف باسم معبد الدير البحرى » تفاصيل هذه الحملة وخيرات بلاد بونت ورسموا بعض بيوتها وحيواناتها وأهلها وأسماك البحر الأحمر .

ومما تجب الإشارة إليه أن الصلات التجارية بين مصر واليمن ، لم تقتصر على مدن الشاطئ بل وجدت طريقها إلى داخل البلاد . وفى اليمن آثار مصرية أهمها جعران من عهد الملك « أمينوفيس الثالث » ، من الأسرة الثالثة عشرة المصرية فى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وبعض آثار مصرية أخرى يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد .

ولكن هناك ما هو أوثق من هذه الصلات التجارية . فقد عرف قدماء المصريين أن بعض أجدادهم أتوا من طريق « قفط القصير » ، كما أنهم يزعمون أن بعض معبوداتهم بينه وبين بلاد العرب صلة .

وكما اتصلت بلاد اليمن بمصر . فقد اتصلت بمهد الحضارات الأخرى فى ألوان شتى . وقد ورد على آثار السوميريين منذ عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد إشارات إلى الصلة بينها وبين الجزيرة العربية .

وفى أخبار الملك « تجلات بلاسر الثالث » حوالى عام ٧٣٦ قبل الميلاد أنه أخذ من أهل سبأ جزية من الذهب والبخور والجمال .

أما صلة اليمن بالشاطئ الإفريقي فلابد أنها بدأت منذ أقدم عصور التاريخ . وتركت القبائل اليمنية على الشاطئ الإفريقي وأحيانا داخل البلاد أثرا لا يمحى من حضارتها وثقافتها منذ آلاف السنين إلى اليوم . وأهل يكسوم القدماء ليسوا فى الأصل إلا بعض من هاجر من اليمن إلى بلاد الحبشة .

ذكر حضارة اليمن فى الكتب المقدسة :

يتبين من القرآن الكريم ومن التوراة بجلاء ، المدى البعيد الذى وصلت إليه حضارة اليمن . وحسبنا الإشارة إلى قصة النبي سليمان وملكة سبأ . ووصف مملكتها وعرشها لإدراك ما كانت عليه اليمن حوالى عام ألف قبل الميلاد .

وجميع هذه الأطوار المختلفة يشير إليها الكتاب المنزل فى سورة سبأ ، كما ورد ذكر ممالك معين وسبأ فى التوراة وفى كتب الأنبياء .

وحسب المرء أن يدرك من بين هذه الإشارات ما كانت عليه اليمن من حضارة ، وما كان فى أيدى بنيها من سيطرة على الاقتصاد الشرق القديم ، وذلك قبل سطوع نور الإسلام بأكثر من ١٢٠٠ سنة .

علاقة اليمن بالرومان واليونان :

ولم تخل كتب مؤرخى اليونان والرومان من ذكر الجزيرة العربية « اليمن » وذكر المعينيين والسبئيين والحميريين وذكر تجارة العطور والبخور التى كانت رائجة فى أيدى أبناء اليمن ، واتخذوا منها تسويقا لتجارتهم عادت على أبناء البلاد بأبرك الثمرات وأطيب الفوائد . ولم يكن مسموحا للسفن الهندية أن تجتاز ميناء عدن يومئذ . فكانت مضطرة إلى أن تبيع أحمالها إلى تجار اليمن الذين كانوا ينقلونها بقوافلهم إلى أسواق الشام ، مجتازين تلك الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . ومن غزة تأخذ طريقها شرقا إلى بابل ، أو غربا إلى مصر ومنها إلى أوروبا . وتعود قوافل اليمنيين من الشام محملة بكل ما يجدونه فى أسواقها فيبيعونها مرة أخرى لسكان الجزيرة أو إلى غيرهم من التجار .

أما حضارة اليمن الإسلامية المشرقة فى عهدها الأخير ، وما عرض لها من تطورات تبعث على الفخر والإعجاب والزهو والإطناب بنهضاتها المختلفة ، وما شاع فيها من النخوة العربية والحمية الإسلامية الكاملة ، وما ربط بينها وبين البلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب العربى ، فموعدنا بإيفاء كل ذلك حقه فى فرصة مواتية .

عباس طه

شيخ الجامع الأزهر

يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه صباح الاثنين خامس شعبان (٢٤/٢/١٩٥٨) وفد علماء يوغوسلافيا برياسة الحاج سليمان كيموزا رئيس الجامعة الإسلامية اليوغوسلافية ، وعضوية السيد / بدرى عبد الحميد رئيس مجلس علماء مقدونيا ، والسيد / بيرم أغافى رئيس مجلس علماء صربيا ، والسيد / الحاج مصطفى شوا عضو مجلس علماء البوسنة والهرسك ، والسيد / جودت ظالكا عضو هيئة علماء المسلمين فى سراى بوسنة . وكان الحديث يدور حول أحوال المسلمين فى يوغوسلافيا واهتمامهم بأخبار العرب ، لأن قوتهم قوة للإسلام ، وسرورهم بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتقديرهم للأزهر فى نشر رسالة الإسلام فى جميع بقاع الأرض .

وقد أكد لهم الأستاذ الأكبر أن الإسلام هو دين الوحدة التى لا تعرف التفرقة والعنصرية ، وأن قوة المسلمين فى اعتصامهم بكتاب الله ، والتفافهم حول كلمة الحق ، كما ذكر لهم استعداد الأزهر لتلقى طلاب العلم من جميع أرجاء العالم ، وتيسير وسائل الراحة لهم ، واستعداده لإرسال البعوث الأزهرية إلى من هم فى حاجة إلى تعلم الدين والتزود من ثقافته .

وقد ألح الوفد فى طلب تشريف الأستاذ الأكبر لبلادهم بالزيارة ، لأن مليونين من المسلمين هناك فى أشد الشوق لمقابلة شيخ الجامع الأزهر الذى أفاد من ثقافته المسلمون فى الشرق والغرب ، فوعدهم فضيلته بهذه الزيارة عند ما تسمح الظروف ، وقد أهداهم فضيلته بعض المصاحف والكتب الدينية ومجموعات من مجلة الأزهر .

حفل كريم

وجه سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ، الدعوة إلى الأزهر والهيئات المختلفة ، للاشتراك فى تكريم السادة علماء يوغوسلافيا ، فى حفل زاهر ، أتيح فيه التعرف والاطمئنان على أحوال مسلمى يوغوسلافيا ؛ مما يزيد العلاقات الودية بين جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية واتحاد الدول العربية قوة وازدهارا .

وأسرة تحرير المجلة تتوجه بالشكر الوافر إلى سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية على دعوته الكريمة لها بحضور الحفل ، وتشيد بالرفاهية والسعادة التى يعيش فيها مسلمو يوغوسلافيا مع مواطنيهم ، بزعامة رجل السلام والحياد الرئيس تيتو العظيم .

« فلتنقذوا جميـــــلة »

باسم الله الرحمن الرحيم
باسم الله العـــادل الحكيم

السيد داج همرشولد سكرتير الأمم المتحدة، باسم الأحرار فى كل مكان ، باسم النضال المقدس من أجل السلام ، باسم كفاح البشرية الطويل المرير ، لتدعيم المعانى الإنسانية والقيم الأخلاقية ، باسم الأزهر أقدم جامعات العـالم .

نناشدكم

الإسراع فورا لإنقـاذ « جميــــــــــــــلة »

توقيعـــــــــــــــــات

(شيخ الجـامع الأزهر) (وكيل الجـامع الأزهر) (سكرتير الجـامع الأزهر)
(أعضاء جماعة كبار العلمـاء) (شيوخ وأساتذة وطلاب الـكليات والمعاهد الدينية)

الاستاذ الاكبر يهنىء السيد الرئيس جمال عبد الناصر

السيد الرئيس جمـال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة — دمشق

باسم الأزهر أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنئة على الخطـاب الوطنى الرائع الذى كشفتم فيه مؤامرة أعداء الوحدة العربية ، التى جاهدتم أنتم وفخامة الرئيس شكرى القوتلى ورجالات العرب الأحرار لتحقيقها ، وأحيى جيش الجمهورية فى شخص الضابط المخلص (عبد الحميد السراج) ، الذى ضرب المثـل الأعلى فى الشرف والـكرامة والتضحية بكل العروض والمغريات فى سبيل مجد العروبة ، وتقوية أركان الجمهورية المتحدة .

حقق الله على يديكم الآمال ، وأدام لـكم التوفيق والسداد .

شيخ الجـامع الأزهر

السيد الرئيس جمـال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة — دمشق

بمناسبة إعلان الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة أتقدم لسيادتكم والشعب العربى بأخلص التهانى بهـذا التوفيق العظيم فى دعم الوحـدة العربية ، وبناء الحيـاة الدستورية على أسس قومية سليمة ، ترد للشعب اعتباره ، وتكفل له حريته وحقوقه ، وتسير به فى خطا آمنة إلى المجد والعزة والسيادة .

فالى الإمام يا قائد العروبة ، تحرصك عناية الله ويفديك جندك المخلصون .

شيخ الجـامع الأزهر

تعليقات

مهاجمة الدكتور عبد العزيز القوصى لبرامج الدراسة فى الأزهر

مما قاله الدكتور مستشار التربية والتعليم - فيما نشرته الأهرام يوم ١٩٥٨/٣/١ - : مناهج الدراسة بالأزهر لا تتصل بالحياة الواقعية -

١ - وهذا الكلام وما يرادفه ، تجديد لدعوة سابقة إلى - الخطوة الثانية - وإلحاح من المجددين المتأمركين فى التخلص من الدراسة الإسلامية ، والاكتفاء عنها بما تقدمه المؤسسات اليهودية الأمريكية ، ويترجمة لنا القوصى ، وينشره فى الجمهورية العربية المتحدة بنفوذه ، وعنوانه ، كمستشار للوزارة ، ورائد للثقافة المعاصرة .

وهو ينشره باسم الثقافة ، والتربية ، والعلم ، وما إلى هذا من الألفاظ الخادعة ، وليست من هذا فى قليل .

وكأن الأستاذ القوصى المستشار - والمستشار أمين .. والرائد - والرائد لا يكذب - كأنه بعد أن فرغ من إصلاح التربية فى وزارة التربية ، وبعد أن ركز التعليم فى المدارس كلها على كتب - شرشر ، وفرفر ، وبربر - تطوع بالاتجاه نحو الأزهر ليشغل فراغ نفسه بما كتب ، وبما اقترح .

وكأنه بالخوض فى سياسة الأزهر يتم رسالة موكولة إليه ، وينفذ خطة وضعت له .. والرجل تحت هـذه الأعباء كلها نسى أمورا ألصق به مما تعرض له ، ونسى ورطة هو واقع فيها قبل أن يتورط فى شأن الأزهر : مما لا يتصل به كموظف ، ومما لم يسأل عنه كمستشار لغير الأزهر - بل مستشار غير ناجح فيما يخصه .

٢ - القوصى المستشار الفنى للتعليم تلقى ضربات قاسية فى تقارير ديوان الموظفين وتقارير وزارة الخارجية عن هبوط المستوى العلمى ، وضعف المتخرجين فى الكليات

الجامعية . . وتعليل هذا فيما ذكرته التقارير فشل التعليم الأساسي في المدارس التي تعتبر مصدر التموين للجامعات، ومع هذه الملاحظات المريرة يفهم المستشار أنه فرغ من عمله ، ونجح فيه ، فلا بأس أن يفيض على الأزهر بشيء من كفايته ، ولو لم تكن له صلة ، ولا خبرة بما لدى الأزهر من ثقافة وكتب .

٣ — القوصي الرائد للثقافة يتكفل بترجمة كتب أمريكية ، تقوم بنشرها مؤسسة تدعى ـ مؤسسة فرنكلن ـ وهذه كتب خبيثة غاية الخبث في إفساد النشء ، ودفعهم إلى المجون ، وانتزاع الحياء من وجوههم ، وإغرائهم بالعدوان على الأعراض ولو في الطرقات العامة ، وتزعم هذه الكتب أن الإقدام على هذه المحارم شجاعة ، والتخلف عنها جبن ، وهكذا مما يطول الحديث عنه ، والقوصي بترجمته لهذه المفاحش ، وبترويجه لها ، وتيسيرها على الشباب يعتبر نفسه مجاريا للحياة الواقعية ، أما الأزهر فآخذ بكتب قديمة، فيها ماينقض هذه المزاعم ، وفيها مايحول بين الناس ـ وخاصة الشباب ـ وبين هذه المآثم الإجرامية ، وفيها تثقيف صحيح للدين والدنيا . . . ومادامت مؤسسة فرنكلن تغدق الدولارات وتملأ بها جيوب دعاتها فوجب على المستطيع أن يكون وفيا لها ، وطاعنا على الأزهر بما يسميه الحياة الواقعية ، وهي في الحق واقعية أولئك الوجوديين الذين يتنصلون من العقيدة في الله ، ومن التدين بصفة عامة ، ويؤمنون بما يحسونه فقط ، ويعملون بما يشتهون ، وإن قام هذا الاتجاه على نقض الأخلاق وهدم القيم .

٤ — لم يطلب الأزهر من المستشار إبداء رأيه في شيء ما .

ومستشار لغير الأزهر لا يملك التدخل فيه من تلقاء نفسه ، ولديه منفذ يتيح له أن يتقدم بما يراه إن صح أن له رأيا ينصح به .

وهو أنه عضو في المجلس الأعلى للأزهر ، فله أن يتقدم بمشروعه إلى هيئة المجلس ليأخذ نصيبه من البحث قبل الإعلان ، كما هو الشأن في موقف العضو من الجماعة ، ولو كان عضوا في عصابة .

ولكن المستشار تجاوز واجبه الواضح ، واقتحم الصحافة بجفاء ، ورمى الأزهر بحجر طائش ، لم يمس الأزهر ، بل ارتد إلى جبين صاحبه على غير توقع منه لذلك .

٥ — هناك دوافع ورغبات، استبدت بتفكير المستشار الرائد ،وحملته على الخوض في شأن غير مهضوم عنده ، ولو أنصف الرجل نفسه لتحرى قبل أن يكتب ، حتى

لا يكشف للناس عن سقطته : وهو رائدهم فى مجال الثقافة كما يقال ، بل لو تحرى وأنصف لأشاد بنجاح الأزهر فى رسالته أضعاف ما نجحت جهات أخرى ، فيها دكاترة كثيرون من غراس العصر الدنلوبى الانجليزى ، ولا يزالون على ذلك الطراز يعيشون فى مصر بعقول انجليزية ، ويفقهون بمدارك مضطربة غير شرقية ، ويقلدون الاستعمار فى خروجه علينا بتوجيهات تفسد قوميتنا ، وتنقض أخلاقنا ، وتنتزعنا من نطاق التدين ، لتدفع بنا إلى إباحية مطلقة ، وتقصينا عن تقاليد كريمة ، هى طابع القومية العربية ، التى رسمها الإسلام قديما ، والتى طغت عليها عوادى الزمن ، حتى أفقنا أخيرا من غفلتنا ، وسمعنا الثورة تنادى بها ، وتسير حثيثا إلى تجديدها ، والاستظلال بعرشها ، والاستمداد من روحها وحيويتها ، وتلك هى القومية التى عاش الأزهر حارسا لتراثها .

٦ — شنع المستشار على ثقافة الأزهر ، وعلى مناهجه ، وكتبه القديمة التاريخ ، وعلى ألفية بن مالك فى النحو وطريقة حفظها الخ وأنا لا أقسو عليه كما قسا على الأزهر المظلوم وإن كان البادى أظلم .

بل أؤكد له أن فى الأزهر مناهج حديثة ، تحوى طائفة جمة من المواد ، يعجبه أن يراها فى الأزهر قبل أن يكون هو مستشارا بزمن .

فى الأزهر مراقبة فنية تشرف على علوم الرياضة ، ومراقبة أخرى تشرف على الآداب وكلتا المراقبتين من رجال فنيين ، اختارهم الأزهر من وزارة التربية والتعليم منذ عشرات السنين ، وفى الأزهر علوم التربية الوطنية ، والتربية الفنية ، ولغات أجنبية منها الانجليزية ـ كما يحب المستشار الفنى ـ ومنها الفرنسية والألمانية ولغات أخرى ، وفى الأزهر قسم للدراسات الاجتماعية ، وفى الأزهر ثقافة عسكرية إجبارية ، وفيه نشاط رياضى ، وثقافى وكل هذه الجوانب تحت إشراف الإخصائيين من رجال التربية ، ووزارتى الشئون والدفاع .

وقد بدا نشاط الأزهريين فى أسبوع الشباب الجامعى فأحرزوا ميداليات التقدير والشرف ، وإن لم يعرف ذلك المستشار ؟ .

وبدا نشاط الأزهر فى معرض الرسم المقام منذ عشرين يوما ، وزاره السيد وزير التربية ، وسجل فيه كتابة شهادته الحقة بقوة إبداع الأزهريين فيما عرضوه ، كما شهد به سفير أمريكا ، واقترح أن ينتقل المعرض الأزهرى من قطر إلى قطر لو أمكن .

٧ — وفى الأزهر طبعا دراسة إسـلامية هى وثيقة الإخاء بين أبناء العروبة ، وهى المزاج السماوى الذى جعـل المسلمين أينما كانوا كتلة واحدة ، يعبر عنها بالعرب ، أو بالقومية العربية دون نظر إلى لون ، أو لغة ، أو إقليم (إنمـا المؤمنون إخوة) .

هـــذه الدراسة يا دكتور قوصى يجب ويجب ويجب أن تتغلغل فى المـدارس والجامعات حتى تأخـذ حظها من النفوس ، وحتى تنهض عليهـا القومية العربية التى كلفت نفسك توجيهنا إليها فى حديثك ، والتى يفهمها الأزهر أكثر ممـا يفهمها غيره ، ويجب ويجب أن تبذل أنت نشاطك فى الدعاية لها أضعاف ما تبذل فى خدمة الـكتب الأمريكية إن كنت جادا فيما تقـول : وكنت وفيا بأمانة المستشار فى جمهوريتنا العربية المتحدة ! .

٨ — والأزهر يؤدى رسالته فى الوعظ والإرشاد على أحسن وجه يكفل إصلاح المجتمع خلقيا ، ودينيا ، واجتماعيا ، ممـا لا تستطيع الثقافة المدنية أن تقوم بشىء منه ، بل مما تحتاج الثقافة المدنية أن تقتبس منه لنفسها نصيبا كبيرا .

٩ — يا دكتور قوصى ! ! غضبت : لأن مجـلة الأزهر اعترضت على نشاطك الأمريكى الدبلوبى ، ولأن واحدا من رجال الأزهر كشف عن مساوئ التعليم المدرسى والجامعى فى محاضرة عامة ، فقمت تثأر وتقول : كذا وكذا مما دسه عليك أتباعك .

وأخيرا : نصارحك بأن نقص الأزهر فى شىء واحد : هو خلوه من صالة فسيحة لرقص الباليه وغيرها ، ولعلها تكون وندعو إليها من يعيبون الأزهر ، ليرضوا عنه بعـد ، ويكون واقعيا معهم ، فانتظر مع الدكاترة الغاضبين ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الازهر فى مباراة الخطابة والشعر

فازت الجامعة الأزهرية بكأس الرئيس جمـال عبد الناصر فى مباراة الخطابة والشعر التى أقيمت هذا الشهر فى أسبوع شباب الجامعات .

وكان موضوع المباراة (خطبة فى الاحتفال بمولد الجمهورية العربية المتحدة) . وقد اختار المتبارون هذا الموضوع من بين عشرة موضوعات .



صفوة البيان ، لمعانى القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف — جزآن بالقطع الكامل ٤٨٦ + ٥٨٤ ص
نشره السيد حسن الشربتلى

هذه خدمة جديدة جليلة لكتاب الله عز وجل ، يقوم بها عصرنا فى مصرنا ، اقتداء بما قام به سلفنا فى كل عصر ومصر ، من واجب العناية بالقرآن الحكيم ، وتقريب مقاصده من قلوب المسلمين وعقولهم .

وقد توجت صفحات هذا التفسير بالآيات الكريمة بحروف جلية جميلة ، مضبوطة بالشكل الكامل ، والعلامات الفنية للوقف والابتداء والوصل والفصل وغير ذلك مما امتاز به رسم المصحف العثمانى ، مع بيان لذلك فى ص ٥٨٣ — ٥٨٤ من الجزء الثانى بعد انتهاء الكتاب .

ويلى الآيات فى كل صفحة صفوة البيان لمعانيها بأسلوب جزل مفسرا الآيات المحكمات بما فسرها به أعلام أئمة التفسير ، ونبه فى المسألة الرابعة من المقدمة (١ : ٨) على مذهب السلف فى المتشابه كآيات الصفات (الرحمن على العرش استوى ، كل شىء هالك إلا وجهه ، ولتصنع على عينى ، يد الله فوق أيديهم ، والسماوات مطويات بيمينه) فقال : مذهب جمهور أهل السنة ، ومنهم سفيان الثورى وابن المبارك وابن عيينة ووكيع والأئمة الأربعة ، إنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها ، مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث . ونقل نصوص الأئمة فى ذلك ، وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان .

وبالجملة فان هذا التفسير الوجيز من خير ما يوضع فى أيدى الجمهور لمعرفة ما ينبغى للمسلم معرفته من معانى القرآن ، فقد جمع إلى جمال التأليف جمال الطبع . وكما نشكر الأستاذ المؤلف على هذه الخدمة منه للاسلام نشكر الوزير السعودى معالى السيد الشربتلى على قيامه بنفقات طبعه ، وجعله نسخه وقفا لله عز وجل . تولى الله مكافأتهما .

منهج القرآن فى بناء المجتمع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت – ٢٣٢ ص – إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف

هذه فصول جمعت بين الإيجاز والإحاطة ، تناولت الحديث عن المجتمع الإسلامى كما يتحدث عنه الإسلام ، وقد رأت إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف أن تنتفع به الجماهير فقامت بنشره . ومن أهم فصوله : أساس الإسلام فى رباط المجتمع . التبتل فى نظر الإسلام . التكالب على الدنيا . الروحية المهذبة . الإسلام دين العقل والعلم . مكانة العلم فى الوقاية من الأمراض . التضامن الاجتماعى . الأموال . التضامن المادى . أساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق . التسول . استغلال حاجة المحتاج . الدين والاجتماع . العبادات الإسلامية . العناية باليتيم . كيف نحيى العمل بالإسلام . الإسلام يدعو إلى التقدم . خير السبل لتوحيد كلمة المسلمين . الأعمال وأساس قبولها عند الله . الابتداع فى الدين . التعاليم المحمدية واتصالها بالكون . العظمة المحمدية . القرية السعيدة . نتائج الميلاد النبوى . ندوة العلم والتعليم فى خدمة المجتمع . وهذا الكتاب هو الحلقة الخامسة من نشرات إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف . نلفت إليه الأنظار .

نظرات فى الاسلام

لفقيد الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز – ١٢٦ ص – المكتب الفنى للنشر

هذا آخر ما نشر من مؤلفات فقيد الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز ، ويتلخص موضوعه فى كلمة قالها المؤلف رحمه الله فى المقدمة « لقد نظرنا فى تاريخ الحركات الدينية ، وتاريخ الرسالات الإصلاحية ، ونظرنا فى تاريخ الدول الناشئة وتاريخ الدعوات الجديدة ، فما رأينا كرسالة الإسلام : لا فى تمكنها واستقرارها حيث بلغت من أقطارها ، ولا فى عمق نفوذها وبعد آثارها » .

وهذا الحكم برهن عليه المؤلف فى أربعة فصول هى : مع التشريع الإسلامى ، فى حياتنا الاجتماعية ، بين المثالية والواقعية ، الإسلام والعلاقات .

وهو من الكتب الجيدة التى ينبغى لشباب المسلمين الاطلاع عليها ، والإحاطة بأغراضها ومراميها .

أنباء العالم الإسلامي

فى طريق الاتحاد

فى صباح يوم الجمعة ١١ رجب (آخر يناير) وصلت إلى القاهرة الطائرة المصرية التى أقلت الرئيس شكرى القوتلى من دمشق ومعه السادة الوزراء صبرى العسلى وخالد العظم وصلاح الدين البيطار وفاخر الكيالى ومأمون الكزبرى وأسعد هارون وخليل الكلاس وحامد الخوجه وصالح عقيل واللواء عفيف البزرى وفؤاد الحلبى والدكتور حسنى سبح وفؤاد الشايب ، وكان يحرس الطائرة بين دمشق والقاهرة سرب من الطائرات المصرية النفاثة .

وكان فى استقبالهم فى مطار الماظة الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء المصريون ورجال السلك الدبلوماسى يتقدمهم سفير سوريا .

ودوت المدافع فى أجواء المطار ساعة اللقاء تحية وتعظيما ، ثم توجه موكب القادمين والمستقبلين إلى القصر الجمهورى بالقبة ، وبعد راحة قليلة توجهوا إلى الجامع الأزهر لأداء فريضة الجمعة ، وكانت الهتافات تعلو بالتحية والدعاء للعروبة المتحدة على طول الطريق ، والزهور تنثر على الموكب من شرفات المنازل ، والأعلام المصرية والسورية تخفق فى كل مكان بين أقواس النصر وأنغام الفرق الموسيقية المختلطة بالهتافات والزغاريد .

ولما وصل الموكب إلى الجامع الأزهر كان فى استقباله فضيلة الأستاذ الأكبر والوزراء وكبار العلماء ووكيل مجلس الأمة . وبعد أداء صلاة تحية المسجد والاستماع إلى آيات الذكر الحكيم خطب على منبر الأزهر فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين وكان موضوع الخطبة (الوحدة فى الإسلام) ، وبعد انتهاء الصلاة كان الازدحام الشعبى فى طريق عودة الموكب أعظم مما كان عند القدوم فقطع ركب الرئيسين مسافة لا تزيد على كيلو مترين فى أكثر من أربعين دقيقة .

وقد وجه السيد شكرى القوتلى رسالة إلى الشعب العربى فى مصر أعلن فيها أن ميثاقا جديدا للقومية العربية قد ولد ، وأنه سيكون نقطة تحول كبير فى مجرى أحداث هذا الزمان .

وثيقة

إعلان الجمهورية العربية المتحدة

فى يوم السبت ١٢ رجب (أول فبراير) وكان يوم عيد عام احتشدت فيه مئات الألوف من أفراد الشعب أمام دار رياسة الجمهورية

بالقاهرة ، وقف السيد صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا ، بإذن من الرئيسين القوتلى وعبد الناصر وتلا هذا البيان الرسمى معلنا وثيقة قيام الوحدة بين مصر وسوريا :

« فى جلسة تاريخية عقدت فى قصر القبة فى القاهرة فى ١٢ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق أول فبراير ١٩٥٨ ، اجتمع فخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر بممثلى جمهوريتى سوريا ومصر (وذكر أسماءهم) وكانت غاية هذا الاجتماع أن يتداولوا فى الإجراءات النهائية لتحقيق إرادة الشعب العربى ، ولتنفيذ ما نص عليه دستورا الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة العربية لذلك تذاكروا ماقرره كل من مجلس الأمة المصرى ومجلس النواب السورى من الموافقة الإجماعية على قيام الوحدة بين البلدين كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، كما تذاكروا ما توالى فى السنين الأخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ساد العرب فى مختلف أقطارهم ، ولحاضر مشترك بينهم ، ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم . وانتهوا إلى أن هذه الوحدة التى هى ثمرة القومية العربية هى طريق العرب إلى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبل الإنسانية للتعاون والسلام . ولذلك فإن واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأمانى إلى حيز التنفيذ ، فى عزم ثابت ، وإصرار قوى .

ثم خلص المجتمعون من هذا كله إلى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها قد توافرت بعد أن جمع بينهما فى الحقبة الأخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا ، وأكد أنها حركة بناء وتحرير ، وعقيدة تعاون وسلام .

لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد سوريا ومصر فى دولة واحدة اسمها (الجمهورية العربية المتحدة) ـ كما يعلنون اتفاقهم الإجماعى على أن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية ديمقراطيا رياسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ، ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد . ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظل شعبا واحدا وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها أبناؤها فى الحقوق والواجبات ، ويدعون جميعا لحمايتها بالأنفس والمهج والأرواح . ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها . وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين ببيان إلى الشعب يلقى أمام مجلس النواب السورى ، ومجلس الأمة المصرى فى يوم الأربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ (٥ فبراير) يبسطان فيه ما انتهى إليه هذا الاجتماع من قرارات . . . كما

سيدعى الشعب فى مصر وسوريا إلى استفتاء على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية.

والمجتمعون إذ يعلنون قرارتهم هـذه يحسون بأعمق السعادة إذ شاركوا فى الخطوة الإيجابية فى طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة ، وجيلا بعد جيل ، وإذ يقررون وحدة البلدين يعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب ، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لـكل بلد عربى يريد أن يشترك معها فى وحـدة أو اتحـاد يدفع عن العرب الأذى ، ويعزز سيادة العروبة ويحفـظ كيانها ، والله نسأل أن يكلأ هـذه الخطوة وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة وبفضل عنايته السابغة ، وأن يكتب للعرب فى ظل الوحدة والعزة السلام ».

إجماع ممثلى الشعبين

فى الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين من مساء الأربعاء ١٦ رجب (٥ فبراير) خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة بالقاهرة ، وفى نفس اللحظة خطب الرئيس شكرى القوتلى فى مجلس النواب بدمشق ، فأعلنا أسس الوحـدة بين مصر وسوريا ، وكان مجلس الأمة المصرى يصفق فى كل مرة يذكر فيها اسم الرئيس القوتلى ، فى الوقت الذى كان مجلس النواب السورى يصفق عند سماع اسم الرئيس جمال عبد النـاصر . وقد أجمع المجلسان على القرارات المشتركة التى أعلنت يوم ١٢ رجب (أول فبراير) فى وثيقة إعلان الجمهورية العربية المتحدة . وأعلن الرئيسان فى وقت واحد إجماع الشعبين على تحقيق الحلم الذى راود العرب وكان مشرق الوحدة . وقال جمال عبد الناصر : «يجب أن تتحول أمانينا إلى فيضان منظم ، لا إلى طوفان عال شديد » . ووصف القوتلى الوحدة بأنها : « حدث الأحداث فى هـذا العصر » . وقال : « من واجبى أن أكون أول مواطن يرشح عبد الناصر الرجل المؤمن والقائد الملهم لرياسة الجمهورية العربية المتحدة » .

الاستفتاء

فى يوم الجمعـة ٢ شعبان (٢١ فبراير) جرت عملية الاستفتاء فى جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة (إقليم مصر ، وإقليم سوريا) فى الموافقة أو عدم الموافقة على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفى الموافقة أو عدم الموافقة على اختيار الرئيس جمال عبد الناصر لهذه الرياسة .

وقد وافق الناخبون فى مصر على وحدة سوريا ومصر بأغلبية ٦١٠٢١٢٨ صوتا مقابل ٢٤٧ ، وكانت النسبة المئوية لعـدد الحاضرين إلى عـدد الناخبين المدعوين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعـدد آراء الموافقين إلى الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

ووافق النـاخبون فى مصر على انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية

المتحدة بأغلبية ٦١٠٢١١٦ صوتا مقابل ٢٦٥ صوتا ، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

وفى سوريا كان عدد الناخبين المدعوين لإبداء الرأى ١٤٣١١٥٧ ، وقد اشترك منهم فى عملية الاستفتاء ١٣١٣٠٧٠ ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٨ ٪

ووافق الناخبون فى سوريا على انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بأغلبية ١٣١٢٨٠٨ صوتا مقابل ١٨٧ صوتا ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين الى عدد الناخبين المدعوين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٨ ٪

جمال فى دمشق

فى الساعة التاسعة إلا ربعا من صباح الاثنين ٥ شعبان (٢٤ فبراير) كان جماعة من قواد الجيش السورى يتقدمهم اللواء عفيف البزرى وآخرون ينتظرون فى مطار المزة بدمشق وصول القائد العام المشير عبد الحكيم عامر من القاهرة ، ولما فتح باب الطائرة فوجئوا بالرئيس جمال عبد الناصر وهو يهبط من سلم الطائرة ويمد إليهم يده مصافحا ومن خلفه المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وعبد القادر حاتم .

وفى دقائق انتشر الخبر على الطريقة العربية إلى أحياء دمشق ، ثم إلى الضواحى ، فسائر المدن السورية ، فالى لبنان ، والأردن ، والعراق . وقضى جمال عبدالناصر أكثر من عشرة أيام (إلى ساعة كتابة هذا) وهو يستقبل عشرات الألوف المتواصلة فوجا بعد فوج وموجا بعد موج وسيلا بعد سيل فى النهار والليل ، ويلقى عليهم الخطب من شرفة دار الضيافة ، بما عجزت أقلام الصحفيين والمراسلين عن استيفاء وصفه ، حتى كان ذلك استفتاء آخر شعبيا عن مبلغ ابتهاج القومية العربية بالجمهورية العربية المتحدة وبطلها المؤمن الملهم الذى كانت العروبة تنتظره منذ أمد طويل حتى ظفرت به واستيقظت حيويتها بقيادته الحكيمة الموفقة . وقد أحصت الجهات الحكومية فى لبنان عدد اللبنانيين الذين زحفوا الى دمشق لتحية قائد العروبة بأكثر من مئتى ألف لبنانى من جميع الطبقات والمذاهب ، حتى مات أعداء تحرر العروبة بغيظهم ، وحاروا فيما يصنعون أمام هذه الحيوية التى كانت بعثا جديدا للعرب فتحت

به الأبواب إلى مستقبل له ما بعده إن شاء الله .

خطبة لجمال فى دمشق

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر بعد ظهر يوم الأربعاء ٧ شعبان (٢٦ فبراير) خطبة من خطبه المتواصلة فى دمشق قال فيها :

« ان الشعب العربى يمسك زمام الموقف بيده ، ويقرر مصيره بنفسه اليوم لا مستقبل للذين ينادون بشعار الوحدة بأقوالهم ويعملون ضدها بأفعالهم ، ولا مستقبل للذين يعتقدون أن يقظة شعوب العرب ضد مصالحهم الشخصية . إن الشعب العربى وآماله لن تورث بعد اليوم ، انها ليست تركة . إننا نساند جميع البلاد العربية ، وإننا نسالم من يسالمنا ، ولا نعادى إلا من يعادينا . لقد وقفنا ضد حلف بغداد لا من أجل أن اسمه حلف بغداد ، بل لقد كنا نحب أن حلف بغداد هذا يكون حلفا عربيا للعرب منبثقا من صميم العرب لصالح العرب ، ولو أنه كان كذلك ، لكنا أول من يرحب بحلف بغداد ، ونرحب باسم بغداد . إننا نعتز ببغداد ، ونعتز باسم بغداد ، ونعتز بالعراق وشعب العراق ، ولكننا قاومنا حلف بغداد وحاربناه لأنه يمثل فى هذه المنطقة النفوذ الأجنبى ، وحينما أعلنا أننا نقاوم حلف بغداد كنا نقاوم السيطرة الأجنبية ومناطق النفوذ » .

جمال فى خط النار

كانت أول زيارة قام بها الرئيس جمال عبد الناصر وهو فى إقليم سوريا هى زيارة القوات المسلحة للجمهورية فى الخطوط الأمامية ، فقد فاجأ الرئيس ضباطه وجنوده على حدود إسرائيل مع مطلع الفجر من يوم الخميس ٨ شعبان (٢٧ فبراير) فأقبلوا عليه يعانقونه ويقبلونه ويهتفون بحياة محقق الوحدة ومنشئ الجمهورية العربية المتحدة وقاهر الاستعمار وأعوان الاستعمار . وعلمت المناطق المجاورة لخط النار بوجود الرئيس فتقاطرت جموع الأهلين واشتركوا مع الضباط والجنود فى تحية الرئيس .

انضمام اليمن

إلى الجمهورية العربية المتحدة

كان الأمير سيف الإسلام البدر نجل إمام اليمن وولى عهده قد زار مصر فى الشهر الماضى مع وفد من أهل الحل والعقد فى اليمن ، وتفاوض مع الرئيس ورجال الجمهورية فى الأسس والقواعد التى يمكن أن يقوم عليها اتفاق انضمام اليمن الى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم سافر إلى تعز للاجتماع بوالده والحصول منه على الموافقة على هذه الأسس والقواعد .

وفى صباح السبت ١٠ شعبان (أول مارس) وصل الأمير سيف الإسلام إلى دمشق عائدا من اليمن ومعه توقيع جلالة

والده الإمام على كل وثائق قيام الاتحاد الفيدرالى بين اليمن من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى ، ويحمل كذلك تفويض جلالة والده الإمام له فى أن يوقع الاتفاق النهائى بحضور الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ١١ شعبان (٢ مارس) أعلن الأمير البدر فى دمشق قرار اليمن بالاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، وأمسك الرئيس جمال عبد الناصر بيد الأمير البدر ورفعها إلى أعلى وسط هتاف الجماهير الحاشدة وقال :

« إننا حينما نرحب باليمن العزيز ، وحينما نرحب بخطوة الإمام أحمد ملك اليمن ، إنما نشعر من كل قلوبنا أن ذلك الاتحاد الذى انبثق من صميم الأمة العربية هو القوة التى نسعى إليها ، وأنه نواة للوحدة العربية الشاملة » .

وقال الأمير البدر : « إننا نعاهد الله على أن نعمل منذ اليوم على تحقيق كل ما نصبو إليه ، فنحرر فلسطين الذبيحة ، ونطهر الجنوب اليمنى المحتل ، كما نطهر كل بقعة من بقاع العالم العربى » .

الدول العربية المتحدة

فى يوم السبت ١٧ شعبان (٨ مارس) أعلن فى دمشق توقيع ميثاق بإنشاء اتحاد فيدرالى بين الجمهورية العربية المتحدة وإمامة اليمن . وينص هذا الميثاق على إنشاء اتحاد يسمى (الدول العربية المتحدة) ، وأنه مفتوح لجميع الدول العربية ، وينشأ له (مجلس أعلى) يتألف من رؤساء الدول الأعضاء فى الاتحاد ، ويختص بالسياسة العليا ، ويصدر القوانين الاتحادية ، ويعين القائد العام ، ويضع الميزانية العامة .

وينشأ (مجلس اتحادى) لمعاونة المجلس الأعلى ، أعضاؤه يمثلون الدول الأعضاء فى اتحاد الدول العربية ، وتكون رياسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء ، وهو يضع البرنامج التنفيذى لسياسة المجلس الأعلى ، ويشرف على تنفيذ القوانين الاتحادية ، ويتفرع من المجلس الاتحادى (مجلس دفاع) و (مجلس اقتصادى) و (مجلس ثقافى) .

والقوانين الاتحادية لها قوة إلزامية ، ويعين رئيس كل دولة وزيرا له لدى الدول العربية المتحدة للاشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد ، ويلغى التمثيل السياسى بين الدول الأعضاء . ولكل مواطن فى الدول العربية المتحدة حق العمل فى أى دولة منها . والمساواة بين كل المواطنين دون تفرقة . وحرية التنقل مكفولة . وللدول العربية المتحدة سياسة خارجية موحدة ، وهيئة واحدة للتمثيل السياسى ، وقوات مسلحة واحدة ، وتنفذ الشئون الاقتصادية وفقا لخطط مرسومة ، وتنسق أمور التعليم والثقافة ، وينشأ اتحاد جمركى يحدده القانون .

الفهرس

حـــــــديث رمضان

لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان يقول : قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر . رواه أحمد والنسائى .

« أيها المسلمون » :

كلما اقتربت مواسم الخير ، وأوقات البر هفت إليها النفوس الخيرة ، البارة المؤمنة ، ونشطت لاستقبالها واغتنام فرصتها ، وعملت على أن تحرز فيها ، أكبر حظ من الخير ، وأسباب السعادة .

على هذه الصورة الكريمة ، كان السلف الصالح ، من الصحابة الأبرار ، والتابعين الأخيار . كانوا يحسون بنشوة الفرح تملأ قلوبهم ، وتشرح صدورهم عند حلول الأيام التى تسبق رمضان ، من حيث أنها تحمل البشرى بقدوم هذا الشهر الكريم ، الذى كانوا يحظون بأيامه المباركة ، ويشمرون فيها عن سواعد الجد ، للفوز بأكبر نصيب مما تزخر به من خير وفضل .

وأى مؤمن يسمع قول رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، فيما يحكيه عن ربه عز وجل : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » ويعلم أن فى رمضان ليلة هى خير من ألف شهر ، من حرمها فقد حرم الخير الكثير ، ويعلم من الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن لله عند كل فطر فى كل ليلة من رمضان عتقاء من النار » ، « وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . أى مؤمن يعلم هذا كله ويعتقده ، ويوقن بحسن جزاء الصائمين المخلصين عند رب العالمين ، ثم لا يحرص على الصوم ، وعلى اغتنام الفرصة بالإقبال على العمل الصالح فى هذا الموسم العظيم ؟ .

رمضان « أيها المسلمون » مدرسة يتلقى فيها الصائم دروسا عملية نافعة ، وفترة تمرين

تمده للعمل الخير المثمر فى الأيام التالية ، وتزوده بالقوة التى تذلل له الصعاب وتزيل من طريقه ما قد يعترضه من عقبات .

فالصوم يأخذ الإنسان بضرب قوى من الحمية ، ويضعه تحت تجربة الجوع والحرمان من الشهوة ، ويجعله يحس بنوع الإحساس الذى يتعرض له الفقير ، الذى لايجد ما يسد به جوعته ، ويشفى غلته .

والصوم يخلص الصائم من سلطان المادة وتحكم الشهوة ، ويرتفع به عن دركات الحيوانية ، إلى مستوى الملائكة ، الذين غذاء أرواحهم العبادة والطاعة ومراقبة الله .

والصوم يربى فى النفوس ملكة الصبر ، وقوة الاحتمال ، والقدرة على مواجهة مكاره الحياة . ويكون فى الإنسان فضائل الشجاعة والصراحة والإخلاص فى العمل ، ويبعد به عن رزائل النفاق والمراءاة ، ويقضى على نوازع الشر ، وما تحمله النفوس من ضغائن وإحن ، وميل مع الهوى ، واندفاع وراء الشهوات . ويعود الإنسان النظام وضبط الأعمال ، ويثمى فيه روح الاجتماع ، والاهتمام بما يرفع شأن الجماعة الإنسانية ويصون الكرامة الآدمية .

« أيها المسلمون » :

اغتنموا فرصة هذا الشهر العظيم ، وتزودوا فيه بخير زاد من التقوى والعمل الصالح وتنبهوا إلى الجانب الاجتماعى فى فريضة الصوم ، وهو الذى يرمى إلى أن تمكن بين الناس أسباب المودة والمحبة ، وأن يشعر الفقير بأنه لم تغفله منكم عاطفة البر والرحمة . واعملوا على تقوية روح التعاون فى الأعمال والمنشآت التى تشد أركان الوطن ، وتنهض بالأمة . فإن الأمم الكبيرة التى تعتز اليوم بسلطانها وقوتها ، إنما تقوم شئونها على النظم الجماعية ، والمنشآت التعاونية . وهذا قبل كل شيء هو مايرشد إليه الإسلام .

« أيها المسلمون » :

إنى أشعر بالغبطة تغمرنى ، وأرى السعادة تظللنى ، وأنا أخاطبكم فى هذا العام من عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، هذه الجمهورية التى كان يحلم بها المسلمون ، فأصبحت حقيقة واقعة .

وإذا كان فى قيامها تصحيح لبعض الأوضاع ، وعود بالعرب إلى ماضيهم المجيد فإنها من غير شك ثمرة كفاح الأبطال ، الذين جاهدوا وصابروا ، واستشهد كثير منهم فى ساحة الشرف ، لتحقيق هذه الغاية الكريمة ، والأمنية الغالية .

وإن شهر رمضان المعظم، بروحانيته الخالصة ، ودروسه القوية ، في الصبر والجلد، والعزم والتصميم ، وفى التضحية بالملذات ، والتعاون والرحمة والإيثار ليوحى إلىّ بالتنويه بشأن قادتنا الأماجد ، الذين خلص جهادهم لله ، وتمكن من قلوبهم حب الوطن ، وضحوا بكل نفيس وغال فى سبيل توحيد كلمة العرب ، وتخليصهم من أسر الاستعباد ، الذى تجرعوا مرارته حقبة طويلة ، عمل فيها المستعمر على بذر بذور الشقاق والفتنة ، وتفتيت القوة ، وتفكيك الرابطة ، والقضاء على مقومات العروبة الأصيلة ، والمعانى الكريمة النبيلة التى توارثها العرب الأعزاء ، الشرفاء الأمناء ، كابرا عن كابر ، وجيلا بعد جيل .

هذا وإنى أهيب بجميع المسلمين ، فى جميع الأقطار ، أن يبذلوا كل جهودهم فى دعم وحدة العرب ، هذه الوحدة التى وضعت أولى لبناتها فى هذه الأيام السعيدة ، وأن يدفعوا عنها كل شر يراد بها ، ويقضوا على كل محاولة أو مؤامرة تحاك حولها ، وأن يمحوها من التيارات التى تعطل سيرها أو تقف فى سبيل ازدهارها وتقوية أمرها . وألا يمكنوا الدخيل من نفث سمومه فيهم ، وبث فتنه بينهم : وأن يحذروا شباكه التى ينصبها فى طريقهم للإيقاع بهم ، وعرقلة جهودهم ، والرجوع بهم إلى العهود الأولى التى كان يمتص فيها دماءهم ويتحكم فى مصايرهم ، ويتخذ منهم أعوانا عليهم .

وإنى أدعوكم أيها المسلمون إلى الإقبال على الحياة الجديدة بجد وعزم ، وثقة وكبير أمل ، لتأخذوا بأسباب القوة ، وموجبات العزة ، ولتنزلوا إلى ميدان العمل بجميع كفاياتكم وإمكانياتكم ، التى تستند إلى إخلاصكم ، وعظيم ثباتكم ، وإن ماعندكم من طاقات روحية وكمالات خلقية وقوة إيمان بالله واعتزاز بعزة الله ، كفيل بتحقيق النصر وبلوغ الغاية إن شاء الله .

واعلموا أن من يتنكر لوحدة العرب، ويتخذ له أولياء من أعدائهم أو أعداء الإسلام فهو إما خارج على ملته ، وإما خائن لقوميته وعروبته ، وأهون هذين الأمرين من أقبح الآثام .

أسأل الله العلى الكبير أن يجمع قلوبكم على الحق ، ويمدكم بعونه وجميل رعايته ، ويدفع عنكم كيد الخائنين إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر





مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء التاسع ـ القاهرة فى غرة رمضان ١٣٧٧ ـ ٢١ مارس ١٩٥٨ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من إلهامات رمضان :

موقف المسلم

من هذه الأحداث الكبرى

نحن فى شهر رمضان ...

وشهر رمضان فى السنة ، كجرس المنبه فى الساعة : يدعو أهله إلى أمر غير الذى كانوا فيه ...

يدعونا إلى تغيير نظام معيشتنا ، والانتقال من حياة الدعة والانطلاق المباح ، إلى التقيد بقيود طارئة ، والتزام أمور كنا فى حل من التزامها فى سائر شهور السنة .

بل نحن فى رمضاننا هذا نستقبل أحداثا من أحداث التاريخ يتأثر بها كياننا ومجتمعنا فى صميمهما لا فى مظاهرهما، وفى مصيرهما لا فى حال طارئ ثم يزول . إنها أحداث غير التى كنا نعيش فيها وآباؤنا من قبل ...

هذه الأحداث الكبرى التى استقبلناها مع رمضان هذا العام ، أو قبيل رمضان ، جاءت لتنبهنا إلى واجبات جديدة ، وحياة جديدة . إنها تدعونا إلى أن نكيف حياتنا ، وأنفسنا ، ونظام معيشتنا ، بما يلائم هذه الأحداث .

إن رمضان بجرس المنبه فى الساعة ، يقرع آذاننا ونحن نيام ، أو أشباه النيام ، ليوقظنا من غفلاتنا ، ولينقلنا من نظام الدعة الرتيب فى المعيشة وسياسة النفس ، إلى نظام التقيد الطارئ فى المعيشة وسياسة النفس .

وحكمة الإسلام فى هذا التغيير الطارئ على رمضان ، وعلى حياة المسلمين فى رمضان ، هى تمرين النفس المسلمة على أن يكون هذا التغيير - ولا سيما ما يتعلق منه بكبح جماح النفس ، واعتياد الصبر - صحبة للمسلمين فى غير رمضان ، وفى ظروف حياتهم كلها .

إن هذا التغيير فى نظام المعيشة يحدث فى رمضان ، ولكن أثره فى كبح جماح النفس ، ينبغى أن ينسحب إلى تطوير أخلاقنا الإسلامية فى سائر الشهور بعد رمضان ، حتى نتطبع به ونألفه فى حياتنا كلها ، وإلا كان رمضان كالجسم مجردا من حيويته ، ومن الروح السماوية التى يمتاز بها .

ورمضان يأتينا بآدابه وأساليب تهذيبه فى كل سنة ، أما الأحداث الكبرى التى رافقت رمضان هذا العام ، وما سيترتب عليها من تطور ، فانها من نوع قلما يتكرر فى ألف عام . فنحن منذ عامنا هذا فى حاجة إلى التخلق بالأخلاق الإسلامية التى يمليها علينا رمضان ، أكثر مما كنا محتاجين إلى ذلك فيما مضى .

يأتينا رمضان فى كل سنة لنتمرن فيه على الصبر ، وتهذيب النفس ، وكبحها عن لغو القول ، وعن الاستجابة لدواعى الشهوة .

يأتينا ليعودنا عفة اللسان ، وطهارة القلب ، فى كل ما يتحرك به اللسان ويخفق به القلب .

يأتينا ليذكرنا بالله ، وليعودنا السير فى الطريق الذى شرعه لنا الإسلام ، ولنتوخى ما يرضى الله من قول وعمل فيما بين السحور والإفطار ، ثم فيما بين الإفطار والسحور .

يأتينا بنظامه المشروع ، ومن نظامه المشروع ضبط النفس ، وقمع شهواتها ، وتقوية الروح والبدن بالإقلال من الطعام ، حتى يكون غذاء النفس وغذاء البدن متعادلين متعاونين فى حياة المسلم الكادح المكافح .

نحن - فى أحداثنا الكبرى التى استقبلنا طلائعها ، ويوشك أن يمن الله علينا بتيسير ما بعدها - مقبلون على أمور عظيمة تحتاج إلى تعبئة قوانا كلها : قوى النفوس ، واكتشاف معادنها ، واستعمالها فى الكفاح المنتظر . وقوى الأجسام وإعدادها للنهوض بأعباء الجهاد المقدس . وقوة المال واستعماله فى النهضة الاقتصادية وميادين التصنيع والتعمير . ودفائن الأرض من معادن وزراعة وتشجير نقوم منها بما نبرهن به على معرفتنا بأقدار النعم الإلهية علينا ، وشكر الله عليها بحسن استعمالها واستغلالها واستثمارها وتعميم النفع بها إلى أقصى ما تبلغه قدرتنا وجهودنا .

هذه التعبئة القومية لجميع قوانا المادية والأدبية ، تحتاج منا إلى أن نقتصد فى كل قوة من هذه القوى ، فلا نستعملها إلا فيا يزيدنا قوة وعزة وثروة ومنعة .

هنا حقيقة من حقائق الاقتصاد الإسلامى يجب أن يعلمها كل مسلم ، وأن يعمل بها كل مسلم ، وإن لم يفعل فقد نقص من إسلامه بمقدار ما يفرط به من العلم بهذه الحقيقة والعمل بها .

أيها المسلم ، إن ما تحت يدك وفى تصرفك من الأموال - قلت أو كثرت - ليس ملكا لك ، فالملك كله لله ، وإنما هى أمانة الله تحت يدك ، حصلت عليها بتوفيق الله وتيسيره لا بجهدك أو سعيك ، وقد يكون فيمن تعرف أولا تعرف من الناس من هو أبرع منك فى تحصيل المال وأنشط سعيا منك لتحصيله ، ويكون مع ذلك أفقر منك وأقل توفيقا ، لحكمة يعلمها الله . وقديما زعم قارون وهو يتحدث عن أمواله أنه أوتيها على علم منه بطرق تحصيلها ، فكذبه الله وأباد أمواله . إن الذى لك من مالك - قل أو كثر - ما يقوم منه بحاجاتك الضرورية تنفق منه بالمعروف ، وما زاد على ذلك فهو أمانة الله تحت يدك ، فان كنت صاحب مصنع عليك أن توسع به مصنعك وترقيه لينتفع بنو قومك بزيادة إنتاجه ، ولئلا يحتاج بلدك إلى استيراد شىء من ذلك من البلاد الأجنبية . وإن كنت من أصحاب الحقول والمزارع والبساتين فآثر بنى قومك بتوسيع زراعة ما تمس حاجتهم إليه ، وإن كان أقل ربحا لك من زراعة أصناف أخرى لا تمس حاجة بنى وطنك إليها . وإن كنت تاجرا فلا تقع فى مثل الخطأ الذى وقع فيه أحد أصحاب الملايين من تجارنا إذ حصل على إذن باستيراد سيارات رخيصة مما ينتفع به أرباب الأعمال فى أعمالهم ، فأحدث فى إذن الاستيراد تغييرا ليستورد سيارات فاخرة لأرباب الترف والمسرفين فى الأرض ، فيحصل من ذلك على ربح أكبر ، وعاقبه الله بمتاعب كان فى غنى عنها لو أنه أحسن استعمال أمواله فيا ينفع

الناس ويرضى الله ، لا فيما يتهافت عليه المسرفون فى الأرض ويبتز به أموالهم . ولو أن كل تاجر أو مزارع أو صاحب مصنع علم أن ما تحت يده إنما هو أمانة لله عنده ائتمنه عليها ليحسن استعمالها فيما ينهض بالأمة ويرفع مستواها بين الأمم ، لزاده الله ثروة وغنى ومحبة فى قلوب الناس وتوفيقا فى أعماله وبركة فى ثروته .

كان مرشدنا الأعظم صلوات الله عليه لا يخشى علينا الفقر بقدر ما كان يخشى علينا طغيان الثروة والأموال ، ونحن نشاهد الآن من طغيان المال فى أيدى الذين أنعم الله به عليهم ما تقضى له العجب من التبذير فى إنفاقه وتبديده وتحويله من بلاد المسلمين إلى بلاد أعدائهم ، بل قد يتعدى طغيان المال فى أيدى بعض الطغاة إلى ما وراء ذلك مما يسخط الله ويستعجل غضبه .

أين نحن من عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان يملك الممالك فى آسيا وإفريقية وأوربا ، ومع ذلك فانه تحول يوم تولى الخلافة عن الدار الخضراء دار الخلافة إلى منزل صغير فى خارج الباب الشمالى من مسجد بنى أمية ، وفيما كان يعمل للدولة ليلا على ضوء شمعة من مال الدولة جاءه من يحدثه فى غير شئون الدولة فاطفأ الشمعة لئلا يسرف فى شىء من دوانيق الدولة التى ائتمنه الله عليها .

إنما كان فى أسلافنا من تبلغ به الأمانة على ما تحت يده من الأموال إلى هذا الحد لأنهم كانوا يدركون معانى نظام الإسلام الاقتصادى ويعملون بها ، ويحرصون على أن يقيسوا إسلامهم بمقاييس هذا الإدراك لرسالة الإسلام وأغراضه ، ولذلك اتسعت حدود ممالكهم إلى أسبانيا من بلاد أوربا ، وإلى قفقاسيا وما وراءها من بلاد روسيا ، ولم تكن فى الأرض يومئذ امبراطورية أوسع وأغنى وأرق من البلاد التى كانت تحكمها الخلافة الإسلامية فى القارات المعروفة فى زمانهم .

وإنما كان فى أسلافنا من تبلغ به الأمانة على ما تحت يده من الأموال إلى هذا الحد ، لأن رمضان كان يأتيهم فيترك فيهم أثره من ضبط النفس ، وقمع شهواتها ، وينسحب ذلك فى أخلاقهم بعد رمضان ، حتى انطبعت نفوسهم بطابع رمضان ، والقوه فى حياتهم كلها فعزوا وسادوا ، وكانوا هم الناس بين أمم الأرض .

هذا رمضان قد جاءنا مرة أخرى ليدعونا إلى التخلق بأخلاق أسلافنا فى صدر الإسلام ، فهل لنا أن نحاسب أنفسنا عما نقيمه من أنظمة رمضان المشروعة ، وما نحققه من أغراضه ؟ .

أليس فى الصائمين منا من يحرفون عن حكمة الصيام وكماله بما يكيدون به للناس من شر ، وما تتحرك به ألسنتهم من باطل ، وما يسخطون به ربهم فيا بين سحورهم وإفطارهم ، وما يقضون به سهراتهم من الإفطار إلى السحور ، وما ينفقون على شهواتهم من أموال يزعمون أنها لهم ، وإنما هى أمانة الله تحت أيديهم يمتحنهم بها ليعلم كيف يتصرفون فيها بعقل وكياسة وحكمة . وفيهم من يذكرون الله، ولكنهم يذكرونه بألسنتهم دون قلوبهم، وإذا حلت ساعات السحور أو الإفطار ملأوا بطونهم بما جاء رمضان ليكفهم عن الإسراف فيه .

إن الشيطان قد نجح ـ فيا مضى من شهور رمضان السالفة ـ فى إقناع أشباه الرجال منا بأن يفسدوا على أنفسهم صيامهم ببعض ما يخالف حكمة الله فى الصيام ، وشعائر الصيام ، وأنظمة الصيام . فهل لنا أن نخزى الشيطان فى رمضاننا هذا ، فنحكم بعزائمنا الإسلامية ، على نفوسنا الإسلامية ، توطئة لإعدادها لما يريده الله لنا من أمر عظيم ، فى مستقبل عظيم ، نحكم فيه أوطاننا الإسلامية بآدابنا الإسلامية ، لننهض بهذه الأمة إلى مستوى السيادة والسعادة فى الأرض ؟ !

كما أن الإسلام دين الحق ، فهو كذلك دين الصبر ، والاعتدال ، والاقتصاد . ورمضان إنما تقوم فينا شعائره لنقيم بها الحق ، ولنتعود بها الصبر ، ولنكون فيها من أهل الاعتدال ، والاقتصاد .

النعمة العظيمة التى أنعم الله بها علينا فى هذه الأحداث الكبرى التى استقبلناها مع رمضان هذا العام يوشك أن يزيدنا الله من آلائه فيها لنكون أمة كريمة بين الأمم ، وتكون لنا دولة عظيمة بين الدول ، وإن الغفلة عن هذه الأحداث ، وعن حكمة الله فيها ، وتجاهل ما يترتب عليها ، ووقوفنا منها موقف المتفرج وهى مقبلة علينا ، يجعلنا منها كالذاهل الواجم أمام القطار المندفع نحوه ، فلا يلبث أن يدهم الغافلين عنه ويحطمهم ، جزاء تقصيرهم فى مسايرته ، وتلكؤهم فى الاضطلاع بالأعباء الجديدة التى ترتبت على هذه الأحداث .

كنا نشكو الاستعمار ، ونشكو حكام السوء ، ونضيف إليهم كل سيئة تقع فى أوطاننا ، وكل ضعف أصيبت به شعوبنا . وفى الواقع كان الاستعمار مصدر الشرور والسيئات فيا أصابنا من ضعف ، وكان حكام السوء قدوة الدهماء والوارثين فيا انحدرنا إليه من تبذير وإسراف وإسفاف . ولكن سياسة الإسلام كانت تهتف بمن يعقل عنها

منادية على ملأ الأشهاد : كما تكونوا يول عليكم . نحن الذين أهملنا سنن ديننا ونظام الإسلام فى حياتنا فوقعنا بين براثن الاستعمار، ونحن الذين أسففنا وأسرفنا فابتلانا الله بحكام السوء . ولو أننا استقمنا على سنة الإسلام فى معيشتنا وتصرفاتنا لكف الله عنا سلطان الاستعمار ، ولوقانا شر حكام السوء .

وأخيرا ، أنقذنا الله من براثن الاستعمار ، ومن أذنابه حكام السوء ، ليمتحن سلوكنا فى الحياة ، واستعدادنا للمحافظة على هذه النعمة ، وتأهيل مجتمعنا للمضى فيها ، وليرى موقفنا من سننه فى الارتقاء والانحطاط ، وفى التقدم والتخلف .

إن النعم التى يسديها الله سبحانه لأمة من الأمم تترتب عليها مسئوليات ، ولا تدوم هذه النعم إلا إذا اضطلعت الأمة بتلك المسئوليات .

إن نعمة الله علينا بالخلاص من كابوس الاستعمار وحكام السوء قد ترتب عليها واجب عظيم هو تعبئة كل القوى لإقامة كياننا القومى الجديد ، على أساس متين من الأخلاق والعلم والثروة والتنظيم والاستثمار واعتبار الأموال التى تحت أيدينا أمانة لله نتصرف فيها بما فيه المصلحة العامة للأمة والوطن ، وهذا الأساس وحده هو الذى يتحمل البنيان الشامخ الذى يسر الله لنا أسباب تشييده هدية من جيلنا إلى الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا .

من حسن حظنا أن فى نظام الإسلام - إذا وطنا أنفسنا على العمل به - ما يساعدنا على تعبئة قوانا كلها ، وإقامة بنياننا الشامخ على أساسها . والحياة الإسلامية فى رمضان - كما أراد الإسلام للمسلمين - هى حجر الزاوية فى هذا الأساس الذى يدعونا رمضان إلى إقامة بنيان المستقبل عليه .

ليكن رمضاننا فى هذا العام بداية عهد جديد لتمرين النفس المسلمة على كبح جماح الشهوات ، والمشاركة فى التعبئة القومية الكبرى لاستقبال الأحداث القومية الكبرى ، بحسن استعمال ما ائتمننا الله عليه من أوطان ، وثروة ، وصحة ، وقوة ، فنجعل ذلك كله فى سبيل الله وفى مرضاته ، والعاقبة للمتقين !!

محب الدين الخطيب



— ٥٩ —

مجالسة الآثمين نقيصة خلقية ، وجريمة دينية

« وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » .

مجالسة المرء لغيره متعة وغنيمة ، أو مأساة وجريمة ، وأمر ذلك بيقظة الضمير وغفلته ، ونباهة الحس وبلادته ، ومجرى الحديث وشجونه .

والكثير من أحاديث الناس فى مجالسهم يكون مرسلا ، وحريتهم فى القول تصيد الخواطر السانحة ، واللسان يرمى بكل ما توحى به الفكرة يمينا وشمالا ، وعاما وخاصا ، وجدا وهزلا .

والدين لم يحظر على الناس أن يتسامروا ، ولم ينكر عليهم أن يتبسطوا ، بل اعتبر المحادثة من أسباب المودة ، ووسائل التعارف ، ولم يرض أن يتنكر الجليس لجليسه بالصمت ، أو يتمادى فى التجاهل ، كما نشهد فى مجالس كثيرة وفى أسفار طويلة من بعض الأشخاص الذين يأخذون بتقليد الفرنجة ، أو الذين يزعمون أن فى الصمت عن محادثة الجليس لونا من العظمة . . وهى عظمة جافة ، ومروءة ناضبة .

إذ هى نوع من المقاطعة . . والإسلام يشرع ما يشرع من المحادثة بين الجليس وجليسه — إذا لم يكن مانع — ليسد الفراغ بين المرء وأخيه ، وليدفع وحشة المجالس عن نفس كل منهما .

وهذه سياسة اجتماعية ينشرها الإسلام بين الأفراد ؛ لتمتد إلى صفوف المجتمع كله ، فتصبح ثمرتها فى المجموع وحدة لا فرقة ، وتعاطفا لا قسوة .

غير أن الإسلام مع دعوته إلى التودد بكل وسيلة ، يحرص على مجالسنا من الشوائب ، وينهض بنا فى الاجتماع إلى المستوى الكريم ، فيصرفنا عن المهاترات فى الحديث ، ويطلب إلى كل منا أن يقول خيرا أو يصمت ، ويكفنا عن التعرض لبحر الكلام ولغوه ، حتى

لايفحش الإنسان فى حديثه ولا يأخذ فيما لا فائدة فيه ، يكفنا عن هذا كله فى قوة ، فيشبه الجليس الصالح الذى يمسك عن لغو الحديث بحامل المسك إذ يستفيد المرء منه أيما فائدة ، ويشبه الجليس السوء بحداد ينفخ كير الفحم فيحترق جليسه ، أو يتأذى بريحه على الأقل وهذا تصوير قوى الدلالة ، واضح التوجيه .

فإذا كان حديث الجلساء فى جانب الدين وجب أن تكون الحيطة أشد ، والأدب أكمل ، حتى لا يكون الحديث وبالا على صاحبه ، وعلى سامعه .

وواضح أن الانحراف فى السمر العادى إثم أو نقيصة ، فإذا كان خوضا فى الآيات ، ومساسا لها بالباطل ، أو كان قدحا فى تشريع صحيح فإن ذلك جرأة شائنة ونتيجتها تنصل من الدين ، وتمرد على حرماته ، وعلى من بلغ آياته ـ صلى الله عليه وسلم .

وكثيرا ما نجد فى البيئة الحاضرة ، ومن أهل الثقافة المعاصرة ، من يزجون بأنفسهم فى هذا التورط : لا مستفهمين عن حكم ، ولا مستفسرين عن آية ، بل تدفعهم فلسفة غاشمة إلى حرية جامحة فيتناقشون فى غير ما تهيأوا له ، ويتحكون فى غير ما يفهمون ، ويحسبون الدين ونصوصه وأحكامه كلأ يرتع فيه الأعرج والصحيح ، ويفوتهم أن هذا عدوان على التشريع ، وأنه مسلك أهل الجاهلية الأولى : الذين تحكمت فيهم غشومة فصاروا يخوضون فى الآيات بدلا من مطاوعتها ، ويهبطون فى الكفر مهابط أخرى ، وطالما هتف بهم القرآن لينتشلهم منها وهم لا يسمعون .

والجميل أن القرآن يترفق بهم ، فلا ينهى الرسول عن التعرف بهم ، بل يطلب إليه أن يتعمد هنهم حين خوضهم فى الآيات ، ومساسهم بجلالها . . فإذ ما أخذوا فى حديث آخر غير باطل فلا حرج على النبى أن يجالسهم ، وهذا رفق بقوم لم يترفقوا بأنفسهم : حتى تظل فرصة الهداية بهدى النبى صلى الله عليه وسلم سانحة لهم .

وذلك قوله تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » .

وهل الخطاب للنبى ـ صلوات الله عليه ـ وتعليم لأمته ؟ ؟ أو هو خطاب لكل مسلم يصادفه هذا الشأن ؟ ؟ .

الأرجح أنه عام لكل مسلم يرى فى مجلسه مثل ما كان يرى النبى وأصحابه صلى الله عليه وسلم.
وفى الآية إشكال يثير الاهتمام . . ففيها « وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » وكيف ينسى النبى بسبب الشيطان أمر مكلف به ؟ ؟ مع أن الله قال : فى الشيطان ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والنسيان من عمل الشيطان كما ذكرت الآية فيكون له سلطان على الرسول .

والجواب عن علماء التفسير أن الخطاب مقصود به غير النبى ، فالنسيان واقع من الشيطان لا محالة بالنسبة لغيره ، وجواب آخر : أن النسيان لا يعتبر سلطان للشيطان ، بل السلطان أن يدفع المرء بوساوسه وتأثيره إلى ارتكاب محرم ، أما مجرد الترك لتنفيذ شىء أمر به فلا يسمى سلطانا ، مع أن الله يتدارك نبيه عاجلا بالتذكير لما نسى فلا غضاضة فيه ، وهذا كله مفروض فى غير ما أمر بتبليغه ، فإنه لا ينسى أبدا . .

وربما كان النسيان فى غير التبليغ لحكمة : هى بيان الحكم الشرعى فى الحادثة التى كان فيها النسيان .

وحسبنا هذا من كلام طويل ، والعبرة التى نأخذها نحن من السياق : ألا نجارى أهل الباطل فى حديثهم ، ولا نرضى عن مجالسهم ، بل نردهم بالحسنى عن خوضهم . فإذا لم يستجيبوا هجرنا مجالسهم حتى يتأدبوا .

وقد يبلغ التسامح ببعض الناس أن يغفلوا هذا الحرص : حياء ، أو مهابة ، أو مجاملة ، ولكن التغاضى عن كلمة الحق مجلبة لسخط الله ، وشؤم على المجتمع إذا تفشت فيه هذه الموادة .

وللحق أساليب مقبولة ، ودعاية معسولة ، وهى حكمة الإسلام فى دعوته ، وتبليغ رسالته والله يعصمنا من الزلل ، ويهدينا سبيل الرشاد »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

مدرسة الصيام

أعظم ميراث نبوى - أعظم الناس حظاً من الفضائل - التخلق بأخلاق القرآن - نماذج من الجود النبوى - عرض القرآن ومدارسته - دروس يتلقاها الصائمون - نعم أجر العاملين .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ؛ وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ؛ وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ؛ فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى) [*]

• • •

بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا .

هذه أصول الإسلام ودعائمه العظمى .

وتؤلف كل دعامة منها مدرسة لها مناهجها وحدودها ، وأحكامها وآدابها . . . ثم تؤلف الدعائم كلها منهاج الدين كله ، فى جملته وتفصيله ، فأما الجملة فقد أشار إليها

(*) فى بدء الوحى ، ورواه بعد ذلك فى الصوم . وفى بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ، وفى الأنبياء : باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى فضائل القرآن ؛ وأما مسلم فرواه فى كتاب الفضائل .

حديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ، وأما التفصيل فقد بينه صلوات الله وسلامه عليه أو فى بيان ، منذ أوحى إليه فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، إلى أن ودع هذه الدنيا ، تاركا لأمته أعظم ميراث نبوى ، وأوفى منهاج سماوى ، أعجز الأولين والآخرين أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا سعادتهم الدنيوية والأخروية فى غيره .

• • •

ولكل من هذه الدعائم الخمس ـ ما عدا الأولى ـ ميقاتها الزمانى ليس غير ، أو الزمانى والمكانى معا ، وأما الدعامة الأولى ، فهى أساس الدعائم الأربع ومفتاحها ، وقطبها وعمادها ، لا يوزن عند الله عمل إلا بميزانها ، ولن يرضى الله عن عبد إلا إذا امتلأ يقينا بها ، فليس لها إذا زمان ولا مكان . . . اللهم إلا قلب سليم ينبض بالحق ، ولسان قويم ينطق بالصدق ، ونفس مؤمنة راضية : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم عبدا لله ورسولا .

• • •

ولئن كانت الدعائم الخمس ، يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا ، إن لكل منها مزايا خاصة ، وفضائل وأسرارا ، وحكما بالغة توحى بها أو تشير إليها ، وتعرف من مدرستها ومناهجها ، بمقدار فقه العبد فى دينه ، وتلقيه العلم عن أهله . وإنما النبى صلى الله عليه وسلم قاسم ، والله يعطى . . . لا جرم أن أعظم الناس حظا من هذه الفضائل والمزايا ، الأنبياء والصديقون ، والعلماء العاملون ، على درجات بينهم .

• • •

وأول ما اختصت به دعامة الصيام ، أن الله جلت حكمته ، وتباركت نعمته ، اختار زمانها ـ قبل أن تكون كتابا موقوتا ، وفرضا محتوما ـ مبدأ لإنزال كتابه ، فى ليلة مباركة ، هى ليلة القـــدر ، أعظم الفضل فيها ، والإنعام بها ، حتى جعلها خيرا من ألف شهر .

عطاء جد عظيم ، وجود من جواد كريم ، لا يقدر عليه إلا مالك الملك . . . ومن بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير .

لا عجب بعد هذه الهبة الإلهية العظمى ، واستقرار الإسلام بدعائمه الثلاثة الأولى ، أن تفرض الدعامة الروحية الكبرى ، شكرا لمولى النعم ، وذكرا لأجل النعم ، واحتفالا كريما فى كل عام ، بفاتحة الهدى والفرقان .

* * *

ومن أجل ما اختصت به هذه الدعامة الروحية ، الإخلاص الذى لا يشوبه رياء ، وهو أول درس يتلقاه الصائمون فى مدرسة الصيام ... وسر هذا الإخلاص الخاص ، أن الصيام عبادة سلبية خفية لا يعلمها إلا الله عز وجل ، ومن ثم شرفها باضافتها إليه وحده دون سائر العبادات ، فقال سبحانه فى حديثه القدسى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به [١] ...

* * *

وإذا كان الإيمان بين الصبر والشكر ، كما يشير إلى هذا قوله جل ثناؤه : « إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » . وقوله صلوات الله وسلامه عليه : عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له [٢] ـ فالصائم يتلقى فى مدرسة الصوم كل ضروب الصبر ، وكل فنون الشكر ، حتى يشرف بالعبودية لله وحده ، فيكون صالحا لعمارة الأرض ، خليقا برضوان الله عز وجل .

* * *

وإذا كان شكر كل نعمة بما يناسبها ويتصل بها ، فخليق بمن يشكر هذه المنة الكبرى ، أن يجمع إلى الفرح بصوم رمضان ، تخلقه بأخلاق القرآن ، فاذا كان يحفظه أو يحفظ منه قدرا فليتخذ من تلاوته ومدارسته شكرا وذكرا ، أما العمل به والتخلق بأخلاقه ، فذلك جماع الشكر ، وأفضل الذكر ، وكذلك كان هدى أول المسلمين ، وقدوة الشاكرين ، صلى الله عليه وسلم .

كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

---

(١) الحديث رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وشرحه أستاذنا الجبالى فى م ٤ ونسينا أن نرجع إلى جدول الأحاديث فشرحناه فى م ٢٤ .

(٢) رواه مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه .

وكان أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس ، ما سئل شيئا قط فقال : لا ، إن كان عنده أعطى و إن لم يكن عنده وعد وعدا كريما . وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة ، على حين يعيش فى نفسه وأهله عيش الفقراء ، حتى يمكث الشهر أو الشهرين لا يوقد فى بيته نار ، إن هو إلا التمر والماء !

* * *

كان جوده قبل أن يبعث كرما إنسانيا ، فلما أكرمه الله بالرسالة ، أصبح جوده كرما ربانيا ، ومن أولى من رسول الله ، بأن يتخلق بأخلاق مولاه ؟ ! فاذا جاء شهر التنزيل ، فمن دونه البحر فيضا وصفاء ، بل من دونه الريح انطلاقا ورخاء .

* * *

ومن جوده بالخير صلوات الله وسلامه عليه ، تعليم الجاهلين ، وهداية الضالين ، وإخراج النفوس من ظلماتها ، وإحياء القلوب بعد موتها ، فى غير كلفة ولا منة ، بل بالحكمة والموعظة الحسنة ، وذلك من آثار فضل الله عليه ورحمته ، ولا سيما فى هذا الشهر الكريم .

ومن هذا الفضل أن يلقاه الروح الأمين فى كل ليلة من لياليه فيدارسه القرآن فيه ، ويعرضه كل منهما مرة فى كل عام ، حتى إذا كان رمضان الأخير كانت المعارضة مرتين ، إيذانا بانتقاله إلى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

ألا إن الجود عامة ، وفى رمضان خاصة ، وتلاوة القرآن ومدارسته ، وتزاور المحبين فى الله ، وشكر المنعم على ما أولاه ، والتعاون على البر والتقوى ، كل أولئك من الدروس التهذيبية القيمة ، التى يتلقاها الصائمون فى مدرسة هذا الشهر العظيم ، ولكن مضت سنة الله تعالى ، ألا ينفع عالما بعلمه ، حتى يكون به من العاملين ؟

طه محمد الساكت

صيام رمضان

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

نادى الله سبحانه المسلمين بأحب الأوصاف إليهم ، وأعلمهم أنه فرض عليهم الصيام ، وأنهم ليسوا فى ذلك بدعا بين الأمم ، فقد فرضه على الذين من قبلهم . وذلك يدل على أن الصوم يحقق الصالح العام للبشر ، ولهذا شرعه الله لنا ولمن قبلنا و إن اختلفت الكيفية ، وكانت فرضية صوم رمضان فى شعبان من السنة الثانية الهجرية ، وصامه النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنوات .

وتضافرت على فرضيته الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله و إجماع المسلمين ، ففرضيته معلومة من الدين بالضرورة ، ومنكرها كافر كمنكر فرضية الصلاة ، أما من ترك صوم رمضان بغير عذر كسلا فيحبس و يمنع عنه الطعام والشراب نهارا .

والصيام عند المسلمين الإمساك عن المفطرات (شهوتى البطن والفرج) من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، و بين الله أن ما فرض عليهم صيامه أيام معدودات أى قليلة بالنسبة للعام أو معلومة ، والمراد بها رمضان ، فيكون الله سبحانه قد أخبر أولا بفرضية الصيام ثم بينه بأنه أيام معدودات ، ثم بينه بقوله شهر رمضان توطينا للنفس عليه ، وقد رخص الله من فضله للمريض الذى يشق عليه الصوم والمسافر أن يفطرا و يصوما عدة ما أفطرا من أيام أخر .

ثم قال الله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » . والعلماء بالنظر لهذه الآية

فريقان ، فريق يرى أن هذه الآية منسوخة ، وأن معناها : وعلى الذين يطيقون الصوم أى يقدرون عليه إذا أفطروا فدية ، وذلك أن الصوم أول ما فرض كانت فرضيته على سبيل التخيير إما أن يصوم من يطيق الصوم ويقدر عليه ، وإما أن يفطر وعليه فدية طعام مسكين عن كل يوم والصوم أفضل ، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . فصار الصوم متحتما وهذا التفسير مبنى على أن الإطاقة القدرة على الفعل ، والطاقة اسم مصدر بمعنى الإطاقة .

وفريق آخر يرى أن الآية غير منسوخة ، وأن معناها : وعلى الذين يطيقونه مع مشقة وشدة فدية إذا أفطروا ، وهذا يشمل الكبير الهرم والعجوز ونحوهما ، وهذا التفسير مبنى على أن الإطاقة والطاقة القدرة على الفعل مع مشقة وشدة ، ونناقش رأى كل من الفريقين :

أما الأول وهو أن الصوم كان على التخيير بين الصوم والفطر مع الفدية ، فانه لا يحتاج إلى الترخيص بالتيسير للمريض والمسافر ، ومع هذا فكيف يكون الترخيص إذ يؤول الأمر إلى أن المريض والمسافر إذا أفطرا كان عليهما أن يصوما من أيام أخر عدة ما أفطرا — أما القادر على الصوم إذا أفطر بلا عذر فعليه الفدية فقط ، وبالتالى يؤول إلى أن من أفطر بعذر المرض والسفر عليه عدة من أيام أخر ، ومن أفطر بلا عذر عليه الفدية ، وتشريع يؤول إلى هذا لا يكون معقولا .

على أن النسخ فى كتاب الله لا يجيزه بعض العلماء ومع قطع النظر عن هذا ، ففى هذه الآية بخصوصها قد اختلف فى نسخها الصحابة والعلماء ، ومن الصحابة عائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم يقولون إن الآية غير منسوخة .

وأما الرأى الثانى : الذى يقرر عدم نسخ الآية وأن معناها وعلى الذين يصومونه بمشقة وشدة فدية ، وأن الإطاقة والطاقة القدرة على الفعل بمشقة وشدة .

فأولا — نذكر نص القاموس وهو يخالف ذلك — الإطاقة : القدرة على الشىء ، وقد طاقه طوقا وأطاقه وعليه ، والاسم الطاقة — وعبارة لسان العرب بهذا المعنى وتزيد عليه أن الطاقة هى الوسع ونصها .

الطوق والإطاقة القدرة على الشىء والطوق الطاقة ، وقد طاقه طوقا وأطاقه إطاقة وأطاق عليه والاسم الطاقة وهو فى طوق أى فى وسعى .

ومن ذلك قوله تعالى : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » أى مالا قدرة لنا على تحمله ، وقوله : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » أى لا قدرة لنا على قتالهم .

وثانيا — معنى الآية عندكم وعلى الذين يقدرون على الصوم بمشقة فدية ـ وهذا المعنى يشمل أيضا المريض الذى يشق عليه الصوم ويعسر ، ويشمل المسافر باعتبار أن الشأن فى صوم المسافر أن يكون بمشقة ، وعلى هذا يكون حكم المريض والمسافر مضطربا فى الآية ، فمرة ينص بخصوصه على أن الواجب على من أفطر بعذر المرض والسفر الإعادة ، ومرة يشمله نص عام على أن الذى يشق عليه الصوم (ومنه المريض والمسافر) إذا أفطر عليه الفدية فيكون للمريض والمسافر حكمان مختلفان وهذا غير معقول .

ويمكن أن يقرر معنى الآية على غير الرأيين السابقين ، ويكون ذلك رأيا ثالثا يتفق مع الرأى الأول فى تفسير الإطاقة ، وأن معناها القدرة على الفعل ومعنى قوله « وعلى الذين يطيقونه فدية » أى الذين يقدرون على الصوم إذا أفطروا عليهم فدية ـ ولكن الآية غير منسوخة كما يقرر الرأى الثانى عدم النسخ .

ويصير المعنى للآية كلها فرض الله الصيام على جميع المسلمين المكلفين ، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ، وعليهما عدة من أيام أخر ، وعلى من يطيق الصوم ويقدر عليه إذا أفطر فدية مع عدة من أيام أخر ، ويكون التنصيص على العدة مع القادر على الصوم غير محتاج إليه ؛ لأنه إذا وجب فى حق المريض والمسافر ، فأولى أن يجب فى حق القادر ، وجاء التنصيص فى حقه على الفدية ، فكأنه قيل : وعلى الذين يطيقونه مع العدة فدية طعام مسكين .

فالمعذور بالمرض أو السفر إذا أفطر عليه القضاء فقط ، وغير المعذور والقادر على الصوم إذا أفطر عليه القضاء والفدية .

فمن أكل فى نهار رمضان عامدا عالما من غير عذر ، غير مبال بحرمة شهر رمضان فالعلماء فى حكمه آراء : ـ

الحنفية والمالكية يوجبون عليه القضاء والكفارة .

والشافعية والحنابلة يوجبون عليه القضاء فقط .

والرأى الأخير فى الآية يوجب عليه القضاء والفدية .

حكمة تشريع الصوم

شرع الله للناس الصيام وما به حاجة إلى أن يدعوا طعامهم وشرابهم ، ولكن لأن الصيام يحقق الصالح العام للبشرية ، ولهذا فرض على الذين من قبلنا ، فان الله قد أودع فى طبيعة الإنسان الشهوات ، فاذا اندفع المرء وراء شهواته وأرخى لها العنان فيما تطلب ، وأجابها إلى كل ما ترغب ، فقد انحط إلى درك البهيمية وربما زاد عليها ، أما إذا كبح شهوته وأخضعها لحكم شريعة السماء ، يصرفها كما أمر الله ويسيرها فى الصراط المستقيم الذى خطه له الحكيم العليم ، ارتفع إلى أوج الملائكة وكان من عباد الله المكرمين ، وربما فاق الملائكة المقربين ، إذ هو قد وصل إلى هذه المرتبة السامية بجهاد عنيف لشهواته ، ونضال قوى بين وازع الدين ودواعى الطبيعة والشياطين ، أما الملائكة المقربون فلم يودع الله فيهم هذه الطباع ، ولذا لا يتجشمون ذلك الجهاد ، فهم بطبعهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وعلى الجملة فبالصوم يخضع المسلم شهواته ، ويتحكم فى ملذاته ، وتقوى إرادته وتشتد عزيمته ، ويضعف أمامه سلطان النفس والشيطان ، ويقوى سلطان الدين والديان ، ويشير إلى ذلك قول الرسول الأكرم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج) أى من قدر على مطالب الزوجية فليتزوج (ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) بكسر الواو أى مانع من استرسال الشهوة .

وقد صرح الكتاب الكريم فى الآية بحكمة الصوم وذلك قوله : « لعلكم تتقون » . أى أن الله فرض عليكم الصيام لتصلوا به إلى تقوى الله وامتثال أمره واجتناب نهيه ، ومتى أمسك الصائم عن مطالب بطنه وفرجه ، تصديقا بأمر الله وطمعا فى فضله وثوابه ، ولازمه ذلك المعنى نهاره ولم ينقطع عنه بالكلية ليله ، فقد فاز بصفة المراقبة لخالقه وهى نتيجة لازمة للصوم إذا تحرى الصائم المحافظة على آداب الصيام ، وكيف يجرؤ من حرم نفسه شهواتها ابتغاء مرضاة الله على أن يجمح إلى ذلك ما يسخط مولاه .

هذه بعض مزايا الصوم الدينية ، وإليك بعض فوائده ومقاصده فى الدنيا .

أما فائدته فى صحة البدن وتطهيره من كثير من السموم ، وآثاره فى نشاطه وقوته ، فقد بسط الأطباء فيها القول ، وحسبنا على الجملة أن نذكر أن المعدة وجهاز الهضم أعضاء دقيقة

ضعيفة ، لاتحتمل أن توالى أداء عملها ليلا ونهارا طوال العام ، ثم الذى يليه والذى يليه حتى ينتهى الأجل ، ولكنها فى حاجة إلى الراحة والاستجمام ، وذلك بما شرع الله بالصوم من إجازة مدة شهر رمضان ، وليست إجازة طويلة بالنسبة للعام ، فهى وإن كانت شهرا فقد آلت إلى نصف شهر مدة النهار فحسب .

ومن هذه الفوائد أن الصيام يربى فى نفس الصائم صفة الصبر واحتمال الأذى ومجالدة المكاره حتى يصير ملكة عنده ، كذلك يرقق الصيام القلب ، ويجعل الصائم الغنى يحس بحرمان الفقير وألمه ، فيدفعه ذلك إلى العطف عليه ومده بشيء مما آتاه الله ، ولهذا ورد فى الحديث : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة) .

وعلى الجملة فالصوم تهذيب للنفس ودفع بها إلى الفضائل وسمو بالخلق ، فليحذر الذين تفحش بالصوم أخلاقهم وتسوء معاملاتهم ويؤذون الناس بحصائد ألسنتهم ، أن يهدروا صيامهم ويضيعوا جزاءهم .

من أحكام الصيام

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين .

استنبط العلماء من هذا الحديث أن الصوم يجب برؤية الهلال فى الصحو ، والسماء خالية مما يمنع الرؤية من غيم ونحوه ، وإذا لم يكن الجو صحوا وكان غيم أو دخان أو غبار أو نحوه مما يمنع الرؤية وجب الصوم باكمال شعبان ثلاثين يوما .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له .

اختلف العلماء فى معنى قوله (فاقدروا له) فقال : مالك وأبو حنيفة والشافعى اقدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويكون آخر شعبان ـ وقال الإمام أحمد وطائفة : معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب ، وأوجبوا الصوم عند الغيم ويكون أول رمضان ، وقال أبو العباس بن سريج ومطرف بن عبد الله وابن قتيبة وغيرهم معناه قدروه بحساب

المنازل، واحتج الجمهور بالروايات المصرح فيها باكمال عدة شعبان ثلاثين عند الغيم ، قالوا ومن قال بحساب المنازل فقوله مردود بقوله صلى الله عليه وسلم : إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر ، هكذا وهكذا يعنى مرة تسعا وعشرين ، ومرة ثلاثين ، قالوا ولأن الناس لو كلفوا بذلك ضاق عليهم لأنه لا يعرف الحساب إلا أفراد من الناس فى البلاد الكبيرة .

ورجح متأخرو الشافعية رأى ابن سريج ومن وافقه فى الحساب ، وقالوا إن الحاسب متى وثق بحسابه وجب عليه العمل به ، وكذلك يجب على من صدقه ، أما بالنسبة لعموم الناس فلا يجب ، إذ لا يجب الصوم على العموم إلا بحكم القاضى ، وهو يعتمد على رؤية الهــلال .

فاذا شهد عند القاضى شاهد ، ولـكن علماء الفلك والحساب اتفقـوا على أن رؤية الهــلال فى تلك الليلة غير ممـكنة ، فن العلماء من قال تقبل الشهادة ، ومنهم من قال ترد شهادته .

وقد ظهر من ذلك أن الذين لم يعملوا بالحساب أخذوا بظاهر الحديث إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب ، وعملوا بالطريقة الميسرة لمن لم يتوفر له الحساب وهى رؤية الهلال التى أرشدهم إليها الحديث (صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته) .

ويمكن أن يحمل هــذا الأمر على الوجوب ما دامت صفة عدم الحساب والـكتابة باقية للأمة وملازمة لها ، فأما إذا زالت وتوفر لدى الأمة علم الحساب الفلـكى كان لنا أن نعتمد أيضا على الحساب ونعمل به ، ولا سيما إذا وصل إلى مثل هــذه الدقة التى وصل إليها فى هذا العصر كما هو رأى متأخرى الشافعية .

وما لنا نغالط أنفسنا وكلنا نعمل بالحساب فى صلاتنا ونتعرف منه أوقاتها ، فـما الفرق بين الصلاة والصوم على أننا فى الصيام لا نحتاج إلى الحساب إلا فى عملية واحدة هى أول الشهر ، أما فى الصلاة فنحتاج إلى الحساب لمعرفة الأوقات الخمسة لـكل يوم .

وليس المقصود من هذا أن نهمل جانب الرؤية ، ولـكن لنـا أن نجمع معها الحساب ولا سيما عند الغيم ، أو إذا كان الشخص فى مكان ناء عن بلد الحاكم ولا يتيسر له العلم بحكمه أو نحو ذلك ، فله أن يعمل بحساب الفلـكيين .

لا يجب على المرأة الحائض والنفساء الصوم ولكن يجب عليهما القضاء فى أيام أخر .

الحامل والمرضع يجوز لها الفطر إن خافتا على أنفسهما أو على الحمل والرضيع ، وعليهما القضاء ، وقال ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير يفطران وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما .

الحقنة الشرجية إذا استعملها الصائم أفطر عند جمهور العلماء ، وقال القاضي حسين لا يفطر بالحقنة الشرجية . قال النووي وهو شاذ وإن كان منقاسا ، لأنها إنما تصل إلى الأمعاء لتنظيفها ولا تصل إلى المعدة ، ولهذا لا تحدث شبعا ولا ريا .

أما الحقنة الجلدية والعضلية والوريدية فلا تفطر لأنها عن طريق المسام ، كالكحل والقطرة في العين لا يفطران وإن وجد الطعم في حلقه .

إذا قطر في أذنه دواء أو ماء أو غيره ، قال القاضي حسين والغزالي والفوراني إنه لا يفطر ، لأنه لا منفذ من الأذن إلى الدماغ وإنما يصل بالمسام كالاكتحال .

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

عربي أنا

لي من ديني ، ولي من لغتي | نسب بالعرب موصول الحبال
هم إذا رقوا فينبوع جرى | يرتوي الظمآن منه بالزلال
أو نسيم ينشر الطيب وقد | راح يسري فوق ممتد الظلال
أو سحاب جاد بالخصب وما | قال : إني ... عف عن ذكر النوال
فاغتنم صفوهم واحذر ، فمن | رام كيدا لهم رام المحال

سيد عبد الرءوف سعد

شهر الصيام فى واقع حياة المسلمين :

رمضان ... يكشف لنا الطريق

من شعائر هذا الدين ما شرع ليتخلل الحياة اليومية العادية ، ينفخ فيها روح الإيمان ساعة بعد ساعة ، دون أن يقتطع المرء من بيئته ومشاغله إلا بقدر .... وذلك واضح فى فرائض الصلاة الخمسة فى كل يوم .

ومن شعائر هذا الدين ما اتجه إلى تغيير نظام (الزمان) الذى يعيش خلاله الإنسان تغييرا مباشرا ... ويتجلى هـذا فى فريضة الصيام التى تغير مواعيد الطعام والشراب إلى أوقات أخرى تمـاما .

ومن شعائر هـذا الدين ما اتجه إلى تغيير (المكان) الذى يحيا فيه الإنسان تغييرا مباشرا ... ويظهر هذا فى فريضة الحج التى يرحل فيها المسلم إلى صحراء ، ويلبس ملابس الإحرام ، وتمتنع عليه طوال الإحرام أعمال معينة مما كان يزاوله فى الحياة اليومية عادة .

ولكل من هذه الشعائر أثره فى حياة الإنسان .... الصلاة تنبيهات خفيفة (لضبط) الآلة الإنسانية خلال مجرى الحياة العادية ، والصوم (فك ومسح) لهذه الآلة مما يكون قد علق بها على مدار العـام عن طريق تغيير للعوائد والنظام ، والحج (غيار كامل) لمـا تلف من هذه الآلة طوال العمر .

وكلما كانت الشعيرة الدينية أطول أمدا وأكثر تغييرا للمألوفات الرتيبة كلما تركت انعكاساتها على نفس الفرد وواقع المجتمع ، ويبدو جليا مدى اهتمام الإسلام بأثر المجتمع على نفوس الأفراد . فهو لا يترك المؤمن يشقى بالإيمـان فى بيئة تلح عليه ضغوطها المـادية والأدبية لينخلع من دينه ، وإنمـا يرمى بالإيمـان نظاما للفرد والمجموع يحقق سـلام الضمير وسلام البيت وسلام الجماعات كلها ، دون تصادم أو تمزيق .

والذين يريدون دراسة صحيحة (للأسـلوب الدينى) فى التربية والتنظيم ، فعليهم (برمضان) فهو جامع لمناح متعددة من أسلوب الدين فى التوجيه :

فرمضان أولا علم على المجتمع الإسلامى يميزه فلا يخطئه السائح القادم من بعيد ...

فع أن الصيام شعيرة حقيقتها بين العبد وربه «كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به [1] » ، إلا أن لهذه العبادة ظواهر تراها فى المجتمع كله خلال رمضان .

وجوّ رمضان الاجتماعى : هو الأثر الباقى الذى لم يتخلف عن حياتنا الإسلامية ، ومهما تاه المسلمون وتفرقت بهم السبل عبر شهور العام ، فانهم يفيئون إلى الطريق فى رمضان .

فنهار رمضان تقفل فيه حوانيت الطعام ، وتمتنع الأفواه عن الازدراد أو الاحتساء، ويصبح الشذوذ أن ترى إنسانا يأكل أو يشرب أمام الناس ...

وتعود الحساسية تغشى جماعات المسلمين فلا يطيقون رؤية ناشز آبق ، ويعود الحياء إلى وجوه أفراد المسلمين فقلما ترى مجاهرا بعصيان ، وإن رأيته سارع إلى الاعتذار والتبرير !

لا أقول إن هذا هو الحكم السائد الشامل ... ولكن لو قارنت الحال فى موقف الناس من مخالفات رمضان ، وموقفهم إذا رأوا الكاذب الخائن أو العربيد فيما اعتادوه من أيام ... لتحققت الفارق الكبير .

وقبل المغرب .... ترى مجتمعا صائما يستعد للفرحة الأولى : فرحة الفطر ....

إقبال على حوانيت الطعام ....

وترى الطرقات تموج بالناس ، ثم رويدا رويدا تتثاقل الأقدام عن جوب الشوارع لتسكن فى البيوت ، وهكذا تخلو الطرقات وتغلق معظم الحوانيت ، وتصير المدن فى حالة هدوء تام يقطعه صوت مدفع الإفطار ...

وما يكاد ينتهى الإفطار حتى تنتفض الشوارع حركة ، وتقذف البيوت بسكانها إلى (تراويح) رمضان، ثم (سهرات) رمضان ... وتعوض البلاد بالليل ما افتقدته بالنهار .

حتى الأطفال الصغار لهم فى رمضان تقاليد وعوائد ، يهدون بضجيجهم ساعة العصر لضربة المدفع ، فاذا أقبل الليل كان لهم سمر ولهو ، ومنهم من يصر على أن يرافق (المسحراتى) أو يقلده ليغنى الناس عنه .

---

[1] من حديث الطبرانى فى الكبير ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير .

إن رمضان هنا يلقى علينا درسا نفيسا فى تطبيق الإسلام ...

فلن ينهض دين الله إلا إذا تعاون عليه الفرد والمجموع ، الصغار والكبار ، الرجال والنساء ، الأسرة والمدرسة ، الإذاعة والصحافة ، الفن والأدب ... وهكذا .

ولن تستمر جذور دين الله غائرة ضاربة متغلغلة ، إلا إن كان المجتمع كله يتعاون على المعروف ويتواصى بالحق والخير ، فينكر كل مخالف مارق حتى يجد نفسه غريبا فى مجتمع تميز بالطهر والإيمان .

ولن ينجح التوجيه الدينى إلا إن أشركنا فيه نساءنا وأطفالنا ، وعمرنا به أيامنا ولياليناا . ولا أعنى بالتوجيه الدينى إزجاء المواعظ فحسب ، ولكن أعنى الحياة الكاملة التى يشيع فيها الصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، والحب لله والبغض لله .

الحياة التى لا يكون فيها الدين أحمالا وأثقالا وأعباء فقط ... بل يتخلل الدين كل دروب الحياة ومسالكها ويسد كل ثغراتها ، جدها ولهوها ، فرحها وترحها ، سلمها وحربها ...

الحياة التى يكون الدين فيها تقاليد مستقرة ، وعرفا جاريا ، وقدوة سائدة ... ولا يكون (المعروف والمنكر) مجرد كلمات يصرخ بها فى واد ، بل حقيقة واقعة تحتمها حياة فاضلة لمجتمع يسوق تنظيمه نفسه إلى الخير دون ملاحاة أو اصطراع ... مجتمع فيه كفالة لحاجات ، وتعاون على الملمات ، وتصارح فى الحق ، ولا مكان فيه للكذب والنفاق والخيانة ، إذ لا يجد المرء فيه ما يخافه ليتقيه بالالتواء والتعقد ، وإنما هو آمن على حريته وعمله وبيته ووطنه وعقيدته .

فليكن مكان الدين كله من حياتنا ، مثل مكان رمضان بيننا ... وحينئذ يخلد الدين فى واقع أمرنا ، خلود رمضان على تتابع الأعوام .

* * *

ورمضان مدرسة ...

نرى فى رمضان :

- ارتباط الوجدان بالفكر والعمل .
- وارتباط التكليف بالتيسير .

• وارتباط الحرمان بالمتعة .
• وارتباط الفرد بالمجموع .
• وارتباط الشعائر بالحياة .

وفى هذه الصور المتعددة من الارتباط ، تعبير عن الوحدة فى الدين والحياة ...

فالإنسان مشاعر وأحاسيس ، والإنسان عقل وفكر ، والإنسان سلوك ونزوع ... ورمضان نموذج لاستيعاب الدين حاجات الإنسان كلها . فالصوم فى رمضان شفاء ووقاية للنفوس ، والقرآن نزل فى رمضان ذكرا وضياء للعقول ، وفى رمضان ذكريات جهاد وكفاح ترسم للمؤمنين منهج السلوك ، وفيه زكاة الفطر حق للسائل والمحروم .

ورياضة النفس بغير فكر أصيل لن تزيد الإنسانية ثراء إلا فى عدد الذين ينامون على المسامير ، ويسيرون على الحبال ويبتلعون النيران ويلعبون بالسكاكين ... والفكر الأصيل إذا لم تعصمه نفس طهور قد يكون وبالا على صاحبه وعلى الناس ... وإذا عفت النفوس واستقامت العقول فلا بد من عمل وثمر يعمر الدنيا بالخير .

والمسلمون يستقبلون فى رمضان ندوات القرآن بعد صيام وقيام ، وما أجدرهم أن يخرجوا من رمضان بنفوس سوية وعقول مستنيرة ... لو كانوا يعقلون .

• • •

ورمضان فيه تكليف ومشقة ... ولكنه يعبر عن روح الدين كله إذ يجمع إلى ذلك التخفيف والتيسير : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .

الدين عندنا ليس إعناتا للناس وتشديدا فى لحظات ، ثم بعد ذلك إطلاقا للعنان وإرخاء للشهوات فى غير أوقات الشعائر وبعيدا عن دور العبادة ...

والدين عندنا ليس إضناء للبدن وتعذيبا للجسد زعما بأن ذلك يرقى الروح ...

هذا وذاك من الأفكار الغريبة عن ديننا ، الدخيلة عليه .

الدين عندنا تحقيق لكل الضرورات والحاجات والآمال ، وتقرير (للراحة الإنسانية) فى صورتها الكاملة : راحة للجسد والروح ، للنفس والعقل ، للفرد والمجموع .

لذلك نرى الدين الذى فرض الصوم فى رمضان ، ينهى عن الصوم فى الأعياد ، و ينهى عن الوصال فى الصوم ، ويدعو إلى تعجيل الفطر وتأخير السحور رحمة بالصائمين : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

ومن أجل ذلك خفف الله عن المسافر والمريض « ليس من البر الصيام فى السفر [١] » .

وفى غزوة بدر « نادى منادى رسول الله يا معشر العصاة إنى مفطر فأفطروا ! ! ... وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا » وتكرر الموقف يوم الفتح « وبلغه أن قوما صاموا فقال : أولئك العصاة ! ... وقال بمر الظهران : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم [٢] » .

« وسافر رسول الله فى رمضان فى أعظم الغزوات وأجلها : فى غزاة بدر وفى غزاة الفتح . قال عمر بن الخطاب : غزونا مع رسول الله فى رمضان غزوتين : يوم بدر والفتح ، فأفطرنا فيهما ... ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تقدير المسافة التى يفطر فيها الصائم بحد ولا يصح عنه فى ذلك شىء ، وقد أفطر دحية خليفة الكلبى فى سفر ثلاثة أميال وقال لمن صام : قد رغبوا عن هدى محمد ... وكان الصحابة حين ينشئون السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت ... » .

وإذا كان رسول الله يأمر أصحابه بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله ، « فلو اتفق مثل هذا فى الحضر وكان فى الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر فيه قولان : أصحهما دليلا أن لهم ذلك ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبه أفتى العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق . ولا ريب أن الفطر لذلك أولى من الفطر لمجرد السفر ، بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على إباحته فى هذه الحالة فإنها أحق بجوازه ، لأن القوة هناك تختص بالمسافر والقوة هنا له وللمسلمين ، ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر ، ولأن المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد أعظم من المصلحة بفطر المسافر ولأن الله تعالى قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة [٣] » .

---

[١] رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير .

[٢] المقريزى : إمتاع الأسماع ــ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٧٣ ، ٣٩٥ .

[٣] ابن القيم : زاد المعاد [مطبعة السنة المحمدية] حـ ١ ص ٣٣٤ : ٣٣٦ .

دين واقعي .... إنساني :

« والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا » .

* * *

ولكن ينفى الدين معنى (التعبد بالحرمان وإجهاد البدن) ، ويثبت معنى (التعبد بطاعة أوامر الله) سواء كان فيها تخفيف أو تشديد ، فانه جعل الصوم ساعات معدوادت حتّم الفطر بعدها وحرّم المواصلة فوقها ، وأحلّ ليلة الصيام أن يخلو الرجل لأهله ...

وأنت تقرأ فى ذلك حنو الربانية الرحيمة على الطبيعة الإنسانية التى يعلم الله سرها ونجواها :

« أحلّ لكم ليلة الصيام ، الرفث إلى نسائكم ، هنّ لباس لكم ، وأنتم لباس لهنّ ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم ، وعفا عنكم ، فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

وفى هــذا أصل جليل ، حدّد فيه الإسلام فطرته إلى دوافع النفس ، فلم يزهد فى الاستجابة لها ولم يحط من قدرها ، بل عمــل على إرضائها بمـا يغنى الفرد ولا يحيف على المجتمع ، بعيدا عن كبت المتزمتين أو انطلاق الفجرة .

«وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن قد يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم ، وربمـا كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم فى رمضان [١] » .

هــكذا يسوق الدين أحكام قضاء الوطر فى ثنايا أحــكام الصيام .... حتى يغدو الصيام قربة لله بالامتناع عن الطعام والشراب والنساء، كما يغدو تلبية نداء الفطرة قربة لله بابتغاء ما كتبه الله لعباده « فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم » .

---

[١] المصدر السابق ص ٣٣٧ . لكنه منع الأزواج فى سن الشباب من ذلك لأنهم لا يملكون أوطارهم .

فإذا انتهى رمضان ختم الله أيامه المباركة بعيد الفطر .... وهكذا يتزاوج فى الدين الصبر على المشقة ، ثم الإقبال على المتعة والبهجة ، فلا إفراط ولا تفريط .

« وكان صلى الله عليه وسلم يلبس للخروج إلى العيدين أجمل ثيابه ، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ، ومرة كان يلبس بردين أخضرين ، ومرة بردا أحمر [١] » .

« كانت مظاهر الإسلام تتجلى فى الاحتفال بالعيدين فى الأمصار الإسلامية ، وعلى الأخص فى بغداد وبيت المقدس ودمشق ... وكان يبلغ منتهى الروعة فى البلاد التى يكون فيها الشعور الإسلامى قويا مثل طرسوس حيث كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من أنحاء الدولة الإسلامية ، وترد إليها صلات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للجهاد بأنفسهم » . (حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام جـ ٢ ص ٣١٥) .

وقد شاء الله أن يكون ختام الصوم عيدا ، وأن يكون ختام الحج عيدا ... وكما تكون الطاعة باحتمال مشقة الصوم والحج ، تكون الطاعة باشاعة مشاعر السرور فى عيد الفطر وعيد النحر .

• • •

وليس الصوم مقصورا على تربية الفرد فحسب ، بل إنه يضفى آثاره على الفرد وعلى المجموع ، فيعقب صوم رمضان زكاة الفطر ، كما أن أيام الحج تنتهى بالأضحية فى عيد النحر .

وفى هذا وذاك يتقرر حق الفقير والمسكين ، وتثمر شعائر العبادة ثمارها فى روح الفرد فى مصالح المجموع على السواء .

« كان رسول الله يخرج يوم العيد من يوم الفطر ، فيصلى بالناس تينك الركعتين ، ثم يسلم فيستقبل الناس فيقول : تصدقوا ، وكان أكثر من يتصدق النساء ... [٢] » .

• • •

---

[١] المصدر السابق ص ٢٥٠ .

[٢] المصدر السابق ص ٢٥٣ .

وأخيراً ... فإننا نجد ارتباطاً كاملاً بين الصيام والحياة ، وهو ارتباط نجده في كل شعيرة من شعائر الإسلام .

فليست الشعائر في الإسلام مقصودة لذاتها، وإن لم ينعكس أثر الصلاة والصيام والحج على واقع حياة المصلين والصائمين والحجاج فإنهم لم يعرفوا الطريق بعد ... « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وصححه السيوطي في جامعه الصغير .

الشعائر في الدين مدرسة أخلاقية ، وعيادة نفسية ، وتربية اجتماعية : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ...

وفي الصيام بالذات توجيه لتقوية الإرادة والعزيمة ، وتعود الصبر والاحتمال ، وتأكيد لانقياد الفرد لأحكام الله أخص مقومات حياته ـ غرائز حفظ النفس وحفظ النوع ... « الصيام جنة من النار ، فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه ، وليقل إني صائم » . « الصيام نصف الصبر » . « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

ويبين القرآن ثمرة تربية المجاهدين على الصبر : « فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني ، إلا من اغترف غرفة بيده » . فأما الذين لم يطيقوا الصبر على العطش بعض الوقت فقد كانوا أعجز عن مواجهة العدو : « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » . وأما الذين ثبتوا على الطاعة فقد واجهوا عدوهم ثابتين : « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله » .

* * *

فهل يخرج المسلمون من رمضان ، بأخلاق فى عزائمهم وسلوكهم تلين لهم مصاعب الحياة ؟ ؟.

وهل يعرف المسلمون أن شعائر العبادة فى الإسلام (نماذج مركزة) للتعليم ، لن تغنى شيئا إذا لم تحقق عن طريقها النماذج الأصيلة على الطبيعة فى واقع الحياة ؟ ؟ .

وهل يعلم المسلمون أن (شهادات) أداء الشعائر لن تنفعهم إذا لم يجتازوا بها ميدان العمل ، ويتفوقوا بها على من لا يحملون مؤهلاتهم ؟؟ .

وهل يصمم المسلمون على أن يجعلوا للاسلام فى حياتهم قاعده اجتماعية يتضامنون على إرسائها ، كما أرسوا بينهم تقاليد رمضان ؟ ؟ .

فتحى عثمان

يقظة العروبة

قال المستشرق الانجليزى الدكتور جب : العرب يتمسكون بلغتهم وأدبهم ، ويتغنون بمجد الإسلام ، ولم تقم فى بلادهم حركة وطنية إلا كانت الروح الإسلامية أساسها . فهل يفكر العرب بعد هذا فى إبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية ، أو ينصرفون عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الإسلامى كافة ؟ هـذا مستحيل . وستبق الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبدا بلا كلل ولا ملل ، ولن يطرأ عليها أى ضعف أو وهن .

حصوننا مهددة من داخلها

« فى جامعة الدول العربية »

— ٢ —

يدعو السنهورى فى مقاله ـ الذى وعدت بالحديث عنه ـ إلى توحيد القانون المدنى فى سائر البلاد العربية ، فيستثنى من ذلك الحجاز واليمن ، لأنهما تلتزمان الشريعة الإسلامية ، (إلى أن يحين الوقت الذى تتمكن فيه من المشاركة فى حركة التقنين المدنى العربى ـ ص ٨) . ويقول بعد ذلك : إن التقنين العربى يتنازعه تياران ، أحدهما ممثل فى القانون المصرى ، وهو تيار غربى خالص أو يكاد .

والآخر يمثله القانون العراقى الحديث ، وهو يمزج بين الشريعة الإسلامية والقوانين الغربية . ويدخل فى القسم الأول الذى يصفه بأنه (ينتمى إلى الثقافة المدنية الغربية) مصر وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش ، بينما يدخل فى القسم الثانى العراق والأردن وفلسطين .

وهو يصف القانون المدنى الجديد فى مصر بأنه قد جعل للشريعة الإسلامية بعض الاعتبار . ولكنه يعترف بأن (المشرع المصرى بالرغم من كل ذلك لم يخط خطوة حاسمة فى جعل القانون المدنى مشتقا فى مجموعه من الفقه الإسلامى) . ويعتذر عن ذلك بأن المشرع المصرى قد أخذ بأسباب الأناة والتبصر (وتربص حتى يأخذ الفقه الإسلامى بأسباب التطور ـ ص ١٠) . ثم يعود فيؤكد أن هذا القانون (يمثل أصدق تمثيل الثقافة المدنية الغربية فى العصر الذى نعيش فيه ـ ص ١٥) .

أما القانون العراقى فهو يتميز عنده بأنه (أول قانون مدنى حديث يتلاقى فيه الفقه الإسلامى والقوانين الغربية الحديثة جنبا إلى جنب بقدر متساو فى الكم والكيف ـ ص ١٨) وهو يرى أن هذه التجربة (من أخطر التجارب فى تاريخ التقنين الحديث) ، لأن وضع نصوص الشريعة الإسلامية إلى جانب النصوص الغربية قد (مكن لعوامل المقارنة

والتقريب من أن تنتج أثرها ، ومهد الطريق للمرحلة الثالثة والأخيرة فى نهضة الفقه الإسلامى ، يوم يصبح هذا الفقه مصدرا لأحكام حديثة تجارى مدنية العصر وتساير أحدث القوانين وأكثرها تقدما ورقيا — ص ١٩) .

وهو يقدر (بعد أن أصبح الفقه الإسلامى والقانون المدنى الغربى جنبا إلى جنب فى صعيد واحد ، أن يتكامل القانونان وأن يتفاعلا . هذا يؤثر فى ذاك وقد يتأثر به . ومن ثم تقوم نهضة علمية حقة لدراسة الفقه الإسلامى فى ضوء القانون المدنى الغربى . وهذه الدراسة هى التى قصدت أن أصل إليها ، حتى إذا آتت ثمارها وتقدمت دراسة الفقه الإسلامى إلى الحد الذى يجعله مصدرا لقانون مدنى يجارى مدنية العصر ويساير ثقافة الجيل ، عند ذلك نكون قد بلغنا المرحلة الثالثة والأخيرة ويتحقق ببلوغنا هذه المرحلة الهدف المنشود — ص ٢٠) .

والهدف المنشود عنده هو الذى أشار إليه قبل ذلك بسطور قليلة حين قال (والهدف الذى قصدت إليه هو أن يكون للبلاد العربية قانون واحد يشتق رأسا من الشريعة الإسلامية) ولكن كلامه الذى تلا ذلك — وهو كلام بالغ الخطورة — يكشف عن مبلغ ما فى هذا الزعم من إخلاص ، ويبين أنه ليس إلا خداعا ، وأن الشريعة الإسلامية التى يقصدها هى شىء آخر غير الشريعة التى أنزلها الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فهى شريعة تستهدى (مدنية العصر) الغربية و (ثقافة الجيل) الغربية أيضا ، وتروض نفسها على أن ترتفع إلى مستوى شرائع الغرب ، لأنها فى زعم المؤلف لم تبلغ هذا المستوى . وقصد الكاتب إلى (تطوير) الشريعة الإسلامية واضح فى مقاله هذا كل الوضوح . وهو يقصد بتطوير الشريعة الإسلامية جعلها ملائمة لنظم حياتنا ولأنماطها المنقولة عن الغرب المسيحى ، أو الغرب اللادينى على الأصح ، فهو يريد أن يشكل الشريعة الإسلامية بشكل هذه الحياة ، بدل أن يشكل الحياة بشكل الشريعة ، أى أنه يحكم هذه الأنماط الغربية فى الشريعة بدلا من أن يحكم الشريعة فى اختيار ما يلائمنا من هذه الأنماط . أو بعبارة أخرى هو يعرض الشريعة على واقع الحياة ، ولا يعرض واقع الحياة على الشريعة . وهو مع ذلك لا يميز بين الشريعة الإسلامية المنزلة من عند الله وبين القانون الغربى الذى صنعته المصالح والأهواء ، بل الذى صنعته اليهودية العالمية فى بعض الأحيان ، كما هو الشأن فى القانون الفرنسى الذى استمد منه القانون المصرى خاصة ، لأن هذا القانون ثمرة من ثمار الثورة

الفرنسية اليهودية التي أصبحت فرنسا من وقتها دولة لادينية من الناحية الرسمية على الأقل. وما وجه المقارنة بين قانون صنعه الإنسان وبين قانون منزل من عند الله العليم الخبير؟.

إن الذي يعتريه شك في أن الشريعة الإسلامية - كما هي في القرآن الكريم وكما بينتها السنة الشريفة - منزلة من عند الله كافر. والذي يؤمن بأنها منزلة من عند الله لا يعتريه شك في صلاحيتها لكل زمان ومكان، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، بذلك وصف نفسه - سبحانه - في محكم كتابه، وبذلك يؤمن المسلمون.

والواقع أن هذا الذي يهدف إليه السنهوري هو شر الحلول؛ لأن الذي يفعله هو تبديل الشريعة الإسلامية، ولا شك أن تفاعل الشريعة الإسلامية السماوية مع شرائع الغرب الوضعية هو شر مما كان حادثا من استعارة القانون الغربي كله أو بعضه. لأن من الممكن التخلص من الدخيل في هذه الحالة. أما في حالة الاندماج والتفاعل فادراك الحدود بينهما صعب، وتخليص الشريعة الإسلامية مما دخلها من أسباب الزيغ والانحراف يكاد يتعذر بعد أن تتغلغل الروح الغربية في كيانها، ويصبح الناتج من تفاعلهما شيئا جديدا معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له.

ثم إن الناس في الحالة الأولى يدركون إدراكا واضحا أن القانون الذي يحكمهم قانون دخيل. أما في الحالة الثانية فقد يتوهمون أن القانون الذي يحتكمون إليه قانون إسلامي بل إن كاتب المقال يزعم لهم ذلك منذ الآن.

والواقع أن هذا الذي يفعله السنهوري هو الذي يهدف إليه الاستعباد الغربي. يقول هـ. ا. ر. جب في كتابه «إلى أين يتجه الإسلام Whither Islam - ص ٣٢٨ - ٣٢٩ من طبعة لندن ١٩٣٢» (إن مستقبل التغريب والدور الذي سيلعبه في العالم الإسلامي لا يتوقف على هذه المظاهر الخارجية للتأثر والاقتباس؛ لأن الصورة الظاهرية ثانوية، وكلما كان التقليد في المظاهر أكمل كان امتزاج الشيء المنقول بنفس المقلدين أقل؛ لأن فهم الروح والأصول التي تنطوي عليها المظاهر الخارجية فهما كاملا لابد أن يصحبه إدراك التعديلات التي تتطلبها الظروف المحلية، ويمكن أن يزول من العالم الإسلامي كثير من النظم الغربية التي نراها فيه الآن، ولن يكون بعد ذلك أقل حظا من الاستغراب

بل ربما كان أوفر حظا ، وإذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربي ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية . علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان الدول الإسلامية ، فتتخذ شكلا يلائم ظروفها) .

يعود كاتب مقال اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية فيؤكد أن هدفه هو تغريب الشريعة الإسلامية نفسها وفرنجتها ، أو بعبارة أخرى إيجاد « إسلام غربى » إن صح هذا التعبير ، وذلك حيث يقول (فالنتيجة الحتمية إذن لوضع القانون المدنى المصرى ثم لوضع القانون المدنى العراقى مشتقا منه ومن الفقه الإسلامى على السواء هى النهوض بدراسة الفقه الإسلامى فى ضوء القانون المدنى الغربى — ص ٢١) .

ومع ذلك فهذا القانونى الذى يظن بالتشريع الإسلامى التخلف عن القانون الغربى يعترف بأنه لم يدرس الشريعة الإسلامية إلا فى وقت حديث متأخر جدا ، حين اشترك فى وضع القانون المدنى العراقى . فأتيح له الاطلاع على بعض نصوص الفقه الإسلامى ، وهو هنا يعترف اعترافا صريحا بأن اطلاعه على الفقه الإسلامى جديد تاريخا ، ومحدود موضوعا ، لا يتجاوز ما أتيح له أثناء اشتراكه فى لجان وضع القانون العراقى ، ولم يمنحه من وقته صنة من عشرات السنين التى أفناها فى دراسة القانون الفرنسى ، والواقع أن هذا الجهل بالشريعة الإسلامية يعلل فتنته بالقوانين الغربية ، التى حدت به إلى المجاهرة بأن تكون روح التقنين الغربى وأسلوبه هما قوام نهضة التشريع الإسلامى ، وهو بذلك معذور لجهله حسب اعترافه ، ومن جهل شيئا عاداه ، ولكن من الظلم للناس وللاسلام وللقانون أن يسلم زمام التشريع فى البلاد الإسلامية إلى الذين يجهلون شريعتها ، ومن الواضح أن الرجل حين رأس لجان القانون المدنى الجديد فى مصر لم يكن على معرفة بالشريعة الإسلامية ، لأنه إنما اتصل بها حسب اعترافه أثناء اشتراكه فى لجان القانون المدنى العراقى ، وقد كان ذلك بعد وضع القانون المدنى المصرى الجديد ، واعترافه فى هذا الصدد صريح ، إذ يقول (وأكثر ما كان درسى للفقه الإسلامى عند وضع القانون المدنى العراقى . فان هذا القانون كما قدمت مزاج صالح من الفقه الإسلامى والقانون المصرى الجديد . فأتاح لى اطلاعى على نصوص الفقه الإسلامى ، سواء كانت مقننة

فى المجلة [١] ومرشد الحيران ، أو كانت معروضة عرضا فقهيا فى أمهات الكتب وفى مختلف المذاهب ، أن الحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع ، وما يكن فيه من حيوية وقابلية للتطور ص ٢٢) .

ويرسم كاتب المقال منهجا يقترحه لدراسة الفقه الإسلامى (لإحيائه والنهضة به نهضة علمية صحيحة) حسب زعمه . فيقرر فى بدء كلامه أن (الأساس فى هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة . فيدرس الفقه الإسلامى فى ضوء القانون المقارن) . ولست أدرى ما حاجتنا إلى هذه المقارنة . ولماذا كل هذا الحرص على أن لا نخالف التشريع الغربى ولا نبتعد عن روحه ؟ أليس فى تلك قتل لشخصيتنا وإفناء لها فى الغرب ، مما لا يخدم سوى مصالح الاستعباد والتبشير ؟ ذلك إلى ما يتضمنه من تبديل شرع الله وتحريف الكلم فيه عن مواضعه ، وهو كفر صريح ، وليس بعد الكفر ذنب .

ويطالب الكاتب بدراسة مذاهب الفقه الإسلامى المختلفة ، السنى منها والشيعى والخارجى والظاهرى : (وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الإسلامية ، ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربى الحديث ، حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين وقف الفقه الإسلامى ، لا فى قواعده الأساسية ومبادئه ، بل فى أحكامه التفصيلية وفى تفريعاته ، فتمتد يد التطور إلى هذه التفصيلات ، على أسس تقوم على ذات الفقه الإسلامى وطرق صياغته وأساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الإسلامى إلى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجارى مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير . وهو فى الحالين فقه إسلامى خالص (؟ !) لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله (؟ !) - ص ٢٣) .

ألا تعجب معى لهذا الرجل الذى يزعم بعد كل ماقاله أن الفقه الإسلامى الذى يسعى إلى تطويره تحت وصاية التقنين الغربى وفى ولايته هو فقه إسلامى خالص؟ وكيف يكون خالصا وهو يحكم فيه (روح العصر) ، وهى روح غربية حسب اعترافه فى كل موضع من مقاله ؟ ومن الواضح أن (مدنية العصر) التى يطالب السنهورى إلى الفقه الإسلامى أن

---

[١] المقصود هو (مجلة الأحكام العدلية) التى أصدرتها الدولة العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر متضمنة صياغة الأحكام الإسلامية - على المذهب الحنفى - فى شكل مواد على النمط الغربى .

تجاربها ، ويطلب إلى واضعى القانون أن يتخـذوها مقياسا لصلاحية الفقه الإسلامى ، هذه المدنية هى مدنية غربية فرضها الاستعباد الغربى ونجح فى ترويجها وفى إرساء دعائمها وتنشـئة الرجال الذين يسهرون عليهـا ورعاية هؤلاء الرجال ودفعهم إلى منصب القيادة والزعامة ، بما يسمح لهم أن يرعوا جيلا جديدا من أتباعهم ، ثم يرعى هذا الجيل جيلا من بعده ، وهكذا دواليك . فتصبح قيادة المسلمين الفكرية والسياسية دائما فى يد هذه العصابة ، لا يسمع الناس إلا كلامها وكلام أذنابها ، ولا يرون إلا صورها وصور أذنابها ، ولا يرقى أحدهم إلى مرتبة من مراتب الشرف ولا يفتح له باب من أبواب الرزق إلا إذا حصل على جواز المرور من هذه العصابة التى تسد كل منفذ ، وتحكم فى كل باب وتحتل كل معقل . ويظل المسلمون هكذا محكومين فى حقيقة الأمر بالاستعباد الغربى وهم يظنون أن حكامهم هم إخوانهم وأبناء أمتهم .

ويقترح السنهورى بعد ذلك إنشاء معهد خاص يلحق بجامعة الدول العربية لدراسة الفقه الإسلامى حسب ذلك المنهج الذى يقترحـه . وهنا يلتقى السنهورى بطه حسين ، الذى اقترح فى كتابه (مستقبل الثقـافة فى مصر ـ الفقرة ٤٩) إنشاء معهد للدراسات الإسلامية فى كلية الآداب ، كما يلتقى بمحمد خلف الله فى اقتراحه الذى تقدم به إلى وزارة التربية والتعليم عن إعداد مدرس الدين ، فاقترح فيه (أن يعاد النظر فى تكوينه وإعداده وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر) . وبنى على ذلك اقـتراحا بإنشاء (قسم أو شعبة للدراسات الإسـلامية فى كل كلية للآداب بالجامعات المصرية) تدرس فيما تدرسه (سيكولوجية الدين) و (النظم الدينية والأخـلاقية المقارنة) و (لغـة أو لغتين شرقيتين كالفارسية والأردية ، ولغـة أو لغتين غربيتين ، ليكونوا على اتصال بتيارات التفكير الثقافى فى الشرق الإسلامى وفى الغرب) [١] .

ومع ذلك كله فليس للشريعة الإسلامية من الاعتبار عند كاتب هذا المقـال أكثر مما للقانون الرومانى . فالغاية عنـده من إنشاء ذلك المعهد الذى اقترحه هى أن تنتهى هـذه الدراسة بعـد عشرات من السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه ، وتدب فيـه عوامل التطور فيعود كما كان فقها صالحا للتطبيق المبـاشر ، مسايرا لروح العصر . وتكون نهضة

---

[١] مجلة الأسرة ـ يصـدرها قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالإسكندرية ـ العدد السادس سنة ١٩٥٢ ص ١٦٠ — ١٦٥ .

الفقه الإسلامي هــذه شبيهة بنهضة القانون الروماني في العصور الوسطى . ويبت الفقه الإسلامي قانونا مدنيا متطورا يجاري المدنية الحديثة . وينبثق هذا القانون الحديث من الشريعة الإسلامية كما انبثقت الشرائع اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الروماني - ص ٢٤)

ومثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن مسلم يعتقد أن الشريعة الإسلامية منزلة من عند الله ، وأنها حدود الله ، لا يتعداها إلا كافر ظالم لنفسه .

ثم يأخذ الـكاتب في بيان ما يتضمنه التقاء القانون الغربي بالفقه الإسلامي من وجوه واحتمالات ، ويخرج القـارئ من كلامه بأن ما يسميه (اشتقاق القـانون من الشريعة الإسلامية) ليس في حقيقة الأمر إلا إخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر وشهواته وهو ما يسميه (مدنية العصر) . وخلاصة ما يقوله هنا أنه لا يأخذ بحكم الشرع إلا حيث يتفق تمـاما مع روح القوانين المدنية المستجلبة من أوربا . ثم هو يعدل الحكم الشرعي أو يلغيه ويسقطه حسب مبلغ تعارضه مع هذه القوانين الغربية الأصول، التي هي في زعمه (أصلح للعصر) أو (تجـاري مـدنية العصر) أو (تساير روح العصر) حسب تعبيره في مواضع مختلفة من هذا المقال الطويل .

وتطوير الفقه الإسلامي الذي يدعو إليه الـكاتب ، أو تبديله على الأصح ، هـو تطوير وتبديل لا يقف عند حد حسب اعترافه هو نفسه حيث يقول : (فالهدف الذي نرمي إليه هو تطوير الفقه الإسلامي وفقا لأصول صناعته ، حتى نشتق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذي نعيش فيه . فإذا استخلصنا هـذا القانون في نهاية الدرس وأبقيناه دائم التطور حتى يجاري مدنيات العصور المتعاقبة ، فقد تكون أحكامه في جزء منها، قل أو كثر ، مطابقة لأحكام القـانون المدني العراقي أو لأحكام القانون المدني المصري أو لأحـكام كل من القانونين ... الخ ص ٢٨) . والمهم في ذلك كله أن هذا التطور الدائم سوف ينتهي بذلك التشريع الإسلامي المزعوم في المدى القريب أو البعيد إلى أن يصبح شيئا مختلفا عن الإسلام الذي أنزل على نبينا عليه الصـلاة والسلام اختلافا تاما . بل إنه لـكذلك منذ بدء وضعه أو التفكير فيه كما هو ظاهر في هذا البحث »

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

الأزهر بين العروبة والاسلام

هذا موقف من مواقف الإنصاف وإيضاح الحقائق يرى الأزهر نفسه مضطرا فيه إلى الحديث عن ذاته، لا برغبة المفاخرة والمنافرة، بل بدافع التصحيح للوقائع، والتقويم للأحكام، والتعديل للعوج، والله يقول الحق، وهو يهدى السبيل.

والأزهر الشريف هو صاحب الفضل علينا وعلى الناس هنا وهناك، وهو الجامع الإسلامى العربى الأكبر، الذى صان تراث الإسلام والعروبة خلال أكثر من ألف عام، والذى حقق الوحدة العربية والوحدة الإسلامية منذ أقدم العصور، ففى أروقة الأزهر وحول أعمدته، وفى رحباته وجنباته، وفى معاهده وفروعه، تلاقى أبناء الأمة العربية، وأبناء الأمة الإسلامية خلال هذه القرون الطويلة، فتعارفوا وتآلفوا، وتذاكروا وتدارسوا، واجتمعوا على عقيدة الإسلام السمحة ولغة القرآن العربية، كتلة واحدة ومجموعة متحدة، تتقارب عواطفها ومشاعرها، وتتلاقى أفكارها وخواطرها...

والأزهر هو الذى لولاه فى عصور الظلمات وعهود الاحتلال - لضاعت العروبة وضاعت كلمة الإسلام من هذه الديار، ولما بقى فى الحمى رجل يقرأ أو يدرى الكتاب، كما يقول «شوقى» عليه رحمة الله.

فقد نظم «شوقى» قصيدة يحيى بها كتاب «فتح مصر الحديث»، وفيها يصف ظلمات البغى والاحتلال والاستعباد التى طافت بالبلاد والعباد، ثم ينوه بفضل الأزهر الشريف خلال هذه العهود المظلمة فيقول:

ظلمات لا ترى فى جنحها	غير هذا الأزهر السمح شهابا
زيدت الأخلاق فيه حائطا	فاحتمى فيها رواقا وقبابا
وترى الأعزال من أشياخه	صيروه بسلاح الحق غابا
قسما لولاه لم يبق بها	رجل يقرأ أو يدرى الكتابا
حفظ الدين مليا ومضى	ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا
أوذيت هيبته من عجزه	وقصارى عاجزا ألا يهابا!

ولقد حاول الأتراك أن يفرضوا التركية فى بلادنا على الجميع ، وحاول الفرنسيس أن يفرضوا الفرنسية ، وحاول الإنجليز أن يفرضوا الإنجليزية ، ودخلت هذه اللغات فعلا فى الدواوين والمصالح والنظارات والوزارات والبيوت والأندية والمجتمعات ، وكاد صوت العربية يضيع ، لولا أن الأزهر الجليل أبى واستعصم أمام هذا الطوفان الأعجمى الغربى الجارف ، فضاعت اللغة العربية فى أماكن كثيرة وبقيت حية فتية فى الأزهر . أفيقال بعد ذلك فى نزوة من نزوات النقد أو الكيد إن الأزهر مقطوع الصلة بالقومية العربية ؟ .

وكيف يقال ذلك والأزهر كان ولا يزال المنبع الذى تفيض منه الدعوات المحرضة على خير البلاد والعباد ، وتشع منه الأضواء التى تنير السبيل فى فترات الكفاح والجهاد ، وهو الذى تعبئ منه الدولة مشاعر الأمة وعواطفها فى كل موقف فاصل من مواقف التاريخ ، وفى كل ملمة من ملمات الأحداث ، وفى كل مرحلة من مراحل النضال ، ففى يوم الاعتداء الثلاثى الأسود على مصر انبعث صوت التعبئة العامة من جوف الأزهر ، وفى يوم ميلاد الجمهورية العربية المتحدة ارتفعت كلمة الإسلام من ساحة الأزهر تؤيد هذه الوحدة وتزكيها ، وما من يوم من أيام الفصل فى تاريخ هذا البلد وهذه الأمة إلا وكان فيه للأزهر كلمة مسموعة وصوت مرفوع ؟ ! . .

والأزهر عربى كل العروبة ، عربى فى داره وعلومه ولغته وأساتذته وطلابه ، والأكثرية المكاثرة من طلابه هم أبناء البلاد العربية ، ولو لجأنا إلى لغة الأرقام لقلنا إن تسعين فى المائة من طلابه على الأقل عرب من أبناء العرب ، جاءوا إليه من أقطار عربية ، وفيهم ما فيهم من مقومات العروبة ، فزادهم الأزهر عروبة وعربية ، وأهدى إليهم فوق تقويته لعروبتهم هدية كبرى ، هى أن فقههم فى دين الله ، وجعلهم دعاة للاسلام ، والإسلام هو خير من زكى العروبة وأعلاها ، وأيدها وقواها . . . .

والأزهر قد عرّب الذين ليسوا بعرب . . . عرّب الكثيرين من العجم الذين لم تكن لهم رابطة بالعروبة والعربية . . . فكم من آلاف الطلاب غير العرب قدموا إلى الأزهر من أقطار نائية وديار بعيدة ، وهم لا يعرفون حرفا من العربية ، ولا ينطقون فيها بكلمة ، فتسلمهم الأزهر ، ففتق ألسنتهم بالعربية ، ودرس لهم كتب العربية ، وجعلهم يكتبون بالعربية ، وينطقون بالعربية ، ويفكرون بالعربية ، وفى أثناء ذلك عمر الأزهر عقولهم وقلوبهم بتاريخ العرب وأمجاد العرب ومفاخر العرب ، وعاد هؤلاء إلى بلادهم ينشرون

الإسلام بلغة العرب ، فيحسنون المزج بين العروبة والإسلام ، ويبعثون في الديار التي ليست بعربية في أصلها ذكرا للعرب وريحا عاطرة للعروبة ...

ويقولون - ويا إفك مايقولون - إن الأزهر مقطوع الصلة بالحياة ولا يدرس العلوم الكونية والمواد الحديثة ؛ مع أن الأزهر تدرس فيه علوم التاريخ والجغرافيا والرسم والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات وتشريح الجسم وقواعد الصحة واللغات الأوربية . أفليست هذه من علوم الحياة ؟ . . .

وهذه صحيفة «الأهرام» تنقل لنا في صباح السبت ١٧ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ - ٨ مارس سنة ١٩٥٨ م ، رأى رجل مسيحي ، وهو من رجال السياسة والقانون المخضرمين الذين شابوا في معمعان المصاولات السياسية والتيارات الاجتماعية ، وهو الأستاذ لويس فانوس ، الذي كان عضوا بمجلس الشيوخ في الماضي ، وفي هذا الرأي يقول :

« إنني كمسيحي أومن بديني أؤكد أن الدراسة في الأزهر خير دراسة يقوم عليها منهج قديم أو حديث ، فإن الأزهر هو ذلك المعهد القديم الذي صان القومية العربية واللغة العربية والفقه الإسلامي الذي لم يترك شيئا من حياة المجتمع إلا نظمه ، كالجنايات والحدود وشئون التوثيق وأحوال الأسرة » ! ! . .

وفي الأزهر فرق كبرى للتدريب العسكري والحرس الوطني ، أفليس هذا التدريب من الاستجابة القوية للحياة وللواجب نحو الوطن ؟ ... وفي الأزهر فرق كثيرة للرياضة بمختلف أنواعها ، وقد تغلب بالأمس القريب فريق الأزهر لكرة السلة على فريق الإقليم السوري في الجمهورية العربية المتحدة ، أفليس هذا دليلا على اتصال الأزهر بالحياة ؟ ... ومنذ أيام أقام الأزهر معرضا للفنون ... إي والله أقام معرضا للفنون زاره الكثيرون من شعبيين وحكوميين ، أفبعد هذا اتصال بالحياة ؟ ... ولقد قال أحد علماء الأزهر في مؤتمر رياضي عام منذ سنوات وهو يتعلق باسم الأزهر الحديث : « نريد بجوار كل مسجد ملعبا ونريد في كل ملعب مسجدا » ، أفليس هذا من اتصال الأزهر بالحياة ؟ ... ولقد نادى أحد علماء الأزهر بالتعاون الصادق بين رجال الدين - وهم أهل الأزهر - وبين رجال الفن ، وقال كلمته التي سارت : إنه إذا تدين رجل الفن وتفنن رجل الدين التقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة الصحيحة والفن السليم ... أتوجد وراء هذه رغبة كريمة بوصل الأزهر بالحياة ؟ ...

معاذ الإنصاف بعد هذا أن نقول إن الأزهر خلو من العيوب ، أو إن مناهج دراسته صورة من صور الكمال والتمام ، فالنقصان حظ الإنسان ، والمثل الأعلى يرتفع دائماً كلما خطا الإنسان نحوه خطوة أو خطوات ، ولكن المؤسف كل الأسف أن تكال للأزهر وعلومه ومناهجه تهم هو منها براء ، فيقال إنه مقطوع عن القومية العربية ، مع أنه عماد هذه القومية العربية ، أو يقال إن علومه لا تتصل بالحياة ، مع أن أغلبها عميق الصلة والارتباط بهذه الحياة ! ...

لو قيل ـ مثلا ـ إن الأزهر مهضوم فى حقه ، أو مظلوم من بعض أهله ، أو منكور الفضل عند بعض قومه ، أو مصدود عن مكانته بسبب عجزه ، أو متأخر عن موضعه بسبب الضن المادى والأدبى عليه ، لكان القول أشبه بالإنصاف وأدنى إلى الإصلاح ...

أما أن يقال إنه منقطع عن القومية العربية ، ومقطوع الصلة بالحياة ، فكبرت كلمة تخرج من الأفواه ...

بعض الإنصاف يا هؤلاء ، فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه ! ...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

نسبة التعليم فى سوريا

بلغت نسبة التعليم فى سوريا ٨٠ ٪ بين أفراد الشعب .

وقد أوجب دستور سوريا الذى صدر عام ١٩٥٠ تعميم التعليم الابتدائى فى كافة أنحاء سوريا خلال عشر سنوات على الأكثر ، على أن يوضع لذلك برنامج مفصل على مراحل ، وتلتزم بتنفيذه جميع الحكومات المتعاقبة خلال هذه السنوات .

كما أوجب الدستور القضاء على الأمية خلال عشر سنوات ، وأن يوضع برنامج مفصل لذلك تلتزم جميع الحكومات المتعاقبة بتنفيذه .

رسالة الأزهر

هى رسالة فى تحية ، وتحية فى رسالة ، كلتاهما صنو لأختها ، يسقيان بماء واحد فى جنب هذا البيت المعمور برسالاته نيفا وألف عام .

المساجـــد :

« وأن المساجد لله » فهى دور العبادة ومهابط التقى ومراد تربية الأرواح على هدى الدين الحنيف ، ومنتديات التحاب بين القلوب بهذه التجمعات التى تؤدى بها الصلاة ، وقد بدأ تأسيسها فى الإسلام الرسول الكريم ، من بجر أيام جهاده فى الدعوة إلى دين الله ، وكان يلق فيها خطبه ويبين التعاليم التى أضاءت للناس سبل الاستجابة للدعوة الإسلامية . كما كانت فى أيام ورثته على القيام بهذه الدعوة ، الخلفاء الراشدين ، مثابة لكل خير فنها انبعثت التشريعات لحكم الصالح ، وسياسة الحياة الفاضلة ، وفيها كان التقاضى بين الناس والفصل فى الخصومات ، وإقامة الحدود الشرعية ، وفيها كانت تعقد ما يشبه المجالس النيابية للمفاوضة فيما يقتضى تمحيص الرأى كأمور الجيش وحرب المعاندين إذن لم يكن دخول العلم ومدارسته على وظائفها هذه بالأمر المقحم عليها ، وإنما رسالتها هى التى جذبته اليها اجتذابا وولدته منها توليدا . فرسالة الدين والعلم ورسالة التعبد والتقوى ، ورسالة النظر فى مصالح المسلمين هى رسالة واحدة لغاية واحدة ، وهذه مساجد الإسلام الكبرى دخلها العلم والتفقه بالدين فصارا من نسيج رسالتها كالحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، والمسجد الأقصى أو جامع عمر بالقدس ومساجد ابن العاص وابن طولون والأزهر بمصر ، والمسجد القرطبي بقرطبة ، والمسجد الجامع ببغداد ، والمسجد الأموى بدمشق ، ومسجد الزيتونة بتونس ، ومسجد الكتبية بمراكش ، ومسجدى السلطانين أحمد ومحمد بالآستانة . كلها دخلها العلم ومدارسة أحكام الدين من باب رسالتها ، لا بالاستعارة ولكن بالحقيقة والأصالة ، وسرعان ما جبيت اليها ثمرات العلوم من كل حدب ، فأمدت المعرفة بفيض علمى ثجاج ، مع تفاوت بينها قريب أو بعيد فى أزمان التأسيس وانتظام التلق ودرجات الإفادة . فنها ما خدم العلم هونا ما ، ومنها ما أدى رسالته له قوية عارمة . فما هى إذن رسالة الأزهر من بينها ؟ .

رسالة الأزهر :

كأن الأزهر كان على موعد لم يخلف فى حمل رسالة الدين والعلم بعد أن ذك الطودان الشامخان على التعاقب : بغداد دار العلم والسلام والخلافة ، وقعت صريعة تحت وحشية المغول الذين مثلوا بالعلم وأهل علماء الدنيا شر تمثيل ، ويحسبي من وصف هذه الوحشية الجهلاء أنهم اتخذوا من أكداس الكتب العلمية معابر يعبرون عليها الأنهار، ثم الأندلس التى ارتفع فيها العلم والمعرفة بكل أنواعهما إلى قبة الفلك ، إنها أيضا كأختها بغداد زال منها الوجود العلمى بغزو برابرة الأسبان . كان الأزهر على موعد من حمل ذلك التراث العلمى الضخم .

الفاطميون والأزهر :

فتح الفاطميون مصر وخطبوا لزعيمهم « المعز لدين الله » فى جامع عمرو بن العاص فى التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ وبعد تأسيس «القاهرة المعزية » - كما سموها - رأوا أن يؤسسوا لهم مسجدا يحوطونه بكل أنواع الرعاية ، فأسسوا « الجامع الأزهر » سنة ٣٦١ هـ ، وقد سموه الأزهر أخذا من اسم السيدة فاطمة الزهراء التى قسموا اسمها إلى قسمين نسبوا دولتهم الى القسم الأول منه فكانت الدولة « الفاطمية » وأخذوا من القسم الثانى منه اسم (مسجدهم الجديد فكان « الجامع الأزهر » .

الأزهر والعلم :

كان الفاطميون علماء حقا فى أداء رسالتهم الدينية والعلمية ، وقد أرادوا أن يلفتوا الأنظار إلى مسجدهم هذا . فاختاروا له نواة صالحة من العلماء ، وأخذوا يدرون عليهم الأرزاق ويبنون لهم المساكن بجوار الأزهر ، وكم أقاموا فيه من احتفالات بهيجة تارة فى صلاة الجمع وتارة فى افتتاح الدراسة به مما وصفه مؤرخ مصر « المقريزى » بأوصاف تفيض روعة وجلالا ، وكانوا يسجلون أسماء الحاضرين فى سجلات خاصة كتكريم لهم ، وقد جلبت هذه الوسائل الإكرامية الجماهير من طلبة العلم وطبقات الناس إلى ارتياد الجامع الأزهر ، وهذا نجاح بلا ريب للفاطميين الذين كانوا أكثر الناس شغفا بالاحتفالات الدينية وتاريخ احتفالاتهم بالأعياد ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف للطلعين .

على هذه الأسس أخذ الأزهر يؤدى رسالته العلمية والدينية بجد ونشاط حتى صار

معهدا علميا جامعيا فى أسرع الأوقات بما أدخل فيه من مناهج الدراسة وترتيب أوقات الدراسة والتحلل من القيود فى البحوث العلمية بما كان يصل بها إلى مداها . وقد أعانهم على استقامة هذه الطرق العلمية وتنوع العلوم الدراسية ـ مكتبتهم التى أربت على مائتى ألف كتاب ، فيها من كل ما ألف فى مختلف العلوم والفنون إلى وقتهم .

الأزهر والمرأة :

جذبت أساليب عناية الفاطميين بالأزهر النساء كما سبق أن جذبت إليه الرجال ، فلقد روى المقريزى أنه كان للنساء فى الحضور إلى الأزهر نصيب وكن يفردن فيه بمجلس خاص . ولى هنا وقفة قصيرة هى وقفة الإعجاب بالأساليب الساحرة التى أحاط بها الفاطميون الأزهر لا سيما التى جذبت إليه النساء يتعلمن فيه الدين ، وفى الحق إن الفاطميين كانوا أبرع أهل المذاهب فى الدعوة إلى مذهبهم ، ومن أكرم الناس عطاء للعلماء والطلبة والطالبات ؛ ولذلك استمرت الحركة العلمية تزدهر فى الأزهر ونزح إليه النازحون من المشرق والمغرب لأنه صار المعهد العلمى الإسلامى الذى طبق ذكره الآفاق ، وضربت فى السعى إليه آباط الابل .

المحاسبة :

إذا حاسبنا الفاطميين فى رسالة الأزهر العلمية فإن هذا المعهد ليفوز فى حلبة المحاسبة فوزا كبيرا ، ففيه درس المذهب الفاطمى والعلوم والفنون الكثيرة على أوسع طرق الدراسة ، وفيه دخلت إلى هذا المعهد الطرق الجامعية فى أداء الرسالة العلمية ، وفيه انتظم النساء فى حلقات دراسية خصصت لهن بعيدة عن حلقات الرجال .

وجاء دور السلطان صلاح الدين الأيوبى فى حكم مصر وكان سلفيا فى مذهبه فعمل على تعطيل دراسة مذهب الشيعة فى الأزهر وركدت الحال العلمية فيه :

ثم ابتدأ الملك الظاهر بيبرس حكمه بأن أعاد إلى الأزهر ما كان فيه من حركة علمية ودراسية ، ولكن على المذهب السلفى ، ومن هنا تعطلت دراسة مذهب الشيعة فى الأزهر وأخذ الأزهر يؤدى رسالة نهضة جديدة للدين ولغة القرآن ، وإنى إذا ذكرت دعائم النهوض فى هذه العودة فإنى أذكر بكل فخار الإمام الجلال السيوطى الذى تعطينا مؤلفاته ـ على وجه التقريب ـ

ما كان يدرس فى الأزهر من علوم ألف فيها هذا العالم الجليل خمسمائة كتاب ، عنونت رسالة الأزهر العلمية بعنوان قوى لا تزال مراجعه معتبرة للدارسين ، هذه المؤلفات فى علوم التفسير والقراءات والحديث ومتعلقاته والفقه واللغة العربية ومتعلقاتها والأصول والبيان والتصوف والتاريخ والأدب . كما أذكر الجلال المحلى وعز الدين بن عبد السلام وعلماء البيت السبكى من الأب إلى أولاده ، والشهاب القرافى وابن هشام وابن دقيق العيد والأدفوى وغيرهم . ولا يسعفنى الإيجاز ـ المقدر لبحث فى مجلة ـ أن أذكر شيئا عن كل واحد منهم . كما ارتحل إلى مصر كثيرون من الطلبة المسلمين الغرباء فنهلوا من مناهل الأزهر ، وكان هذا هو ابتداء تكوين ما يشبه عصبة أمم إسلامية فى هذا المعهد العتيق . أذكر منهم الأجلاء الزيلعى والأصبهانى والتبريزى وعز الدين المقدسى وابن عيسى الأندلسى والحافظ العراقى وابن حجر العسقلانى وعلاء الدين الحموى والرضى الشاطبى والعيدروس الفاسى وقاسم التونسى وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى .

أدى هؤلاء السادة العلماء فى هذه الحقب رسالتهم فى عزلة عن كل مطامع الحياة وزخرفها ، فاعتكفوا على أداء رسالة الدين ولغته تأليفا ودراسة فأورثوا العالم الإسلامى أوسع المؤلفات وأضخم الموسوعات مشرقا ومغربا . وكانت المراجع الخالدة للدين واللغة وما يدور حولها من علوم وستظل أبدا هى المراجع الأولى فيما ألفت فيه . كما أدوا رسالة الوعظ والإرشاد بتعليم الناس أمور دينهم فى تقشف وزهادة ، فكانوا للفقراء أفضل مثال فى تحمل ضيق العيش ، وبخلاصة القول كانت حياتهم العلمية من تأليف وإرشاد وحياتهم الخلقية الكريمة وتدينهم وتقواهم ـ أفضل رسالة أداها الأزهر للدين والدنيا معا .

عصر التطور ورسالته :

أريد بهذا العصر عصر الإمام محمد عبده ، وبحسبى ابتداء من وصف هذا العصر ورجله الجليل أن أذكر رأى الإمام المراغى فى ذلك بما نصه .

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلا رزق فهما فى هداية القرآن ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده ، ولقد وهبه الله شروط الإمامة الدينية جميعها كما منحه البصر فى أمور الدنيا ، ومن الحق على المسلمين أن يترسموا خطواته بالإصلاح الدينى والدنيوى إذا أرادوا إعزاز دينهم ورفعة أتباعه فى دنياهم » .

وهب الله الإمام شروط الإمامة التى كان من مظاهرها الدفاع عن دين الله أمام كتاب الغرب ومفكريهم ، واعتقد أن القائمين على إصلاح الأزهر لو فكروا فى تدريس مقارعات الإمام « لهانوتو » لكان ذلك خيرا كبيرا ؛ لأن الإمام وصل فى أداء رسالة الدين فى ردوده إلى أرفع الدرجات وأسمى الغايات ، ولم يجد الإسلام وقد وجهت إليه التهم النكراء من هانوتو وأمثاله إلا عبقرية هذا الإمام الجليل فذب عنه وحمى حماه ، ولم يكن هذا الجدل إلا ناحية من الصراع الفكرى بين الشرق والغرب ، صوره الكاتب الفرنسى بأن ألبس الدين الإسلامى ثوبا ممزقا كل ممزق ، وصوره إمامنا الجليل بأنه الدين القوى المتين فى أصوله وفروعه ، يلحق البيئة بالبيئة ويميز بين ما هو من صلب الدين وما هو دخيل عليه .

أما إصلاحه الدين والدنيا بتفسير كتاب الله على طريقته فذلك ما خرت له العقول ساجدة دون الأجسام . تتقاطر إلى درسه أفواج المسلمين من مصر والمشرق والمغرب ؛ لتسمع درر الشيخ وكأنها تشاهد تحفة فريدة فى صنعها . هذه الطريقة المثلى فى تفسير كتاب الله هى التى تشربتها العقول النابهة إلى يومنا وقد رأيناها واضحة جلية فيما فسر الشيخ المراغى من آى القرآن الحكيم ، ثم انتقلت بعد المراغى إلى من استقاموا على طريقتها المثلى أمثال فضيلة الشيخ محمود شلتوت فى كتابه « منهج القرآن فى بناء المجتمع » وكذلك إلى هؤلاء الأساتذة الأزهريين الذين رأيناهم فى المؤتمرات الإسلامية يصورون رسالة الأزهر أقوم تمثيل فى تفسير القرآن وفلسفة الدين الإسلامى وما عهد مؤتمر لاهور ببعيد . ولعظم تمكن أسرار الدين من نفس الإمام نراه قد غاص إلى الأعماق فى وصف إصلاحاته بنفى البدع التى أدخلت عليه ممن شوهوا بهاءه ، سواء أكانوا من الغربيين أو من الجاهلين ، الذين ينتسبون إلى الدين وهم لا يفقهون منه شيئا إلا القشور وما لا يجدى . وقد نادى فى ذلك الإصلاح بأصول كبرى : مثل الرجوع بالإسلام إلى ينابيعه الأولى ، ومثل أنه لا سعادة للمسلمين إلا بأن يكون لهم الدين وجدانا . كما أنه رأى فتح باب الاجتهاد لمن أهلته منزلته العلمية وقوته العقلية لارتياد سبيله .

حسين الشيخ
عضو نقابة الصحفيين

الاسلام والوحـدة

كان الحادث العظيم ـ اتحاد إقليمى مصر وسوريا ـ الذى تمخضت عنه هـذه الأيام الغر فى تاريخ العرب والمسلمين فرحة وأى فرحة فى نفس كل مخلص للاسلام والعروبة ، فما جرهذا البلاء المستطير الذى نال العرب والمسلمين فى تاريخهم الحديث ، إلا تفرقهم شيعا وأحزابا ، وما أتوا إلامن هذه الجهة ، حتى لقد أصبح مشهورا أن من مبادئ الدول المستعمرة الغاشمة « فرق تسد » ، ولقد نجح المستعمرون فى الإفادة من هذا المبدأ الماكر الخبيث إلى حد كبير ، حتى قيض الله للشرق العربى الإسلامى دعاة الإصلاح والاستقلال: أمثال السيد الكبير جمال الدين الأفغانى ، وتلميذه ابن الأزهر البكر الأستاذ الإمام محمد عبده والزعيم الأزهرى الفلاح أحمد عرابى ، والزعيم مصطفى كامل ، والزعيم الأزهرى سعد زغلول ...... وغيرهم . فاستيقظ بعد النوم وبدأ حياة الكفاح والجهاد ، وما زال الشعب العربى يكافح ويكافح حتى استجاب له القدر ، وأكمل الله بناء التحرر والاستقلال على يد فئة مؤمنة أخلصت لله وللوطن العربى فى مصر وفى غير مصر ، فضربت بمطرقة من حديد على رأس الاستعمار ، وما زالت تضرب وتضرب حتى يئس شيطان الاستعمار أن يطاع فى أرضنا ! .

وبدأ العملاق العربى يرفع رأسه رويدا رويدا بعد طول هـذا الكابوس ـ كابوس الاستعمار ـ الذى جثم على صدره فترة من الزمان حتى استوى قائما على قدميه ، ثم أخذ فى الانطلاق يبتغى الحرية الكاملة والقوة المسالمة والإصلاح الشامل .

فاذا بالاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فى أغلب أقطار العرب والمسلمين ، وإذا العرب يصبح لهم صوت مسموع فى المحافل الدولية وأضحى لهم قوة لهـا معيارها فى الميزان الدولى ، وإذا بالاتحاد يتم بين شعبى مصر وسوريا فى « جمهورية عربية متحدة » ، وإذا بالاستفتاء الحر يسفر عن انتخاب فتى الفتيان ، الزعيم العربى جمال ، أول رئيس لهذه الجمهورية وقد بارك هذا الاتحاد الرجل الذى ضرب أروع مثل التضحية ، وإنكار الذات والوفاء « الزعيم العربى شكرى » ، ولقد كان اتحاد مصر وسوريا خطوة مباركة ، تليها وستتلوها إن شاء الله خطوات فها هو اليمن قد انضوى تحت لواء الاتحاد مع الجمهورية العربية

المتحدة ، ومن يدرى ؟ فقد لا ينتهى عامنا هذا إلا وتكون الأقطار العربية كلها من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى قد أصبحت تحت راية واحدة فى دولة متحدة .

ثم تكون من بعد ذلك الخطوة الأخيرة الاتحاد الإسلامى الأكبر ، من بلاد الصين إلى بلاد المغرب ، وحينئذ يصبح المسلمون قوة ثالثة ، تدعو إلى الحق والعدل والتراحم والإيمان والأمان والسلام ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوى العزيز . إن الإسلام ليؤيد أى اتحاد يكون بين العرب والمسلمين . والإسلام دين الوحدة ، فالمسلمون أمة واحدة ، ربهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وغايتهم واحدة ، وهم فى صلاتهم سمتهم واحدة ، وجهتهم واحدة ، وفى صومهم شعارهم واحد ، وأوقات فطرهم وإمساكهم واحدة ، وهم فى حجهم شعائرهم واحدة ، ومظهرهم واحد ، وهكذا تتجلى مظاهر الوحدة، فى عقيدتهم وعباداتهم .

وفى الكتاب الكريم - الذى هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم - يقول الحق تبارك وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون[1] » . ويقول: « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين[2] » . وفى السنة القولية والعملية ما يدعو إلى الاتحاد ، وجمع الكلمة ، والانحياز إلى الجماعة ، وينفر من التفرق والاختلاف ومفارقة الجماعة .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط ثلاثا: قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . وضمن النبى صلى الله عليه وسلم لأمته عند اتفاقهم واجتماعهم العصمة من الخطأ والنسيان كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة .

وكان من أعماله صلى الله عليه وسلم البارعة حقا أنه لما هاجر هو وأصحابه إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ، كى يؤكد بينهم المودة والوحدة ، ويوثق العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وبهذا التآخى ضمن لهم التكافل والترافق فيما بينهم ، كما ضمن لهم التناصر على أعدائهم المجاورين لهم من اليهود وأضرابهم .

---

[١] آل عمران الآية ١٠٣ .

[٢] الأنفال الآية ٤٦ .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، لم يكن قومه العرب على حال تسر في حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، وقد كانت أطراف بلادهم نهبا مقسما بين الدولتين المتفسحتين للعالم آنئذ : فارس والروم ، ولم يكن ذلك لقلتهم فقد كانوا كثيرين ولا لعدم شجاعتهم وإقدامهم ، فقد كانوا مضرب الأمثال في الإقدام والشجاعة ، ولكن السبب الأصيل هو تفرقهم وتنازعهم وعدم وجود رابطة قوية بينهم تربطهم ، ولعل في قصة أبرهة وغزوه لبلادهم ، كي يهدم الكعبة المقدسة في نفوسهم ، ما يدل دلالة أكيدة على مبلغ تفرقهم وتخاذلهم ، وعدم وجود جامعة تجمعهم ، فماذا كان من الرسول ؟ .

لقد أخذهم بالتربية والتهذيب والتعليم ، وما زال ينتزع من عقولهم ونفوسهم العقائد الزائفة والآراء الضارة ، ويزرع في نفوسهم العقائد الصحيحة والتعاليم الرشيدة ، ويروضهم على الأخلاق الكريمة ، ويرشدهم إلى سنن الله في الكون والخليقة ، حتى كون منهم أمة واحدة لا تعرف التفرق ، متآلفة لا يخالط قلوبها البغض ، متآخية متناصرة لا يتطرق إليها الوهن أو التخاذل ، وماذا كان منهم ؟ .

لقد كونوا دولة مرهوبة الجانب عزيزة المنال وثيقة الأركان ، وبدلهم الله سبحانه من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد ضعفهم قوة ، فإذا بهم ينطلقون خارج جزيرتهم ويثلون عروش الأكاسرة والقياصرة ، لا حبا في الملك أو في الجبروت فما كان أرحمهم وأعدلهم ، ولا استنزافا لخيرات الأمم وأموالها ، فما كان أزهدهم في الدنيا وزخارفها ، وإنما كان لتخليص الشعوب المظلومة المستذلة من نير استعباد الملوك والأباطرة ، واستبدادهم وتسلطهم ، وإطلاعهم على النور الذي حاول الطغاة حجبه عن عيونهم ، نور الرسالة المحمدية ، رسالة الحق والخير والعدل والرحمة ، فإذا بهذه الشعوب تحب الإسلام وتخلص له إخلاص العرب أنفسهم ، وتدخل تحت لوائه طائعة مختارة ، فقد فتح عيونهم على النور ، وأشعرهم بالحياة الحرة الكريمة ، وأمنهم على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولم يمض قرن من الزمان حتى خفقت راية الإسلام على ربوع العالم المعروف آنئذ ، وحتى قال أحد خلفاء بني العباس ، وقد مرت عليه سحابة ممطرة « أمطري حيث تمطرين فسيأتيني خراجك » .

وقد استمرت العزة والسلطان لهذه الأمة وهي متحدة ، فلما صارت شيعا وأحزابا تتنازعها الأهواء والشهوات ، وصارت الدولة الواحدة دويلات لا تجمعها وحدة ، ولا تسعى لغاية واحدة ضعفت وذهب ريحها وضاعت هيبتها ، وكان ما كان من المآسي التي لا يتسع لها المقام . إن الاتحاد الذي حصلنا عليه اليوم في حاجة إلى يقظة وإلى حراسة قوية ، فإن

أعداءنا يتربصون بنا الدوائر، ويتحينون الفرص ويحاولون ما وسعتهم الحيلة أن يبذروا بيننا بذور الفتنة، ويفوتوا علينا فوائد هذه الوحدة المباركة، فلنكن جد حذرين ويقظين، وليكن لنا في يقظة النبي العربي سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة، ذلك أنه بعد ما وفق في التأليف بين الأوس والخزرج بالمدينة، وصاروا قوة لا يستهان بها في شد أزر الإسلام ونشر دعوته آلم ذلك اليهود، وأكل كبدهم فأوعز رئيس من رؤسائهم وهو: شاس بن قيس، إلى شاب يهودي أن يأتي إليهم في مجلسهم فيذكرهم بيوم بعاث[1] وينشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل وجازت الدسيسة عليهم، فتنازعوا وتواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم رددناها جذعة، وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا: السلاح السلاح!. وتواعدوا على اللقاء في الحرة ظاهر المدينة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين الله الله!!. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به؟. وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟. فعرف القوم أنها كانت نزغة شيطانية، وكيد لهم من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا ندما على ما فعلوا وعانق بعضهم بعضا: ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين.

وإن كان في مبدأ الإسلام شاس ونفر ممن هم على شاكلته، ففي حاضرنا اليوم عشرات بل مئات دعاة فتنة وتفرق. برعوا في الدس والوقيعة وتفننوا فيهما، وتيسرت لهم من الإمكانيات للوصول إلى أغراضهم الدنيئة ما لم يتيسر لغيرهم، فبالقرب منا إسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية: بأموالها وإذاعاتها وصحفها ودعاياتها، والدول الاستعمارية الموتورة المشايعة لإسرائيل، والتي لولاها لما كان لها وجود على خريطة الأرض، وصحفها وإذاعاتها. وهناك فئات مأجورة لا تفتأ تنفث سمومها القاتلة، اتخذهم المستعمرون لهم صنيعة واشتروا قلوبهم بالأصفر الرنان، والجاه الكاذب. فلم يراعوا حقوق الدين واللغة والجوار، كل هؤلاء وأولئك أعداء لتكتل المسلمين والعرب، فاحذروهم ولا تلقوا إلى افتراءاتهم بالا وقفوا لهم بالمرصاد، وأفسدوا عليهم خططهم وتدبيرهم، وليكن لكم في الرسول المعظم صلى الله عليه وسلم أسوة وما أوجبها من أسوة!!

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[1] يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الظفر للأوس على الخزرج.

من الاتجاهات الخالدة فى التاريخ :

الوحدة العربية

يرى فريق من الناس أن فى الشرق اليوم حركة وغليانا شديدا ، وأن آسيا وإفريقية تتمخض عن حوادث خطيرة ، وأن العالم العربى والإسلامى من الشرق إلى الغرب يتحفز ويتوثب ليسترد مجده السالف ، وعزه الغابر ، ويسترجع أقطاره المغصوبة وحقوقه المهضومة .

ويرى فريق آخر ، ولا سيما الغربيين أن العالم العربى خاصة ، والشرق عامة مفكك الأجزاء ، متقطع الأوصال ، عاجز عن أسباب الدفاع والثورة ، يعوزه العلم والسلاح ، وما بلغ من النهوض والوعى بعد درجة تتكفل له تحطيم سلاسل الاستعمار الثقيلة ، أو استرداد ممالكه الواسعة ، بل لا يزال الجهل مخيما على آفاقه ، وما برحت العصبيات الجاهلية تعمل عملها فى تفكيك عراه ، كما أن الرعب والخوف من سطوة الأجانب والمستعمرين ملء السمع والجوانح .

ومن الحق والعالم الشرقى هذه حالته أن تقيم أوربا ودول الاستعمار له وزنا ، وأن تحسب للعرب والمسلمين حسابا ، ومن الحزم فى زعمهم أن تمضى أوربا قدما فى سياستها المبنية على التوسع والفتح والاستعمار ، غير مبالية ولا متحرجة بما يعترض طريقها من ثورات وانتفاضات .

ومع ما أحدثته الحربان العالميتان الأولى والثانية من تضحيات فى الأنفس والأموال والحضارات ، فلا يزال هذا الفريق عند رأيه ومذهبه تجاه العالم العربى والشرق عامة .

ولم يتنبه ساسة الدول الغربية ، وزعماء الاستعمار إلى مراعاة القصد ، وإيثار الرفق والاعتدال ، والتحدث بغير نغمة القوة والغلبة والاستعلاء ، بل لا يزال محور سياستهم قهر العالم العربى والشرق وإعناته ، والتسابق على استعماره واقتسامه بكل وسيلة ، والحيلولة بينه وبين الاتحاد والتحرر والتماسك .

ويذهب هذا الفريق فيعتقد أن حالة التفكك والتخاذل التى تنتاب العالم العربى والآسيوى والإفريقى ستبقى أبدا ، وسيطرة الأجنبى عليهم ستستمر ، وأنهم سيلبثون

أبد الدهر فريسة للاستعمار ، ووقودا لنار الاستعباد والمذلة ، وأن ستكون لدول الغرب السيادة خالصة له من دون الناس .

لكن الرأى الذى يعول عليه ، وهو الذى يتفق مع منطق الحوادث العاقل الواعى أن العالم العربى ، بل والشرق أجمع ، قد استيقظ من رقدته ، ونهض من كبوته ، وأخذ يعمل فى نشاط وقوة على استرداد سلطانه ومجده ووحدته .

إن العالم العربى ، والشرق المترامى الأطراف ، الواسع الرقعة ، تتغلغل فيه اليوم عوامل الانقلاب ، وتدب فى عروقه فواعل التبدل . وإذا ما رحت تسرح ببصرك نحو أقطاره الواسعة المترامية من مراكش حتى الخليج الفارسى ، بل من مراكش حتى بلاد الصين وما وراءها . ومن تركستان وأفغانستان إلى الكونغو وأواسط إفريقية رأيت الشعوب جميعا قد ثارت نفوسهم ، وانفعلت بضروب الآراء الجديدة والمطامح والآمال عقولهم وقلوبهم ، وإن عاقبة هذا الانقلاب الشامل لعظيمة الأثر وستتأثر بهذه النتائج أمم الأرض جميعا .

إن منشأ هـذا الانقلاب قديم العهد ، بعيد الزمن ، فقد ألقيت بذوره فى الولايات العربية والإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى .

ومنذ ذلك الحين أخذت بذور هذا الانقلاب العربى والشرقى تنمو ، وإن كان نموا بطىء الحركة أول الأمر ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى . ومنذ هذه الحرب اهتاج العالم العربى ، وأخذ يثور فجأة متنقلا من طور عنيف إلى طور أشد عنفا ، حتى انتهى به الأمر إلى ما نشاهده اليوم من يقظة واعية فاهمة ، ونهضة متوثبة جامحة .

وكما شهد القرن التاسع عشر استقلال أمريكا بأسرها ، فسوف تشهد بقية القرن العشرين ، استقلال العرب واستقلال إفريقيا وآسيا كذلك على ما نعتقد ، وبذلك يلى العرب بلادهم ، والإسلام أقطاره ، ويبلغ هؤلاء ، وأولئك من نعمة الاستقلال والوحدة ، وقمة العظمة والسلطان ما يصبو إليه .

إن نهوض العرب ، والشرق كله هو الشرط الأول فى سيادة السلام ، وحقن الدماء ، وحفظ التوازن فى العالم ، فعلى الأمم الشرقية أن تلتمس المنعة فى مسابقة الدول الغربية فى ارتياد ميادين العالم ، والسير حثيثا نحو المعرفة والثقافة لتكون ذات قوة وذات بأس شديد ؛ فبالعلم والمعرفة تكون القوة ، وبالقوة يتحقق خلاص العرب والشرق ، ويعلو الحق .

وإن من ثمرات هذه اليقظة الشرقية الواعية ، والنهضة العربية المتوثبة ، وحدة سوريا ومصر ، ونشأة « الجمهورية العربية المتحدة » .

إن الوحـدة السورية المصرية هي الباب الذي فتحه الله أمام العرب للعزة وسمو كلمة الحق . هي حكم على الاستعمار المتخاذل المضطرب بأن يرحل ويتزحزح . هي نور الحق أمام الشعوب العربية لتحرير القلوب والعقول من رق العبودية ، ومن أسر الأوهام ، وربقة التبعية الوضيعة التي تنحدر بالنفس الإنسانية إلى خزى المذلة والهوان .

هنالك عندما أعلنت الوحدة ، وأضحت حقيقة واقعـة اضطرمت نار المعركة التي كانت ناشبة بين الشرق العربي ودول الاستعمار ، وصارت من أشد ما وقع في التاريخ منذ عرف الغرب الشرق ، والشرق الغرب . وهي معركة حياة أو موت بالنسبة للفريقين معا والنصر لا ريب فيه للصادقين المؤمنين بالعزة والحرية والقومية .

حقا لقد عظم الأسى على دول الغرب ، وحز في صدورهم نشأة « الوحدة العربية » ، إذ أدركوا أن فيها خطرا على مكانتهم ونفوذهم ، لذا أخذوا يبذلون كما بذلوا من قبل جهودا جبارة في محاربة القومية العربية ، والحيلولة دون تحرر العرب واستقلالهم ، وجمع كلمتهم ! .

ولـكن هل ما قام به دول الغرب ، وأعوان الاستعمار لمناهضة القومية العربية ، وما بذلوه ، ويبذلون في جهـد من إغـراء ورجاء حينا ، ودعاية متهافتة وتهـديد وضغـط اقتصادي أحيـانا ، نقـول هـل أثر ذلك في نفسية شعب سوريا ومصر ، أو أوهن له عزما ؟ !

كلا ! ! فقد انجابت مخاوف العرب من الغرب ، ولم يبق لفزعهم وهلعهم منه موضع ، وزالت خشيته من نفوسهم .

واجتمعت كلمتهم وتحققت وحدتهم وبدت واضحـة تباشير الفوز ، وانفتح باب الرجاء أمام الدول العربية والإسلامية في الاتحاد والتكتل وجمع الكلمة .

ولا عجب أن هيأت المقادير للقاهرة ودمشق هذا الحظ والفتح المبين ، فقد كان لهما من ماضيهما المعظم وتاريخهما الأمجـد ما يهيئهما لحمل رسالة الجهاد والتحرر لخير العرب والإنسانية .

دكتور بدوي عبد اللطيف عوض
الأستاذ بكلية أصول الدين ودار العلوم

كفاح الجزائر

ما هـذا الهول الثائر الذي يخبط بجناحيه جوانب الصحراء ، فتتطاير وراء البحار نفوس ، وتنخلع قلوب ، وتنتفض أرواح ، وتهتز عروش ، ويرتعش سلطان ، ويسقط صولجان . ؟ ... !

وما هذه المعجزة التي انبعثت من الذين انطلقوا من الأغوار والكهوف، والأكواخ وشواهق الجبال وأعماق الوديان ليكتبوا تاريخا ، وليظهروا للوجـود القوة الخارقة الماحقة قوة العاقة التي تتناثر أمام إيمانها أشلاء الطائرات والدبابات والمدافع ، وليثبتوا للمستضعفين في الدنيا أنه لن يغلب الحق غالب، ولن يستمرئ حياته في الشرق غاصب؟ ... !

وما هـذه الثورة التي يلتهم أوراها أبراج العظمة المريضة وتجتاح زلازلها الشمطاء المتصابية ، ويستشرى بأسها ليدفع أحفاد العبيد الذين تحكموا في أحفاد سادة آبائهم ، ويسرى انتفاضها عنيفا مدمرا لا يسكن حتى ينسخ من شمالى إفريقية ظل هذه الأشباح البغيضة ؟ ... !

هذا هو هول نضال الجزائر ... !

وتلك هي معجزة البعث ... !

وهذه هي ثورة التحرر ... !

هول النضال الجزائري العنيف الذي استمد عنفه من قوة حق الشعب ، والحق سلاح قوى يضاعف بأس أصحابه ، ولا يخدعه زور أعدائه ، ولا يخور أبدا أمام تمر الوعيد ، ولا تصهره نار ولا يفله حديد ... !

وحق الجزائر في الحياة وفي الحرية وفي استغلال أرضها وينابيع ثرواتها وفي حكم نفسها لا يجحده إلا أولئك الذين ينكرون جميع حقوق الشعوب ، ويعيشون على حساب الشعوب ، بل يتخذون الوطنيين غرباء في بلادهم، بل عبيدا يكدحون ليجني غيرهم ثمرات كدحهم ، ويكدون لينعم سواهم بقطوف كدهم ... !

ولهذا الظلم الصارخ كان عنف النضال ... !

ولهذا الاستغلال الوحشى الذى يحرم الكادح حتى من قشور كدحه ، سيشتد عنف النضال ، وسيحفر المناضلون فى كل شبر من أرضهم قبورا لأعدائهم ، وسينصبون على كل درب من دروب الصحراء ، وكل سبيل من سبلها لوحة كتبوا عليها بالدم : إلى مقابر البغاة ... !

ولن يهدأ هذا النضال ولن يسكن ضرامه حتى يتغير وجه التاريخ فى هذه البلاد ، ويتسلم أبناؤها مقاليد أمورها ، ويتفيأ شعب الجزائر ظلال الحكم الذى يرجوه لنفسه شعب حر مناضل ... !

وما معجزة البعث إلا أثر الاضطهاد المرير الذى عانته الجزائر من استهتار الفرنسيين بمقدسات هذا الشعب ، واستهانتهم بحرماته ، وتغاضيهم عما تفرضه القوانين الدولية من احترام حقوق الشعوب .

ومن ثم تفجر البعث ولم يكن يقظة كتلك التى تكون فى الشعوب أول شعورها بالظلم ، ولم يكن وعيا شعر به فرد منحه الله من صرامة اللسان وقوة البيان ما يفزع أعاديه ويوقظ مواطنيه لا ، لا ... !

إنه البعث الزاحف الذى جعل من الجزائر كلها فى لمحة خاطفة جحيما يضطرم فى الأرض فتتقد كأنها جمرة ، ويتنفس فى الجو فيجعله أشد لفحا من نار السموم .... !

وهو البعث : الذى لا نوم بعده أبدا فهو فى الحرب هدم وتدمير ، وفى السلم بناء وتعمير ... !

وإن الشعوب المنبعثة من الأغلال والتى ذاقت مرارة الإقطاع والاستغلال حريصة على صلاح نفوسها وإصلاح مجتمعاتها ، حتى أحس كل فرد أنه أصبح لبنة فى بناء مجتمعه ، ومن هذه اللبنات السليمة من شوائب الضعف والاسترخاء يكون البناء السليم .

ولم تكن الثورة التحررية التى تأججت فى الجزائر ثورة تحرر عسكرى فحسب ، بل إنها تهدف إلى التحرر الكامل من كل ما يمس سيادتها ويقيد عقول أبنائها ، ويشل اقتصادها ويفخر فى جوانب اجتماعياتها ... !

إنها تحرر كأمة مسلمة عربية لتعيش فى حدود المبادئ والعادات والتقاليد الإسلامية العربية ... !

هذا هو التحرر الذى تندفع فى سبيله ثورة الجزائر ، والذى من أجله يكافح شعبها ، وفى ميادينه تزهق الأرواح وتراق الدماء ، ولا سبيل لقوة فى الأرض أن تحول بينها وبين الغاية التى تزحف إليها .

وإن كفاح الجزائر الذى صقل عزيمتها ، وشحذ قوتها ، وجعل منها قوة أصلب من أن تهزها ذاريات الأحداث ، جعل منها كذلك مثلا حيا يتطلع إليه طلاب الحريات ، الذين لا تتكافأ قوتهم ، ولا يتماثل سلاحهم مع قوى أو سلاح الذين يسومونهم سوء العذاب .

وهكذا خلق الله من شعب الجزائر فى جهله بفنون الحرب وبأسلحة الفتك المستحدثة ، وفى تضويب يديه من المال الذى يعينه فى هـــذه الحرب الطويلة ، خلق الله منه معلما للشعوب المستضعفة ، التى تفكر فى الخوف قبل أن تلقى بين حبائل الخوف ، وما عز شعب ساور الرعب قلوب بنيه قبل أن يحمل السخط وجه شانئيه . . . !

ولا ساد شعب أقعد الوجل وواده عن التفكير فى بعثه ، خوفا من غضبة الحكام الذين يهنيهم أن يظل المحكومون بين أسوار تحول بينهم وبين الحرية فى كل ألوانها وصورها ، فما أجدر الشعوب التى تعيش بين أطواق الحكام الذين يعيشون لأنفسهم ولعروشهم ، بانتفاضة تحطم الأطواق والأسوار التى ضربت عليها ، لتعيش مع الأحرار بين ظلال الحرية . . . . !

ولن يصل مكافح إلى عزته إلا على جسر من الأشلاء على بحر من الدماء ، ينوشه شواظ من النار وتتناهبه شظايا الدمار . . . !

وتلك هى السبل التى تسلكها الجزائر إلى عزتها . . . !

وإن شهداءها الذين روت دماؤهم شجرة الحرية فنمت وبسقت فروعها . . . !

وإن مكافحيها من الشيب والشباب والنساء والفتيات ، الذين اتخذوا مواقعهم عند سفوح الجبال وبين ظلمات المغاور وفى الشعاب والدروب ، لا يرعشهم زمهرير ولا يعجزهم هجير ، هؤلاء وأولئك قـد كتبوا فى تاريخ الجهاد سجـلا مليئا بالأمجـاد سيبقى على الزمن حديث الأجيال ونشيد الجلال . . . !

حيا الله الجـزائر فى نضالها ، وكتب لها النصر فى كفاحها أما شهداؤها فهم « أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بمـا آتاهم الله من فضله » .

محمد محمد خليفة
المدرس بمعهد القاهرة

يوم الجزائر

حى فى الأطلس الأشم رجالا يوم صال فى الكفاح وجالا
صنعتهم يد الظلوم ، وقد ما صنع الظلم قادة أبطالا
ثورة فى الظلام أعلنها الشعب فباتت بها الليالى حبالى
وأجابت جبال (أطلس) عنه برصاص يحطم الأغلالا
سبق هذا إلى السجون ، وذاك اغتيل غدرا بها وذاك استقلالا
وبنفط الفلاة جنوا ، فهلا جرعوا سمه فيذووا ارتحالا
وأقاموا الحدود بين بلاد وقلوب توحدت آمالا
كان قطرا على (الخريطة) ميتا فتجلى دما بها يتلالا
أى طرس يحسنه ما تحلى وكتاب ما صاغ منه مقالا
وعلى الألسن الجزائر كانت عثرة فى بيانها لن تقالا
ثم أمست فصاحة وبيانا وجرت فى الشفاه ماء زلالا
صاجلت صاحب القصيد فغنى وتملى بها الخطيب فقالا
يا ابن شعبى ، يد البنا تراءت تقتدينا شجاعة ونوالا
حيها يا فتى الجزائر بالبأس وحيى الجميل منها نضالا
(نيل) مصر لو استطاع لجاب البيد شوقا إليك يغزو الرمالا
(وأبو الهول) لو يطيق حراكا كان هولا على العدا ووبالا
إن يكن جاثما ، فاجثمت مصر وقد عززتك روحا ومالا
(أطلس) المغرب الأبى لو ارتد خداعا لحاد عنك ومالا
(بردى) كم يحن أن لو تراه أحمرا من دما عدوك سالا
سال شهدا على شفاهك يا شعبى وصابا على الطغاة استحالا
ونخيل (الفرات) رجع حنين ليتيم بكى أبا مغتالا
وعلى الكعبة الحرام دعاء يا ابن شعبى بنصرنا قد تعالى
وسألناه فى الحروب نصيرا فمشى نحونا الوجود امتثالا
لو تخلى الوجود عنا حمانا الله منه بقوة لن تنالا

أبو عبد الله صالح الجزائرى

محنة الشعر المعاصر

يدعونا إلى الكتابة فى هذا الموضوع تلك الظاهرة التى صاحبت نهضتنا الحاضرة ، والتى رأينا فيها شبابنا المتأدب يندفع فى تيار مضاد لتراثنا الثقافى وتقاليدنا الأدبية ، و يثور على الأوضاع الشعرية التى سجلت تاريخنا العربى العميق ، وتغنت بأمجاد العروبة على طول الأزمان والأحقاب .

وإن من المفارقات العجيبة أنه بينما نثب الآن وثبتنا الظافرة فى التحرر من الاستعمار السياسى ، وتحطيم أغلاله ، ومحو آثاره ، وبينما نبنى فى شموخ وعزة واستقلال مجدنا العربى ، ونستعيد تاريخه المجيد ، ونحدد شخصيتنا العربية على أساس مكين من ترابط الهم والفكر والأمل والثقافة والتقاليد ، نجد هذه الطائفة مفتونة كل الفتنة بثقافة المستعمر وأفكاره وتقاليده الأدبية ، فاذا نعق فى الغرب غراب بفكرة إلحادية أو مذهب وجودى رأينا صداه فى نفوس هذه الشبيبة وفى تفكيرها وكتاباتها . وإذا كان الشعر الأوربى لا يلتزم وزنا ولا يتقيد بقافية ، اندفعوا فى تياره ، منددين بالشعر العربى ، متهمين إياه بالعقم والجمود والتخلف والبلى ، و إنه لاستعمار ثقافى وفكرى أشد خطرا وأوخم عاقبة ـ لو أدركنا ـ من الاستعمار السياسى الذى تخلصنا منه . فأى كيان لنا إذا نحن قطعنا صلتنا بماضينا وتاريخنا وتراثنا ؟ وأى شخصية تحدد وجودنا إذا نحن ذبنا فى تفكير غيرنا وتقاليده وثقافته ؟ .

إنها لمفارقة عجيبة حقا أن نتحرر من استعمار لنمكن لما هو أخطر منه ، وأن نثور على استعباد ونشايع ما هو أنكى منه وأقسى ، وأن نرى فى موكب ثورتنا المتحرر ، المنتفض بالآمال الصاعدة من هم أشبه بالمهرجين فى موكب الأفراح ، فاذا كانت الثورة الحاضرة تحرر الوطن من الاستعمار السياسى ، وتثور على مظاهره ، وتقضى على أسبابه ، وتحارب الفساد والطغيان ، فهم هؤلاء أنها ثورة على كل شىء ... حتى على التقاليد والتراث وكل ما يربطنا بماضينا ، أو انتهزوا الفرصة لترويج ما يؤمنون به ، وأشاعوا التهوس والتهريج فى زحام هذا الموكب الرزين .

ولعله فقر الثقافة ، ونضوب المعرفة ، وجدب التفكير ، واختصار الطريق إلى الشهرة ، وتوفير العناء والجد فى التحصيل . فليس أيسر على هؤلاء من قول الشعر مادام لا يكلف صاحبه تجويدا فى صياغة ، ولا تحريا للغة ، ولا احتفاظا بوزن ، ولا التزاما لقافية ، وإنما هى كلمات مبعثرة موزعة على السطور بلا قانون ولا مقياس ، أشبه شىء بفأفأة العيى الحصر .

من اليسير على كل إنسان إذن أن يصبح شاعرا فى لمح البصر ، لأن الشعر لم يعد ذلك الفن الذى يرتكز على الموهبة الفطرية ، ويعتمد على المنابع الأولى للأدب العربى والنظر فيها والتحصيل منها ، كما يعتمد على تقويم اللسان وسلامة الأداء ، ورعاية موسيق الأوزان . وإنما أصبح كلاما أى كلام ينثر كالحصا ، ويوزع على السطور كيفما اتفق . وهو بعد ذلك فى حماية مضمونه ، فالواقع أن الذى حمى هذا السخف والهذيان مما يسمى شعرا فى هذه الأيام إنما هو انتهازية أصحابه من المهرجين ، الذين يندسون فى موكب النهضة ، فيضمنونه الموضوعات الوطنية والنضالية التى نعيش فيها ، ولولا هذا الموكب الذى يحتمون به لما كان لصيحاتهم هذه المعربدة المضطربة مكان فى الصحف والمجلات ، وإنما يكون مجالها الذى تتجاوب فيه مستشفى المجاذيب .

وليس أدل على ذلك من فشل هذه التجربة فى الميدان الجدى إبان المعركة الحقيقية فى فترة الاعتداء الغاشم على بلادنا ؛ لقد كانت الأناشيد الحماسية التى تستفز العزائم ، وتستنهض الهمم ، وتدفع إلى المعركة دفعا ، أناشيد صيغت كلها فى قوالب من الأوزان المعروفة الموزونة القائمة على أسس منظمة من الوحدات الموسيقية المتناسبة التى تتسق مع التلحين والنغم . فهل كان من الممكن أن يصبح لحن واحد ويستقيم مع هذا الهرج الذى يبعثر الألفاظ بلا نظام ثابت أو مقياس يمكن أن يتخذ أساسا أو يحتذى ؟ .

ومن العجيب أن يسخر هؤلاء من نظام الشعر القديم ، وأن يروجوا للتحلل من تقاليده البالية فى صياغته وأوزانه ، وأن يصفوه بالتخلف عن التجاوب مع المجتمع والحياة ، كأنه لم يسجل حياة الجاهليين ، ولم يتجاوب مع الثورة الإسلامية ، ولم ينبض بألوان الحضارات المزدهرة فى ظلال العباسيين ، ولم يتناسق مع جمال الطبيعة فى الأندلس ، ولم يطاول الدهر بقاء وخلودا فى كل هذه العصور ، ويتبجحون بالواقعية ، ولا يقصرونها على المضمون بل يطبقونها على التعبير ، فهم يدعون إلى البساطة فيه حتى ينزلوا إلى لغة

الشارع ، ويتبذلون فى الأسلوب حتى يدخلون الأزقة والحارات ، وكل هـذا ليكون (الفن للحياة) وليكون واقعيا ، كأنه لايكون كذلك إلا إذا نزلنا بمستوى اللغة والتعبير بدلا من أن نرتفع بهما . وكأنما لا بد لنا من تنامى طائفة المتدفقين ، وتجاهل أسباب ارتفاع مستوانا الثقافى والتعبيرى ، وإنها لـكثيرة فى عصرنا . إننا بهذا نخدر ونقضى بالتدريج على اللغة الفصحى ذلك الرباط الوحيد الذى يصلنا بماضينا ، ويصون عروبتنا ، ويربط بأقوى الوشائج عرى قوميتنا العربية فى كل بلادها . فهل سلامة التعبير وجمـال الصياغة والتزام الموازين الموسيقية فى الشعر ، ينافى الواقعية التى بها يتشدقون .

إنهم يسخرون من البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم ، تمـاما كما حدث فى فرنسا فى عصر النهضة . كان الشاعر لا مرتين يقول : « إنى أنظم الشعر كما يزهر الغصن ويغنى الطـائر » ولـكن الشعراء الرمزيين الذين دانوا بالغموض وابتدعوا المذهب الرمزى الغامض ، من أمثال موريـاس ورامبو وبول فاليرى ، سخروا من لا مرتين ، لأنهم كانوا يدعون إلى التعبير عن المعنى فى صـورة ضبابية حالـكة ، وتطرفوا فى ذلك الغموض والإبهام حتى ابتدعوا لغة فى اللغـة ، وأوغلوا فى الرمزية حتى فسروا الرموز بالرموز ، والألغاز بالألغاز ، فسميت مدرستهم بمدرسة (اللاوعى) أو المدرسة السريالية (ما وراء الواقع) وضاق بها الناس حتى سموها (مدرسة الهبوط والانحدار) .

نحن لا نحارب الواقعية ، ولا نريد للفن أن يعيش بعيدا عن الحياة والمجتمع ، فالفن انعكاس للبيئة والحياة والتجارب النفسية ، بل إننا ندعو إلى أن يـكون الفن تعبيرا عن القيم الغالية ، والتجارب الرفيعة .

فالشعر الجميل الرواء ، الرائع الصياغة لا قيمة له إذا كان مجرد صياغة شكلية لا تعبر عن مضمون رفيع ، ولكنه كذلك شعر خال من الفن إذا كان مجـرد مضمون فى قالب مهلهل تافه ، لا تظهر فيه جودة ، ولا ينتظمه إيقاع مثير .

يقـول ماوتسى تونج فى كتابه (مشاكل الأدب والفن) : « إن الأعمال الأدبية الخالية من الجودة الفنية لا أثر لها مهما تـكن تقدمية من الناحية السياسية » .

إنهم يقولون إن الشـعر أصبح قوة مكافـحـة مناضلة ، وإن الشاعر لا يستطيع الانطلاق والإعراب عن تجاربه الجديدة وحقائق دنياه فى مرونة وحيوية وجدة وحدة ،

إذا هو إلتزم هـذه القواعد الكلاسيكية البالية ، وتقيد بالأوزان العتيقة التى تعوق الانطلاق والتعبير الحر .

أحقا ان الأوزان الشعرية قد عاقت الشعراء عن الانطلاق فى التعبير عن ألوان الحياة فى عصر من العصور ؟ هل عاقت الشعراء عن تصوير الحياة الجاهلية فى حروبها المستمرة وتقاليدها الملتزمة ؟ هل عاقت أمثال ابن أبى ربيعة وأبى نواس وجرير والأخطل وأبى تمام والمتنبى وابن خفاجه وغيرهم من شعراء العربية فى كل عصورها عن الانطلاق فى تصوير اللذة ، والتعبير عن خلجات النفس ، ورسم مشاهد الجمال فى الطبيعة ، وتمثيل ألوان الفنون فى الحضارة ، والإعراب عن الميول السياسية والحزبية ، واستظهار الأفكار الفلسفية والثقافية ؟ أم هـل عاقت أمثال شوقى وحافظ الذى انعكست فى شعرهما آمال مصر وآلامها ، وانطبعت فيه مشاهدها وأمجادها وتاريخها وأحداثها ؟ .

إنها حجة العاجز الذى لايريد أن يتجشم عناء ، أو يتكلف تعبا ، وإنما يريد أن يكون فنانا من أقرب طريق .

ومع ذلك فاننا لا نطالب بالوقوف على أوزان الخليل ، وإنما نريد فقط أن يظل الشعر محتفظا بطابعه الخاص الذى يضفى عليه سمة معينة وهى الوزن ، فان لحسن الإيقاع ، وجمال التقسيم ، وروعة التنغيم ، من الخفة على السمع ، والعلوق بالقلب ، والتأثير فى النفس ، ما ليس للكلام المسرود الذى لا يسنده الوزن ، ولا يؤلف بينه النظام .

ولقد رأينا فى أدبنا العربى أن ما بهر الناس وراعهم وأثار كامن إعجابهم من الشعر ، إنما جاء فى هذا السمت وذلك الطراز ، وبهذا يتميز الشعر عن النثر الفنى ... يمتاز بهذه الموسيقى الخارجية التى نسميها بحورا وأوزانا ، فاذا اجتهد فنان فى خلق صورة تلتئم أضواؤها ، وتتسق أفكارها ، فى ألفاظ مرسلة ، قلنا إنها نثر ، لخلوها من هذا الوزن الذى كان يزيد من جمالها ويضاعف من رونقها وبهائها . فلولا الوزن لضاع هذا الرنين الموسيقى العروضى المصاحب للألفاظ والمعانى .

والقافية أشبه بوقفات المغنين ، ونهايات العازفين ، فهى نهاية النفس فى البيت ، واستراحة منه إلى الآخر .

قدموا لنا ما شئتم من الأوزان وألوان البحور الجديدة على أن تكون أوزانا ذات مقاييس ثابتة ، يمكن أن تؤلف وحدات متناسقة ، تعمل عملها الموسيقى فى الإثارة والانفعال ،

أما بعثرة الألفاظ والكلمات هكذا فلم تصرون على تسميتها شعرا ؟ وماذا تسمون النثر الفنى إذن وهو ينهض بمضمون الشعر ويحلق فى أجوائه الخيالية ، ويرفل فى وشى من جمال التعبير وروعة الصياغة ، وترن فى ألفاظه الموسيقى الداخلية التى تكمن وراء التعبير ؟.

إنها نكسة بالشعر إلى الوراء . . الوراء العميق فى مجاهل الزمن ، أول عهد الإنسان بالشعر قبل أن يستقر فى هذه القوالب ؟ فما قصة هذه النكسة ؟ وكيف نشأت هذه القوالب ؟ وكيف جدد فيها المجددون على مر العصور ؟ .

ثم ما هذا الشعر الحديث إن صح أن تسميه شعرا ؟ .

ذلك ما نعرض له فى مقال تال إن شاء الله .

حسين جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

مهندس عربى فى صناعة الأقمار الأمريكية

فى مختبر البحوث التابع للبحرية الأمريكية شاب يدعى ا . يوسف حبيب أبى يونس مولود فى أمريكا وهو من أصل لبنانى ، وله دور كبير يقوم به فى صناعة الأقمار الصناعية ، ويعد ثقة وحجة فى كل ما يتعلق بالأجرام السماوية وعلم الفضاء .

وقد ألقى محاضرة فى جمعية المهندسين المدنيين بأمريكا فقال : إن العلماء الأمريكيين كانوا يغطون فى سبات عميق بينما كان الروس يفاخرون بأقمارهم الصناعية .

الحكمة فى تعدد الزوجات

– ٢ –

نبه سبحانه الناس أن يتخيروا الطيبات من النساء لتحسن العشرة بين الأزواج والزوجات، ويسود بينهم الوفاق والوئام، فيكون ذلك أطيب لقلوبهم وقلوبهن، وتصلح الذرية وتستقيم حالها بصلاحهم واستقامتهم ؛ فإن البيت الواحد كمملكة صغيرة مالكها الزوج ووزيرها الزوجة والرعيــة الأولاد ، فإذا صلحت حال الملك ووزيره صلحت حال الرعية فإنها تستق مما منه يستقون ، وبصلاح البيوت أو الممالك الصغيرة تصلح الأمة بأسرها أو المملكة الكبيرة .

إن من خير النصائح وأحسنها النصح باختيار الطيبة من النساء ؛ فإن المرأة إذا كانت طيبة عنـد زوجها مرغوبا فيها منه كان ذلك وصيلة إلى حفظـه من الفسق والفجور ، وإنا لنشاهد هذا فى كثير من النـاس ، يتهتكون ويفجرون إذا لم تكن قعيـدات بيوتهم طيبات ، وإن كانت الأخـلاق الآن تدهورت إلى أقصى حـد ممكن ، وباتت بحيث لا يرجى لها صلاح ، فـلا يخشى زنا ، ولا يتحرج من فجور ، طابت النساء أو لم تطب ، والأمر لله وحده ... ! .

انظروا – رعاكم الله – إلى بلاغـة التنزيل الحكيم حيث أريد من النساء أوصافهن عبر بما التى لغير العاقل ، وصرح جار الله الزمخشرى بأن المراد بالطيبات الحلال دون من حرمهن الله سبحانه فى قوله – حرمت عليكم أمهاتـكم وبناتـكم وأخواتـكم الخ ... وعندى أن المراد طيبهن عند النفوس بحيث تميل إليهن وترغب فيهن ، وقد ورد فى الحـديث الشريف ما معناه : تنكح المرأة لدينها وجمـالها ومالها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك . فبين فى الحديث مرغبات الرجل فى المرأة وأسباب الميل لها ، وبين أن خيرها وأحسنها الدين ، ولا أطيل بذكر اختلاف الفقهاء فى النكاح من حيث وجوبه وعـدمه ، ولكنى أقول على وجه الإجمال : إن الفقهاء ذكروا أنه تتوارد عليه الأحكام الخمسة : الوجوب والندب والتحريم والـكراهة والإباحة ، ولـكل منها موضع يطول الكلام بشرحه وتفصيله

ثم وسع الله على عباده ولم يضيق عليهم رحمة بهم فجعل لهم النكاح (مثنى وثلاث ورباع) . تلك الكلمات الثلاث كانت مثار عراك شديد ، وتطاحن كبير ، بين الناظرين فى كتاب الله المستنبطين للأحكام منه ، فذهب جماعة إلى أنه يجوز من النساء إلى تسع تمسكا بما يفيده ظاهر الآية الكريمة من الجمع بين هذه الأعداد، ومجموعها كما ترون تسع ، وذهبت طائفة أخرى إلى جوازه إلى ثمانية عشر ، تمسكا بأن هذه الألفاظ الثلاثة معدولة عن أعداد مكررة من ألفاظها فمثنى معدولة عن اثنين اثنين ، وثلاث معدولة عن ثلاث ثلاث، وهكذا ... وهى تفيد إباحة مجموع هذه الأعداد ومجموعها ثمانية عشر ، وأغربت جماعة أخرى بل أفرطت فى التقدير ، وأبعدت جدا حيث أجازت الجمع بين النساء مهما بلغ عددهن، محتجة بأن ما ذكر من العدد ليس المقصود منه الحصر ، ولكنه ذكر على وجه التمثيل، لتعذر ذكر جميع الأعداد لعدم وقوفها عند حد، وهذا لعمرى خبط وخلط فى معنى الآية الكريمة تنبو عنه جزالة اللفظ ومتانة الأسلوب، فان الخطاب فى الآية الشريفة لجميع الناس الراغبين فى النكاح، والمقصود التوسعة عليهم ليصيب كل واحد منهم ما أراد من العدد الذى أطلق له، وهل لو قال قائل اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثا ثلاثا وأربعة أربعة أكان يفهم منه ذو عقل رشيد وفهم سديد أن يعطى كل واحد مجموع هذه الأعداد؟ أو هو لا يفهم منه إلا أن جماعة يأخذ كل واحد منها درهمين، وجماعة أخرى يأخذ كل واحد منها ثلاثة، وأخرى يأخذ كل واحد منها أربعة، ولو ذهبت تغير اللفظ إلى غيره كأن قلت اقتسموا هذا المال درهمين وثلاثة وأربعة لما أفدت معنى صحيحا ، ولو قلت اقتسموه درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة لما أفدت إلا أنه لايسوغ لهم أن يقتسموه على نوع واحد من هذه القسمة، وذلك مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الشريف وبلوغه من البلاغة أعلى حد فيها وأرفع منزلة منها .

لهذا اتفق الأئمة المجتهدون رضى الله عنهم على أنه لايجوز مافوق الأربع، وهو إجماع لا تجوز مخالفته، بل من أفحش الكبائر وأقبح الذنوب تعديه إلى حد غيره، ويدل له ماورد أن سيدنا غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحته عشر نسوة فقال النبى صلى الله عليه وسلم: اختر منهن أربعا. وفى لفظ آخر أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن، وحصل ذلك لكثير من الصحابة سواه رضى الله عنهم وكانت فتواه صلى الله عليه وسلم لجميعهم ما ذكر ، أفيجرؤ بعد هذا مسلم على تحليل ما زاد عن الأربع ، إنه بذلك يرتكب فى الدين خطأ من أكبر الأخطاء وأغلظها وقانا الله السوء وحفظنا منه .

أما جواز الزيادة عن الأربع لسيد الأنام صلى الله عليه وسلم فانما كان ذلك خصوصية له ممن أرسله للناس بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وسنبين بعد ، حكمة التعدد فى ذاته حكمته له صلى الله عليه وسلم .

بيد أن الله جلت قدرته وتعالت حكمته وإن أباح للزوج أن يجمع ، إلا أنه احتاط للنساء وحافظ عليهن محافظة كبيرة فشرط أن يكون ذلك الجمع عند تحقق العدل والتسوية بينهن فقال : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » فإن رغب واحد منكم جمع أى عدد مما أبحت لكم فى عصمته ، فليتريث فى أمره ، ويتثبت من حاله ، فان أحس من نفسه القيام بحقوقهن وأداء مالهن عليه من واجبات ، بحيث يعدل بينهن أقدم على ذلك ، وإن خاف ألا يعدل بينهن فليتزوج واحدة ويلزمها ، أو فالأحسن أن ينكح واحدة ، وقد نص الفقهاء على أن العدل الواجب إنما هو فى القسم فى النفقات والبيتوتة حتى قالوا : يجب على ولى المجنون أن يطوّفه على نسائه ، وصرحوا بأنه لا يجوز للزوج أن يدخل عند إحدى زوجاته فى نوبة الأخرى إلا بإذنها حتى إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطاف به فى مرضه على بيوت أزواجه محمولا ، حفظا للعدل ومن أولى بذلك منه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرض بالإقامة فى بيت إحداهن خاصة إلا بعد أن أذن له لما كان عند إحداهن ، فسأل فى أى بيت أكون غدا ، فعلم نساؤه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أنه يسأل عن نوبة السيدة عائشة رضى الله عنها ، فأذنّ له فى المقام عندها مدة المرض فقال : صلى الله عليه وسلم هل رضيتن ، فقلن نعم . فأقام عندها صلى الله عليه وسلم ، هذا هو القسم الواجب بين النساء ، أما الميل القلبى فذاك الذى لا يكلف به المرء بالتسوية فيه ، فان القلوب بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء ، يثبت فيها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يعتذر من ميله القلبى فيقول : اللهم هذا (أى القسم فى النفقة والبيتوتة) جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك .

وعلى هذا الميل القلبى والحب النفسى حمل العلماء قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ولو حمل العدل فى هذه الآية على العدل فى البيتوتة والعطاء لكانت النتيجة اللازمة للآيتين عدم جواز التعدد بحال وهو ظاهر البطلان بين الفساد .

وإن تعجب فعجب أن بعض من ينتسبون إلى العلم ـ بزعمهم ـ كتب مقالة فى بعض الجرائد بعنوان (القرآن أو الإسلام ـ لست أذكر ـ يحرم تعدد الزوجات) واستدل على

ذلك فيما يفهم هو، أو يفهم الذين أرشدوه بأن الآية الكريمة أباحت التعدد بشرط العدل، والعدل محال بدليل آية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وهذا فهم سقيم لا يتجه إليه عاقل ، إذ لا يستساغ أبدا أن يبيح لنا ربنا سبحانه شيئا ثم يعلقه على محال ، فان هذا أشبه شيء باللعب والهزء بعباده ، ولو أراد الله جل شأنه تحريم التعدد بين ذلك فيمن حرمهن فى قوله حرمت عليكم أمهاتكم بكلمة واحدة ، فيقول مثلا وأن تجمعوا بين الأختين أو اثنتين ويكون هذا نصا واضحا لا يمترى فيه أحد .

ثم إن الله سبحانه لم يترك النساء سلعة فى يد الأزواج يطوحون بهن أنى شاءوا ، وعلى أى حال أرادوا ، بل أوجب على الزوج أن يحسن العشرة ولا يسيء فيها فقال : « فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان » . وقال : « فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » .

هذا وقد سوى الله سبحانه وتعالى عند خوف عدم العدل بين المرأة الواحدة الحرة وبين الإماء من غير حصر فى السهولة واليسر فقال : « فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . قال جار الله : لعمرى إنهن (أى الإماء) أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مئونة من الحرائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن فى القسم أو لم تعدل ، وعقب سبحانه ما تقدم بقوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » . أى ألا تجوروا أو تميلوا إلى إحدى نسائكم تأكيدا لأمر العدل وتنبيها على المحافظة عليه فان المرأة الواحدة لا يعقل طلب العدل فى شأنها إذ لا يطلب إلا بين متعدد ، وإن كان لها حقوق أخرى بينت فى آيات أخرى — أما الإماء فقد رفع الله عن الرجل إصر القسمة بينهن فضلا من الله ونعمة ورحمة .

من هذا يتضح لنا متى يجوز تعدد الزوجات فى الإسلام ومتى يكون الاقتصار على الواحدة أو ما ملكت أيمانكم مطلوبا ، وليس من غرضى فى هذا المقال أن أوازن بين الحالين حال التعدد وحال الانفراد وأفاضل بينهما ، ما دام الشرع الشريف قد نص على جواز الأمرين كل بما حدد له من شروط وبين من أسباب ، ووكل ذلك إلى الرجل نفسه بعد أن هداه السبيل وأرشده الطريق ، من توخى العدل والمحافظة عليه مع استطاعة القيام بحقوقهن وأداء ما يلزم لهن من النفقات ، ولكن الذى أقصده من حديثى هو حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام .

كأن المرأة إنما خلقت لتكون بلاء لنا نحن المسلمين فى ديننا واختبارا لتعاليمه الحكيمة ووصاياه المستقيمة ، إذا قلنا يجوز طلاق المرأة ، قال الأجانب فى حقنا : إنهم

قساة القلب ، غلاظ الأكباد ، يأمرهم دينهم بطلاق المرأة ، وقد تكون قضت أيام شبابها مع الرجل وأفنت زهرة حياتها بصحبته ، وإن قلنا للمرأة قرى فى بيتك ولا ترى الناس جمالك ضنا بها أن يراها الأجنبي عنها وحفظا لدينها وعرضها ، قالوا : جامدون متشددون لا يتمشون مع المدنية الحديثة ونظامها ، وإن قلنا يجوز الجمع بين الزوجات قالوا : شهوانيون ، ودينهم شهوانى يسلك بهم فى ميادين الشهوة إلى حد بعيد ، كذا يقولون وغير ذلك يقولون فى حق ديننا الحنيف ، وما يضر الشمس ألا يراها الأعمى ، تلك شنشنة نعرفها من أخزم ، وهذا شأنهم فى كل نصح حكيم من نصائح ديننا العظيم ، إذا لم يعرفوا أسراره ووجه الحكمة فيه ، ولو أنهم تأملوا قليلا ونظروا إلى الدين بعينين لم تعمهما الأغراض والأهواء ، وفكروا فيه بقلوب لم يطبع عليها غشاء التعصب الممقوت ، لألفوا الدين الإسلامى دين المدنية الفاضلة والنظام الاجتماعى المستقيم .

الغرض الأصلى من النكاح إنما هو النسل والذرية ، أما مجرد قضاء الوطر فحسب فتلك وظيفة البهائم وعجماوات الحيوانات ، ولا سبيل لمن أراد كثرة النسل وتعدد الذرية إلا بتعدد الزوجات حتى قال بعض حكماء الغرب ، لو تركنا رجلا واحدا مع مائة امرأة سنة واحدة لجاز أن يكون لنا من نسله فى السنة الواحدة مائة إنسان ، وأما إذا تركنا مائة رجل مع امرأة واحدة سنة كاملة فأكثر ما يمكن أن يكون لنا من نسلهن إنسان واحد ، والأرجح أن هذه المرأة لا تنتج أحدا ، لأن كل واحد من الرجال يفسد حرث الآخر ، فتعدد الزوجات يكثر العشيرة ويجعل عددها وفيرا ، وما أدراكم ما فائدة العشيرة إذا كثرت ، تعظم بذلك الأمم ، وتستطيع الدفاع عن حقوقها برجالها وأبنائها ، وإنكم لتعرفون أن الجهاد مشروع فى كل الدول ، وأنه وسيلة من وسائل حفظها وبقائها ، فلا دولة إلا ولها قوة حربية تسعى جهدها فى تحصينها وتجهيزها بكل ما يمكن من معدات الحرب والنضال ، وبمقدار استعداد الأمة بأموالها ورجالها تكون هيبتها فى نفوس الأمم وعظمتها لديهم ، وإنكم لترون بأعينكم أن الدول قليلات الرجال نهب مقسم بين الدول الكبيرة ، تمسكها إحداها وتتنازل عنها للأخرى كأنها سلع تباع وتشترى ، وهنا أقول والفخر فخر المواطن برجال وطنه المخلصين : إن رجال ثورتنا ـ حفظهم الله ـ عرفوا هذا المعنى حق معرفته فأعدوا جيشنا إعدادا كاملا وقووه وزادوا فى عدده وعتاده حتى صار جيشا مرهوب الجانب مخشى السطوة ، حتى قال قائل الصهيونيين ـ قاتلهم الله وأخزاهم ـ لو أراد جيش مصر أن يسحقنا فى ثمان وأربعين ساعة لفعل ، ولقد

زرت مصنعين للذخيرة فى جهتين من جهات القاهرة، فرأيت ما ملأ نفسى زهوا وفخرا وتقديرا لرجال ثورتنا المخلصين العاملين ، ووددت لو أن جميع المصريين يزورون هذه المصانع، ليروا بأعينهم ما يعمله رجال الثورة لأمتهم، وما يبنونه لها من مجد وعز وسؤدد، وقاهم الله شر العوادى ، وحفظهم لجمهوريتنا العربية العزيزة وللأزهر والأزهريين وللعروبة والإسلام .

هذا ومن المعلوم أن الحرب من شأنها أن تطحن الرجال ، وتغتال الأبطال وفيهم قطعا المتزوجون والعائلون لبنات وأزواج ، فالى أين يذهب هؤلاء النسوة وتلك البنات اللاتى استلبت الحرب منهن عائلهن ومن يقوم بمصالحهن ؟ أيمتن جوعا وعطشا ؟ أم يفرطن فى عفافهن رجاء أن يقبضن ما يقمن به أصلابهن ؟ أو يعثن فى الأرض فسادا فيصبحن أدواء تنخر فى بنيان الأمة التى ينتسبن إليها ، وقد قالت كاتبة من كاتبات الغرب لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة ترانى أنظر إلى هاتيك الفتيات وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وماذا عسى يفيدهن بثى وحزنى ، وتوجعى وتفجعى ، وإن شاركنى الناس فيه جميعا ولله درتوماس فانه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل للشفاء ، وهو أن يباح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة .

على أن عدم التعدد فى البلاد المتمسكة به جعل الزنا يفشو بينهم وينتشر فيهم ، حتى عم الفساد وساءت الحال ، ولقد حدثت عن مصرى سافر إلى أوربا للرياضة أنه لم يكد تطأ رجلاه بعض بلاد أوربا حتى أحاطت به جماعة من النسوة ، تلك تأخذ بيده وهذه تضع يدها على صدره ، وأخرى تضمه إلى صدرها الخ الحديث ... ولكن الشريعة الإسلامية المطهرة أباحت التعدد حتى يستطاع حفظهن وكفلان اللاتى لا كفيل لهن ولا قيم عليهن ، لا سيما إبان الحروب وبعدها .

ومن جهة أخرى فقد أثبت التعداد أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال فى غالب البلدان ان لم يكن فى جميعها ، فلو جعلنا لكل رجل واحدة فأين يذهب أولئك النساء الباقيات ؟ ليس لهن من وسيلة إذا إلا أن يتجرن بأعراضهن فيأتين بأولاد غير شرعيين ، كما هو الحال فى البلاد المتمسكة بالواحدة فقط ، ولعمرى كيف يعيبون تعدد الزوجات، ولا يعيبون هتك الأعراض وتمزيق جلباب العفاف ، وبعد فالرجل ربما لا تكفيه المرأة الواحدة لأنه قد يريدها وهى مريضة ، أو بها مانع من الموانع الشرعية ،

ولو لم يأتها لاضطر إلى الزنا وهو ممنوع فى جميع الشرائع ، فهل الأفضل حينئذ أن ندع الرجل يزنى أو نبيح له تعدد الزوجات ، وربما يقول قائل : إن المرأة أيضا ربما لا يكفيها الرجل الواحد فلم لم يبح لها أكثر من واحد ؟ قلنا سؤال وجيه ، ولكنه نادر جدًا ومعروف أن النادر لا تبنى عليه الأحكام ، وإنما تبنى على الأعم الأغلب ، على أن الشرع الشريف حكيم فى فعله ، فان إباحة ذلك للمرأة مما يفسد الأنساب ويضيع الحقوق ، خصوصا فى المواريث ، فعارضت تلك المصلحة فى حق المرأة مفسدة من أكبر المفاسد فكان إنصافا وحكمة غلق هذا الباب وارتاجه أحكم ارتاج وأشده ، وهناك عدا ما ذكرنا حكم كثيرة ومزايا فاضلة لهذا التعدد ، وقالت كاتبة انكليزية : وإباحة التزوج بأكثر من واحدة للرجل يزيل البلاء بلا ريب ولا شبهة ، وبه تصبح بناتنا ربات بيوت والبلاء كل البلاء من جعل الرجل مقيدا حسب التقليد بالاكتفاء بامرأة واحدة ، وهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شاردات وعالة على المجتمع الإنسانى وقد أطالت فى ذلك .

أما حكمة زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ، فهى السياسة الرشيدة والحكمة العالية ، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يريد بتعدد الزوجات ما يريده الملوك والأمراء من مجرد التمتع بالحلال ، إذ لو أراد ذلك لاختار حسناوات الأبكار ، على أولئك الثيبات المكتهلات ، وإنما راعى صلى الله عليه وسلم المصلحة فى اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان فى التشريع ، ولكل واحدة من نسائه صلى الله عليه وسلم حكمة ، ولكنى أجمل القول فى ذلك إجمالا فأقول بهذا التعدد جذب إليه صلى الله عليه وسلم كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أتباعه احترام النساء ، بعد أن كن أذلة فى أيدى الأزواج ، وعلمهم كيف يقيمون العدل بينهن ، ودلهم بزواجه من السيدة زينب بنت جحش امرأة زيد الذى تبناه على إبطال تلك البدع الجاهلية من تحريم زوج المتبنى كزوج ابن الصلب ، وقرر الأحكام بذلك وثبتها ، وترك من بعده تسع نسوة من أمهات المؤمنين ، يعلمن نساءهم من الأحكام ما ينبغى أن يتعلم من النساء دون الرجال ، وأذكر هنا حكمة لزواجه بواحدة من نسائه رضى الله عنها ليتضح أثر مصاهرته صلى الله عليه وسلم للقبائل من جمعها حوله ، واستظلالها بظله الوارف وهو ما لأجله بعثه الله رب العالمين .

تلك هى السيدة برة بنت الحارث سيد قومه بنى المصطلق ، فان المسلمين كانوا قد أسروا من قومها كثيرا من الرجال والنساء والذرارى ، وفيهم سيدتهم برة ، فأراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بسيدتهم هذه بأمر من ربه ليكون ذلك وسيلة لاعتاقهم وفك أسرهم ، ولو أمرهم صلى الله عليه وسلم لأتمروا وما خالفوا ، ولكنه أراد أن يأخذهم بسياسة حازمة حكيمة ، إذ كان عليه السلام الأسوة والقدوة ، فلما تزوج تلك السيدة قال الصحابة رضى الله عنهم أصهار رسول الله لا ينبغى أسرهم ، فأطلقوا سبيلهم وأعتقوهم ، فأسلم جميع بنى المصطلق وصاروا عونا للمسلمين بعد أن كانوا حربا عليهم ، وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منار هدى وإرشاد لجميع الناس فى كل ما هو خير لهم فى حياتهم وآخرتهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم) وفقنا الله إلى سلوك سبيله ، وهدانا إلى طريقه السوى المستقيم .

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد

الحالة فى العراق

خطب السيد رضا الشبيبى فى البرلمان العراقى فقال : « إن هناك احتكارا للرأى فى العراق ، هناك نكسة فى العلاقات مع الدول العربية . بريطانيا تتدخل فى كل مسألة . حرية الاجتماع ممنوعة ، حرية الرأى ممنوعة . إنى أقولها بملء صوتى : إن التفسير الحقيقى لاستقلال العراق أنه استقلال جماعة معينة فى إدارة شئون الدولة بما لا يتفق ومصلحة الدولة » .

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

بحث فى الطلاق

(أ) التشريع الجديد الذى جرى التطبيق عليه فى محاكم الأحوال الشخصية متأثر بسنة التدرج والانتقال . (ب) الطلاق وأسرار إباحته . (ح) جعل الفراق بيد الرجل والحكمة فيه . (د) ما فى حكم الطلاق مما به حل عقدة النكاح وأسرار ذلك . (هـ) الكشف عن بعض المذاهب الإسلامية التى جرى عليها تطبيق بعض أحكام قانون الأحوال الشخصية من غير مذهب أبى حنيفة فى العهد الأخير .

لما ظهر قانون إلغاء المحاكم الشرعية فى عهدنا الراهن طلب إلينا الكثير من زملائنا فى المحاكم الوطنية ومن المشتغلين بقضايا الأحوال الشخصية أن نفصح لهم فى بحث مستفيض عن المادة الثامنة من القانون المشار إليه، والتى تقول إن الطلاق بجميع أنواعه وملابساته والنسب بعد أن كان يفصل فيه لدى المحاكم الجزئية ، أصبح من الموادالتى تطرح أمام القضاء الكلى فى المحاكم الكلية الابتدائية ، واستجابة لحضرات الزملاء نحقق لهم رجاءهم فيما طلبوا ، فننشر فى هذه المجلة ما استقر عليه الفقه الإسلامى فى باب الطلاق وما أخذت به المحاكم ، متوخين فى ذلك كله الموضوعات والمراجع الوثيقة فى باب الفقه والقضاء والله المستعان .

الطلاق وأسباب إباحته :

هى أولا : عدم تعطيل النسل المرغوب فيه ، المندوب إليه على الرجل والمرأة ؛ لأن المرأة قد تكون عقيما أو آيسا والرجل فقيرا لا قدرة له على الجمع بين اثنتين ، فإن لم يستبدل لم يكن مستعدا لأداء النسل ، ولأن الرجل قد يكون هو العقيم أو به ما يمنع الخلوة بها كالعنة ، فإن لم يفارق المرأة ليختص بها سواه تعطل نسلها عليها وفات عليها استعدادها له .

وثانيا : رفع الحرج عن الزوجين ؛ لأنه قد يتصف أحدهما بسوء فى خلقه وفساد فى تربيته أو ضعف فى دينه ، أو يكون بينهما تخالف فى الطباع وتضاد فى المقاصد ، فتتنافر القلوب وينعدم التآلف . والزوجية إن لم تتألف على المحبة وتدعم بالموافقة ، تداعت أركانها وانهار بناؤها وانعكس المقصود منها ، فصار الضرر - لولا الطلاق - محققا ، والفساد أمرا واقعا ، لأن العداوة تظهر فى أقبح مظاهرها فلا يأمن كلاهما الآخر على نفسه ، ولا يعامله بلطف واحتشام ، فيصير العيش ذميما ، والحياة مريرة ، وتقع ذراريهما وأعقابهما السيئة الحظ فى حيرة وارتباك ، وبعد عن أحد الجانبين مع اقتراب من الآخر ، فتضطر إلى المخادعة والنفاق والغش والتدليس ، فيصير ذلك خلقا وسجية مألوفة ، فتقبح نعوتها ويسوء منقلبها ، ولقد رأينا من الأزواج من هجر وطنه وهو عزيز ، ومن فارق دينه وهو أعز ، ومن قتل نفسه ولا شيء يعدلها ، ومن أودى بصاحبه وهو جناية كبرى ، تخلصا من قرين السوء والحياة الذميمة .

ولهذا نرى كثيرا من أبناء الديانات الأخرى يلجئون إلى الطلاق المدنى إشفاقا من ترتب آثار الزوجية ، وحذرا من الوقوع فى أخطار يقدرها هؤلاء ، أقلها نتيجة حدوث تنافر بين الزوجين ، ولا يجد كلاهما إلى التخلص من ضرره سبيلا . ولهذا اضطرت دول إلى الاعتراف بهذا الطلاق المدنى ، وجعلته أصلا من أصول مدنيتها وإن خالف أصول دينها . وإن شركة روتر البرقية نقلت إلينا فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٩ م أن الإحصاء الحكومى بالولايات المتحدة أبان أن المحاكم فى العشرين سنة الأخيرة ، قضت بإجراء مليون طلاق . فقارن بحقك بيننا وبين غيرنا ، وانظر إلى آثار رحمة الله بنا ، واشكر مولاك على ما أولاك من هذه النعم الجزيلة والمنة الحقة .

ثالثاً : إن جعل الطلاق بيد الرجل وحده يقرب من بقاء الزوجية ، ويبعد من زوالها قدر الاستطاعة ، لأن للرجل فضلا على المرأة ، ولأنه كلف بالإنفاق وإيتاء الصداق ، فهو لذلك لا يقدم على الفراق ما وجد للتأخر عنه سبيلا ، بخلاف المرأة لأنها قليلة التثبت فى الأمور ، كثيرة الاضطراب فى الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، ضعيفة بطبيعتها عن احتمال المكاره ، وتفرح وتحزن بأحقر الأسباب . فإذا جعل الطلاق بإرادتها انهار بناء الاجتماع متى وجد خصام وتلاح ، وإن جعل بيد كل من الرجل والمرأة كان الأمر أفظع والفراق أسرع ، لأن المرأة كما رأينا فى معزل عن الأمور التى بها بقاء الزوجية ،

والرجل يعلم ذلك و يأنف أن يكون الفراق منها ، وقد تكون مثله فى تلك الأنفة ، فاذا ما وجد شقاق بينهما يسىء كلاهما الظن بصاحبه ، و يخشى أن يفارقه ، فيبادر هو بالفراق فرارا مما أنف منه .

على أن جعل الفراق بيد الرجل خاصة إنما يكون إذا أراد الرجل أن يتنازل من حقوقه قبل المرأة و يوفيها جميع حقها . أما إذا أراد كلاهما أن يكون له حق حل عقد النكاح ـ وقد وضع بعض حملة الدين حق الفراق بيد المرأة إن اشترط ذلك فى عقد الزواج ، وجرى عليه الآن كثير من العقود ـ فليس على من خافت من بعلها سوء العشرة، وتمسكت بهذا الشرط من بأس .

لكن حدث ـ ملاءمة لسير التطورات ، ومسايرة لشتى الاعتبارات المتولدة عن الوقائع والحادثات ـ أن تشريعا وضع سنة ١٩٢٠ وهو المرسوم بقانون رقم ٢٥، بعد أن كثرت الشكوى من بقاء قيد النكاح فى أيدى الأزواج ، يتلاعب بها شرارهم ، ويجعل الزوجية فى نظر المستهترين متاعا يستمتع به ذوو الغايات ، وسبيلا إلى الانتقام بشتى الوسائل ، فجاءت المادة التاسعة من القانون المذكور ، وهى تبيح للزوجة أن تطلب التفريق إذا وجدت عيبا لايمكن البرء منه ، أو يمكن بعد زمن طويل ، ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر ، كالجنون والجذام ، سواء أكان ذلك العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به ، أو حدث بعد العقد ولم ترض به ، ثم جاء قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأباح للزوجة أن تطلب إلى القاضى التطليق على الزوج ، فى حالات بينت من المادة السادسة إلى المادة الحادية عشرة من هذا القانون فى حالة تعمد إضرار الزوج بها . ثم أباح لها أن تطلب إلى القاضى التطليق على زوجها عند غيبته فى شرائطها المبينة من المادة الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة من هذا القانون . ذلك لأن الطلاق شرع فى الإسلام للتخلص من رابطة الزوجية إذا تحقق أن المعاشرة بالمعروف وأداء حقوق الزوجية مستحيلة البقاء . والشقاق بين الزوجين مثار لأضرار كثيرة ، لا يقتصر ضررها على الزوجين فحسب ، بل يجاوزها إلى ما خلق الله بينهما من ذرية ، و إلى كل من له بهما علاقة قرابة أو مصاهرة .

فرأت الوزارة من أجل ذلك أن المصلحة تدعو إلى الأخذ بمذهب الإمام مالك رضى الله عنه فى أحكام الشقاق بين الزوجين . ووضعت القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المتقدم ذكره .

التطليق لغيبة الزوج أو حبسه :

كذلك قد يغيب الزوج عن زوجته مدة طويلة بلا عذر مقبول ، لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لانقطاع المواصلات ، ثم هو لا يحمل زوجته إليه ولا هو يطلقها لتتخذ لها زوجا غيره . ومقام الزوجة على هذه الحال زمنا طويلا مع محافظتها على العفة والشرف أمر لا تحمله الطبيعة فى الأعم الأغلب ، وإن ترك لها الزوج ما تستطيع منه الإنفاق . وقد يقترف الزوج من الجرائم ما يستحق عقوبة السجن الطويل ، فتقع زوجته فى مثل ما وقعت فيه زوجة الغائب .

من أجل ذلك شرعت المواد ١٢ و ١٣ و ١٤ من القانون المذكور إنهاء لذلك العذاب الذى كان فى يدى الزوج قبل زوجته يرهقها به أنى شاء »

عباس طه
المحامى

المسلمون فى يوغوسلافيا

تبلغ نسبة المسلمين فى يوغوسلافيا إلى مجموع السكان ١٢,٥٢ ٪ ويشرف على حياة المسلمين الدينية مجلس أعلى للأوقاف ، وعلى رأسه رئيس للعلماء ، ولهم ثلاثة معاهد دينية فى سراى بوسنة واسكوب وبرشتنة ويتخرج العلماء من هذه المعاهد ، ولهم مجلة إسلامية تنشر فيها بعض المقالات العربية أحيانا . وفى يوغوسلافيا ثمانية آلاف مسجد وعدة مئات من المكاتب القرآنية ، وأهم المدارس الإسلامية مدرسة الغازى خسرف بك فى سراى بوسنة .

مكانة الأزهر المعمور

« ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال الكبير الذى عقد فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ضمن سلسلة (حديث الاثنين) يوم ١٩ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ تحت عنوان : (رسالة الأزهر الشريف) وقد خطب فيه الأساتذة : عبد اللطيف السبكى ومحمود حب الله وأحمد الشرباصى ومحمد الغزالى وعبد الرحيم فودة وصاحب القصيدة » :

ردوا علىّ صباى غضا أزهرا … لأيم القدس الرهيب « الأزهرا »
وأجــول فى حلقــاته متلقنا … من علمه ، متذكرا ، ومذكرا
متعلما لغـــة الكتاب وآيه … متدبرا ، مستفسرا ، ومفسرا
ومتوجا بعمامة تبــدى الفتى … فى قومه شيخا مهيبا نيرا
إن العمامة هيبة وفضيلة … أسفى على من عقها أو أنكرا
أسفى على أن لم أكن من أهلها … وأنا ابن من لبس العمامة أدهرا
إن لم ترونى أزهريا وافيا … فتقبلـــونى هاديا متأزهرا
هـــذا البناء حصانة وصيانة … للدين والدنيا ، وهدى للورى
الله صاحبه ورافع ركنه … ما كان صاحبه « المعز » و« جوهرا »
هـــذا البناء كرامة وسلامة … للمسلمين وعزة أن تقهرا
هـــذا سفير تآلف ومعارف … من قبل عرف بالسفارة قد جرى
هذا الذى محق الغزاة شعاعه … من كل باغ قــد عتا وتجبرا
لاذ الحماة به فكان لهم حمى … ومجـال شورى بينهم ومعسكرا
قد عاش جارا « للحسين » ولم يزل … فى العز من صحب المقام الأطهرا
فالأزهر المعمور حارس ديننا … ومؤدب لمن امترى ومن افترى
ولفاسق متهتك ، ولمن سعى … كيما يزندق جيلنا ويكفرا
والأزهر المعمور نبع حضارة … إن نحن عفناه فلن نتحضرا
ولئن صدفنا عن قويم علومه … فلقــد أعنا المفسد المستعمرا
ولقــد طعنا الدين فى أحشائه … ولقــد جعلنا الضاد كلا مهدرا
لا تزهدوا العلم الحديث ، وإنما … لا تجعلوا النبراس إلا « الأزهرا » !

محمد مصطفى حمام

تحية الوحـــــــدة

عادت لذروتهـا البنود فابشرى وجرى القذ ' ، بما أردت فكبرى

وغـــدت مهاد الأنبياء بأهلها صحف الهداية بين كفى ناشر

وتعانق الأخوان جهـد ملوع جمعته بالأحباب قـدرة قادر

شـكرى الذى وهب الوفاء حياته وأخو الدهاء جمال عبد الناصر

عطفا القلوب على القلوب كأنمـا رزقا على الإخلاص سحـر الساحر

• • •

يا وحـدة الغرض الشريف تحية من شاهد بالمـكرمات مقـدر

أنا إن مدحتك كنت مادح نفسه لـكن تفاقم الانفعال بخاطرى

بطلاك خطا فى السجل صحيفة يزهو بهـا فى الفخر شعر الشاعر

وهما اللذان توخيا لعروبتى شرف الشعوب وكل مجـد زاهر

• • •

يا أخت سلم حبذته شريعتى ودعت إليــه بحكمة وتبصر

بكت المروءة من تآمر معشر حبكوا الخيانة فى جلال الساحر

جعلوا الرياء سبيلهم وتنكروا للخـير والمعروف إى تنكر

طعموا الشهى على الشهى وأتخموا وتجـاهلوا حق الفقير المعسر

باعوا الضمائر للعـدو رخيصة رغم الثراء وساء حظ المشترى

يا ويح عاصى الأهل من نزواته وجنوحه نحو الدخيل الغـادر

خسر الحياة وإن تأخر يومـه وقضى البقية نصب عين المزدرى

إن الذين تربصوا بمجاهد لم يؤمنوا بالله غير تظـاهر

• • •

يأيهـا البطل النقى سريرة والمستجيب لـكل بذل مثمر

الله جـل جلاله لك حافظ فاغنم رضاه على المجـد الصابر

محمد كامل شلش

مراقب المعهد الدينى بشبين الـكوم

لغويات

الاتحاد والوحدة

يراد بالاتحاد اجتماع اثنين فأكثر واشتراكهما وتعاونهما فى أمورهما ، يكون هذا فى آحاد الناس وفى الأمم . وهذا المعنى الشريف قديم جاء فى أشعار العرب وفى الكتاب العزيز ، وقول الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ، والأمر فى هذا لا يحتاج إلى تذكير ، ومما جاء من الشعر قول الحكيم :

كونوا جميعا يا بنى إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

غير أن لفظ الاتحاد ومتصرفاته لم أره فى نصوص العرب القديمة ، وهو يكثر فى عبارات المؤلفين والمصنفين للعلوم .

ونرى لفظ الاتحاد فى القرن الرابع فما بعده ، ويقول [١] الصابى فى كتاب أنشأه للصلح بين ابنى عضد الدولة كتبه فى سنة ٣٧٦ هـ : « وعلى أن يمسكا بينهما بالسير الحميدة ، والسنن الرشيدة التى سنها لهما السلف الصالح من آبائهما وأجدادهما فى التآلف والتوازر . . . والاتحاد بخلوص الطوايا والخفايا ، وسلامة الخواطر ، وطهارة الضمائر » . وكتب [٢] زين الدين طاهر الحلبى من كتاب السلطان فرج بن برقوق فى سنة ٨٠٥ هـ فى كتاب صلح بين هذا السلطان والملك تيمورلنك ، وكان يلقب بالمقام القطبى : « وحلف المقام القطبى على الموافاه والمصافاة واتحاد المملكتين ، وإجراء الأمور على السداد ، وعمل مصالح العباد والبلاد » . وفى كتاب [٣] الصلح هذا : « هذا على أن يكون كل من المقامين الشريفين المشار إليهما مع الآخر على أكمل ما يكون فى السراء والضراء : من حسن الوفاء ، وجميل المودة والصفاء ، ويكونا فى الاتحاد كالوالد والولد ، وعلى المبالغة فى الامتزاج والاختلاط كروحين فى جسد » .

---

[١] صبح الأعشى ٩٣/١٤ .

[٢] المرجع السابق ص ١٠٣ .

[٣] المرجع السابق ص ١٠٧ .

وإذا رجعنا إلى المعاجم لا نجد فى اللسان ذكرا لصيغة الاتحاد فى مادتى (أحـد) و(وحـد) ؛ وترى فى القاموس فى (أحـد) : « واتحد : انفرد » وهذا فى غير المعنى الذى يستعمل فى هذه الأيام ، وترى أن القاموس جاء فيه اتحد من المهموز وهذا لا يجرى فى القياس ، وإنما قياسه : ايتحد ، وإنما تقلب فاء الافتعال تاء إذا كانت واوا أو ياء لا همزة كما هو معروف ، وقد خطأ النحاة قول المحدثين : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزر » وهو افتعال من الإزار ، وكان يجب أن يقال : يأتزر . وجاء فى الأساس : « واتحد الرجلان ، وبينهما اتحاد » وهذا يساوى المعنى المستعمل فى الاتحاد ، وحسبنا بهذا مصدرا ثقة يعول عليه ، ويستند إليه .

فأما الوحـدة فقد فسرت فى المعـاجم بالانفراد ، وتستعمل الآن فى معنى الاتحاد أو صيرورة الاثنين فما فوقهما واحدا ، فيقال : وحـدة الدولتين ، ووحـدة قوانين التجارة ، وكأن هـذا المعنى نشأ بالتوسع والتجوز فى المعنى الأول ، فمن شأن المنفرد الضبط وعدم الانتشار ومن شأن التعدد التشتت ، فاستعملت الوحدة التى أصلها الانفراد فى الاجتماع الذى فيه الضبط والالتئام ، ومن دعائهم : اللهم اجمع شملى ، وهذا المعنى المجازى اشتهر ، وعرف فى اللغة العلمية . ففى كليات أبى البقاء ٣٧٠ : « الوحدة كون الشىء بحيث لا ينقسم .... وتطلق ويراد بها عـدم التجزئة والانقسام ؛ ويكثر إطلاق الواحد بهذا المعنى ، وقد تطلق بإزاء التعدد والكثرة » .

بقى بعد هذا ، البحث فى ضبط الوحدة .

فقد جرى على ألسنة الناس كسر واو الوحدة ؛ وهـذا لم أقف عليه ، وإنما الذى وقفت عليه فتح الواو . فهـذا ما وجدته فى اللسان والأساس والمصباح والصحاح ، ويرى القارئ فى نسخة القاموس المطبوعة بالمطبعة الحسينية المصرية فى سـنة ١٣٣٠ هـ ضبط الوحدة بضم الواو ، وهذا الضبط يراه القارئ فى التاج شرح القاموس ، ولـكنى وجدت فى نسخة القاموس المطبوعة فى مطبعة بولاق فى سنة ١٢٧٢ هـ الوحـدة مضبوطة بفتح الواو ، وأرى أن صاحب التاج وقعت له نسخة من القاموس فيها ضم الواو خطأ من الناسخ فاعتمدها ، وتبعه مصحح مطبوعـة المطبعة الحسينية ، فينبغى ألا يعاج على هذا الضبط ولا يركن إليه ، ويدل على هذا أن صاحبى الصحاح والمحكم اقتصرا على فتح الواو ، وهذان الـكتابان مصدران للقاموس فهو يأتى بما فيهما وقد يزيد عليهما ، وهو

لم يذكر الوحدة إلا مرة واحدة ، فالمرجح أنها هى التى فى الصحاح والمحكم ، ولو كان المجد وقف على الضم لذكر الوحدة التى فى الكتابين والوحدة (بالضم) التى زادها عليهما .
ومما يؤيد أن الوحدة بالفتح قولهم فى تخريج جاء وحده : إن الأصل : وحدته فحذفت التاء للإضافة ، ويقول الرضى فى شرح الكافية فى مبحث الحال : « ووحدك فى الأصل وحدتك ، فحذفت التاء لقيام المضاف إليه مقامه ، كما فى قوله تعالى : « وإقام الصلاة » والوحدة : الانفراد .... » . ومما يتصل بهذا أن الوحدانية أى التفرد وانقطاع النظير نسبة إلى الوحدة يقصد بها المبالغة ، كالجمانى والرقبانى فى النسب إلى الجمة والرقبة ، وقد انسلخت الكلمة عن النسبة وصار يراد بها الحدث وتدخل فيما يسمى بالمصدر الصناعى ، والوحدانية بفتح الواو لا محالة ، ولا يقبل تجويز بعضهم كسر الواو فى الوحدانية ، فقد جاء فى كتابة الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد فى مبحث الوحدانية : « ثم أفاد سيدى يحيى صحة كسر الواو نسبة إلى حدة كمدة وهبة ، وأصلهما وحد بكسر الواو من وحد يحد ، قالوا : هذا على حدة ، وهذا على حدة ، فتأمل » ، وأمر الأمير بالتأمل فى كلام سيدى يحيى يوحى بأنه لا يرضاه ، ووجه هذا أن النسب إلى حدة : حدى ، ولا ترد الفاء المحذوفة ، فلا تكون الوحدانية منسوبة إلى الحدة .

ويذكر بعض الباحثين أن الوحدة بكسر الواو تقبل على أنها اسم الهيئة وإن لم يسمع ذلك ، إذ إن صوغ الفعلة للهيئة مما ينقاس . وفى نصوص النحويين قصر المرة على الأفعال العلاجية ، ففى حاشية الصبان على الأشمونى فى أواخر أبنية المصادر : « ثم فعلة التى للمرة إنما تكون لما يدل على فعل الجوارح الحسية ، كأمثلة الناظم والشارح ، لا ما يدل على الفعل الباطنى ، كالعلم والجهل والجبن والبخل ، أو الصفة الثابتة ، كالحسن والظرف » ، وقد سكت الصبان عن الهيئة ، ويبدو أنها كالمرة لا تكون إلا من الأفعال العلاجية التى لها هيئة وشكل خاص يظهر .

والوحدة أى الاجتماع ليست ـ فيما يبدو ـ من الأفعال العلاجية الحسية .

والوحدة مصدر ، وفعله وحد يحد كوعد يعد ، ومن مصادر هذا الفعل الحدة كالعدة . ويقال أيضا : وحد يوحد بضم الحاء فيهما . وأثبت بعض اللغويين وحد كسمع أيضا :

والناس يستعملون الوحدة فى مكان الاتحاد أى اسم مصدر له ، ولا ينطقون بفعل ثلاثى ، وإنما ينطقون بالفعل من الاتحاد .

الفانوس

الفانوس معروف . وهو وعاء من زجاج يوضع فيه مصباح أو شمع ، فيكنه من الهواء . ويبدو أنه فى مبدأ أمره لم يكن من الزجاج ، بل كان يغطى بستر رقيق من البياض الشفاف ، ولا يزال هذا جاريا فى فوانيس بعض الطرق الصوفية فى احتفالاتهم الدينية . ويقول مجير الدين بن تميم :

أبدى اعتذارا لنا الفانوس حين بدا فى حالة من هواه ليس يشكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

ذكر هذا الغزولى فى مطالع البدور ١ / ٨٧ . والغزولى من أدباء صدر القرن التاسع الهجرى . وأنشد فى هذا الموطن للوجيه المناوى :

كأنما الليل وفانوسنا يجلو دجى الظلمة بالحس
لجة بحر قد طما موجه تسبح فيه كرة الشمس

ولا نرى ذكر الفانوس فى اللسان . وجاء فى القاموس : « والفانوس : النمام من المازرى . وكأن فانوس الشمع منه » . ولا نرى فى المادة غير الفانوس إلا الفنس بالتحريك ، وهو الفقر المدقع ، وظاهر أنه مبدل من الفلس ، وعلى ذلك تكون كلمة الفانوس ليس لها مادة تتصرف منها . وهذا أمارة أنها دخيلة فى العربية ، ومن آيات ذلك إغفال المعاجم القديمة لها ، وإنما نقلها صاحب القاموس عن المازرى فى شرح مسلم ، وذكر المازرى أن معناها النمام . ويبدى المجد احتمال أن فانوس الشمع ــ وهو الفانوس المعروف ــ من الفانوس بمعنى النمام . وذلك أن فانوس الشمع ينم عما فيه من الشمع أو المصباح لما كان لا يحجب ضوءهما . وقد بعثنى هذا على النظر فى أصل الكلمة ومأتاها ، فعلمت أن الفانوس فى اليونانية معناه المضىء المنير ، وقد انتقل من اليونانية إلى العبرية بهذا المعنى ، كما أخبرنى ثقة فى هذه اللغة . وعلى هذا فقد انتقلت الكلمة إلى العربية من اليونانية أو العبرية بمعنى المضىء ، واستعمل فى المعروف اليوم لإضاءته ، وإذن فاستعمال الفانوس فى فانوس الشمع هو الأصل ، واستعير للنمام ، لأنه ينم عما بين الناس

من الأسرار ويكشف عنها ، كما ينم فانوس الشمع عما فى داخله . وهذا عكس ما رآه صاحب القاموس .

وقــد بدا لى أن الفانوس فى اليونانيـة أصله فاروس . وفاروس كانت جزيرة أمام إسكندرية ، بنى فيها بطليموس فيلا دلف فى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام منارا يضاء ليلا لهداية السفن إلى مدى مائة ميل ، وصار لفظ فاروس رديفا للنار . وقد أخـذ الفرنسيون لفظ فار من فاروس للنار ، وللفانوس الشديد الإضاءة . ونرى فى العـامية الفنيار لضرب من المصابيح ، ويبدو أن هذا أيضا أصله فاروس . وكان مكان المنار يعرف بمنارة الإسكندرية ، وظل معروفا بهذا عند علماء المسلمين ، وكانت تروى فى شأنه أساطير ، وأطال القول فيه ياقوت فى معجم البلدان فى الحديث عن الإسكندرية ، ومن كلامه : « وأما خبر المنـارة فقد رووا لها أخبار هائلة ، وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادلة ، وعن الحق مائلة ... » ولمن أراد سعة فى العلم بها فليرجع إلى هذا المرجع .

محمد على النجار

الحروب الصليبية والاستعمار

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته مساء آخر شعبان بالقاهرة :

إن العرب حين وثقوا فى بريطـانيا وفرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، ليتخلصوا من ظـلم العثمانيين نسوا أنهم يستعينون بنفس الذين كانوا يحـاربونهم قبل العثمانيين ، وإذا كان العرب قد نسوا ، فان بريطانيا لم تنس وكذلك فرنسا .

وعند ما دخل ألنبى القائد البريطانى المشهور إلى بيت المقدس قال : « الآن انتهت الحروب الصليبية » .

وعند ما دخل الجنرال غورد الفرنسى دمشق اتجـــه إلى قبر صلاح الدين وقال : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » .

إن الحروب الصليبية كانت استعمارا يستغل اسم الدين .

تعليقات

١ – اتحاد سوريا ومصر

شيء تمنيناه طويلا ، وقضينا فى انتظاره أحقابا ، ثم سمحت به الأقدار فى أحوج ما نكون إليه ، ووافت به الأيام أكمل ما نرجوه سوريا ومصر ، وأجمل ما تنشده العروبة فى كل ناحية من أوطانها .

نجاح علقت عليه الدنيا أملها فى استقرار السلام ، وكف الأطماع وخمود الدسائس حول هذه الأوطان وكانت هى مهبط الوحى ، ومبعث الهداية ، ومشرق العلم والحضارة ، بعد أن تعثرت الإنسانية فى مسيرها ، وقبل أن تنهض على آثار الشرق أمم جامدة ، وتقتبس من علمه وحضارته شعوب جاحدة .

وما نستطيع أن نشبع الرغبة بالإعراب عن شعورنا ، ولا تحديد ما يتملكنا من عزة بعد أن تواطأت على مذلتنا أمم حانقة علينا ، وناصبتنا الخصومة ، ووقفت فى سبيلنا حيناً وأحياناً من الزمن ، ومهما يكن فقد خسروا وظفرنا ، واندحروا ونهضنا ، وشممنا عبير الأمل بعد طغيان مطبق ، وظلم محدق ، وعدوان جائر ، وتدبير خاسر .

والله يعصمنا من كيدهم ، ويبقى لوحدتنا قوتها وهيبتها ، حتى نكون كأولنا يوم شنوا حروبا صليبية تجمعوا لها من كل ركن ، وعدوا علينا فى غير هوادة ، وبعد قرنين من الزمن كانت رايتنا فوق راياتهم ، وتاريخنا أنصع من تاريخهم ، وكان اعتزاز الإنسانية بنا سلوة عن خزيها بوحشيتهم ، وكانت فرحة الدنيا بنصرتنا عليهم يومذاك أشبه بفرحتها اليوم لقيام حقنا على باطلهم .

وستظل الراية مرفوعة ، وكلمتنا مسموعة ، والزعامة رشيدة ، وخطانا إلى الأمام فسيحة غير وئيدة . . وإن فيما سمعناه من كلمات الزعيمين ، وتمنياتهما للشعبين وللعروبة كلها الخير

قال ، وأصدق بشرى بما سيكون : من تكوين مجتمع جديد ، وإنشاء جيل يعرف وطنه ، ودينه ، وخلقه ، ويحترم تاريخه ؛ فكلا الزعيمين على أصدق إيمان بالله ، وجنوح إلى دين الله. وكلاهما لا يفتى تذكير نفسه بحاجته إلى ربه ، وكلاهما لا يغفل من حسابه أن يعز دين الله ، ويسير في ضوء كتابه . وفق الله الزعيمين - شكرى وجمالا - وشد على يديهما وأيدى أعوانهما بالعصمة من الزلل .

٢ — الندوة الثانية لحماية الشباب

قلنا مرة : إن فكرة عقد هذه الندوة فكرة واعية ، ووسيلة مجدية في توجيه الشباب إلى الخير . وكانت الندوة الثانية شاهداً بالتوفيق للقائمين على الندوة ، بعد أن كانت الأولى بشيراً بالتوفيق ، غير أن لنا بعض لفتات يسيرة ، نعرضها في غير نقد ، ولا انتقاص لتلك الجهود .

أولا : لم يراعوا فسحة الوقت بين حلول صلاة المغرب وبين الموعد للندوة ، إذ أن للمغرب [حينئذ كان] يحين في الساعة ٥و٤٢ ، والندوة في تمام الساعة ٦ فالدقائق اليسيرة - ١٨ - لا تتيح للناس أن يصلوا فرضهم ثم يدركوا أماكنهم قبل الموعد مهما حاولوا : إلا من كان ذا سيارة كوزير التربية ، أو كانت الندوة تنتظره كوزير التربية أيضاً .. مع أنهم وضعوا في صدر الندوة لوحة كتب عليها « يابنى أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر » .. الآية . فمن الحق تمكين الناس بفسحة الوقت ، أو بوضع مصلى فسيح في جانب من جوانب الندوة وهذه تكون سنة مشكورة لو تقبلوها .

ثانياً : المفروض فيمن يشترك في الندوة ويدلى برأيه في الخلق أن يكون معروفاً بحسن الخلق ، أو مستور الحال على الأقل .

ولكن الندوة تخللها من عرف بالمجون حتى بعـــد كبر سنه ، والناس لم ينسوا نقاشه في يوم ما مع المرحوم على أيوب حينما أقر صاحبنا هذا على نفسه في مجلة الجيل أنه في المجون أشبه بخصمه ، ولم يحاول - أو - لم يكترث بتنزيه نفسه عما رمى به ؛ لأنه لا يكترث بذلك ، وكانت كلماته في الندوة تشف عن هذا ، فمن الخير ألا يكون للمخدوشين موقف بين النصحاء حتى لا يكون هذا مأخذاً على الندوة .

٣ — يقظة أدبية

قرأت فى جريدة الشعب يوم ٢١/٣/١٩٥٨ كلمات طيبات لسيدات ، منهن السيدة النائبة أمينة شكرى ، وهى كلمات أجمعت على إنكار الأزياء النسوية القصيرة ؛ لكشفها ما يجب ستره من سيقان المرأة ، ولأن قصر الملابس لا يأتى بجمال ، بل قد يكون كاشفاً عن قبيح دميم ، وأن ذلك تقليد لنساء غير شرقيات .

وهذه أصوات كريمة جديرة بالاستماع من كل سيدة ، ومن كل رجل يملك توجيه زوجته أو ابنته ، وجديرة عند إخواننا علماء المساجد والوعظ أن يشيدوا بها فى مجتمعاتهم بالرجال وبالسيدات ، ولعلها نصيحة تفشو وتعم .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الأزهر يسجل نصرا فى الميدان الرياضى

زار الإقليم المصرى فى الأسبوع الماضى ، فريق منتخب سورية لكرة السلة ، ونظمت ضمن مباراته مع فرق الإقليم المصرى ، مباراة تقابل فيها مع فريق الأزهر .

وابتدأت فى الثامنة من مساء يوم ١٦ من شعبان الموافق ٧ من مارس على ملعب جمعية الشبان المسلمين .

وذلك بعد أن تبادل أحمد صادق رئيس فريق سورية ، وناصف سليم رئيس فريق الأزهر الأعلام التذكارية والهدايا الرمزية وباقات الورود .

وكان النصر حليف منتخب الأزهر من أول المباراة ، وظل يتقدم فى تسجيل الأهداف حتى خرج منتصرا على الفريق السورى ٦٥ - ٦٠ ثم اختلف المدعوون والفريقان الى حفل شاى كبير ، أعده الأزهر بصالة الجمعية ، وقد تحدث فيه فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين .

فنوه بتقدم الأزهر فى الميدان الرياضى ، ودحض فرية القائلين بتخلفه عن ركب الحياة العامة .



قصص من التاريخ

للأستاذ السيد على الطنطاوى ـ ٢٢٤ ص ـ مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر بدمشق

أصدق كلمة سجلها حامل قلم فى هذا العصر هى قول مؤلف هذا الكتاب النفيس : « إننا أمة تجهل تاريخها . هذا التاريخ الذى ليس لأمة مثله . هذا العالم الذى يفيض بالحب والنبل والتضحية والبطولة والإيمان . هذا السجل الأدبى الذى اشتمل على بذور مآس وملاحم وقصص ودواوين لو وجدت من يستخرجها ويزرعها فى الذهن الخصب لكان حصادها أدب جديد يزحم بمنكبيه آداب الأمم جميعا » .

وهذه الحقيقة برهن عليها الكاتب الأديب البليغ مؤلف هذا الكتاب ببضع وعشرين تحفة أدبية كان فى كل تحفة منها يتناول خبرا من الأخبار يقع عليه فى أى كنز من تراثنا الثقافى الحافل بالبدائع ، فيديره فى ذهنه ، ويتصور تفاصيله ، ثم يحاول أن يعرضه موصما موضحا كما لو كان من شهود وقائعه ، ومن لدات الأشخاص الذين وقعت لهم تلك الوقائع ، فتجىء من ذلك قصة من قصص التاريخ الإسلامى تفيض بالحب والنبل والتضحية والبطولة والإيمان كما قال المؤلف ، ولو رجعت إلى أصول هذه الفصول فى التاريخ لوجدت أن أكثرها لا يجاوز بضعة أسطر جاءت متوارية فى حاشية من الحواشى أو زاوية من الزوايا لا ينتبه لها القارئ ولا يقف عليها ، وليست أجمل ما فى تاريخنا ولا هى من أجمل ما فيه ، ولكن القلم البليغ ، والمعارف التاريخية الأخرى التى تبعث الحيوية والجدة فى أحاديث النبل والبطولة والإيمان هى التى تنمى ثروة الأدب العربى بمثل هذه التحف فتساعد الجيل على أن يعيش فى سجايا أسلافه الذين ملأوا الدنيا بطولة ونبلا .

إن أدب الأستاذ الطنطاوى لا يحتاج منا إلى تعريف ، فقراؤه عرفوه من قبل ، وإنما أردنا أن نلفت أنظارهم إلى هذه الحلقة الجديدة من سلسلة حلت من نفوسهم المحل اللائق بها .

حياة حافظ إبراهيم

للأستاذ أحمد محفوظ — ٢٤٥ ص — مؤسسة نصار للتوزيع والنشر

قال المؤلف : « هذا حافظ إبراهيم ، أجلوه للقارئ : بمولده ، وطفولته ، وشبابه ، وكهولته ، وشيخوخته ، وموته . وبدرسه ، وبيئته ، وأصدقائه ، وظرفه ، وبؤسه ، وغدواته وروحاته ، وفنه » .

وقد كتب مقدمته الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة فوصف الكتاب بأنه « قيم ، حوى الكثير الجم من عصر حافظ ، وأحاط بطرائف منوعة عاشها حافظ مع رجال الصحافة والسياسة والعلماء والأدباء والظرفاء والشعراء . وأروع ما فى الكتاب أنه يكشف لنا عن حياة القاهرة فى مفتتح القرن العشرين : فى أنديتها ولياليها وسهراتها ومواصلاتها ، كما يكشف لنا عن ظرف حافظ وأصدقاء حافظ وحياته كلها من لدن مولده حتى موته . . وقد تعرض المؤلف لضروب شعر حافظ بالنقد فأنصفه فى بعضها ، وتجنى عليه فى البعض الآخر . والنقد قبل كل شئ ذوق خاص للناقد لا يلتزم به إلا هو » .

فهذا الكتاب ذكرى للكهول والشيوخ ترجع بهم إلى حياة القاهرة وأدبائها قبل نصف قرن ، وتاريخ للشباب يعتبرون بمقارنة عصرهم وبيئتهم بعصر حافظ وبيئته ، ومعرفة ذلك خير لهم من أكثر ما تنشر المطابع من قصص وأدب ركيك فى هذه الأيام .

التربية الإسلامية

من مطبوعات وزارة التربية والتعليم السورية — أربعة أجزاء

لقسمى القرآن الكريم والحديث

هذا كتاب نموذجى جيد لتلقين طلاب السنتين الأولى والثانية الثانويتين فى المدارس السورية ما ينبغى لهم أن يعلموه وأن يتأدبوا به من كتاب الله وسنة رسوله . فالقسم الخاص بالقرآن الكريم من هذا الكتاب فى جزءين كل منهما فى أكثر من مائتى صفحة تضمنا السور القرآنية المقررة فى منهاج الدراسة مبدوءة بدراسة موجزة لكل سورة ، ثم تأتى السورة مطبوعة على رسم المصحف المطبوع ، مشفوعة بمعجمات لأهم الكلمات اللغوية فيها ، ثم تفسير مجمل مشفوع ببعض التفصيل ، وألحق بذلك أحيانا خلاصات لبعض المعانى ، وأمثلة توجيهية يمكن أن يقيس عليها المدرسون والطلاب توسيعا للفائدة المرجوة .

أما قسم الحديث النبوى الشريف والبحوث الإسلامية فهو أيضا فى جزءين للسنتين الأولى والثانية الثانوية حسب منهج التربية الدينية الذى أقرته وزارة التربية والتعليم

السورية ، وقد قامت بتأليفه لجنة مكلفة من قبل الوزارة ، وقد بذلت جهدها لأداء مهمتها بقدر ما ساعدها على ذلك المنهج الرسمى ، وقالت فى مقدمته : إن الكتاب الصالح والمدرس الصالح إذا وجدا للطالب المجد كان منهما النفع الكبير له ولأمته ، وقد نبه المؤلفون المدرسين إلى تبعتهم العظمى تجاه دينهم وأمتهم وتلاميذهم .

وكل جزء يحتوى على قسم الحديث الشريف للدراسة والحفظ مذيلا كل حديث بشرحه وبما يرشد إليه الحديث . ثم قسم البحوث الإسلامية ، وفيه فصول عظيمة نافعة فى العبادات والآداب الإسلامية والأهداف الملية . وعسى أن يتسع صدر وزارات التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية لأكثر مما فى هذه الأجزاء النافعة الصادرة عن الوزارة السورية .

الاجوبة الخفيفة فى مذهب أبى حنيفة

للأستاذ سيد عبد الله حسين — ٤٥٥ ص — المكتبة المحموديه بالأزهر

هذا كتاب فى الفقه على طريقة السؤال والجواب ألفه مؤلفه ليتذكر به الطالب دروسه ، وليرجع إليه العلماء من غير عناء للبحث عن الأحكام المرغوبة لهم ، وقد اشتمل على العبادات والمعاملات والأقضية والشهادات والميراث وأبواب الزكاة وكناية الطلاق والعدة وربا الفضل والنسأ والدية وذوى الفروض والحجب الخ .

وبآخره فهرس أبجدى مطول ، وفهرس آخر لأبواب وفصول المواضيع الفقهية . فنرجو الله أن ينفع به .

جمال الدين الأفغانى ـ تاريخه ورسالته

للأستاذ الشيخ محمود أبو رية — ١٦٢ ص — مؤسسة نصار للتوزيع والنشر

كتاب لطيف جامع ، قدم له الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، تدور فصوله على نشأة اليقظة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية ، وتعاليم جمال الدين وأثرها فى الثورة العرابية وسائر الحركات الحرة فى البلاد الإسلامية ، وأنه الباعث الرئيسى الأول للروح المصرية ، وأقوال أعلام العصر عنه وتحقيقات عن حياته الأخيرة فى العاصمة العثمانية وما قيل فى أسباب وفاته .

الأدب والعلوم

رسالة المعلم العربي

عقد السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ندوة فى مدرج الجامعة السورية بدمشق ضمت معلمى المدارس الابتدائية والثانوية ومعلماتها فتحدث اليهم عن رسالة المعلم العربى فى تكوين أمة عربية واحدة، موحدة الآمال والأهداف. وقال: يجب علينا أن نعى وندرك أن هؤلاء الأبناء الذين نبنى لهم المستقبل أو نبنى بهم المستقبل، لابد أن نوفر لهم جميع عناصر القوة، لكى يتحملوا هذا العبء الضخم الذى يوضع على كواهلهم. ويمكن تلخيص القوة التى ننشئها لهم فى قوة الروح، وقوة الإيمان، لأنه بدونهما سوف نفقد كثيراً من عناصر القوة المادية التى يمكن أن يستفيد منها أبناء الأجيال المستقبلة.

يجب أن نكون على سباق مع الزمن، فقد فاتنا وقت كثير، ويلزمنا أن نقطع مسافة طويلة للحق بالركب، ثم لنسبق الركب.

يجب أن ننبه أذهان الجيل الصاعد إلى حضارة أمته العربية، وأنها كانت وما زالت حضارة بناءة امتازت على حضارات الأمم جميعاً بأنها تشع الإنسانية والمدنية الحقيقية، وتنشر العلم والعرفان، وتهدف إلى حرية الشعوب.

إن معركتنا نحن المعلمين ليست معركة عملية أو وقتية، بل هى معركة مستمرة نقودها فى السلم وفى الحرب لتقوية الإيمان والعمل، وتقوية القوة المادية بين أبنائنا من أجل وحدتنا ومستقبل أمتنا العربية.

المركز الثقافى الاسلامى بلندن

رشحت مشيخة الأزهر فضيلة الشيخ سليمان دنيا - الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين - لإدارة المركز الثقافى الإسلامى فى لندن، وقد تلقى من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر التوجيهات الحكيمة فيما يجب أن يتخذ من الإجراءات هناك.

ومما يذكر أن إدارة المركز الثقافى الإسلامى بلندن ظلت شاغرة منذ نقل مديره السابق الدكتور على حسن عبد القادر، وكان هناك بلاد إسلامية أخرى تريد أن تستأثر بهذا المركز الإسلامى، لكن مجلس الأمناء الذى يشرف عليه رأى أن يرجع إلى مشيخة الأزهر

فى هذا، لأنه يعتقد أن مصر هى الزعيمة الروحية لكل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وهى صاحبة الرأى والتوجيه فيمن يصح أن يشغل هذا المركز، فكتب المجلس إلى مشيخة الأزهر كتاباً يقول فيه إن مصر هى البلد الإسلامى الكبير الذى يأتم به العالم الإسلامى فى مختلف البلدان. ولذلك رغب المجلس فى أن يكل إلى مشيخة الأزهر ترشيح المدير الجديد للمركز الثقافى الإسلامى.

الأزهر فى مجمع اللغة العربية

أقام مجمع اللغة العربية حفلة علنية لتأبين شيخ الأزهر السابق العلامة السيد محمد الخضر حسين، وتولى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على النجار استعراض حياة الفقيد رحمه الله.

اللغة العربية فى الصين

افتتح فى بكين رسمياً فصل لتدريس اللغة العربية فى أوقات الفراغ، وأشرفت على إنشاء هذا الفصل جمعية الصداقة بين الصين والجمهورية العربية المتحدة. وتستغرق الدراسة فى هذا الفصل عامين يتلق الطلبة خلالها الدراسة مرتين فى الأسبوع.

وخطب فى افتتاح هذا الفصل السيد عبد السلام بدران الملحق الثقافى فى سفارة الجمهورية العربية المتحدة، ومما قاله: إن إنشاء هذا الفصل سيدعم التبادل الثقافى والمشاعر الودية بين الأمتين الصينية والعربية.

المعهد الأزهرى للفتيات

وافق مجلس الأزهر الأعلى على افتتاح المعهد الأزهرى للفتيات فى العام الدراسى القادم، ويكون التعليم فيه مقصوراً عليهن.

وكان مقرراً أن يفتح هذا المعهد فى العام الدراسى الماضى، غير أن ظروفاً حالت دون ذلك.

وستتيسر بهذا المعهد للفتيات فى مختلف أنحاء الجمهورية العربية المتحدة أسباب الثقافة الاسلامية، فيخطو - إن شاء الله - بتعليم الفتاة المسلمة خطوة صحيحة تنم بالطابع اللائق بها، فتدير البيت وتربى الجيل، وهى تعلم ما يرضى الله وما يسخطه، وما يدنى الأمة من سعادتها أو يبعدها عنها.

وفى المنهج الدراسى المرسوم لهذا المعهد إلى جانب ما يلزم من الثقافة الشرعية والعربية - عناية خاصة بالدراسات المنزلية وشئون التطريز والتمريض والإسعافات الطبية الأولية.

أنباء العالم الإسلامي

القوة العليا الخالدة

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى أول خطبة له فى مصر بعد عودته من الشام :

« إن هذا العصر عصر الشعوب . وكانت الشعوب هى التى فرضت الوحدة ، فرضتها فرضا وكنت سعيداً بأنها فرضتها . إذ معنى ذلك أن زحف الشعب المقدس قد بدأ ، وأن وعيه يتبلور ، وأنه أصبح القوة العليا الخالدة » .

سلطات الحكم

فى البلاد العربية السعودية

تنازل الملك سعود عن سلطات مباشرة الحكم لولى عهده ورئيس وزرائه الأمير فيصل ، وأصدر مرسوما منحه فيه السلطة الكاملة فى مسئولية رسم السياسة الداخلية والإشراف على تنفيذها ، ومسئولية رسم السياسة الخارجية والإشراف على تنفيذها ، ومسئولية الحالة المالية والعسكرية للمملكة السعودية والإشراف عليهما إشرافا كاملا .

وقد أعلن ذلك فى المملكة العربية السعودية وأذيع فى الوقت نفسه فى الأمم المتحدة .

وأذاع الأمير فيصل ولى العهد ورئيس الوزراء بياناً للشعب السعودى ناشده فيه أن يتعاون مع الحكومة فى عهدها الجديد .

وألف الأمير فيصل ثلاث لجان : واحدة للسياسة الداخلية ، وأخرى للسياسة الخارجية وثالثة للسياسة المالية . وستتولى كل منها الإشراف على الناحية التى تدخل فى نطاق اختصاصها .

مسئوليات

الجمهورية العربية المتحدة

فى الخطبة الكبرى التى ألقاها الرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة مساء آخر شعبان ، حدد المسئوليات التى تحملتها الجمهورية العربية المتحدة فى النقط التالية :

إن هذه الجمهورية تحملت أن تكون خط الدفاع الأول عن الأمة العربية .

وتحملت أن تكون أداة التعبير عن آمال الأمة العربية .

وتحملت أن تكون قاعدة الدعوة إلى الوحدة العربية .

وتحملت أن ترى العالم القوة البناءة للقومية العربية .

وتحملت أن تقوم بنصيب العرب في صيانة السلام العالمي ؛ لأنها تمثل فكرة مستقلة لها كيانها الدولي ، بينما باقي الدول الأخرى ذيول منحازة إلى معسكر دولي .

إنذار من زعماء العراق
إلى حكومتهم

وجه ثلاثة وأربعون من زعماء العراق - بينهم رؤساء وزارة ووزراء سابقون ورؤساء أحزاب ونواب ونقباء محامين ومحامون ورجال أعمال وعمداء كليات وأساتذة جامعيون - إنذاراً قالوا فيه لرئيس الوزارة العراقية وحكومته :

« لقد اخترتم سياسة معينة أدت إلى تحويل العراق عن الأمة العربية إلى الارتباط بحلف بغداد والاتفاق الخاص مع بريطانيا . فعطلت وزارتكم جميع حقوق الشعب الدستورية ، وأصبح من المتعذر في هذا الجو الخانق الذي يسود العراق اليوم أن يعلن أبناء الشعب وجهة نظرهم وهم آمنون من الأذى » .

وقالوا : « إن وحدة مصر وسوريا وحدة طبيعية لأنه قد أتيحت لكل منهما ممارسة حقوق سيادتها كاملة مجردة من أية تبعية أجنبية . وهذه الوحدة تتحدى سياسة التفريق التي لم يعد في مقدور أحد ولا في استطاعة دولة أجنبية حمل المواطنين في أي بلد عربي على الاستسلام لها .

ومن عجب أن يتظاهر البعض برغبته في إقامة اتحاد بين سوريا والعراق ، ثم ينكر إقامة اتحاد بين العراق من جهة وسوريا ومصر معاً من الجهة الأخرى . وكذلك الحال بالنسبة للأردن ، فإن دخوله مع العراق في اتحاد يشمل الجمهورية العربية المتحدة أدعى إلى تأسيس وحدة الصف العربي » .

« إن العراقيين قد ملوا العهد الذي يبيح لبضعة أشخاص أن يدعوا التعبير عن إرادة الشعب ، في وقت لا يجد فيه هذا الشعب أية وسيلة للإفصاح عن رأيه في صحف حرة ، أو اجتماعات عامة ، أو انتخابات سليمة ، بعد أن عطلت أحكام الدستور التي هي كل لا يتجزأ » .

جامعة الدول العربية
في عامها الثالث عشر

احتفلت جامعة الدول العربية بعيدها الثالث عشر ، ووجه الأمين العام للجامعة رسالة إلى العالم العربي تكلم فيها على أهداف هذه المؤسسة العظيمة ، والنشاط الذي قامت به في الميدانين العربي والدولي . وموقف الجامعة العربية من قضية فلسطين . وتحدث عن تمهيد الجامعة لسبل الوحدة السياسية

والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول العربية ، كما تكلم عن قوة الرأى العام العربى ، وعن ضرورة كسب الرأى العام العالمى ، وعن انتصارات القومية العربية فى الحاضر وأملها فى المستقبل .

جربنا الوقوف معهم مرتين

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته الأخيرة بالقاهرة :

« لقد وقفنا مع الحلفاء مرتين : مرة فى الحرب العالمية الأولى ، وكان جزاؤنا وعد بلفور !

ومرة فى الحرب العالمية الثانية ، وكان جزاؤنا تنفيذ وعد بلفور واقتطاع جزء من أرضنا ومنحه لإسرائيل » .

تكاليف العدوان البريطانى

على قناة السويس

أذاعت الحكومة البريطانية تقريراً رسمياً عن عدوانها على قناة السويس جاء فيه أن تكاليف القوات البريطانية البرية فى اعتدائها على منطقة القناة بلغت فى مدة أربعين ساعة فقط نحو خمسين مليون جنيه ، وهذا عدا نفقات الوحدات البحرية والجوية التى اشتركت فى العدوان .

منطق العروبة ومنطق الاستعمار

روى الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبة آخر شعبان قال :

« جاءنى بعد الوحدة أحد الأجانب وسألنى : ما هى الدولة التى ستضمونها بعـــد ذلك إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ .

فقلت له : ضم ؟ ! إن منطق الضم هناك مع منطق الاستعمار . إن الضم هو ما فعلوه فى الهند وفى سنغافورة وغيرها . أما هنا فأمر آخر . هذه إرادة شعوب ، مائة فى المائة » .

اللاجئون

الفلسطينيون فى الأردن

تلقت الدوائر العربية المطلعة فى القاهرة أن حكومة الأردن بدأت تنفذ المشروع الصهيونى الخاص بتصفية قضية اللاجئين فى الضفة الغربية لنهر الأردن ، وأجبرت عدداً كبيراً من الأسر الفلسطينية على الرحيل إلى الصحارى الشمالية فى العراق وإلى أوستراليا وأمريكا الجنوبية . وأن أسراً كثيرة تم ترحيلها بالقوة فى ظلام الليل ، وزج فى السجون كثير من اللاجئين الذين رفضوا هذه الهجرة الإجبارية .

سلاح الوحدة

من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الأخيرة بالقاهرة :

« إن الوحدة هى السلاح الوحيد لصيانة مستقبل العالم العربى . وإذا أردنا الحرية والوحدة فلا مناص لنا من الاعتماد على أنفسنا . أما إذا اعتمدنا على الدول الكبرى فلن نكون إلا غنيمة للدول الكبرى » .

ثورة سومطرا

أخذت حكومة أندونيسيا فى التغلب على ثورة سومطرا التى ثبت قيام علاقات بينها وبين الأصابع الأمريكية التى تغذى هذه الفتنة بالسلاح والمال والدعاية . وقد أخذ عدد كبير من جنود الثوار فى الانضمام إلى قوات الحكومة المركزية فى باكانغ بسومطرا الوسطى .

وقد اعترفت الدوائر الغربية فى جاكرتا بأن مركز المتمردين أصبح يدعو إلى اليأس .

مسئوليات النصر

من الفقرات الحكيمة التى وردت فى خطبة الرئيس جمال عبد الناصر مساء آخر شعبان قوله يخاطب العرب :

« لقد انتصرتم ، ومعنى ذلك أن مسئولياتكم كبيرة . إن الهزيمة تعفى المهزوم من كل مسئولياته ، أما النصر فيثقل كاهله بالمسئوليات . المهزوم يبكى على الماضى ، والمنتصر يفكر فى تبعات المستقبل . أعانكم الله على مسئوليات النصر » .

الفحم فى سيناء

كان أحد الجيولوجيين المصريين الذين يعملون فى شركة شل قد اشتبه منذ أعوام فى وجود مناطق للفحم بجوار مناطق البترول فى سيناء ، وأبلغ الشركة عن ذلك ، فأرادت شركة شل أن يبقى ذلك سراً لها ، وحفظت أوراقه فى أضابيرها ، ونقلت المهندس الجيولوجى المصرى إلى عمل آخر بعيد عن هذه الجهة .

ولما جعلت شركة شل تحت الحراسة المصرية ، تبين للقائمين على حراستها أمر الوثائق الخاصة بمناطق الفحم فى سيناء ، فأسرعت وزارة الصناعة إلى إرسال العلماء والجيولوجيين المصريين للبحث عن الفحم فى تلك المناطق ، وقد تكللت بحوثهم بكثير من النجاح .

الفهـرس

حديث

عيد الفطر المبارك

للسيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنه يسرني في هذا اليوم السعيد ، أن أبعث بالتهنئة بعيد الفطر المبارك ، إلى جميع المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن أشفع هذه التهنئة ، بالتمنيات الطيبة ، أن تتوالى أعيادهم ، ومواسم أفراحهم ، وأن يحقق الله آمالهم ، ويمكنهم من جنى ثمار كفاحهم ، ويمكن لهم في حياة عزيزة كريمة ، هي حياة الاستقلال والاستقرار ، في ظل ظليل ، من الأمن والقوة والمنعة .

أهنئهم بتوفيق الله إياهم لأداء فريضة الصيام ، وأهنئهم بما يفيض الله عليهم ، في هذا اليوم الكريم ، من نفحات البر والإحسان والرضوان ، جزاء ما أدوا من طاعة وأخلصوا لله في العبادة ، وأحسنوا إلى أنفسهم باتباع هدى نبيهم ، والاستمساك بشريعتهم ، التي إنما جاءت لخيرهم ونفعهم وإصلاح شأنهم .

إن شريعة الصيام ، هي كغيرها من شرائع الإسلام ، لا يقصد بها إلا خير الإنسان ، وسعادته ، وصلاح أمره في شئون دنياه وآخرته .

وإذا كانت فريضة الصوم لا تخلو من شدة أو مشقة ، فليست هذه الشدة أو هذه المشقة بالغة حد الحرج أو العنت ، فإنه محال أن يكون في شيء من تعاليم الدين وتكاليف الإسلام إحراج أو إعنات . والله تعالى يقول في كتابه العزيز : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، ويقول عز وجل : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

حديث عيد الفطر المبارك

إن الله سبحانه لم يرد بالناس عنتا حين فرض عليهم صيام رمضان ، بل جعله تهذيبا للنفس ، وتصفية للروح ، وفترة استصلاح واستعداد ، يعرف الصائم بعدها كيف يحسن التصرف فيما خلق الله له من نعم ، وكيف ينتفع فى حكمة واعتدال ، بما هيأ له من خير ، فان تعاليم الإسلام فى جملتها وتفصيلها ، قد جاءت لإصلاح حال الناس فى الدين والدنيا معا وشرعت للتوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد جميعا .

فالإسلام ليس روحانيا محضا ، ولا رهبانية صرفا ، تحجز الإنسان عن عالم المادة ، وتقطع صلته بهذا الكون الذى خلقه الله وسخره له ، وتجعل رحابه الواسعة مجال نشاطه الفكرى والعملى .

والإسلام ليس ماديا بحتا يستجيب لكل رغبات النفس ، ويبيح الانغماس من غير وعى فى جميع صنوف الملذات والشهوات ، بل هو دين الوسط والاعتدال ، والحكمة والوزن المستقيم ، يرتفع بالإنسان عن مستوى البهيمية ، ويدنو به ما استطاع من صفوف الملائكة ، يجمع له بين المتع الروحية ، والنافع الصالح من المطالب البدنية : يشهد لذلك قول الله تعالى: « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » . « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » . « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » . « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

ومن أجل هذا المعنى الكريم الذى هو جمع الشريعة بين مطالب الدنيا ومطالب الدين ، أوجب الله على الصائمين أن يفطروا يوم العيد ، وحرم عليهم أن يصوموه ، إذ جعله يوم حمد وشكر ، وفرح وبهجة ، وندب المسلمين فيه أن يتطهروا ويتطيبوا ويظهروا فى أحسن أرديتهم ، وأجمل ثيابهم ليكونوا فى اجتماعهم لصلاة العيد وفى احتفالاتهم بيومه المجيد ، فى مظهر كريم يليق بهم ، وتتجلى فيه نعمة الله عليهم .

حديث عيد الفطر المبارك

ثم أراد الشارع الحكيم ، أن يكون الفرح بالعيد عاما شاملا جميع المسلمين ، على اختلاف مقدرتهم المالية ، وحالتهم الاجتماعيـــة ، فأوجب صدقة الفطر على القادرين ، وحث على المبادرة بصرفها قبل أن ينتهي يوم العيد ، كي يتمكن الفقير من المشاركة في بهجة هـــذا اليوم العظيم .

أيها المسلمون :

أنتم اليوم في فرح بالعيـــد ، بعد ثلاثين يوما كابدتم فيهما مشقة الحرمان ، إذ كنتم تمسكون عن الطعام والشراب ومختلف المشتهيات طوال نهارهـا ، لكنكم كنتم أيضاً تشعرون بفرحة الإفطار عند غروب الشمس في كل يوم من أيامها ، كما كنتم تنعمون بالطيبات من الرزق ، في جميع لياليها .

وإن ذلكم الذي كنتم عليه في تلك الايام ، وهذا الذي أنتم فيه اليوم ، جدير أن يذكركم بإخوة لكم ، في ركن من أركان الوطن الإسلامي ، فإنهم منذ زمن بعيد ، في حرمان مستمر ، ونوع من الصيام قاس وشديد ، هؤلاء هم إخوانكم المجاهدون في الجزائر الرابضون للعدو في الكهوف والمغاور ، وفي بطـــون الأودية وعلى قمم الجبال ، لامؤنس لهم في ظلمات الليالي الحالكة ، والرياح الشديدة العاتية ، إلا إيمانهم بالله ، وثقتهم بنصر الله ، ولا معزى لهم في تلك المحنة القاسية التي فرقت بينهم وبين أبنائهم ونسائهم ، إلا الاطمئنان إلى أن لهم إخوة في الدين والإنسانية ، والكفاح في سبيل الحرية وعزة القومية ، يرعون حرماتهم ، ويحمون ظهورهم ويعينونهم وينصرونهم في جهادهم بأقصى ما يستطيعون من وسائل المعونة والنصرة .

أيها المسلمون :

إن الجهاد ضد الوحشية التي يرتكبها المستعمرون ، والكفاح ضد البربرية التي يحمل أوزارها الفرنسيون ، هو فرض مقدس على جميع المسلمين ، وعلى كل من يؤمن بمبادئ الحق والعدل والحرية .

وإذا كان إخواننا في الجزائر ، قد هبوا لهذا الجهاد بأنفسهم ، ونهضوا يبذلون دماءهم وأرواحهم في سبيل استقلالهم ، وإخراج عدوهم من ديارهم ، التي هي جزء من الوطن الإسلامي الكبير ، فيجب عليكم جميعاً أن تقفوا من ورائهم ، تشدون أزرهم وتقوون

يساعدهم ويرعون حق الله وحقهم في هذا الموقف العظيم ، إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديث صحيح متفق عليه : « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا » .

أشعروا هؤلاء المؤمنين المجاهدين ، بأن في الناس من يحنو عليهـــم ، ويهتم بشأنهم ويحيي كريم مواقفهم . واعملوا على أن تخففوا عنهم قسوة الأحداث ، بما تجود به نفوسكم من خير . وبرهنوا على أنكم كسبتم من رمضان شهر البر والرحمة ، عاطفة قومية جميلة ، تدعو إلى أعمال البر والرحمة .

ثم اجعلوا لهؤلاء المجاهدين الأبطال ، من الزكاة المفروضة عليكم ، نصيباً يساعدهم على مواصلة كفاحهم وجهادهم ، حتى يطردوا العـــدو من ديارهم ، وحتى تنقشع عنهم ظلمات الاستعمار والاحتلال ، التي طال أمدها عليهم ، واعلموا ان أعظم مصرف للزكاة ، هو مصرف الجهاد في سبيل الله .

هذا ــ وإني أكرر لكم تهنئتي ، وأصفيكم نصيحتي ، أن تتعاونوا على الخير والإنسانية ، وحماية مقدساتنا الدينية والوطنية ، وأن تعملوا صفا واحدا ، للنهوض بالوطن الإسلامي وخدمة قضية العرب والمسلمين .

وفقكم الله جميعا للخير ، وهدانا وإياكم سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

(العالم الإسلامي يهنئ فضيلة الأستاذ الأكبر بعيد الفطر المبارك)

وردت آلاف البرقيات والرسائل من أساتذة وطلاب الأزهر والمعاهد الدينية في الجمهورية العربية المتحدة ، ومن كبار الشخصيات في العالم العربي الإسلامي تهنئ فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بعيد الفطر المبارك وتشيد بجهود الأزهر في تأدية رسالته السامية في دعم أركان الفضيلة ، وتقوية أواصر المحبة بين المسلمين ، وإرشادهم إلى الطريق السوي لبلوغ أهدافهم المشروعة .

وقد رد فضيلته على هذه الرسائل بالشكر الخالص والتمنيات الطيبة أن يعيد الله أمثال هذا العيد على المسلمين ، وقد قويت شوكتهم واتحدت كلمتهم ، وعز شأنهم وتحققت آمالهم وأهاب بالمسلمين جميعاً أن يعملوا صفاً واحداً لرفع راية السلام وإعلاء كلمة الإسلام ، وتخفيف ويلات الإنسانية والأخذ بيدها إلى حيث الطمأنينة والاستقرار .

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ،
يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة بعيد الفطر المبارك .

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاهرة

يسعدني أن أبعث إلى سيادتكم - بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك - بأخلص التهاني مقرونة بأطيب التمنيات ، سائلا الله العلي الكبير أن يديم عليكم وعلى أعوانكم المخلصين التوفيق والسداد ؛ لتوطيد دعائم الوحدة بين العرب جميعاً لخدمة قضية السلام ورفعة شأن العروبة والإسلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

ويهنئ السيد المواطن العربي الأول .

السيد المواطن الأول شكري القوتلي دمشق

لسيادتكم خالص تهنئتي بعيد الفطر المبارك راجياً لكم ولجميع المخلصين من أبناء الأمة العربية التوفيق والنجاح في العمل على توحيد كلمة العرب ورفعة شأنهم .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ،
يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بسلامة الوصول إلى موسكو عاصمة الاتحاد السوفياتي .

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قصر الكرملين - موسكو

يسرني أن أبعث إلى سيادتكم ورفاقكم المخلصين بصادق تهنئتي بسلامة الوصول ضارعا إلى الله تعالى وأنتم في رحلة الكفاح والجهاد أن يوفقكم دائما بالتعاون مع الشعوب المحبة للحرية والسلام في تحقيق هدفكم الأسمى لجمع الكلمة وتوطيد دعائم المحبة ، ونشر السلام بين ربوع العالم .

(شيخ الأزهر)

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة : يشكر السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ، ويبادل فضيلته التهنئة بعيد الفطر المبارك .

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

تلقيت بمزيد الاهتمام تهانيكم الصادقة وتمنياتكم الكريمة ، بمناسبة عيد الفطر المبارك ، وإنه ليسرنى أن أبعث إليكم بأخلص الشكر مقرونا بأطيب الأمانى بدوام الصحة والسعادة .

(جمال عبد الناصر)

كما أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية :

كان لبرقيتكم التى حملت إلى خالص التهانى وصادق العاطفة ، أجمل الأثر فى نفسى ، وإنا لندعو الله العلى الكبير أن يحمى الجمهورية العربية المتحدة من كل ما يراد بها من سوء حتى يتحقق لشعوب الأمة العربية ما نرجوه لها جميعاً من المجد والرفعة ، ويطيب لى أن أبعث إليكم وإلى رجال الأزهر بأصدق الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

(جمال عبد الناصر)

وذلك رداً على برقية فضيلته التى نصها :

باسم الأزهر أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنئة على الخطاب الوطنى الرائع الذى كشفتم فيه مؤامرة أعداء الوحـــدة العربية ، التى جاهدتم أنتم وفخامة الرئيس شكرى القوتلى ورجالات العرب الأحرار لتحقيقها ، وأحيى جيش الجمهورية فى شخص الضابط المخلص عبد الحميد السراج الذى ضرب المثل الأعلى فى الشرف والكرامة والتضحية بكل المعروض والمغريات فى سبيل مجد العروبة ، وتقوية أركان الجمهورية العربية المتحدة .

حقق الله على يديكم الآمال ، وأدام لكم التوفيق والسداد . (شيخ الجامع الأزهر)

السيد المواطن العربى الأول الرئيس شكرى القوتلى ، يشكر السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ، ويبادل فضيلته التهنئة أيضاً بعيد الفطر المبارك .

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

أشكر فضيلتكم أجمل الشكر على ما حملته برقيتكم من كريم التهنئة بعيد الفطر السعيد أعاده الله عليكم وعلى الأمة العربية والإسلام باليمن والخير والبركة . (شكرى القوتلى)

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يشكر السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .

تلقيت بالتقدير برقيتكم التى أعربتم فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم المشاعر وصادق التهانى بمناسبة انتخابى رئيساً للجمهورية العربية المتحدة ، وإنى إذ أشكركم جميعاً أخلص الشكر أرجو أن يوفقنا الله جلت قدرته إلى ما فيه الخير والعزة للأمة العربية ويسرنى أن أبعث إليكم بأطيب التحيات . (جمال عبد الناصر)

وذلك رداً على برقية فضيلته التى نصها :

يطيب لى اليوم أن أهنئ سيادتكم بإجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى اختياركم أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة .

والأزهريون وهم جند العروبة المخلص يفاخرون بتحقيق هذه الأمنية العزيزة ويعتزون بقائدهم الذى اجتمعت له القلوب بالمحبة والتأييد لما له من أصالة الرأى وصدق الوطنية وكمال الإخلاص للواجب والتفانى فى خدمة العروبة .

سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولى التوفيق .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ، يحيى مؤتمر وحدة شمال إفريقيا .

سكرتير مؤتمر وحدة شمال إفريقيا :

طنجة — مراكش

شيخ الأزهر وعلماؤه يشيدون بجهودكم العظيمة فى خدمة قضية الجزائر ، ويستنكرون الأساليب الوحشية التى يرتكبها المستعمرون فى شمال إفريقيا ، ويناشدونكم مواصلة الجهاد فى سبيل تحرير الجزائر ويهيبون بالأحرار فى كل مكان أن يبذلوا أقصى ما يستطيعون من عون مادى وأدبى لإتمام ما بدأه المجاهدون من كفاح لنيل حقوقهم المشروعة وتوطيد دعائم السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

« من برقيات العالم الإسلامي لفضيلة الأستاذ الأكبر »

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج وإخوانه المحترمين من هيئة العلماء القاهرة

بمناسبة عيد الفطر المبارك أبعث لكم ولجميع الشعوب العربية بالإصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع المسلمين في موسكو أطيب التحيات وخالص التهاني، متمنيا لكم الفلاح والتوفيق، ونسأل الله تعالى أن يصون الجمهورية العربية المتحدة، ويعز شأنها ويشمل شعبها بالخير والسعادة والسلام.

(قمر الدين بن بهاء الدين صالح)

إمام وخطيب ومحتسب مسجد موسكو

من صميم قلبي نهنئ سيادتكم وجميع الأساتذة والطلاب بشهر رمضان وبالعيد المبارك أتمنى لكم ولشعب مصر حياة سعيدة في أمن وازدهار.

كما أسأل الله تبارك وتعالى أن يزيد علاقتنا الودية المتينة والتعاون القوى فيما بين الشعبين في سبيل النضال من أجل السلم.

داعياً لكم بالسلامة وراجياً لقاءكم عن قريب. رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى

(المفتي ضياء الدين بن إيشان باباخان)

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر يشكر السيد إمام وخطيب مسجد موسكو ويبادله التهنئة بعيد الفطر المبارك.

السيد الحاج قمر الدين صالح

إمام وخطيب مسجد موسكو — موسكو

أشكر لسيادتكم كريم تهنئتكم بعيد الفطر المبارك وشعوركم الطيب نحو الجمهورية العربية المتحدة وأتمنى لكم ولجميع المسلمين في موسكو والاتحاد السوفييتي حياة طيبة وتوفيقاً دائماً لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

(شيخ الجامع الأزهر)

ويشكر فضيلته أيضاً السيد رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى ويبادله التهنئة بالعيد.

السيد المفتي ضياء الدين باباخان

رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى طشقند

أشكر لكم جميل تهنئتكم بشهر رمضان المبارك وعيد الفطر السعيد، وأتمنى لكم ولجميع المسلمين في آسيا الوسطى وسائر أنحاء العالم حياة سعيدة طيبة، وتوفيقاً دائماً لما فيه الخير والسلام.

(شيخ الجامع الأزهر)

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤



رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين والوعاظ
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء العاشر ـ القاهرة في غرة شوال ١٣٧٧ ـ ٢٠ إبريل ١٩٥٨ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

معـــــدن العروبة

ومكانة العرب من رسالة الاسلام

حدث الإمام العلم الثقة عمرو بن دينار المكى الأثرم مولى بنى جمح رحمه الله أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : إنا لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مرت امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة محمد (ويروى أنها ابنة عمه درّة بنت أبي لهب ، وكانت زوجة للحارث بن نوفل ، ثم تزوجها دحية الكلبي) . فقال رجل : إن مثل محمد فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم . فجاء عليه السلام يعرف فى وجهه الغضب ، ثم قام على القوم فقال :

«ما بال أقوام تبلغنى عن أقوام ؟ ! إن الله عز وجل خلق الخلق ، فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر

قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم : فأنا خيار إلى خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » حديث حسن [١] .

ويشهد لصحته حديث واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه . ومثله فى مسند الإمام أحمد ، ومثلهما فى جامع الترمذى .

وثبوت فضل العرب فى الحديث النبوى ، وأنهم خيرة الأمم ، لا يختلف فيه أحد من عرب المسلمين وعجمهم ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهم كتب السنة وأصحها [٢] بروايات كثيرة وألفاظ متعددة أنه صلوات الله وسلامه عليه قال :

« الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى تفسير هذا الحديث [٣] : « فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة ، كان معدن الذهب خيرا ، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فيه . فان قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهبا كان ما يخرج الفضة أفضل منه .

« فالعرب فى الأجناس ، وقريش فيها ، ثم هاشم فى قريش ، مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد فى غيرهم . ولهذا كان فى بنى هاشم النبي صلى الله عليه وسلم الذى لا يماثله أحد فى قريش ، فضلا عن وجوده فى سائر العرب وغير العرب . وكان فى قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير فى العرب

---

[١] قال الامام الحافظ المحدث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الكردى [٧٢٥ — ٨٠٦] فى كتيب له من فضل العرب ومكانتهم فى الاسلام ألفه فى مدينة الرسول فى شهر رجب سنة ٨٩١ : أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط وقال : حديث صحيح . ورواه الحاكم من غير هذا الاسناد أيضا ، وروى نحوه من أبى هريرة .

[٢] منها صحيح البخارى [الكتاب ٦١ ، الباب الأول] . وصحيح الامام مسلم [الكتاب ٤٣ ، الحديث ١٦٨ والكتاب ٤٤ ، الحديث ١٤٩] . وصحيح الامام ابن حبان [رقم ٩٢] . ومسند الامام أحمد [رقم ٧٤٨٧] ومواضع أخرى كثيرة منه .

[٣] منهاج السنة (٢ : ٢٦٠ — ٢٦١) .

وغير العرب . وكان فى العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير فى سائر الأجناس . فلا بد أن يوجد فى الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله فى المفضول ، وقد يوجد فى المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد فى الفاضل ، كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء . والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم فى الإيمان والتقوى . وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم فى الإيمان والتقوى من بنى هاشم .

« فهذا هو الأصل المعتبر فى هذا الباب ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ، ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو أعظم إيمانا وتقوى منه . فكلا القولين خطأ ، وهما متقابلان . بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة ، وفضيلة لأجل المظنة والسبب . والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية . فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة منه أفضل من جملة تساويها فى العدد . والثانى يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله سبحانه يعلم الأشياء على ما هى عليه ، فلا يستدل بالأسباب والعلامات » .

وكون العرب مظنة الخير والفضل قد بينه حكماء الأمم بوجوه ومعانى لا تحصى ، وكلها مستمدة من صفة الواقع . من ذلك قول أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه (الأخبار) وهو من الكتب الضائعة ، وقد نقل ذلك عنه الإمام المهدى لدين الله أحمد بن يحيى فى كتابه (المنية والأمل) ، قال أبو عثمان :

« ليس فى الأرض قوم متى يذم جليل القبيح ودقيقه ، و يمدح دقيق الحسن وجليله مثل العرب . حتى لو جهد أفطن البرية وأعقل الخليقة أن يذكر معنى لم يذكروه لما أصابه . وللعرب من صدق الحس ، وصواب الحدس ، وجودة النظر ، وصحة الرأى ، ما لا يعرف لغيرهم . ولهم العزم الذى لا يشبهه عزم ، والصبر الذى لا يشبهه صبر ، والجود ، والأنفة ، والحمية التى لا يدانيهم أحد فيها ، ولا يتعلق بها رومى ولا هندى ولا فارسى . وفيهم أيضا خصلة لا تصاب إلا فيهم ، وذلك أن سفلة كل جيل ، وغفلة كل صنف ، إذا اشتد تشاجرهم وطالت ملاحاتهم وكثر مزاحهم والدعابة بينهم ، وجدتهم يخرجون إلى ذكر الحرمات وشتيمة الأمهات واللفظ السئ والسفه الفاحش ، ولست بسامع

من هـــذا حرفا فى البادية لا فى صغيرهم ولا فى كبيرهم ولا جاهلهم ولا عالمهم . وكيف يقولون هذا والحيان منهم يتفانيان فى دون ذلك . وليس فى الأرض صبيان فى عقــول الرجال غير صبيانهم . وكل شىء تقوله العرب فهو سهل عليها ، أو كطبيعة منها ، وكل شىء تقوله العجم فهو تكلف واستكراه » .

ومما لاحظته منذ سنوات طويلة ونبهت عليه أن جميع أمم الأرض من شرقية وغربية كانت فى بداوتها وقبل أن تستعمل القلم والـكتاب ضعيفة العقول قصيرة المدارك وفقيرة فى لغاتها ، إلا العرب فان مداركها وأحـلامها فى بداوتها كانت تزن الجبال ، ولغتها فى أوديتها وجبالها قد ملأ ما بقى منها فى الذاكرة عند التدوين عشرات المجلدات . وهذا يدل على عراقة هذه الأمة فى التفكير والمنطق وتجـاريب الدهور ، وذلك ما يمكن استنتاجه من مقالة « العروبة من جذورها ــ إلى أغصانها وثمراتها » التى كتبتها بجـــزء شعبان المـاضى [١] .

ومعنى كون قريش ومضر صفوة العرب وخيرة الله منها ــ كما ورد فى حديث عبد الله ابن عمر الذى افتتحت به هذا المقال ــ قد أبان عنه الحافظ أبو سليمان الخطابى (٣١٧ ــ ٣٨٨) فى كتاب العزلة (ص ٥٢ الطبعة الأولى و ٥٥ الطبعـة الثـانية) قال : « وبلغنى عن بعض العلماء أنه سئل عن قريش كيف صارت أفضل العرب قاطبة ، وإنما هى قبيلة من مضر ؟ فقال : لأن دار قريش لم تزل موسم الناس ومنسك الحاج ، وكانت العرب تقصدها فى كل عام لحجهم ، وتردها لقضاء نسكهم ، فهم لا يزالون يتأملون أحـوالهم ويراعونها فيختارون منها أحسن ما يشاهـدونه ، ويتكلمون بأفصـح ما يسمعون من كلامهم ، ويتخلقون بأحسن ما يرونه من شمائلهم ، فصاروا أفضل العرب من قبل حسن الاختيار الذى هـو ثمرة العقل . فلمـا ابتعث الله نبيه صلى الله عليه وسـلم منهم تمت لهم الفضيلة ، وكانت لهم به السيادة » .

---

[١] كتب إلىّ أخ فى الاسـلام ــ وهو الأستاذ وهبى سليمان الالبانى ــ كتابا رقيقا مهذبا يثنى به على ما أكتبه بما لا أستحقه . لـكنه ظن أن تحرى لمحاسن العروبة وأصالتها وعراقتها فى الانسانية قد يحمل على العصبية الجنسية ، وقد يتنافى مع ما أنا بسبيله من الدعوة الاسلامية ، فـكان ذلك حاملا لى على كتابة هذا الفصل من « معدن العروبة ، ومكانة العرب من رسالة الاسلام » لأبين به أن العروبة ظئر الاسلام ، وأن العروبة والاسـلام كلاهما من كنوز الانسانية وينابيع سعادتها إذا عرف أهلها قيمتهما ، وإذا أتيحت لهما أسباب الظهور للناس على حقيقتهما .

وقد اعترف المنصفون للعرب بأنهم مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم ، وسجل ذلك لهم المؤرخون من جميع أمم الأرض قديما وحديثا ، ولو شئنا أن ننقل النصوص في ذلك عن أعلام الشرق والغرب لامتلأ بها مجلد كبير . وقد قرر هذه الحقيقة في الصدر الأول صاحب رسول الله وخادمه عبد الله بن مسعود - وهو من كبار علماء الصحابة وفقهائهم - فقال لتلاميذه من أهل العراق : « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه . ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه » .

ومما يندرج في حديث « الناس معادن ... » ما رواه أبو نضرة المنذر بن مالك العبدى (المتوفى سنة ١٠٨) أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا يوما إلى رجل من التابعين وأعجبهم مجلسه وحديثه ، فقال له قائلهم : « إن مثل القرآن كمثل المطر : حلو طيب ، طهور مبارك ، أنزله الله فأصاب به الشجر حلوه ومره ، فزاد الحلوة حلاوة إلى حلاوتها ، والمرة مرارة إلى مرارتها » . ولعل الصحابي قائل هذه الكلمة في ذلك المجلس قد أخذ معنى كلمته من قول الله سبحانه في سورة فصلت ٤٣ : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » . ومن الأدلة على حلاوة الأرض الأولى التي اختارها الله عز وجل لسحائب وحيه ، وغيث كتابه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا والعرب كلهم من أهل الإجابة لهذه الدعوة ، والذين لم يصلوا إليه في حياته من أعماق الجنوب أو أطراف الشمال كانت وفودهم في الطريق إلى خليفتيه العظيمين أبي بكر وعمر ، فتألفت منهم كتائب الدعوة إلى الله في الأقطار بما لم يسبق له نظير في أمة نبي من أنبياء الله السابقين . وإن التوراة من أولها إلى آخرها تنعى بلسان أنبياء بني إسرائيل سوء سيرة أممهم في الأرض ، واقرأ إن شئت سفر إرميا وما أوحى إليه فيما فعلته المرتدة الفاجرة إسرائيل ، وأختها الغادرة الكافرة يهوذا ، وقارن المعدن الذي منه بنو إسماعيل وإخوتهم من قحطان في جزيرة العرب ، والمعدن الذي منه بنو إسحاق وأسباطهم في أرض صدوم وعمورة وما إليها لترى العجب العجاب ...

ومن بديع صنع الله في آخر رسالاته وأكملها إلى بني الإنسان أنه كما اختار لها أكمل خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم الذي اختصه دون العالمين بهذه المهمة الكبرى ، اختار لها

كذلك اللغة الأصيلة التى أنزل كتابه بها ، ووصل نسبه بسببها ، والأمة التى بعث منها خاتم رسله ، واختصها بأن جعل منها الدعاة الأولين إلى هذه الرسالة ، والقائمين بعدهم بحياطتها وتعليمها للناس وتعميمها فى أقطار الأرض ، وهم الذين قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، فكان حديثه الشريف هذا تفسيرا لقول الله سبحانه فى سورة آل عمران ١١٠ : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .

لما بعث الله محمدا بأكمل رسالاته كانت أمم الأرض إما أهل حضارة تفسخت وأنتنت فلا ينتظر أن تستجيب ابتداء لحق ولا لفضيلة ، إلا أن ترى أمة أخرى سباقة إلى الحق والخير تتقمصهما وتؤمن بهما وتعمل بسنتهما فتكون قدوة للآخرين . وإما أهل بداوة همجية طمطانية لا إدراك لهم ولا وعى فلا يلتحقون بهذه الدعوة إلا تبعا وتقليدا . وكانت جزيرة العرب هى التى طهرها الله من موبقات الخنا التى طغت على الحضارة البالية يومئذ فى الشرق والغرب ، وحررها من شهوات التحلل ومرض الإسراف . ووهب أهلها - مع بداوتهم - ما سجله الجاحظ من قوة المدارك ودقة الشعور وحلاوة المنطق وفضائل النفس الإنسانية الممتازة ، بما كان لهم من نظام الضيافة حتى كان كل بيت للعرب فندقا مجانيا يستقبل كل طارق يطرقه مستضيفا ، ويرون ذلك حقا له لا يضيق به فقير منهم ولا ذو غنى . وبما كان لهم من نظام الجوار الذى لا نظير له فى غير العرب [١] . وما كان لهم من نظام الأشهر الحرم التى يسود فيها السلام وتمتنع فيها العداوات والحروب والإحن . وأعلى من كل هذا وأسمى فى معانى الإنسانية قيام البيت الحرام ملجأ للإنسان والطير ، فلا يروع فيه خائف أو ضعيف ، ولا يهرق به دم . وحتى فى حالة الحرب كان من حق الأسير عندهم إذا طلب رسولا إلى أهله أن يقدموا له من يؤدى إلى أهله رسالته .

والوثنية فى الحجاز وجزيرة العرب كانت مرضاً أجنبيا طارئا عليها من شرق الأردن وبلاد كنعان ، حمله منهما عمرو بن لحى فى بعض الوقت الذى تولت فيه خزاعة الحكم فى الحجاز قبل الهجرة بنحو أربعمائة سنة ، فهى أقصر وثنيات العالم عمرا [٢] . ولأنها كانت قصيرة العمر ببلاد العرب لم تقم لها عندهم هياكل وتهاويل وأنظمة وأساطير ،

---

[١] انظر فصل « جوار العروبة وذمة الاسلام » فى ص ٩٩ - ١٠٣ من كتاب [مع الرعيل الأول] .

[٢] انظر فصل [ذكرى فتح مكة] فى كتاب [الرعيل الأول] ص ٨٦ .

كالتى كانت للوثنية العريقة فى الهند والصين ومعابد الفراعنة وأثينة وروما . وكان العرب وشعراؤهم وفرسانهم أكثر أمم الأرض سخرية بأوثانهم كلما اصطدمت حلومهم بدليل من أدلة عجز تلك الأوثان وسخفها . ومع ذلك فقد كانت لحنيفية ابراهيم بقايا امتدت إلى زمن البعثة المحمدية . بل كان فى العرب بقية من شريعة خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام ، روى على بن الطاهر الموسوى فى أماليه (٢ : ١٦٧) عن أبى حاتم السجستانى أن الحارث بن كعب المذحجى كان أحد الذين بقوا على دين شعيب ، ومثله أحيد بن خزيمة ، وتميم بن مر .

ولو أن الدعوة المحمدية ظهرت فى أى وطن إنسانى آخر غير جزيرة العرب ، وفى غير قريش بالذات ، لقوبلت بغير ما قوبلت به من قريش . لأن قابلية قريش للاستجابة للدعوة المحمدية كانت أعظم وأكرم من قابلية أية أمة أخرى لذلك فى أنحاء الأرض .

وأذكر أننا كنا فى حفل أقامه المركز العام للشبان المسلمين لذكرى غزوة بدر قبل نحو عشر سنوات أو أكثر ، وكان خطيب الحفل الدكتور عبد الوهاب عزام ، وكان فى البلد إضراب فى المواصلات ، ولم نجد ما يوصلنا إلى جزيرة الروضة ، فشينا أنا والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبدالمنعم خلاف وآخرون من دار الجمعية فى حى معروف إلى الروضة ، وكانت ليلة من ليالى رمضان ، وكان حديثنا عن حكمة الله فى ظهور الإسلام من مكة ، فقال الدكتور عبد الوهاب : إن المقاومة التى لقيها الإسلام من قريش لم تكن شيئا يذكر فى جانب ما كان يمكن أن يلقاه الإسلام من حكومة الملك فاروق لو أنها عاصرته وعاصرها ، فذكرت لهم خلاصة حديث فى مسند الإمام أحمد (رقم ٣٦ ٧٠) عن يحيى ابن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال - أى عروة بن الزبير - قلت له (أى لعبد الله بن عمرو) : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : « حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم . قال : فبينما هم كذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول ، قال : فعرفت ذلك فى وجهه . ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه . ثم مضى بالثالثة فغمزوه بمثلها

فقال : تسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح . فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشدا ، فوالله ما كنت جهولا . قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم . قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بجمع ردائه قال : وقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه دونه يقول وهو يبكى : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ؟ ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط » . والحديث إسناده صحيح وراويه يحيى بن عروة بن الزبير أخرج له الشيخان فى الصحيحين .

وأكثر الذين عارضوا الإسلام من قريش تشرفوا بعد ذلك بالإيمان ، ومنهم من صاروا بعد ذلك من كبار المجاهدين الأخيار . والذين ماتوا منهم على الكفر عدد ضئيل جدا معروفون بأسمائهم . فالعرب وقريش استجابوا كلهم للاسلام فى أوقات مختلفة ، وأعز الله بهم هذه الدعوة ونصرها على أيديهم . وصح عن رسول الله صلوات الله عليه الثناء والدعاء منه لأفرادهم على التخصيص ، أما ثناء التعميم بالجملة فقد امتلأت به دواوين السنة النبوية ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ثابت عن أنس : « حب قريش إيمان ، وبغضهم كفر . من أحب العرب فقد أحبنى ، ومن أبغض العرب فقد أبغضنى » . أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين وقال : حسن صحيح .

وعن سلمان الفارسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا سلمان ، لا تبغضنى فتفارق دينك » . فقال له سلمان : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله ؟ قال : « تبغض العرب فتبغضنى » . أخرجه الترمذى فى جامعه بلفظ « وبك هدانى الله » ، ورواه محدثون آخرون بلفظ « وبك هدانا الله » .

وحدث عطاء عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب

لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، ولسان أهل الجنة عربى » . رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ، والطبرانى فى المعجم الكبير .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحبوا العرب وبقاءهم ، فان بقاءهم نور فى الإسلام ، وإن فناءهم فناء فى الإسلام » . رواه أبو الشيخ بن حبان فى كتاب الثواب وفضائل الأعمال .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » . حديث صحيح .

وعن على كرم الله وجهه قال : أسندت النبى صلى الله عليه وسلم إلى ، فقال لى : « يا على ، أوصيك بالعرب خيرا » . رواه أبو بكر البزار فى مسنده . واقتصر الطبرانى فى المعجم الكبير على لفظ الوصية .

وعن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ، ولم تنله مودتى » . أخرجه الترمذى فى جامعه وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنى دعوت للعرب فقلت : اللهم من لقيك منهم معترفا بك فاغفر له أيام حياته . وهى دعوة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . وإن لواء الحمد يوم القيامة بيدى ، وإن أقرب الخلق من لوائى يومئذ العرب » . أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير ، وفى مسند أبى بكر البزار مختصرا ، وإسناده جيد .

وعن عمرو بن ميمون : رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام (وذكر خبر طعن عمر ووصيته ، وفى آخر الوصية) : « وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب خيرا ، فانهم رده الإسلام ، وحياة المال ، وغيظ العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم . وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ، ومادة الإسلام : أن يأخذ من حواشى أموالهم ، فيرده على فقرائهم » .

ومما يلاحظ أن مصنفى أكثر كتب السنة النبوية ـ التى دونت هذه الأحاديث

الشريفة فى فضل العرب ومكانتهم من رسالة الإسلام – لم تكن لهم أصول عريقة فى العروبة ، غير أنهم يغتبطون جميعا بما من الله به عليهم من الاندماج بالكيان العربى ، حتى كانوا – بآداب الإسلام وأخلاق العروبة وتقوى الله – جسما واحدا مع الذين سبقوهم فى الإيمان ، وكانوا سبب إيمانهم . وقد كان الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى يفتخر بالانتساب إلى قبائل جعفى اليمنية ، لأن أسلافه تشرفوا بالإسلام على أيدى رجالها أيام ولاية سعيد بن جعفر الجعفى على خراسان ، فكان أهل بخارى وسمرقند يعدون أنفسهم أبناء أو كالأبناء لبنى جعفى بن سعد العشيرة من مذحج ، ومذحج أخو طيئ جد حاتم ، وأخو الأشعر جد أبى موسى الأشعرى .

إن العروبة ما برحت منذ عشرات كثيرة من القرون تزحف بموجات متتابعة من أبنائها مندفعة من جزيرة العرب إلى العراق والشام ، وإلى مصر والسودان وشمال إفريقية وشرقها ، فتتغذى هذه الأوطان بدماء العروبة وأخلاقها وسجاياها ، وبلغتها وعقليتها وأساليب تفكيرها ، ومن الأمثال السائرة فى العراق قولهم : « البادية أم والعراق داية » ، والشام لا تعرف نفسها إلا معسكرا للعروبة يرابط فى الشمال للدفاع عن أمانات التاريخ ، والعامة فى مصر لا يعرفون أنفسهم إلا أولاد العرب ، والسودانيون يرون أنهم هم العرب وأن المقابلين لهم وراء الساحل الشرقى من البحر الأحمر هم جهينة ، أى أنهم لا يفترقون عن عرب السودان إلا بكونهم قبيلة من قبائل العرب ، فالعروبة فى الأوطان التى تتكلم الآن اللغة العربية قومية أصيلة عريقة الجذور فى أعماق التاريخ ، وما عليها بعد الآن إلا أن تتعرف إلى رسالتها نحو العروبة والإسلام فتجدد حيويتها كما فعل أسلافها من قبل .

وعلى كل حال فالحضارة بوتقة تذوب فيها الأنساب ، وتبقى فيها التقوى الإسلامية ، والآداب الفاضلة ، ولغة القرآن الجامعة ، وتعاون جميع أبناء العروبة والإسلام على العمل الصالح ، لبناء الكيان الصالح ، فى الدنيا والآخرة .

محب الدين الخطيب



- ٦٠ -

المنحرف عن الدين أحمق ولن يفلت من قبضة الله

ا - « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، وغرتهم الحياة الدنيا » .
ب - وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت . . .

ا - الدعوة إلى الدين مكرمة من الله على عباده ، إذ القصد منها أولا وأخيرا تعليم الإنسان ما يجهل ، وهداية العبد من ضلاله ، والوصول بالبشرية إلى الخير هنا وهناك .

وهذا هو وجه الامتنان على الناس بنعمة الدين « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » : « فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه » « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » .

ومع هذه التوجيهات ونحوها نرى من حكمة الله فى خلقه أن تكون هذه الدعوة الخيرة الواضحة الأهداف مجال شقاق بين الناس منذ القدم ، ومثار الجدل بين أناس وبين الرسل والدعاة من بعدهم ، حتى تعب الدعاة جميعا ، وحتى كانت عزيمة النبوة بحاجة إلى مؤازرة من جانب الله ، وإلى شحذها بالوعود الكريمة ، والتسلية بما جرى بين الأسلاف منذ درج الناس على وجه الأرض وتحت قبة السماء .

وكان فى التسلية بذكر الأسلاف تعريف للرسل ولمن سلكوا طريقهم أن هذه سنة الله فى خلقه بين الداعين والمدعوين « ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون

لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ـ واصبر ، وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون ... » .

ففى هذه التسلية وما اقترن بها من وعود ووعيد تثبيت للرسل ولأهل الحق على ما يبذلون من جهد ، وما يلقون من عنت ، وفيها تهديد للمكذبين ، وإعلامهم أنهم على حمق ، وأن الله سيأخذهم بعدله وقدرته ، وسيثأر منهم لدينه بحوله وقوته ، وسينزل بهم البلاء فى الدنيا ، أو فى الآخرة ، أو فيهما معا « لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

وكان من التهديد الرادع الذى تجهمت له وجوه الحمق ، ولم تستجب له عقولهم الملتوية قول الله ـ سبحانه ـ « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ، ولهوا ، وغرتهم الحياة الدنيا .. » .

فكفار قريش يومئذاك ، كانوا لا يكترثون بالدين ، ولا بدعوة محمد إليه ، بل كانوا يتخذونه ملعبة وسخرية ، أو كانوا يجعلون اللعب واللهو بالباطل دينا لهم ، وديدنا يلازمونه : فسواء أ كان الدين الحق سخرية لهم ، أم كان اللعب واللهو هما الدين الذى ارتضوه بدلا من دين الله : فهم على أى التوجيهين منصرفون عن الهدى ، وعاكفون على الباطل ، ومحمد صلوات الله عليه وسلامه يحاول ويحاول أن يهدى القوم إلى سبيل الله ، ويحتمل ما يحتمل من صدودهم ، ومقاومتهم ، طامعا فى توفيق الله لهم ، ولكن الله تعالى يترفق برسوله ، فيقول له مرة ـ إن عليك إلا البلاغ ـ ومرة ـ إنك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ـ ومرة يقول له « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا » .

يعنى اتركهم ، ولا تشغل نفسك بأمرهم أكثر من تبليغ الدعوة ، وحسابهم موكول إلينا ، وما عليك فى شأنهم من حرج « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

ب ـ ثم يتجه الخطاب إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى رسم الطريق له نحو الغاية العظمى فيقول له « وذكر به : أن تبسل نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها .. » .

فهنا مقاصد ثلاثة تتعلق بها فواصل الآية :

أحدها : تذكير الناس بالقرآن أن النفوس تبسل ـ أى تحبس فى العذاب وعن النعيم فى الآخرة بسبب ما كسبت فى الدنيا من مآثم .

وثانيها : أن ليس للأنفس ولى غير الله يتولى نجاتها من عذابه ، ولا شفيع يتوسط فى إفلاتها من الحساب والجزاء .

وثالثها : أن النفس المحبوسة فى العذاب ، الممنوعة من النعيم لاتستطيع أن تفتدى من هذا الشقاء ، كما كانت تفتدى فى الدنيا من المكاره بالمال أو بغيره ، ولو فرض أنها تستطيع ذلك وتقدمت بما يعدلها ويساويها ، بل لو تقدمت بكل عدل - فداء - فلن يقبل منها شئ : لأنها الآن فى ساحة الجزاء : لا فى مساومة الفداء ! !

فما بالك وهى غير قادرة على شيء مما كانت تبذله فى دنياها ؟؟ إنها مفلسة من العمل ، ومفلسة من المال الذى كانت تعتاض به من قبل ، وليس أمامها سوى حساب عدل ، وجزاء حق ، وعذاب مقيم .

هناك موقف الفصل ، وهناك جد لا هزل ، وهناك يقظة لا غفلة بعدها ، وحياة لا نهاية لها ، ولكل امرئ نصيب يوفاه غير منقوص .

وإن مسألة الحساب والجزاء من البدائه التى لا يجهلها إنسان يعيش مع الناس ، إذ هى محور بارز يدور حوله خطاب القرآن ، وكلما اتجهنا مع الآيات فى أى ناحية من مسالكها : وجدنا العظة والتذكير والتخويف من العذاب ، والترغيب فى الثواب شاخصة فى مواجهتنا ، وفيما تنطوى عليه الأساليب المتنوعة ، والبلاغة الأخاذة .

ونحن فى عصرنا هذا بين أقوام يجهلون الدين كما كان يجهله أهل البداوة قبل مشرق الإسلام .

ولهؤلاء على أهل العلم حق النصيحة والتوجيه ، وأخذهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أوجب الله ، حتى تنجلى عنهم غشاوة الجهل ولو بعض الشيء ، وحتى تتضح لهم السبل ، وتبدو لهم الغاية .

وربما كان عجيبا : بل هو غاية العجب أن تجد بين القوم جمهرة من أهل الثقافة المدنية ، لانضعهم فى مستوى الجهلاء ، ولا ننكر عليهم أنهم أوتوا حظا من العلم ، ولكن ثقافتهم صرفت كثيرا منهم عن وعى ما تنادى به الثقافة الدينية المستقاة من نبع الكتاب السماوى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والذى نفهمه : أن العلم كيفما كان نوعه لا ينافى توجيه الدين ، ولا يتنافى مع ما يرمى

إليه من التهذيب ، وتربية الضمير ، وإحياء الصلة بالله فى قلوب الناس ، وصيانة المجتمع من شرور العابثين بالنظام ، وتوجيه البشرية إلى ما أريد لها ، وما طلب منها من نشاط ، وطموح ، وبذل ، فى سبيل حضارتها وسعادتها . ومن الحق أن العلم متى كان مسلما به وصح أن يسمى علما لايكون مجافيا للدين . .

والقرآن نفسه حينما أشاد بالعلم وأهله قصد طبعا العلم الذى يهدى إلى معرفة الحق وإلى الطريق المستقيم ، وقصد كذلك كل علم نافع يكون من عبقرية الإنسان وتجاربه ، فانظر مثلا إلى قوله تعالى ـ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ ؟ .

فقد أطلق العلم ، ولم يحصره فى فرع خاص ، بل أفسح مفهومه لكل ما ينفع الناس ولا يجلب عليهم نقيصة فى دين ولا خلق .

وانظر إلى قوله تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ بضم همزة العلماء ـ فهو يشعر بامتداح أهل العلم الدينى الذين يتقون ربهم ، ولا يمنع أن يكون شاملا لأهل العلم الدنيوى الذين يهديهم البحث إلى الإيمان بالله ، والإقرار بعظمته ، وإبداعه فى خلقه ، فقد آل بهم العلم إلى الخشية من الله .

وانظر كذلك إلى قوله سبحانه ـ قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ ؟ ـ فإنه ينفى المساواة بين العالم والجاهل ، ويشبه العمى بالجهل ، والعلم بالبصر ، والمفروض كما قلنا أن العلم نور يهدى إلى الحق ، وأن أهل العلم الصحيح أعرف الناس بربهم ، وأقواهم حساسية بقدرة الله وخشيته ، إذا صادف علمهم طواعية من أنفسهم ، ولم تتغلب عليهم شقوتهم .

وحينما قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ اطلبوا العلم ولو بالصين ـ كان يحضنا على التماس العلوم النافعة وإن بعدت أوطانها ، والإسلام لا يرى شيئا خيرا من العلم ، ويحثنا عليه فى قوة ، لنكون على معرفة أكثر من سوانا ولنكون بالعلم أقوى من غيرنا فى هذه الحياة .

والمفروض أن العلوم الدينية فى طليعة العلوم المرغوب فيها ، لأنها تهدى الإنسانية من حيرتها دينا ، ودنيا ، ولأنها لا تدع الناس فى غفلة عن ربهم ، ولا تلهيهم عن العمل للمتاع الخالد فى الحياة الباقية .

وللعلوم الدنيوية مقامها بعد ذلك ، إذ هى ضرورية للانسانية فى تقويم دنياها ، ولكنها لاتكفل خير الآخرة إلا إذا اتخذناها فى عمل يتصل بالآخرة : لا فى المفاتن

ولا فى مناهضة الدين، والبعد عن توجيهاته ، ولا يسوغ ـ حين امتداحنا .. لعلوم الدنيا بقدر مالها من شأن فى حضارتنا وسعادتنا أن نرفع من درجتها إلى مستوى العلوم الدينية، ولا أن نرفع من مقام علمائها إلى منازل الأبرار عند الله .

فإن العلوم الدينية مستقاة من عند الله : لا من طريق التجربة التى تنجح يوما وتتعثر يوما آخر ، وإن علماء الدنيا لايستوون مع علماء الدين العاملين بعلمهم : لأن العقيدة والأخذ بالدين الحق ، والامتثال لآدابه ترفع من شأن فريق على فريق عند الله .

ونستطيع أن نقرر بعد ذلك أن العلوم كلها متضامنة فى الخير وإن تفاوتت فى مقداره وتفاوت أهلها بالإيمان وعدم الإيمان كما أوضح الله سبحانه .

هذا : وكثيرا ما قرأنا عن علماء غير متدينين أن البحث العلمى جنح بهم إلى الإيمان وأنهم لمسوا ضرورة التدين بعد أن فطنوا إلى أن القوة التى تدبر هـذا العالم وتتولى رعايته جديرة بالإيمان بها ، والاستجابة لها وهى ـ الله ـ جلت عظمته وتباركت أسماؤه وصفاته .

وتلك نتيجة حتمية للعلم الصحيح يهتدى إليها العقل الناضج .

فما بالنا نرى أناسا لم يبلغوا من الثقافة المدنية مبلغ أولئك العباقرة يتخذون ثقافتهم المحدودة حربا على الدين ، ووسيلة هدامة إلى التحلل من العقيدة ، والآداب ، وإهدار القيم ؟؟ .

هل انعكست طبيعة العلم عند هؤلاء عما كانت عنـــد من هضموا تلك المعارف ، وفطنوا إلى أسرار الله فى هذا الــكون ؟؟ .

أعتقد أن الجريمة ليست جريمة العلم ، وإنما هى جريمـة العقول القاصرة ، والأفهام الــكليلة ، والأمزجة المنحرفة ... وهى جريمة الإخفاق والعجز عن الربط بين دين الله وبين ما خلق الله من كائنات ، وأودع فيها من أسرار .

فنحن نؤمن ، ونأخذ بالعلوم كلها ، وننتفع بها ، ونحمد الله الذى هدانا لهذا، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وما سوى ذلك مما يتشدق به الملاحدة فردود عليهم ، والله يهدينا ويهديهم .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



آخر الكلام النبوى

توفيق بين حديثين ـ وسيلة وغاية ـ خاتمة حاسمة ـ صلة العبد بمالكه ومملوكه ـ وداع !

عن على رضى الله عنه قال : كان آخر كلام النبي صلي الله عليه وسلم : الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم .

(رواه أبو داود (*))

• • •

لا خلاف بين حديث على هذا وحديث عائشة فى الصحيحين وغيرهما ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يخير . فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة ثم أفاق ، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى . قلت إذا لا يختارنا ، وعرفت الحديث الذى كان يحدثنا به وهو صحيح . قالت عائشة : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله اللهم الرفيق الأعلى .

(*) فى حق المملوك . وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، الصلاة وما ملكت أيمانكم . ورمز إلى الأئمة : أحمد والنسائى وابن ماجة وابن حبان إذ رووه عن أنس ، وإلى أحمد وابن ماجة أيضا إذ روياه عن أم سلمة ، وإلى الطبرانى إذ رواه عن ابن عمر . والصلاة منصوب على الإغراء ، أى أى الزموا الصلاة أو احفظوها ، وملك اليمين هم الرقيق ، وأغرب من قال : الزكاة كما سيأتى . وفى الإغراء إيجاز وتأكيد ، فالتكرير إذا لمزيد التأكيد .

لا خلاف بين الحديثين في أن كلا منهما كان آخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه وهو يودع هذه الدنيا ، إلا أن الحديث الأول كان آخر كلامه وهو يوصى أمته ، والحديث الآخر كان آخر كلامه وهو يناجى ربه ، وذلك بعد أن مسح وجهه بيده من ماء كان في علبة بين يديه وهو يقول : لا إله إلا الله ! إن للموت سكرات ! !

وكأن الصلة بين الحديثين هي الصلة بين المقدمة ونتيجتها والوسيلة وغايتها، فلا ريب أن الوسيلة إلى الرفيق الأعلى ، إنما هي تقوى الله تعالى ، في تأدية حقوقه وحقوق عباده، وقد جاءت كلها في رسالات الله بينة واضحة ، إن أجملت تارة فقد فصلت تارة أخرى .

* * *

لبث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم نيفا وعشرين عاما ، يؤدى الأمانة ، ويبلغ الرسالة ، ويجاهد في الله حق جهاده ، لا يفتر ولا يهن ، حتى حج حجة الوداع وخطب فيها خطبته الجامعة ، التي بين فيها لأمته ، خلاصة رسالته العامة الخالدة .

فلما قفل من حجة الوداع أخذ يضاعف اهتمامه بشئون أمته ، علاوة على اهتمامه بلقاء ربه ، وخاف عليهم أن يتنافسوا في الخلافة والملك ، وفي زهرة الحياة الدنيا ، فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم ، وتلهيهم عن مقومات العزة والسعادة في الدنيا والآخرة . . . فلم يزل يتعهدهم بوصاياه وهدايته ، حتى ودعهم آخر وداع بوصيته الخاتمة الحاسمة ، أجمع جوامع الكلم ، وأبلغ مقومات الأمم ، وأهدى سبيل إلى الحياة الطيبة الكاملة ، والسعادة الأبدية الشاملة : الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم :

إنها وصية مؤكدة بأن يحسن العبد صلته بخالقه ومالكه ومولاه العلى الأعلى .

وإنها وصية موكدة بأن يحسن العبد صلته بمملوكه وخادمه ومولاه الأدنى .

وإن من أحسن هاتين الصلتين نخاف مقام ربه ، وراعى حق خادمه ، فقد تم دينه ، وكملت مروءته ، وعظمت سيادته ، وسعت إليه الدنيا صاغرة ، وكان جديرا بالعزة والكرامة ، وبالاستخلاف في الأرض ، والعمارة الصالحة فيها .

* * *

إن أمانة الله ورسالته ـ التي أداها أنبياؤه ، وبلغها رسله ، وقام عليها بعدهم من اصطفاهم الله لوراثة كتابه ، وحملهم أمانة وحيه ـ إنما تعتمد في جملتها وتفصيلها على حقوق الله وحقوق عباده ، فركز النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، حقوق الله في الصلاة ،

إذ كانت قيامها وعمادها وملاك أمرها كله ، من أقامها فهو لغيرها أشد إقامة ، ومن أضاعها فهو لغيرها أكثر إضاعة . ولن ترجو من تارك الصلاة خيرا أبدا ، وإن كان عند الناس عظيا،لا لنفسه ولا لغيره، لا فى دين ولا دنيا، وكيف يرجى الخير من حادّ الله ورسوله ، ومن هو للكفر أقرب منه للإيمان ؟ ! !

* * *

وركز صلوات الله وسلامه عليه ، حقوق عباد الله فى رعاية الضعفاء منهم وتقوى الله فيهم ، بالعدل فى معاملتهم ، والإحسان إليهم . . ومن اتق الله فى العبيد والضعفاء ، فهو أجدر بأن يتقيه فى الأحرار والأقوياء ، موقنا بأنهم جميعا إخوانه ، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى .

* * *

ومن غريب الشرح وطريفه ، ما قيل فى ملك اليمين هنا إنه الزكاة ، ويؤيده أن الصلاة قلما تفارقها فى الذكر ، ولكن المعروف والمألوف فى لسان العرب والشرع ، أجدر بالفهم ، وأحق بالعلم .

* * *

ألا إن أحق الناس عملا بهذه الوصية النبوية الخاتمة ، ودعوة إليها ، وأخذا على أيدى المفرطين فيها ، هما الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس : العلماء والأمراء . .

ألا وإن التهاون فى شأن الصلاة ، وفى رعاية الضعفاء من عباد الله، أعظم خطر يهدد الدول الإسلامية بسلب عزتها وكرامتها ، وينذرها بأن يتخلى الله عنها ويكلها إلى غيره ، ومن يتخل الله عنه ويكله إلى غيره فقد أهانه « ومن يهن الله فماله من مكرم » .

* * *

أما بعد ، فمنذ عهد غير قريب وأنا أستخير الله تعالى ، وأترضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أودع الكتابة فى هذا المكان إلى أجل مسمى عند الله عز وجل ، وهأنذا أستأذن أسرة المجلة وقراءها . . . حتى يأذن الله لى بالعود ، والعود إن شاء الله أحمد « وما توفيق إلا بالله » .

طه محمد الساكت

الحج والعمرة

من القواعد الخمس التى بنى عليها الإسلام : الحج ، فهو فرض عين من فروضه ، وكان فرضه فى السنة السادسة من الهجرة وقيل فى الخامسة .

وثبتت فرضيته بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، فمن أنكره كان كافرا كإنكار كل أمر معلوم من الدين بالضرورة .

وإنما يجب الحج مرة واحدة فى العمر ، لما روى مسلم عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يأيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه .

من يجب عليه الحج :

يجب على المسلم البالغ العاقل المستطيع ، وتتحقق الاستطاعة بتوفر المال الذى يحتاج إليه فى أداء هذه الفريضة فاضلا عما يلزم أسرته ومن يقوم بشئونه مدة ذهابه للحج وإيابه ، وفاضلا عما عليه من دين ولو كان مؤجلا ، وأن يجد فى طريقه ما يحتاج إليه من الضروريات ، وأن يكون قادرا على تحمل أعباء ذلك السفر بدون مشقة عظيمة ، واستتباب الأمن فى الطريق وفى مكة ومواضع النسك .

وجميع ما تقدم شروط لوجوب الحج على الرجل والمرأة ، وتختص المرأة بشرط وهو أن يخرج معها زوجها أو أحد محارمها ، قال الشافعية أو امرأتان ثقتان ، وقال المالكية أو رفقة مأمونة ، وقال الحنفية هذا إذا كان بين بلدها وبين مكة ثلاثة أيام فأكثر وإلا فلا يشترط أن يخرج معها زوجها أو محرمها .

هل وجوب الحج على الفور أو على التراخى :

إذا توفرت شروط وجوب الحج فى شخص فهل يجب عليه أن يؤدى الحج فى أول عام توفرت فيه الشروط وتمكن فيه من أدائه :

مذهب الجمهور : ومنهم الحنفية والمالكية والحنابلة يجب أداء الحج فورا بمجرد التمكن من أدائه وإذا أخره يكون آثما بالتأخير .

ومذهب الشافعية : لا يجب أداء الحج فورا ، فله تأخيره عن أول سنة تمكن فيها إلى سنة أخرى ، بشرط أن يغلب على ظنه سلامة بدنه وماله إلى أن يؤديه ، وأن يكون عازما على فعله فى المستقبل ، ولكن يستحب له أن يبادر بفعله لقوله تعالى : فاستبقوا الخيرات ، ولأن تأخره يعرضه للفوات بحوادث الزمان ، فان خاف العجز لكبر سنه أو لمرض يخشى زيادته ، أو خاف عدم بقاء المال المحتاج إليه فى حجه وجب أداؤه فورا وأثم بالتأخير .

وإذا لم يحج من وجب عليه الحج حتى عجز عنه لمرض أو كبر سن ، وجب عليه أن ينيب من يحج عنه متبرعا أو بأجر ، أما إذا مات فيجب على ورثته قضاء الحج من تركته : كدين الآدمى ، فان لم يكن له تركة استقر فى ذمته ، ويستحب لورثته قضاؤه ، ومتى حج عن الميت الوارث أو غيره سقط الفرض عنه .

وقد استدل الشافعية على أن الحج يجب على التراخى بأنه قد فرض فى السنة السادسة أو الخامسة من الهجرة ، ولم يحج النبى هو وزوجاته وعامة أصحابه إلا فى السنة العاشرة ، مع أنه كان مستطيعا ، وكان فتح مكة فى رمضان من السنة الثامنة ، وانصرف عنها فى شوال من سنته ، وولى عليها عتاب بن أسيد فحج بالناس ، ثم ولى أبا بكر فى السنة التاسعة إمارة الحج فحج بالناس ، ثم حج النبى هو وأزواجه وعامة أصحابه سنة عشر فدل على جواز تأخر الحج عن سنة الاستطاعة .

العمرة :

العمرة مطلوبة من المسلم مرة واحدة فى العمر كالحج ، ولكن الأئمة اختلفوا فى حكمها ، فالشافعية والحنابلة قالوا إن العمرة فرض عين كالحج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، مع قراءة « وأقيموا الحج والعمرة لله » ، واستدلوا أيضا بحديث عائشة قالت : (قلت يا رسول هل على النساء جهاد ؟ قال جهاد لاقتال فيه الحج والعمرة) ، وغير ذلك من الأحاديث .

والمالكية والحنفية قالوا : إن العمرة سنة مؤكدة ولكنها تجب بالشروع فيها ، والمسلم الورع يتحرى الخروج من الخلاف بالإتيان بالعمرة .

ويجرى فيها الخلاف السابق فى الحج من أنها على الفور أو على التراخى .

حكمة مشروعية الحج :

الحج من الشرائع القديمة فرضه الله أول ما فرضه على خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك أن الله أمره باسكان ابنه اسماعيل مع أمه هاجر مكة فصدع بالأمر ، ولما ودعهما قال: « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ، فأجاب الله دعوته بأكثر مما كان ينتظر وفرض عليه وعلى أمته الحج ، فصارت مكة مثابة للناس وأمنا ، وصار الحج موسما عظيما للناس يتبادلون فيه التجارة، ويشهدون منافع لهم : دينية ودنيوية ، ويطعمون فيه البؤساء والمحتاجين ، وعاش اسماعيل وذريته فى أمن من العيش وسعة تناسب حال هذا الوادى .

وكانت أعمال الحج كلها فى عهد ابراهيم واسماعيل بريئة من شوائب الشرك (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ، إلى أن لعبت يد الشيطان ، وأدخلت فى هـذا البيت المطهر الأصنام ووضعتها فوق الكعبة ، وتدنست بالشرك أعمال الحج .

ولما فتح رسول الله مكة كان أول ما أمر به هدم تلك الأوثان ، وتطهير البيت من الأصنام ، فحقق بذلك ما أمره الله به وأمر به ابراهيم من قبله (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود).

وحج رسول الله والمسلمون فتوجهوا بجميع أعمال الحج لله وحده، وحسبنا مثلا ما كانت تضج به الأجواء وبجلجل فى الفضاء حتى يبلغ عنان السماء التلبية (لبيك اللهم لبيك لبيك ،لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) ، فكان من أول أهداف تشريع الحج لمحمد وأمته عملية تطهير الحج ، وتنقيته من دنس الشرك ، وتوجيه أعماله كلها لله وحده، فأدوا عملية التطهير خير أداء ، وعادت أعمال الحج خالصة لله كما كانت فى عهد ابراهيم ، كما عاد من فضل الله الزمان واستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، وبطل النسىء ونقل الأشهر الحرم إلى غير مواضعها ، فصار الحج صحيحا نقيا فى أعماله، مطهرا فى مكانه ، حاصلا فى زمانه .

ووراء ذلك حكمة عظيمة أخرى للمسلمين نفرد لها ذلك القول :

لما كان دين الإسلام دينا عاما لجميع البشر ، فكل أبيض وكل أسود بلغته دعوة محمد على وجهها الصحيح ، مكلف بالدخول فى دين الإسلام والتزام عقائده عن بينة ،

ولما كان المفروض أن تحدث هذه الدعوة أثرها قويا ، فيدخل الناس فى دين الله أفواجا ، من شعوب مختلفة فى مشارق الأرض ومغاربها كان من أهم مقاصد الإسلام بعد سلامة العقيدة أن يكون المسلمون أمة واحدة ، أمرهم واحد وكلمتهم واحدة وإحساسهم واحد وآلامهم واحدة وآمالهم واحدة .

لهذا شرع الله لهم من الدين ما يوجههم هذه الوجهة الواحدة ، فأمرهم أن يستقبلوا فى صلاتهم كل يوم خمس مرات أو تزيد قبلة واحدة .

وفرض عليهم الحج ليكون فرصة لاجتماع هذه الشعوب ، المختلفة الأجناس واللسان والمكان فى مكة منزل الوحى الأول ، وبجوار بيت الله مركز الدائرة التى تربط المسلمين برباط الدين الواحد ، وليكون مؤتمر الشعوب الإسلامية ومجتمعهم السنوى ، يبحثون فيه شئونهم ويتعرفون أدواءهم ويضعون لها العلاج ، ويتعاونون على درء الظلم عمن ظلم منهم وتقوية المستضعفين ومساعدتهم للتحرر من نير الاستعمار .

ولقد كان الأمل عظيما فى أن يهيئ الحج للمسلمين الفرصة لجمع الكلمة والتعاون على ما يصلح شأنهم ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر كما شرعه الله ولكن والأسى يملأ الفؤاد قد لعبت يد الاستعمار أعنف الأدوار ، فمزقت جمع المسلمين وصيرتهم شيعا وأحزابا ، وبثت بينهم العداوة والبغضاء ، حتى صار كل فريق يتربص بالآخر الدوائر ، وذلك بتسليط بعض أعوان المستعمرين الذين أعماهم سلطانهم وشهواتهم ، فباعوا دينهم بدنياهم ودنيا المستعمرين .

على أننا لا تزال عندنا بقية من الأمل فى أن يعود المسلمون إلى رشدهم فيصلحوا ما فسد ، ويتعاونوا على الصالح العام للمسلمين والعرب ، والله يهديهم سبيل الرشاد .

كيف تحج وتعتمر أيها المسلم :

للحج أعمال مطلوبة طلبا متحتما وهى قسمان ، قسم إذا ترك يكون الحج ناقصا ، وبالتالى يكون باطلا وهو الأركان ، وقسم إذا ترك يكون الحج صحيحا ويجبر ماترك بدم وهو الواجبات .

كذلك للحج أعمال مطلوبة طلبا غير متحتم وهى المسنونات ، ومثل الحج فيما تقدم العمرة .

وقد ذكر العلماء من شروط صحة الصلاة العلم بكيفيتها ، قالوا وهذا الشرط يكفى فى تحققه ألا يعتقد المكلف الفرض سنة ، فلو اعتقد أن أفعالها كلها فروض أو أن فيها فرضا وسنة ولكنه لم يميزها كفى .

ومن المعلوم أن العلم بالكيفية شرط فى صحة كل عبادة ومنها الحج والعمرة ، ونرى أن هذا الشرط يتحقق فيهما بما تحقق به فى الصلاة بطريق الأولى ، إذ الصعوبة هنا فى الإحاطة بالأركان والواجبات والسنن أعظم .

لهذا رأيت أن أبين باختصار كيف يحج ويعتمر المسلم ، ذاكرا أعمال النسك على أنها كلها مطلوبة ، سواء منها ما كان ركنا ، وما كان واجبا وما كان ، مسنونا ، فأقول :

إذا عزمت أيها المسلم على الحج والعمرة فإنى أختار لك أن تبدأ بالعمرة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

وكيفية العمرة :

فاذا كنت تريد ركوب الطائرة فقلم أظفارك ، وأزل ما شعث من شعرك ، واغتسل والبس ثياب الإحرام (إزارا ورداءا) وصل ركعتين ثم انو الإحرام بالعمرة واقرن بنيتك التلبية أو أى ذكر - افعل كل هذا فى منزلك ثم اذهب إلى طائرتك .

وإن كنت تريد ركوب الباخرة فافعل ذلك بعد أن تسير الباخرة وتحاذى رابغا ، (وهى ميقات الحج والعمرة لمن بمصر والشام والمغرب والأندلس) أو تحاذى ميقات بلدك إن كنت من غير هذه البلاد ، واستمر على إحرامك مع تكرار التلبية من وقت لآخر ، حتى تصل إلى مكة فاقصد المسجد الحرام ، وادخل من باب السلام فإذا رأيت الكعبة فقل بسم الله الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ، ثم اذهب إلى الحجر الأسود فاستقبله واستلمه بيمينك وقبله إن أمكنك ، وإلا فاكتف بالاستلام ، وإلا فبالإشارة باليد ، وانو طواف العمرة بشرط أن تكون متطهرا طهارتك للصلاة ، وابتدئ من الحجر الأسود جاعلا البيت عن يسارك مارا تلقاء وجهك ، قائلا بسم الله الله أكبر ، اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير ، اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار فأعذنى منها ياعزيز ياغفار ، ثم ادع بما شئت إلى أن تصل ثانيا إلى الحجر الأسود فتبدأ الشوط الثانى وهكذا حتى ينتهى الشوط السابع ، ثم اذهب فصل ركعتين سنة الطوف خلف المقام ، وبهذا ينتهى الطواف .

ثم اقصد الملتزم وهو ما بين الحجر الأسود و باب الكعبة ، وتضرع إلى الله بذلة داعيا بما شئت من دعاء ، ثم اذهب إلى بئر زمزم فاشرب هنيئا مريئا .

ثم اخرج من باب الصفا إلى المسعى واقرأ « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما » ثم اصعد على درجات الصفا واتجه إلى الكعبة ، وقل بسم الله الله أكبر ولله الحمد ، ثم اسع إلى المروة قائلا لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو على كل شئ قدير ، وهرول فى السير بين الميلين الأخضرين (وهما عمودان فى جدار الحرم والمسافة بينهما سبعون مترا) ، قائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، وادع بما شئت حتى تأتى المروة فاصعد على درجاتها ويحسب ذلك شوطا ، ثم اتجه إلى المسعى وانزل عن الدرجات وعد إلى الصفا حتى تصعد على درجاتها ويحسب ذلك شوطا ثانيا ، وهكذا حتى تكمل سبعة أشواط فينتهى السعى عند المروة ، ثم احلق أو قصر ، والمرأة تقصر ، و بذلك تنتهى العمرة ، و يحل لك ما كان قد حرم عليك بالإحرام (وسنبينه لك) .

واعلم أن من يأتى بالعمرة فى أشهر الحج و بعد الفراغ من أعمالها يأتى بالحج ، يسمى متمتعا ، ويجب عليه ذبح شاة للفقراء ، فإن لم يجد فصيام عشرة أيام ، ثلاثة فى الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده ، ويذبح الشاة بعد الفراغ من أعمال العمرة بمكة ، أو يذبحها بمنى يوم النحر وهو الأفضل .

كيفية الحج :

وتقيم بمكة بغير إحرام إلى يوم التروية (اليوم الثامن من ذى الحجة) فانو الإحرام بالحج ، وافعل عند إحرامك به ما فعلت عند إحرامك بالعمرة ، ثم توجه إلى عرفة واستمر فى طريقك بمنى ، ولك أن تبيت بها ليلة التاسع ، وهو الأفضل أو تواصل السير حتى تصل عرفة وتبيت بها ، وتمضى بعرفة اليوم التاسع من ذى الحجة وجزءا من ليلة العاشر ، وأكثر فى طريقك من التلبية ، وفى عرفة أكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتلبية ، والاستغفار وقراءة سورة (الإخلاص) والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم ادفع من عرفة بعد جزء من ليلة العاشر كما ذكرنا إلى المزدلفة وهى المشعر الحرام ، وقيل هو جبل قزح بالمزدلفة وتبيت بها .

ثم ادفع من المزدلفة بعد نصف الليل إلى منى ، أو بعد أن تصلى الصبح مع أخذ حصا جمرة العقبة منها ، فإذا وصلت منى فانتظر إلى ما بعد طلوع الشمس ، ثم ارم جمرة العقبة

بسبع حصيات وتقطع التلبية من أول حصاة ، وتأتى بدلها بالتكبير مع كل حصاة قائلا : بسم الله الله أكبر ، اللهم تصديقا بكتابك ، واتباعا لسنة نبيك وخليلك عليهما الصلاة والسلام .

ثم احلق أو قصر — والمرأة تقصر — وبهذا يحل لك كل ما كان قد حرم عليك بالإحرام إلا النساء ، وهذا هو التحلل الأول وتبيت بمنى أيام التشريق ، وترمى فى كل يوم الجمرات الثلاث ، كل جمرة بسبع حصيات ، مبتدئا بالجمرة الأولى التى تلى مسجد الخيف ، ثم الجمرة الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، ويكون الرمى بعد الزوال وتكبر مع كل حصاة كما فعلت فى جمرة العقبة يوم النحر — تفعل ذلك فى أيام التشريق الثلاثة ، ولك أن تتعجل فى يومين فتبيت بمنى ليلة الحادى عشر وليلة الثانى عشر من ذى الحجة ، وتقتصر على الرمى فيهما وتنزل من منى قبل غروب الشمس ، وإلا وجب عليك مبيت ليلة الثالث عشر ، وبعد أن تصل مكة طف طواف الإفاضة كالطواف السابق فى العمرة ، ثم اذهب للسعى بين الصفا والمروة كما سبق وبذلك ينتهى حجك .

ولك أن تذهب إلى مكة فى يوم النحر إن أمكنك بعد رمى جمرة العقبة ، فتطوف طواف الإفاضة ثم تسعى بين الصفا والمروة ، وبذلك يحصل التحلل الثانى ويحل لك به النساء أيضا ، ثم تعود إلى منى لتبيت بها أيام التشريق وترمى الجمار كما بينا .

من أحكام الحج

محرمات الإحرام :

يحرم على الرجل بسبب الإحرام بالحج أو العمرة أمور (١) لبس الملابس المحيطة بالجسم كالقميص ، والسروال ، والبيجام ، والمعطف ، والبنطلون ، والجبة والقفطان . (٢) وتغطية رأسه أو بعضه بما يعد ساتر اعرفا كالعمامة والقلنسوة ، وله لبس الخاتم وشد الحزام أو الكمر على وسطه وعلى إزاره ، وله عمل باكية للازار ليدخل فيها تكة يربطه بها وليس له ذلك فى الرداء ، ويحرم لبس الحذاء ، أما النعلان المعروفان فيجوز لبسهما بشرط إلا يستر سير النعل جميع أصابع القدم .

ويحرم على المرأة تغطية الوجه ولبس القفاز (الجوانت) .

ويحرم عليهما : (١) استعمال الطيب فى بدن أو ثوب أو فراش أو طعام وكذا الزهور ذات الرائحة الذكية . (٢) ودهن شعر الرأس أو الوجه بشىء من الزيوت والأدهان . ومن ذلك الفزلين . (٣) وإزالة الشعر بحلق أو غيره . (٤) وتقليم الأظفار .

فاذا فعل الحاج أو المعتمر شيئا من هذه المحرمات، وجب عليه واحد من هذه الأمور الثلاثة باختياره : ذبح شاة، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (قدح مصرى)، أو صيام ثلاثة أيام، مع ملاحظة أن تكون إزالة الشعر لثلاث شعرات فأكثر، وتقليم الأظفار لثلاثة أظفار فأكثر، ويجب فى إزالة شعرة واحدة مد، وفى شعرتين مدان، وفى قلم ظفر مد، وفى ظفرين مدان (والمد نصف قدح مصرى). وعند مالك يجب فى إزالة شعرة إلى اثنى عشرة شعرة مد، ويجوز إعطاء الفقير ثمن نصف الصاع أو المد، ويقوم مقام المد غداؤه أو عشاؤه.

ويحرم أيضا بسبب الإحرام الوطء ومقدماته، والتعرض لحيوان الوحشى المأكول بصيد أو أكل، والتعرض لشجر الحرم بقطع أو قلع أو إتلاف، والأحكام المترتبة على ارتكاب هذه المحظورات مبسوطة فى كتب المذاهب، والذى يهمنا أن ننوه عنه أن الحج والعمرة لا يفسدهما شىء من المحرمات إلا الوطء، فليحذر الحاج والمعتمر ذلك فان فيه الطامة التى قلما تحتمل.

ومن أحكام الحج – من عجز عن الطواف بنفسه لمرض جاز أن يطوف محمولا بالإجماع، وعن أبى حنيفة وعطاء يجوز أيضا أن يطوف عنه غيره.

ومن عجز عن رمى الجمار بنفسه جاز له أن ينيب من يرمى عنه ذكرا كان النائب أو أنثى حلالا أو محرما، ويشترط فى المحرم أن يكون قد رمى عن نفسه، ولعل هذا يشترط أيضا فيمن يطوف عن غيره عند أبى حنيفة وعطاء.

وإذا مات الحاج فى أثناء حجه فمذهب الشافعى القديم يجوز البناء على ما فعله الميت من أعمال الحج؛ لأن الحج يقبل النيابة فيحرم النائب بالحج، ويقف بعرفة إن لم يكن الميت وقف، ولا يقف إن كان وقف، ويأتى بباقى الأعمال كما لو لم يمت، وهذا كله إذا مات الحاج قبل التحللين أو بينهما، فان مات بعد التحللين لم يجز البناء بلا خلاف؛ لأن الباقى من أعمال الحج يجبر بالدم.

وفى هذا الرأى تيسير على من أصيب فى زميل رافقه فى أداء فريضة الحج وتخفيف من حدة المصاب، ومساعدة للميت على أداء فرضه وبراءة ذمته.

للحج تحللان فالتحلل الأول يحصل بفعل اثنين من ثلاثة هى : رمى جمرة العقبة يوم النحر، والحلق، والطواف مع السعى – إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم – ويحل بها للحاج

جميع محرمات الإحرام إلا ما يتعلق بالنساء، فاذا فعل الثالث حصل التحلل الثانى وحل به باق المحرمات .

أما العمرة فليس لها إلا تحلل واحد يحصل بالانتهاء من جميع أعمالها .

ومما يتصل بالحج

الحجر الأسود :

فى الركن الذى على يسار الكعبة الحجر الأسود ، وهو حجر صقيل بيضاوى تقريبا ولونه أسود مشرب بحمرة وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء وقطره نحو ثلاثين سنتيمترا ، ويحيط به إطار من الفضة عرضه عشرة سنتيمترات .

وقد جعل الحجر علامة لبدء الطواف منه ، ويذكر بعض الناس فيه روايات منها أنه درة بيضاء من الجنة سودته خطايا بنى آدم ، وغير ذلك وهو غير صحيح ، وإنما صح فيه وبلغ حد الشهرة قول عمر رضى الله عنه على رءوس الأشهاد من أصحاب رسول الله وسائر المسلمين ، أما إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

حكمة السعى ورمى الجمار :

قال العلماء : كل عبادة لها معنى قطعا لأن الله لا يأمر بالعبث ، ثم معنى العبادة قد يفهمه المكلف ، وقد لا يفهمه ، ومن العبادات التى لا يفهم المكلف معناها السعى والرمى ، فكلف العبد بهما ليتم انقياده لربه ، فان هذا النوع من العبادات لاحظ للنفس فيه ولا للعقل به ، ولا يحمل عليه إلا مجرد الامتثال لأمر الله والانقياد له ا هـ من المجموع للنووى باختصار . ومنه يعلم أنه لم يصح شىء مما يرويه الناس فى السعى ورمى الجمار ، وإلا لذكره النووى . وأكثر أعمال الحج أعمال لا نعقل معناها ، ولكن الله تعبدنا بها لتربية ملكة الانقياد والمسارعة إلى طاعته .

فضل الحج والعمرة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج فلم يرفث (لم يمس النساء) ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء

إلا الجنة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت ، قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور .

والأحاديث فى فضلهما كثيرة ، والحج المبرور : الذى لم يرتكب فى أثنائه الحاج معصية وهو المقبول عند الله ، قال العلماء وعلامته أن تكون حال صاحبه من الناحية الدينية أحسن بعد الحج ، والحج والعمرة يكفران الذنوب الصغائر باتفاق ، ويكفران الكبائر على الراجح حتى التبعات وهى حقوق الآدميين ، لكن هذا إذا مات فى أثناء الحج أو العمرة أو بعدهما وقبل التمكن من أداء ما عليه ، من حقوق الله أو للآدميين ، أما إذا عاش بعد التمكن من أدائها فلا تسقط عنه بل يجب عليه قضاؤها .

هذا وإذا تأمل المسلم قول رسول الله لعائشة فى الحديث المتقدم (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) علم أن ليست رحلة الحج رحلة إلى مصيف أو مشتى ، وإنما رحلة لا بد أن يصحبها نصب ، ويلازمها قسط من المشقة والتعب ولكن لأنها رحلة إلى ربه ، وتنفيذ لأمره ، وانقياد لطاعته ، يهون بجانبها كل مشقة ونصب ، ويسهل فى سبيل رضى مولاه كل صعب ، ويزول كل ألم ، فليحذر الحاج بعد عودته من أن يعقد المجالس ليقص على الناس ما صادفه من الصعاب ، وما قاساه من الآلام ، وينصب من نفسه منفرا عن هذه الفريضة ، وداعيا للتحلل منها ، فيحمل وزره كاملا وأوزارا معه ، ويحبط حجه وهو من الغافلين ، وليعلم الحاج أن له بكل خطوة أجرا ، وعلى كل مشقة ثوابا جزلا ، وأن الثواب والأجر على قدر المشقة .

وليكثر فى رحلة الحج من الصدقات ، فإنها ستصادف أكبادا حرى ، وأجسادا شبه عارية ، أنهكها الجوع والعرى والحرمان ، وليتحر ببعض صدقاته أناسا أناخ عليهم الفقر ولكنهم يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وعلى الجملة ليحرص على أن يكون فى هذه الرحلة أجود بالخير من الريح المرسلة .

وليكن الحاج بعد عودته مثال الفضيلة والأخلاق الكريمة ، والمحافظة على حقوق الخلق والخلاق ، تحقيقا لمعنى الحج المبرور ، وإن اعترض سبيله الشيطان وطوعت له نفسه العصيان ، فليقم من ضميره ودينه وازعا قويا لمجاهدة نفسه ، ومحاربة شيطانه والله الكفيل بنصره وتوفيقه إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

نحو مجتمع إسلامى :

بين الأبناء والآباء

لعل أقوى الروابط بين الأحياء هي الروابط العميقة الباقية بين الأبناء والآباء ؛ ولذلك يجب أن نعنى بتوثيقها وإقامتها على أساس وطيد من الخير والبر ، وتبادل الحب والإخلاص . وإذا كنا نطالب الآباء بأداء واجباتهم نحو فلذات أكبادهم وثمرات قلوبهم ، فلا بد لنا من مطالبة الأبناء بواجباتهم نحو هؤلاء . وأول هذه الواجبات فيما نظن ، هو أن يتذكر الأبناء على الدوام أن آباءهم كانوا السبب المباشر فى وجودهم ، والأصل الحسى لحياتهم ، والواسطة البادية فى خلق الله تبارك وتعالى لهم ، وأن آباءهم قد شقوا فى سبيلهم ، وتعبوا من أجلهم ، وذاقوا المر والعلقم لتنشئتهم وتربيتهم ، وصبروا على ذلك صبرا جميلا ، وتحملوا من أجله تحملا طويلا ، وبذلوا من جهدهم ونفسهم بذلا جليلا ؛ وشرعة العدالة تقتضى التماثل والتبادل ، والقرآن الكريم يقول : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » ؟ .

وهنا حقيقة يلزم أن ننتبه إليها جيدا ، وهى أن الآباء يمثلون جبهة المحافظة والمقاومة والدفاع ، لأنهم أهل جيل قد مضى أكثر زمنه ، وأخذوا ينكمشون على أنفسهم وأحاسيسهم ، بينما الأبناء يمثلون جبهة الاندفاع والتجديد والهجوم ، لأنهم أهل جيل مقبل بشبابه وحيويته وآماله ، والحياة تسير فى تطورها وتغيرها ، ولابد فيها من الفريقين ، فلو تصادما أو تخاصما لكانت عوامل الهدم والتحطيم أضعاف عوامل البناء والتعمير ؛ فلا بد لها من حسن التفاهم وكريم التعاون ، حتى يلتقيا فى منتصف الطريق .

ولما كان الآباء من الناحية الحسية فى موطن الضعف بحكم الكبر والقدم ، وكان الأبناء فى مكان القوة بحكم الشبيبة وإقبال الحياة ، وجب على الأبناء أن يتحلوا بكرم المعاملة وحسن الصحبة لهؤلاء الآباء الذين قدموا ما قدموا ، وبذلوا ما بذلوا ، وجاهدوا فى سبيل هؤلاء الأبناء ما جاهدوا ، والفضل للمتقدم ، والآباء يبعد منهم أن يهملوا الأبناء ، بينما الأبناء مظنة الإهمال للآباء ؛ ومن هنا نستعرض آيات القرآن فنجد أن الله قد أمر الولد بأن يحسن إلى والديه إحسانا فى عدة آيات ، بينما لا نجد فى القرآن أمرا للوالدين بالإحسان إلى الولد ، وذلك لأن إحسان الوالدين إلى ولدهما أمر محقق واقع مطبوع عليه الوالدان ،

لايحتاج إلى تذكير ، بينما نلاحظ أن الكثير من الأبناء لايتقون ربهم فى معاملة آبائهم ، فيسيئون إليهم ويغلظون معهم حينما يكون الآباء بحاجة إلى الرحمة واللين ، مع أن أول سمات الإنسانية الصحيحة أن لايجحد المرء الفضل ، وأن لايتنكر لجميل ، ومن هنا جعل الله الإحسان إلى الوالدين قضية إنسانية عامة ، إذ قال فى القرآن : « ووصينا الإنسان بوالديه » . فلم يقل : ووصينا المسلم ، أو لم يقل : ووصينا المؤمن ، بل قال : « ووصينا الإنسان بوالديه » . كأن حسن الأدب مع الوالدين ، وحسن الرعاية للوالدين ، وحسن التفاهم مع الوالدين ، أمر إنسانى بشرى ، يجب أن يقوم به المرء بمقتضى أنه « إنسان » وأنه « بشر » ، فكيف إذا كان هذا الإنسان صاحب إسلام وربيب إيمان ؟! . . .

وللقرآن الحق كل الحق فى أن يجعل الوصية بالوالدين قضية إنسانية ، لأنها قضية مقابلة الجميل بالجميل ، ومجازاة الإحسان بالإحسان ، وعلى هذا الأساس صورها القرآن المجيد فى تلك الصورة الإنسانية المؤثرة فقال : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

فالله عز وجل قد قضى وأمر أمرا مقطوعا به ألا نعبد غيره ، لأنه لا رب سواه ، ثم ذكر بعد عبادته الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، ويكاد القرآن لا يذكر الإحسان إلى الوالدين إلا بجوار ذكر الدعوة إلى عبادة الله وشكرانه . ففى سورة البقرة يقول : « لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا » . وفى سورة النساء يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وفى سورة الأنعام يقول : « ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وفى سورة الإسراء يقول : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » . وفى سورة لقمان يقول : « أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير » . ويقول جار الله الزمخشرى فى كشافه عن الولد مع أبويه : « فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال ، حتى لايقول لهما إذا أضجره ما يستقذره منهما أو يستثقل من مئونتهما : أف ، فضلا عما يزيد عليه ، ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ، ونظمهما فى سلك القضاء بهما معا ، ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما ، حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر ، مع موجبات الضجر ومقتضياته ، ومع أحوال لايكاد يدخل صبر الإنسان معها فى الاستطاعة » .

وانظر كيف خص الله بالذكر فى آية الإسراء حالة كبرهما وطعنهما فى السن ، لأن هذا

الوقت هو مظنة ضيق الولد بهما ، واستثقاله لظلهما ، واشمئزازه منهما ؛ وهما حينئذ أشد احتياجا إليه بعد جهادهما الطويل من أجله وفى سبيله ، ولذلك أكد القرآن فى الوصية والنصيحة ، فأمر الولد بألا يضايقهما ولو بأقل ما يشير إلى التضجر وهو كلمة « أف » ، وألا ينهرهما أو يغلظ عليهما ، وأن يخاطبهما خطابا رقيقا لطيفا كريما ، وأن يبالغ فى الأدب معهما والخضوع لهما ، حتى يبدو أمامهما ذليلا رحيما . ويا لها من عزة أن يذل الابن لوالديه ، وأن يتوج ذلك بتاج الدعاء لهما ، متذكرا دائما سابق فضلهما وقديم إحسانهما ، فأوصى القرآن هنا بخمس درجات للاحسان : « فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ! ! . . .

وارتفع الإسلام بقضية الإحسان إلى الوالدين إلى قمة السماحة الإنسانية ، فأمر الولد بأن يحسن معاملتهما ولو اختلف معهما فى الرأى أو الدين أو منهاج الحياة ، فقال القرآن يخاطب الولد : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلىّ ، ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام ـ وهو نبى الوفاء ورسول الإحسان ـ فزاد هذه القضية رعاية وعناية ، فأخبرنا بأن رضا الله فى رضا الوالدين ، وأن الولد وماله لأبيه ، وأن الجنة تحت أقدام الأمهات ، وأن أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين . ولقد سأله أحد صحابته : أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ . فقال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أى ؟ . قال : ثم بر الوالدين . قال : ثم أى ؟ . قال : ثم الجهاد فى سبيل الله . بجعل بر الوالدين بعد الصلاة التى هى أعظم دعائم الإسلام ، وكذلك جعل بر الوالدين وسطا بين الصلاة التى هى جهاد نفسى والقتال فى سبيل الله الذى هو جهاد حسى ، لأن بر الوالدين يشمل الاثنين ، فهو جهاد نفسى بالأدب معهما ، وهو جهاد حسى بالبر إليهما وتأدية الواجب لهما وإحسان المعاملة معهما ، وليس وراء ذلك تكريم ! .

ولقد ضرب السابقون أروع الأمثال فى تكريم الآباء ، فهذا على بن الحسين كان لا يأكل مع أمه فى صحفة ، خشية أن تمتد يده إلى شىء تكون عينها قد تطلعت إليه ؛ وهذا عمرو بن ذر يقول عن ابنه : ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفى (تأدبا) ، ولا ليلا إلا مشى أمامى (خشية مكروه يلقانى) ، ولا رقى سطحا وأنا تحته (حتى لا يعلونى) . وهذا هو الفضل بن يحيى البرمكى كان محبا مع أبيه ، وكان أبوه لا يطيق

استعمال الماء البارد فى وضوء الفجر ، وقد منع السجان عنهما الحطب ، فكان الفضل يمسك بإناء الماء ، ويدنيه من المصباح ، ويسهر به إلى الفجر ، حتى يسخن الماء لوضوء أبيه ! ! ...

قد يقول أبناء اليوم : إنك تحدثنا عن عهود سلفت ومضت بما لها وما عليها ، ونحن الآن فى عهود الحرية والمساواة ! ! ...

ويعلم الله أننا مهما ترخصنا فى رفع الكلفة والتحفظ بين الآباء والأبناء ، فلن تستسيغ تفريط الأبناء فى حقوق الآباء ، ولن يطيق عاقل أو وفى أن تتنكر الذرية بهذه الصور المروعة لمن أتوا بها وسهروا عليها . وإذا كنا ندعو الوالد إلى أن يكون بولده رحيما ومعه كريما ، وأن يلاعب الأب أبناءه ويداعبهم ، ويستجيب لرغباتهم القويمة ، ويتعرف اتجاهاتهم ، ويحترم شخصياتهم ، ولا يستبد بهم كاستبداد الملك الأرعن فى ملكه . فإننا مع هذا لا ننسى مطالبة الولد بأن يكون مع والديه صاحب أدب ووفاء وتوقير ، ولو علم الأبناء مبلغ الحسرات التى تأكل قلوب الآباء وهم يتخوفون على مصاير أولادهم ، ويخشون فشلهم فى الحياة ، ويحرصون على نجاحهم بين الناس ، لما أضاف الأولاد إلى هذه الأحمال أحمالا أخرى من الجحود والنكران ، ولحرصوا كل الحرص على أن يكونوا من أهل الوفاء مع هؤلاء الآباء ! ...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

المركز الثقافى الاسلامى بلندن

نشر مجلة الأزهر جزء رمضان سنة ١٣٧٧ أن منصب مدير المركز الثقافى الإسلامى بلندن ظل شاغرا بعد الدكتور على حسن عبد القادر حتى الآن ، والواقع أن المرحوم الأستاذ الدكتور حمودة زكى غرابة المدرس بكلية أصول الدين ، خلف الدكتور على حسن عبد القادر فى هذا المنصب من أغسطس سنة ١٩٥٤ ، وظل يزاول عمله حتى توفى إلى رحمة الله سنة ١٩٥٦ ، ثم تولاه من بعده الأستاذ إبراهيم عبد الحميد المدرس بكلية الشريعة من أكتوبر سنة ١٩٥٦ إلى سبتمبر سنة ١٩٥٧ ، فى فترة انقطاع العلاقات بين مصر وانجلترا بسبب العدوان الثلاثى ، وقد تريثت مشيخة الأزهر فى تعيين خلف له حتى يتهيأ الجو الملائم ، وقد وقع اختيارها أخيرا على الأستاذ الشيخ سليمان سيد أحمد دنيا ، لشغل هذا المنصب .

حصوننا مهددة من داخلها

فى الجامعة العربية

— ٣ —

تقوم اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية على ترجمة عدد من الكتب الأوربية والأمريكية إلى العربية وتنفق على طبعها ونشرها . فما هى الصفات والمميزات التى تتوخاها اللجنة فيما تختاره للترجمة من هذه الكتب ؟ لاشك فى أن الميزة التى ينبغى أن تراعى فى اختيار هذه الكتب هى مصلحة العرب . وذلك باستكمال ما ينقصهم وتدارك مافاتهم مما سبق إليه غيرهم ، فكان سبقه فيه سبب تفوقه وسيادته ، وكان تخلفنا فيه سبب ضعفنا واستعبادنا . ولا شك فى أن العرب أنفسهم هم أقدر الناس على إدراك ما يصلحهم وهم أحرص الناس عليه . فليس من المعقول مثلا أن نكل أمر هذا الاختيار إلى إحدى دول الاستعباد الغربى مثل أمريكا أو انجلترا أو فرنسا أو أسبانيا أو هولندا أو بلجيكا ، ثم نطمع أن يرشد خبراؤهم العرب مخلصين إلى ما ينفعهم ، وما يترتب عليه استغناؤهم عن خبرائهم ، واستقلالهم باستغلال خيراتهم ، وخراب ما يعيث فى بلادهم من شركات ، وبوار ما يروج فى أسواقهم من المنتجات الصناعية على اختلافها ، وانقطاع ما تنتفخ به جيوبهم وبطونهم من بترول هذه البلاد وخيراتها المعدنية والزراعية .

ومن الواضح أنى حين أتكلم عن الغرب أعنى الغرب كله ، غربيه وشرقيه . الذين استغلونا واستعبدونا فى الأمس الغابر ولا يزالون ، والذين يطمعون فى استغلالنا واستعبادنا فى الغد القريب أو البعيد ، الذين يغزون أسواقنا والذين يغزون عقائدنا . من الواضح أنهم جميعا سواء ، وإنما يبدو حديثى فى معظمه موجها إلى فريق منهم دون فريق ؛ لأن ذلك الفريق — والمقصود به هو المعسكر الأمريكى وحلفاؤه من الانجليز والفرنسيين خاصة — يمثل الخطر الراهن الماثل ، ولأن عملاء هذا المعسكر هم أقدم سماسرة وأعرقهم فى هذه الحرفة الدنيئة ، وقد رشحهم هذا القدم وهذه العراقة — بعون سادتهم وتضامن عصابتهم — لاحتلال كثير من المراكز الخطيرة فى حصوننا . ونحن حين نوجه النظر إلى الخطر الراهن

المسائل لا ينبغى أن نغفل عن الخطر المتربص الذى يتحين الفرص . وهذا الخطر المتربص سماسرة من نوع آخر لا أحتاج لأن أكشف القناع عن وجوههم لأنهم غير مقنعين .

ونعود لما كنا فيه فنقول : إن من غير المعقول أن تخلص دولة من دول الاستعباد فيما تنصح به للعرب من اختيار النافع من الكتب ، الذى يؤدى إلى نهضة حقيقية . وليس من الإنصاف أن نؤاخذهم على التقصير فى ذلك أو الغش فيه ، فلا ينبغى أن نتوقع منهم أن يخربوا بيوتهم بأيديهم ، وأن يضعوا رقابهم فى حبال المشانق طائعين مختارين . العرب وحدهم هم الأمناء على مصالحهم ، لا يصلح للقيام عليها سواهم ولا يؤتمن على هذه الأمانة غيرهم . فاختيار الكتب التى نترجمها إلى العربية يجب أن يوكل إلى علماء العرب وحدهم . تلك كلها من المسلمات التى لم أكن أحتاج لأن أفصل القول فيها ، لولا أن هذا الذى يبدو فى عقول كل الناس من الحقائق الواضحة التى تبلغ درجة المسلمات لم يكن يبدو كذلك فى عقول المشرفين على التوجيه الثقافى لجامعة الدول العربية . هل يعقل عاقل منصف أن يلجأ العرب إلى السفارة الأمريكية مثلا لتختار لهم من الكتب ما تراه نافعا للعرب ومحققا لنهضتهم ، ومعينا على طرد اليهود وإجلائهم ، وتصفية شركات البترول وخرابها ؟ لقد فعلت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ذلك ! استوحت السفارة الأمريكية فى بعض ما اختارته مما ترجمته ، واستوحت اليونسكو فى بعضه الآخر . وهى نفسها تعترف بذلك حيث تقول فى نشرتها الثقافية التى عرضت فيها نشاطها بين سنتى ١٩٤٦، ١٩٥٦ : (كذلك اتفقت الإدارة الثقافية بعد موافقة المكتب الدائم على أن تتولى نشر بعض الكتب العامة المترجمة بمعرفة القسم الثقافى بالسفارة الأمريكية . وقد قدمت فعلا إلى الطبع على هذا الأساس أصول كتاب مترجم إلى العربية ، ويشتمل على مقالات للكاتب الأمريكى الكبير إيمرسون – ص ٢٥ [١]) . وتقول كذلك : (اتصلت الإدارة الثقافية ببعض الهيئات العالمية المختصة [٢] وحصلت منها على كشوف بأسماء الكتب التى تراها تلك الهيئات

---

[١] طبعت اللجنة بعد ذلك كتابين آخرين مما أوحت به السفارة الأمريكية . وهما (الثقافة والحرية) لجون ديدى ، الذى أفسد المتأمركون تربية شبابنا باسمه ، و (انتصار الحضارة) لبرستد الذى أوفده للأبوتير اليهودى للتبشير تحت النصرانية ووكفلر فى سنة ١٩٢٦ ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يعين على سلخ مصر من عروبتها .

[٢] المقصود بها هيئة اليونسكو التى يسيطر عليها – كما هو الشأن فى أكثر مؤسسات الأمم المتحدة – الصهيونية العالمية الهدامة .

داخلة فى إطار هذا البرنامج) . وسوف أعرض فى هذا المقال نموذجين من هذه السموم التى تدس على العرب باسم جامعتهم فى كتابين ، أحدهما مما أوحت به السفارة الأمريكية وهو (مختارات من إمرسون) ، والآخر مما أوصت به اليونسكو وهو (قصة الحضارة) لول ديورانت . وقبل أن أتناول هذين الكتابين أحب أن أؤكد لجامعة الدول العربية ولجنتها الثقافية الموقرة التى يرأسها طه حسين أن العرب لم يغلبوا من ضعف فى الفلسفة ولا الآداب ولا التاريخ . ولكنهم غلبوا وضربت عليهم الذلة لأنهم متخلفون فى العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية ، النظرية منها والتطبيقية . غلبوا لأنهم لا يملكون من المصانع ومن أدوات القتال ما يناهضون به عدوهم وما يتحررون به من سجنه الاقتصادي ، الذى يسخرهم فيه لجمع الثروات له كما يسخر العبيد ثم يحاربهم بهذه الثروات نفسها ، ويشترى بها من رجالهم من يقوم على حراسة هذا السجن الكبير ، فيقيم فيه معبدا يسبح كهنته بحمد آلهتهم التى يعبدونها من دون الله ، وينكل بالذين ينبهون النائمين والغافلين والمخدوعين إن كان صاحب سلطان ، أو يطاردهم بالإشاعات الكاذبة والأضاليل الباطلة حتى يلبس على الناس أمرهم ويجعلهم موضع السخرية والاستهزاء .

إن الجماعات البشرية فى الدول والحكومات ، والجيوش فى ميادين القتال ، والفرق الرياضية فى الساحات ، تميز نفسها بمختلف الشارات ، فتتخذ الأعلام والأناشيد وأنماط الأزياء والعلامات والأشعرة ، تفعل ذلك لتميز نفسها من غيرها فلا تضل فى الزحام ، ولا تذوب عند الاختلاط ، ولا تحل رابطتها عند المصادمة والنزال .

وللعرب طابع يميزهم ، ولهم شخصية قد ضلوا عنها فى عصور الضعف والخمول وأضلهم عنها المستعبدون وأذنابهم . ولن تتحقق لهم نهضة إلا إذا أحيوا هذه الشخصية ، وتمسكوا بمقدماتها ، وتعصبوا لرموزها وشاراتها ، وميزوا أنفسهم بطابعهم الخاص . وسيظلون بغير ذلك أذنابا للمستعبدين ينقادون ولا يقودون ، وأبواقا ينشرون ما يلقى إليهم من قول ويرددونه فى الأجواء ، لا يزيد عملهم فيه عن مجرد تضخيمه . ذلك لأنهم لا يبتكرون حتى يحسوا فى أنفسهم القدرة على الابتكار ، وحتى يكونوا جميعا متماسكين فيتولد من اجتماعهم وتماسكهم قوة . وهم لا يحسون القدرة على الابتكار إلا إذا استيقنوا أنهم عريقون فى هذا الباب . ولا يجتمعون ويتماسكون إلا إذا عرفوا خصائصهم الأصيلة التى تمنعهم من أن يذوبوا فى غيرهم فتذهب قواهم شعاعا وتتفرق بددا .

لا يبلغ العرب درجة الأستاذية فى هـذه العلوم الجديدة التى أذلهم عـدوهم بتفوقه عليهم فيها إلا إذا أصبحت هذه العلوم ملكا لهم . وهم لا يملكون هذه العلوم ولا يحسون أنها علوم عربية إلا إذا قرءوها بالعربية وكتبوها بالعربية . وسيظلون يحسون أنهم غرباء عليها وأنهم متطفلون على أصحابها طالما ظـلوا يقرءونها و يكتبونها بغير لغتهم .

ولـكن اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وعلى رأسها طـه حسين الذى تشهد كتبه أنه لم يكن إلابوقا من أبواق الغرب ، وواحدا من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الـكبير ، يروج لثقافاته و يعظمها ، و يؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديهم . طه حسين الذى لم يمل من الـكلام عن جامعة البحر الأبيض المتوسط ، التى دعت إليها فرنسا بالأمس والتى تدعو إليها أمريكا اليوم . طه حسين الذى زعم لمصر أنها جزء من البحر الأبيض المتوسط فى مقومات شخصيتها ، وليست جزءا من عرب نجد واليمن والبحرين والعراق والسودان . طه حسين الذى لم يبد العرب فى وحدة أمة ، لأن قوام الدول فى زعمه هو المنافع المـادية ، ولأن (تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول [١]) . طه حسين هذا لا يقر معنا هذه الحقيقة ، لأنه يزعم للعرب أن السبيل إلى نهضتهم ليس هو ترجمة العلوم ، ولـكن السبيل إلى نهضتهم أن يذوبوا فى الغرب ، وأن يخلعوا من أنسابهم و يقلعوا من تربتهم ليغرسوا فى تربة الغرب ، ولذلك فهو يهلك أموالهم فى ترجمة شكسبير الذى ترجمت رواياته من قبل أكثر من مرة ليحابى بها بطـانته وحزبه فيغدق عليهم ممـا تحت يده ، بل هو يهلك أموالهم فى ترجمة ما لعن به أجدادهم ، وما سب فيه أسلافهم ، وسفه دينهم ، وافترى على نبيهم .

ولو أنصف طه حسين ، ولو أنصف كل القائمين على الترجمة فى هذا البلد من مثل إدارة الثقافة بوزارة التربية ومجلس الآداب وغيرهما ، لجعلوا كل همهم مصروفا إلى نقل العلوم التجريبية والرياضية وحدها لا يشتغلون بترجمة غيرها حتى نستكمل نقصنا فيها ؛ لأن الاشتغال بنقل كتب الأدب والفلسفة والتـاريخ والتربية والأخلاق وما شاءوا من

[١] مستقبل الثقافة فى مصر ص ١٩ . ويراجع فى بسطه الفكرة كلها الفقرتان الثانية والثالثة ص ١٢ ــ ٢٠ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ .

الثقافات الإنسانية ، على هذا النحو الذي تسوده الفوضى وسوء الاختيار - بل سوء القصد في كثير من الأحيان - يضر مرتين ، يضر بإفساد أذواق شبابنا وتدمير كيانهم ، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحون غرباء بين قومهم ، ثم يصبح قومهم بعد قليل هم الغرباء بينهم حين يكثر عددهم ويكثف جمعهم ، ويضر مرة ثانية بتبديد الجهد والمال من غير وجهة وصرف العرب عن الطريق الصحيح إلى تحررهم ثم سيادتهم . ولو كان لى أن أقترح على اللجان الثقافية والهيئات الجامعية على اختلافها ، لاقترحت أن يبدءوا بترجمة كتب المراجع فى الطب والهندسة والعلوم والزراعة التى يدرسها طلاب الجامعات العربية . فهم بذلك يصيبون غرضين : إنهم ييسرون سبل العلم للطلبة العرب ويخففون عن آبائهم بعض الأعباء ، بإغنائهم عن الطبعات الأوربية الباهظة الثمن ، والتى لا يتيسر وجودها فى كثير من الأحيان ، لأن أصحابها يستطيعون أن يمنعوا تصديرها إلينا حين يشاءون . وهم فى الوقت نفسه يخطون بهذا العمل خطوة واسعة نحو تعريب هذه العلوم التى لا تزال تدرس فى جامعات مصر باللغة الانجليزية .

وقد كان أنصار اللهجات السوقية ودعاة تطوير العربية الفصحى فى قواعدها وأساليبها ومفرداتها ، من غربيين ومن عرب مستغربين ، كانوا ولا يزالون يستندون فى دعوتهم إلى ما يسميه بعضهم (ازدواجا) ، فيزعمون أننا نقرأ ونكتب بغير اللغة التى نتكلمها ، وذلك عندهم هو السبب فى تخلفنا العلمى والثقافى الذى يحول بيننا وبين التفوق والنبوغ . ومن عجب أن هؤلاء العباقرة قد اكتشفوا هذا العيب الخطير فى عربيتنا الفصحى وحدها ، ولم يكتشفوه فى الانجليزية أو الفرنسية ، فلم نسمع صوتا واحدا منهم ينبه إلى الازدواج الناشئ عن قراءة الجامعيين العرب - أساتذة وطلابا - وكتابتهم بالانجليزية أو بالفرنسية . فهل يرون الازدواج فى المراوحة بين السوقية والفصحى مع قرب ما بينهما ، ولا يرونه فى المراوحة بين الانجليزية والعربية أو الفرنسية والعربية مع بعد ما بينها وبينهما ؟ .

ولنعد من بعد إلى حديثنا عن الكتابين اللذين أشرت إليهما من قبل لأقول : إن جامعة الدول العربية حين استوحت السفارة الأمريكية فى أحدهما ، واستوحت اليونسكو فى الكتاب الآخر ، قد لجأت فى حقيقة الأمر إلى السفارة الأمريكية مرتين . لجأت مرة إلى السفارة الأمريكية التى ترفع فوق دارها العلم الأمريكى ، ثم لجأت مرة أخرى إلى السفارة الأمريكية التى ترفع علم الأمم المتحدة ، وإن شئنا الدقة قلنا : إنها لجأت

إلى اليهودية العالمية الهدامة فى الحالين ، لتختار لها أشد الكتب فتكا بالدين والأخلاق وأفعلها فى قتل الشخصية العربية ومحو مقوماتها وتدمير تفكيرها وتسميم ينابيع الثقافة فيها ، ومن أراد الدليل على صدق ما أقول فليرجع إلى الكتابين اللذين أشرت إليهما ، فسيجد فيهما الكيد للاسلام وللمسيحية ولكل دين صحيح ظاهرا وخفيا ، وسيجد أن اليهودية وحدها هى التى سلمت من كيد المؤلفين وبذاءتهما ، وسيجد الثناء على اليهودية واليهود تصريحا وتلميحا . يجد ذلك فى مثل إشارة إمرسون إلى يوم السبت الذى يسميه (يوم الدين) ويظهر الحزن والأسى لأنه (فقد الآن عند القس سناء الطبيعة ــ ص٧٧) ويجده فى مثل قوله (إنى لأتطلع إلى الساعة التى يتكلم فيها فى الغرب كل ذلك الجمال العلوى الذى افتتنت به أرواح أولئك الشرقيين ، وبخاصة أولئك العبريين الذين تحدث الأنبياء من خلال شفاههم لكل زمان .... وإنى لأتطلع إلى المعلم الجديد الذى يتابع هذه القوانين المشرقة ــ ص ٩٠) . ويجده كذلك فى عرض ول ديورانت لتاريخ اليهود عرضا جذابا مشربا بالعطف والمحاباة فى الجزء الثانى من هذه الترجمة التى أتناولها بالحديث (ص ٣٢١ وما بعدها) ، وفى اعتماد المؤلف الشديد على المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، وعرضه تاريخ اليهود من زوايا تثير العطف والإعجاب فى كل مكان من الكتاب [١] ، وذلك فى مقابل ما يصبه ول ديورانت من التهم البذيئة على شخصى محمد والمسيح الكريمين عليهما صلوات الله وسلامه فى الجزءين الحادى عشر والثالث عشر من هذه الترجمة ، وفى مقابل تهكم إمرسون اللاذع وسخريته المرة بالمسيحية وبرجالها وطقوسها . ألا يذكرنا ذلك كله بالتهم البذيئة الموجهة إلى شخصى المسيح عليه السلام وأمه رضى الله عنها فى التلمود الذى يقدسه اليهود أكثر من تقديسهم للتوراة ؟ ثم ألا يذكرنا كذلك بالمادة الخامسة من خطة الصهيونية السرية التى عرفت فيما بعد باسم (بروتوكول حكماء صهيون) حيث تحدث عن (حكم الجماهير والأفراد من طريق عبارات ونظريات وقواعد للحياة معدة إعدادا ماهرا وعن طريق شتى أنواع الخدع والحيل) ، ثم تقول بعد قليل : (وبقدر ما نعلم فان المجتمع الوحيد الذى يستطيع الوقوف فى وجهنا فى مضمار هذا العلم هو مجتمع اليسوعيين ، إلا أننا قد توصلنا إلى الحط من قدرهم فى

---

[١] تراجع أمثلة لذلك فى صفحات ١٣ ، ١٤ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ من الجزء الحادى عشر [الجزء الثالث من المجلد الثالث] .

نظر الجماهير الحمقاء بتوكيدنا لهم أنهم منظمة زائلة ، بينما وقفنا نحن وراء الكواليس وحرصنا على أن تبقى منظمتنا مستترة خفية [١) .

يهدم إمرسون الدين والتدين من جذوره تحت ستار الدعوة إلى الحرية وإلى استقلال الشخصية . وأما ول ديورانت فهو يهدمه عن طريق تجريح الرسل الأطهار وإثارة الغبار حول سيرهم . على أن الكاتبين كليهما يشتركان في هدم النبوات وإنزال الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه إلى مرتبة الفلاسفة والكتاب والمصلحين .

يستدرج إمرسون السذج من القراء وضعاف الإيمان بالثناء على موسى وعيسى عليهما السلام ، ولكنه يزعم لهم أن الدين يتجدد دائماً ، وأن الأنبياء كانوا ولا يزالون . (ص ٦٩ ، ٧٠) . ولذلك فهو يسمى المسيحية التي أنزلت على المسيح عليه السلام (المسيحية التاريخية ـ ص ٧١) ، ويعد فيما يعدده من أخطائها أنها تهتم بشخص المسيح اهتماما مبالغا فيه ، وأنها تبالغ كذلك في الاهتمام بالطقوس دون جوهر الروح . ومن أجل ذلك صار الناس في زعمه (يتحدثون عن الوحي كأنه قد أوحى به وانتهى من عهد قديم ، كأن الله قد مات ـ ص ٧١ إلى ٧٤) . ولا يزال هذا الصهيوني الهدام يستدرج قارئه حتى ينتهي به إلى النتيجة الخطيرة التي يريد أن يسوقه إليها ، وهي هدم كل الديانات ، باعتبار الوحي ظاهرة مألوفة تتكرر في كل زمان ومكان ، وذلك حين يقول : (ومن واجبي أن أقول لكم إن الحاجة إلى إلهام جديد لم تكن في أي وقت من الأوقات أشد مما هي الآن ـ ص ٧٥) ، وحين يقول بعد ذلك : (إن جمود الدين ، والزعم أن عصر الإلهام قد ولى ، وأن الإنجيل قد استغلق ، والخوف من الحط من شخصية المسيح بتمثيله في صورة رجل ، كل ذلك يدل في وضوح كاف على خطأ علمنا بالدين . وواجب المعلم الصادق أن يرينا أن الله كائن اليوم ، لا كان فيما مضى ، وأنه يتكلم لا تكلم

---

[١] الترجمة العربية ص ٤٦ ـ ٤٧ من طبعة « كتب سياسية » ـ العدد الخامس . ويجب أن يتنبه المسلمون إلى أن الأساليب التي استخدمتها الصهيونية في هدم المسيحية ومحو سلطانها وسلطان رجال الكنيسة من قلوب المسيحيين هي نفسها التي تتخذها الصهيونية الآن لمحاربة الاسلام وإفساد دين تابعيهم وجماهيرهم وإضعاف سلطان الاسلام على نفوس عامتهم . ويقوم هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة ، والمنافقين المتملقين لسلطان وظائفهم تارة أخرى ، وبإثارة الشاكل الوهمية حول قواعد الاسلام وأحكامه ليوهموا ضحاياهم أنها لم تعد كافية لسد حاجات المجتمع الحديث .

وانتهى ـ ص ٨٣) . ما الفرق بين كلام هـذا الرجل وبين كلام القسيس الأمريكى ميلر بروز فى الكتاب الذى نشرته مؤسسة فرانكلين باسم « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » ؟ وما الفرق بينه وبين كلام القسيس الأمريكى الآخر هارولد سمث فى ذلك الكتاب نفسه (ص ٤٧ ، ٧٤) ؟ ألا ترى أن واردات أمريكا تهدف جميعا إلى زعزعة إيمان الناس بدياناتهم ، وجعل المسلمين فى هـذه المنطقة مسلمين بأسمائهم وألقابهم وشهادات ميلادهم ، لا يزيدون عن ذلك ولا يتجاوزونه ؟ هذا هو الهدف الهدام الذى تخفيه أردية الكهنوت السوداء ـ وإمرسون أحد أصحاب هذه الأردية . فهو ينتمى إلى أسرة يحترف كثير من أفرادها الكهنوت ، وقد تخرج هو نفسه فى مدرسة هارفارد الدينية سنة ٨٢٩ ، وبدأ حياته راعيا لكنيسة كان أبوه يقوم بالوعظ فيها ، ثم طردته الكنيسة لما شاع إلحاده . وما ينبغى لهذه الأردية السوداء أن تخدع الناس عن حقيقة الذين يلبسونها . إنهم مدسوسون على القسس ، دستهم عليهم الصهيونية العالمية الهدامة .

ومن وجد فى هـذه الحقيقة شيئا من الغرابة فليقرأ الرسالة التى بعث بها كبير حاخامى اليهود فى القسطنطينية إلى يهود فرنسا سنه ١٤٨٩ حين تعرضوا لاضطهاد لويس الثانى عشر . فقد قال لهم : (إنكم تذكرون أن ملك فرنسا يريد أن تصبحوا مسيحيين فعليكم إذن أن تفعلوا ... إنكم تذكرون أنهم يريدون الاستيلاء على ممتلكاتكم ، فاجعلوا من أبنائكم تجارا ، وبواسطة التهريب تستطيعون شيئا فشيئا الاستيلاء على ممتلكاتهم ، إنكم تشكون من أنهم يحاولون اغتيالكم ، فاجعلوا من أبنائكم أطباء وصيادلة ، حتى يتمكنوا من القضاء على حياتهم دون أن يخشوا عقابا . إنكم تؤكدون أنهم يهدمون معابدكم ، فحاولوا أن تجعلوا من أبنائكم كهنة ، ورجال دين ، لكى يدمروا كنائسهم .... الخ) [١] .

يقرن هذا الصهيونى الهدام رسالات الأنبياء فى كل موضع من كتابه بآراء الفلاسفة والكتاب وبأصحاب المذاهب الضالة الفاسدة فى بعض الأحيان ـ مثل ما جاء فى صفحات ٨٤ ، ١٢٨ ، ١٥٧ ـ فهى فى زعمه ليست منزلة من عندالله ، ولكنها نابعة من عقولهم بعد أن تحرروا من أسر الآراء السائدة فى عصرهم . ولذلك فهو يحض على الاقتداء بهم ـ حسب تصويره المزعوم لهم ـ فى الخروج على كل ما هو موقر ومقدس مما تقرره التقاليد وتقدسه الأديان . وذلك هو ما يسميه ذلك الهدام بالحرية وباستقلال الشخصية .

---

[١] راجع « عدو فرنسا رقم ١ » ص ١٣ ـ العدد ١٩ من سلسلة « كتب سياسية »

والحرية أو استقلال الشخصية التى يدعو إليها هذا الهدام هى حرية تقوم على الغلو المفرط فى الفردية ، ويستطيع القارئ أن يلمس بوضوح فى كل مقالات الكتاب أن وراء كل سطورها إسرافا فى تقدير الفرد والفردية والحرية الشخصية فى السلوك وفى التعبير عن الرأى ، ينتهى إلى أن يسمح كل إنسان لنفسه بأن يبنى عالما مستقلا به من القيم لا يستوحى فيه غير خياله وأوهامه . مثل هـذا الكلام لا يصدر إلا من هدام محترف ؛ لأنه يقتل الروح الجماعية التى هى أساس فى كل تماسك اجتماعى ، والتى أدى فقدانها إلى ما يعانيه الناس الآن من فوضى واضطراب . فلو سمح لكل فرد من الناس أن يبنى لنفسه عالما مستقلا من القيم لأصبحت مقاييس الخير والشر مقاييس فردية ، فلا يكون هناك شر هو عند كل الناس شر ، ولا يكون هناك خير هو عند كل الناس خير . وعندئذ لا يصبح هناك مجتمع ، ولا يكون هناك إلا الفوضى والخراب .

والأمثلة على هذه الدعوة الهدامة التى هى بمكان اللب من هذه المقالات التى ترجمتها الجامعة العربية بمشورة السفارة الأمريكية تملأ الكتاب ، أستطيع أن أقدم بعض نماذج منها على سبيل التوضيح لا الحصر .

وإلى اللقاء فى الجزء الآتى إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث
بجامعة الإسكندرية

هى من عند الله

قال المؤرخ البريطانى الشهير مستر ولز :

« إن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو الذى استطاع فى مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وأن يقلب التاريخ رأسا على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنا لها ، واشتهرت بالشجاعة ، ورباطة الجأش ، والأخذ بالثأر ، واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها . فمن الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هى من عند الله ؟ . . . . » .

المسئولية فى الاسلام

— ٤ —

تحدثت فى مقال سابق عن مسئولية النساء عن بيوت أزواجهن ، وذكرت أن من هذه المسئولية رعاية المرأة لمال زوجها وحسن تعهدها وعدم إسرافها فيه ، وكأنى ببعض النساء يقلن : وماذا تفعل المرأة إذا ابتليت برجل شحيح يقتر عليها وعلى أولادها فى النفقة ، أتمد يدها إلى الغير ، أم ماذا تصنع ؟ وإنى أقول لهؤلاء : إن الشريعة السمحة ، قد جعلت لكن مخرجا ، وهو أن تأخذ المرأة من مال زوجها المقتر بغير إذنه ما يكفيها وبنيها بالمعروف شرعا وعرفا بغير إسراف ولا تبذير . والأصل فى هذا ما رواه البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها : « أن هندا بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى ، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم » فقال : خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

ومسألة أخرى تهم النساء اللاتى يصدرن فى تصرفاتهن عن الدين والشريعة وهى : هل للمرأة أن تتصدق من طعام بيتها ومال زوجها أو تعير بعض متاعه بغير إذنه ؟ والجواب أن ما جرت العادة بتسامح الزوج فى التصدق به وإعارته فلا ضير على الزوجة فى التصدق به أو إعارته ، وذلك كالرغيف والإدام والقدر والملح والصحاف وما شابه ذلك ، بل هى مأجورة على ذلك ، ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فلها أجرها بما أنفقت ، ولزوج بما اكتسب ، وللخازن مثل ذلك » . وأما ما جرت العادة بعدم التسامح فيه ، فليس للزوجة أن تتصرف فيه إلا بإذن الزوج ورضاه ، وإلا كانت الزوجة بتصرفها متسببة فى تعكير الحياة الزوجية الصافية .

ومن المسئوليات التى جعلها الله أمانة فى أعناق النساء ، رعاية الأولاد وحسن القيام على تربيتهن تربية دينية ودنيوية صحيحة ليس فيها جناية على الدين ولا هدم للأخلاق ؛ والزوجة أقدر من الرجل بحكم ملازمتها الطويلة لبنيها ـ على حسن التوجيه ، فلتحرص

أيتها النساء أن لا يرى منكن الأولاد إلا كل حسن ، وأن لا يسمعوا إلا كل خير ، فتعففن عن الألفاظ النابية وتجنبن ما استطعتن النزاع أو الشجار مع الأزواج أمام الأولاد حتى لا يتطبعوا على هذا الخلق المشين من الصغر وينشأوا على هذا اللون المزرى من المعاملة .

وشىء آخر أحب أن أنبهك إليه أيتها المرأة المسلمة العاقلة ، وهو رعاية حقوق أهل الزوج وإكرامهم ولا سيما الحماة ـ أم الزوج ـ فلولاها ـ بعد الله ـ لما كان الزوج ، وبسبب عنايتها ورعايتها لزوجك تمتعت به وبأنعمه ، وقد أضحى الخلاف بين الزوجة والحماة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة ، وطالما قوض أسرا وبيوتا ، وليس من خلق الإسلام وسماحته أن تستأثر الزوجة بزوجها دون أهله وذوى رحمه ، فلتفرضى نفسك حماة ، وعاملى حماتك بما تحبين أن تعاملى به أن لو كنت حماة .

مسئولية الخدم :

ومن المسئوليات التى تكفل بها الحديث الشريف مسئولية الخادم عن مال سيده وأهله وولده ، وسواء أكان الخادم ذكرا أم أنثى ، فعليه أن يراقب الله فى مال سيده ومخدومه فلا يخونه ولا يضيعه ولا يسرف فيما وكل إليه الإنفاق منه . ومثل مال السيد والمخدوم فى وجوب الحفظ والرعاية ، أهله وولده بأن ينزلهم من نفسه منزلة محارمه فلا يمد إليهم طرفا ، ولا يكشف لهم ستر، ولا يفشى لسيده ولا لهم سرا ، ولا يطارق لهم مبيتا بغير استئذان أوقات نومهم وراحتهم ، والخادم الأمين إذا أدى حق الله وحق سيده كان له أجران : أجر القيام بحقوق الله ، وأجر القيام بحقوق السيد .

وأهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الخادم العفة والأمانة والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وقد خدم السيد الجليل أنس بن مالك رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كذب ولا غش ولا خان ولا نكث بالعهد ولا أفشى لرسول الله ولا لأهل بيته سرا . روى مسلم فى صحيحه عن أنس قال : أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الصبيان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجته فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك؟ فقلت بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت : لا تخبرن بسر رسول الله أحدا ، وعسى أن يكون فى هذه القصة عبرة وعظة لهؤلاء الذين يفشون أسرار البيوت والأسر ولا يراعون فى هذا إلا ولا ذمة .

ولعل مما يجب أن يعرف فى هذا المقام أن الخادم إذا كان ذكرا وبلغ الحلم أو راهق فلا يحل له أن يرى من زوجة سيده وبناته إلا ما يراه الأجنبى منهن ، فلا يرى غير الوجه والكفين والقدمين ، ولا يحل للزوجة وبناتها أن يظهرن له غير هذه الثلاثة . وكذلك لا يجوز للخادمة أن تظهر لمخدومها أو لأولاده الذكور البالغين شيئا من محاسنها وجسمها غير هذه الثلاثة . وإلا وقعت فتنة فى البيوت وفساد كبير مما تنزه القلم من الخوض فيه ، وقد كفانا مؤنة الخوض فى هذا ما تنشره بعض الصحف والمجلات من مهازل ومآسى فى هذا المنزلق الخطير ، وإنا لنربأ ببيت إسلامى أن تجرى فيه هذه المآسى فى غفلة من الرجل أو الزوجة ، ونرجو أن يفتح راعى البيت وراعيته عينيهما لكل ما يجرى فى البيت ، وإلا عضا بنان الندم حيث لا ينفع الندم . وبحسبنا هذه الإشارة ، ورب إشارة أبلغ من عبارة .

حق الخادم على مخدومه :

وقد جعل الإسلام للخادمين على المخدومين حقوقا ، وأوصى بهم الرسول خيرا مما لم تعهده فى تشريع من التشريعات حتى المستحدثة منها . وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إخوانكم خولكم — أى خدمكم — جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » . وقد ضرب رسول الله فى هذا مثلا عاليا ، فقد كان يجالس الخادم ويؤاكله ويعينه على عمله ولا يكلفه ما يشق عليه . وهذا هو أنس يقول : « خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لشىء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشىء لم أفعله لم لم تفعله ؟ » ويوصى رسول الله الناس بالخدم وصاة مبنية على علم بالنفوس وخبرة بها فيقول : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليطعمه لقمة أو لقمتين ، فإنه ولى علاجه » فلا تعجب إذا كان الكثيرون من الصحابة كانوا يطعمون مماليكهم وخدمهم مما يأكلون ويلبسونهم مما يلبسون ، حتى لقد رؤى أبو ذر رضى الله عنه عليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها . ولا تعجب أيضا إذا كان الخدم كانوا على غاية من العفة وكرم النفس والإخلاص ، وكتم الأسرار والأمانة الفائقة وإن نظروا إلى السيد وأهله نظرهم إلى الوالد والأهل » .

مسئوليات أخرى :

ولئن كان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر فى هذا الحديث الكريم أربع مسئوليات فليس

ذلك على سبيل الاستقصاء ، وإنما هو من قبيل الاقتصار على ذكر أعظم المسئوليات وأولاها بصلاح الأمم والأسر ، وليس أدل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم ختم الحديث بهذه الكلمة الجامعة : « ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . فالمعلم راع على من تحت يده من التلاميذ فى تثقيفهم وتكوينهم تكوينا سليما صحيحا ، وإعدادهم لحمل الأمانة فى غدهم ، وهو مسئول أمام الله وأمام ضميره وأمام الإمام الأكبر ، والزارع فى فى مزرعته راع على ما تحت يده من عيال وزروع وضروع ، وهو مسئول عنها وعن إحسان التصرف فيها وأداء حقوق الله وحقوق الناس فيها . والصانع فى مصنعه راع على من تحت يده من صناع وصناعات وهو مسئول عنها أأتقن الصناعة أم زيفها ؟ وهل قام بما يجب عليه نحو وطنه من إعداد العدة للأعداء والاستعداد ليوم الجهاد والكفاح ؟ والتاجر راع على تجارته فى حسن تصريفها والعمل على حفظها من التلف والقذر ومسئول عنها ، أصدق فى القول وأدى الحقوق ووفى بالعهود أم كذب وغش وخان واكتسب الأموال من طرق الحرام ؟ فلم ينزه أمواله عن المعاملات الربوية ، ولم يطهر نفسه من الشره والطمع والجشع والاحتكار ، وهكذا دواليك حتى تأتى على كل الرعايات .

وبعد فلعلك — يا أخى القارئ الكريم — آمنت معى أن هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وأن الشريعة الإسلامية ليست عبادات فحسب ، وإنما هى لكل شئون الدين والدنيا ، وأنها لم تدع شأنا من شئون الحياة جليلها وصغيرها إلا نصت عليه أو نبهت إليه ، وأننا — معاشر المسلمين — ما أوتينا إلا من جهة التفريط فيها وعدم العمل والحكم بها ، وصدق الرسول الكريم حيث يقول : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنتى » ؟؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

اللغة العربية فى النمسا

نظم المكتب الثقافى للجمهورية المتحدة فى ڤينا دروسا فى تعليم اللغة العربية للنمسويين الراغبين فى تعلمها . وقد قررت وزارة التربية والتعليم تيسير مهمة المكتب الثقافى العربى وتزويده بمجموعات كبيرة من الكتب اللازمة لهذه الدراسة .

عقائد اليوم الآخر

كما قررها الاسلام

كانت الأمم قد ضلت فى عقائد اليوم الآخر ضلالا بعيدا ، وسلكت فى ذلك مسلكين من مسالك الضلال والانحراف :

أحدهما : إنكار البعث والحساب والجزاء ، كما قال تعالى : « وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » . وهــذا هو مسلك الأمم التى عتت عن أمر ربها ورسله ، وقد تابعهم على ذلك الإنكار كثير من مشركى العرب .

وثانيهما : بناء الجزاء الأخروى على الأمانى والأوهام ، لا على الإيمــان الصادق والعمل الصالح ، وهــذا هو مسلك الأمم التى كان عندها أصل الإيمــان باليوم الآخر ، غير أن هذا الإيمــان ذهبت بحقيقته جناية التحريف والتبديل ، وطــاحت بثمرته ظلمة الجهل وآفــة الهوى ، فصارت قلوبهم أسود من الليل البهيم ، وأعمالهم أسوأ من الريح العقيم ، هكذا كان ضلال الأمم فى عقائد البعث والجزاء ، وقد بقى هــذا الضلال ذائعا بينهم ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحــه ، فــكشف عن الهوة العميقة التى تردى فيها المنــكرون والمرتابون ، والمجاهل السحيقة التى هوى إليها المحرفون والمبدلون ، وأعاد عقائد البعث والحساب والجزاء ، إلى حقائقها التى جاء بهــا النبيون من قبل ، ووضح معالمها بتقرير الأصول الآتية :

الأصل الأول : أن الحياة لا دوام لهــا ولا بقاء ، وأن عوالمها وأنظمتها مقضى عليها بالزوال والفناء، وقد قرر القرآن هذا الأصل فى آيات كثيرة ، تارة ببيان هذا القضاء المكتوب والمصير المحتوم ، كما فى قوله تعالى : « ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو ، كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحــكم وإليه ترجعون » ، « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » .

وتارة يضرب الأمثال لحال الحياة الدنيا فى اضمحلالها وزوالها ، وانتزاعها قوة واقتدارا من أيدى أهلها ، وقد اشتد طمعهم فيها وتعلقهم بها . واستحوذت عليهم بزهرتها وزينتها ، وحملهم الغرور على الظن بأنهم قادرون عليها ، كما فى قوله تعالى : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » . وتارة يتصوير زلزلة الساعة التى هى من مقدمات القيامة الكبرى ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » . فانظر كيف أظهر القرآن زلزلة القيامة فى هذه الصورة الرهيبة المروعة ، التى تذهب بالفكر فى مجال الترهيب والترويع كل مذهب ، وتأمل هول ما يغشى الناس فى ذلك اليوم العصيب ، من فزع تذهل له كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وذهول يجعل الناس سكارى وما هم بسكارى من الشراب ، ولكن شدة الرعب والفزع ، ملكت عليهم حواسهم ومشاعرهم ، فسلبتهم قوة التعقل والتفكير ، وجعلتهم فى ذهول عميق وشرود بعيد .

وتارة ببيان ما يحدث عند صعق الخلائق وهمود الحياة وخمودها ، من خراب العالم وانفراط عقد النظام الكونى ، كما فى قوله جل جلاله : « إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت » ، « إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت » ، « إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » .

الأصل الثانى : أن فناء العالم سيعقبه بعث الموتى من قبورهم ، وحسابهم على أعمالهم وأقوالهم ، وجزاؤهم عليها فى دار هى جنة أبدا أو نار أبدا ، وقد قرر القرآن هذا الأصل فى آيات كثيرة .

فتحدث عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، وجمع بين الإيمان به والإيمان بالله فى الترغيب والترهيب ، كقوله تعالى : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم

الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما » ، « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » لأن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، من شأنه أنه يعصم النفوس من الزيغ والانحراف ، ويكبح جماحها عن الإفراط فى متابعة الأهواء والشهوات ، ويحملها على فعل الحسنات واجتناب السيئات ، ويرغبها فى التزود ليوم الحساب بالصالحات الباقيات ، وتحدث عن البعث وأنه واقع لامحالة ، وساعته آتية لا ريب فيها ، تارة بالأخبار المؤكدة بالقسم وغيره ، كقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير » ، فهذا القسم القرآنى العظيم ، لا يدع فى الفطر السليمة مجالا للريبة والشك ، فإن من طبيعة البشر أنهم يقدسون القسم ويكبرون من شأنه ، ويعتبرونه من أقوى دلائل الحق والصدق ، ويحلون المقسم عليه من أنفسهم محل الإذعان واليقين ، وعلى هذا النهج من مكانة القسم وقداسته فى نفوس البشر ، جاء قول النابغة الذبيانى أحد شعراء الجاهلية فى قصيدته التى يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

وإذا كان القسم له هذه المنزلة من التقديس والتعظيم ، فكيف يكون شعور النفس بجلال المقسم ومبلغ دلالته على الصدق ، إذا كان المقسم إنما هو الصادق الأمين ، والمقسم به هو الله رب العالمين ، والمقسم عليه هو الحق الذى بعث الله به النبيين والمرسلين ؟ .

وتارة بلفت عقول المخاطبين إلى ما بين أيديهم من دلائل البعث ، كقوله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث ، فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » فانظر كيف بين الله لهؤلاء المرتابين فى البعث ، أنه تعالى خلقهم من تراب وذلك بخلق أصلهم وهو آدم أبو البشر ، ثم جعل خلقهم بعد ذلك من سلالة من ماء مهين وأجرى عليهم وهم فى بطون أمهاتهم أطوارا مختلفة من الخلق والتكوين ، كما قال تعالى فى آية أخرى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر

فتبارك الله أحسن الخالقين » ثم أجرى عليهم فى تنشئتهم أطوارا مختلفة كذلك ، من طفولة غضة ، وشباب مكتمل ، وكهولة حكيمة ، وشيخوخة مخرفة ، ولفت بهـذا البيان عقولهم وأفهامهم ، إلى أن الله الذى خلق من التراب إنسانا ناطقا ، و لذى أجرى عليهم هـذه الأطوار فى خلقهم وتنشئتهم ، قادر بالبداهة على إحيائهم وبعثهم من قبورهم ، فما البعث إلا طور يجرى عليهم ثانيا كما جرت عليهم هذه الأطوار أولا ، كما قال الله تعالى : فى سورة أخرى « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيي العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » ، ثم نقلهم بعد ذلك إلى دليل آخر من دلائل البعث ، وهـو أن الأرض تكون هامدة لا حياة ولا نمو فيها ، فإذا أنزل الله عليها الماء دبت الحياة فى أوصالها ونمت عناصر النماء فى ذراتها ، وأنبتت من أصناف النبات ما يسر الناظرين ، فالله الذى أحيا الأرض بعد همودها وموتها ، وأخرج الزروع والأشجار بعد كونها فى أصولها ، قادر بالبداهة على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم ، فما البعث إلا إحياء للعظام بعد همودها ، وإخراج للأشباح والصور بعد كونها .

ثم ثنى سبحانه على هذه الأدلة بذكر الحقائق التى تضمنتها ، ورتبها عليها ترتيب اللوازم على ملزوماتها ، وجلاها للأفهام فى روعة الحق وجلال الصدق ، كالثمار التى أينعت وحان قطافها ، فتتلقاها العقول الرشيدة بالقبول والتسليم ، وتعقد عليها القلوب السليمة عقد الإذعان واليقين ، فقال تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور » .

وتحدث عن الجزاء الأخروى فى آيات كثيرة ، فوصف الجنة ونعيمها ، وصور حياة السعداء فيها ، كقوله تعالى : « إن المتقين فى جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين » . وقوله عز شأنه : « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون » . ووصف النار وعذابها ، وصور حياة الأشقياء فيها ، كقوله تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ، يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا

فيها ، وذوقوا عذاب الحريق » . « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا » .

الأصل الثالث : أن البعث والحساب والجزاء ، شئون قضت بها الحكمة الإلهية والعدالة الربانية ، فان من حكمة الله فى أفعاله وعدله فى قضائه ، أن الإنسان لم يخلق فى هذه الحياة عبثا ، ولم يترك فيها سدى وهملا ، كما قال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم » ، « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » . فهذه الحياة الدنيا بأطوارها وأجيالها ، وخيرها وشرها ، ليست هى كل ما للوجود الإنسانى من حكم وأسرار ، وهذه الأجيال التى يطويها كر الغداة ومر العشى ، ليست هى الغاية التى لأجلها خلق الله الإنسان ، وهذا الموت الذى تنتهى به الآجال والأعمار ، ليس نهاية أبدية يترك الإنسان بعدها سدى ، لا يبعث ولا يحاسب ، ولا يجزى محسن باحسانه ، ولا مسىء باساءته ، ولا يقتص لمظلوم من ظالمه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، كما قال جل جلاله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون » ، « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » . وإنما خلق الله الإنسان ليكون خليفة فى الأرض ، يعمرها إلى أجل مسمى ، ويحمل فيها أمانة التكليف والابتلاء ، وتجرى عليه قوانين المسئولية والجزاء ، وأعد له فى معاده دار حساب وجزاء كما كانت الدنيا دار تكليف وابتلاء ، وقدر لكل من الخير والشر جزاء وفاقا ، يوفاه العامل على سنن العدل الإلهى ، يوم تعرض على الله الخلائق ، وتنكشف لهم فيه الحقائق ، يوم يقوم الروح والملائكة صفا صفا ، ويتجلى الله بالعظمة والجبروت ، وتعنو الوجوه للحى القيوم ، ولا شريك يومئذ يخطر بالبال ، ولا غفلة تحجب العقول عن رب العزة والجلال : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » ٤٠ : ١٦ — ١٧ » .

الأصل الرابع : أن حساب الخلائق يوم القيامة ، سيجرى بينهم على قواعد العدل الإلهى وترقبة كل نفس ما عملت ، وقد قرر القرآن هذا الأصل فى آيات كثيرة ، كما فى قول الله عز وجل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ، « وأشرقت الأرض بنور ربها ،

ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الأصل الخامس : أن الجزاء الأخروى ، مبنى على عقيدة الإنسان ونيته وعمله ، وأن الناس سواسية فى المسئولية أمام الله تعالى ، لا على الأمانى والأحساب والأنساب ، فكل إنسان مسئول عن عمله ، ويجزى بما قدم من خير أو شر ، كما قال تعالى : « كل امرئ بما كسب رهين » ، « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا يغنى أحد عن أحد شيئا ، ولا يحميه من المسئولية أمام الله حسب ولا نسب ، كما قال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » ، « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ، « فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ، « يا بنى هاشم لا يجيئنى الناس بأعمالهم وتجيئونى بالأنساب » ، « اعملى يا فاطمة ، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

بهذه الأصول الاعتقادية الحاسمة ، وبهذه الأساليب القرآنية الرائعة ، التى تصل بروعتها إلى أعماق النفوس وشغاف القلوب ، فتعطف بها القلوب النافرة ، وتلين بها العريكة المستعصية ، وتنقاد لها النفوس الشاردة ، قرر القرآن عقائد البعث والحساب والجزاء ، وجلاها للأفهام بيضاء ناصعة ، وأبطل إنكار المنكرين وارتياب المرتابين ، ونفى عنها تحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، وأقام الحجة البالغة على الناس أجمعين .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

على هامش مؤتمر أكرا :

افريقيـــــا اليوم

بمناسبة انعقاد مؤتمر الدول الإفريقية فى مدينة أكرا عاصمة غانه فى الأسبوع الثالث من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ لبحث الشؤون الخاصة بدول هذه القارة ، ومناصرة شعوبها المكافحة لاستخلاص حقوقها ، وتقرير مصيرها بنفسها ، والقضاء على الأعمال الوحشية التى يمثلها المستعمرون على مسرح الشعوب المستضعفة — أنقل إلى قراء مجلة الأزهر الغراء صورة تعبر عن رأى الغربيين فى قارة إفريقيا ، ونظرتهم السياسية والاجتماعية إليها ، وفى الدور الخطير الذى تقوم به مصر والجامعة الأزهرية فى سبيل تخليص هـذه الشعوب من نير المستعمر .

فقد نشرت جريدة منبر الأمم Tribune des Nations التى تصدر أسبوعيا فى باريس ، فى عددها الصادر فى ٢١ من مارس ١٩٥٨ مقالا للكاتب بيير كازيناف Pièrre Cazenave علق فيـه على الـكتاب الذى ألفه الدكتور أوجولا Aujoulat عن الـكنيسة الحية Eglise vivante وعقد فيـه فصلا بعنوان « إفريقيا اليوم » تحدث فيه المؤلف عن بدء استغلال الأجانب لها ، وعن تجارة الرقيق والجرائم التى ارتكبها الإنجليز ، الفرنسيون والهولنديون والأسبانيون والبرتغاليون فى هذا الـدول لصالح أمريكا ، وذكر أن الاستعمار فى طريقه إلى الزوال ، ونوه بمـا قام به الكاردينال لافيجرى Lavigerie من جهود فى إفريقيا . ثم تحدث عن التفرقة العنصرية خصوصا فى الجنوب ، وذكر أن السكان الأصليين يعيشون فى خارج المدن ، ويطبق عليهم نظام التفرقة فى المكاتب والسيارات وقاعات الاجتماع والأماكن العامة ، بل وفى الـكنائس أيضا ، ويفرض عليهم حمل جوازات مرور فى داخل البـلاد ، كما يحرم عليهم تكوين النقابات والتملك والشراء إلا فى حدود ضيقة ، وليس لهم تمثيل سياسى مناسب ، ولا يسمح لطلابهم بالالتحاق بالجامعات إلا بصعوبات كثيرة .

وبين المؤلف أن الكنيسة لم تقض على هذه النزعة بل إن رسالتها قائمة على هذا الأساس ، مما يؤيد أن غرضها استعمارى لا دينى ولا إنسانى ، وأشاد بالإسلام فى تقريره مبدأ المساواة بين الجميع ، الذى يتمثل فى اختلاط العرب بغيرهم من المواطنين فى شرق إفريقيا والسودان وغيرها ، وتكلم عن معركة الأديان فى كسب إفريقيا ، وما يقوم به الغرب لعدم التمكين للشيوعية فى هذه البلاد .

وقال عن الإسلام ماترجمته : —

« وفى مقابل ذلك يزداد نفوذ الإسلام فى إفريقيا شيئاً فشيئاً بدليل هذه الأرقام : ففى البلاد التى تحكمها فرنسا الآن يوجد المسلمون بالنسب الآتية ٩٩ ٪ من شعب موريتانيا ، ٧٩ ٪ فى السنغال ، ٧٠ ٪ فى غنيا ، ٧٢ ٪ فى النيجر ، ٦١ ٪ فى تشاد ، ٥٥ ٪ فى السودان ، ٢٠ ٪ فى ساحل العاج ، ١٧ ٪ فى الداهومى ، ١٩ ٪ فى الكمرون ، ٥ ٪ فى توجو ، ٣ ٪ فى أوبانجى ، ٥ ر ٪ فى جابون والكونغو . ويمثل المسلمون حينئذ أكثر من ١٣ مليونا من مجموع سكان المناطق الفرنسية وعددهم ٢٥ مليونا » .

وتحدث Aujaoulat عن أثر مصر والأزهر فى إفريقيا فقال : —

« إن هناك شعورا من الثورة والحماس يستولى على إفريقيا فى السنوات الأخيرة بتأثير القاهرة التى تعتبر مركز إشعاع ، وقد ضاعفت مصر جهودها لتربط بين المسلمين السود وبين بقية المسلمين فى إفريقيا والشرق ، وأصبحت مركزا فكريا وروحيا يفيد منه كل جزء فى المناطق السوداء بفضل العشرات والمئات من الطلاب السود الذين يفدون إلى الجامعة الأزهرية ، كما أن قضية السويس قد تأثر لها كثير من السود حتى المسيحيين منهم ، وجعلوا منها بشير أمل فى العود إلى حياة التحرر والاستقلال ، وكان القرار الذى اتخذه عبد الناصر للجهاد والكفاح ضد العدو نصرا له وللجميع القارة الإفريقية ، وهذا عمل ضخم يصدر عن القاهرة ، ويعتمد على كثير من بلاد إفريقيا الغربية ، وساحل الذهب ونيجريا يمكنهما بعد زمن وجيز أن يكونا منطقتى نفوذ كامل للقاهرة .

وحكومة ساحل الذهب ستقوم فيها جامعة عربية بمدينة أكرا التى عقد بها مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة ، وقد اعتزمت إنشاء عدد من المدارس العربية فى عاصمة غانا وفى داخل البلاد . والأزهر يخرج الآن كثيرا من المدرسين ، وتنفق مصر بسخاء بالغ على الطلاب الذين هم فى حاجة إلى إتمام دراساتهم » .

ويختم المؤلف حديثه بقوله « إن بعض المراقبين المهتمين بالشئون الإسلامية يحذرون من التيارات السياسية التى تتلق أوامرها من الشرق الأدنى ، وتنتقل من مكان إلى آخر باسم التضامن الإسلامى ، والمعارضة القوية القائمة فى شمالى نيجيريا التى يسكنها ١٢ مليونا من المسلمين ، ضد الوحدة الحقيقية الكاملة لنيجيريا تحمل فى طياتها الأدلة الواضحة من وراء الحدود .

ولكنهم يتساءلون فيقولون : إن الإسلام الذى نخشاه الآن ، والذى يزيده قوة وحماسا حوادث الجزائر وتوجيهات القاهرة ودمشق ، لا يبعث من جديد روح الكفاح التى حمل لواءها فى السنوات المائة الأخيرة أمثال الحاج عمر ومحمد الأمين وساموري ، وإن تأشيرات المرور التى يعطيها زعيم حزب الاستقلال علال الفاسى للشباب المراكشى ، الذى يتقبلها بغبطة وحماس ، كتصريح باستعمال حقهم فى اختراق حدود مراكش إلى سان لويس بالسنغال تسجل ضمن هذه القرائن والأمارات » .

ثم يعلق الكاتب على كلام المؤلف فيستبعد أن تفلت إفريقيا من قبضة الغربيين ، وذلك لوجود مستعمراتهم وموظفيهم وتعليمهم الفنى بها ، ولكنه يعود فينبه إلى خطر الدور الذى تقوم به الإرساليات والمسيحيون ، ويدعو إلى تقوية نفوذهم ، وإلا كانت الفرصة سانحة لأن يصبح هؤلاء مسلمين ، ويكونوا أداة طيعة فى يد عبد الناصر ، يستخدمها لصالحه فى هذه الأيام .

وبعد : إذا كان الغربيون يدعون إلى تقوية مراكزهم فى إفريقيا ، عن طريق الإرساليات التى انتشرت فى كل بقعة من القارة ، وعاش رجالها البيض فى المناطق الحارة والأجواء القاسية ، من أجل التمكين لسلطان الغرب فى هذه الأراضى الغنية بخيراتها ومواردها الطبيعية ، والممتازة بوضعها الجغراف والاستراتيجى ، فإننا نهيب بجميع المسلمين وكل ما يهمهم الأمر فى مصر وغيرها أن يضاعفوا جهودهم لكسب الرأى العام الإفريقى ، وضمان صلته بالإسلام والشرق مصدرى الحرية الحقيقية ، والرغبة الأكيدة فى نشر ألوية السلام فى العالم .

ويقينى أن شيئا من السخاء فى الإكثار من البعوث الإسلامية ، وإنشاء المراكز الثقافية ، وإعداد المبعوثين وتزويدهم تزويدا كاملا بالإمكانيات التى تساعدهم على أداء

رسالتهم على الوجه المرضى - يقينى أن ذلك أجدى وأنفع للقضية الإسلامية والعربية من كثير من الأعمال التى تنفق عليها الأموال الطائلة ، وليس لها هذا الطابع الروحى الذى يسهل بالعناية به قيادة الشعوب إلى الهدف الذى تريد ويسهل تخليصها من أسر الاستعباد الذى ظلت ترسف فى قيوده سنين طويلة .

وجدير بالذكر أن الأزهريين بإيمانهم العميق بهذا الواجب ، ورغبتهم الأكيدة فى خدمة الشعوب المستضعفة عن طريق الدين والمثل العليا - على استعداد تام للاضطلاع بهذه المهمة النبيلة إذا هيئت لهم السبل ، وزودوا بما يشجعهم على ارتياد هذه المناطق التى تتطلب نوعا خاصا من العمل ، يمكن أن يلفت إليهم أنظار من يسيل لعابهم على ما يزود به المبشرون من وسائل الدعاية ! »

عطية صقر

المدير الصحفى لمكتب شيخ الجامع الأزهر

خطبة عيد الفطر

(ملخص خطبة العيد التى ألقاها فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر ورائد جمعيات الشبان المسلمين بمسجد الإمام الحسين ، وحضرها السيد رئيس الجمهورية وأذيعت بالراديو) :

تحدث فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى فى خطبته ، عن فرحة العيد ، وأنها فرحة عامة جامعة شاملة لكل أبناء الإسلام فى شتى بقاع الأرض ، ثم أشار إلى أن الأعياد يجب تنزيهها عن تجديد الأحزان الشخصية والأشجان الفردية ، كما ذكر فضيلته أن هذا العيد يأتى بعد انتهاء رمضان الذى جاهد كل فرد فيه بما تيسر له من خير وبر ، فمن حق الأمة أن تفرح بذلك ، وأن هذا العيد هو أول عيد يأتى بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفى أعقاب ذكرى عزيزة غالية ، هى ذكرى جلاء الغاصبين عن قطعة كريمة من صميم الجمهورية العربية المتحدة وهى القطاع الشمالى منها والإقليم السورى فيها ، فمن حق الأمة أن تفرح بذلك . كما أبان ألوان الفرح الكريمة ، وألوان الفرح المرذولة

وتحدث الأستاذ الشرباصى فى الخطبة الثانية عن ثورة الجزائر ودعا الله بأن يؤيدها ويعضدها ، وأن يرد على العرب والمسلمين فلسطين ، ودعا الله بأن يثبت دعائم الجمهورية العربية المتحدة ، وأن يقيم بنيانها على التقوى والحق والعدل والعمل الصالح ، وأن يجعلها طليعة مباركة لوحدة عربية شاملة وأخوة إسلامية عامة .

حول مؤامرات المبشرين

بجنوب السودان

نشرت بعض الصحف ووكالات الأنباء فى هـذه الأيام أن حكومة السودان تعتزم اتخاذ تدابير حاسمة إزاء ما يقوم به المبشرون فى الجنوب مما لا يتفق ووحدة البلاد وتعاون أهلها ، وإنى أريد أن أسلط قليلا من الضوء على هـذه المسألة تنويرا للأذهان وكشفا لبعض الحقائق إذ لى بها شىء من الإلمـام منـذ أوفدتنى مشيخة الأزهر رئيسا لبعثاتها الثقافية فى ذلك القطر الشقيق [١] . فكان لى فيه ـ بحكم عملى ـ جولات أتصل فيها بالمبوثين . وأدرس حالة الأهالى لمعرفة ما هم عليـه . وماذا يتجهون إليه ؟ . ولذا أضع تحت أنظار القراء الـكرام ملخصا لها فى غير إطالة .

من المعلوم أن أهم سلاح فى يد الاستعماريين هو التفريق بين السكان بأية وسيلة سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين . وهم ـ فى خاصـة أنفسهم ـ لا يدينون إلا بأن الغـاية تبرر الوسيلة . وما للمسيحية عنـدهم من حساب ، وما لتعاليمهـا الرحيمة لديهم من قيمة . فهم إن حلوا بالهند انحازوا إلى المسلمين ! وإن زحفوا على اليمن ساعدوا مذهبا على آخر ! وإن نزلوا بقبرص طافوا دين المسيح ، وهكذا . . . وهـذا ما كان منهم فى السودان منذ أن وطئوا أرضه الطيبة . رأوا أهله عربا مسلمين على الفطرة البـدائية . فاصطفتهم طبيعتهم الفاسدة ونواياهم الخبيثة فأطلقوا العنان للمبشرين من كل جنس يحارب الإسلام . مستغلين سذاجة الأهالى وفقرهم وضعف الحـكومات المصرية واستخذاءها ثم أغلقوا عليهم منافذ الجنوب إلا عن الإعانات والإمدادات التى ترد من الخارج إلى تلك الهيئات . وزادت من جانبها اعتمادات سنوية من خزانة حكومة الســودان بلغت نسبتها ستة وتسعين فى المـائة من مجموع ما ينفق عليها . وهى لا تقل عن خمسمائة جمعيـة لها فروعها المنبثة فى نواحى الجنوب . يعيش القوامون عليها فى بحبوحة من العيش فى الغابات وغـيرها . ولديهم من وسائل التبريد والتدفئـة والمواصلات البرية والنهرية والجوية ما لا يوجد إلا فى الجيوش الجرارة ، أو حواضر المدن الـكبرى . وهم على أنفسهم ومتاعهم آمنون مطمئنون تحت حراسة الجنـد الساهرة وفى رعاية الحـكام المستعمرين ، وبذلك

---

[١] سنة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م .

« خلقوا » جيلا جديدا مثقفا بثقافة اختاروها له ، جملته متعصبا يخالف دينه الإسلام ـ دين المواطنين الأصليين ـ ناهيك بما يحمل فى قلوب أبنائه . فرادى وجماعات ، من ضغائن وأحقاد دست فى كل ما قدم إلى أولئك المساكين من غذاء ثقافى يكاد يقطع صلاتهم باخوانهم الشماليين .

ومن العجب ألا يأبه الانكليز لنفوذ بعض تلك الطوائف فى دوائرها ما دامت تؤدى تلك الرسالة الخبيثة الانفصالية ، كما كان شأن الكنيسة الإيطالية فى مدينة (واو) عاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الجبار ، والتى لا يقوى المسلمون فى جانبها على الجهر بدينهم أو بناء معبد محترم لصلواتهم ، حتى لكأنها فى قطعة من (الفاتيكان) بروما ، وكأنه لا صلة للانكليز بها ، فهم لا يتدخلون فى شأنها ، ولا يحدون من سلطانها ، فى الوقت الذى لا يسمحون فيه لشمالى بشكوى أو إبداء رأى ، اللهم إلا إذا كان من أذنابهم ومن يسبحون بحمدهم .

ومن المألوف أن ترى الأطفال فى حوزة المبشرين كأن لا صلة لهم بأهل أو أقارب . ولقد هالنى حين دخلت كنيسة الرجاف ، وهى فى حديقة فسيحة غناء مشرفة على النيل قرب الحدود الأوغندية ، أن رأيت كثيرا من أولئك الصغار يفترقون ويتلاقون مع القسيس تحت ظلال الأشجار كأنهم من الثمر المتساقط من أغصانها . فهم مدد متجدد تحت أيدى صنائع الاستعمار ورسله . ومما شاهدته فى تلك الكنيسة طائفة من النساء والبنات العاريات ، تلقنهن الترانيم نصف عمياء منهن بلهجتهن المتوطنة على حين تمدلهن الطعام فتاة مراهقة تؤدى عملها عارية كما ولدتها أمها ، وحين تقدمت لأنظر ما تصنع وثبت بعيدا كأنها هرة فى خفتها ونظراتها ، ولم تزل كذلك حتى فارقت مكانها . وقد أدركت أن ذلك الجفول أثر لما بث فى عقول الجميع من تعاليم السوء ، التى أسلفت الإشارة إليها بخلق جيل منعزل يخشى كل ما فيه رائحة الشماليين .

لاحظت ذلك فى زيارة الجنوب ـ مع كثير غيره ـ فأيقنت تماما أن المسألة ليست مسألة دين فى ذاتها ، وإنما وراء ذلك من الأهداف ما وراءه ـ وكما أسلفت ـ ليس للاستعمار دين غير غايته وإن كفر لديها بدين قومه ، ولنا فى مساعدة اليهود من جانب المسيحية عبرة على ما بين العقيدتين من تضاد . بل من عداوة تاريخية متوارثة ، لو كانت فى صعيد مصر ما بقى فيه كائن حى ، وعلى من تلك المساعدة ؟ على من يقول دينهم : إن أهل المسيحية أقرب الناس مودة إليهم ! ! . ولذا عمدت عند عودتى إلى الشمال إلى الاتصال بالسادة زعماء الاتحاديين ـ وكان منتظرا أن يلوا الحكم فيما بعد ـ وقد تم ذلك

بمعرفة الأستاذ الكبير الشيخ عمر إسحق مفتش المعارف السودانية العام ومن كبار السادة الختمية ، وبمنزله [١] وأذكر ممن حضر السادة : إسماعيل الأزهرى ، وخلف الله مرغنى ، ومحمد نور الدين ، والدرديرى عثمان ، فحدثتهم عما شاهدته فى الجنوب . وبينت لهم أنى — وإن لم أكن رجل سياسة — أضع تحت أنظارهم ما وصل إليه تفكيرى وما استنتجته من رحلتى ، وهو أن الجنوب بحالته هذه سيكون نقطة الضعف التى يستغلها المستعمرون فى إثارة الفتن والقلاقل ، بل طلب الانفصال عن الشمال ، وحينئذ يكون لصوته صدى يتردد فى الأوساط العالمية رسمية وغير رسمية ، لما له من صلات روحية وعملية تجعله موطن العطف والرعاية منها مهما كانت الظروف . ويومئذ تكون الطامة . أضف إلى ذلك أنه سيحكم داخليا بأولئك الذين رباهم الاستعمار فى أحضانه مدة طويلة ؛ بما أنه لا يوجد من مواطنيهم متعلمون سواهم ، يشاركونهم الأمر ويحدثون التوازن . وبذا سيكون منهم النواب والشيوخ وبقية الهيئات العاملة التى تكون بطبيعتها كتلة واحدة متجانسة يسهل التأثير عليها من الداخل والخارج ، لا سيما فى المواقف التاريخية الحاسمة ، وبذا يكون الجنوب هنا فى موضع يقابل إسرائيل هناك .

وإنى أرى درءا لتلك الأخطار ، وتقصيرا لأمد تلك المخاوف . أن تقوموا من جانبكم بمثل ما قام به المبشرون من إقامة منشآت يأوى إليها أولئك العرايا ، فيجدون الطعام والكساء والثقافة الوطنية البريئة التى « تخلق » منهم مواطنين صالحين منتجين . يعرفون حقوق البلاد عليهم ، ويؤدون واجبهم فى جانب غيرهم وليس يكفينا مجرد نشر عقيدة الإسلام فى ربوعهم ، فذلك — وإن أفاد الفرد فى خاصة نفسه — لا يمنع من أن تحكم أقلية متعصبة فى أكثرية من البسطاء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا كما هو الشأن فى الحبشة ! . ضعوا هذا فى برامجكم ، ولا تغفلوا عنه فله من الأهمية — عندى — ما له .

وقد كان هذا قبل أن يلى إخواننا الحكم وقبيل الانتخابات — على ما أذكر — وقد صادف ذلك حضور أحد وزراء الخارجية المصرية السابقين بعد عدة أيام . وقد منع من دخول الجنوب ، فقابلنى وطلب إلى شرح ما رأيت هنالك ، فقصصت عليه القصص فأقرنى على رأيى وطلب إلى الاتصال به عند عودتى إلى القاهرة ليساعدنى لدى المسئولين فى الأزهر . وقد كنت كتبت إليهم بذلك فى تقريراتى الخاصة فأبنت لهم الناحية العملية المنتجة التى تؤدى إلى الغايتين . الدينية والسياسية . دون اعتماد على الوعظ والتدريس فحسب ، بواسطة البعوث التى تعد لذلك على ما لها من فائدة لا تنكر .

---

[١] فى يوم الخميس ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢ هـ - ٥ مارس سنة ١٩٥٣ .

وقد اتصلت فى هذا الموضوع كثيرا بفضيلة الأستاذ الوزير الشيخ على عبد الرحمن ، فكنا متفقين فى الوسيلة والهدف ، ولدى إدارة البحوث والبعوث فى الأزهر تقريرات خاصة بالاتفاق مع هيئة الإصلاح والتبشير الإسلامى بالجنوب التى يرأسها فضيلة الأستاذ الشيخ الأمين القرشى ، عن استمداد تلك الهيئة لإقامة تلك المنشآت - تدريجيا - بمعرفتها تحت رقابة محاسب من جانب الأزهر متى أمدها بالمال - إن وافق المسئولون فيه على ذلك - بدلا من إيفاد البعوث الحائلة فى جهات لا تعرف لغات أهلها ، أو المستقرة فى أماكن محدودة بعيدة عن الميدان العملى المطلوب ، وما ينفق على هؤلاء سنويا يؤدى مهمة الإنشاء والإيواء .

ولقد حضر السيد الداعية المذكور إلى القاهرة بعد عودتى إليها ، واجتمع فى دار الشبان المسلمين بكثير من العلماء وبعض الوزراء ، والمعنيين بالشئون الدينية والوطنية ، وكنا متفقين معا فى الرأى الذى شرحته للحاضرين ، ولكن الحوادث بعد ذلك حالت دون مافى النفوس من آمال .

هذا ما أردت إلقاء قبس من النور عليه إزاء ما جأرت به حكومة السودان من شكوى صارخة من فتن المبشرين ، وتآمرهم على مصلحة البلاد بعد أن استوت شرورهم على عرش الجنوب ، لنزداد علما بأن الأمر لم يك خافيا على مصر والمصريين ، وأننا أوتينا العلم من قبلها وكنا مخلصين .

وبعد : فلعل الأستاذ عبد الله خليل - فى موقفه هذا - من المبشرين ، يذكر ثورته الجامحة على مبعوث الأزهر بدار السيد المهدى بالخرطوم [١] وقد قابله بكل هدوء حتى انتزع منه يده للبايعة على العمل معا بالجنوب .

ليته يذكر ذلك فيعلم أننا كنا - على الأقل - نحاول أن نمهد الطريق لحكومة سودانية لا تشكو من مكايد المبشرين ! ! !

ومع ذلك فانى أهدى إليه هذه الكلمة ليجرب العمل بما فيها ، ولديه من الإمكانيات ما يساعده على ذلك وإنى له - كما كنت دائما - من الناصحين المخلصين .

والسلام على من اتبع الهدى .

على السيد جعفر
مفتش الوعظ بالقاهرة

---

[١] رمضان سنة ١٣٧٧

السلطتان الدينية والزمنية

كما يراهما الاسلام

ليس فى الإسلام سلطتان تتنازعان العقائد والقلوب وشئون الدنيا كما هو الشأن عند غير المسلمين ، وإنما هى سلطة واحدة ذات ناحيتين إحداهما دينية والأخرى دنيوية .

فمن الناحية الأولى تنظم علاقة الإنسان بخالقه فى معاملاته وعباداته الظاهرة والباطنة .

ومن الناحية الدنيوية تنظم علاقة الإنسان بالإنسان ، وترسم لتلك العلاقة حدودا فى المعاملات بشتى ملابساتها ، وتتألف هذه السلطة من ثلاث سلطات : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية .

وبدهى أن الإسلام دين روحى زمنى ينتظم فى أبلغ أوضاعه على الدنيا والآخرة ، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتى المعاش والمعاد ، ويكل إلى المظلمين بأعباء الحكم أن يستمدوا قوانينه ومبادئه من مستقر جميع الأصول الكاملة ، وهو القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم .

فلو أغفل الإسلام الناحية الروحية لكان مزيجا من أخلاق متدافعة وعادات متناقضة ، ولكان قصارى جهد معتنقيه أن يخضعوا لنواميس هذا المجتمع فى علله وأوصابه وتدافع أسبابه ، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى العاتى وأن توجد الفروق بين الطبقات والأسر . من أجل ذلك امتزجت الناحية الدنيوية فى الإسلام بالناحية الدينية فى نظام الحكومة ، على معنى أن نظام الحكومة كان مستهديا فى جميع أدواره بنور الإسلام .

حمل الإسلام فيما حمل من أسمى المبادئ مبدأ الشورى لتكون أساس الحكومة الصالحة ، ودعامة تتلاقى عند سائر الرغبات والأمانى ، لأن الشورى فى أبسط أحكامها خير من رأى الفرد ، فهى وليدة آراء مستخلصة من قوى الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والحرية والمساواة ، حتى يظل آمنا فى سربه حصينا فى أغراضه ومراميه . وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا فى الشرق هى التى تعنيها مبادئ

الإسلام ، فالشورى التي تمنيها مبادئ الإسلام هي المستخلصة من قوة الجماعة كما قلنا ليس فيها أثارة من تشيع لهوى أو أخذ بحيزة أو إصغاء إلى ضغن في سائر مرافق الدولة .

فالناحية الدنيوية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة وتؤسس الأنظمة المتنوعة للأفراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم ، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والإدارة ونواميس الاجتماع ، ثم هي تنساب بعد إلى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان . فتنشئ علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة وترتب عليها حقوقا قبل المرأة . وحقوقا قبل الرجل ، ثم تتناول أحكام الإرث فتوزع الأنصباء من تركة الميت على ذويها توزيعا قائما على أدق أنواع الرعاية وأحكم مراميها ، ثم تتعهد الحاكمين بالوصايا الجامعة حتى لا يندوا عن شريعة الحق ولا تصغى قلوبهم إلى شوائب الهوى ، ثم تهيب بالمحكومين إلى السمع والطاعة فيما أمر الله . وبهذا التساند بين الهيئتين ينتظم الأمة والحكومة عدل قائم على الإخلاص المتبادل ، وتسودهما روح طيبة في مرافق البلاد وحيويتها .

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية (الدنيوية) ، فأقام بهاتين السلطتين خير حكومة من حكومات الأرض في تاريخ البشرية ، وأسس للإنسانية العامة أفضل المناهج في الحكم حتى فاضت القلوب باليقين الراسخ والطمأنينة الشاملة . ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما يأتي به الملك النازل من آيات منجمة بحسب الوقائع ، سواء أكان ذلك متعلقا بأمر من أمور المعاش أو المعاد ، إذا استثنينا بعض مسائل تقليدية ثابتة لا يتصل وجودها بقانون الحكومة أو الاجتماع . ثم درج من بعده خلفاؤه رضوان الله عليهم أجمعين على قدمه ، فكانوا نعم الخلف لنعم السلف - وناهيكم بعمر الفاروق الذي كثرت على يديه الفتوحات الإسلامية مؤسسة على الكتاب والسنة والحنيفية البيضاء وهدى الرسول الأعظم ، فاستدام بذلك الناموس السياسي أصلح الطرائق في أنواع الحكم وأهدى السبل في إسعاد الأفراد والجماعات والامم .

إن الشريعة الإسلامية السماوية هي شريعة الخلود والبقاء ؛ لأنها جمعت بين حلقات الزمن من دابر وحاضر ، فوضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه فكانت شريعة الإسلام خير الشرائع .

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يقولون بفصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق الإسلام ، أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد خلفائه من بعده ، أولئك الغر المياميين الأطهار ، الذين حكموا دينهم فى الدولة فسادوا حتى بلغوا القمم ، لأنهم قضوا بهذه السياسة العالية أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحوا لوثة الوثنية ، ومستهجن العادات فى عهود الجاهلية .

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة وإقامة الولاة فى الدولة ، ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة ، بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى نطاق الإسلام ، وأخذهم بالرفق والهوادة فى موضعها ، وتيسير الأمور عليهم حين يضيق عنهم التيسير ، ومعاملة الولاة للذميين والمعاهدين والمحاربين ، والمدى الذى توزع به السلطات بين شئون الرعية ، آية الآيات على أن الإسلام فى حقيقته ومرماه دين يقوم على أهدى السبل ، وأعدل المناهج التى فاقت جميع أنواع السياسات فى الأمم .

فالمستخلص إذا من أدوار التاريخ القديم منه والحديث ، أن حكومة الشورى فى كل بلد هى الحياة الفاضلة المسيرة لرغبات الشعوب المحققة لأمانيها . وقد ظلت هذه الفكرة معتقدا من المعتقدات الشائعة بين أمم الغرب بنوع خاص إلى ماقبل نهاية القرن التاسع عشر ، ومن ذلك التاريخ نجمت فكرة أخرى مقابلة تنادى بالأضرار الناجمة عن الحياة النيابية ، والشرور المنبعثة عنها ، وكيف أنها تنظم الظلم وتلبسه ثوبا قشيبا من العدل ، وتخلع عليه مسوح الحياة النيابية ، على حين أن الأوضاع السليمة للأمم كفرت بهذه المبادئ بعد تجلى فشلها وإخفاقها .

منذ أربعين عاما أو تزيد هبط إلى مصر روزفلت الأول فبدا له وهو فى مصر أن يحاضر فى الآراء الدستورية مستمدا محاضرته من آراء فقهاء الدستور فى الغرب ، فأبان أن الحياة الدستورية أضحت ذاتا غير صالحة ، لأنها تقوم على سياسة الأحزاب وصاحب الغالبية فيها هو الذى يتولى زمام الحكم ، فيوجهها توجيها حزبيا فى أكثر صورها ، وبذلك يقضى على خصومه فى المعارضة ، فيضطرب حبل النظام الدستورى فى البلاد المنكوبة بالدستور إلى آخر ماجاء فى محاضرته .

ومن نافلة القول أن بعض الأحزاب فى مصر عبثت بأحكام الدستور فى فترات متقطعة ، جاءت فيها حكومات متعاقبة اصطنعت الأكثرية البرلمانية ، ففازت على خصومها ولزم عن ذلك فساد الحياة النيابية .

واليوم يمارس الشعب حياة نيابية يرجى لها فى مستقبل الأيام أن تكون ذات نمط سام رفيع ، وإننا كمواطنين نرجو مخلصين — بعد أن تمت الوحدة التى هى اندماج ومزج بين قطرين عربيين مسلمين شقيقين — أن تكون فى مستقبل الأيام القريبة جدا حياة نيابية مثمرة مزهرة .

ويقيننا أن مطلع الفجر الصادق وشيك الانبثاق ، فلابد أن تخرج المدرة من بين حب الحصيد ، ولابد أن تنفرج لمة الظلام عن جبين الصباح :

وكل ليـل وراء أستاره صبح وضوء النور لم يكذب

عباس طه
المحامى

الرئيس جمال فى طاشقند

خرجت مدينة طاشقند كلها لتحية الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته لها ، وكانوا يحيونه باللغة العربية لغة دينهم الإسلام . وطاشقند أخت سمرقند وبخارى التى أنجبت طائفة من عظماء وعلماء الإسلام . وطاشقند عاصمة جمهورية بلاد الأزبك وأكبر مدينة فى آسيا الوسطى ، ويبلغ تعداد سكانها قرابة ٨٠٠ ألف نسمة ، وتقع فى واحة واسعة مزدهرة ترويها مياه نهر جرجك ، وتقع عند تقاطع طرق تاريخية مهمة ، والمدينة نفسها من أقدم مدن آسيا الوسطى . وهى الآن مركز صناعى وثقافى ، وفيها أكاديمية أزبكستان للعلوم ، كما أن فيها جامعة ، ومعاهد علمية ومتاحف ومكاتب . وعند استقبالهم الرئيس جمال عبد الناصر تمثلوا فى شخصه زعامة مصر الإسلامية المحبوبة .

رســـــالة الأزهر

- ٢ -

للأزهر عند تفصيل القول رسالات لا رسالة . أبدأ منها بالرسالة الخلقية . وعندى أن التحدث عن الخلق أولى بالتقديم من التحدث عن بقية الرسالات .

رسالة الأزهر الخلقية

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ؟ - » . . فعلام أسس الأزهر روحانية وخلقا . وماذا أفاد هذا التأسيس الصلاح والتقوى ، والزمان والمكان ، والقوميات والأهليات ؟ .

حقا : كل إناء ينضح بما فيه : وهذا الدين الإسلامى الذى هو المادة الأولى للدراسة منذ كان الأزهر أزهرا . ومنذ حمل الرسالات جميعا بعد بغداد فقرطبة ، ومنذ ورث قومه وأمله ميراث أمثال حجة الإسلام الغزالى ، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية هذا الدين هو الذى سمت مدارسته وتعرف أسراره بنفوس أهل الأزهر إلى أبعد الآفاق الخلقية . وقد نضح عليهم ببعض ما فيه من بركات . فطورا هم الأتقياء العباد ، وطورا هم الوعاظ والمرشدون ، وطورا هم قادة القومية المصرية وزعماؤها - وإذا كان الصوفية الأعلون قد وصلوا إلى معرفة الله بالمجاهدة النفسية الشاقة فصاروا على خلق عظيم ، وإذا كان الفلاسفة الإسلاميون قد شقوا طريق المعرفة بالتعمق وإطالة النظر فكانوا على صراط مستقيم . وإذا كان الدارسون فى الصدور الأولى من أيام الإسلام قد ألهموا أسراره وتركوا لنا من واسع علمهم فيضان من مكنونات الإسلام وجواهره - فإن الأزهر هو الذى انتهت إليه جملة هذه المحامد . ورثها عن القرون الماضية عن هؤلاء الأسلاف الصلحاء ، فكان المعهد الذى أخرج للملأ خير الرجال روحانية وخلقا كريما .

كل رسالة فى الحياة - تقوم على أسس زمانية ومكانية ، فكيف تكون خلق علماء الأزهر إيمانا وتقوى ، ثم كيف صاروا زعماء أقوياء لأهلهم وذويهم . يدفعون عنهم

الضيم أمام الظلمة الحاكمين ؟ . إذا كان الإسلام لا رهبانية فيه حيث السلوك العام فى الحياة . . والسلوك العام الدينى يتكيف بأصول كل دين فى طريقته إلى هداية قومه على مقتضاه ـ فان التكوين الخلقى فى رجال الأزهر السالفين قد جاء من (رهبانية) هى نوع غير المعروف من معناها . إنها رهبانية الانقطاع إلى العلم . وقضاء العمر فى تحصيله (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) . وقد ساعدت هذه الرهبانية بهذا المعنى ، ذلك الفقر الذى كان يلازم طلبة العلم غالبا ، فكان الانقطاع للعلم أمرا طبيعيا فى هذه البيئة الأزهرية ، هذا الانقطاع للعلم والبعد عن التهافت على أهل المادة أورثهم خلق الزهد . وخلق الزهد والترفع من أقوى مكونات الشخصية الطيبة المثالية . ولذلك رأينا هذه الشخصيات الأزهرية قد ملأت الحياة عظمة ومهابة ونفوذا . فى وقت كان فيه حكام مصر يستعبدون أهلها استعبادا موبقا ذليلا . وكأن أمهات المصريين لم يلدن أولادهن أحرارا .

إذا كان (العلماء ورثة الأنبياء) والأنبياء مجاهدون . جاءوا لإسعاد البشر ورفع الحيف عنهم ، وتعليمهم من أمور دينهم وشئون دنياهم ما لم يكونوا يعلمون ، فلقد كان علماء الأزهر على نحو من هذا التوارث . فهم فى التقى والزهادة فى الحياة الباطلة ، من أقوى القدى . وهم فى هيبتهم الخلقية وسموهم النفسى ، نواب الشعب أمام أظلم الحكام وأفجر الفجار . كانوا له أمام هؤلاء الجبارين كمانعة الصواعق فى اصطلاح علماء الطبيعة ، كما كانوا ـ على اصطلاح الأطباء ـ الحجاب الحاجز بين اندفاع المظالم إلى غاياتها وبين أهليهم المصريين . .

لا غنى لى عن أن أضرب الأمثال الخلقية لا من ناحية الأخلاق اللازمة كتقوى الله وعبادته حق تعبده . فان هذه أشياء بين الخالق وبين عباده . وإذا هى تعدت صاحبها فالى الاقتداء به والاستفادة من وعظه وإرشاده . . ولكننى أضرب الأمثال للأخلاق المتعدية التى لا يتحقق معناها إلا بالإضافة إلى غير أصحابها ، ويرى الناس من آثارها ما ينفعهم ويرفع عنهم المظالم والمغارم أمام الجبارين من الحاكمين . وقضية الحكم الفاسد كانت دائما بحاجة إلى مدافعين يدفعون عن الناس شرور الفساد وغوائل البلاء . وهذا ماقصدته بالأصالة فى رسالة الأزهر الخلقية التى كونت رجالها على عظمة الدين وحق اليقين . فكانوا فى اشتداد البلاء على ذويهم رجالا بقدر ما يسره لهم الله أمام

الحكام المخربين النهابين الذين لم يكونوا يحسبون حسابا إلا للسادة العلماء دون بقية الطوائف والجماعات .

إن الأمثال التي سأضربها هي أمثلة تاريخية من مختلف المصادر ، ولكنني لا أذكرها كوقائع تاريخية صماء ، وإنما أحيطها بطريقتي في التحليل لنعرف عمق الرسالة الخلقية وآثارها في الحياة العامة . الأمثلة كما حدثنا به الإمام جلال الدين السيوطي في ترجمة الإمام جلال الدين المحلي قال : « وكان غرة هـذا العصر في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام ، ويأتون اليه فلا يلتفت إليهم ولا يأذن لهم بالدخول عليه ، « لا يراعي أحدا في القول . . وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع » . وفي هذا الذي رواه السيوطي مزيج جيد يبين لنا في مجموعه ارتباط الورع والتقوى والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بسمو الأخلاق وترفعها إلى أبعـد الآفاق ، وهل ننتظر من سمو أخلاق تقي وورع أكثر من أنه لا يأذن للحكام بالدخول عليه ، وأنه يواجه الظلمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . وليس أقسى على نفس الظالم من سماع القول في الحكم الصالح والحكم الفاسد ، وبخاصة إذا أضيف إلى ذلك ما يعد في باب العادات خدشا للكرامة ، كعدم السماح لهؤلاء الحكام بالدخول على الشيخ في حضرته ، وليس ما هو أبعد من ذلك في التعريف برسالة الدين واليقين في نفوس العلماء الزهاد .

كانت تحـكم مصر بلا شريعة ولا قانون في عهود المماليك والأتراك والفرنسيين ، وكان القانون أو الشرع هو تنفيذ إرادة الظالمين في رقاب هـذه الأمة وأعراضها وأموالها وثمراتها ، وإذا كان الإمام محمد عبده قد وصف الحكم في وقته بقوله ــ « جهرنا بهـذا الوهل والاستبداد في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد » . أقول إذا كان هذا ما وصف به ذلكم الإمام الحكم في عهده وقد كان فيه شيء من النظام ، وشيء من الشورى بمـا كان للشعب من مجالس يمثلها مجلسا شورى القوانين والجمعية العمومية ، فكيف بالحكم في أيام هؤلاء الطغاة الذين كانوا سوط عذاب لا يهدأ على هذه الأمة ، ونارا موقدة على هـذا الشعب المسكين ؟ ! لقد كانت شجاعة العلماء أمام مظالم هؤلاء الطواغيت بمثابة النيابة عن الأمة في بأسائها وضرائهـا ، يلقون إلى حكامها بالنصح تارة وبالتهديد تارة أخرى . وكان لوساطة هؤلاء السادة

قيمة وتقدير عنـد الحكام ، ولشجاعتهم فى إبداء الرأى أثر بالغ لا ينساه التاريخ لأمثال الأجلاء الشيخ سليمان المنصورى ، وشيخ الإسلام الشيخ محمد الحفنى ، الذى وصفه مؤرخ مصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى بقوله : « إنه كان قطب رحى الديار المصرية لا يتم أمر من أمور الدولة إلا باطلاعه ومشورته ، والشيخ الزاهد الصوفى الورع (الدردير) ، والشيخ على الصعيدى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والسيد عمر مكرم ، والسيد محمد السادات .. فهم وأمثالهم قد اشـتركوا فى مدافعة المظالم وكبح جماح المستبدين . وكانوا يخرجون من كل حادثة بشروط مكتوبة ـ غالبـا ـ تكون شبه دستور يعمل به بين المحكومين والحاكمين . وهذا منتهى ما تصل إليه طاقة علماء دينيين ليس لهم من قوة إلا قوة الخلق واليقين . كما كانوا يحضون على الثورات إذا لم يجدوا فى طريق المسالمة فائدة . وكان (الأزهر) هو الأتون الذى توقد فيـه الشرارات الأولى ، ولا ننسى أن الفرنسيين ـ انتقاما من هذا المسجد ـ قد غزوه بخيلهم وجعلوا من قبلته مرابط لهـا ، ومثلوا بأهله وذويه شر تمثيل ، لأنهم أرادوا أن يقضوا على هـذا (المجمع) الذى هو أساس التكتلات الثورية .

انتهى الأمر . وصار العلماء هم قادة الشعب ونوابه والمدافعين عما ينزل به من البأساء والضراء . وقـد عرف ذلك القائد الفرنسى (نابليون) ودرسه دراسـة كافية بواسطة علمائه الفرنسيين ، فأراد أن يتقرب إلى السادة العلماء وأن يحـكم مصر برضاهم ، فلم يلبث بعد أن دخل الإسكندرية أن أخذ يوزع المنشورات التى ادعى فيها الإسلام ومحبة القرآن ، وأنه ما جاء مصر إلا ليخلصها من يد المماليك أعداء الخليفة الإسلامى . وأردف ذلك بأن عين كثيرين منهم فى ديوانيه العام والخاص ، اللذين أراد بهما ذر الرماد فى العيون حتى لا يرى المصريون الأمور على حقيقتها . وقع هـذا وغيرهذا استرضاء للمشايخ ، ولـكنه لما جـد الجد وعرفت النيات لم ين العلماء عن أداء واجبهم فكانت حادثات ووساطات وثورات ، سواء فى عهـد الفرنسيين أو قبلهم أو بعـدهم ، ثم ما زالوا يجدون فى زعامتهم للشعب حتى قضوا ـ أو كانوا من العوامل القوية فى ذلك ـ على دول الظـلم الصارخ بانتقال الحـكم إلى محمد على الـكبير برأيهم وسعيهم المتصل مع السلطـان العثمانى . وقد ترك لهم التـاريخ أعمالا لا تنسى ، كما ترك لهم أقوالا تترجم عن خلقهم وشـدة إيمـانهم بالله . كأن يقول الشيخ سليمان المنصورى لقـاضى القضاة العثمانى فى شأن أمر من السلطـان خالف فيه الشرع : « ولا يسلم للامام فى فعل يخالف

الشرع » . وكأن يقول السيد عمر مكرم لأحد أنصار (خورشيد) الوالى التركى وهو يحاوره : « أولو الأمر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » . وكان ذلك جوابا على قول محاوره : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .

• • •

وبعد لا أطيل القول فى هذا البحث المتواضع بأكثر مما أسلفت . . وقبل أن أنتهى منه لا يسعنى ترك تحية إمام عظيم الخلق هو الشيخ محمد عبده الذى أسلفت له وصف حالة الحكم فى أيامه . وأزيد على ذلك أن سمو أخلاق هذا الإمام هى التى جعلت الخديوى يصفه بأنه إذا دخل عليه فكأنما هو فرعون ! ! يقول ذلك ملك فى يده كل السلطات والثروات فى ، حتى رجل لا يملك إلا نفسا كبيرة وكبرياء لا يحس به إلا الحاكمون المستبدون » .

حسنى الشيخ

عضو نقابة الصحفيين

جمال عبد الناصر فى الشام

لمن العرس فى مغانى الشام ... يسكب البشر فى القلوب الظوامى
منقذ الشام والكنانة والقا ... هر يوم القناة جيش الطغام
وفتى العرب جدد الله للعر ... ب به روعة الأمانى العظام
وسع العرب قلبه فملاهم ... بعض آماله الكبار الجسام
وترامى مدى هواه فما تنـ ... سيه وهران معضلات الشآم
عونه شرعت الكتاب على الحـ ... ـكم فما زال عصمة الحكام
سار فى ضوئه الميامين من قبـ ... ـل فضاءت به وجوه الظلام
تصل الحاضر الوليد بماض ... ليس ينفك غرة الأيام
فأشر تقتحم معاقل صهيو ... ن وتنسف حواجز الألغام

اللاذقية ... أبو غسان

محنة الشعر المعاصر

— ٢ —

ليس هناك من شك فى أن الإنسان قد اهتدى إلى الشعر بفطرته ، وانساق إلى هذا الفن الرفيع بطبيعته التى شاقها ما فى الكون من حسن التناسق ، وجميل الانسجام ، وحلو الأنغام . .

أحس بمعان حركت قلبه ، وأثارت نفسه ، وجاش بها صدره ، ثم استفاضت على لسانه فى صورة منغومة ، وربما كانت أول الأمر أصواتا مبهمة كأصوات الطفل المعبرة ، ثم استقرت فى كلمات منثورة ذات مدلول يعبر عن إحساسه ، ثم تدرجت هذه الكلمات المتناثرة إلى السجع المتحد القافية ، والمتناسق الألفاظ ، لأنه أقرب إلى التوقيع الموسيقى ، ثم أخذت هذه الكلمات تتطور وتتغير، حتى استقرت فى أوضاع خاصة هى التى تعرف عندنا بأوزان الشعر وبحوره ، وهى التى انتهى إليها الغناء ، لأنها ألصق شئ به وأليق .

وكذلك نشأ الشعر العربى واستقر فى أوزانه المعروفة ، وظل الشعراء فى كل عصر ينظمون على نظامها ، دون أن تضيق هذه البحور المتنوعة فى أعاريضها وأضربها ، بمظاهر الحياة وألوان الحضارة ، ومختلف العواطف ، وعوارض الأحداث والثورات ، فلما بلغت الحضارة قيمتها فى الأندلس وغيرها من الأمصار ، وتعددت فنون الغناء ، ابتدع الشعراء أوزانا جديدة كالموشحات تلائم ماجد من هذه الفنون ، ولكن ما ابتدعوه كان ذا أوضاع معروفة ، ونظام محدد ، وطرائق مرسومة الخطوط والمعالم ، لا كهذا الشعر الذى نراه اليوم ، يذهب فيه كل فرد مذهبا ، بل إنه لايتخذ حتى أى مذهب فردى .

فمن الموشحات ما جاء على الأوزان العربية المعروفة ، ومنها ماجاء على أوزان خاصة مرسومة ، وبحور معروفة مثل (مستفعلن فاعلن فعيل مرتين) أو (فاعلاتن فاعلن مستفعلن فاعلن مرتين) ، وعلى هذا النحو كانت الفنون الشعرية المستحدثة ذوات قوالب معروفة متفق عليها .

ولقد كان من أهم العوائق التى حالت دون ظهور الملاحم والمسرحيات فى الشعر العربى دون الشعر الإفرنجى ، هو اتحاد القافية والوزن فى القصيدة ؛ لأن هـذه الملاحم تبلغ أحيانا عشرات الآلاف من الأبيات ، وتعدد المواقف واختلاف المشاهد فى المسرحية يتطلب تغير الوزن من آن لآخر ، ولذلك لم نر بأسا فى التحرر من هـذا الالتزام فى البحر والقافية عند نظم الملحمة أو المسرحية ، على نحو ما صنع شوقى ، فان هذا التحرر يضيف إلى تراثنا العربى فنونا جديدة كان الشعر العربى محروما منها .

ذلك ما نوافق على التجديد فيه ، وهو تجديد على كل حال لا يخرج عن أوزان الشعر العربى ؛ لأنه مجرد تنوع وتنقل بين البحور تبعا لتنوع المشاهد فى الرواية المسرحية أو القصة .

إن الشعر الذى نقرؤه فى هذه الأيام يعود بنـا منتكسا إلى عهد البدائية الأولى ، حيث كان الإنسان أول أمره يتغنى بألفاظ ممرودة ، لا تأخذ نظاما معينا ، ولا تستقر فى وضع خاص . إنه أعمال فردية فوضوية ، ونكسة إلى ما قبل عهد السجع ... إنه بعر متناثر فى صحراء هذه الأيام .

وهذه هى جناية الفهم الخاطئ للتحرر والتجديد . لقد فهم صعاليك الشعر هؤلاء ، أن التحرر هو الثورة على كل شئ على الدين والتقاليد والأوضاع الموروثة ما صلح منهـا وما فسد ، وكأنهم فى ثورتهم على الأوزان الشعرية التى تتسق بها موسيقى الشعر ويحدث تأثيره ، يريدون أن يخرج الناس من حدود القصور والأسوار ، وأن يحطموا ما انتهى إليه فن الحضارة العمرانى ، وأن يعودوا إلى الانطلاق فى الصحراء والعيش فى ظلال الخيام ، متحررين من هذه القيود البالية ، قيود النظام المعمارى المنسق ، وقيود الأسوار التى تحد من حرية الإنسان .

هكذا يريدون ، وهكذا يفهمون ، ومع ذلك فهم دائمـا يهتفون فى أشعارهم هـذه المهلهلة باسم الحضارة ، والتقدمية ، والركب الصاعد ، والقمة العالية ، وانتفاضة العملاق ، إلى غير ذلك من (دستة) الألفاظ المسجلة باسمهم ، والتى لا يستعملون سواها ، لأنهم لا يحفظون غيرها .

والآن ، ماذا يقول هؤلاء الشعراء ؟ إننـا لا نريد أن نقف عنـد هذا الهراء الذى يتشدق به المشعوذون ، فى ذلك الهذيان الذى لا يستقر حتى على نظام التفعيلة التى يجعلها المجددون أساسا لنظمهم .

(الليل بنادق ـ الليل مطارق ـ الليل مشانق ـ الليل حرائق ـ ياقيصر عمان الأعمى ـ يا أسطورة ـ زائفة مكرورة ـ يا سارق نوم الأطفال ـ ودم العمال ـ سنصيدك كالأرنب ـ وسنسحق رأسك كالعقرب ـ يا لصا أجرب ـ يا قيصر ـ يا خنجر ـ فى أيدى الدخلاء) .

ما رأيك فى هـذا (الردح) الذى فلتت فيه عفوا بعض شطرات من البحر المتدارك مثل (يا قيصر عمان الأعمى ـ يا سارق نوم الأطفال) ؟ أهـذا هو التجديد ؟ سلام على هجائك ياحطيئة ، وسلام على المتنبى ، وسلام على ابن الرومى .

واقرأ واعجب : (عصفور أزرق ـ فى قفص من زئبق ـ غنى أغنية ـ غنى الحرية ـ ياقرى الأخضر ـ ياحبى الأول ـ يا جدول ـ ينعش صحرائى ـ يا وطنى النائى ـ يا قرى ـ يا ولدى الأصغر) .

أفى هذه القصيدة (الزئبق والحرية) تفعيلة واحـدة ، أو شطرة واحدة ، أو وزن واحد . ولم نسميها شعرا ، وما الفرق إذن بين الشعر والنثر الفنى ؟ .

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه   فليس خليقا أن يقال له شعر

اسمع صدى هذه القصيدة فى شعر عربى موزون من البحر المتدارك ، لتدرك الفرق بين الفن المثير للانفعال والتأثر والاهتزاز وبين الهراء والهذيان ، على ما فى هـذا الصدى من خروج على نظام القافية العربية :

غرد فى أرض الموال   للحـرية للأبطـال
غرد فالشمس غدا تشرق   ويغنى العصفور الأزرق
لا تبعد فالأرض وريف   والشط عيون وقطوف
وشفاه بالحب ترقرق   ألحان العصفور الأزرق

واسمع هذا الذى يصرون على تسميته شعرا :

(لوكان لى نجمة نازحة ـ واحتجزتها بحار ـ أو طول ما بيننا من قفار ـ لوكان عندى وحيد ـ وضاع من بين كل الصغار ـ وأجفلت أمه ـ تسائل أمسيات ـ باقه حقا أمات ـ لو كنت فى منفى ـ فى قلب مقصلة ـ ما كان إطراق الطويل .. الطويل) . ولنـدع

هذه القافات المفككة التى لا تمثل وحدة فنية، ولا تحمل رنينا موسيقيا ، وإنما هى ثرثرة تنشر فى الصحف إجلالا لمضمونها الوطنى ، وتقديرا لأهـدافها العربية . وكم يعانى الفن باسم الوطنية والعروبة .

ولنعرض بعض النماذج التى تتردد فيها بعض الإيقاعات الموسيقية ، وتلوح فيها بعض تفاعيل البحور العربية :

الأستاذ كامل الشناوى شاعر أزهرى رقيق ، ولـكنه استسلم لهـذا التيار ، وكان فى قوة شعره ما يمكنه من مقاومته ، لقد نظم أغنية من مجزوء الرمل (فاعلاتن فاعلاتن مرتين) :

كان وهما وأمانى وحلما كان طيفا

ثم يجعل التفعيلات الأربعة خمسة ، وخامستها مذيلة ، وليتها كانت كذلك فقط بل جعلها من تفاعيل البحر الـكامل :

ثم كانت صحوة كالنار ، كالتيار ، كالقدر العنيد .

فالتفعيلة الأخيرة (قدر العنيد) وزنها (متفاعلان) .

ثم يقول :

سل دم السورى والمصرى يجرى لهبا .

صارخا : عربا كانا وبقى عربا .

وتزن البيت الثانى فنجده هكذا :

(صار خاع) فاعلات (رباكنا) مفاعلـين (وبقى) فعولن (عربا) فعلن أو (صارخا) فاعلن (عرباكن) فعلاتن (ناوبقى) فاعـلاتن (عربا) فعلن ، وهو خلط على كل حال لا يتفق مع بحر الأغنية ولا مع أى بحر عربى آخر ، ولا هو بالبحر المخترع الذى يسير على نظام معين .

ثم يعود فيجعل التفاعيل الأربعة ثلاثة فقط .

لم يـكن أيهما فى الأمس وحده .

ولقد صار مع الأيام وحده .

أما أغنية (أحمد فتحى) التى غنتها أم كلثـوم ، فانه بدأها من مجزوء البحر الـكامل المرفل (متفاعلن متفاعلن ــ متفاعلن متفاعلاتن) .

أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبي .

أنت الذى بدأ الملالة والصدود وخان حبي .

ثم ينتقل إلى الرمل فيقول :

كنت لى أيام كان الحب لى　　أمل الدنيـا ودنيـا أملى

ثم يفاجئنا بالبحر السريع :

وكنت عينى وعلى نورها　　لاحت أزاهير الصبا والفتون

ثم يعود إلى مجزوء الرمل :

ثم أخلفت وعودا　　طـاب فيها خاطرى

ثم ينتقل إلى البحر الخفيف :

كان عندى وليس بعدك عندى　　نعمة من تصوراتى ووجـدى

وهكذا ينتقل من بحر إلى بحر ومن تام إلى مجزوء ، فتجىء القطعة خليطـا عجيبا ، لا يمـكن أن نسميه طريقة ثابتة المعالم تجرى على نسق يحتذى . ولقد يكون من المساغ فى باب الأغانى أن يقصر الشاعر تنوع أوزانه على أعاريض وأضرب البحر الواحـد ، أما هذا الخلط فـا أغنى شاعرنا الغنائى الرقيق عنه .

ولندع جانب الأغانى فانها موزونة على كل حال ، وربمـا تطلب الغناء التجديد فى القافية أو الوزن ، كما تطلب من قبل فى الموشحـات وغيرها . وإن كنا نلح فى أن يكون هذا التجديد قائمـا على أسس ثابتة وأصول متفق عليها معروفة ، حتى لا يصبح الأمر فوضى بلا ضابط ، وحتى لا يصبح الشعر ــ وهو الفن الرفيع ــ مبتذلا ، يتحـكم فيه كل إنسان ولو لم تتوفر له موهبته .

عاش الشعر العربى تلك القرون الطويلة يستنفد الطـاقات الشعورية ، ويصور التجارب النفسية دون عناء أو إفلاس . ذلك لأن الشاعر كان يصقل موهبته بالاطلاع ويحشد فى ذهنه رصـيدا كبيرا من لغته ، فلا يـكون شاعرا حتى يستكمل أدوات

الشاعرية ، ويجمع بين الموهبة والكسب ، ولكن صعاليك الشعر فى هذه الأيام لا يريدون هذا العناء ، فقد لا تتوفر لأحدهم الموهبة ولكنه يريد أن يكون شاعرا ، وقد تتوفر له الموهبة ولكنه لا يريد العناء بالاطلاع على الأوزان أو تحصيل الثروة اللغوية ، يكفى أن يحفظ تلك الألفاظ المكرورة : التيار ، القدر المتبد ـ انقضاض العاصفة ـ الطوفان ـ الدرب الموحش ... ونحو ذلك إلى جانب ما سبق من بقية (الدستة) المسجلة ، وعليه بعد ذلك أن يوزعها على السطور فى غير عدل ولا قسطاس ، فان صادفت كلمة منها وزنا ، فبها ، وإلا فما عليه . إنه حر طليق مجدد ! ! .

هذا كاتب من كتاب الطليعة نطرب لأسلوبه فى الكتابة ، ولكنه يأبى إلا أن يكون شاعرا كذلك ، ولم لا يكون شاعرا ما دام الشعر قد أصبح سهل المنال :

اطمئنى يا جميلة (شطرة من مجزوء الرمل : فاعلاتن فاعلاتن) .

وثقى بالحب بالإنسان بالفجر الذى أنت بشيره

(خمس تفعيلات من تفاعيل الرمل)

ربما قالت عجوز لك فى ليل شتاء (أربع تفعيلات) .

من لياليه الطويلة (تفعيلتان) .

قصة الغيلان والبنت الفقيرة (ثلاث تفعيلات) .

واسمها (فاعلن) .

عندنا فى مصر ست الحسن والشاطر حسن (أربع تفعيلات مع سكون راء الشاطر)

وغدا فى اللحظات المرعبة (فعلاتن فعلاتن فاعلن) .

يقبل الفرسان من كل مكان بسيوف عربيات السنان

تصرع الغيلان بغتة وتعيشين الحياة الطيبة

فى التبات والنبات ـ بالبنين والبنات .

أجل (فى التبات والنبات) لأن الواقعية تتطلب هذه السوقية ، وتستدعى النزول عن المستوى الفنى العالى إلى الدروب والأزقة وحكايات العجائز على (المصطبة) ، ومع ذلك فقد عجزت طاقة الشاعر اللغوية والفنية عن تصوير هذه التجربة الشعرية القصيرة فى أبيات متسقة القافية والبحر ، كأنما اتحاد البحر والقافية يعوق هذا التصوير ، وفى اتحادهما ما فيه من الرنين الموسيقى المؤثر .

لقد سئمنا هذا الهذيان الذى لايحتاج إلا إلى السير على تفعيلة أو اثنتين ، وكفى الله الشعراء القافية المتعبة والبحور الصعبة ، وحسبهم هذه الخطابية ، والجلجلة . ومع ذلك فنحن فى حاجة إلى الضحك والترفيه ، فلنقرأ :

صديقى ـ صديقتى الحبيبة ـ شهر مضى ـ لاحرف ـ لا رسالة خضيبة ـ لا أثر ـ لا خبر ـ العطر موضوع على مقاعد الجنينة الكئيبة) .

(شهرا غاب ـ يا أختى شهرا غاب ـ ولماذا غاب ؟ ـ فلقد دوبنى لما ذاب ـ ولقد ألق الجرسون ـ بحساب القهوة والشاى ـ من عام غاب ـ لكن حبيبى لم يدفع حتى ثمن القهوة والشاى) .

أرأيت مثل هذا التسكع الفنى على المقاهى ، والحديث عن ثمن القهوة والشاى ؟ ولست أنكر أن كثيرا من هذا الشعر المصرى يحمل شرف المضمون ، كما يتسم بروعة التصوير ، وقوة الانفعال ، ولكن هذا التحرر من الوزن والقافية يفقده أروع جوانب التأثير ، ويلحقه بالنثر الفنى الذى يتسم بمثل هذه الروعة فى الأداء والخيال والانفعال ، بل إن النثر الفنى يحتفظ بطابع الاتساق الفكرى والنظام ، ولا ينزل إلى هذا التفكك التعبيرى .

وأخيرا نعيذ عربيتنا الفصيحة النقية من هذا المذر ، ونعيذ تراثنا المجيد من هذا الجحود ، ونبرأ إلى الله من هذا الذى يسمونه شعرا ، وينسبونه إلى العربية وهى منه براء !!

حسين جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

كرسى القيادة

شعر نابليون ـ قبل أن يشعر معاصروه من العرب والمسلمين ـ بأن كرسى القيادة فى الشرق كله فى انتظار الرجل الكفء الذى يتولاه . وكان نابليون يتجاهل الشرط الأول لهذا المنصب ، ويطمع فى أن يملأ هو ذلك الكرسى ، لو تمكن من مخالفة المماليك . إن الأقدار قد ادخرت لتاريخ العرب والإسلام الرجل الذى يملأ هذا الفراغ ، وكان من حظ هذا الجيل أن يكون ذلك فى زماننا . إن الله وحده هو الموفق .

الصحابى الجليل
أبو ذر الغفارى

رحم الله أبا ذر ، لقد كان يمثل اشتراكية كريمة مما شرع الإسلام للناس ، ولقد كان يمثل عظمة الإسلام فى اعتزازه بربه ، واعتداده برأيه ولو خالف الوالى أو الخليفة . وقد وصفه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنه يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده . على أنه رضى الله عنه غلا فى اشتراكيته فذهب بها مذهب التشديد ، بجعل ما فضل من حاجة الإنسان كنزا لا يجوز بقاؤه فى حوزته ، وطبق عليه الوعيد فى قول الله سبحانه : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

ومما لا مجال للارتياب فيه أن فى الإسلام اشتراكية لا تتنافى مع ضبط المال والجد فى جمعه من كل طريق شريف ، على أن يعده صاحبه للصالح العام ولا يؤثر به نفسه ، ويجعل فيه حقا للذين لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ويجعل فيه نصيبا مفروضا لإعداد العدة للجهاد فى سبيل الله ، وللمستشفيات والمدارس ، والمعاهد ولوصل ما أمر الله به أن يوصل ، والإسلام يأبى أن يكون المال دولة بين طبقة من الناس كما هو نص القرآن الكريم . ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة خلطهم الأنصار بنفوسهم ، وألجأوا إلى حجرات أدفأت وأظلت ، وقاسموهم ماليهم حتى حصلوا على الريش الذى يطيرون به ، واستطاعوا أن يستغنوا عن إخوانهم . وقد شكر الله سبحانه لهم ذلك فى كتابه ، وحكم لهم بالفلاح فى حكمه العام الذى يسجل معنى الاشتراكية بالتعاون والتعاطف فقال : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ثم جاءت غنائم بنى النضير فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وحدهم ورجلين فقيرين من الأنصار ، كل ذلك لحفظ التكافل بين الأنصار والمهاجرين ، أما أن تكون الأموال لقوم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فمنى ليس من الإسلام فى شىء ، ولعل مجالا آخر يتسع لدراسة ذلك فإنما جر إليه مذهب السيد أبى ذر رضوان الله عليه .

• • •

كان أبو ذر جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو ، من قبيلة غفار ينتهى نسبه إلى خزيمة بن مدركة .

وكان من السابقين إلى الإسلام ، فروى أنه رابع من أسلم ، وروى أنه كان خامسهم .

وكان من حديث إسلامه أنه بلغه مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يعيش فى بنى غفار ومنازلهم فى طريق قريش إلى الشام .

فأرسل أخاه إلى مكة وقال له : اعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتنى .

وانطلق أخوه حتى قدم على الرسول صلوات الله عليه وسمع منه ، ولكنه لم يشف غلة أخيه جندب حين عاد إليه يقول : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويتكلم كلاما ما هو بالشعر .

سافر إذا جندب بنفسه إلى مكة ، وصادفه بالمسجد الحرام على بن أبى طالب فتبع جندب عليا ولم يسأل واحد منهم صاحبه شيئا ، وعاد أبو ذر إلى المسجد فاضطجع به وبقى فى المسجد يومين لا يدرى شيئا مما فى مكة من أمر السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى مساء اليوم الثانى مر به الإمام على وهو مضطجع بالمسجد فقال له :

على : أما آن للرجل أن يعلم منزله (يريد بيته رضى الله عنه) فسار مع على إلى منزله لا يسأل أحدهما صاحبه عن شىء حتى مضى يومان .

وفى اليوم الثالث تقدم إليه على رضى الله عنه بالسؤال :

على ـ ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟

أبو ذر ـ إن أعطيتنى عهدا أو ميثاقا لترشدنى فعلت .

على ـ قد عاهدتك على ذلك .

أبو ذر ـ قدمت لأعلم علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء .

على ـ إنه حق وإنه رسول الله ، فاذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، فان مضيت فاتبعنى حتى أدخل مدخلى .

وفى صبيحة اليوم التالى انطلق على وخلفه أبو ذر حتى دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم ،

فسمع أبو ذر منه ، وأسلم مكانه ، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى . قال أبو ذر : والذى نفسى بيده : لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

ثم أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله فضربوه حتى أضجعوه ، حتى أتى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فدفعهم عنه وهو يقول : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟ .

وبقى أبو ذر بمكة حتى فاتته الهجرة إلى المدينة لم يسافر إليها إلا بعد غزوة أحد .

وفى بعض الروايات أنه عاد إلى قومه فبشرهم بالإسلام واتبعه كثير منهم ، ثم سافر إلى المدينة واستقر بالمسجد مع أهل الصفة بعيدا عن السعى والطلب ، وقد غرس ذلك فى نفسه الزهد فى الدنيا وتخصص فى هاته الناحية ، فكان أشد الصحابة تمسكا بها ، ومما أظهر فضله فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ولاه المدينة مرتين ؟ .

وكانت غزوة تبوك فى السنة التاسعة للهجرة ، وكانت أشق الغزوات على المسلمين لبعد الشقة ، ولأنهم كانوا يريدون قوما أولى قوة و بأس و إمكانيات فوق الطاقة ، وكان أبو ذر من الصحابة الذين خرجوا فيها على بعد اثنى عشر فرسخا من المدينة ، ثم صار يتخلف كثير من الناس ، وأبطأ بأبى ذر بعيره عن اللحاق بالجيش ، فأخذ متاعه من فوق البعير وحمله على ظهره وسار ماشيا . ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض منازله فنظر بعض الصحابة سواده من بعيد ، فلفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (كن أبا ذر) ، فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ! هو والله أبو ذر ، فقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله أبا ذر يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فلما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره خبر بعيره فقال صلى الله عليه وسلم : « إن كنت لمن أعز أهلى على تخلفا . لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتنى » .

ثم لم يعرف لأبى ذر إسهام فى فتوح العرب فى عهد الشيخين ، ولا ندرى لماذا ؟ وكل ماقيل إنه خرج إلى الشام فى عهد عمر مترددا بينها وبين المدينة .

فلما كان عهد عثمان رضى الله عنه ثار أبو ذر على تصرفه فيما لايتفق مع اشتراكيته ، وأخذ يجهر برأيه ، وصادف ذلك بوادر الفتنة على عثمان فكان عمله هذا ضغثا على إبالة

فى محنة عثمان رضى الله عنه ولكنه خالص النية ، صادق الاتجاه ، لا يريد للناس إلا ما يريد لنفسه من الزهد فى الدنيا ، والإعراض عن متعها وطيباتها .

ولما كان هذا مذهبا لا يسع الناس جميعا ، فقد وجد أبو ذر كثيرا من الخصوم الذين يقاومون مذهبه ، ولكنه كان عليا بكل ما يتعلق بالزهد من الكتاب والسنة أو جل ذلك على الأقل ، وكان بليغا مؤثرا ، نخافه معاوية بالشام وكان واليا عليها فرفع أمره إلى الخليفة عثمان فاستدعاه إلى المدينة واختار له أن يفارق الناس إلى مكان هادئ وادع قريب من المدينة اسمه (الربذة) [١] ، وقد مات به وليس معه إلا امرأته وغلامه فوضعوه على قارعة الطريق ، حتى أقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فبكى عبد الله وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك .

رأينا فى اشتراكية أبى ذر :

لم يعرف لهذا المذهب ظهور إلا فى عهد عثمان رضى الله عنه ، ليقاوم به أبو ذر ما ظهر فى عهده من تدفق الثروات على مكة والمدينة ، فقد ظهرت طبقة مترفة من أرباب الثراء نستطيع أن نسميهم رأسماليين ، وبجانبهم طبقة فقيرة معدمة حرمهم أولئك الأغنياء المسلطون على شئون الحكم والرياسة وقيادة الجند ، فحقد الفقراء على الأغنياء وتمنوا الخلاص من سيادتهم وأعلنوا أن الفىء والغنائم لهم لا للحكومة ، وأثار ذلك روح المعارضة للحكومة ، والتمرد عليها فى المدينة وفى جميع الأمصار الإسلامية ، وكانت هناك ضروب من الكيد تدبر لعثمان .

---

[١] الجلة — إن أبا ذر رضى الله عنه هو الذى اختار الاقامة فى الربذة فى كتاب (العبر) لقاضى ولى الدين ابن خلدون (بقية ج ٢ ص ١٣٩) . أن أباذر استأذن أمير المؤمنين عثمان فى الخروج من المدينة وقال له : « إن رسول الله أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا » ، فأذن له ، ونزل الربذة ، وبنى بها مسجدا ، وأقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقا . وكان أبو ذر يتعاهد المدينة ، وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال . قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة .

وقد كان مما يذكى نيران الثورة كما أشرت لك من قبل ذلك الصحابى الزاهد الذى كان من أهل الصفة فغرس فى نفسه الزهد الموغل الذى لا يدع مجالا للدنيا بحال .

وسواء أكان مذهب أبى ذر تحريم الادخار مطلقا أو تحريم الادخار لغير ما ينفق فى سبيل الله ، فانه مذهب مشدد لا يعلم من يقول به . نعم إن روح الإسلام تمنع التضخم فى الثروات ، وأن تستبد بطائفة من الناس شهوة جمع المال من كافة الوجوه الممكنة ، فلا يبالون باستغلال العمال وانتقاص حقوقهم واتخاذهم جسورا إلى نهمهم الممقوت البغيض ، وأولئك هم الأغنياء المكثرون الذين تنسيهم شهوة المال والحرص عليه حقوق الله والناس فى أموالهم ، ويتهربون من أداء الواجبات الدينية والاجتماعية المنوطة بهم .

إن الإسلام يحارب كل هذه المعانى لأنها وسائل للشر ، وذرائع للفساد فى الأرض وهو يدعو إلى أن يكون المسلمون كجسم واحد ويد واحدة على من سواهم ، فأما أن يشيع البغى والحسد وتربص الدوائر بسبب هذه المحاولة التى ليس وراءها إلا تقسيم الناس إلى سادة وعبيد ، فليس فى الإسلام شىء من ذلك ، وقد بدأت بوادر الشر منذ عهد عثمان الذى فتح فيه هذا الباب بحسن نية . فمن حق الإمام أن ينظم التكافل الاقتصادى بالحكمة فى ظل اشتراكية الإسلام ، فى دائرة أوسع من دائرة أبى ذر ، ومن أجل ذلك قال عمر ابن الخطاب فى يوم من الأيام : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » . ولو لم يكن ذلك جائزا فى الإسلام ما قاله عمر ولا نبه إليه .

محمود النواوى

جبهة علماء الأزهر

أصدرت جبهة علماء الأزهر بيان حول بعض المسائل المتصلة بتحقيق العدالة وسلامة النفس والجسم وتربية الخلق والذوق وهذا البيان يتناول مسائل توحيد القضاء ، والصور العارية ، وصناعة الخمر وتعاطيها والاتجار فيها ، ومسألة تحديد النسل . وقد توخت فى ذلك أن تبين الرأى الذى يتفق مع أصول الإسلام وتعاليمه الرشيدة .

لغويات

هاقد تمت الوحدة بين مصر وسورية

ها نحن نسير في طريق المجد

هذا الأسلوب شائع على ألسنة الناس . و (ها) فيه من أدوات التنبيه للسامع وحثه على الإصغاء فهي تؤدى ما تؤدى أما وألا الاستفتاحيتان .

وقد أنكر بعض الباحثين موقع (ها) هنا وقضى بخطأ ما يخطئ في هذه الأساليب . ذلك أن المعروف في (ها) هذه أن تختص باسم الإشارة ، نحو هذا وهؤلاء . وقد يعنى هذا على تعرف ماذكره النحاة في هذا الباب .

فترى ابن هشام في المغنى يذكر أن هذا الحرف يدخل في (أيها) في قولك : يأيها الرجل ، وما جرى مجراه ، نحو يأيتها المرأة ، وهو لازم في هـذا القبيل من الكلام . ويدخل في أسلوب القسم بالله سبحانه إذا حذف الجار ، نحوها الله لأفين بالعهد . وهذان الموضعان لايعنياننى في هذا المقام . ويدخل على اسم الإشارة ، نحو هذا وهذه ، وهذا الموضع لاشبهة فيه ولا غبار عليه . ويدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم إشارة ، نحوها أناذا أنهض إلى المعالى ، وها أنتم أولاء تحمون وطنكم . وقد لقى هذا الموضع من النحاة بحثا طويلا .

فيرى بعضهم أن هذا يرتد إلى ما قبله ، إذ إن حرف التنبيه في الأصل كان داخلا على اسم الإشارة فقدم على المبتدأ وهو منوى به مكانه الأصلى فإذا قلت : ها أنت ذا تفعل فأصله : أنت هذا تفعل ، فقدمت (ها) كما نطقت . ويرد بعضهم هذا النظر بنحو قوله تعالى في سورة آل عمران : هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، إذ إن اسم الإشارة صحبه حرف التنبيه ، فكان غنيا عن (ها) التى في صدر الجملة فهى ليست داخلة عليه ، فإن الحرف لايدخل على مثله . ويجيب صاحب الرأى الأول بأن حرف التنبيه أعيد في الآية للتوكيد .

فهذه هي المواطن التي تقع فيها (ها) كما ذكرها صاحب المغني . ولا نرى فيها مكانها في الأسلوب الذي هو موضع بحثنا . فمن ثمّ كان عرضة للانكار والتخطئة .

ولكننا نرى نحويا جليلا سابقا على ابن هشام ـ وهو الزمخشري ـ لا يلتزم قصر (ها) على هذه المواطن ، فهو يجعلها كألا وأما ، ونراه يقول في المفصل إذ يعدّ حروف التنبيه : « وهي ها وألا وأما . تقول : ها إن زيدا منطلق ، وها أفعل كذا . . . » ونرى أن الأسلوب الذي معنا لا يختلف عما مثل به جار الله . وأذكر هنا أن جار الله يقول في موطن من هذا الفصل : « وأكثر ما تدخل (ها) على أسماء الإشارة والضمائر ، كقولك : هذا وهذه وها أناذا وها هو ذا وها أنت ذا وها هي ذه وما أشبه ذلك » .

فترى أن الأسلوب الذي مثل به أولا ـ وهو ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا ـ عنده قليل ، ولكنه مع هذا سائغ صحيح .

ونرى الرضيّ يجري على قصر (ها) على المواطن الأربعة كما فعل ابن هشام . غير أنه يتوسع في الرابع ، فالشرط عنده أن يوجد في الجملة اسم إشارة ، ويفصل بينه وبين ها بضمير مبتدأ في الأكثر ، وقد يفصل بغير المبتدأ ، وأورد من هذا قول النابغة :

ها إن تا عذرة إلا تكن قبلت فإن صاحبها قد تاه في البلد

والرضيّ لا يرتضي رأي الزمخشري وتوسعته في (ها) ، فهو يقول في شرح الكافية ٢ / ٣٨١ : « وما حكى الزمخشري من قولهم : ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا مما لم أعثر له على شاهد » .

وقد وقف الدماميني على رأي الزمخشري وتعقب الرضي له ، فكتب في حاشيته على المغني ـ كما نقل الدسوقي عنه ـ : « قوله : فتدخل على أربعة ، حكى الزمخشريّ في المفصل أنه يقال : ها إن زيدا منطلق وها أفعل كذا ، وهذا ليس شيئا من الأربعة التي ذكرها المصنف . لكن قال الرضيّ : لم أعثر له على شاهد ، وهو عجيب ، فإن الزمخشريّ أنشد في المفصل قول النابغة :

ها إن تا عذرة إن لم تكن قبلت فان صاحبها قد تاه في البلد

وهذا شاهد على دخولها في الجملة الاسمية الخالية من اسم الإشارة » . وقد علمت أن الرضي يجيز الأسلوب إذا كان فيه اسم إشارة وإن لم يكن فيه ضمير ، وإنما ينكر ما خلا من اسم الإشارة كما في مثالي الزمخشريّ . فليس في صنيع الرضي ما يقتضي العجب ، كما زعم الدماميني .

وقد أردت أن أرجع فى هذا إلى كتاب سيبويه وأتعرف منه جلية الخبر .

وقد جاءت هذه المسألة فى الكتاب ٢ / ٣٧٩ . فأورد رأى الخليل فى (ها أنا ذا أفعل) . وهو أن حرف التنبيه داخل فى التقدير على اسم الإشارة ، وقد سبق هذا الرأى . ثم عقب عليه بأن هذا الحرف قد يدخل على الجملة ولا يدخل على اسم الإشارة ، وهذا حين يقول : « وقد تكون (ها) فى ها أنت ذا غير مقدمة ، ولكنها تكون للتنبيه بمنزلتها فى هذا . يدلك على هذا قوله هاأنتم هؤلاء ، فلو كانت (ها) ههنا هى التى تكون أولا إذا قلت : هؤلاء لم تعد (ها) ههنا بعد أنتم » . وقد سبق أن بعضهم يحمل (ها) قد أعيدت فى الآية للتوكيد ، ومن هؤلاء ابن مالك فى التسهيل إذ يقول : « وقد يعاد (ها) بعد الفصل توكيدا » وقد علق عليه الدماميني فى شرحه فقال : « وظاهر هذا مخالف لكلام سيبويه ... » ثم ساق كلام سيبويه . ونفهم من هذا أن سيبويه يرى أن (ها) قد تكون للتنبيه على مضمون الجملة ولا تكون قرينة لاسم الإشارة . وسيبويه يفرض المثال فيه ضمير الرفع مع اسم الإشارة لأن الكلام فيه ، ولو كان الكلام فيه الضمير فقط كما لو قلت : ها أنا أفعل أو لم يكن فيه ضمير البتة كما لو قلت : ها إن الصدق منج لم يكن فيه بأس فى القياس على ما قرر سيبويه : أن (ها) تدخل على الجملة ، ولا تختص باسم الإشارة . وكأن الزمخشرى استمد رأيه السابق من نص سيبويه هذا ، فأجاز : ها إن زيدا منطلق ، وها أفعل كذا : وقد علمت أن الرضى ينقد كلام الزمخشرى فى جواز هذين المثالين بأنه لم يمثله على شاهد ، وقد يكون من الشواهد ما أورده من قول النابغة : ها إن تا عذرة ... ولا ينفع الرضى أن يزعم أن (ها) داخلة على اسم الإشارة فصل بينهما بالناسخ ، فقد علم أن (إن) الناسخة لها الصدر فى جملتها فلا يتصل ما قبلها بما بعدها ، فينبغى أن يعد (ها) داخلة على الجملة لا على اسم الإشارة :

ومن الشواهد الصريحة قول عوف بن محلم الخزاعى [١] :

ألا ياحمام الأيك إلفك حاضر	وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شىء فإننى	بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب	فها أنا أبكى والفؤاد جريح

فتراه أورد (ها) على الجملة التى فيها ضمير وليس فيها اسم إشارة ، وهذا يقضى أن حرف التنبيه دخل على الجملة لا على الإشارة . وهو يسوغ ما هو موضوع البحث .

---

[١] الأمالى ١ - ١٢٢

وأذكر هنا أن ابن هشام جاء فى خطبة كتابه المغنى : « وها أنا بائح بما أسررته ، مفيد لما قررته وحررته » فكتب الدسوقى « أدخل ها التنبيه على الضمير المنفصل وخبره ليس اسم إشارة مع أنه يمنع ذلك كما يأتى بيانه فى حرف الهاء . وقد وقع له ذلك فى ثلاثة مواضع ، إلا أن يجاب بأنه مشى فيها على ما جوزه بعضهم » .

ويخرج القارئ من هذا البحث بجواز ما جرى عليه كلام الناس فى دخول (ها) على الجملة التى ليس فيها اسم إشارة .

محمد فى الزيتون الثانوية

يتردد هذا الأسلوب كثيرا يراد : محمد فى مدرسة الزيتون الثانوية ، فحذف المضاف وبقى الوصف بالثانوية كما لو لم يحذف ، وهذا استعمال صحيح فى نظر النحاة ، فهم يقررون أن المضاف إذا حذف قام المضاف إليه مقامه فى الإعراب وفى التذكير والتأنيث ، وفى الأشمونى فى باب الإضافة : « كما قام المضاف إليه مقام المضاف فى الإعراب يقوم مقامه فى التذكير ، كقوله :

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

بردى مؤنث فكان حقه أن يقول : تصفق بالتاء ، لكنه أراد : ماء بردى ، وفى التأنيث ، كقوله :

مرت بنا فى نسوة خولة ... والمسك من أردانها نافحة

أى رائحة المسك وفى مثالنا (الزيتون) اكتسب التأنيث من المضاف المحذوف وهو مدرسة فأنث الوصف له ، وهو الثانوية . ومن هذا ما جاء فى المغرب فى الكلام على السيرة إذ يقول : « وأصلها حالة السير ، إلا أنها غلبت فى لسان الشرع على أمور المغازى وما يتعلق بها ، كالمناسك على أمور الحج . وقالوا : السير الكبير فوصفها بصفة المذكر الذى هو كتاب ، كقولهم : صلى الظهر . وسير الكبير خطأ ، كجامع الصغير وجامع الكبير » يريد أنهم يقولون : من مؤلفات محمد بن الحسن السير الكبير فجاء الوصف مذكرا مع تأنيث السير إذ هى جمع نظرا لاكتساب السير التذكير من المضاف المحذوف وهو كتاب ، وهذا عكس المثال الذى معنا إذ اكتسب فيه المذكر التأنيث من المضاف المحذوف .

محمد على النجار



إتحاف الأنام بخطب رسول الاسلام

للأستاذ محمد خليل الخطيب — ٣٦٧ ص — مطبعة الشعراوى بطنطا

فضيلة الأستاذ مؤلف هذا الكتاب من علماء معهد طنطا ، وقد توخى جمع الخطب النبوية فى هذا الكتاب متحريا مستقصيا ، ورتبها على معانى الهداية والإرشاد ، وإذا لم يجد فى معنى من تلك المعانى خطبة ذكر فيه حديثا شريفا أو وصية نبوية توفية للقام ، وأدخل فيه مواعظ بعض أصحابه الكرام التى رأى أنها فى حكم المرفوع ، وعقب على كل خطبة أو حديث بتعيين مراجعه أو بعضها ليرجع إليها الراغبون ، قال : وخرجتها وذكرت درجتها ليطمئن المحدثون . وقد شرح غريب مبانيها وأبان بعض معانيها ، وبدأها بخطبة جهاده صلوات الله وسلامه عليه ، وختمها بخطبه فى مرضه الذى انتقل بعده إلى الرفيق الأعلى .

وهو مجهود كريم يشكر عليه فضيلة المؤلف تولى الله مكافأته .

رجال من التاريخ

للأستاذ على الطنطاوى — ٢٧٦ ص — مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر بدمشق

هو مجموعة أحاديث ، حدث المؤلف ببعضها من إذاعة الحجاز ، وبأكثرها من إذاعة الشام ، ولأنه كان يتحدث بها إلى الجماهير تخير لها شرط الفصاحة وهو خلو الكلمة من الغرابة والتنافر ، وشرط البلاغة وهو مطابقة الكلام لما تقتضيه الحال . إلا أنه كان مضطرا إلى الاختصار والإيجاز ، كما هو الشأن فى أحاديث الإذاعة ، فهى لاتجمع أطراف الموضوع ، وليس فيها استقصاء ولا تعمق ، وإن كان فى اختصارها بلاغ .

افتتحها بفصل فصيح بليغ عنوانه « محمد صلى الله عليه وسلم فى يوم الهجرة » وختمها بفصل عن حياة أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى شارح القاموس والإحياء . وقد جاء فى هذه الترجمة أن شارح القاموس ولد فى اليمن ، وأذكر أنى قرأت مثل ذلك فى مقال لأحد أفاضل المصريين عن شارح القاموس . ومما لاشك فيه أنه ولد فى بلكرام من بلاد الهند ، وهو من أسرة السيد غلام على آزاد الحسينى الواسطى البلكرامى مؤلف كتاب (سبحة المرجان فى آثار هندستان) ، وأصلهم من سلالة السيد عيسى موتم الأشبال ابن الإمام زيد بن الحسين ، انتقلوا إلى الهند من واسط العراق . وبسبب غموض أخبار شارح القاموس قبل انتقاله من بلكرام إلى زبيد فى اليمن خيل إلى — بتأثير ما كتبه محمد عبد الجليل السامرودى فى ترجمة طاهر بن على الفتنى بآخر تذكرة الموضوعات — أن شارح القاموس وصاحب سبحة المرجان شخص واحد ، ثم تبين لى من تحقيق السيد مناظر أحسن كيلانى فى مجلة (معارف) الأوردية (١٩ : ٩٩) أن مؤلف سبحة المرجان فى سنة ١١٧٧ غير ابن عمه شارح القاموس الذى دخل مصر سنة ١١٦٧ غير أنهما من بلد واحد وأسرة واحدة ، لكن مؤلف سبحة المرجان أكبر من شارح القاموس بنحو ثلاثين سنة . وفى مقالة مجلة معارف سلسلة نسب هذه الأسرة وكلام جيد عن شارح القاموس .

وفى كتاب (رجال من التاريخ) بين فصل الهجرة وترجمة شارح القاموس فصول نفيسة عن عظماء الإسلام فى مختلف عصوره ، وكل فصل منها يساوى كتابا كعهد القراء بما يكتبه الأستاذ الطنطاوى شفاه الله وقواه .

الداء والدواء

للامام ابن القيم — ٣٥٩ ص — مطبعة المدنى بالقاهرة

هذا الكتاب هو الذى اشتهر باسم (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى) وقد سبق طبعه مرتين ، غير أنه قد استمين الآن على طبعه للمرة الثالثة بنسخة مخطوطة نشر فى أوله راموز الصفحة الأولى منها وراموز آخر الكتاب وخاتمته . وقد قام بتحقيقه والتقديم له فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

والكتاب مبنى على سؤال موجه إلى الإمام المؤلف « فى رجل ابتلى ببلية ، وعلم أنها إن استمرت به أفسدت عليه دنياه وآخرته ، وقد اجتهد فى دفعها عن نفسه بكل طريق

فما يزداد إلا توقدا وشدة ، فما الحيلة فى دفعها ؟ » . فأجاب ابن القيم رحمه الله على هذا السؤال بهذا الكتاب مرشدا السائل إلى ماق الإسلام من طب القلوب وصرفها عن طريق الشيطان إلى التعلق بطاعة الرحمن ، وهو بحث طويل فى طب النفس الإسلامى يدل على سعة علم المؤلف كما يدل على عظيم حكمة الإسلام فى معالجة أمراض القلوب وأدواء النفوس . وقد ختم ابن القيم هذا الجواب بفصل يتعلق بعشق الصور ومفاسده العاجلة والآجلة .

المغنى فى تصريف الأفعال

للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة – ٢٠٨ ص – مطبعة العهد الجديد

أفضل ما يقوم به علماؤنا فى هذا الجيل الرجوع بالعلوم الإسلامية والعربية إلى ينابيعها الأولى وتراثها الأقدم ، فيتخذوا منها أساسا للبناء والتجديد . وفضيلة الأستاذ الضليع مؤلف هذا الكتاب من أفاضل مدرسى كلية اللغة العربية ، وقد صرف همه منذ عهد طويل إلى دراسة العربية وعلومها فى كتبها الأولى ، من كتاب سيبويه إلى مصنفات العلماء الذين جاءوا بعده ، فكان من حسن حظ تلاميذه فى كلية اللغة العربية أن يتنفسوا معه نسيم هذا الجو الصافى ويأنسوا به . وقد قال فى خطبة كتابه (المغنى فى تصريف الأفعال) : إنه حرص فيه على أن يذكر مراجع كل مسألة ليكشف عن منابعها ويشير إلى مصادرها ، ونهج نهجا جديدا هو الإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته المختلفة ، والاستشهاد بقراءات القرآن فيه عضد وتأييد لقواعد النحو ودعم لشواهدها . وفيه رد على الصيحات المنكرة التى تنبعث بين الحين والحين من أفواه أشباه العامة تنادى بالإعراض عن دراسة النحو والصرف زاعمة أن لغة العرب فى غنى عما شرع النحويون من قوانين ورسموا من قواعد واصطنعوا من شواهد .

ورجاؤنا أن يكون لهذا الكتاب ، ولمنهج الأستاذ المؤلف فيه ، أثر طيب فى نفوس طلاب العربية ، فيعنوا بدراستها على أنها متعة تخرج بهم عن تكاليف المنهج الدراسى وحدوده إلى الرغبة النفسية فى الوقوف على أسرار العربية حتى يكون ذلك سليقة فيهم كما كان أعلام علمائها الأولون .

أنيس الجليس

للأستاذ الشيخ على رفاعى – ١٩٢ ص – دار الزينى للطباعة والنشر

سبق لنا التعريف ببعض مؤلفات فضيلة الأستاذ المؤلف ، وكلها تدور حول مهمته الحميدة فى الحياة وهى الوعظ والخطابة ودلالة الناس على طريق السعادة .

وكتابه هذا قد وجه فيه الخطاب إلى أحد أبنائه ، فهو موعظة من طب لمن حب . وقد توخى فيه أن يكون متعة للروح وبهجة للنفس وسرورا للفؤاد ، فهو يتنقل من العلم إلى الأدب والقصص والعظة والعبر والفكاهة والحكمة .

فعسى أن ينتفع به قراؤه كما انتفعوا بكتبه الأخرى من قبل .

طراز البردة

للأستاذ محمد كامل عبد العظيم – الجزء الأول ١٥٩ ص – مطبعة مصر

لقد بذل المؤلف الفاضل فى كتابه هذا أقصى ما بلغته العناية لتجويده وتجميله ، فافتتحه بمقدمة مستفيضة للأستاذ العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمى ، ثم بكلمة أخرى للأستاذ محمود بيرم التونسى ، تتلوهما مقدمة المؤلف وغرضه من هذا الكتاب وطريقته فيه ، والسبب الذى حمله عليه . ثم انبرى لترجمة شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى الصنهاجى ناظم البردة ، فذكر نشأته ، وحالة عصره ، وأفاض فى وصف شعره ولا سيما البردة ونسخها المخطوطة وطبعاتها ، والذين شطروها وخمسوها وشرحوها وعارضوها ، وتكلم على بحرها وعروضها وقافيتها ، وقد بلغ ذلك كله فى ٦٨ صفحة ، ثم بدأ المؤلف فى شرح القصيدة من صفحة ٦٩ فشرح أربعة أبيات منها فيما بقى من صفحات الجزء الأول ، وسيوالى نشر شرح سائر القصيدة فى أجزاء أخرى ، وكلما ورد ذكر علم من الأعلام فى المقدمة والترجمة والشرح استطرد لترجمته . فجاء الكتاب حافلا بالفوائد الغزيرة والبحوث الأدبية التى قد لايجدها القارئ مجتمعة فى كتاب غيره .

الأدب والعلوم

العرب يدرسون الذرة

يتخصص الآن فى الاتحاد السوفيتى خمسة عشر طالبا من الجمهورية العربية المتحدة فى دراسة الطبيعة النووية . وقد أعدت لهم زيارات خاصة لمعامل الأبحاث والمراكز الفنية فى هذا النوع من الدراسة .

محرك كهربائى مصرى

ابتكر الدكتور جلال المغربى فى كلية الهندسة بجامعة القاهرة محركا كهربائيا (موتور) يوفر نصف نفقات أى محرك آخر من قوته ، ويمكن استخدامه لتوليد الكهربائية ذات القوة العالية . ومن مميزاته أن سرعته تبلغ ضعف سرعة المحركات العادية ، مما يضفى عليه أهمية خاصة فى بعض البحوث العلمية التى تحتاج إلى سرعة كبيرة لا تتوفر فى المحركات المتداولة الآن .

٤٠٠٠٠ تلميذ ابتدائى

أوشكت السنة الدراسية على الانتهاء ، وتستعد وزارة التربية والتعليم للسنة الدراسية القادمة ، وقد اتفق مؤتمر المديرين المساعدين للتعليم الابتدائى على قبول أربعمائة ألف طفل بالسنة الأولى الابتدائية ، أى بزيادة قدرها خمسة عشر ألف طفل على الذين قبلوا فى السنة الماضية .

إصلاح إدارة التربية والتعليم

اتفق مؤتمر المديرين المساعدين للتعليم الابتدائى على نقل النظار والمدرسين غير الصالحين إلى الأعمال الكتابية والأعمال الإدارية الأخرى ، وسيكون نقلهم على مراحل ، وسيستكمل الجهاز الإدارى للمناطق من بين هؤلاء . وسيكون اختيار نظار المدارس من بين الصالحين ، وفى حالة عدم توفر الشروط يمكن اختيار النظار عن طريق الندب ممن تتوفر فيهم الصلاحية والكفاءة ، وستعمل جوائز تشجيعية للمدرسين والنظار الذين يؤدون عملهم على الوجه الأكمل .

المدارس الأجنبية فى سوريا

انعقد فى دمشق مؤتمر مديرى التربية والتعليم فى الإقليم السورى ، وكان يرأسه السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، ومما قرره هذا المؤتمر وجوب خضوع مدارس التعليم الخاص ـ الأهلية والأجنبية ـ لإشراف الدولة ممثلة فى وزارة التربية والتعليم ، وذلك فى شتى النواحى التعليمية والخلقية والمالية والصحية وغيرها .

مكتبة القوتلي
في الجامعة السورية

كانت اللجنة التي تألفت لتكريم السيد شكري القوتلي اعترافا بفضله في إتمام الاتحاد بين شطري الجمهورية العربية المتحدة قد اقترحت إقامة تمثال له . ولكن السيد شكري القوتلي لم يعبأ بهذا التعبير الأجنبي عن محبة شعبه له ، وطلب أن تنشأ باسمه مكتبة علمية في جامعة دمشق يكون نفعها عاما خالدا مادامت العروبة في ظل اتحادها .

وسيحتفل في يوم الخميس ١٠ ذي القعدة (٢٩ مايو) بوضع الحجر الأساسي لهذه المكتبة في جامعة دمشق وسيرأس الاحتفال السيد صبري العسلي نائب رئيس الجمهورية .

١٥٥ مكتبة نموذجية
بالثانوي ، ومعاهد المعلمين

بلغ عدد المكتبات التي أعدتها وزارة التربية والتعليم ١٥٥ مكتبة بالمدارس الثانوية ومعاهد المعلمين والمعلمات .

ويفتتح السيد وكيل وزارة التربية والتعليم المكتبة النموذجية لمعهد المعلمات الخاص بالمنيل .

معرض روسي
لتمثيل الحياة في الجمهورية العربية

احتفل في موسكو بافتتاح معرض فني للوحات الفنانين الروس التي تمثل الحياة في شطري الجمهورية العربية المتحدة (مصر والشام) ، وذلك في قاعة بوشكين للفنون التطبيقية في موسكو . وقد قامت وزارة الثقافة السوفيتية بتنظيم هذا المعرض بالتعاون مع اتحاد الفنانين والرسامين السوفيت وكان من أبرز ما لفت الأنظار في هذا المعرض لوحات تمثل كفاح شعب بورسعيد الباسل ضد العدوان الثلاثي الأخير .

الوسائل التعليمية

تسلمت إدارة الوسائل التعليمية بوزارة التربية والتعليم ١٥٢٥ آلة جراموفون ، وثلاثين ألف اسطوانة خام ، و ٣٠٠ آلة عرض سينمائي ، و ٦٠٠ جهاز لعرض الصور الثابتة ، و ١٠٠ جهاز راديو ، و ٥٠ وحدة إذاعة ، و ٥٠ مسجل تسجيل . وقد تم توزيع معظم هذه الأجهزة على المدارس بالمراحل المختلفة .

تدريب طلاب الثانوي
على الآلة الكاتبة

أعدت إدارة التعليم الثانوي بوزارة التربية والتعليم مشروعا لتشجيع طلاب المدارس الثانوية على الآلة الكاتبة ، وحفز الطلاب على الإقبال عليها ، وستخصص المدارس جوائز تشجيعية للمتفوقين فيها .

أنباء العالم الإسلامي

زيارة الرئيس لروسيا

فى الساعة ٣ و٢٥ دقيقة من صباح الثلاثاء ١٠ شــوال (٢٩ إبريل) سافر الرئيس جمال عبد الناصر من مطار أبو صوير على طائرة روسية نفاثة قدمتها روسيا خصيصا لهذه الرحلة ، سرعتها ٩٠٠ كيلو مترا فى الساعة ، وتتسع لـ ٧٥ راكبا ، وقد صحب الرئيس السادة عبد اللطيف البغدادى وأكرم الحورانى وكمال الدين حسين والدكتور محمود فوزى وعلى صبرى وأحمد عبد الكريم وصلاح محمد نصر ومحمد عوض القونى . ومرت الطائرة بمدينة بودابست عاصمة المجر ، وتناول الرئيس إفطاره فى قاعة المطار مع رئيس الجمهورية المجرية ورئيس وزرائها ورجال حكومتها وهم فى استقباله ، ثم واصل الرئيس رحلته إلى موسكو فاستقبل فيها استقبالا لم يلقه رئيس دولة أخرى زار موسكو حتى الآن . واشــترك الشعب الروسى فى استقباله بحفاوة أذهلت جميع مراسلى الصحف العالمية ووكالات الأنباء ، وفى الليلة التى أعقبت نهار وصول الرئيس إلى موسكو لم تنم العاصمة الروسية ، وكانت تعيش كأنها فى عيد . وكلما ظفرت الجموع الروسية فى المبادين بشاب عربى كانت تلتف حوله ، وتتلقف منه ألفاظا باللغة العربية يحاولون أن تنطق بها ألسنتهم .

ومكبرات الصوت فى الشوارع تذيع كل شىء عن جمال عبد الناصر : عن قصة حياته ، عن تاريخ كفاحه . ومحطات التلفزيون تتابع تحركات الرئيس وتنقل صوره إلى الناس بعد لحظات من تصويرها وهكذا كانت رحلة الرئيس إلى روســيا شغلها الشاغل من بدايتها إلى نهايتها .

الاجتماع الرسمى
بين روسيا والجمهورية العربية المتحدة

تم هذا الاجتماع فى قاعة الاجتماع الضخمة بالكرملين منذ الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى لوصول الرئيس وصحبه إلى موسكو. تكلم جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع فعرض مشاكل الشرق الأوسط ، وعرض سياســة الجمهورية العربية المتحدة نحو كل هذه المشاكل وكان يشرحها شرحا كاملا مستفيضا . وأعلن الجانب السوفيتى بلسان خروشتشيف تأييده للسياسة العربيــة الحكيمة ، وأن السياسة السوفيتية إزاء الشرق الأوسط لم يطرأ عليها تغيير ، وأنها قائمة على أساس بذل المساعدات غير المقترنة بقيود ، والمنزهة عن الغرض .

وفى مأدبة الغداء قال جمــال عبد الناصر : لأول مرة نتقابل مع قادة الاتحاد السوفيتى ونتكلم فى جميع الأمور بصراحة ووضوح .

لقد أثبت التعاون الذى تم بيننا فى السنوات القليلة الماضية أنه يمكن التعاون بسياسة مبنية على التعاون والصداقة . ولم تكن مساعدتكم لنا متوقفة على شرط أو على التزام ، فقد ظللتم تحترمون سياستنا المستقلة ، فلم يحدث أى تدخل بأى حال من الأحوال وقد كنتم تحترمون سياسة الحياد الإيجابى التى أعلناها . وقد أثبتت المحادثات التى تمت بيننا أن التعاون بين البلدين مبنى على الصداقة والإخلاص . وأن من يريد أن يخضع بلدا لا يمكن أن يعاونه فى أن يصل إلى مراكز القوى سواء من الناحية العسكرية أو من ناحية البناء الصناعى . ولقد حاربنا لكيلا نكون ضمن منطقة نفوذ الدول الاستعمارية . وقررنا أن تكون سياستنا مستقلة تنبع من ضمير بلدنا ، ولم نكن أيها الأصدقاء فى تعاوننا فى السنوات الأربع الماضية إلا متبعى سياسة التحرير التى رسمناها وزادتنا هذه السنين ثباتا على اتباعها . ويسرنى ياسيادة الرئيس تعبيركم عن تفهمكم لكفاح الدول العربية من أجل الحرية والاستقلال وتفهمكم لخطر إسرائيل الذى يهدد الدول العربية باعتبار إسرائيل رأس جسر للاستعمار . وإن شعب الجمهورية العربية المتحدة وسائر الشعوب العربية تنظر إليكم نظرتها للصديق الذى يعاونها لا لسبب أو مصلحة . ولكن من أجل تثبيت حريتها واستقلالها ، عبرتم عن ذلك فى خطابكم الآن . إننا نعتز بهذه الصداقة ونعمل على تثبيتها وتدعيمها ودوامها .

الاتفاق على أسهم القناة

كانت الشركة السابقة لقناة السويس تطلب من مصر تعويضا لحملة الأسهم عن المدة الباقية من الامتياز وهى ١٢ عاما ، وتطلب قيمة معاشات الموظفين السابقين فى الخارج وكذلك السندات المستحقة على الشركة فى الخارج ، وجملة ما يطالبون به مصر ٢٠٠ مليون جنيه .

وقد توصلت الجمهورية العربية المتحدة إلى تنازل حملة الأسهم عن طلبات التعويض للمدة الباقية فى الامتياز ، وأن تتحمل الشركة السابقة دفع معاشات الموظفين السابقين فى الخارج وقدرها ١٣ مليونا و ٨٠٠ ألف جنيه . وأن تتحمل الشركة السابقة قيمة السندات المستحقة فى الخارج وقدرها مليونان و ٧٠٠ ألف جنيه . وستدفع الجمهورية العربية المتحدة تعويضا قدره ٢٨ مليونا و ٣٠٠ ألف جنيه ، فاذا خصم منه قيمة المعاشات وهى ١٣,٨٠٠,٠٠٠ جنيه ، وقيمة السندات المستحقة فى الخارج وهى ٢,٧٠٠,٠٠٠ جنيه يكون صافى التعويض ١١ مليونا و ٨٠٠ ألف جنيه .

ومن المعلوم أن الجمهورية العربية المتحدة حصلت على ممتلكات وأموال الشركة فى

الإقليم المصرى وقيمتها ٣١ مليونا و٥٠٠ ألف جنيه ، منها ٢١ مليونا قيمة المبانى والورش ، و ١٠ ملايين ونصف مبالغ نقدية وسندات كانت تملكها الشركة السابقة فى الإقليم المصرى عند التأميم .

ويقدر الدخل السنوى للقناة بأربعين مليون جنيه من النقد الحر ، ولو استمرت الشركة السابقة على مباشرة تحصيله فى الاثنتى عشرة سنة الباقية من الامتياز فيما لو لم يتحقق التأميم لكان مجموع ذلك أربعمائة مليون جنيه وثمانية وأربعين مليونا .

إفراج أمريكا عن أرصدتنا

أعلنت وزارة الخزانة الأمريكية أنها أفرجت عن حوالى ثلاثين مليون دولار هى مقدار الأموال المصرية التى كانت أمريكا قد جمدتها عقب إعلاننا تأميم قناة السويس .

البرنامج الثامن لتحسين قناة السويس

كان عمق قناة السويس عند إنشائها عام ١٨٦٩ ثمانية أمتار وعرضها عند القاع ٢٢ مترا بقطاع مائى قدره ٣١٠ أمتار مربعة .

ويبلغ الآن عمق القناة نحو ١٤ مترا وعرضها عند القاع ٣٦ مترا بقطاع مائى قدره حوالى ١٢٥٠ مترا مربعا .

وقد تم هذا التعديل فى صورة برامج تم سبعة منها فى الفترة من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٩٥٢ ، وبدئ فى سنة ١٩٥٥ بتنفيذ البرنامج الثامن للتحسين وقد قسم إلى سبعة أجزاء تم تنفيذ جزءين منه من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ وهما تفريعة بورسعيد وتفريعة كبريت ويجرى الآن تنفيذ الجزء الثالث من البرنامج الثامن وهو خاص بتوسيع المنطقة الواقعة شمالى السويس بامتداد ٢٣ كيلو مترا على أن يتم التوسيع من الجانب الشرقى للقناة .

وتقوم هيئة قناة السويس الآن بدراسات مستفيضة لتقرير الخطوط الرئيسية لمشروع ضخم يهدف إلى تحسين القناة بحيث تتمشى فى حجمها وسعتها وكفاءتها مع التطور المنتظر فى أحجام وعدد السفن والناقلات التى ينتظر عبورها للقناة فى المستقبل . وقد أطلق على هذا المشروع اسم (مشروع ناصر) .

قرض ألمانى

يغطى تكاليف مشروع السنوات الخمس

نجحت محادثات الدكتور عبد المنعم القيسونى فى ألمانيا الغربية ، فوافقت ألمانيا على منح الجمهورية العربية المتحدة قرضا يبلغ ٥٥٠ مليون مارك ألمانى (حوالى ٤٧ مليون جنيه) وصدر بلاغ مشترك يقول : إن الاتفاق تجرد من كل غرض سياسى . ومما تم الاتفاق عليه إيفاد ألمانيا خبراء فنيين لاستغلال الموارد المعدنية ووضع

التصميمات للموانىء والمطارات . وقال البروفسور إرهارد وزير الاقتصاد الألمانى : إن المصريين أثبتوا أنهم أهل للائتمان .

وقد أصبح لدى مصر - من القرضين الروسى والألمانى - ما يمكنها من تنفيذ مشروع السنوات الخمس .

مؤتمر وحدة شمال إفريقية

عقد فى طنجة مؤتمر سياسى اشتركت فيه لأول مرة الأحزاب السياسية فى شمال إفريقية وهى حزب الاستقلال المغربى ، والحزب الدستورى الجديد التونسى ، وجبهة تحرير الجزائر .

وتقول جريدة (صنداى تيمس) الإنجليزية : إن هذا المؤتمر يعد نقطة تحول مهمة فى تاريخ شمال إفريقية لأن الغرض منه هو وضع خطة مفصلة لإنشاء اتحاد فيدرالى من هذه الأوطان الثلاثة .

وقد بحث أعضاء المؤتمر مشروعا عمليا مهما لتعزيز الجهاد فى سبيل استقلال الجزائر وهو يقضى بتلق المجاهدين الجزائريين مزيدا من العون العسكرى والمالى من المغرب وتونس لمواصلة الحرب ضد فرنسا إلى أن تظفر الجزائر باستقلالها التام .

واختتم المؤتمر أعماله بالموافقة على التوصية بإنشاء (حكومة وطنية) للجزائر ، ومجلس استشارى للمغرب وتونس والجزائر ، وتحذير الغرب من مساعدة فرنسا فى حربها الاستعمارية ضد الوطنيين الجزائريين ، واعتبار (جبهة التحرير الوطنية الجزائرية) الهيئة الوحيدة التى تتزعم وتقود الشعب الجزائرى فى نضاله من أجل تحرير الجزائر من الحكم الفرنسى .

وأصدر المؤتمر - عقب اختتامه - بلاغا رسميا بهذا المعنى ، وقام السيد علال الفاسى زعيم حزب الاستقلال المغربى بتلاوة هذا البلاغ فى مؤتمر صحفى حضره نحو مائتين من الصحفيين والمصورين من جميع البلاد .

وإن هذا المؤتمر الشعبى سيعرض قراراته على الحكومتين المغربية والتونسية لإقرارها ومن المؤكد أن الحكومتين ستوافقان على قرارات المؤتمر ، لأن كلا من الحزبين هو الذى يتولى الحكم فى بلاده .

مؤتمر أكرا

وتضامن الشعوب الإفريقية

يقول توماس هودجكين فى صحيفة (نيوستيتسمان) الانجليزية :

إن فكرة تضامن الشعوب الإفريقية ظهرت لأول مرة فى المؤتمر الذى عقد فى باريس عام ١٩١٩ ، ولكن التنفيذ العملى لهذه الفكرة يرجع إلى جهود الدكتور نكروما

والسيد الحبيب بورقيبة عندما التقيا فى مارس من العام الماضى فى مدينة أكرا لمناسبة استقلال غانا .

ولقد ساعد مؤتمر باندونغ على تحقيق مؤتمر أكرا ، ولا يمكن اعتبار الأخير مؤتمرا فرعيا للمؤتمر الأول لأن مؤتمر أكرا اتسم بطابع إفريقى بحت ، ومن شأن هذا الطابع أن يتزعزع له الغربيون الذين اعتادوا أن ينظروا إلى إفريقية على أنها شطران : الساحل المتاخم للبحر الأبيض ، وإفريقية الاستوائية . أو إفريقية العربية ، وإفريقية الزنجية . أو إفريقية المسلمة ، وإفريقية المتأثرة بنشاط المبشرين . فجاء مؤتمر أكرا قاضيا على هذه الآراء ، ومزيلا لهذه التقسيمات ، ومعلنا أن الصحراء الكبرى ليست حدا فاصلا بين الشعوب الإفريقية . ولقد سئل أحد ساسة غانا : هل تعد الشعوب التونسية والليبية والمصرية شعوبا إفريقية ؟ فأجاب : نعم . والسائد الآن أنه ليس ثمة ميل لتقسيم إفريقية إلى قسمين : أحدهما عربى مسلم ، يقابله قسم زنجى مسيحى ، بل الميل كل الميل : إلى تضامن الجميع فى مكافحة الاستعمار .

وأيد مؤتمر أكرا قضية الجزائر ، وكان هذا طبيعيا ، لأن المسألة لم تكن فى الواقع محاولة من الدول العربية لحمل الدول غير العربية تهتم بالجزائر وتؤيد قضيتها ، بل كانت مسألة : التضامن الإفريقى لمحاربة الاستعمار .

حكومة المغرب الجديدة

وقع اختيار الملك محمد الخامس على السيد عبد السلام بلفريج لتولى رياسة الحكومة المغربية الجديدة ، بعد أن ظل المغرب ثلاثة أسابيع بلا حكومة منذ حل الملك مجلس الوزراء الذى كان يرأسه السيد بكاى .

والسيد أحمد بلفريج كان وزير الخارجية فى الوزارة السابقة ، وهو من أقدم المجاهدين المغاربة فى سبيل تحرير المغرب والنهوض به ، وله فى ذلك جهاد طويل معروف عند المراقبين لأحوال المغرب .

الجزائر فى طريق الاستقلال

حذر رئيس الجمهورية التونسية حكومة فرنسا وحليفاتها الغربية من نشوب حرب عامة فى شمال إفريقية ما لم تحصل الجزائر على استقلالها . فقال : إننا قد نضطر إلى استئناف النضال لتحرير الجزائر ، ونحن على يقين من النجاح إذا فعلنا . ويجب على الحكومة الفرنسية وحكومات حلف الأطلنطى أن تنظر بعين الاعتبار إلى قرارات مؤتمر طنجة بشأن وحدة شمال إفريقية .

شط العرب

بين حليفتين فى حلف بغداد

إيران والعراق جارتان ، يجمعهما حلف

بغداد ، وتجمعهما جامعة أقدم من جامعة حلف بغداد ، ولكن يفرق بينهما الطمع والعصبية والأنانية . ولأول مرة فى تاريخ إيران والعراق نسمع من إيران أن لها حق الأتاوة على مرور السفن فى شط العرب الذى يتألف من اجتماع الرافدين دجلة والفرات ، وأنها إذا لم تحصل على هذه الأتاوة ستأمر أسطولها بمنع السفن العربية من المرور فى هذا النهر ! وهذه الدعوى لم يسمعها أحد من إيران طول مدة إدارة الانتداب البريطانى على العراق ، وطول مدة الحكم العثمانى فى العراق ، ولا فى زمن الدولة العباسية أو صدر الإسلام . فالرافدان - دجلة والفرات - يخترقان أرضا عربية خاصة بالعراق ، وشط العرب يسير فى أرض العرب العراقية ، فهل الأتاوة التى تطلبها إيران من العراق عن سير البواخر فى شط العرب هى ثمن لوجودها فى حلف بغداد ، وهل تهديد سفن شط العرب بسلاح الأسطول الإيرانى يتفق مع روابط حلف بغداد وغيرها من الروابط ؟

ما أشبه هذه الدعوى بدعوى إيرانية جزر البحرين العريقة فى عروبتها من قبل أن تدخل قبائل تغلب فى دين النصرانية ، وأيام كانت تعبد فى هذه الجزيرة الصنم (أوال) ، وكانت تسمى جزيرة البحرين باسم جزيرة (أوال) .

الاستعمار البريطانى فى اليمن

جن جنون الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن لما يشعر به من انبعاث الحيوية العربية فى تلك الربوع ، وقد بدأ بغيه فى مقاطعة لحج ، ثم صب نيران همجيته بصواريخ الطائرات النفاثة على مقاطعة قعطبة الواقعة على الحدود بين إمامة اليمن ومنطقة الاستعمار . وكان ذلك كله بغيا من دولة جائرة لم تستفد من دروس التجارب والعبر ، وعلى الباغى تدور الدوائر .

ثورة سومطرا

أذيع رسميا فى أندونيسيا أن قوات الجمهورية الأندونيسية استولت على مدينة بوركتنجى عاصمة الثوار فى غرب سومطرا ، وأن ظفر الدين رئيس حكومتهم فر مع أعضاء حكومته إلى مدينة بانوسنكو فى الجنوب .

الشعب يهتف بالجيش فى لبنان

استقبل الشعب اللبنانى - فى ثورته الصادقة ، ضد حكومة كميل شمعون الخائنة - الجيش بالهتاف وكان الجيش يبدى شعورا طيبا نحو الشعب ، ويفرق بينه وبين قوات الدرك عند اشتباكهم ، كما قبض الشعب على السفاحين الخونة ، من أفراد جماعة القوميين السوريين ، وصادر أسلحتهم .

فهرس

المجلد التاسع والعشرين

(لسنة ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م)

(أ)

(ع - غ)

(ك ـ ل)

(م)

(ن — هـ)

(و — ى)

الفهرس

